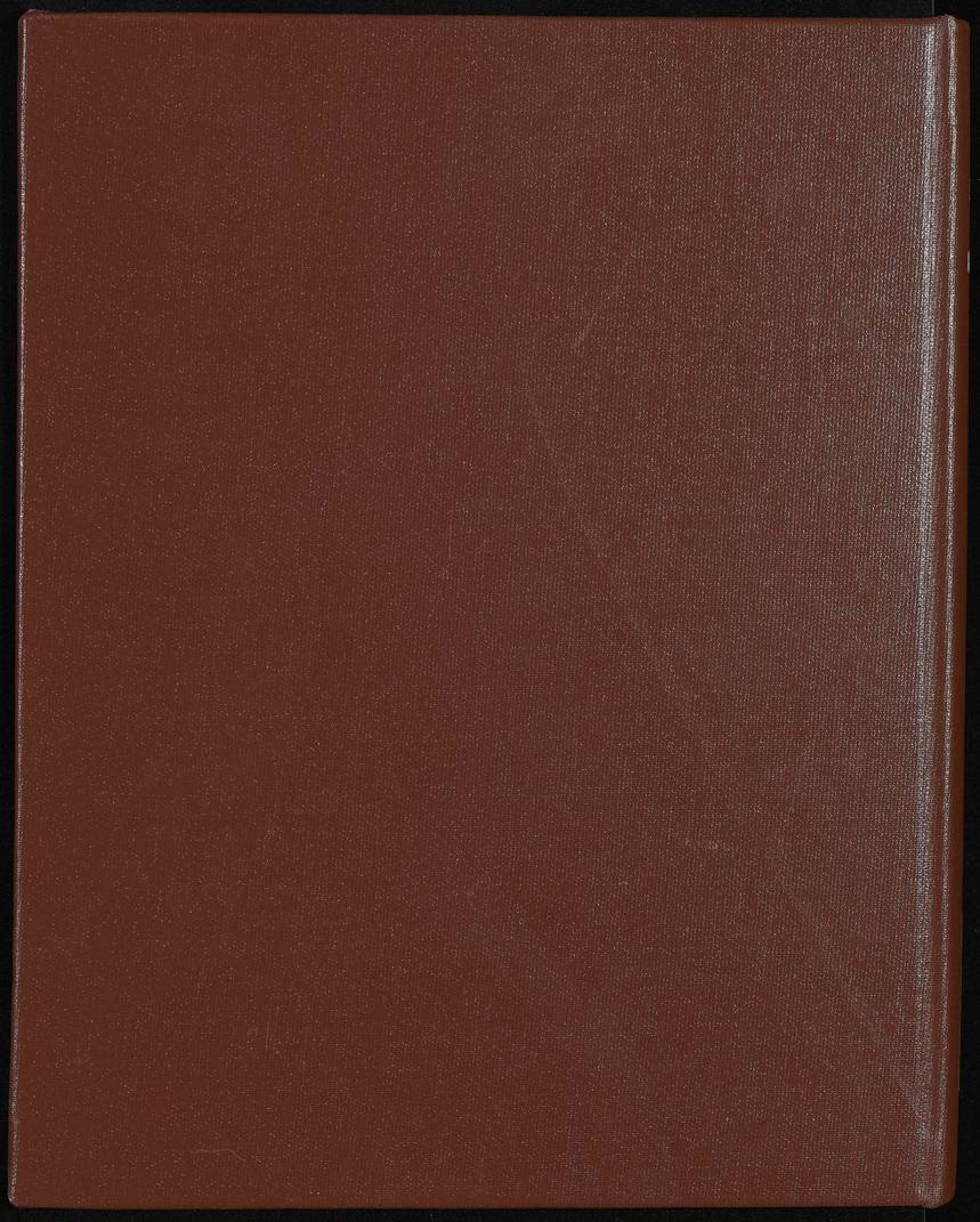
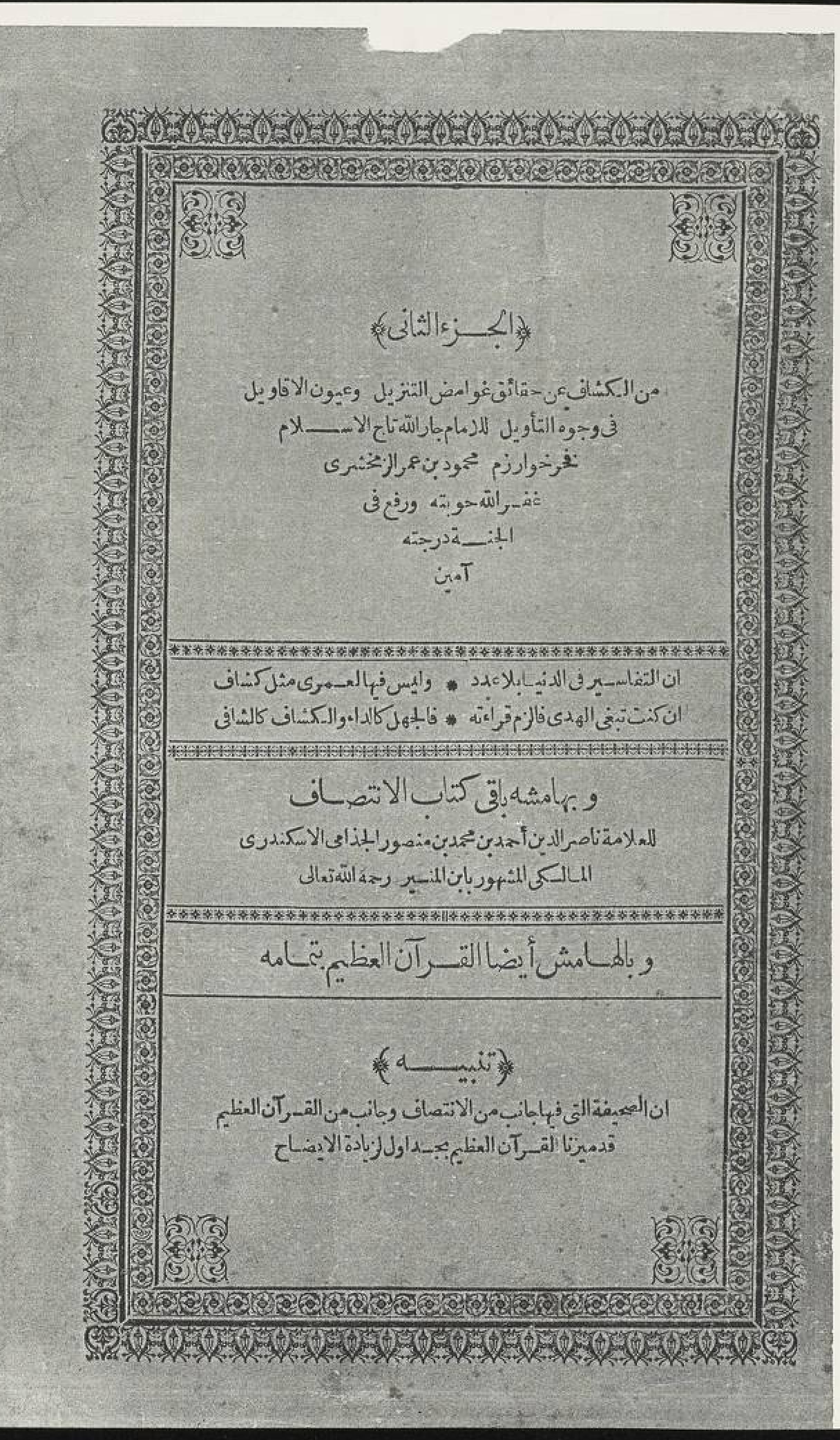



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 097 311 843

az-ZAMAḪŠARĪ. al-Kaššāf ʿan ḥaqāʾiq ġawāmiḍ at-tanzīl wa ʿuyūn al-aqāwīl fī wuǧūh at-taʾwīl. Tog. with: al-ǦURǦĀNĪ. al-Ḥāšiya. In the margin: b. al-MUNAIYIR al-ISKANDERĪ. al-Intiṣāf min al-Kaššāf; And: Text of the Qurʾān. In the same binding: MUḤIBBADDĪN al-ḤAMAWĪ. Tanzīl al-āyāt ʿalā 'š-šawāhid min al-abyāt šarḥ al-Kaššāf. Cairo 1308 H. 3 vol. in 2.

GAL I 290; S I 509

II - III



﴿الجزء الثاني﴾

من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل
في وجوه التأويل للامام جار الله تاج الاسلام
فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري
غفر الله حوبته ورفع في
الجنة درجته
آمين

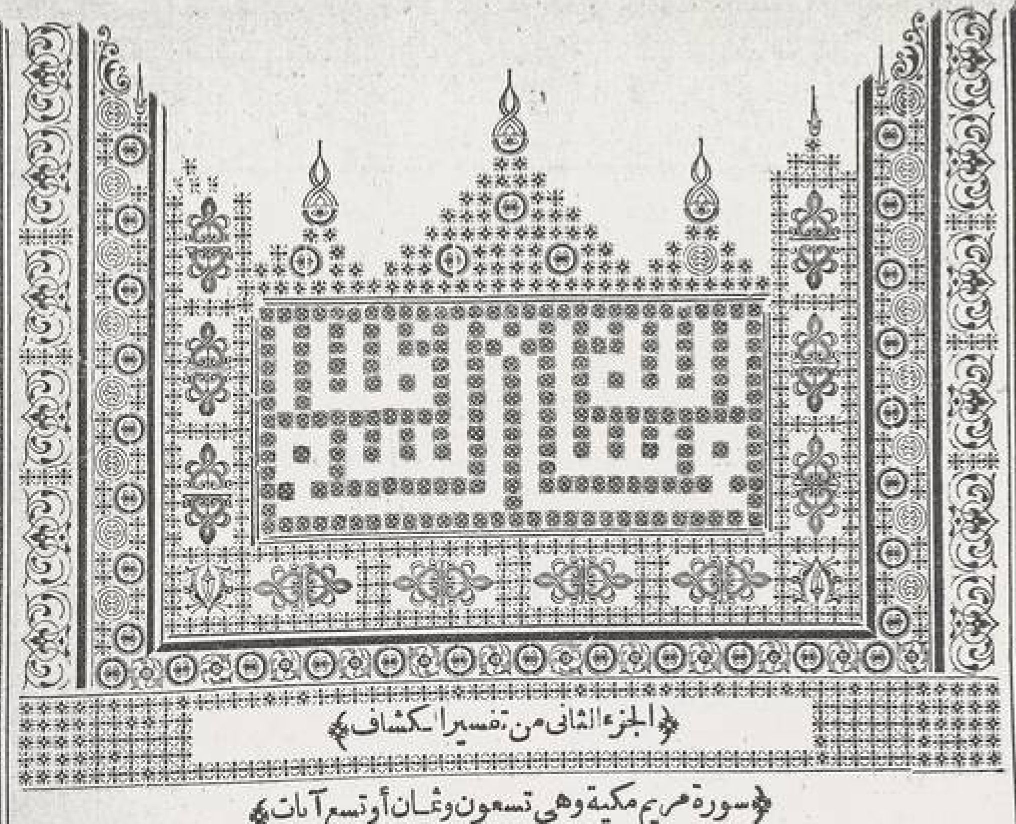
ان التفاسير في الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وبهامشه باقي كتاب الانتصاف
للعلامة ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الاسكندري
المالكي المشهور بابن المنير رحمه الله تعالى

وبالهامش أيضا القرآن العظيم بتمامه

﴿تنبيه﴾

ان الصحيفة التي فيها جانب من الانتصاف وجانب من القرآن العظيم
قد ميزنا القرآن العظيم بجداول لزيادة الايضاح



﴿الجزء الثاني من تفسير الكشاف﴾

﴿سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر * راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء أولى لانه أبعد من الرياء وأدخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصد الى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * ادغام السين في الشين عن أبي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة * توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته * كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه و يبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه (من وراءي) بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء

﴿سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من وراءي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي

خلافتهم

﴿القول فى سورة مريم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا الى قوله وقد بلغت من الكبر عتيا (قال ان قلت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لانه التزم ان زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز للنبي النطق بما لا يسوغ لمثل هذه الفائدة التى عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه فالظاهر فى الجواب والله أعلم ان طلبة زكريا انما كانت ولدا من حيث الجملة وبحسب ذلك أجيب وليس فى الاجابة ما يدل على انه (٣) يولد له وهو هرم ولا أنه من زوجته وهى عاقر فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة واحتمل ان تعاد لهما قوتهما وشبابهما كما فعل الله ذلك لغيرهما أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر فاستبعد الولد منهما وهما بحالهما فاستخبر أيكون وهما كذلك فقيل كذلك أى يكون الولد وأنتما كذلك فقد انصرف الابعاد الى عين الموعود فزال الاشكال والله أعلم * قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ (قال انما قيل ذلك لان المعدوم ليس بشئ أوشيأ يعتد به الخ) قال أحمد فسر أولا على ظاهر النفى الصرف وهو الحق لان المعدوم ليس شيأ قطعا خلافا للمعتزلة فى قولهم ان المعدوم الممكن شئ ومن ثم كافح الزمخشري عن البقاء على التفسير الاول الى الثانى بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة بجعل النفى الشيئية المعتد بها وان كانت الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق بقاء الظاهر فى نصابه

من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب

خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفت الموالى من ورائى وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى أى قلوا وعجزوا عن اقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة (يرثنى ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردأ يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدرى أو يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الاسامى السنع جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم

سنع الاسامى مسبلى أزر * حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى فى أسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا * أى كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعا أرزقه (فان قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا أولا وآخرا كان على منهاج واحد فى أن الله غنى عن الاسباب * أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن فى السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبى ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القراءتين أى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيأ) لان المعدوم ليس بشئ أو شيأ يعتد به كقولهم عجبت

من لاشئ وقوله * اذارأى غيرشئ ظنه رجلا * وقرأ الاعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك * أى اجعل لى علامة أعلم بها وقوع مابشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلاتطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق مابك خرس ولا بكم * دل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن * أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض (سبحوا) صلوا أو على الظاهر وأن هى المفسرة * أى خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحى يقال حكم حكما كحلم وهو الفهم للتوراة والفقه فى الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ماللعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله أحكم عقله فى صباه وأوحى اليه (حنانا) رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه

وقالت حنان ما أتى بك ههنا * أذونسب أم أنت بالحى عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن فى معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل فى العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة * والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم * سلم الله عليه فى هذه الاحوال قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (اذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على مافيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه * والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أومن دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشئ يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبيناهى فى مغتسلها أتاها الملك فى صورة آدمى شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر سوى الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ أو حسن الصورة مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه * ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت فى منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست فى المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا * الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحى وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذى هو عدة المقربين فى قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان أولانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أى مقربنا وذا روحنا * أرادت ان كان يرجى منك أن تتقى الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فانى عائذة به منك كقوله تعالى تقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * أى انما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لاكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع وفى بعض المصاحف انما أنا رسول ربك أمرنى أن أهب لك أوهى حكاية لقول الله تعالى * جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أولامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجربها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب * والبغى الفاجرة التى تبغى الرجال وهى فعول عند المبرد بغوى فادغمت الواو فى الياء وقال ابن جنى فى كتاب التمام هى فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أوهو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه (مقضيا) مقدرا مسطورا فى اللوح لابدلك من جريه عليك أوكان أمرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا فى قوة الاعتقاد والتوصل

فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا

الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين * عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبى العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره (فانتبذت به) أى اعتزلت وهو فى بطنها كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا أى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أى تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور فى موضع الحال (قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فأتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا ترى أنك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان * قرأ ابن كثير فى رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد فى بطنها * طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما أن يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما أن يكون تعريف الجنس أى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة أقل شئ صبرا على البرد وثمارها انما هى من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها اليها * قرئ (مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات * النسى ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أى الشئ اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيأ تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى فى العادة وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوّر من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظى نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر (من تحتها) هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهى قراءة عاصم وأبى عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الانهار وقيل كان أسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزنى وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها وفى ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير فى تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها * سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول قال لبيد

فتوسطا عرض السرى فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا (فان قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب (قلت) لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن

فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا

لها أمور الهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع
من شأنها (تساقط) فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية
ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا
تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة
للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو على معنى افعلى الهز به كقوله تخرج في عراقيبها نصلي
قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من
الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * عن طلحة بن سليمان
(جنيا) بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السرى والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلى واشربى وقرى عينا أى وطيبى نفسا ولا تغتمى
وارفضى عنك ما أحزنك وأهمك * وقرئ (وقرى) بالكسر لغة نجد (فاما ترئن) بالهمز ابن الرومى عن أبى عمرو
وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين فى الابدال (صوما)
صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ فى أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا
تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ
به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس
سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق (انسيا) أى أكلم
الملائكة دون الانس الفرى البديع وهو من فرى الجلد (يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بنى
اسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبى
وكانت من أعقابه فى طبقة الاخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده وانما قيل
يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به أى كنت
عندنا مثله فى الصلاح أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا
كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا * وقرأ عمر بن لجاء التيمى (ما كان أباك
امرؤ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم
جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها
(فأشارت اليه) أى هو الذى يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن
السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك
ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا
لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضية
أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا * أنطقه الله أولا
بأنه عبد الله ردا لقول النصارى و(الكتاب) هو الانجيل * واختلفوا فى نبوته فقيل أعطيها فى طفوليته
أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا فى ظاهر الآية وقيل معناه أن ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى
لا محالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما
للخير * قرئ (وبرا) عن أبى نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل فى معنى أوصانى وهو كلفنى لان
أوصانى بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام على) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا
رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى
والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه

وهزى اليك بجذع
النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فكلى
واشربى وقرى عينا
فاما ترين من البشر أحدا
فقولى انى نذرت للرحمن
صوما فلن أكلم اليوم
انسيا فأتت به قومها
تحمله قالوا يا مريم لقد
جئت شيأ فريا يا أخت
هرون ما كان أبوك
امرأ سوء وما كانت
أمك بغيا فأشارت
اليه قالوا كيف نكلم
من كان فى المهد صبيا
قال انى عبد الله آتانى
الكتاب وجعلنى نبيا
وجعلنى مباركا أينما
كنت وأوصانى بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا
وبرا بوالدتى ولم يجعلنى
جبارا شقيا والسلام
على يوم ولدت ويوم
أموت ويوم أبعث حيا
ذلك عيسى ابن مريم

ان

قول الحق الذى فيه
يمترون ما كان لله أن
يتخذ من ولد سبحانه اذا
قضى أمرا فانما يقول
له كن فيكون وان الله
ربى وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم
فاختلف الاحزاب من
بينهم فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم
أسمع بهم وأبصر يوم
يأتوننا لكن الظالمون
اليوم فى ضلال مبين
وأنذرهم يوم الحسرة
اذ قضى الأمر وهم فى
غفلة وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض
ومن عليها والينا يرجعون
واذكر فى الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا
نبيا اذ قال لابيه يا أبت
لم تعبد

أن اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى
والسلام على من اتبع الهدى يعنى أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة
لنحو هذا من التعريض * قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله
وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب
والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدا محذوف وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر
بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا
والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير
واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندا ويحتمل اذا أريد بقول الحق
عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون أى
أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون والمرية الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر
كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه تمترون على الخطاب وعن
أبى بن كعب قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون * كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه
وانه مما لا يتأتى ولا يتصور فى العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات
من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا أراد شيأ من الاجناس كلها أوجده بكن كان منزها من شبه
الحيوان الوالد * والقول ههنا مجاز ومعناه أن ارادته للشئ يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك
بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل * قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولانه ربى وربكم
فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والاستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء وفى حرف
أبى ان الله بالكسر بغير واو وبأن الله أى بسبب ذلك فاعبدوه (الاحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبى وقيل
النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص
عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هول الحساب والجزاء
فى يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن
تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهدوا به فى عيسى وأمه * لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد أن أسماعهم وأبصارهم
يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون
مما يسوءهم ويصدع قلوبهم * أوقع الظاهر أعنى الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث
أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع (قضى
الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أى
عن قضاء الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة
(وهم فى غفلة) متعلق بقوله فى ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بانذرهم أى
وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم وأنه يفنى أجسادهم ويفنى
الارض ويذهب بها * الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة
ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة فى هذا التصديق للكتب والرسل أى كان
مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا فى
الصدق لان ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك وهذه الجملة
وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعنى ابراهيم و (اذ قال) نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز
أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات
والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقولهم واتل عليهم نبأ ابراهيم

والا فالله عزوجل هو ذاكره ومورده فى تنزيله * التاء فى (يا أبت) عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة * انظر حين أراد ان ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التى ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك بنصيحة ربه عز وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتى سبقت ان حسن خلقه أظله تحت عرشى وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغى المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب الذى منه أصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغنى عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها * ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى طائفة من العلم وشيأ منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فلا تستنكف وهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه * ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذى لا يريد بك الا كل هلاك وخزى ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذى ورطك فى هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لامعانه فى الاخلاص ولارتقاء همته فى الربانية لم يذكر من جنايتى الشيطان الا التى تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر فى عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه * ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ماهو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التى هى معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * ما فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول فى لا يسمع ولا يبصر منسى غير منوى كقولك ليس به استماع ولا ابصار (شيأ) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فى موضع المصدر أى شيأ من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثانى أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عنى وجهك (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) فيه تجدد العلم عنده لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنى وقدم الخبر على المبتدا فى قوله (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار

ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته

رغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به (فان قلت) علام عطف واهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لأبي انه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل أن يقول ان الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي الا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة الى الشأم * المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء * عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس * ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه * لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال * اني أتتني لسان لا أسر بها * يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه * المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله * الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع * الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب * شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه * ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان ذلك موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين * كان يبدأ بأهله في الأمر

لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا

---

* قوله تعالى سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا (قال ان قلت لم استغفر لأبيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لمظة من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة التحسين والتقبيح والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ثم لم يوف الزمخشري بها فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الالهيات ثم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل خلافه فلا

بالصلاح والعبادة ليجعلوهم قدوة لمن وراءهم ولانهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا الاترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لان أمم النبيين فى عدادها اليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى شىء من ذلك * قيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس أعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس * المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه أنه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الى السماء السادسة وعن الحسن رضى الله عنه الى الجنة لا شىء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى أنه لما أنشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى آخره

[illegible] IV. 193 [illegible]
[illegible] 1.36

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة (أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من لدن زكريا الى ادريس عليه السلام * ومن فى (من النبيين) للبيان مثلها فى قوله تعالى فى آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبى نوح وابراهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح لانه من ذرية سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية * ان جعلت الذين خبر الاولئك كان (اذا تتلى) كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقى مع وجود الفاصل * البكى جمع باك كالسجود والقعود فى جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى رضى الله عنه قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى هذه القراءة يا صالح فأين البكاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك * خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بالفتح وفى عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد رضى الله عنهما أضاعوها بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعنى الكفار وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضى الله عنه هو فى هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك رضى الله عنهم الصلوات بالجمع * كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وعن الزجاج جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أى مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه أوديتها وقرأ الاخفش يلقون * قرئ يدخلون ويدخلون * أى لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم

أخاه هرون نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب

المر

Kitab al-aghani V.195

ولا

انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا

ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أى شيأ من الظلم * لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعانى الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء * أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والايمان به * قيل فى (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى اليه احسانا أى كان وعده مفعولا منجزا * اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا * أى ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هى دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام * من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهى عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهى العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين (نورث) وقرئ نورث استعارة أى نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهى الجنة فاذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو أطاعوا (وما نتنزل) حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبى صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال انى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وأنزل الله سبحانه هذه الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله * فلست لانسى ولكن لملأك * تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا (وما خلفنا) من الجهات والاماكن (وما بين ذلك) وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب فى ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التى بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى أنه المحيط بكل شئ لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه * وقيل معنى (وما كان ربك نسيا)

قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما (قال يجوز أن يكون من قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

وان يكون استثناء منقطعا) قال أحمد والفرق بين الوجهين انه جعل الفلول عيبا على سبيل التجوز بتا لنفى العيب بالكلية كأنه يقول ان كان فلول السيوف من القراع عيبا فانهم ذوو عيب معناه وان لم يكن عيبا فليس فيهم عيب البتة لانه لا شئ سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون متصلا على ان يكون السلام هو الدعاء بالسلامة الخ) قال أحمد وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة لا كالاول الناشئ عن المجاز وفى هذا الباب بعد لانه يقتضى البت بان الجنة يسمع فيها لغو وفضول وحاش لله فلا غول فيها ولا لغو

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر

وما كان تاركا لك كقوله تعالى ماودعك ربك وماقلا أى ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وأما احتباس الوحى فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هى حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أى ومانتنزل الجنة الا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف فى أعمال الخير والموفق لها والمجازى عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماء والارض ومابينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج رضى الله عنه ومايتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحى وعن ابن مسعود رضى الله عنه الا بقول ربك * يجب أن يكون الخلاف فى النسى مثله فى البغى (رب السموات والارض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو رب السموات والارض (فاعبده) كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة * (فان قلت) هلا عدى (اصطبر) بعلى التى هى صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لان العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك أى اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من أهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحى عليك مدة وشماتة المشركين بك * أى لم يسم شئ بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذى عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أى اذا صح أن لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالانسان الجنس باسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فان قلت) لم جازت ارادة الاناسى كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى * (فان قلت) بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف ومافى اذا ما للتوكيد أيضا فكانهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد * والمراد الخروج من الارض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا فى ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ * وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضى الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسىء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم

قوله تعالى ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا (قال ان قلت كيف اجتمعت اللام وهى للحال مع حرف الاستقبال الخ) قال أحمد ولاعتقاد تناقض الحرفين منع الكوفيين اجتماعهما وانما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف لتلائم اللام لانه لو عكس هذا للغت سوف اذلا معنى لها سوى الاستقبال واما اللام اذ جردت من الحال بقى لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم * قوله تعالى أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ (قال ذكر الله الانسان النشأة الاولى ليعترف بالاخرى الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة ان اعادة المعدوم جائزة عقلا ثم واقعة نقلا والمعتزلة وان وافقت على ذلك الا انها تزعم ان المعدوم له ذات ثابتة فى العدم يقضى عليها بانها شئ فليس عندهم عدم صرف ونفى محض قبل الوجود ولا بعده فكانهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولانكروا اعادة المعدوم كما أنكره القدماء وعقيدة أهل السنة هى المطابقة للآية لان النشأة الاولى لم يتقدمها وجود ولان المنشأ ابتداء لم يكن شيأ قبل ذلك واما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان المنشأ قبلها شيأ فى زمان وجوده ثم عدم اوقع وبطلت شيئيته فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن واما المعتزلة فان قالوا ان الاجسام يعدمها الله ثم يوجدها فقد قالوا الحق لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين لان المعدوم فيهما كان شيأ قبل النشأة فان قالوا لا تنعدم الاجسام وانما تتفرق ثم تجمع

(٣) كما صرح به الزمخشري لانه تفطن لان القول بان الاجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بان المعدوم شيء يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالتزم ان الاجسام لا تنعدم ليتم له الفرق بين النشأة (١٣) الثانية وانما هي على هذا التقرير

أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيأ دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله * القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما رضى الله عنهم فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه * في اقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق والواو في (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (فان قلت) هذا اذا أريد بالانسان الكفرة خاصة فان أريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فان قلت) هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم * (فان قلت) ما معنى احضارهم جثيا (قلت) أما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم * أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * واختلف في اعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم

جمع وتأليف لموجود وبين النشأة الاولى التي هي ايجاد معدوم فتنبه لبعد غوره ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله ولي التوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين ان الجاحد متهافت لانه اعترف بالاولى وهي أصعب بالنسبة الى قياس العقل وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون لان ذلك راجع الى قدرته تعالى فان الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء * عاد كلامه

الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا

(قال والانسان يحتمل ان يراد به العموم الخ) قال أحمد التبست عليه ارادة العموم بتناول العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون فصرح بان الله تعالى أراد بالانسان العموم ومعنى ارادة العموم ان يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر الى كل فرد من أفراد الانسان ومعاذ الله وقد صرح الزمخشري بان الناطق بكلمة الشك بعض الجنس ففي العبارة خلل كما ترى

٣ (قوله كما صرح به الزمخشري الخ) كذا بالاصل وليس فيه جواب الشرط في قوله فان قالوا لا تنعدم الخ وليحرر فهمه وكشفا اه مصححه

أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فان قلت) بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لاسبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وان منكم) التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما وان منهم أو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنه يردونها كأنها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعنه رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشئ الشئ ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين * الحتم مصدر حتم الامر اذا أجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير أى كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره * قرئ (ننجى) وننجى وينجى وينجى على ما لم يسم فاعله ان أريد الجنس باسره فهو ظاهر وان أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجى (الذين اتقوا) أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدرى وابن أبى ليلى ثم تنجى بفتح الثاء أى هناك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين (بينات) مرتلات الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع * والندى المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أى الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من) تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم و(هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية * الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما لبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسى

تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

* قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

والعبارة الصحيحة ان يقال يحتمل ان يكون التعريف جنسيا فيكون عهديا فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم * قوله تعالى وان منكم الا واردها (قال يحتمل ان يكون استئناف خطاب للناس ويحتمل ان يكون التفاتا) قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على ارادة العموم من الاول فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا الا ان الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثانى بلفظ الحضور وأما اذا بنينا على ان الاول انما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثانى ليس التفاتا وانما هو عدول الى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين والله أعلم

قبلها وزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء * أى مدله الرحمن
يعنى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لامحالة كالمأمور به
الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى انما نملى لهم
ليزدادوا اثما أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فى معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس فى مدة حياته
* فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما
أى قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى اذا رأوا مايوعدون) أى لايبرحون يقولون هذا القول
ويتولعون به لايتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وهو ماينالهم من
الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الامر على عكس ماقدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير
مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة
ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الالطاف لاتنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد
بالضلالة مادعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى أن
يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فان قلت) حتى هذه ماهى (قلت) هى التى
تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا مايوعدون (فسيعلمون من هو شر
مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس
الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الانصار والاعوان (ويزيد) معطوف على موضع
فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردا) أى مرجعا
وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاى زندا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كان
لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا
بالصيلم وقوله

شجعاء جرتها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا

وقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن
يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركا فيه (قلت) هذا من وجيز
كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده * لما كانت مشاهدة الاشياء
ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء جاءت لافادة
معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع
الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا *
ويقولون مر مطلع لذلك الامر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة
شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ماادعى أن يؤتاه وتألى عليه لايتوصل
اليه الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك * قرأ حمزة
والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر
وقيل فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك مايقول وعن الكلبى هل
عهد الله اليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاصى بن وائل
قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا
ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا

حتى اذا رأوا مايوعدون
اما العذاب واما الساعة
فسيعلمون من هو شر
مكانا وأضعف جندا
ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى والباقيات
الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير مردا
أفرأيت الذى كفر
بآياتنا وقال لأوتين
مالا وولدا أطلع الغيب
أم اتخذ عند الرحمن
عهدا

فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ أى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه (فان قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين وعلم بالانتساب انى لست بابن لئيمة والثانى أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك يعنى أنه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد (ونمد له من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذى يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة على بن أبى طالب ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله فى الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك فى قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه فى العاقبة (ويأتينا فردا) غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك * أى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأى والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى هى للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما فى قواريرا والضمير فى سيكفرون للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون أو للمشركين أى ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أى أعوانكم وكان العون سمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه (فان قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشئ واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم أى أعداءهم ضدا أى كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها * الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوسواس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم فى الغى وافراطهم فى العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك فى اتباع الشياطين وما تسول لهم * عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه أى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين

كلا سنكتب ما يقول
ويمد له من العذاب مدا
ونرثه ما يقول ويأتينا
فردا واتخذوا من دون
الله آلهة ليكونوا لهم
عزا كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا ألم تر أنا
أرسلنا الشياطين على
الكافرين تؤزهم أزا
فلا تعجل عليهم انما
نعد لهم عدا

ماتطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد * نصب (يوم) بمضمر أي يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون * ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت * وذكر الكافرون بأنهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء * والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردي ردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون * الواو في (لا يملكون) ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا * قرئ (ادا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والادّ العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدّني الامر وآدني أثقلني وعظم علي ادّا (يكاد) قراءة الكسائي ونافع بالياء * وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن * أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لانها تهد (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

* قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميرا الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه تعسف من حيث أنه اذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جمعا ثم أعاد على لفظها بالافراد ضمير اتخذ ففيه الاعادة على لفظها بعد الاعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لانه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس في طريق البلاغة وانما محجتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال والواو على اعرابه وان لم تكن عائدة على من الا أنها (١٧) كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد عليه فتنبه لهذا العقد فانه أروج من النقد * وفي عنق الحسناء يستحسن العقد * قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا (قال معناه كدت أهد السموات وافطر الارض الخ) قال أحمد ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم وذلك ان الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبح بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ومما دلت عليه السموات والارض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها ان الله تعالى مقدس عن نسبة الولد اليه وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد فالمعتقد نسبة الولد الى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه فاستعير لابطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لاجلها ابطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق فسبحان من قسم عباده فجعل العباد تستلذ فتسبح بتسبيح داود ويكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود

أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وأن مثال ذلك الاثر فى المحسوسات أن يصيب هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * فى (أن دعوا) ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير ابيه وقول الشاعر * انا بنى نهشل لا ندعى لاب * أى لا ننتسب اليه * انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (من) موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله * رب من انضجت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن) على أصله قبل الاضافة * الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا) الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله أولادا فى عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن أى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم * قرأ جناح بن حبيش (وِدّا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التى توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم * والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة فى أهل الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه * هذه خاتمة

السورة

أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه

السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه (بلسانك) أى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر * واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون فى كل لديد أى فى كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله (وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار وقرئ (تحس) من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة (تسمع) مضارع أسمعت والركز الصوت الخفى ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله فى الدنيا وبعدد من لم يدع الله

﴿سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون أمالوهما وعن الحسن رضى الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فأمر بان يطأ الارض بقدميه معا وأن الاصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا فى يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطرى الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال ان طاها فى لغة عك فى معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا فى ياهذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد به

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة فى الفواتح أعنى التى قدمتها فى أول الكاشف عن حقائق التنزيل هى التى يعوّل عليها الالباء المتقنون (ما أنزلنا) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتدا و(القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهى قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يجىء فى معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أى ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط فى أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقى لانك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب فى درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروى انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فان لها عليك حقا أى ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى قومه واما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التى هى أصول وقوانين لغيرها (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لمن يخشى) لمن يؤل أمره الى الخشية

بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

﴿سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

﴿القول فى سورة طه﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (قال ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه الثانى بعد فان فيه اثبات كون الشقاء سببا فى نزوله عكس الاول وان لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه صلى الله عليه وسلم من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مضمون هذه الآية متباينا عن قوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج فلعلك باخع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر

ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية * فى نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشئ لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بانزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف * ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له (فان قلت) ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه * وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها * قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لانه اما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق (فان قلت) الجملة التى هى (على العرش استوى) ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) اذا جررت فهى خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا * لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عزوجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة * أى يعلم ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك (وأخفى) منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر وعلى مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود * يجوز ان ينتصب (اذ) ظرفا للحديث لانه حدث أو لمضمر أى حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا فى مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به * لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان

وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الاول قوله عزوجل فانه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم من قال ان أخفى فعل ماض الخ) قال أحمد لا يخفى ان جعله فعلا قاصر لفظا ومعنى أما لفظا فانه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية ان كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضى على المضارع ان كان المعطوف عليه الصغرى وكلاهما دون الاحسن وأما معنى فان المقصود الحض على ترك الجهر باسقاط فائدته من حيث ان الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما اذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وان اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لان بين السياقين اختلافا والله سبحانه وتعالى أعلم

تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا

ليوطن أنفسهم * ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلى) ولم يقطع فيقول انى (آتيكم) لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به * القبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أى قوما يهدوننى الطريق أو ينفعوننى بهداهم فى أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان أفكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بقرب من زيد أو لان المصطلين بها والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * قرأ أبو عمرو وابن كثير (أنى) بالفتح أى نودى بأنى (أنا ربك) وكسر الباقون أى نودى فقيل يا موسى أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى انى أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل انى أنا ربك وأن ابليس وسوس اليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى وروى أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أى نودى نداءين أو قدس الوادى كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (لما يوحى) للذى يوحى أو للوحى تعلق اللام باستمع أو باخترتك (لذكرى) لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى أو لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد أو لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى أو لان الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعميته وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه أن فى مصحف أبى أكاد أخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وعن أبى الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا أظهره أى قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها

* قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (قال معناه قاربت ان لا أقول هى آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع فى رد هذا التأويل بالهوينا فانه بين الفساد وذلك ان خفاءها عن الله تعالى محال عقلا فكيف يوصف المحال العقلى بقرب الوقوع وأحسن ما فى محامل الآية ما ذكره الاستاذ أبو على حيث قال أراد أكاد أزيل خفاءها أى أظهرها اذ الخفاء الغطاء وهو أيضا ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته اذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته اذا أزلت شكايته وعتبه وحينئذ يلتئم القراءتان أعنى فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

لتجزى كل نفس بما
تسعى فلا يصدنك عنها
من لا يؤمن بها واتبع
هواه فتردى وما تلك
بيمينك ياموسى قال هى
عصاى أتوكأ عليها
وأهش بها على غنمى
ولى فيها مآرب أخرى
قال ألقها ياموسى
فألقاها فاذا هى حية
تسعى قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى
واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير
سوء آية أخرى

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسعيها * أى لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فان قلت) العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع فى صدك عما أنت عليه يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك ياموسى) كقوله تعالى وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد * قرأ ابن أبى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يابشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاى) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن أبى اسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة * هش الورق خبطه أى أخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أى أنحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ماهى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام * السعى المشى بسرعة وخفة حركة (فان قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية

تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها
والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان
وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا * لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل
ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر
والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف مالقي آدم منها وقيل لما قال له ربه
لاتخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها * السيرة من السير كالركبة
من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين
فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الاولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها عداء * فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن
وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها
الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها * قيل لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا
الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج
* السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء
أبرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة
فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحر للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى
انه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشي البصر * بيضاء وآية حالان
معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون
باضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف (لنريك) أي خذ هذه
الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من
آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك * لما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف
أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال مالا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن
يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر
الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها
من مزاولة معاظم الشؤن ومقاساة جلائل الخطوب (فان قلت) لي في قوله (اشرح لي صدري ويسر لي
أمري) ما جدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن
يقول اشرح صدري ويسر أمري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال
والتفصيل * عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم
انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة
بكمالها فقيل ذهب بعضها وبقي بعضها لقوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين
وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى
وقيل زالت بكمالها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى * وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقد لساني أنه طلب
حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لساني) صفة للعقدة
كأنه قيل عقدة من عقد لساني * الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك

لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون

قوله تعالى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري (قال ان قلت ما فائدة لي والكلام مستتب بدونها الخ) قال أحمد ويحتمل عندي والله أعلم ان تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة اليه وعائدة عليه فان الله عز وجل لا ينتفع بارساله ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس على خلاف رسول الملك اذا طلب منه أن يريح عليه فانما يطلب منه ما يعود نفعه على مرسله ويحصل له غرضه من رسالته والله أعلم

أخي اشدد به أزري
وأشركه في أمري كي
نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا انك كنت بنا
بصيرا قال قد أوتيت
سؤلك ياموسى ولقد
مننا عليك مرة أخرى
اذ أوحينا الى أمك
ما يوحى أن اقذفيه
في التابوت فاقذفيه في
اليم فليلقه اليم بالساحل
يأخذه عدو لي وعدو له
وألقيت عليك محبة
مني ولتصنع على عيني
اذ تمشي أختك فتقول
هل أدلكم على من يكفله
فرجعناك الى أمك
كي تقر عينها ولا تحزن
وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك

* قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله (قال العامل في اذ اما ألقيت واما ولتصنع الخ) قال أحمد والمعنى يوجب عمل ولتصنع فيه لان معنى صنيعه على عين الله عز وجل تربيته مكلوأ بكلاءته مصونا بحفظه وزمان تربيته على هذه الحالة هو زمان رده الى أمه المشفقة الحنانة واما القاء المحبة عليه فقبل ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه والله سبحانه وتعالى أعلم

يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيأ صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في أخيه قلبت فيه وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر وأخواته والى الموازرة * وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما اعتناية بامر الوزارة أو لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير و(أخي) في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن * قرؤا جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود أخي واشدد وعن أبي بن كعب أشركه في أمري واشدد به أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون * الازر القوة وآزره قواه أي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما باحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا * السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول * الوحي الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ أوحيت الى الحواريين أو يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أي أوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى (أن) هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول * القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال * غلام رماه الله بالحسن يافعا * أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم (فان قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل (قلت) ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر * لما كانت مشيئة الله تعالى وارادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل وألقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل (فليلقه اليم بالساحل) روى أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ على أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر الى حيث البركة (مني) لا يخلو اما أن يتعلق بالقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب واما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (على عيني) لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشئ بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي * ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني * العامل في (اذ تمشي) ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا (فان قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها * يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل

ثديها

ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع * هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به الى مدين (فتونا) يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة (مدين) على ثماني مراحل من مصر وعن وهب أنه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الاجلين * أي سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة * هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه اليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره * الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر * روي أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بقبله وقيل ألهم ذلك * قرئ (لينا) بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة * والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم أنه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك * أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق (أو يخشى) أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة * فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها * وقرئ (يفرط) من أفرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة * أو يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرف وجرب من شرارته وعتوه (أو أن يطغى) بالتخطي الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة (معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز أن يقدر

فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم

* قوله تعالى اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى الآية (قال معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا الخ) قال أحمد واذا روعي في الادب اطلاق هذه اللفظة عن مجرورها فلا يبعد أن يراعى في الادب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجل زيادة المجرور في قوله اشرح لي صدري كما قدمته آنفا والله أعلم

قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شئ وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو * كانت بنو اسرائيل فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجئ بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين أولو جئتك بشئ مبين * يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين * خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (خلقه) أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه (ثم هدى) أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيأ أو ينساه * يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز ان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أى لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة (الذى جعل) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدا محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أى مهدها مهدا أو يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم فى سقر سلكناه نسلكه فى قلوب المجرمين أى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته

* قوله تعالى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحمد الالتفات انما يكون فى كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فان الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ثم قوله الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاما ان يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالتفات واما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتا أيضا وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغى للقارئ ان يقف وقيفة عند قوله ولا ينسى ليستقر بانتهاء الحكاية ويحتمل وجها آخر وهو ان موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لان الحاكى هو المحكى فى كلام موسى فمرجع الضميرين واحد وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه الى الالتفات لكن الزمخشرى لم يعنه والله أعلم

أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا

لمشيئته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله * أى قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير فى فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها * أراد بخلقهم من الارض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا * وأراد باخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر * وفى قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الاضافى حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعنى أنها كانت لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثانى أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا (وأبى) أن يقبل شيأ منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من جيب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد فى قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من ان يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا نظرا فى أن قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله تعالى مكانا سوى لزمك أيضا ان توقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر

* قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى (قال ان جعلت موعدا الاول اسم مكان ليطابق قوله مكانا سوى لزمك الخ) قال أحمد وفى اعماله وقد وصف بقوله لا نخلفه بعد الا أن تجعل الجملة معترضة فهو ومع ذلك لا يخلو من بعد من حيث ان الجملة عقيب النكرة بجيرها الشأن ان تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندى وجه آخر أخصر واسلم وهو ان يجعل موعدا اسم مكان فيطابق مكانا ويكون بدلا منه ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذى ذكره ويبقى عود الضمير فنقول هو والحالة هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان لان حروفه فيه والموعد اذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد كما اذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد واذا جاز رجوع الضمير الى ما دلت قوة الكلام عليه وان لم يكن منطوقا به بوجه فرجوعه الى ما هو كالمنطوق به أولى ومما يحقق ذلك انهم قالوا من صدق كان خيرا له يعنون كان الصدق خيرا له فاعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقا به للنطق بالفعل الذى هو مشتق منه واذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كاف فى اعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع كلم الانبياء لانه سئل ان يواعدهم مكانا فعلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضا فاسلف الجواب عنه وضمنه جوابا مفردا * ولقائل أن يقول ان كان المسؤل منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذى لم يسئل عنه صريحا وجعل جواب ما سئل عنه مضمنا (وجوابه) والله أعلم ان يقول اكتفى بقرينة السؤال عن صريح الجواب وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده اليه اذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم

مضاف محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) اما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف * قرئ (وأن تحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفا على اليوم أو الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (لا تفتروا على الله كذبا) أى لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا * قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا أو مجلف فى بيت لا تزال الركب تصطك فى تسوية اعرابه * عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما * قرأ أبو عمرو (ان هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبى ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو اسحق * سموا مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فأجمعوا كيدكم) يعضده قوله فجمع كيده * وقرئ فأجمعوا كيدكم أى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب فى صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا اقبالة واحدة وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين * ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه فامروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعنى وقد فاز من غلب * أن مع ما بعده اما منصوب بفعل

لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم

وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

مضمر أو مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرز واما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين * يقال فى اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى * وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلى ودلى وقسى وقسى * وقرئ (تخيل) على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبنى زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك * ايجاس الخوف اضمار شئ منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (انك أنت الاعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (ما فى يمينك) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أى لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره عنده فألقه يتلقفها باذن الله ويمحقها * وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أى ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون * قرئ (كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أوهم لتوغلهم فى سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فان قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لان القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع تخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله (ولا يفلح)

* قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى (قال لقد ألهمهم الله حسن الادب مع موسى عليه السلام فى تخييره واعطاء النصفة من أنفسهم) قال أحمد وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه ففوضوا ضرب الموعد اليه كما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاؤه العصا بعد قذفا بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كذلك ألهمه من الاول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤس الاشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لستر سحرهم والله أعلم * قوله عز وجل وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا (قال وقال ما فى يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد وانما المقصود بتحقيرها فى جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الاولى لانها اذا كانت أعظم (٢٩) منه وهى حقيرة فى جانب قدرة الله تعالى فالظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة ولاصحاب البلاغة طريق فى علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه فصغر الله أمر العصا ليلزم منه كيد السحرة الداحض بها فى طرفة عين * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون تعظيما لامرها اذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصب) قال أحمد وههنا لطيفة وهو انه تأتى من هذا النظم أولا قصد التحقير وثانيا قصد التعظيم فلا بد من نكتة تناسب الامرين وتلك والله أعلم هى ارادة المذكور مبهما لان ما فى يمينك أبهم من عصاك وللعرب مذهب فى التنكير والابهام والاجمال تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وانه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن انه من عناية المتكلم والسامع بمكان يغنى فيه الرمز والاشارة فهذا هو الوجه فى اسعاده بهما جميعا وعندى فى الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو ان موسى عليه السلام أول ما علم ان العصا آية من الله تعالى عند ما سأله عنها بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى وألق ما فى يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذى قال الله تعالى له وما تلك بيمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسا حيث خوطب بما عهد ان يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت ألا ترى الى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا ان نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت (٣٠) قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لاتخاف دركا ولاتخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه

الساحر) أى هذا الجنس (فان قلت) فلم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) انما نكر من أجل تنكير المضاف لامن أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج * فى سعى دنيا طالما قدمدت * وفى حديث عمر رضى الله عنه لافى أمر دنيا ولافى أمر آخرة المراد تنكير الامر كأنه قيل ان ماصنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوى وأمر دنيوى وآخرى (حيث أتى) كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان * سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى وقال لى كبيرى كذا يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شئ قرئ * (فلأقطعن) ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لامن وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشئ الموعى فى وعائه فلذلك قيل فى جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أو قسم * قرئ (تقضى هذه الحيوة الدنيا) ووجهها أن الحياة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة يعنى رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى اسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه (تزكى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل فى هذه الآيات الثلاث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله * اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولايخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع (لاتخاف) حال من الضمير فى فاضرب وقرئ لاتخف على الجواب * وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لايدركك فرعون وجنوده ولايلحقونك * فى (ولاتخشى) اذا قرئ لاتخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لاتخشى أى ومن شأنك انك آمن لاتخشى وأن لاتكون الالف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا * (ماغشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع الكلام

* قوله تعالى فألقى السحرة سجدا الآية قال سبحان من فرق بين الالقاءين القائهم حبالهم وعصيهم الخ) قال أحمد وفى تكرير لفظ الالقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة ايقاظ السامع لالطاف الله تعالى فى نقله عباده من غاية الكفر والعناد الى نهاية الايمان والسداد وهذا الايقاظ لايحصل على الوجه الى هذا القصد الا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين وهو يناسب ماقدمته آنفا فى ايجاز الخطاب فى قوله وألق مافى يمينك وماتلك بيمينك فتأمله فان الحق حسن متناسب والله الموفق * قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا (قال قرئ بسكون الباء وبفتحها الخ) قال أحمد ووجه آخر وهو ان قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لانها كانت اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم

* قوله تعالى وأضل فرعون قومه وماهدى (قال انما قيل وماهدى تهكما به) قال أحمد فان قلت التهكم أن يأتى بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم انك لأنت الحليم الرشيد وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين واما قوله تعالى وماهدى فضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد اخبار عن عدم هدايته لقومه * قلت هو كذلك ولكن العرف فى مثل ماهدى زيد عمرا ثبوت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا فى نفسه ولكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضالين فى نفسه فكيف يتوهم انه يهدى غيره وتحقيق ذلك ان قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف فى الاخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد اضلاله اياهم فان من لايهدى قد لايضل فيكون كفافا واذا تحقق غناء الاول فى الاخبار تعين كون الثانى لمعنى سواه وهو التهكم والله أعلم * قوله تعالى ومن (٣١) يحلل عليه غضبى فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لايسعه أن يحمل الغضب الاعلى العقوبة لانه ينفى صفة الارادة فى جملة ماينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب ارادة العقوبة فيكون من أوصاف الذات ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الافعال وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الارادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا على التأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الارادة بحلولها تعبيرا عن الاثر بالمؤثر كما يقول الناظر الى عجيب من مخلوقات الله تعالى انظر الى قدرة الله يعنى أثر القدرة لانفسها والله أعلم * قوله تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم هؤلاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى (قال فيه ان قلت سئل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وانما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو انه ينبغى تأخير رئيس القوم عنهم فى المسير ليكون نظره محيطا بطائفته ونافذا فيهم ومهيمنا عليهم وهذا المعنى لايحصل فى تقدمه عليهم ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الادب لوطا فقال واتبع أدبارهم فامره أن يكون أخيرهم على ان موسى عليه السلام انما أغفل هذا الامر مبادرة الى رضا الله عز وجل ومسارعة الى الميعاد وذلك شأن الموعود بما يسره يود لو ركب اليه أجنحة الطير ولا أسر من مواعدة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

وماهدى يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى

الكلام التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم مالا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ماغشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه أو ماغشاهم أو فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وماهدى) تهكم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول أى قلنا يابنى اسرائيل وحذف القول كثير فى القرآن * وقرئ (أنجيتكم) الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة * وقرئ (الايمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم فى النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها فى المعاصى وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا فى انفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا * قرئ (فيحل) وعن عبد الله لايحلن (ومن يحلل) المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم فى معنى النزول * وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله ان يسقط من جبل فيهلك

قالت هوى من رأس مرقبة * ففتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه وأسقط سقوطا لانهوض بعده * الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين فى جاءنى زيد ثم عمرو أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أى شئ عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ماوعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ماوقت أفعاله الا نظرا الى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثرى) وعن أبى عمرو ويعقوب اثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر أثرى بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والاثر أفصح من الاثر وأما الاثر فمسموع فى فرند السيف مدون فى الاصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الاثر غريب (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب

العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق الى كلامك وتنجز موعدك
وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما
انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الامرين الى موسى
بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة
ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب
السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله
فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام * أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق
بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة
بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى
تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا * قرئ (وأضلهم السامرى) أى وهو أشدهم ضلالا لانه ضال مضل
وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض
دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر * الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجأة رحمة للمؤمن
وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فان قلت) متى رجع الى قومه (قلت) بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة
وعشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل
حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة
مفارقته لهم يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم
عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أى ما أخلفنا موعدك بأن
ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده * أى حملنا
أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم أو أرادوا بالاوزار أنها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم
المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ (فقذفناها)
فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامرى)
أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى
اليه وليه الشيطان أنها اذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله
من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل (فان قلت) كيف أثرت تلك التربة فى احياء الموات
(قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات
وهى أن يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى
كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه فى الدرع (فان قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة
لبنى اسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى
الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس أعجب والمراد
بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال
وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى فنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه
عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن مخففة
من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامرى ما قال كأنهم
أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم

وعجلت اليك رب لترضى
قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك وأضلهم
السامرى فرجع موسى
الى قومه غضبان أسفا
قال ياقوم ألم يعدكم
ربكم وعدا حسنا أفطال
عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب
من ربكم فأخلفتم
موعدى قالوا ما أخلفنا
موعدك بملكنا ولكنا
حملنا أوزارا من زينة
القوم فقذفناها فكذلك
ألقى السامرى فأخرج
لهم عجلا جسدا له خوار
فقالوا هذا الهكم واله
موسى فنسى أفلا يرون
أن لا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولقد قال لهم هرون
من قبل ياقوم

* قوله تعالى قال فانا قد
فتنا قومك من بعدك
(قال ان قلت لم خلق الله
العجل فتنة لهم) قال
أحمد هذا السؤال
وجوابه تقدما له فى أول
سورة الاعراف وقد
أوضحنا ان الله تعالى
انما تعبدنا بالبحث عن
علل أحكامه لا علل
أفعاله وجواب هذا
السؤال فى قوله تعالى
لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون فهذا الامر
جائز وقد أخبر الله تعالى
بوقوعه فلا نبتغى وراء
ذلك سبيلا لكن
الزمخشرى تقتضى قاعدته

هرون

هرون عليه السلام بقوله (انما فتنتم به وان ربكم الرحمن) * لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقنى * قرئ (بلحيتى) بفتح اللام وهى لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه * أى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافى برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها * الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له * قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له * قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامرى فقال ان لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل * عوقب فى الدنيا بعقوبة لا شئ أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس أوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم * وقرئ (لا مساس) بوزن فجار ونحوه قولهم فى الظباء اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا أباب وهى أعلام للمسة والعبة والابة وهى المرة من الاب وهو الطلب (لن تخلفه) أى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

Lisan al ʿarab X. 442
XVIII. 136

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أى لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر فى لاهب لك (ظلت) وظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر أبو على الفارسى فى لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهى قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهى ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * قرأ طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ وأما علما فانتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل فى المعنى كما تقول فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف فى (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الامم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا

انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحيوة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما كذلك

قاعدته فى وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يقول ذلك ويعرفه فذرهم وما يفترون

لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقى * يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره أولانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل * جمع (خالدين) على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها (فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (ساء) فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب أن يكون مبهما يفسره (حملا) والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعالى نعم العبد انه أواب أيوب هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أى وساءت مصيرا جهنم (فان قلت) اللام فى لهم ماهى وبم تتعلق (قلت) هى للبيان كما فى هيت لك (فان قلت) ما أنكرت أن يكون فى ساء ضمير الوزر (قلت) لا يصح أن يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير مبهم (فان قلت) فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن (قلت) كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله الى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب * أسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه الى ذاته تعالى * وقرئ ينفخ بلفظ مالم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أولاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن * وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى أنه القرن * قيل فى الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شئ من ألوان العيون الى العرب لان الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين والثانى أن المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق * تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول * يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم فى قوله تعالى (اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما) ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث (ينسفها) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام (فيذرها) أى فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة * (فان قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت الى قطعة أرض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى

نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا

دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر * الامت النتوّ اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت * أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله (يومئذ) أي يوم اذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة * والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون (لا عوج له) أي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته * أي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت (فلا تسمع الا همسا) وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها اذا مشت أي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (من) يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من (أذن له الرحمن) والنصب على المفعولية ومعنى أذن له (ورضي له) لاجله أي أذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * أي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما * المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله تعالى (وقد خاب) وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر * الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه * والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم * وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة * والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة * وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

(فتعالى الله الملك الحق) استعظام له ولما يصرّف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته * ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان * وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله تعالى (رب زدني علما) متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شئ حكمة وعلما وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شئ الا في العلم * يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول ان اساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه * (فان قلت) ما المراد بالنسيان (قلت) يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها

أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس

*قوله تعالى وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث (٣٥) لهم ذكرا (قال معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المتضمنة للوعيد الخ) قال أحمد الصواب في تفسيرها ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر والا فلو أراد الله من جميعهم التقوى لوقعت وقد تقدمت أمثالها والعجب انه نقل عن سيبويه في تفسير لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى ان معناه كونا على رجائكما ثم رجع عن ذلك ههنا لان المعتقد الفاسد يجذبه الى هذا التأويل الباطل والله الموفق

* قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (قال ذكر تعالى الاصناف التى بها قوام الانسان الخ) قال أحمد تنبيه حسن وفى الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير وذلك انه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب والغرض من (٣٦) ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديما وحديثا فقال الكندى الاول

كأنى لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أرشف الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله لخيلى كرى كرة وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكاس مع التناسب وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها وتبعه الكندى الآخر فقال

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم * تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وهو فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشئ عن نظيره ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت اليه يد أبى الطيب من هذا المعنى الطائل البديع على ان فى هذه الآية سرا لذلك زائدا على ما ذكروه وهو أن قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظما بالجوع فقيل ان لك أن لا تجوع فيها ولا تظما لانتثر سلك رؤس الآى وأحسن به منتظما والله أعلم

أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من

---

* وقرئ فنسى اى نساه الشيطان * العزم التصميم والمضى على ترك الاكل وان يتصلب فى ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له * والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما (اذ) منصوب بمضمر اى واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من أولى العزم والثبات * (فان قلت) ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة (قلت) كان فى صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجنى الذى معهم اجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم فى المنزلة أوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام (فان قلت) فكيف صح استثناؤه وهو جنى عن الملائكة (قلت) عمل على حكم التغليب فى اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط (فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما * وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما فى الخروج لان فى ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما ان فى ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه وروى انه أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه * قرئ (وانك) بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع (فان قلت) ان لا تدخل على أن فلا يقال ان أن زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها (قلت) الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن ان انما هى نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وأن * الشبع والرى والكسوة والكن هى الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له فى الجنة وأنه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفى لنقائضها التى هى الجوع والعرى والظما والضحو ليطرق سمعه باسامى أصناف الشقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها * (فان قلت) كيف عدى وسوس تارة باللام فى قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بالى (قلت) وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة فى أنها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الاعرابى * وسوس يدعو مخلصا رب الفلق * فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله * أجرس لها يا ابن أبى كباش * ومعنى وسوس اليه أنهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه وأسر اليه * أضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر أثره حيى (وملك لا يبلى) دليل على قراءة الحسن بن على وابن عباس رضى الله عنهم الا أن تكونا ملكين بالكسر * طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هى للشروع فى أول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه * قرئ (يخصفان) للتكثير والتكرير من خصف النعل

وهو أن يخرزعليها الخصاف أى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا فى أطراف الاصابع عن ابن عباس لاشبهة فى أن آدم لم يمتثل مارسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لامحالة لان الغى خلاف الرشد ولكن قوله (وعصى آدم ربه فغوى) بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبى المعصوم حبيب الله الذى لايجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلاتتهاونوا بما يفرط منكم من السيآت والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط فى الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ماقبلها ألفا فيقول فى فنى وبقى فنا وبقا وهم بنوطى تفسير خبيث (فان قلت) مامعنى (ثم اجتباه ربه) (قلت) ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عزوجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى هلا جبيت اليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار و(هدى) أى وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى * لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلى البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كانهما البشر فى أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل (فاما يأتينكم) على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب (هدى) كتاب وشريعة * وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) والمعنى أن الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه * الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث * وقرئ (ضنكى) على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق مارزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عزوجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن أبى سعيد الخدرى عذاب القبر * وقرئ (ونحشره) بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك * لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) كانه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى أو أراد ولتركنا اياه فى العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا * فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين أى تركنا عليه هذا الكلام

ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون

ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يمشون) يريدان قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون (فى مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هى العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل أى ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لايخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير فى كان أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الاوقات أولا والاوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوّ الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل فى معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فان قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفى النهار (قلت) الوجه أمن الالباس وفى التثنية زيادة بيان ونظير مجىء الامرين فى الآيتين مجيئهما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل * ولعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشئ بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من أبصر منها شيأ أحب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أى لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) اصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم (فان قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (فان قلت) ما معنى الزهرة فيمن حرك (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء فى الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب (لنفتنهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذى هو خير منه فى نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أو لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبقى) لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث

يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

* قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى (قال معناه ان رزق هؤلاء المتمتعين فى الدنيا أكثره مكتسب من الحرام الخ) قال أحمد لولا ان غرض القدرية من هذا اثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى سواء كان حلالا أو غيره ولا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا فكما يخلق الله تعالى على يدى العبد ما نهاه عنه كذلك يرزقه ما أباح له تناوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق للصواب

والحرام لا يسمى رزقاً أصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني الى رجب فقال والله لا أقرضته الا برهن فقال رسول الله انى لامين في السماء وانى لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلاة) أي واقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من دان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية * اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة * وقرئ الصحف بالتخفيف * ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم * وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوى والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا طه ويس

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب أو تأكيد الاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق (فان قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت أوقات استقباله وترقبه قريب انما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشئ وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسئ واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا * وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد الا لعبا وتلهيا

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم

﴿القول في سورة الانبياء﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم (قال ان قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع ان المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأى ينفي صفات الكمال عن الله تعالى ٣ وما الذى دل عليه السميع العليم من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك مع انه لا يفهم في اللغة سميع الا بسمع ولا عليم (٤٠) الا بعلم فانها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أولا ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع الى انكار السميع العليم وهو لا يشعر وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الايقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الادلة الكلامية فمن فنها تتلقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات مختلف فمرة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره اشعارا بغرضه فوظيفتنا معه حينئذ ان ننازع في الظهور ثم قد نترقى الى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصيته حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد يلجئنا الانصاف الى تسليم الظهور انه له فنذكر وجه التأويل الذى يرشد اليه دليل العقل ومرة يوردنبذا من هذا الرأى عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لا يخلى شيأ من كلامه من تعصب واصرار على باطل فننبه على ذلك أيضا ومما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها

واستمعوا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم) حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعنى أنهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فان قلت) النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا في اخفائها أو وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فان قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا (فان قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فان قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والارض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان أنزله الذى يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة * وقرئ (قال ربي) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم * أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الاول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث * صحة التشبيه في قوله (كما أرسل الاولون) من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى

(٣) قوله وما الذى الخ كذا بالاصل ولعل حرفهما ركشفا اه مصححه

انه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعنى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث * أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما أحالهم على أولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوى ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام (فان قلت) نعم قد رد انكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والاصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقنى سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن فى بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الاخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الامانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لان المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهى وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضورى بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها احدى القرى التى أرادها الله بهذه الآية * فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف (فان قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم فى دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهى الترفة (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب ويستشيرونكم فى المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم أما لانهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ (تلك) اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فان قلت) لم سميت دعوى (قلت) لان المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك

أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا

قال أحمد وله تحت قوله واستغنائنا عن *قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لهوا ولعبا الخ) قال أحمد وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم وذلك ان القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فان الحكمة تقتضي الاستغناء عنه فالى ذلك يلوح الزمخشري وما هي الا نزغة سبق اليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الامكان أكمل من هذا العالم لانه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلا ينافي الجود أو عجزا ينافي القدرة حتى اتبعهم في ذلك من (٤٢) لا نسميه من أهل الملة عفا الله عنه ان كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق ان الله تعالى مستغن عن جميع الافعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وان له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسنا وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحا وان كل موجود من فاعل وفعل على الاطلاق فبقدرته وجد فليس في الوجود الا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيأ ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم قبيل
ينقص ذلك من ملكه شيأ اللهم الهمنا الحق واستعملنا به * عاد كلامه (قال وفي قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا ان السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت ان الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم *قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه ان قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فانظره *قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (قال ان قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الانكار والله سبحانه وتعالى أعلم

لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة

دعواهم * الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية (فان قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى * ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه والا فأنا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير * وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الانس رد لولادة المسيح وعزير (بل) اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه * (فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون * أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر * هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الارض هم ينشرون) الموتى ولعمري ان من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من

* عاد كلامه (قال ان قلت لا بد لقوله هم من فائدة والا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكتة نظر لان آلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صديقي زيد فان المبتدأ في الآية أخص شئ لانه ضمير وأيضا فلا ينبني على ذلك الزامهم حصر الالوهية فيهم وتخصيص الانشار بهم ونفيه عن الله تعالى اذ هذا لا يناسب السياق فانه قال عقبها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما اله غير الله شريكا لله لفسدتا وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة الا الاصنام لفسدتا وأما والمتلو على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري وعندي انه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الايذان بانهم لم يدعوا لها الانشار وان قوله هم ينشرون استئناف الزام لهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم اذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الالوهية للاصنام والزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على احياء الموتى نظم في ابطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وأزيد هذا التقرير وضوحا فأقول ان (٤٣) دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله اله آخر وربما قالوا لو فرضنا وجود الهين فاما أن يكونا جميعا موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الممكنات او لا يتصف بها واحد منهما او أحدهما دون الآخر ثم يحيلون جميع الاقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الاقسام ابطالا قسم اتصافهما جميعا

من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا (قلت) الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله (من الارض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة في قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها * وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران (قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * اذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسئلون) اى هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فـ

بصفات الكمال وما عداه فببادي الرأي يبطل فانظر كيف اختار له تعالى ابطال هذا القسم الخفي البطلان فاوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وانما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون الزامهم ادعاء صفات الالوهية لآلهتهم حتى يتحرى انهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى ووكل ابطال ما عداه من الاقسام الى ما ركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل والله الموفق فتأمل هذا الفصل بعين الانصاف تجده أنفس الانصاف والله المستعان

* قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قال) لما بين تعالى انه رب الارباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الاجلال والاعظام فان آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله فما ظنك بخالق الملوك وربهم ثم ان آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول ان أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) سحقا لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله تعالى أعني قوله دواعي الحكمة فان الدواعي والصوارف انما تستعمل في حق المحدثين

كقولك هو مما توفر دواعي الناس اليه أو صوارفهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح قات وهذا من الطراز الاول ولوانه في الذيل فقد نسيت وما بالعهد من قدم * وبعدما اقتضى دليل التوحيد وابطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري وقلمك رطب بتقريره فلم نكصت وانتكست أتقول ان أحدا شريك الله في ملكه يفعل مايشاء من الافعال التي تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وارادته وما الفرق بين من يشرك بالله ملكا من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول انه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أولم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والقدرية ارتضوا

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون

كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه * اي (هذا) الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين من قبلي يريد أمم الانبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معي وذكر من قبلي) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار * وقرئ (الحق) بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد * نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله * نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا أنهم (مكرمون) مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون (ولا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه * وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا مالم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلا حاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا الا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله * وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد * قرئ (ألم ير) بغير واو (رتقا) بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين (فان قلت) الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق (قلت) هو على تقدير موصوف أي كانتا شيأ رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل

لانفسهم شر شرك لان غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات نعوذ بالله من مسالك الهلك * قوله تعالى سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قال أحمد وهذا التفسير من جمل القرآن تبعا للرأي فانه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا الآن الا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه لانه ادعى انهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم فدعواه

قيل كانتادون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سودا وان أى جماعتان فعل فى المضمر نحو مافعل فى المظهر (فان قلت) متى رأوهما رتقاحتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى الى واحد أو اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من فى قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى والظرف لغو * أى كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين * الفج الطريق الواسع (فان قلت) فى الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما فى قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله * لعزة موحشا طلل قديم * (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من أن يقع على الارض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس أى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها * وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) * كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى كلهم (فى فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب فى جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فان قلت) الجملة ما محلها (قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فان قلت) كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها (فان قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا أى كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس * كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته

وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير

شاملة ودليله مطلق والله الموفق * قوله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لا محذوفة لا من الالباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين ان يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة ان تميل الحائط فادعمه قال سيبويه ومعناه ان ادعم الحائط اذا مال وانما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولانه أيضا هو السبب فى الادعام والادعام سبب فى اعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى كذلك ما نحن فيه يكون الاصل وجعلنا فى الارض رواسى لاجل ان نثبتها اذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل فى المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد فنثبتها ثم حذف قوله فنثبتها لأمن الالباس ايجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب الى الواقع مما أول الزمخشرى الآية عليه فان مقتضى تأويله أن لا تميد الارض بأهلها لان الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال ان يقع كما ان مراده واجب ان يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الارض وكادت تقلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد ان الله تعالى يثبت الارض بالجبال اذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد كما ان قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من احداهما لكنه ميد يستعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل انما هو كاللمحة ثم يثبتها الله تعالى

فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أى قضى الله أن لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت أنت أيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

* أى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار * (وفتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه * الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والمعنى انهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزؤا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله * كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالانسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * والله أعلم بصحته (فان قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لانه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان * جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم * ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم * يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذى كفر أى غلب ابراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فان قلت) فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة (قلت) الى النار أو الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو الى الحين لانه فى معنى الساعة أو الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة * وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين (ولاهم ينظرون) تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أى لا يمهلون بعد طول الامهال

فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار

* قوله تعالى أهذا الذى يذكر آلهتكم (قال فيه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا أطلق بقيد القرينة فان كان الذاكر صديقا فهم منه الخير وان كان عدوا فهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق لما جاءكم ثم ابتدأ فقال أسحر هذا وانما لم يجعله معمولا للقول وحكاية لانهم قفوا القول بانه سحر فقالوا ان هذا السحر مبين ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وانما أطلقوا فى قولهم أهذا الذى يذكر آلهتكم ولم يقولوا أهذا الذى يذكر آلهتكم بكل سوء لانهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبى من القدح فى آلهتهم رميا بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلا فأموا اليه بالاشارة * سلى المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فيومى اليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الاوثان وأساؤا الادب على الرحمن

* سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الانبياء عليهم السلام اسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما فى أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا * ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الامد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام (فان قلت) أى فائدة فى قوله (نأتى الارض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها * قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالتاء والياء أى لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فان قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (اذا ما ينذرون) (قلت) اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذ ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار (ولئن مستهم) من هذا الذى ينذرون به أدنى شئ لاذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح فى معنى القلة والنذارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة * وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

XVII. 3.

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فان قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (فان قلت) كيف توزن الاعمال وانما هى أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة * وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة * وقرأ ابن عباس ومجاهد (آتينا بها) وهى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفى حرف أبى جئنا بها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه * أى آتيناهما (الفرقان) وهو التوراة (و) آتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه فى نفسه ضياء وذكر أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات * وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم أو الشرف * محل (الذين) جر على

من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره * الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم * وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أى من قبل موسى وهرون عليهما السلام * ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل (اذ) اما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت * قوله (ماهذه التماثيل) تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها * لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فان قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التى هى على * ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شئ وجادون فى نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الاصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع * لاستبعادهم أن يكون ماهم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا أن ماقاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل * الضمير فى (فطرهن) للسموات والارض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم * وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لانى لست مثلكم فأقول مالا أقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم * قرأ معاذ بن جبل بالله * وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فان قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمرى ان مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شئ تيسرا روى أن آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيآن بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس فى عنقه * عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة * وانما استبقى الكبير لانه غلب فى ظنه أنهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبى (اليه) الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع اليه فى حل كل مشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك فى أعراقهم فأى فائدة دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا

وهذا ذكر مبارك
أنزلناه أفأنتم له منكرون
ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به
عالمين اذ قال لابيه
وقومه ماهذه التماثيل
التى أنتم لها عاكفون
قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين قال لقد كنتم
أنتم وآباؤكم فى ضلال
مبين قالوا أجئتنا بالحق
أم أنت من اللاعبين
قال بل ربكم رب
السموات والارض الذى
فطرهن وأنا على ذلكم
من الشاهدين وتالله
لأكيدن أصنامكم
بعد أن تولوا مدبرين
فجعلهم جذاذا الا كبيرا
لهم لعلهم اليه يرجعون
قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين

(قلت) اذا رجعوا اليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم فى عبادته على جهل عظيم * أى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود فى الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا فى حطمها وتماديا فى الاستهانة بها (فان قلت) ماحكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك (فان قلت) (ابراهيم) ماهو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أى بمرأى منهم ومنظر (فان قلت) فامعنى الاستعلاء فى على (قلت) هو وارد على طريق المثل أى يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا باحضاره * هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا أذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى أو المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها * وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعنى فلعله أى فلعل الفاعل كبيرهم * فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا الى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين * نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم عليه السلام فما أحاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود (أف) صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف * أجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذى أشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الاكراد وروى أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثا وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم عليه السلام ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام (يا نار كونى بردا وسلاما) ويحكى ما أحرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم

حسبي من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس رضى الله عنه انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه
غروذ من الصرح فاذا هو فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اذذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة
بالنار لانها أهول مايعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا (ان كنتم فاعلين) أى
ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم فى
نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا فى ذلك جعلت النار
لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور أمر بشئ فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام
والمراد ابردى فيسلم منك ابراهيم أو ابردى بردا غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لولم يقل ذلك لاهلكته
ببردها (فان قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق
وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم
ابراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله (على ابراهيم)
*وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت
وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه *نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين أن أكثر
الانبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية
وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان أنه خرج
الى الشأم فقيل له الى أين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل مامن ماء عذب الا وينبع أصله من
تحت الصخرة التى ببيت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة * النافلة
ولد الولد وقيل سأل اسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا)
فيه أن من صلح ليكون قدوة فى دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل
بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدى أميل
(فعل الخيرات) أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات * وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة
(حكما) حكمة وهو مايجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة *والقرية سذوم أى فى أهل رحمتنا
أو فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين *هو نصر
الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم منتصرين منه
*والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه *أى واذكرهما واذ بدل منهما *والنفش الانتشار
بالليل *وجمع الضمير لانه أرادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما *والضمير فى (ففهمناها) للحكومة
أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى
عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون
بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان
فقال القضاء ماقضيت وأمضى الحكم بذلك (فان قلت) أحكما بوحى أم باجتهاد (قلت) حكما جميعا بالوحى
الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان عليه
السلام أشبه بالصواب (فان قلت) ماوجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه
السلام فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد اذا
جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة
الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بازاء
مافات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى
الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ماقال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده انه يضمن

ان كنتم فاعلين قلنا
يانار كونى بردا وسلاما
على ابراهيم وأرادوا به
كيدا فجعلناهم
الاخسرين ونجيناه
ولوطا الى الارض التى
باركنا فيها للعالمين ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة
وكلا جعلنا صالحين
وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا وأوحينا اليهم
فعل الخيرات واقام
الصلوة وايتاء الزكوة
وكانوا لنا عابدين ولوطا
آتيناه حكما وعلما ونجيناه
من القرية التى كانت
تعمل الخبائث انهم
كانوا قوم سوء فاسقين
وأدخلناه فى رحمتنا انه
من الصالحين ونوحا
اذ نادى من قبل
فاستجبنا له فنجيناه
وأهله من الكرب
العظيم ونصرناه من
القوم الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوم
سوء فأغرقناهم أجمعين
وداود وسليمان اذ يحكمان
فى الحرث اذ نفشت
فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين
ففهمناها سليمان

* قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال ان قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك قلت ما هي الا جمعتهما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها وأوجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين

القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الاصوب كان مع سليمان عليه السلام وفي قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) اما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان الا أنه غير ناطق روي أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فان قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك * اللبوس اللباس قال * البس لكل حالة لبوسها * والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس * قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فان قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته * وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا * أي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل * والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه * أي ناداه بأني مسني الضر وقرئ اني بالكسر على اضمار القول أو لتضمن النداء معناه * والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا * أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة * قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين

* قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال ان قلت نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه وحينئذ يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل
اذ ذاك قلت معناه فنفخنا الروح فى (٥٢) عيسى فى مريم أى أحييناه فى جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشرى فى

قوله عز وجل اذ أوحينا
الى أمك ما يوحى أن
اقذفيه فى التابوت
فاقذفيه فى اليم فليلقه
اليم بالساحل أن تكون

وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن أن لن
نقدر عليه فنادى فى
الظلمات أن لا اله الا أنت
سبحانك انى كنت من
الظالمين فاستجبنا
له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجى المؤمنين
وزكريا اذ نادى ربه رب
لا تذرنى فردا وأنت خير
الوارثين فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا
له زوجه انهم كانوا
يسارعون فى الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين والتى
أحصنت فرجها فنفخنا
فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين ان
هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم
فاعبدون وتقطعوا
أمرهم بينهم كل الينا
راجعون فمن يعمل
من الصالحات وهو
مؤمن فلا كفران

اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم
فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن
يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم
بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا * قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر
بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه
عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد
لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا
من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب
التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله
ويجوز أن يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات
الشيطان وما يوسوس اليه فى كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنون والخطاب للمؤمنين (فى
الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات
وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت
أكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر * أى بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أى عن النبى صلى الله
عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم
(ننجى) وننجى ونجى والنون لا تدغم فى الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين فأرسل
الياء وأسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فتعسف بارد التعسف * سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه
ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى ان لم ترزقنى من يرثنى
فلا أبالى فانك خير وارث * اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت
سيئة الخلق * الضمير للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا
لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها كما يفعل الراغبون فى الامور الجادون * وقرئ (رغبا ورهبا)
بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد
الخشوع الخوف الدائم فى القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال أما انى سألت ابراهيم فقال ألا تدرى
قلت أفدنى قال بينه وبين الله اذا أرخى ستره وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى أنه أن يأكل خشنا ويلبس
خشنا ويطأطئ رأسه (أحصنت فرجها) احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسنى بشر
ولم أك بغيا * (فان قلت) نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من
روحى أى أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم
(قلت) معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت فى بيت فلان
أى نفخت فى المزمار فى بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام
لانه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها (فان قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين (قلت) لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل * الامة الملة وهذه اشارة الى
ملة الاسلام أى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة
واحدة غير مختلفة (وأنا) الهكم اله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة

الضمائر كلها راجعة الى
موسى أما الاول فلا
اشكال فيه وأما التابوت
اذا قذف فى اليم وموسى
فيه فقد قذف موسى فى اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الاخيرين الى التابوت لانه فهم من قوله فاقذفيه خبرا
فى اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف فى اليم والزمخشرى نزل قذف التابوت فى اليم وموسى فيه منزلة قذفه فى اليم وفى هذه
الآية مصداق لما اختاره فان الله تعالى نزل نفخ الروح فى عيسى لكونه فى جوف مريم منزلة نفخ الروح فى مريم فعبر بما يفهم ظاهره هذا

خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثانى مبتدأ والخطاب للناس كافة * والاصل وتقطعتم الى أن
الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم
ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع
الجماعة الشئ ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا
شتى * ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم * الكفران مثل فى حرمان
الثواب كما أن الشكر مثل فى اعطائه اذا قيل الله شكور وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا
نكفر سعيه (وانا له كاتبون) أى نحن كاتبو ذلك السعى ومثبتوه فى صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير
ضائع ومثاب عليه صاحبه * استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على
الكافرين أى منعهما منهم وأبى ان يكونا لهم * وقرئ حرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم * ومعنى
(أهلكناها) عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها * ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام
والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا الى أن تقوم القيامة
فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى أنهم مطبوع على قلوبهم
فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله
فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من
العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك
والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول (فان قلت) بم تعلقت
(حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هى (قلت) هى متعلقة بحرام وهى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى اذا
وما فى حيزها * حذف المضاف الى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو أهلها
وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة
منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون
حين يفتح السد * الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس رضى الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء
حجازية والفاء تميمية * وقرئ (ينسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (اذا) هى اذا المفاجأة وهى تقع
فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد ولو قيل اذا هى شاخصة أو فهى شاخصة كان سديدا (هى) ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما
فسر الذين ظلموا أسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون فى موضع الحال من
الذين كفروا (ما تعبدون من دون الله) يحتمل الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم فى حكم عبدتهم ويصدقه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى
فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته
لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا
الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعنى عزيرا والمسيح
والملائكة عليهم السلام (فان قلت) لم قرنوا بآلهتهم (قلت) لانهم لا يزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة
حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا أنهم يستشفعون
بهم فى الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شئ أبغض اليهم منهم

لسعيه وانا له كاتبون
وحرام على قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون حتى
اذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب
الوعد الحق فاذا هى
شاخصة أبصار الذين
كفروا يا ويلنا قد كنا
فى غفلة من هذا بل كنا
ظالمين انكم وما تعبدون
من دون الله حصب
جهنم أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها وكل

* قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (قال فيه ان قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أول الخلق ايجاد
من العدم وكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت أول الخلق ايجاد من هذا الذى ذكره ههنا فى ايعاد قد عاد به الى الحق
ورجع عما قاله فى سورة مريم حيث (٥٤) فسر الاعادة بجمع المتفرق خاصة الا انه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسيره قوله انا كنا فاعلين
القدرة على الفعل ولا
يلزم على هذا من القدرة
على الفعل حصوله
تحويما على ان الموعود
به ليس اعادة الاجسام
عن عدم وان كانت
القدرة صالحة لذلك

فيها خالدون لهم فيها
زفير وهم فيها لا يسمعون
ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون لا يسمعون
حسيسها وهم فيما
اشتهت أنفسهم خالدون
لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم
الملائكة هذا يومكم
الذى كنتم توعدون يوم
نطوى السماء كطى
السجل للكتب كما بدأنا
أول خلق نعيده وعدا
علينا انا كنا فاعلين
ولقد كتبنا فى الزبور من
بعد الذكر أن الارض
يرثها عبادى الصالحون
ان فى هذا لبلاغا لقوم
عابدين وما أرسلناك
الا رحمة للعالمين

(فان قلت) اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى (لهم فيها زفير) (قلت) اذا كانوا هم وأصنامهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس * والحصب المحصوب به أى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا * وعن ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم (الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى أن عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس الصوت يحس * والشهوة طلب النفس اللذة * وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و (الفزع الاكبر) قيل النفخة الاخيرة بقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح * أى تستقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل * العامل فى (يوم نطوى) لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول * (والسجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (انا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه * زبور داود عليه السلام * والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح * أى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة * والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية * أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غدقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة

ولكن اعادة الاجزاء
على صورها مجتمعة
مؤتلفة على ما تقدم
له فى سورة مريم الا أن
يكون الباعث له على
تفسير الفعل بالقدرة ان الله ذكر ماضيا والاعادة وقوعها مستقبل فتعين عنده من ثم حمل الفعل على القدرة
على
فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لان الافعال المستقبلة التى علم الله وقوعها كالماضية فى التحقق فمن ثم عبر عن المستقبل
بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الايذان بتحقيق وقوعه والله أعلم

على نفسه حيث حرمها ماينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال * انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لان (انما يوحى الى) مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و (أنما الهكم اله واحد) بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفى قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحى الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة * آذن منقول من أذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله * وقول ابن حلزة * آذنتنا ببينها أسماء * والمعنى أنى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ماعرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها و (ماتوعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لامحالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا أدرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ماتجاهرون به من كلام الطعانين فى الاسلام و (ماتكتمون) فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه * وما أدرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (الى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة * قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و (رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى أحكم على أفعل التفضيل وربى أحكم من الاحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر * ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر * قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

﴿سورة الحج مكية غير ست آيات وهى هذان خصمان الى قوله الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الزلزلة شدة التحريك والازعاج وأن يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها * ولا تخلو (الساعة) عن أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها * أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا أن يتردوا به وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة * وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أى

قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون

﴿سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل

﴿القول في سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما ان وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه انه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل (٥٦) وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية لقوله عما أرضعت فاخرج الصفة على الفعل وألحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى أثبت لهم أولا السكر المجازي ثم نفى عنهم السكر الحقيقي) قال أحمد والعلماء يقولون ان من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار اذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وماهو بحمار فتنفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازي نفى الحقيقي أبلغ نفي مؤكدا بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وانما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع الى قوله وماهم بسكارى وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازي كأنه قيل اذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال سببه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه انه قال هو الوقت الذي يقول كل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسي نفسي

مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وماهم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة

تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة * (فان قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام * قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة * وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فان قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الافراد (قلت) لان الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم * قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات * علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

ويارب مقفو الخطا بين قومه * طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرؤا في اللوح ما خط فيه من * بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين * والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله * وقرئ أنه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول * قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم * والعلقة قطعة الدم الجامدة * والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل

الخلقة

الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم * وانما نقلنا كم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبدأه بل هذا أدخل فى القدرة من تلك وأهون فى القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بأنه يقر (فى الارحام ما يشاء) أن يقره من ذلك (الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع * أو كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقنا كم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر فى الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) * وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا * الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود والاباطيل وغير ذلك وكأنها اشدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع * وقرئ ومنكم من يتوفى أى يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى فى أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه فى درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به الى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أى ليصير نساء بحيث اذا كسب علما فى شئ لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ أبو عمرو والعمر بسكون الميم * الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله فى كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أى ارتفعت * البهيج الحسن السار للناظر اليه * أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب فى حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أى الثابت الموجود وأنه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد * عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضرورى * وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدى الى المعرفة * وبالكتاب المنير الوحى * أى يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة * وثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه (ليضل) تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها (فان قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال (قلت) لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال * وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل * والسبب فيما منى به من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله فى معاقبته الفجار واثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت

لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو

الاثمر اوانقلب وعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين
فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدا محذوف * استعير (الضلال البعيد) من
ضلال من أبعد فى التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته * (فان قلت) الضرر والنفع منفيان عن
الاصنام مثبتان لها فى الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى
سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به
ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها
ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر يدعو
كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه
شفيعا لبئس المولى وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام * المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس
القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن من
حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ
مجهوده فى ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور فى نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه * وسمى الاختناق قطعا لان
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع * وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث
لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس
بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحى أن ينزل عليه وقيل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من
المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت * وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن
الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر
واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا * أى ومثل ذلك
الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) لان (الله يهدى) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا
ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا * الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا
يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد وقيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد
للرحمن * جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم أى بين المؤمنين
والكافرين وأدخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

* سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها
لمطاوعتها بادخال أفعال المكلف فى باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذى كل خضوع دونه (فان قلت) فما
تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذى فسرته به
لا يسجده بعض الناس دون بعض والثانى أن السجود قد أسند على سبيل العموم الى من فى الارض من
الانس والجن أولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة (قلت) لا أنظم كثيرا فى المفردات المتناسقة الداخلة
تحت حكم الفعل وانما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذى هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة فى حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح
استعماله فى حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله
يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أى من الناس الذين هم الناس

الضلال البعيد يدعو
لمن ضره أقرب من
نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير ان الله
يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها
الانهار ان الله يفعل
ما يريد من كان يظن
أن لن ينصره الله فى
الدنيا والآخرة فليمدد
بسبب الى السماء ثم
ليقطع فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ
وكذلك أنزلناه آيات
بينات وأن الله يهدى
من يريد ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس
والذين أشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم
القيامة ان الله على كل
شئ شهيد ألم تر أن الله
يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس
والقمر والنجوم
والجبال والشجر
والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه
العذاب ومن يهن الله
فماله من مكرم

على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب * وقرئ حق بالضم وقرئ حقا أى حق عليهم العذاب حقا * ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق فى علمه من كفره أو فسقه فقد بقى مهانا لن تجد له مكرما * وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه (يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا مايقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين * الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى أهل الاديان الستة (فى ربهم) أى فى دينه وصفاته وروى ان أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفى رواية عن الكسائى خصمان بالكسر * وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أى اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * والمقامع السياط فى الحديث لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها * وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء كادل ولول كادل فيمن جر ولولؤ ولليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس * وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة * يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة فى جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبى حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعى لا تمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال أنسب الديار الى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانى مفعولى جعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفى القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان * الالحاد العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقوله (بالحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعنى أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى جميع مايهم به ويقصده وقيل الالحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل

ان الله يفعل مايشاء
هذان خصمان اختصموا
فى ربهم فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من
نار يصب من فوق
رؤسهم الحميم يصهر به
مافى بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد
كلما أرادوا أن يخرجوا
منها من غم أعيدوا
فيها وذوقوا عذاب
الحريق ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجرى
من تحتها الانهار يحلون
فيها من أساور من
ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير وهدوا الى
الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد
ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل
الله والمسجد الحرام
الذى جعلناه للناس
سواء العاكف فيه
والباد ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من
عذاب أليم واذ بوأنا

فقيل له فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود
ومعناه من أتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم أراد الحادا فيه فأضافه على الاتساع
فى الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره
ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك
عن ابن مسعود الهمة فى الحرم تكتب ذنبا * واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه
بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم * وأن هى المفسرة (فان قلت) كيف
يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل
العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له (لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى) من الاصنام والاوثان والاقذار أن
تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن
يقول حجوا أو عليكم بالحج وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ
رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال
كأنه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
العميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق * نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة
بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين
العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص * وكنى عن النحر
والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن
الغرض الاصلى فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا
اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيأ من ذلك الحسن والروعة
* الايام المعلومات أيام العشر عند أبى حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر * البهيمة
مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز * الامر بالاكل منها
أمر اباحة لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء
ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث
وعن ابن مسعود أنه بعث بهدى وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعنى ابنه وفى الحديث
كلوا وادخروا وائتجروا (البائس) الذى أصابه بؤس أى شدة و (الفقير) الذى أضعفه الاعسار * قضاء
التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث * وقرئ
وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر فى حجهم (وليطوفوا)
طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو
طواف الوداع (العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من
جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم
عتاق الخيل والطير (فان قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به
ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف
أى الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه فى بعض المعانى ثم اذا أراد الخوض فى معنى آخر
قال هذا وقد كان كذا * والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج
وغيره فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد
ابن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل
(فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها * المتلو

لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام

* قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (قال) يجوز في هذا التشبيه ان يكون مركبا ومفرقا فان كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بان صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح تهوي بما عصفت به في بعض المطاوح المتلفة (قال أحمد) اما على تقدير ان يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوي من السماء الى التنبيه على أحد أمرين اما أن يكون الاشراك المراد ردته فانه حينئذ كمن علا الى السماء بايمانه ثم هبط بارتداده واما أن يكون الاشراك أصليا فيكون قد عد تمكن المشرك من الايمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا الى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا أولياؤهم (٦١) الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فعدهم مخرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بابسط من هذا في تقريره

الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله

تشبيه الافكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة وفي تشبيه تطويح الشيطان بالهوي مع الريح في مكان سحيق نظر لان الامرين ذكرا في سياق تقسيم حال الكافر الى قسمين فاذا جعل الاول مثلا لاختلاف الاهواء والافكار والثاني مثلا لنزغ الشيطان فقد جعلهما شيأ واحدا لان توزع الافكار واختلاف الاهواء مضاف الى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا مزيد عليهما اولا يدخل بينهما التذبذب والتمادي على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه الا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال الا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج بضلالته فهذا مشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الاحياز عن السماء وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد وضلوا ضلالا بعيدا أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم الى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم أن تحرموا مما أحل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك * لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان * وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الاوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان * والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الافك من أفكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة * وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء

مع كسرهما وهى قراءة الحسن وأصلها تخطفه * وقرئ الرياح * تعظيم الشعائر وهى الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس فى شرائها فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحيه والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطى فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله فى التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لابد أن يقام به ويسارع فيه (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الاعضاء (الى أجل مسمى) الى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها * و (ثم) للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الاحوال والمعنى أن لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا فى النفع (محلها الى البيت) أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها فى الحرم منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه * شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك * وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أى خالصا لا تشوبوه باشراك * المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الحسن (والمقيمى الصلاة) بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت البدنة فى الشريعة متناولة للجنس عند أبى حنيفة وأصحابه والا فالبدن هى الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن أبى اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شئ فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب * وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافى أى خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء * وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام (القانع) السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بسؤال وقرأ الحسن والمعترى وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع * من الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة

فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون

* قوله تعالى فقد كذبت قبلهم الى قوله وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم (قال) فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لان قوم موسى هم بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط أولان آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه قال وكذب موسى أيضا على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم انه انما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته الى موسى الا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلى قوله فامليت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال فى آية ق بعد تعديدهم كل كذب الرسل فحق وعيد فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد ان جدد ذكره والله أعلم

بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية

لاتخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر منها اجراما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة * أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ماقرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم * وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت * كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل الغالب يجيء أقوى وأبلغ * أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم * والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) فى محل الجر على الابدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله * دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أولغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أى ينصر دينه وأولياءه * هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم * يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فان قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شئ آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته

وعظم معجزاته فـاظنك بغيره * النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعـمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا * كل مرتفع أظلك من سقف بيت أوخيمة أوظلة أوكرم فهو عرش * والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط أوالخالى من خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله (على عروشها) لايخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أوأنها ساقطة أوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هى خالية وهى على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة (فان قلت) مامحل الجملتين من الاعراب أعنى وهى ظالمة فهى خاوية (قلت) الاولى فى محل النصب على الحال والثانية لامحل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل * قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الأأنها عطلت أى تركت لايستقى منها لهلاك أهلها * والمشيد المجصص أوالمرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم * يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء * أى يعقلون مايجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون مايجب سماعه من الوحى (فانها) الضمير ضمير الشان والقصة يجىء مذكرا ومؤنثا وفى قراءة ابن مسعود فانه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره (الابصار) وفى تعمى ضمير راجع اليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لاعمى بها وانما العمى بقلوبهم أولا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قلت) أى فائدة فى ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بمايطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ماهو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو ولا غير وكأنك قلت مانفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا * أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أوالآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لايخلف الميعاد وماوعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لايعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أوكان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء * ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع الى والى حكمى (فان قلت) لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ماتقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة * يقال سعيت فى أمر فلان اذا أصلحه أوأفسده بسعيه * وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر

على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مماتعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة

---

* قوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (قال فيه انذار بحكم الله تعالى ووقاره واستقصاره الامد الطويل حتى ان يوما واحدا عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون بالحكم يفهم لغة السكون وطمأنينة الاعضاء عند المزعجات والاناة والتؤدة ونحو ذلك مما لايطلق على الله تعالى الابتوقيف وأما الوقار فى قوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت فى النقل

عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم (فان قلت) كان القياس أن يقال انما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق الى المشركين و يا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا فى الارض و وصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولا نبى) دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ماجاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ماتمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى (ألقى الشيطان فى أمنيته) التى تمناها أى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى و روى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى أن الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة أى هم الشفعاء لا الاصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به و يبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها * والذين (فى قلوبهم مرض) المنافقون والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وان الظالمين) يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة (وان الله لهادى الذين آمنوا الى) أن يتأولوا ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة و يطلبوا لما أشكل منه المجمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين * الضمير فى (مرية منه) للقرآن أو للرسول صلى الله عليه وسلم * اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته و يجوز أن يراد بالساعة و بيوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير * (فان قلت) التنوين فى (يومئذ) عن أى جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة * لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه واحسانا * والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا

ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم

ذلك ومن عاقب بمثل
ما عوقب به ثم بغى عليه
لينصرنه الله ان الله
لعفو غفور ذلك بأن
الله يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل
وأن الله سميع بصير
ذلك بان الله هو الحق
وأن ما يدعون من دونه
هو الباطل وأن الله هو
العلى الكبير ألم تر أن
الله أنزل من السماء ماء
فتصبح الارض مخضرة
ان الله لطيف خبير له
ما فى السموات وما فى
الارض وان الله لهو
الغنى الحميد ألم تر أن الله
سخر لكم ما فى الارض
والفلك تجرى فى البحر
بامره ويمسك السماء
أن تقع على الارض
الا باذنه ان الله بالناس
لرؤف رحيم وهو الذى
أحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم ان الانسان
لكفور لكل أمة
جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك فى الامر
وادع الى ربك انك لعلى
هدى مستقيم وان
جادلوك فقل الله أعلم
بما تعملون

قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فاقتلنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين * تسمية الابتداء بالجزاء للابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة * (فان قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر بسبب انه قادر * ومن آيات قدرته البالغة أنه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فان قلت) ما معنى ايلاج أحد الملوين فى الآخر (قلت) تحصيل ظلمة هذا فى مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته فى أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات * وقرئ (تدعون) بالتاء والياء وقرأ اليمانى وأن ما يدعون بلفظ المبنى للمفعول والواو راجعة الى ما لانه فى معنى الآلهة أى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت الهيته وأن كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وأنه لا شئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا * قرئ (مخضرة) أى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة (فان قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع (قلت) لنكتة فيه وهى افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فان قلت) فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (قلت) لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله (لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم (ما فى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر وغير ذلك من سائر المسخرات * وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن تقع (الا) بمشيئته (أحياكم) بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة (لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم * هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين (فى الامر) فى أمر الدين وقيل فى أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبى صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أى غلبته أى لا يغلبنك فى المنازعة * (فان قلت) لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه (قلت) لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآى الواردة

*قوله تعالى وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (قال فيه معناه ان الله عالم بالذات لا يتعذر عليه تعلق بمعلوم)

الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وماللظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير

فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا * أى وان أبوا اللجاج الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبى صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه * والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه (يسير) لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم (ويعبدون) مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى والسمع ولا ألجأهم اليها علم ضرورى ولا حملهم عليها دليل عقلى (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفظيع من التجهم والبسور أو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام * وقرئ يعرف والمنكر * والسطو الوثب والبطش * قرئ (النار) بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (وعدها الله) استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وأن يكون حالا عنها اذا نصبتها أو جررتها باضمار قد * (فان قلت) الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم * قرئ (تدعون) بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول (لن) أخت لا فى نفى المستقبل الا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فان قلت) ما محل (ولو اجتمعوا له) (قلت) النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا * وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به * هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر * ثم ذكر انه تعالى درّاك للمدركات عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية * واليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله * للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفى هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التى هى ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله * وعن ابن عباس فى قوله (وافعلوا الخير) صلة الارحام ومكارم

قال أحمد وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميله القرآن ما لا يحتمله فان الاعلم فى اللغة ذو العلم الزائد المفضل على علم غيره فكيف يفسر بما ينفى صفة العلم البتة هب ان الادلة العقلية لا وجود لها والله الموفق للصواب

﴿القول في سورة المؤمنون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الآية (قال اختلف في الايمان على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه ولسانه فقد اتصف بالايمان والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقى دون الفاسق الشقى) قال أحمد والاول مذهب الاشعرية والثانى مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولو لم يبين المعتزلة هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على انه لا يندرج في وعد المؤمنين لكان البحث معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل القاضي عنهم في رسالة الايمان خبطا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته ان الايمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركا والآخر ونقل عن أبي الهذيل العلاف ان الايمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضي لاهل السنة ان الايمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فانه لو كان لبينه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لانه مما يبتنى عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لان النقل اما آحاد أو تواتر الى

لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رضى الله عنه فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (في الله) أى في ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فان قلت) ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هى الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فان قلت) لم يكن (ابراهيم) أبا للامة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده (هو) يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة أبىّ بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أى من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم * واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد) نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه * والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و(أفلح) دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلونى البراغيث أو على الابهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الاطبا كان حولى * (فان قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن

والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقى دون الفاسق الشقى * الخشوع فى الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شئ أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لان الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته فهى صلاته وأما المصلى له فغنى متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو مالا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعنى أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول فى جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لامية بن أبى الصلت

المطعمون الطعام فى السنة الازمة * والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا أصح لانها فيه مجموعة (على أزواجهم) فى موضع الحال أى الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون فى كافة الاحوال الا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك (فان قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لانه أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث * جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة أربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه (فان قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح * وقرئ (لامانتهم) سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعانى ويخان المؤتمن عليه لا الامانة فى نفسها * والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويقال من راعى هذا الشئ أى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم * وقرئ (على صلاتهم) (فان قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها فى أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت

الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون

آخر مادته * قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكى فهى التزكية ويتعين ههنا ان يكون المراد التزكية لقوله فاعلون اذ العين المخرجة لم يفعلها المزكى ثم ضبط المصدر على الاطلاق بانه الذى يصدق عليه انه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدرا بالنسبة الى الله تعالى وكذلك السموات والارض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال فجميع الحوادث اذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السنى فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن اذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل ان يقال له من القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلا له كزيد وعمرو

أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخر التفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أى (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث مامر فى سورة مريم * أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عزوجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان * السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهرانى الطين (فان قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الاول للابتداء والثانى للبيان كقوله من الاوثان (فان قلت) مامعنى (جعلنا) الانسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة * القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها لانها مكنت بحيث هى وأحرزت * قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه فى قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح * قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق فى قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التى هى اعدام الحياة والبعث الذى هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع (فان قلت) فاذا الاحياة الاحياة الانشاء وحياة البعث (قلت) ليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر كما لو ذكرت ثلثى ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى ذكرها من جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة أو لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها * أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وامساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض وقيل انها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف

أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض

معايشهم * وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شئ اذا أراده وهو أبلغ في الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر * خص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر (بالدهن) في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير XIV, 33

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة * قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة أي تسقيكم الانعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شئ (أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض (بهذا) اشارة الى نوح عليه السلام أو الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا * والجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه (حتى حين) أي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فان أفاق من جنونه والا قتلتموه * في نصرته اهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه

وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا

قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر * روى أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان نوح عمل السفينه وسط المسجد وقيل بالشأم بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضى الله عنه التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع فى الارض أى أعلاه وعن على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الاول * يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أى من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان * جىء بعلى مع سبق الضار كما جىء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا على ولا لى * (فان قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين * ولقد بالغ فى ذلك حيث أتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله فى السفينة أو فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله (وأنت خير المنزلين) (فان قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت أنت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم (قلت) لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبى * وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه (ان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) أى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضى الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى سورة الاعراف وسورة هود والشعراء * (فان قلت) حق أرسل أن يعدى بالى كأخواته التى هى وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى فى القرآن بالى تارة وبفى أخرى كقوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أى فى عاد وفى موضع آخر والى عاد أخاهم هودا (قلت) لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة أو القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا (أن) مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) * (فان قلت) ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أى جوار الله فى مكة * حذف الضمير والمعنى من مشربكم أو حذف منه

ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم

لدلالة ماقبله عليه (اذا) واقع فى جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم * ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك لفصل مابين الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول أوجعل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفى قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم * قرئ (هيهات) بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف * (فان قلت) ماتوعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله * فهيهات هيهات العقيق وأهله * فما هذه اللام (قلت) قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به * هذا ضمير لا يعلم مايعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ماحملت وهى العرب تقول ماشاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت مابعدها نفى الجنس (نموت ونحيى) أى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر * ثم قالوا ماهو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه * شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس ٧٠٧ * من السيل والغثاء فلكة مغزل * بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهى من جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا أى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و(للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون (قرونا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما بنى اسرائيل (أجلها) الوقت الذى حد لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما فى تولج وتيقور أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه تعالى والى أممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا (فأتبعنا) الامم أو القرون (بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمر بها ويتعجب منها * الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التى هى مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهى مما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا * (فان قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أى هى آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين ان فرعون علا فى الارض لا يريدون علوا فى الارض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغى والظلم * البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر * ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لانه كان يدعى الالهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم

انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا

*وقوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (قال هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة (٧٤) وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك) قال أحمد هذه نفحة اعتزالية فان مذهب أهل السنة ان الله تعالى متكلم آمر ناه أزلا ولا يشترط فى تحقق الامر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت ازلا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما فى هذا الخطاب أو مجتمعين كما فى زعمه والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم حتى حملوا هذه الآية يؤتوا
وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الزمخشرى خص هذه الآية بانها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الاوامر العامة فى الامة على خلاف الظاهر

موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين

له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير فى لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى *(فان قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه آية) ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها *الربوة والرباوة فى رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الارض المرتفعة قيل هى ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر *والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها *والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض وقد اختلف فى زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة *هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه *والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل *قرئ وان بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولان وأن مخففة من الثقيلة و(أمتكم) مرفوعة معها *وقرئ (زبرا) جمع زبور أى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل فى رسل *أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق *الغمرة الماء الذى يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال *كأننى ضارب فى غمرة لعب *وعن على رضى الله عنه فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره *وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز فى يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و(بل) استدراك لقوله أيحسبون يعنى بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا فى ذلك أهو استدراج أم مسارعة فى الخير (فان قلت) أين الراجع من خبر أن الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور أى ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالباس

(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يارسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون فى الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات (لها سابقون) أى فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها أو اياها سابقون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله

* أنت لها أحمد من بين البشر * يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته * بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد * الجؤار الصراخ باستغاثة قال * جأر ساعات النيام لربه * أى يقال لهم حينئذ (لا تجأروا) فان الجؤار غير نافع لكم (منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومغوثة * قالوا الضمير فى (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة الا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع الى آياتى الا أنه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بتهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر فى منطقه اذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ(جاءهم ما لم يأت آباءهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد ابن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا فى أن تبعا كان مسلما وروى فى أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا وصحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها أبو طالب

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق

* قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فان قلت أكثرهم يعطى ان أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفرة
قلت فيهم من أبى الاسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبأ كأبى طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون
الضمير فى قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام فى قوله وأكثرهم على الجنس بجملته
كقوله ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق
والنبى صلى الله عليه وسلم جاء الناس كلهم وبعث الى الكافة ويحتمل أن يحمل الاكثر على الكل كما حمل القليل على النفى (٧٦)
والله أعلم وأما قول الزمخشرى ان من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فردود فان من أحب شيأ كره ضده
فاذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام الى استبعاد
ايمان أبى طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان لو
قد أسلم لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة وأجدر لانه أشهر وللقائل باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بانه انما أسلم قبيل
الاحتضار فلم يظهر له مواقف فى الاسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر انه لم يسلم وحسبك
دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وانه بعد ذلك لفى ضحضاح من نار يغلى رأسه من قدميه * فان قيل لا يلزم
من ذلك موته على الكفر لان كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك * قلنا من أثبت اسلامه ادعى ان ذلك كان قبيل
الاحتضار فالاسلام جب ما قبله وتلك الدقيقة التى صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصى ما يوجب ذلك والله أعلم

وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم

فى نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا * الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه برىء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر (فان قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبى طالب (فان قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه (قلت) ياسبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضى الله عنهما ويخفى اسلام أبى طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والارض (بذكرهم) أى بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم * قرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه ان الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر * يحتمل ان هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب * لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما يقال استحال اذا انتقل من حال الى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الالف كتولدها فى قوله * ساغ من دفرى غضوب جسره * فان هذا الاشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغى أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن تنظير الزمخشرى له باستحال وهم فان استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذى معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستوفى الجمل وأما استحال فثلاثية حال حول اذا انتقل من حال الى حال واذا كان الثلاثى يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل التحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه اذلم يزد السداسى فيه على الثلاثى معنى والله أعلم ثم نعود الى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على انه انتقال عن التكبر الى الخضوع باولى من العكس ونرى هذه الصيغة لا تفهم الا أحد الانتقالين فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعا * والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها فى الانتقال الخاص كما غلب فى غيرها والله أعلم وكان

وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذى أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه * واستشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل وهو أطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فان قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فان قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا * انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم فى آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك * أى تشكرون شكرا قليلا (وما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (واليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره * وقرئ يعقلون بالياء عن أبى عمرو أى قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم * الاساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * انى وأسطار سطرن سطرا *

جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لى أنه لما دخل بغداد زمن الامام الناصر رضى الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلا للمناظرة وكان يذكر لى أن مما انجر الكلام اليه حينئذ هذه الآية وان أحدهم وكان يعرف بالاجل اللغوى خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك اذا خضعت وهى لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك فى غريب أبى عبيد المروى وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ماص وقد قال لى بعضهم يوما لم لا تحمله على هذا التأويل من استفعل المبنى للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يستتب ذلك لان المعنى يأباه وذلك انها جاءت فى النفى والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت الى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة لان نفى الابلغ أدنى من نفى الادنى وكانهم على ذلك ذموا بنفى الخضوع الكثير وانهم ما بلغوا فى الضراعة نهايتها وليس الواقع فانهم ما تسموا بالضراعة ولا بلفظة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

* قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن (قال أحمد) ماذكره تقريرا للمفاضلة عبارة عن الاشتراك فى أمر والتميز بغيره ولا اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة * قلت المراد أن الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيآت فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين كقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه فى الاصناف الحلوة أميز من الخل فى الأصناف الحامضة وليس لان بينهما اشتراكا خاصا ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال نشأت أنا والاعمش فى حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا يعنى انهما استويا فى بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والاعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود الى الآية فنقول هى تحتمل وجها آخر من التفضيل أقرب متناولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التى تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والاغضاء و يقنع فى دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الاكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات فى الدفع هى الاخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات فأمر النبى صلى الله عليه وسلم باحسن الحسنات فى دفع السيئة فعلى هذا تجرى المفاضلة على حقيقتها من غير حاجة الى تأويل والله أعلم فتأمله فانه حسن جدا ٣ (أماترنهم) هذه نسخة وفى أخرى وأماترنى بالهمز كما قرئ الخ اه مصححه

أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اماترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم

وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق * أى أحيونى عما استعملتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين * وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية * قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا فى مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشأم وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وبغير اللام على اللفظ * ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسوله * أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى * وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا (لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ * (فان قلت) اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف * ما والنون مؤكدتان أى ان كان لا بد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (فلا تجعلنى) قرينا لهم ولا تعذبنى بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له فى أمته نقمة ولم يخبره أفى حياته أم بعد موته فامره أن يدعو بهذا الدعاء (فان قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وان يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه * ٣ وقرئ اماترئنهم بالهمز مكان ترينى كما قرئ فاماترئن ولترؤن الجحيم وهى ضعيفة * وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار * كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار * هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم

*قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (قال ان قلت قد ناقض هذا قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك فى ايراد الاسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل (٧٩) من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الادب أن يقال قصر فهمى عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شئ من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة

بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا

ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم * الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى ونحو الهمز الاز فى قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنه عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون * خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله * ألا فارحمونى يا اله محمد * اذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الامر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحا) فى الايمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أأسس أسا وأبنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد * والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث انما هو اقناط كلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * ونفى الانساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وأنه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء فى السين (فان قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثانى أن التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس * الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال أى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدا محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا أن اللفح أشد تأثيرا * والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن

لاوجع ظهره بالدرة *عاد كلامه الى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيرا ما ينتهز الزمخشرى الفرصة فى انكار الشفاعة ويشمر ذيله للرد على القائلين بها اذا انتهى الى مثل قوله ولا تنفعها شفاعة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ويتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين ما ظاهره نفى الشفاعة وبين ما ظاهره ثبوتها بحمل الامر على اختلاف الاحوال فى القيامة والله الموفق

*قوله عز وجل ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به اما صفة لازمة أو كلام معترض لان فى الصفة افهاما لان
الها سوى الله يمكن أن يكون به برهان) (٨٠) قال احمد ان كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعى اله مع الله كقوله بل أشركوا بالله مالم
ينزل به سلطانا فنفى انزال
السلطان به وان لم يكن
فى نفس الامر سلطان

غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا
أخرجنا منها فان عدنا
فانا ظالمون قال اخسؤا
فيها ولا تكلمون انه
كان فريق من عبادى
يقولون ربنا آمنا فاغفر
لنا وارحمنا وأنت خير
الراحمين فاتخذتموهم
سخريا حتى أنسوكم
ذكرى وكنتم منهم
تضحكون انى جزيتهم
اليوم بما صبروا أنهم هم
الفائزون قال كم لبثتم
فى الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما أو بعض
يوم فاسئل العادين قال
ان لبثتم الا قليلا لو أنكم
كنتم تعلمون أفحسبتم
أنما خلقناكم عبثا وأنكم
الينا لا ترجعون فتعالى
الله الملك الحق لا اله الا
هو رب العرش الكريم
ومن يدع مع الله الها
آخر لا برهان له به

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى
شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبنى فلان على كذا اذا أخذه
منك وامتلكه * والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا
بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب
وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام
بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست
دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم
ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون
أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها * فى حرف أبى أنه كان فريق بالفتح بمعنى
لانه * السخرى بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل
الخصوصية فى الخصوص وعن الكسائى والفراء أن المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية
أى تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة
ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى)
فتركتموه أى تركتم أن تذكرونى فتخافونى فى أوليائى * وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أى قد فازوا
حيث صبروا فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال)
فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم ففى قال ضمير الله أو المأمور
بسؤالهم من الملائكة وفى قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار * استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة
اليها أو لانهم كانوا فى سرور وأيام السرور قصار أو لان المنقضى فى حكم مالم يكن وصدقهم الله فى تقالهم لسنى
لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها * وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك
السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه
أن يعد ومن يقدر أن يلقى اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم
وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فانهم
يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين * (عبثا)
حال أى عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك
وهى أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء
فنثيب المحسن ونعاقب المسىء (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا
على عبثا أى للعبث ولتركنكم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ
منه واليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه * وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة
أو لنسبته الى أكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش
المجيد (لا برهان له به) كقوله مالم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جئ بها للتوكيد
لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من
أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح

لا منزل ولا غير منزل
ومن جنس مجىء الجملة
بعد النكرة وصرفها
عن ان تكون صفة لها
ما قدمه عند قوله تعالى
فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت حيث أعرب الزمخشرى موعدا مصدرا ناصبا مكانا سوى واعترضه بان والاصل
المصدر الموصوف لا يعمل الا على كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

﴿القول في سورة النور﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) في الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو اعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما الثاني ان يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وانما عدل سيبويه الى هذا الذي نقله عنه لوجهين لفظي ومعنوي أما اللفظي فلان الكلام أمر وهو يختار اختيار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل فعل الامر خبرا وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر (٨١) حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الامر فخلص من مخالفة الاختيار وقدم مثلهما سيبويه في كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل انه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره فتعين تقدير خبره محذوفا وأصله وفيما نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا الاجمال الذكر المثل فصل المجمل بقوله فيها أنهار الى آخرها فكذلك ههنا كانه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون مثلا الصلاة الزكاة السرقة ثم يذكرون في كل باب أحكامه يريدون مما يصنف فيه ويبوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو ان المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر

فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) خبر مبتدأ محذوف و (أنزلناها) صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده أو لان فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها * رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم (الزانية والزاني) أي جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء * والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فان قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند أبي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فان قلت) اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما

بفعل بالاسم المشترك * وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة فى استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فى ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم منى فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها الا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفى لفظ الجلد اشارة الى أنه لا ينبغى أن يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعى على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعى فى تغريب الحر واحد وله فى العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى فى قوله تعالى فأمسكوهن فى البيوت وقوله تعالى فآذوهما * قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمى نكالا * الطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشئ وعن ابن عباس فى تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هى الجماعة التى يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما اللاتى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتى فى الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهى الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضى الله عنهما الى أربعين رجلا من المصدقين بالله * الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء واللاتى على خلاف صفته وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من شكله أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين فى نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس رضى الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح

والحرام

ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

لانه يكون قد ذكر حكم الزانية والزانى مجملا حيث قال الزانية والزانى وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزانى فلما تشوق السامع الى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلا فهو أوقع فى النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

* قوله تعالى الزانى لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك (قال ان قلت أى فرق بين الجملتين فى المعنى قلت معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره ايضاح اطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الاقسام الزانى لايرغب الا فى زانية الزانية لاترغب الا فى زان العفيف لايرغب الا فى عفيفة العفيفة لاترغب الا فى عفيف وهذه الاقسام الاربعة مختلفة المعانى وحاصرة للقسمة فنقول اختصرت الآية من هذه الاربعة قسمين واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة فالقسم الاول صريح فى القسم الاول ويفهم الثالث والقسم الثانى صريح فى القسم الثانى ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث ان المقتضى لانحصار رغبة العفيف فى العفيفة هو اجتماعهما فى الصفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ثم يفصل التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لاينقل عن ذكر الزناة وجودا وسلبا فان معنى الاول الزانية لاينكحها عفيف ومعنى الثانى العفيفة لاينكحها زان والسر فى ذلك ان الكلام فى أحكامهم فذكر الاعفاء بسلب نقائصهم حتى لايخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه فى اسناد النكاح فى هذين القسمين المذكوردون الاناث بخلاف قوله الزانية والزانى فانه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالا وقدم الزانية على الزانى والسبب فيه ان الكلام الاول فى حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الايماض والاطماع والكلام الثانى فى نكاح الزناة اذا وقع ذلك على الصحة والاصل فى النكاح الذكور وهم المبتدؤن بالخطبة فلم يسند الا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الاعفاء من الذكور والاناث من مناكحة الزناة ذكورا واناثا زجرا لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الاجماع فى المذهب على أن للمرأة أولمن قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة

والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت فى القرآن لم ترد الا فى معنى العقد والثانى فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزانى لايزنى الا بزانية والزانية لايزنى بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه (فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فان قلت) كيف قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت الجناية لانها لولم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لاينكح بالجزم على النهى والمرفوع فيه أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لايدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها * وقرئ وحرم بفتح الحاء * القذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيا آن أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزوانى والثانى اشتراط أربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يازانية أولمحصن يازانى يا ابن الزانى يا ابن الزانية ياولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا ياشارب الخمر يايهودى يامجوسى يافاسق ياخبيث ياماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة * وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فان قلت) كيف يشهدون مجتمعين أومتفرقين (قلت) الواجب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا فى مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فان قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم (قلت) يجوز عند أبى حنيفة خلافا للشافعى (فان قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزانى الا أنه لاينزع عنه من ثيابه الا ماينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها (فان قلت) فاذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحد الا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير * رد شهادة القاذف معلق عند أبى حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعى رضى الله عنه يتعلق رد

شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فأبو
حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا
مردودى الشهادة عنده فى أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا
غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و (الا الذين تابوا)
استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فان الله غفور رحيم) والشافعى رضى الله عنه جعل جزاء الشرط
الجملتين أيضا غير أنه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل
الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى
حنيفة رضى الله عنه أن يكون منصوبا لانه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون
الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير
مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فان قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبى حنيفة رضى الله عنه كأن القذف مع
الكفر أهون من القذف مع الاسلام (قلت) المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد
على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار (فان قلت) هل للمقذوف أو للامام أن يعفو عن حد
القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى أن لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح
عنه بمال (فان قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبى حنيفة رضى الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم
الحد لا يورث وعند الشافعى رضى الله عنه يورث واذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه
الآية فى حسان بن ثابت رضى الله عنه حين تاب مما قال فى عائشة رضى الله عنها * قاذف امرأته اذا كان
مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود فى القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح
الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا أو محدودا فى قذف والمرأة
محصنة حد كما فى قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول فى الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا ثم تقول فى
الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رمانى به من الزنا وعند الشافعى رضى الله عنه يقام
الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على
فيه ويقول له انى أخاف ان لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على
المنبر وببيت المقدس فى مسجده ولعان المشرك فى الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا
الا فى المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضى بينهما
ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان
وعن عثمان البتى لا فرقة أصلا وعند الشافعى رضى الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة فى حكم
التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رضى الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك
فحد جاز أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رضى الله عنهم هى فرقة بغير طلاق
توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل

وأولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا فان الله
غفور رحيم والذين
يرمون أزواجهم ولم
يكن لهم شهداء
الا أنفسهم فشهادة
أحدهم أربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين
والخامسة أن لعنت
الله عليه ان كان من
الكاذبين ويدرؤا عنها
العذاب أن تشهد أربع
شهادات بالله انه لمن
الكاذبين والخامسة
أن غضب الله عليها ان
كان من الصادقين
ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وأن الله تواب
حكيم ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم
لا تحسبوه شرا لكم بل

الا فى الدين وأما فى
النسب فقد بلغه انهم
فرقوا بين عربية ومولى
فاستعظمه وتلا يا أيها
الناس انا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله
أتقاكم

هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا

مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ماوراءك قال شر وجدت على بطن امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالى ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لاأدرى ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفى به فالرجم أهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس رضى الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن * وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة أولانهم فى معنى الانفس التى هى بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لانه فى حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وهى مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرى أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة (فان قلت) لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله (قلت) تغليظا عليها لانها هى أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به * الافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم * وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لامعانه فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة * أى يصيب كل خائض فى حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه * والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان رضى الله عنه مر بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضى الله عنها فقال والله مانجت منه ولانجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها * والخطاب فى قوله (هو خير لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثمانى عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم فى ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لاتخفى على متأمليها (بأنفسهم) أى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الانصارى قال لام أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك (فان قلت) هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير

* قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم) قال أحمد والسر فى هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شئ أشنع من ذلك والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل ان أبا أيوب الانصارى قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون فى حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير منى) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الايمان الى هذا السر الذى انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فانها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والامانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الاولى رضى الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشرى وهو أن يكون التعبير بالانفس حقيقة والمقصود الزام سيئ الظن بنفسه لانه لم يعتد بوازع الايمان فى حق غيره وألغاه واعتبره فى حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لابحكم الهدى والله أعلم

هذا افك مبين لولا جاؤا
عليه بأربعة شهداء
فاذلم يأتوا بالشهداء
فأولئك عند الله هم
الكاذبون ولولا فضل
الله عليكم ورحمته فى
الدنيا والآخرة لمسكم
فيما أفضتم فيه عذاب
عظيم اذتلقونه بألسنتكم
وتقولون بأفواهكم
ما ليس لكم به علم
وتحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون
لنا أن نتكلم بهذا
سبحانك هذا بهتان
عظيم يعظكم الله

الى الظاهر (قلت) ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع قالة فى أخيه أن يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا افك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات * جعل الله التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله * لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى ولولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك * يقال أفاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات * وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضى الله عنها وعن سفيان سمعت أمى تقرأ اذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (فان قلت) ما معنى قوله (بافواهكم) والقول لا يكون الا بالفم (قلت) معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم * أى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشئ من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقى الافك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم * (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها (فان قلت) فأى فائدة فى تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغى ويصح أى ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق و (سبحانك) للتعجب من عظم الامر (فان قلت) ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح (قلت) الاصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فان قلت) كيف جاز أن تكون امرأة

* قوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم (قال ان قلت القول لا يكون الا بالافواه فما فائدة ذكرها قلت المراد ان هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب (٨٦) وانما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو التعريض بانه ربما يتشدق
ويقضى تشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذى أنبأ عنه قوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم والله أعلم * قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب من عظيم الامر وأصله ان الانسان اذا رأى عجيبا من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ثم أوردها هنا سؤالا على توبيخهم على ترك التعجب فقال ان قلت لم جاز أن تكون زوجة النبي
النبي
كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة ولم يكن كفرها متعجبا منه وفجورها متعجب منه قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم فاذا ألحقوا اليهم وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب الفاحشة الى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات * أى كراهة (أن تعودوا) أو فى أن تعودوا من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه * وأبدهم ماداموا أحياء مكلفين و(ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح * يبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شئ فاعل لما يفعله بدوعى الحكمة * المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها * عذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذى تولى كبره منهم (والله يعلم) ما فى القلوب من الاسرار والضمائر (وأنتم لا تعلمون) يعنى أنه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها * وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب والرؤف والرحيم * الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب * ضرائر حرمى تفاحش غارها * أى أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه * وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها * وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم * هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه شيأ ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أولا يقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت فى شأن مسطح وكان ابن خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسئ ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبى بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعنى على أسرارها

وكذلك البله من الرجال فى قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله * وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ فى شئ تغليظه فى افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فاوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان

أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين

قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية (قال ان كانت عائشة هى المراد فلم جمع قلت المراد اما أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن واما عائشة وجمعت ارادة لها ولبناتها كما قال * قدنى من نصر الخبيبين قدى * يعنى عبد الله بن الزبير وأتباعه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والاظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع فى عائشة على أبلغ الوجوه لانه اذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فالظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف تهويلا عليه وارجافا (٨٨) والمعصوم من عصمه الله تعالى * قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات الآية (قال) تحتمل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين والمراد الافك ومن أفاض عليه وعكسه فى الطيبات والطيبين الثانى أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

الرجال (قال أحمد) ان كان الامر على التأويل الثانى فهذه الآية تفصيل لما أجمله قوله تعالى الزانية لا ينكحها الا زان وقد بينا انها مشتملة على هذه الاقسام الاربعة تصريحا وتضمينا فجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهى الاستشهاد من على براءة أم المؤمنين بانها زوجة أطيب الطيبين فلا بد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به وهذا التأويل الثانى هو الظاهر فان بعد الآية لهم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام فى قوله تعالى نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة فذكرت منهن انها خلقت طيبة عند طيب (قال أحمد وهذا أيضا يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وان المراد بذلك اظهار براءة عائشة بانها زوج أطيب الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاء بقوله والطيبون للطيبات والله أعلم * قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها (قال فيه وجهان أحدهما انه من الاستئناس الذى هو ضد الاستيحاش أى حتى يؤذن لكم فتستأنسوا عبر

الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرأة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرأة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه (فان قلت) ان كانت عائشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصص بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثانى أنها أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال * قدنى من نصر الخبيبين قدى * أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر الا أن هذا فى الاسم وذاك فى الصفة (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده أساءة مسئ ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه * أى (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون (أولئك) اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب * وذكر الرزق الكريم ههنا مثله فى قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش

من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى أن يكون من الاستئناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثمة انسان وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت * والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وعن أبى موسى الاشعرى أنه أتى باب عمر رضى الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثة واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لايحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت فى بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا السلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية وفى قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفى قراءة أبى حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان * يحتمل (فان لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التى يطويها الناس فى العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف فى ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أى لاتلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروأة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فان قلت) هل يصح أن يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد ان جزم النهى عن الدخول مع فقد الاذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة فى كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن (فان قلت) فاذا عرض أمر فى دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أى الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا * ثم أوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فوفى جزاءه

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم

بالشيء عما هو رادف له الثانى أن يكون من الاستعلام من أنس اذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وذكر أيضا وجها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها انسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الاخير بنى من الانس استفعل والوجه الاول هو البين وسر التجوز فيه والعدول اليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين فى الاتيان بالاستئذان بواسطة ذكر فان له فائدة وثمرة تميل النفوس اليها وتنفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تهييض للدواعى على سلوك هذا الادب والله سبحانه وتعالى أعلم

عليه * استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين * والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة * من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه (فان قلت) كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد به الاستتار * ثم أخبر أنه (خبير) بأفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون * النساء مأمورات أيضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه (فان قلت) لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج (قلت) لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه * الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم أن النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها (فان قلت) ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها (قلت) نعم (فان قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة (قلت) الامر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه (فان قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء (فان قلت) لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة (قلت) لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (الا ما ظهر منها) يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن

* قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها (قال المراد النهي عن ابداء مواضع الزينة فليس النهي عن اظهار الزينة مقصودا لعينه ولكن جعل نفسها كناية عن النهي عن ابداء مواقعها بطريق الاولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن محقق ان ابداء الزينة بعينه مقصود بالنهي لانه قد نهى عما هو ذريعة اليه خاصة اذ الضرب بالارجل لم يعلل النهي عنه الا بعلم ان المرأة ذات زينة وان لم تظهر فضلا عن مواضعها والله أعلم

توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم فى الاسفار
للنزول والركوب وغير ذلك * كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب
الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار
لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن كان
على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم * قيل فى نسائهن هن
المؤمنات لانه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدى مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضى الله عنهما والظاهر
أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من فى صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء فى
حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضى الله
عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد
ابن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة
الاجنبى منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى
فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبى حنيفة لا يحل
استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم (فان قلت) روى
أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصى فقبله (قلت) لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
فان صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الاسباب (الاربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية * وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا (لم يظهروا) اما من ظهر
على الشئ اذا اطلع عليه أى لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى
عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل
(فان قلت) لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال (قلت) سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه
والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشترك الاب والابن فى المحرمية الا العم والخال وأبناءهما فاذا رآها
الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا أيضا من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر * كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم
أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار
صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ * أوامر الله
ونواهيه فى كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع
منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس
رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة (فان قلت) قد صحت
التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء ان من أذنب
ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه
وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء
الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها (الايامى) واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمرأة
وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

أو بنى أخواتهن أو
نسائهن أو ما ملكت
أيمانهن أو التابعين
غير أولى الاربة من
الرجال أو الطفل الذين
لم يظهروا على عورات
النساء ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن وتوبوا الى
الله جميعا أيه المؤمنون
لعلكم تفلحون وأنكحوا
الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم
ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله

* قوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به الندب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد نكاحا فلم ينكح فليس منا) قال أحمد وهذا بأن يدل على الوجوب أولى ولكن قد ورد مثله في ترك السنن كثيرا وكأن المراد من لم يستن بسنتنا على انه قد ورد في الواجب كقوله من غشنا ليس منا ومجانبة الغش واجبة ومن شهر السلاح في فتنة فليس منا ومثله كثير * عاد كلامه قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (قال فيه ينبغي أن تكون شريطة الحكمة والمصلحة غير منسية واستشهد على ذلك بقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) قال أحمد جنوحه للمعتقد الفاسد يمنع عليه الصواب فان معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن ثم شرط الحكمة والمصلحة محجرا واسعا من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لا له فان قوله تعالى في الآية الاخرى ان شاء يقتضي ان وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى عن الايجاب رب الارباب لكن ينبغي التنبه لنكتة تدعو الحاجة الى التنبيه عليها لعظم نفعها و يعظم وقعها ان شاء الله وذلك انا اذا بنينا على ان ثم شرطا محذوفا لا بد من تقديره ضرورة صدق الخبر اذ لو اعتقدنا ان الله تعالى يغني كل متزوج على الاطلاق مع انا نشاهد كثيرا ممن استمر به الفقر بعد النكاح بل زاد للزم خلف الوعد تقدس الله وتعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار الى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالقدرية يقولون المراد ان اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم يغنه الله بأثر التزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة اغناءه (٩٢) وقد أبطلنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر وحتمنا ان المقدر شرط المشيئة كما ظهر في الآية الاخرى وحينئذ فكل من لم يستغن بالنكاح فذلك لان الله تعالى لم يشأ اغناءه * فلقائل أن يقول اذا كانت المشيئة هي المعتبرة في غنى المتزوج فهي أيضا المعتبرة في غنى الاعزب فما وجه ربط وعد الغنى بالنكاح مع ان حال الناكح منقسم في الغنى على حسب المشيئة فمن مستغن به ومن فقير كما ان حال غير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كاضمار شرط المشيئة في الغفران للموحد العاصي فان الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد الحكيم وان ارتبط بالمشيئة أيضا من حيث ان غير الموحد لا يغفر الله له حتما ولا تستطيع أن تقول وغير الناكح لا يغنيه الله حتما لان الواقع يأباه * فالجواب وبالله التوفيق أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح انه قد ركز في الطباع السكون الى الاسباب والاعتماد عليها والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الوهم على العقل فخيل ان كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتما وعدمها سبب يوجب توفير المال جزما وان كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الوهم به فاريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالايذان بان الله تعالى قد يوفر المال وينميه مع كثرة العيال التي هي سبب في الاوهام لنفاد المال وقد يقدر الاملاق مع عدمه الذي هو سبب في الاكثار عند الاوهام والواقع يشهد لذلك بلا امراء فدل ذلك قطعا على أن الاسباب التي يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطا لا ينفك ليست على ما يزعمونه وانما يقدر الغنى والفقر مسبب الاسباب غير موقوف تقدير ذلك الا على مشيئة خاصة وحينئذ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح لانه قد استقر عنده ان لا أثر له في الاقتار وان الله تعالى لا يمنعه ذلك من اغنائه ولا يؤثر أيضا الخلو عن النكاح لاجل التوفير لانه قد استقر ان لا أثر له فيه وان الله تعالى لا يمنعه مانع ان يقتر عليه وان العبد ان تعاطى سببا فلا يكن ناظرا اليه ولكن الى مشيئة الله تعالى وتقدس فمعنى قوله حينئذ ان يكونوا فقراء الآية ان النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله فعبر عن نفي كونه مانعا من الغنى بوجوده معه ولا تبطل المانعية الا وجود ما يتوهم ممنوعا مع ما يتوهم مانعا ولو في صورة من الصور على أثر ذلك فمن هذا الوادي

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه عليه الصلاة والسلام يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى الى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمن حلت العزوبة (فان قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح * ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء

الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شئ ففنى وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله على الخير صبا فأصبحت الى ما ترى (والله واسع) أي غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستعفف) وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لا يجدون نكاحا) أي استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالاعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الاوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند أبي حنيفة رضي الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيأ فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان أداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة واذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضي الله عنه ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان رضي الله عنه أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس (وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم (فان قلت) هل يحل لمولاه اذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه (قلت) نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رضي الله عنه هو ايجاب على الموالي أن يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا أجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرضخ له من كتابته شيأ وعن عمر رضي الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضي الله عنه وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة رضي الله عنه على وجه الندب وقال انه عقد

والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم

أمثال قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض فان ظاهر الامر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة وبيان ان الصلاة متى قضيت فلا مانع فعبر عن نفي المانع بالانتشار بما يفهم تقاضي الانتشار مبالغة في تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فتأمل هذا الفصل واتخذه عضدا حيث الحاجة اليه

معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت * كانت اماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفى الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى * والبغاء مصدر البغى (فان قلت) لم أقحم قوله (ان أردن تحصنا) (قلت) لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ماوجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أولهن أولهم ولهن ان تابوا وأصلحوا وفى قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه فى أنها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه فتكون آثمة (مبينات) هى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود ويجوز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وقرئ بالكسر أى بينت هى الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها (وموعظة) ما وعظ به فى الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا * نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (فى زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامى أزهر * شبهه فى زهرته بأحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أى ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعنى زويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور (لا شرقية ولا غربية) أى منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا فى مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى شجرة فى مقنأة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألئه (يكاد) يضىء من غير نار (نور على نور) أى هذا الذى شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوى النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك أن المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور

* قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا (قال ان قلت لم أقحم قوله ان أردن تحصنا مع العلم بان الاكراه لا يكون الا اذا أردن تحصنا ولا يتصور الا كذلك اذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يجب عما يشفى الغليل) وعند العبد الفقير الى الله تعالى ان فائدة ذلك والله أعلم ان يبشع عند المخاطب الوقوع فيه لكى يتيقظ أنه كان ينبغى له ان يأنف من هذه الرذيلة وان لم يكن زاجر شرعى ووجه التبشيع عليه ان مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لانها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الا اكراهها عليها ولو ابرز المكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه (يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على رضى الله عنه الله نور السموات والارض أى نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أونور قلوب أهلها به وعن أبى بن كعب رضى الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب الى الدر أى أبيض متلألئ ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرّئ كمرّيق ودرّى كالسكينة عن أبى زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقى والضمير فاصل (فى بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت * والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أوفق له وهو عام فى كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه * وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبى جعفر رضى الله عنه بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما * والآصال جمع أصل وهو العشى والمعنى بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال أصل كاظهر وأعتم * التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه فى الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شئ يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذاك مظنون واما أن يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح أوشراء وقيل التجارة لاهل الجلب اتجر فلان فى كذا اذا جلبه * التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه * واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وتقلب القلوب والابصار اما أن تتقلب وتتغير فى أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد أن كانت عميا لا تبصر (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض (والله يرزق) ما يتفضل به (بغير حساب) فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى * والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة

يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض

وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام * اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر * وفى (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب * ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء * والضمير فى (علم) لكل أو لله وكذلك فى (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (يزجى) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التى يزجيها كل أحد لا يرضاها * والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين أجزائه كما قيل فى قوله * بين الدخول فحومل * والركام المتراكم بعضه فوق بعض * والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (وينزل) بالتشديد * ويكاد سنا على الادغام * وبرقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع * و (يذهب بالابصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبى جعفر المدنى وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من فى السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وأنه سخر السحاب التسخير الذى وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين فى غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فان قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من فى السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد فى السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحى (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال (فان قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر والثانى أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب * وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشى فى الماشى على بطن والماشى

اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار والله خلق كل دابة

من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله

على أربع قوائم * (فان قلت) لم نكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لان المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فان قلت) فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي (قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه * (فان قلت) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فان قلت) لم سمي الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا أو الى الفريق المتولي فمعناه على الاول اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا * معنى (الى الله ورسوله) الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله * غلسته قبل القطا وفرطه * أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي (اليه) صلة يأتوا لان أتى وجاء قد جاآ معديين بالى أو يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم * ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) اي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه * وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فان قلت) الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا * قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله * قالت سليمى اشتر لنا سويقا * ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز

* قوله تعالى والله خالق كل دابة من ماء (قال فيه ان قلت لم نكر ماء ههنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت الغرض فيما نحن فيه انه تعالى خالق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل واما آية اقترب فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق ان المقصد في الاولى اظهار الآية بأن شيأ واحدا تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والمقصد في آية اقترب أنه خلق الاشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الانواع فذكر معرفا ليشمل أنواعه المختلفة فالآية في الاول لاخراج المختلف من المتفق والله أعلم

*وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية * جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (ان الله خبير) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم *صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم* يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم * والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية * ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات* الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها * وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد (فان قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم) (قلت) هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (فان قلت) ما محل (يعبدونني) (قلت) ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها (فان قلت) هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي

عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض

جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الاول وكان الذى سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشئ واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم * أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين * ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر فى قوله (طوافون عليكم) يعنى أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان فى كل وقت لادى الى الحرج وروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهى احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضى الله تعالى عنه وقيل نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان فى لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير فى وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها * وعن أبى عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اى أوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل * (فان قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك فى محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة (فان قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة (الاطفال منكم) اى من الاحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا أو يبلغوا السن التى يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه فى غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لآمر جاريتى أن تستأذن علىّ وسأله عطاء أأستأذن على أختى قال نعم وان كانت فى حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبى ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة ولا والله ما هى منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فان قلت) ما السن التى يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبع عشرة فى الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن على رضى الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق فى قوله

ما زال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فادرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره * القاعد التى قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه * والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة

وما واهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن

* قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن * قرأ الزمخشرى هذه الآية على ظاهرها * ويظهر لى والله أعلم ان قوله تعالى غير متبرجات بزينة من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * أى لا منار فيه ١٠٠ فيهتدى به وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتى لا زينة لهن فيتبرجن بها لان الكلام فيمن هى بهذه المثابة وكان الغرض من ذلك ان هؤلاء استعفافهم عن وضع الثياب خير لهن فاظنك بذوات الزينة من الثياب وأبلغ ما فى ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب فى حق القواعد من الاستعفاف ايذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له فى العفة هذا فى القواعد فكيف بالكواعب والله أعلم * قوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحدا وجمعا والمراد هنا الجمع) قال أحمد وقد قال الزمخشرى ان سر افراده فى قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم دون الشافعين التنبيه على قلة الاصدقاء ولا كذلك الشافعون فان الانسان قد يحمى له ويشفع فى حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا ويحتمل فى الآيتين والله أعلم ان يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الافراد فيكون سره ذلك والله أعلم

غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن

والجلباب الذى فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التى أرادها فى قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن * لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم (فان قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا أنه اختص بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك * كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة فى ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك وعن عكرمة كانت الانصار فى أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يؤدى الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين أكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذى أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فى أن كل واحدة منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر (فان قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت) دخل ذكرهم تحت قوله (من بيوتكم) لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفى الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ولان الولد أقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذى هو أقرب منهم أولى (فان قلت) ما معنى (أو ما ملكتم مفاتحه) (قلت) أموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه (فان قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت) معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضى الله عنهم وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها

سرورا

سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق أكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه (جميعا أو أشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الامع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله * ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا قال لى لشئ كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا * أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا * ومعنى قوله (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب أن يأذن له * والامر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور فى خطب مهم أو تضام لارهاب مخالف أو تماسح فى حلف وغير ذلك أو الامر الذى يعم بضرره أو بنفعه * وقرئ أمر جميع وفى قوله اذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضئ بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة أحدهم فى مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الامر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) * وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الاحسن الافضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر فى الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه * اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه

تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله

* قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال معناه فسلموا على الجنس الذى هو منكم دينا وقرابة) قال أحمد وفى التعبير عنهم بالانفس تنبيه على السر الذى اقتضى اباحة الاكل من هذه البيوت المعدودة وان ذلك انما كان لانها بالنسبة الى الداخل كبيت نفسه لاتحاد القرابة فليطب نفسا بانبساط فيها والله أعلم

به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل * واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح * يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى (الذين يخالفون عن امره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه * الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر * أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها * وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله * والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

* ومشركي كافر بالفرق * وعن ابن الزبير رضي الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا * والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي له) رفع على الابدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه (فان قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به * (فان قلت) في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر كل شيء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف

الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا

القول في سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده (قال يجوز ان يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز ان يراد نزوله مفرقا شيأ فشيأ كما قال وقرآنا فرقناه) قال أحمد والاظهر ههنا هو المعنى الثاني لان في اثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أي أنزلناه مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة والله أعلم كالمقدمة والتوطئة لما يأتي بعد

عنه أو يسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خالق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره فى ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * الخلق بمعنى الافتعال كما فى قوله تعالى انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها الا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار * جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكونان بمعنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل * وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب * والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برئ منه اليه (أساطير الاولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقى ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (فان قلت) كيف قيل اكتتبها (فهى تملى عليه) وانما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الاولين (بكرة وأصيلا) أى دائما أو فى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم * أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فان قلت) كيف طابق قوله (انه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون أى ان صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم * وأراد بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون

الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون (فان قلت) ما وجها الرفع والنصب في فيكون (قلت) النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على أنزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الامثال) أي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير (الذي ان شاء) وهب لك في الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور * وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة * السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضي الله عنه انه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تترأى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تراأى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد * والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وان لم يكن ثمة قول * ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم * الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بأزمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيرا) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * والضمير في (كان) لما يشاؤن * والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسئل ويطلب لانه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات

عدن

---

*قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (قال فيه هو من قولهم دور بني فلان تترأى على المجاز) قال أحمد لا حاجة الى حمله على المجاز فان رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى ان الله تعالى يخلق لها ادراكا حسيا وعقليا

الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا

الا ترى الى قوله سمعوا لها تغيظا والى محاجتها مع الجنة والى قولها هل من مزيد والى اشتكائها الى ربها فأذن لها في نفسين الى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل الى تأويلها اذ لا محوج اليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك الى وادي الضلالة والتحيز الى فرق الفلاسفة فالحق انا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع والله أعلم.

*قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الى قوله قوما بورا (قال) فى هذه الآية كسر بين لمن يزعم ان الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعيذون مما نسب اليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء أوجب ان جعلوا عوض الشكر كفرا فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة الى الله تعالى وأسندوا الضلال الذى نشأ عنه الى الضالين فهو شرح للاسناد المجازى فى قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق فى هذا المعنى وان الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتوحيد المحض والايمان الصرف الذى دل على صحته بعد الادلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شئ والضلال شئ فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم واما من حيث الخصوص فامثال قوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء والاصل الحقيقة (١٠٥) وقول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فلو كان الاضلال مستحيلا على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لا يجوز فاذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا فى هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

أضل هؤلاء وانما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد ان يقولون أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم ان الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم فى جواب هذا السؤال بل أنت أضللتهم مجاوزة لحز السؤال ومحله وانما كان هذا الجواب مطابقا لو قيل لهم من أضل عبادى هؤلاء فقد وضح ان هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشرى بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذى أضلهم وان عدولهم عنه ليس لانهم لا يعتقدونه ولكن لانه لا يطابق وبقى وراء ذلك نظر فى أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لاهل الحق لان أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وان خلق لهم الضلالة الا أن لهم اختيارا فيها وتميزا لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقد قدمنا فى مواضع أن كل فعل اختيارى له نسبتان ان نظر الى كونه مخلوقا فهو منسوب الى الله تعالى وان نظر الى كونه اختيارا للعبد فهو منسوب الى العبد وبذلك قطعت الملائكة فى قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر اليهم أى الانهماك فى الشهوات الذى نشأ عنه النسيان لانهم اختاروه لانفسهم فصدقت نسبته اليهم ونسبوا السبب الذى اقتضى نسيانهم وانهماكهم فى الشهوات الى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فبها ضلوا فلا تنافى بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

عدن التى وعدتهم * يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى الاصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا (فان قلت) كيف صح استعمال ما فى العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب * (فان قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فان قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك فى القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الاضلال الذى هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازى الذى أسنده الله الى ذاته فى قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم * وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير فى معنى جعله ضالا أى ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من

صاحبه وقلة احتياط فى حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما
قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه أو نطقوا
بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده
أو قصدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن
معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغى لنا
أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد
الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل
أعنى اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى
أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحد وهو من
أولياء والاصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفى والثانية من المتعدى الى مفعولين فالاول
ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام * والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع * والبور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ * هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

* وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فان قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء
(قلت) اى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا
بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضا يعنى فما تستطيعون أنتم
يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال أو فما
يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم * الخطاب على العموم للمكلفين * والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم
الظالمون * وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم * الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى
وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين
ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد * وقرئ ويمشون على البناء للمفعول
أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه فى الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتى
وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم
العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما
بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فان فى صبرك عليها سعادتك وفوزك فى
الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء
فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم
لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة

قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا

والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض * أى لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء فى لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا * اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وأن الله لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فان قلت) ما معنى (فى أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه كما قال ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم يقال عتا علينا فلان * وقد وصف العتو بالكبير فبالغ فى افراطه يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ للتكرير واما باضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين اما ظاهر فى موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه (حجرا محجورا) ذكره سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل فى قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر

(فان قلت) فاذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى فى الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا * والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة * المستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون * والمقيل المكان الذى يأوون

فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض

اليه للاستراوح الى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى معناه قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واستراوحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الاحسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين * وقرئ (تشقق) والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فان قلت) أى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة * وقرئ وننزل الملائكة وننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل قراءة أهل مكة * الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه * عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة والاستحسان مالا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت ياعقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع الى مكة فمات * واللام فى (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره * تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد انى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا * وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى * فلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام * والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو أراد ابليس وأنه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله * اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام أكثر * الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجؤا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا * ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك)

الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا

كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم * مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الاولين والثاني أنهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا * والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا * والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قلت) ذلك في كذلك يجب أن يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لان قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم * ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الاعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته * ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين

نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم

خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا
* الوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا * والمعنى
فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار
القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون
الثقيلة * كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كأن تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع
أولم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للظالمين) اما أن يعنى بهم قوم
نوح وأصله واعتدنا لهم الا أنه قصد تظليمهم فأظهر واما أن يتناولهم بعمومه * عطف عادا على هم فى
جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين * وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى
تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر * قيل فى أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام أصحاب آبار
ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى ايذائه فبيناهم حول الرس وهو
البئر غير المطوية عن أبى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم
فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهى أعظم
ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ وهى تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم
أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه
فى بئر أى دسوه فيها (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا
له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما أجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى
عليهم من عذاب الله وتدميره * والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج
* وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له * أراد
بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة * ومطر السوء
الحجارة يعنى أن قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من
السماء (أفلم يكونوا) فى مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوما
كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من
يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم
فى الوصول الى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية * ان الاولى نافية والثانية مخففة من
الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما * واتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوا به
(أهذا) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار (وبعث الله رسولا) واخراجه فى معرض التسليم والاقرار
وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذى زعم أو ادعى انه مبعوث من
عند الله رسولا وقولهم (ان كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم
وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن
يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و(لولا) فى مثل هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم
لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا)
كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث
لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ويروى أنه من قول أبى جهل لعنه الله * من كان فى طاعة

وجعلناهم للناس آية
وأعتدنا للظالمين عذابا
أليما وعادا وثمود وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا وكلا ضربنا له
الامثال وكلا تبرنا
تتبيرا ولقد أتوا على
القرية التى أمطرت
مطر السوء أفلم يكونوا
يرونها بل كانوا لا يرجون
نشورا واذا رأوك ان
يتخذونك الا هزوا
أهذا الذى بعث الله
رسولا ان كاد ليضلنا
عن آلهتنا لولا أن صبرنا
عليها وسوف يعلمون
حين يرون العذاب
من أضل سبيلا

الهوى فى دينه يتبعه فى كل ما يأتى ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمى * أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كان هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فان قلت) لم أخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها (قلت) ماهو الا تقديم المفعول الثانى على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق (فان قلت) مامعنى ذكر الاكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فان قلت) كيف جعلوا أضل من الانعام (قلت) لان الانعام تنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته * ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا * ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك * وقبضه اليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيأ بعد شىء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فألقت القبة ظلها على الارض فينانا ما فى أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر * والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر * قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و(بين يدى رحمته) استعارة مليحة أى قدام المطر (طهورا) بليغا فى طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شىء والطهور على وجهين فى العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر

أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا

* قوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه (قال ان قلت لما قدم الهه وهو المفعول الثانى وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقا زيدا اذا كانت عنايتك بالمنطلق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهى افادة الحصر فان الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر المبتدا هواه والخبر الهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرأيت من لم يتخذ معبوده الا هواه فهو أبلغ فى ذمه وتوبيخه والله أعلم

والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور أي طهارة (فان قلت) ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في البدن لاداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس رضي الله عنهما ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فان قلت) فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال (ميتا) لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل * وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا * الاناسي جمع انسي أو انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم (فان قلت) انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فان قلت) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قلت) فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فان قلت) لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي (قلت) لان حياة الاناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا الا الكفور وأن يقولوا أمطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير (فان قلت) هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء (قلت) ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد أن تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر * يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و (لبعثنا في كل قرية) نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وانما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم * والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على

لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة * سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه * ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفى كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصلينا بردا يريد باردا (فان قلت) (وحجرا محجورا) ما معناه (قلت) هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أى لا يبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد فقسم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى * الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى أنها نزلت فى أبى جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم * مثال (الا من شاء) والمراد الا فعل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع فى الثواب من أصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فانى أطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وأنك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه * ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة فى سبيل الله * أمره بأن يثق به ويسند أمره اليه فى استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحى الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس اليه من أمر عباده شئ آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (فى ستة أيام) يعنى فى مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر انها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام وأما الداعى الى هذا العدد أعنى الستة دون سائر الاعداد فلا نشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا الا بداعى حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدى الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنى عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعى الحكمة فى جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه فى قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد

وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش

الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب أيضا فى أن لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما انما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين * الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أو صفة للحى والرحمن خبر المبتدا المحذوف أو بدل عن المستتر فى استوى * وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى * وقرئ فسل والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شئ وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون مانعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ولانهم أنكروا اطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله أمرتك الخير أو لامرك لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو وفى (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول * البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره * والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار معها * وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهى جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب * الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة أى ذوى عقبة أى يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه * وقرئ يذكر ويذكر وعن أبى بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيها ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له فى النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره فى آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا * وقرئ وعباد الرحمن * وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للمشى بمعنى هينين أو مشيا هينا الا ان فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز أخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا

ولذلك

الرحمن فاسئل به خبيرا
واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن
أنسجد لما تأمرنا وزادهم
نفورا تبارك الذى جعل
فى السماء بروجا وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا
وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا

واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان
غراما انها ساءت
مستقرا ومقاما والذين
اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك
قواما والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق
أثاما

ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله يمشون فى الاسواق (سلاما) تسليما منكم لانجاهلكم
ومتاركة لاخير بيننا ولا شر أى نتسلم منكم تسليما فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبى العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى
الادب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع * البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أولم
تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاته وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما
(غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفا * ركانا عذابا وكانا غراما

وقال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالى

ومنه الغريم لالحاحه ولزامه * وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بأنهم
مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة (ساءت) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت
مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى
أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا
من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار
والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة * ووصفهم بالقصد الذى هو
بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فأما فى القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لاخير
فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين
زوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو
كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله
فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى أهذا أيضا مما أعده
وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال
والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم
من الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى رجل شيأ الا اشتراه فأكله * والقوام العدل
بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما
بالكسر وهو ما يقام به الشئ يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان
أعنى بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا
وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله
* لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين
الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أى حرمها والمعنى
حرم قتلها و(الا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين
بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين
برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى الله عنه قلت
يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل

معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقدمر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حين أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الاثم ومعناها يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فان قلت) مامعنى مضاعفة العذاب وابدال السيآت حسنات (قلت) اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا * يريد ومن يترك المعاصى و يندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين و يفعل بهم مايستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضابه وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وانما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى أنهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون مافيها كالمنافقين وأشباههم * قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم * أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا اماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية مايدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة (فان قلت) من فى قوله من أزواجنا ماهى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة

أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فان قلت) لم قال قرة أعين فنكر وقلل (قلت) أما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين دون عيون لانه أراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين انها أعين خاصة وهى أعين المتقين * المراد يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ فى الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع فى كل مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما * والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم فى دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم فى الجنة أتبع ذلك بيان أنه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيأ يبالى به * والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب وهى عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعنى أنكم لا تستأهلون شيأ من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومى ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له أى ما اعتددت به من كوارثى ومما يهمنى وقال الزجاج فى تأويل ما يعبأ بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول اذا أعلمتكم أن حكمى أنى لا أعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم فى النار ونظيره فى الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتى أن أحسن الى من يطيعنى ويتبع أمرى فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فان قلت) الى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضى الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما * وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهى
مائتان وسبع وعشرون آية وفى رواية ست وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها (الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين * البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعنى

بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

﴿سورة الشعراء مكية وهى مائتان وسبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك

* قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين (قال ان قلت لم قال الاعين اذ الاعين صيغة جمع قلة قلت لان أعين المتقين قليل بالاضافة الى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادى الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا أسلم من تأويله فان المتقين وان كانوا بالاضافة الى غيرهم قليلا الا أنهم فى أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر فى اطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا فى نفسه لا بالنسبة والاضافة والله أعلم

أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضى الله عنه باخع نفسك على الاضافة * أراد آية ملجئة الى الايمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذى هو ننزل لانه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فان قلت) كيف صح مجئ خاضعين خبرا عن الاعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لى ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصى والصدور قال * فى محفل من نواصى الناس مشهود * وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة * أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فان قلت) كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له (فسيأتيهم) وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم * وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد فى بابه يقال وجه كريم اذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى معانيه وفوائده وقال * حتى يشق الصفوف من كرمه * أى من كونه مرضيا فى شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضى فيما يتعلق به من المنافع (ان فى) انبات تلك الاصناف (لآية) على أن منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فان قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فان قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت فى الارض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثانى أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيأ الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون (فان قلت) فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان فى ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به الى مصدر أنبتنا فكأنه قال ان فى الانبات لآية أى آية وأن يراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر * سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبنى اسرائيل باستعبادهم لهم * قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقونى فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فان قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التى شنعت فى الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام

ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى

القول فى سورة الشعراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال ان قلت ما فائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للاحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا المحاط به متكاثر مفرط الكثرة) قال أحمد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الانواع والظاهر أن المقصود آحاد الازواج والانعام ويدل عليه أنه لو أسقطت كل فقلت انظروا الى الارض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلانى لكنت مكنيا عن آحاد ذلك الصنف المشار اليه فاذا أدخلت كلا فقد أديت بتكثيره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين والله أعلم

الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض أخصائه والجانى حاضر فاذا اندفع فى الشكاية وحر مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجانى يوبخه و يعنف به و يقول له ألم تتق الله ألم تستحى من الناس (فان قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام فى وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون (قلت) اجراء ذلك فى تكليم المرسل اليهم فى معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت فى شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفى ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا * ويضيق و ينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان و بالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما فى المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فان قلت) فى النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفى جملتها نفى انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هى غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم و بما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة فى اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التى كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فان قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى انى خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها و يجوز أن يريد القدر اليسير الذى بقى به و يجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الالسنة و بسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به و يدل عليه قوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ومعنى (فارسل الى هرون) أرسل اليه جبرائيل واجعله نبيا وأزرنى به واشدد به عضدى وهذا كلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد أحسن فى الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة أولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم (فان قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره و تبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل * أراد بالذنب قتله القبطى وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعنى ولهم على تبعة ذنب وهى قود ذلك القتل فاخاف أن يقتلونى به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فان قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك فى هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع * جمع الله له الاستجابتين معا فى قوله (كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فاجابه بقوله اذهبا أى اذهب أنت والذى طلبته وهو هرون (فان قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما و بينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه و يجوز أن يكونا خبرين

ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون ولهم على ذنب فاخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين

لان أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا (فان قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أى أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه البرم *(فان قلت) هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل فى الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول أرسلت اليك أن افعل كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك أرسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما *ويروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل * الوليد الصبى لقرب عهده من الولادة *وفى رواية عن أبى عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك * وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتى أو وأنت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بانه من الكافرين لفرعون والهيته أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الهتك * فاجابه موسى بأن تلك الفعلة انما فرطت منه وهو (من الضالين) أى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة * ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمى نعمته الا نقمة حيث بين أن حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون

* قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التى فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وقطعه عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحمد ووجه التفظيع عليه من ذلك أن فى اتيانه به مجملا مبهما ايذانا بأنه لفظاعته مما لا ينطق به الا مكنيا عنه ونظيره فى التفخيم المستفاد من الابهام قوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم اذ يغشى السدرة مايغشى فأوحى الى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

فان

(فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (فان قلت) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد (فان قلت) تلك اشارة الى ماذا وأن عبدت ما محلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها على وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة على لان عبدت بني اسرائيل أى لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم * لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (ومارب العالمين) يريد أى شئ رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما أن يريد به أى شئ هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشئ مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وأنه شئ مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شئ واما أن يريد به أى شئ هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيرى وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير * (فان قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع اليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الايقان (قلت) معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع أو ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله (فان قلت) ومن كان حوله (قلت) اشراف قومه قيل كان خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (فان قلت) ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر * وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل اليكم بفتح الهمزة * (فان قلت) كيف قال أولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون (قلت) لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لاسجننك أخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد * الواو في قوله (أولو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشئ مبين أى جائيا بالمعجزة وفي قوله (ان كنت من الصادقين) أنه لا يأتي بالمعجزة

قال ومارب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه

* قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به ان كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتى بالمعجزة الا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تضييقه من تأويل هذه الاباطيل وكلف هذا التكلف فى كيده لاهل السنة وان كيده لفى تضليل بيناهو يعرض بتفضيل فرعون عليهم اذاهو قد حتم على اخوانه القدرية انهم فراعنة وان كلا منهم اذا فتش نفسه وجد فيها نصيبا من فرعنته حيث يقول أنا ربكم الاعلى لانهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وانهم لها مبدعون خالقون كلا انهم لهم المبتدعون المختلقون لانهم حجروا على الله تعالى ان يفعل الا ما تواطأت أوهامهم على انه حسن بالنسبة الى الخالق فى الشاهد فمن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة الى التوحيد الحق اعتقدوا ان كل شئ هو مخلوق لله تعالى لا شريك له فى ملكه وان كل ممكن يجوز ان ينظمه سلطان القدرة الازلية فى سلكه فكان من الممكنات ان يبتلى الله عباده بخرق العادات على أيدى الكاذبين ومراده اظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقا يقينا ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم فى الدين (١٢٢) فان توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عما فى قلبه من مرض ان ذلك يجر الى عدم الوثوق بمعجزات الانبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الاشقياء قيل معاذ الله أن ناخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الانبياء آمنة

فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تامرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن

الا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين فى دعواك أتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك الا أخذتها فاخذها فعادت عصا (للناظرين) دليل على أن بياضها كان شيأ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ماهذه قال يدك فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق *(فان قلت) ما العامل فى حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ ونصب فى المحل فالعامل فى النصب اللفظى ما يقدر فى الظرف والعامل فى النصب المحلى وهو النصب على الحال قال * ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقى لا يدرى أى طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (ان هذا الساحر عليم) قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا ألزم (تامرون) من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى جعل العبيد آمرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة * وماذا منصوب اما لكونه فى معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله أمرتك الخير * قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته اذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه

بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الامكان العقلى فى علم حاصل يقينى للزم الآن الشك فى أن جبال الارض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دما عبيطا الان ذلك ممكن فى العقل بلا خلاف ولا يشكك نفسه فى هذا الامكان الا ذو خبل وعمته وعمى وعمه وأين الزمخشرى من الحديث الصحيح فى الشاب الذى يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشى بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما ازددت فيك الا بصيرة أنت الدجال الذى وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم به ثانى مرة فلا يسلط عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خير أهل الارض أو من خير أهل الارض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك فى نفسه لم يشككه ذلك فى معلومه فلم يتلكأ فى معاودة تكذيبه ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء * قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك فى تفسير الارجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللقب لاهل السنة فانهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عفا عنهم وان شاء غفر لهم فان كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

احبسه (حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هـذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه * وقرأ الاعمش بكل ساحر * اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام * وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (ان لنا لاجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وانكم اذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى * أقسموا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة * روى أنهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء * وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فان قلت) فاعل الالقاء ما هو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو ايمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو اليه هذان والذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فعلتم * الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لان كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجئ به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا الا لذلك * قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (انكم متبعون) علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده

حاشرين يأتوك بكل
سحار عليم فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل أنتم
مجتمعون لعلنا نتبع
السحرة ان كانوا هم
الغالبين فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون
أئن لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين
قال لهم موسى ألقوا
ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون فألقى موسى
عصاه فاذا هى تلقف
ما يأفكون فألقى
السحرة ساجدين
قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون قال
آمنتم له قبل أن آذن
لكم انه لكبيركم الذى
علمكم السحر فلسوف
تعلمون لأقطعن
أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولأصلبنكم
أجمعين قالوا لاضير انا
الى ربنا منقلبون انا
نطمع أن يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا أول
المؤمنين وأوحينا الى
موسى أن أسر بعبادى
انكم متبعون فأرسل
فرعون فى المدائن
حاشرين

* قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون (١٢٤) (قال قللهم من أربعة أوجه عبّر عنهم بالشرذمة وهي تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة) قال أحمد ووجه آخر في تقليلهم يكون خامسا وهو ان جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف

ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين

آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (ان هؤلاء) محكي بعد قول مضمر * والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه * وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال (كذلك) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي الامر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت (سيهدين) طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم * وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا * أرجي الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد * الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد * والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها * وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه * عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى

بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين به كقولهم معا زيد جياع مبالغة في وصفه بالجوع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الاصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كما أفرد في قوله كم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة ما
لكن ينبغي النظر في أن هذا السر يبقى الوجوه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيأ ويخلفه فتأمله والله الموفق

مايصنع فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثناعشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان فى ذلك لآية) أية آية وآية لاتوصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم * وماتنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه * كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن مايعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال * (فان قلت) (ماتعبدون) سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ماقصدوه من اظهار مافى نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ماتلبس فى بلادك فيقول ألبس البرد الاتحمى فأجر ذيله بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل * لابد فى (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم * وقرأ قتادة يسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ فى التبكيت * لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا الى أقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لايكون برهانا على الصحة والباطل لاينقلب حقا بالقدم وماعبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغرى على عبادتها أعدى أعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال (عدولى) تصويرا للمسئلة فى نفسه على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا مانصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه مايحكى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ماهو ببيتى ولا ببيتكم والعدو والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة قال

وقوم علىّ ذوى مئرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الارب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لاتنقطع الى كل مايصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى أن يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد * وانما قال (مرضت) دون أمرضنى لان كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ماسبب

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الارب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم

* قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين (قال انما أضاف المرض الى نفسه لان كثيرا منه بتفريط الانسان فى مطعمه ومشربه) قال أحمد والذى ذكره غير الزمخشرى ان السر فى اضافة المرض الى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذى هو نعمة ظاهرة اليه تعالى ولعل الزمخشرى انما عدل عن هذا لان ابراهيم عليه السلام قد أضاف الاماتة الى الله ١ تعالى وهى أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذى أبداه الزمخشرى أيضا فى المرض ينكسر بالموت فان المرض

كما يكون بسبب تفريط الانسان في نفسه كذلك الموت الناشئ عن سبب هذا المرض الذى يكون بتفريط الانسان وقد أضافه الى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض فى مقتضى الادب بان الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض فكم من معافى منه قد بغتته الموت فالتأسى بعموم الموت لعلة يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ فى الادب نسبته الى الله

يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون

تعالى وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء محققا فاقتضى العلو فى الادب مع الله تعالى ان ينسبه الانسان الى نفسه باعتبار ذلك السبب الذى لا يخلو منه ويؤيد ذلك ان كل ماذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتا وجزما لانه أمر لا بد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أورده مقرونا بشرط اذا فقال واذا مرضت وكان ثم كما أن يقول والذى أمرض فى فيشفينى كما قال فى غيره فعدل عن المطابقة المجانسة المأثورة الا لذلك والله أعلم

آجالكم لقالوا التخم * وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى وما هى الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهى تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لى أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم فى اجتناب المعاصى والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر فى الدنيا (قلت) لان أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفى لا يعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبى ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله * والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به فى جملتهم أو يجمع بينه وبينهم فى الجنة ولقد أجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين * والاخزاء من الخزى وهو الهوان ومن الخزاية وهى الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفى (يبعثون) ضمير العباد لانه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (الا من أتى الله) الا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه الا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين فى معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله فى الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذى سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فابطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بأنهم المحشرون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون اليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا * يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما فى كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم * والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير

*قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قال انما جمع الشافعون ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة اذا نزل بانسان خطب ممن يعرفه وممن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد العجب ان الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على ارادة الافراد ثم لو كان المراد الافراد لكان أعم لانه في سياق النفي فينفى الواحد فما زاد عليه الى ما لا نهاية له والله أعلم * قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي

في المغنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار (وجنود ابليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والانس * يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين * والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم * والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فان قلت) لم جمع الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذى يهمه ما أهمك فأعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع * الكرة الرجعة الى الدنيا * ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت * القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة * ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد * قيل أخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

* كان أمينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش (وأطيعون) في نصحي لكم وفي ما أدعوكم اليه من الحق (عليه) على هذا الامر وعلى ما أنا فيه يعنى دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلة جعل علة الاول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم * وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك * وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة (وما علمي) وأي شئ علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وأنهم

وبرد) قال أحمد لا حاجة الى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بان كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لانه ما من نبي الا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه الى دليل المعجزة وكذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لان التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

* قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون فى أسفارهم بالنجوم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك اذ النجوم فيها غنية عنه وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بانهم يتطاولون فى البنيان وما أحسن قول مالك رضى الله عنه ولا يصلى الامام على شئ أرفع مما عليه أصحابه كالدكاك تكون مرتفعة فى المحراب ارتفاعا كبيرا لانهم يعبثون فعبر عن ترفعهم الى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث كتعبيره هو دصلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه فى البنيان بالعبث وأما تأويل الآية على اتخاذهم الاعلام فى

لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين

لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أراذلنا بادى الرأى ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبنى جوابه على ذلك فيقول ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا فى ايمانكم وما على الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم * ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وانما أدعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك * فاحكم (بينى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات * الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسر وافعلا على فعل كما كسر وافعلا على فعل لانهما اخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام * والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا * قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

فى الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كانه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها * والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام * والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف أبى كأنكم * وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا (واذا بطشتم) بسوط أو سيف * كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب * بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد * (فان قلت) كيف قرن البنين بالانعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها * (فان قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا

الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث ان الحاجة تدعو الى ذلك لغيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا فى زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ * من قرأ خلق الاولين بالفتح فعناه أن ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فعناه ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس فى قديم الدهر أو ما هذا الذى جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون انكارا لان يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة (فيما ههنا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل * (فان قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل أول شئ كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسق جنة سحقا (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل * الطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه * والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفى طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرنى ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله فى أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لان الاناث ولادة التمر والبرنى أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره * قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة * استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى (فان قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح * المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر * الشرب النصيب من الماء نحو السقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك * عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد * وروى أن مسطعا ألجاها الى مضيق فى شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم * (فان قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى فى بعض الامور رأيا فاسدا ويبنى عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعى أو ندموا ندم تائبين ولكن فى غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد * واللام فى العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم * أراد بالعالمين الناس أى أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم فى الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعنى أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا

فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من

*قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بيانا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشري بهذه الاشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر اتيان المرأة في غير المأتى وبيانه ان من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الازواج ولاشك ان ترك الازواج مضموم الى اتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الازواج واتيان الذكران لا أن ترك الازواج وحده منكر ولو كان الامر كذلك لكان النصب في الثاني متوجها على الجمع وكان اما الافصح أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعا ولا يتفقون على ترك الافصح الى ما لا مدخل له في الفصاحة أو في الجواز أصلا فلما وضح ذلك تبين ان هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على البعضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالانكار أحدهما اتيان الذكران والثاني مجانبة اتيان النساء في المأتى رغبة في اتيانهن في غيره وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الاول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق *قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (قال أي من جملة من أخرجناه (١٣٠) ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه واشباه ذلك)

أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء

القول كل ما ينكح من الحيوان (من أزواجكم) يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم * العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة * و(من القالين) أبلغ من أن يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة * (فان قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي (فان قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان (فان قلت) (في الغابرين) صفة لها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم *وأما الامطار فعن قتادة أمطر الله على شذاذ

قال أحمد وكثيرا ما ورد في القرآن خصوصا في هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل الى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع كقول فرعون لأجعلنك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله اني لعملكم من القالين وقوله تعالى في غيرها رضوا بان يكونوا مع الخوالف وكذلك ذرنا نكن مع القاعدين وامثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم ان التعبير بالفعل انما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع فانه يفهم أمرا زائدا على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الاخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر الى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقبا رديا وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقبا لاصقا به وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فتأمله واقدره قدره والله الموفق للصواب *قوله تعالى الا عجوزا في الغابرين (قال المجرور صفة لها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم فالمعنى هذا الا عجوزا مقدرا غبورها أي في الهلاك والعذاب) قال أحمد وان تجلت برفع القاعدة الممهدة آنفا فاعلم ان السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلا الا عجوزا غابرة الى ما ذكر في المتلو هو ان المذكور في التلاوة يقتضي الاسجال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء (مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم * قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة فى هذه السورة وفى سورة ص بغير ألف وفى المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت فى هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت فى سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم * (فان قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما فى سائر المواضع (قلت) قالوا ان شعيبا لم يكن من أصحاب الايكة وفى الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذى هو الايفاء ونهى عن المحرم الذى هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهى دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى وقيل هو بالرومية العدل * يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام فى كل حق ثبت لاحد أن لا يهضم وفى كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا * يقال عثا فى الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك * وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أى ذوى الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين * (فان قلت) هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها فى قصة ثمود (قلت) اذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم * (فان قلت) ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان أعنى باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا * قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة وكسفه قطعه * والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل الى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا أنك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربى أعلم بما تعملون) يريد ان الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان أرادوا بالسماء السحاب وان أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة * (فان قلت) كيف كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت كل واحدة منها تدلى بحق فى أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الانفس وتثبيتا لها فى الصدور ألا ترى أنه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له فى القلب وأرسخ فى الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق

مطر المنذرين ان فى
ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم
كذب أصحاب الايكة
المرسلين اذ قال لهم
شعيب ألا تتقون انى
لكم رسول امين
فاتقوا الله وأطيعون
وما أسئلكم عليه من
أجر ان أجرى الا على رب
العالمين أوفوا الكيل
ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس
المستقيم ولا تبخسوا
الناس أشياءهم ولا
تعثوا فى الارض
مفسدين واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين
قالوا انما أنت من
المسحرين وما أنت الا
بشر مثلنا وان نظنك
لمن الكاذبين فأسقط
علينا كسفا من السماء
ان كنت من الصادقين
قال ربى أعلم بما تعملون
فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة انه
كان عذاب يوم عظيم
ان فى ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز
الرحيم

عادكلامه (قال) واعلم أن الآيات الاول كالمقدمات لهذه الآيات فان الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التي لا يعرفون غيرها وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه (١٣٢) لكان البيان عنده عتيدا ناجزا ومانزله على لسان عجمي قد يعتذرون بأنه لا يفهمهم ما استغلق على افهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لان التقدير عنده العلم والحق

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين

ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وانه) وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل * والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به (على قلبك) أي حفظكه وفهمك اياه وأثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربي) اما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عردت أقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (فان قلت) كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف (قلت) خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا * الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد * ولا عربيا شاقه صوت أعجما * سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى انا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه (ولو نزلناه على بعض) الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (فان قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته

ان الله تعالى أراد منهم انهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائبة عن قبول الحق لا يلجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم * قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (قال ان قلت كيف أسند السلك بصيغة التكذيب الى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا فجعله
في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه بدليل أنه أسند اليهم ترك الايمان به على عقبه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد

فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فان قلت) ماموقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع مايقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به * وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعنى الساعة وبغتة بالتحريك وفى حرف أبى ويروه بغتة (فان قلت) مامعنى التعقيب فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه فى الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسىء وأنه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع فى هذا الاسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ماهو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال فى سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل * ثم قال هب أن الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ماينفعهم حينئذ مامضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت * وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة امالان انذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير فى منذرون أى ينذرونهم ذوى تذكرة واما لانها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (فان قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون ان محمدا كاهن ومايتنزل عليه من جنس مايتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء * وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجرى الاعراب على النون وبين أن يجريه على ماقبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ فى قراءته الشياطون ظن أنها النون التى على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه * قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت فى شك مما

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك

ومايتقدم من بقائه على ظاهره الا أنه التوحيد المحض والايمان الصرف وان الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يبلغون فى التوحيد الى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

أنزلنا اليك * فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثانى أن يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت أبى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ * الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك فى رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع (فان قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفى مصاحف أهل المدينة والشأم فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته * ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة * والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم * وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع

لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون

والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا

أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم وترى أكثرما يحكمون به باطلا وزورا وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب (فان قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه أن الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * فاذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فان قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال أى تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (فان قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ماقضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون الا بالافك فاراد أن هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه (فان قلت) وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجىء بهن وتطرية ذكر مافيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشىء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه (والشعراء) مبتدأ و(يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وماهم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع ابن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد * ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البرى ويفسقوا التقى وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون * استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة ومالا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ماهو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له ان صدرى ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح

﴿القول في سورة النمل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حق (١٣٦) الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد ان ايقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر له في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشر الا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب وجها سوى الحصر واما وجه

الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لا كباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون﴾

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم

(طس) قرئ بالتفخيم والامالة و (تلك) اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه (فان قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر (فان قلت) ما وجه عطفه على القرآن اذا أريد به القرآن (قلت) كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك آي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (فان قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا (فان قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطري ذكره ليليه الخبر ولم يفت مقصود العناية بالمجرور حيث بقي على حاله مقدما ولا يستنكر ان تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب التطرية فاقرب منها ان الشاعر قال ﴿فان

(٣) سل وجل ذو أحقاد بذال * الشحم انا قد مللناه بجل

والاضل والحقنابذا الشحم فوقع منتصف الرجز أومنتهاه على القول بان مشطور الرجز بيت كامل عند اللام و بنى الشاعر على انه لابد عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة ما فقدر بتلك الوقفة بعدا بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه التطرية لم تتوقف على أن يحول بين الاول و بين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمل هذا الفصل فانه جدير بالتأمل والله أعلم * قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (قال ان قلت كيف أسند التزيين الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت ان بين الاسنادين فرقا فالاسناد الى الله مجاز والى (١٣٧) الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن ان المراد زينا لهم أعمال البر فعمهوا عنها ولم يهتدوا الى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبنى على القاعدة الفاسدة فى ايجاب رعاية الصلاح والاصلح وامتناع ان يخلق الله تعالى للعبد الا ما هو مصلحة فمن

سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها

*(فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان فى علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة والثانى أن يكون من المجاز الحكمى فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثانى أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمى يصححه بعض الملابسات وقيل هى أعمال الخير التى وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن * والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين فى أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر *و(الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من) عند أى (حكيم) وأى (عليم) وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم * وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا * الشهاب الشعلة * والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس * والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله (فان قلت) سآتيكم منها بخبر ولعلى آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجى اذا قوى رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فان قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لاهله أنه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فان قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هى المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لانه لا بد من قد (فان قلت) فعلى اضمارها (قلت) لا يصح لانها علامة لا تحذف * ومعنى (بورك من فى النار ومن حولها) بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى حصلت فيها وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن

ثم جعل اسناد التزيين الى الله تعالى مجازا والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب وتأمل ميله الى التأويل الآخر من ان المراد أعمال البر على بعده لانه لا يعرض لقاعدته بالنقص وانى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على ان التزيين قد ورد فى الخبر فى قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم على ان غالب وروده فى غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين ومما يبعد حمله على اعمال البر اضافة الاعمال اليهم فى قوله اعمالهم واعمال البر ليست مضافة اليهم لانهم لم يعملوها قط فظاهر الاضافة يعطى ذلك ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان فاطلق الايمان فى المكانين عن اضافته اليهم لانه لم يصدر منهم وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لانه صدر منهم والله اعلم

فى البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبى تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذى بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد فى بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير فى أقاصيها ويبث آثار يمنه فى أباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذى جرى فى تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهى مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى اليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فان قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه فى أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن * الهاء فى (انه) يجوز أن يكون ضمير الشان والشان (أنا الله) مبتدأ وخبر و (العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا الى مادل عليه ما قبله يعنى أن مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوى القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير * (فان قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لان المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر * وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد فى الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه (انى لا يخاف لدى المرسلون) و (الا) بمعنى لكن لانه لما أطلق نفى الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى * والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبى عمرو فى رواية عصمة حسنا (فى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (الى فرعون) ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم * المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد ابصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهما وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر * الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة * والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا

وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان

وقومهما

وقومهم الناعابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا * وفائدة ذكر الانفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا * (فان قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) * والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر * وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشهير النعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الامور * والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما أصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس * وأراد بقوله (من كل شئ) كثرة ما أوتى كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا (فان قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بان يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب * روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على

وكما يرد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفا في قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والغرض من التنكير التفخيم كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما في سياق الامتنان تعظيم

علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم

العلم الذى أوتياه كأنه قال علما أي علم وهو كذلك فان علمهما كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذى خصهما الله تعالى به وكل علم بالاضافة الى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم * قوله تعالى وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بخلا نعمة الله عليهما من حيث قولهما فضلنا وتواضعا بقولهما على كثير ولم يقولا على عباده اعترافا بان غيرهما يفضلهما حذرا من الترفع

الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة *قيل هو واد بالشأم كثير النمل (فان قلت) لم عدى أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب *ولشد ما قربت عليك الانجم* لما كان قربا من فوق والثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم *وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى *وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم *ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فان قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للامر وأن يكون نهيا بدلا من الامر والذى جوز أن يكون بدلا منه أنه فى معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسى ومن اشفاقها *ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى أنه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم السلام وأما ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ما وجد منه من الضحك النبوى والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فان قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شيآن اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعنى أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى *وحقيقة أوزعنى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفك شاكرا لك *وانما أدرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا

* قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التى كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل كيف لك ذلك قال لان الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لا أدرى العجب منه أم من أبى حنيفة ان يثبت ذلك عنه وذلك ان النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لانه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة

يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه

أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن ان تؤنث لاجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعنى الاناث من الانعام خاصة فحينئذ النعمة قوله تعالى قالت نملة روعى فيه تأنيث اللفظ واما المعنى فيحتمل على حد سواء وانما أطلت فى هذا وان كان لا يتمشى عليه حكم لانه نسبه الى الامام أبى حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا النعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم قرر الكلام على ما هو

النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا
رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة * ومعنى (وأدخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين) واجعلنى من أهل الجنة * أم هى المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالى لا أرى) ه
على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو
غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء
بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة
وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى
صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء
وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجىء الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط
اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف
قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على
رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم
قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله
الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى
قالت بلى قال أو ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له
فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
* تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه
ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه
خدمة أقرانه (فان قلت) من أين حل له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من
المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من
أجله الا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به * وقرئ ليأتيننى وليأتين * والسلطان الحجة
والعذر (فان قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على
فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتى بسلطان حتى يقول والله ليأتينى بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو فى
الحكم الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين
وحى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتينى بسلطان مبين عن دراية وايقان (فمكث) قرئ
بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه
خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله
تعالى (أحطت) بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على
ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على
أن فى أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له
فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والاحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى
منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم
منه * سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا
أيدى سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى أو

وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به

عليه مصونا له فيا لله العجب العجاب والله الموفق للصواب

الاب الاكبر صرف قال　من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما
وقال　الواردون وتيم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذى له شأن * وقوله (من سبإ بنبإ) من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجىء مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبإ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبا فان أريد به القوم فالامر ظاهر وان أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها * وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز أن يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شىء كما يكون لبعض أمراء الاطراف شىء لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله (فان قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شىء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شىء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا الى ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد (فان قلت) كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب * (فان قلت) من أين للهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له * من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال * ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى * وفى حرف عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفى قراءة أبى ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون * وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه * وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة * وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفى اخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى السموات والارض

وجئتك من سبإ بنبإ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال

جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا أم فى احداهما (قلت) هى واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها واحدى القراءتين أمر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا فى سجدة ص فهى عند أبى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج وماذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه (فان قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وان شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم (فان قلت) كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله فى الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض *وقرئ العظيمُ بالرفع (سننظر) من النظر الذى هو التأمل والتصفح *وأراد أصدقت أم كذبت الا أن كنت من الكاذبين أبلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب اليها وتوارى فى الكوة (فان قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع (قلت) لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم *هو استئناف وتبيين لما ألقى اليها كانها لما قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على انى وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كانه قيل ألقى الى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبىّ أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن فى (ألا تعلوا) مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين *الفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه قاضية *أى لا أبت أمرا الا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف *أرادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد *وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك)

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين

---

*قوله تعالى قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت الان عبارة الآية أبلغ لانه اذا كان معروفا بالكذب اتهم فى جملة اخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا مما نبهت عليه فى سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذى هو أم كذبت وعن مجرد صفته فى قوله أم كنت كاذبا الى جعله واحدا من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ فى مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

أى هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرنا بأمرك نطعك ولا نخالفك * كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك * لما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأى الميل الى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ(أن الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) أى خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة * وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التى لا تتغير لأنها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون فى الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكى (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبى ومالنا به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف * وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فلما جاؤا (أتمدوننى) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتحاجونى وبنون واحدة أتمدونى * الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه * والمعنى أن ما عندى خير مما عندكم وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك (تفرحون) بما تزادون ويهدى اليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية (فان قلت) ما الفرق بين قولك أتمدنى بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت) اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه الى امداده كأنى أقول له أنكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه وعليه ورد قوله فما آتانى الله (فان قلت) فما وجه الاضراب (قلت) لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها

قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

ويجوز

ويجوز أن تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كانه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر (لا قبل) لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير فى منها لسبأ * والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا * يروى أنها أمرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها * وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو ياحى ياقيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت وقيل ياذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه الخضر عليه السلام * علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف فى نحو قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) أنك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشأم بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجئ به كما تقول لصاحبك افعل كذا فى لحظة وفى ردة طرف والتفت ترنى وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقاص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا (غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته والذى قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله * وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس * هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا

ارجع اليهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها أذلة
وهم صاغرون قال يا أيها
الملأ أيكم يأتينى بعرشها
قبل أن يأتونى مسلمين
قال عفريت من الجن
أنا آتيك به قبل أن
تقوم من مقامك وانى
عليه لقوى أمين قال
الذى عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد اليك
طرفك فلما رآه مستقرا
عنده قال هذا من فضل
ربى ليبلونى أأشكر أم
أكفر ومن شكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر
فان ربى غنى كريم قال
نكروا لها عرشها ننظر
أتهتدى أم تكون من
الذين لا يهتدون فلما
جاءت قيل أهكذا
عرشك قالت كأنه هو

فـ(قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فان قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذى سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التى تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكر الله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهرانى الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعنى ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل * وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لانها * الصرح القصر وقيل صحن الدار * وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد * والممرد المملس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها (انه صرح ممرد من قوارير) وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان (ظلمت نفسى) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها فى اللجة فقالت ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام * وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معى * السيئة العقوبة والحسنة التوبة (فان قلت) ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التى يعدها صالح عليه السلام ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم * ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه * كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد

وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك

* قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل) (١٤٦) قال أحمد وفى قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بان تقول هكذا هو نكتة حسنة ولعل قائلا يقول كلا العبارتين تشبيه اذ كاف التشبيه فيهما جميعا وان كانت فى احداهما داخلة على اسم الاشارة وفى الاخرى داخلة على المضمر وكلاهما أعنى اسم الاشارة والمضمر واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوى العبارتان فى المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال فلا بد فى اختيار كأنه هو من حكمة فنقول حكمته والله أعلم ان كأنه هى عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه فى التغاير بين الامرين فكاد يقول هو هو وتلك حال بلقيس وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغاير الامرين حاكم بوقوع الشبهة بينهما لا غير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة فى التلاوة لمطابقتها حالها والله أعلم وقول الزمخشرى ولا لبس به وان كان من قوله فوهم والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

* قوله تعالى لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون (قال فيه ان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله وجمعوا بين البياتين جميعا الا أحدهما كانوا صادقين وفى هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق حيلة يتصفون بها عن الكذب) قال أحمد وحيلة الزمخشرى لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم التى سماها الله تعالى مكرا الان غرضه من تمهيد حيلتهم ان يستشهد على صحة القاعدة المذكورة فى موافقة قوم لوط عليها اذ استقبحوا الكذب بعقولهم لا بالشرع وأنى يتم له ذلك أولهم وهم كاذبون صريح الكذب فى قولهم ماشهدنا مهلك أهله وذلك انهم فعلوا الامرين ومن فعل الامرين يجحد فعل أحدهما لم يكن فى فريته مرية وانما كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمرا فادعى عليهم فعل أمرين فجحدوا المجموع ومن ثم لم تختلف العلماء فى ان من حلف لا أضرب زيدا فضرب زيدا وعمرا كان حانثا بخلاف الحالف لا أضرب زيدا وعمرا ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فان مثل هذا محل خلاف العلماء فى الحنث وعدمه فاذا تمهد أن هؤلاء كاذبون صراحا فى قولهم ماشهدنا مهلك أهله وانه لا حيلة لهم فى الخلاص من الكذب فلا يخلو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطؤن على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بانها ليست حيلة ولا شبهة لقرب جحدهم من الصدق فيبطل ماقال الزمخشرى لاثبات قاعدة دينه على زعمه اذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد القدرية بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها بحسبه مارضى به لدينه والسلام

قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذى تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أى تشاءمنا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة (المدينة) الحجر * وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه فى معنى الجماعة فكانه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعنى أن شأنهم الافساد البحت الذى لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمرا وخبرا فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا * وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر * وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان * (فان قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه (قلت) كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ماشهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا الا أحدهما وفى هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق فى خبرهم حيلة يتصفون بها عن الكذب * مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (انا دمرناهم) استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدا محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية)

حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف (و) اذكر (لوطا) أو
أرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه * واذ بدل على الاول ظرف على الثانى (وأنتم تبصرون) من بصر القلب
أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى
فهى مضادة لله فى حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل فى القبح والسماجة وفيه دليل على أن
القبيح من الله أقبح منه من عباده لانه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا
فى ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية وكأن أبا نواس
بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تأتى وذرنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون)
فكيف يكونون علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة
أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها (فان قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة
والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة * وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة
أحسن (يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن
عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا انها لمن الغابرين
فالتقدير واقع على الغبور فى المعنى * أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين
على وحدانيته وقدرته على كل شئ وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده
وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على
قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء
والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام
كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفى مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم فى
الفتوح والتهانى وغير ذلك من الحوادث التى لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين
من كفار الامم والصلاة على الانبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن
يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم * معلوم
أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت
وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى
ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى
وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التميز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الايثار يجب
أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى
مثل أنهاره التى كانت تجرى تحته * ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله
كما عددها فى موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وقرئ يشركون بالياء
والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم
(فان قلت) ما الفرق بين أم وأم فى أم ما تشركون وأمن خلق (قلت) تلك متصلة لان المعنى أيهما خير
وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال آلله تعالى الله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وقرأ الاعمش
أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والارض خير أم ما تشركون
* (فان قلت) أى نكتة فى نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته فى قوله فأنبتنا (قلت)
تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان
والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ألا ترى كيف رشح

ولوطا اذ قال لقومه
أتأتون الفاحشة وأنتم
تبصرون أئنكم لتأتون
الرجال شهوة من دون
النساء بل أنتم قوم
تجهلون فما كان جواب
قومه الا أن قالوا
أخرجوا آل لوط من
قريتكم انهم أناس
يتطهرون فأنجيناه
وأهله الا امرأته
قدرناها من الغابرين
وأمطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين
قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين
اصطفى آلله خير أما
تشركون أمن خلق
السموات والارض
وأنزل لكم من السماء
ماء فأنبتنا به حدائق

* قوله تعالى آلله خير
أما تشركون (قال فيه
معلوم أن لا خير فيما
أشركوه حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق
كل خير ومالكه وانما هو
الزام لهم وتبكيت) قال
أحمد كلام مرضى بعد
ان تضع خالق كل شئ
مكان قوله خالق كل
خير فانه تخصيص
قدرى أو اشراك خفى
والتوحيد الابلج
ما قلناه والله سبحانه
وتعالى أعلم

معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتى ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم * والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكاله وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمهما حكمه (قرارا) دحاها وسوّاها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا * الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر (فان قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الاجابة موقوفة على أن يكون المدعوّ به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى اجابته مصلحة فبطل المتناول على العموم (خلفاء الارض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط * وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفى (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر * (فان قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للاعادة (قلت) قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (من السماء) الماء (و) من (الارض) النبات (ان كنتم صادقين) أن مع الله الها فأين دليلكم عليه * (فان قلت) لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن فى السموات والارض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار أحد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله

عشية ما تغنى الرماح مكانها * ولا النبل الا المشرفى المصمم

وقولهم ما أتانى زيد الا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه (فان قلت) ما الداعى الى اختيار المذهب التميمى على الحجازى (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى ان علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما فى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الانيس (فان قلت) هلا زعمت ان الله ممن فى السموات والارض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى ان علمه فى الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من فى السموات والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة * وقرئ

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم

* قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه (قال ان قلت فكم من مضطر لا يجاب قلت الاجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب ان الاجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وانما تقف الاجابة على المصلحة عند القدرية لايجابهم على الله تعالى رعاية المصالح فقول الزمخشرى لا يحسن الدعاء من العبد الا شارطا فيه المصلحة فاسد فان المشيئة شرط فى اجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى ان شئت

بل أدرك بل ادرك بل اداركُ بل تداركَ بل أأدرك بهمزتين بل آ أدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف
والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك
أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وادرك افتعل ومعنى أدرك
علمهم انتهى وتكامل وادّرك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيامة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم
فى شك منها بل هم منها عمون * يريد المشركين ممن فى السموات والارض لانهم لما كانوا فى جملتهم نسب فعلهم
الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم (فان قلت) ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم
الغيب وأن العباد لا علم لهم بشئ منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف
لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت)
لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم
ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذى لا بد أن يكون وهو
وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثانى أن وصفهم
باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا
عن اثباته الذى الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لا طريق الى معرفته وفى أدرك
علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها
التى عندها تعدم وقد فسره الحسن رضى الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى
الهلاك (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لانها أم التى بمعنى بل والهمزة (فان قلت) فمن قرأ بلى أدرك
وبلى أأدرك (قلت) لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك
علمهم فى الآخرة على سبيل التهكم الذى معناه المبالغة فى نفى العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم
لا يعلمون كونها فيرجع الى نفى الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى
يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم
بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (فى الآخرة) فى شأن الآخرة ومعناها (فان قلت) هذه الاضرابات
الثلاثة ما معناها (قلت) ما هى الا تنزيل لاحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ألا ترى أن من لم
يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به
طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه
بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون * العامل فى اذا
ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدى عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهى همزة الاستفهام وانّ ولام
الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى الحياة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وانّ جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر
مؤكد مبالغ فيه والضمير فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم * (فان قلت) قدم فى هذه
الآية هذا على نحن وآباؤنا وفى آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو
الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام انما سيق لاجله ففى احدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذى
تعمد بالكلام وفى الاخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد * لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان
تأنيثها غير حقيقى ولان المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ

فى الآخرة بل هم فى
شك منها بل هم منها
عمون وقال الذين كفرو
أئذا كنا ترابا وآباؤنا
أئنا لمخرجون لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من
قبل ان هذا الا أساطير
الاولين قل سيروا فى
الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المجرمين

الاجرام ليكون لطفا للمسلمين فى ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (فى ضيق) فى حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد فى أمر ضيق من مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون) ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال

فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق

يعنى دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل فى قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش * قرئ تكن يقال كننت الشئ وأكننته اذا سترته وأخفيته يعنى أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمى الشئ الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها فى العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة * قد اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فان قلت) ما معنى يقضى بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين * أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الابلج الذى لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل (فان قلت) (انك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالاذى والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل (فان قلت) ما معنى قوله (اذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعى بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته * وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادى العمى على الاصل وتهدى العمى وعن ابن مسعود وما ان تهدى العمى وهداه عن الضلال كقولك

ولا تحزن عليهم ولا
تكن فى ضيق مما
يمكرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل عسى أن
يكون ردف لكم بعض
الذى تستعجلون وان
ربك لذو فضل على
الناس ولكن أكثرهم
لا يشكرون وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون وما من
غائبة فى السماء والارض
الا فى كتاب مبين ان
هذا القرآن يقص على
بنى اسرائيل أكثر
الذى هم فيه يختلفون
وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ان ربك يقضى
بينهم بحكمه وهو
العزيز العليم فتوكل
على الله انك على الحق
المبين انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما أنت بهادى العمى
عن ضلالتهم

سقاه عن العيمة أى أبعده عنها بالسقى وأبعده عن الضلال بالهدى (ان تسمع) أى ما يجدى اسماعك الا على
الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) أى مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه
لله يعنى جعله سالما لله خالصا له * سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب
ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة * ودابة الارض الجساسة
جاء فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى لها أربع قوائم وزغب
وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة
وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم
عليه السلام وروى لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة فيها
من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن
على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها
تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس
فى أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان
ذلق فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعنى أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجى لان خروجها
من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام
وعن ابن عمر رضى الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشأم ثم اليمن
فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا
موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة
بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين
عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر
وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان
أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون
تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أى مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على
أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة على رضى الله عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبى تنبئهم
وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما
لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك أو هى حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فان قلت)
اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات
ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض
خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أى تكلمهم بأن
(فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد
أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى
يدخلون فى دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار (فان قلت) أى فرق بين من
الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان * الواو للحال كأنه قال
أكذبتم بها بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق

ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون
واذا وقع القول عليهم
أخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم أن
الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون ويوم نحشر
من كل أمة فوجا ممن
يكذب بآياتنا فهم
يوزعون حتى اذا جاؤا
قال أكذبتم بآياتى ولم
تحيطوا بها علما

أو بالتكذيب أو للعطف أى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بها للتبكيت لاغير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعى سوء أتأكل نعمى أم ماذا تعمل بها فتجعل ماتبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذى صح عندك من أكله وفساده وترمى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لايعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لايجىء منه الا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل فى الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعنى أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الابصار للنهار وهو لاهله (فان قلت) ما للتقابل لم يراع فى قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب * (فان قلت) لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهى الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لامحالة واقع على أهل السموات والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله * وقرئ اتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد فى مكانه اذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد (وهى تمر) مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لاتكاد تتبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذى أتقن كل شئ) يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كانما أفرغ افراغا واحدا ولامر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغى أن يكون الا كما قد كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كل شئ ومن أحسن من الله صبغة لايخلف الله الميعاد لاتبديل لخلق الله * وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الاضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة * وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه أضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين

أم ماذا كنتم تعملون
ووقع القول عليهم بما
ظلموا فهم لا ينطقون
ألم يروا أنا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان فى ذلك
لآيات لقوم يؤمنون
ويوم ينفخ فى الصور
ففزع من فى السموات
ومن فى الارض الا
من شاء الله وكل أتوه
داخرين وترى الجبال
تحسبها جامدة وهى
تمر مر السحاب صنع
الله الذى أتقن كل شئ
انه خبير بما تفعلون
من جاء بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع
يومئذ آمنون ومن
جاء بالسيئة فكبت
وجوههم فى النار

* قوله تعالى انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ (قال فيه المراد بالبلدة مكة واضافة اسم الله تعالى اليها التشريفها وذكر تحريمها لانه أخص أوصافها وأسنده الى ذاته تأكيد التشرفها ثم قال وله كل شئ فجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفى ذلك اشارة الى أن مالكا قد ملك هذه البلدة المكرمة وملك اليها كل شئ انه لعظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شئ فائدة أخرى سوى ذلك وهى انه لما أضاف اسمه الى البلدة المخصوصة تشريفا لها أتبع ذلك اضافة كل شئ سواها الى ملكه قطعا لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار اليها وتنبيها على ان الاضافة الاولى انما قصد بها التشريف لا لانها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم

هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق

فزع (فان قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الاول هو ما لا يخلو منه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية وأما الثانى فالخوف من العذاب (فان قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضى ذلك وفى الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار * أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله * وقيل السيئة الاشراك * يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا فى النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه ايذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول * أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك * والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال انى أعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت وأشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه * ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن * وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك اشارة الى أن مالكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شئ اللهم بارك لنا فى سكناها وآمنا فيها شر كل ذى شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التى حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبى وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الانداد عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل) ولم يتبعنى فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ * ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التى تلجئهم الى المعرفة والاقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة عن الحسن وعن الكلبى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم الآية * وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين * قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(من نبا موسى وفرعون) مفعول نتلو أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كقوله تنبت بالدهن

* قوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون (قال فيه لان العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم (لقوم) وايهام ان سلبها داخل فى تنزيه الله تعالى لانه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا بعلم والحق ان استحالة الغفلة عليه تعالى لان علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض بل هو علم قديم أزلى عام التعلق بجميع الواجبات والممكنات والممتنعات

(لقوم يؤمنون) لمن سبق فى علمنا أنه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا فى الارض) يعنى أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الاعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها * حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يتسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط * والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل * وسبب ذبح الابناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل و (يستضعف) حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و (يذبح) بدل من يستضعف وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب * (فان قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد (قلت) هى جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فان قلت) كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا أراد الله شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة الى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم * مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم فى الارض وهى أرض مصر والشأم أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم * وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أى يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم * اليم البحر قيل هو نيل مصر * (فان قلت) ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثانى فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف * (فان قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى الله اليها فألقته فى اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله * اللام فى (ليكون) هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة

لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما

ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتبنى غيران ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجىء والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطا * روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لاتبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لالى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيماء النجابة المؤذنة بكونه نفاعا * أو نتبناه فانه أهل للتبنى ولان يكون ولدا لبعض الملوك (فان قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما ذو حالها (قلت) ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطا عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أى جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ فرعا أى خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر يعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدى به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى بأنه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه * وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره * وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه أى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشئ فقد منعه ألا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع

كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع

أوجمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى أمها بامرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فان قلت) كيف حل لها أن تأخذ الاجر على ارضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى انها حين ألقت التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجرى ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع فى يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الاصلى الذى ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه كما قال لقيط Kitab al aghani XX. 24

واستحملوا أمركم لله دركمو * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبى الا على رأس أربعين سنة * العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه * المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر * وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل * وقرأ سيبويه فاستعانه (من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل وقيل هو السامرى (من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون * والوكز الدفع بأطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله * (فان قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه (قلت) لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت على) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وان يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من أدت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلى المؤدية الى القتل الذى لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى يعنى لم يقل فلن أكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان أخى يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعنى من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسرى قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفى الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى به فى جهنم وقيل معناه بما أنعمت على من القوة فلن أستعملها الا فى مظاهرة أوليائك

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روى انهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت انما أردت وهم للملك فرعون ناصحون

من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح فى المدينة خائفا

فخلصت من التهمة) قال أحمد أوردت هذه التورية استحسانا لفطنتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبى فحقيق لها ذلك * قوله تعالى قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين (قال) ٣ فيه لقد تبرأ من عظيم لان ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده ويروى انه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم

وأهل طاعتك والايمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بنى اسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار وما يقال فيه * ووصف الاسرائيلى بالغى لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يبطش بالضم * والذى هو عدو لهما القبطى لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا أعداء بنى اسرائيل * والجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى أحسن وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث فى المدينة ورقى الى فرعون وهموا بقتله * قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و(يسعى) يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز فى يسعى الا الوصف * والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له فى الطريق أوان يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه * و(سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين (ماء مدين) ماءهم الذى يستقون منه وكان بئرا فيما روى * وورود مجيئه والوصول اليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم * والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أى مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمى المشؤن شأنا فى قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده * وقرئ لا نسقى ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما وروى ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروى انه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص أمره وما أوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب فى الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم (فان قلت) لم ترك المفعول غير مذكور فى قوله يسقون وتذودان ولا نسقى (قلت) لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقى لا المسقى (فان قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا اليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فان قلت) كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقى الماشية (قلت) الامر فى نفسه ليس بمحظور فالدين

لا

ايقة أو برى أهم فلما
فيه علون فى تابوت من
حديد ويلقى بهم فى النار

٣ يترقب فاذا الذى
استنصره بالامس
يستصرخه قال له
موسى انك لغوى مبين
فلما أن أراد أن يبطش
بالذى هو عدو لهما قال
ياموسى أتريد أن تقتلنى
كما قتلت نفسا بالامس
ان تريد الا أن تكون
جبارا فى الارض وما
تريد أن تكون من
المصلحين وجاء رجل
من أقصى المدينة
يسعى قال ياموسى ان
الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك فاخرج انى
لك من الناصحين فخرج
منها خائفا يترقب قال
رب نجنى من القوم
الظالمين ولما توجه
تلقاء مدين قال عسى
ربى أن يهدينى سواء
السبيل ولما ورد ماء
مدين وجد عليه أمة
من الناس يسقون
ووجد من دونهم
امرأتين تذودان قال
ما خطبكما قالتا لا نسقى
حتى يصدر الرعاء وأبونا
شيخ كبير فسقى لهما ثم
تولى الى الظل فقال رب

لابأباه وأما المروأة فالناس مختلفون فى ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (انى) لاى شئ (أنزلت الى) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تترا أى فى بطنه من الهزال ماسأل الله الا أكلة ويحتمل أن يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له * وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) فى موضع الحال أى مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق * فلما قص عليه قصته قال له لاتخف فلاسلطان لفرعون بأرضنا (فان قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وان يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى فى الاخبار وما كانت الا مخبرة عن أبيها بانه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فان قلت) كيف صح له أخذ الاجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل أخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصا فى دار نبى من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك * والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص * كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى أبيها ان يستأجره وهى التى تزوجها * وعن ابن عباس ان شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه وقولها (ان خير من استأجرت القوى الامين) كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعنى الكفاية والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى ساقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وأمانته (فان قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوى الامين خبرا (قلت) هو مثل قوله

ألا ان خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فى ان العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر * روى انه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على انه كانت له غيرهما (تأجرنى) من أجرته اذا كنت له أجيرا كقولك أبوته اذا كنت له أبا و(ثمانى حجج) ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه ومنه تعزيه رسول الله

* قوله تعالى قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت القوة والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى ساقته سياق المثل والحكم عن أن تقول فانه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل فى مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة (١٥٩) وخصوصا ان كانت فهمت ان غرض أبيها عليه السلام أن يزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق رضى الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو الى الله ضعف الامين وخيانة القوى ففى مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى

انى لما أنزلت الى من خير فقير فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج

أن يتحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده رضى الله عنه وهذا الايهام من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والمستعمل * ليس التكحل فى العينين كالكحل * حيث قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم وهى تعنى ما جزاء يوسف بما أراد فى من السوء الا أن تسجنه أو تعذبه عذابا أليما ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوبا اليها الخنا ايذانا بان هذا الحياء منها الذى يمنعها أن تنطق بهذا الامر يمنعها من مراودة يوسف بطريق الاحرى والاولى والله أعلم

صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فان قلت) كيف صح أن ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقد الانكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقد القال قد أنكحتك ولم يقل انى أريد أن أنكحك (فان قلت) فكيف صح أن يمهرها اجارة نفسه فى رعية الغنم ولابد من تسليم ماهو مال ألا ترى الى أبى حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بان يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الامر على مذهب أبى حنيفة على ماذكرت وأما الشافعى فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيأ آخر وانما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى أفعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فان أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وايجابه (فان قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر (قلت) حقيقته أن الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الاوقات والمداقة فى استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بينى وبينك) خبره وهو اشارة الى ماعاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك * ثم قال أى أجل من الاجلين قضيت أطولهما الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه (فان قلت) تصور العدوان انما هو فى أحد الاجلين الذى هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما انى ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه ثابت مستقر وأن الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما فى القضاء وأما التتمة فموكولة الى رأيى ان شئت أتيت بها والا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه كقولك لا اثم على ولا تبعة على وفى قراءة ابن مسعود أى الاجلين ماقضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فان قلت) ما الفرق بين موقعى ما المزيدة فى القراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة مؤكدة لابهام أى زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أى الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتى له * الوكيل الذى وكل اليه الامر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدى بعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان

مكفوفا

فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست

---

* قوله تعالى على أن تأجرنى ثمانى حجج (نقل من مذهب أبى حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وفرق بانه فى الاولى سلم نفسه وليس بمال وفى الثانية سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعى جواز النكاح على المنافع المعلومة مطلقا) قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعجب من اجازة أبى حنيفة النكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع ان الآية اجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذلك الا لترجيح المعنى الذى أشار اليه الزمخشرى أو تفريعا على أن لا دليل فى شرع من قبلنا أو غير ذلك والله أعلم

نار لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب

مكفو فافضن بها فقال غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت * الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها

* من الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة * و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم * وقرئ البقعة بالضم والفتح * والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فان قلت) ما معنى قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) (قلت) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثانى أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب (فان قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية

وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمى لها (فذانك) قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فان قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها * يقال ردأته أعنته والردء اسم مايعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

وردئ كل أبيض مشرفي * شحيذ الحد عضب ذي فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب (ردأ يصدقنى) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء (فان قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وانما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى الى قوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فأسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله انى أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردأ يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقنى * العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

أبنى لبينى لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد

ويقال فى دعاء الخير شد الله عضدك وفى ضده فت الله فى عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به ونعينك فاما أن يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة (سلطانا) غلبة وتسلطا أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أى تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (فى آبائنا) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون و (عاقبة الدار) هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فان قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها

فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى انى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى

* قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال) العاقبة هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد الدنيا وعاقبتها أن يختم للانسان فيها بالرحمة والرضوان وتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح

أن تسمى عاقبة لان الدنيا اما أن تكون خاتمتها خيرا أو شرا فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لان الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازا للآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا الا الخير وما خلقهم الا لاجله كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمن عمل فى الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لان عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لانها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به فى هذا المقام والقدر الذى يحتاج الى تجديده ههنا ان استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هى المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معارض بامثال فى أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقا كثيرا من الثقلين ومن ذلك ما روى عن الفاروق رضى الله عنه انه قال وانكم آل المغيرة ذرأ النار أى خلقها فلئن دلت آية الذاريات ظاهرا على أن الله تعالى انما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الاعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الاخرى وان المراد وما خلقت السعداء من الثقلين الا للعبادة جمعا بين الادلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجىء العاقبة المطلقة كثيرا وارادة الخير بها ان الله تعالى هدى الناس اليها

ووعدهم ماورد فى سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الاليم وركب فيهم عقولا ترشدهم الى عاقبة الخير ومكنهم منها وأزاح عللهم ووفر دواعيهم فكان من حقهم أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تقريبا على ذلك والله أعلم والحاصل انها لما كانت هى المأمور بها والمحضوض عليها عوملت معاملة ما هو مراد وان لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال لى بعضهم ما يمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هى عاقبة الخير من اطلاقها ولكن من اضافتها الى ذويها باللام فى الآى المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام انها عاقبة الخير اذ هى لهم وعاقبة السوء عليهم لا لهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لى فى ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على ايفاء الاستدلال باللام على ارادة عاقبة الخير والله أعلم * قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى الآية (قال عبر عن نفى المعلوم بنفى العلم وانما كان كذلك لان العلم لا يتعلق بالمعلوم الا على ما هو عليه ان موجودا فوجودا وان معدوما فمعدوم فمن ثم عبر عن نفى كونه موجودا بنفى كونه معلوما) قال أحمد لشدة ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وانما أتى من حيث ان الله تعالى عبر كثيرا عن نفى المعلوم بنفى العلم فى مثل قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفى المعلوم بنفى العلم يشمل كل علم ولم يتعلق بالمعلوم على ما هو به وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ الا فى علم الله تعالى لامر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجودا اذ لو كان موجودا لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفى الشىء ونفى العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فان بين نفى معلومه ونفى تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور ولكن

الله له فقد حرف فاذا عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما فى مصاحف أهل مكة وهى قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء * وقرئ تكون بالتاء والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان البانى لا يقدر أن يقوم على رأسه يبنى فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك ويروى فى هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته * قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده معناه ما لكم من اله غيرى كما قال الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشىء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون

المعلوم أن فرعون كان يدعى الالهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى فى أنه لا يعزب عنه شئ فمن ثم طغى وتكبر وعبر بنفى علمه عن نفى المعلوم تدليسا على ملئه وتلبيسا على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاظمه هذا قوله فأوقد لى ياهامان على الطين ولم يقل فاطبخ لى آجرا وذلك من التعاظم كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى بردائهما قصمه وعما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لانواع الكفر على وجه الكبرياء تهاونا بها وذلك من تجبر الملوك جل الله وعز ومن تعاظم فرعون أيضا نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الامر وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجحود قال الزمخشرى وذلك مناقض لما أظهر من ١٢٤ الجد الجازم فى قوله ما علمت لكم من اله غيرى فاما أن يخفى هذا التناقض على قومه لغباوتهم وكآبة أذهانهم واما أن يتفطنوا ولها و يخافوا نقمته فيصروا قال أحد ولقائل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من اله غيرى على الشك ونفى علمه خاصة واجرائه مجرى سائر علوم الخلق

فى انه لا يلزم من نفى تعلقه بوجود أمر نفى ذلك الامر لجواز أن يكون موجودا عازبا عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضا ولو لم يكن حمله هذا هو الاصل لما سوغنا ان يرفع التناقض عن كلامه لانه أحقر من من ذلك * عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم مقابلة لاستكباره بفعل عبر عنه بما صورته أخذ حصيات ممتهنات ثم نبذها أى طرحها فى اليم بهوان فذلك تمثيل لاستهانته به واهلاكه بهذا النوع من الهلاك والله أعلم * قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة الى النار كما تقول جعلته بخيلا فاسقا اذا دعوته بذلك) قال أحمد لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فرارا من اعتقاد ان دعاءهم الى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية فى قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فرارا من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفى مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفى كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك

فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار

بدليل قوله وانى لأظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه السلام كاذبا فى اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب فى بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى عليه السلام وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه فى مكان كما كان هو فى مكان وأنه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد فى عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الارض ولا ترى بينة أثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعرى أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان فى نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكى من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول فى غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله * فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أولم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال (أوقد لى ياهامان على الطين) ولم يقل اطبخ لى الآجر واتخذه لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضى الله عنه أنه حين سافر الى الشأم ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون * والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى * الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام الفخم الذى دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسى شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هى الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته (فان قلت) ما معنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) (قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة الى النار وقلنا انهم أئمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة الى الجنة وهو

* قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (قال معناه ارادة تذكرهم لان الارادة تشبه الترجى فاستعير لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثانى هو الصواب واحذر الاول فانه قدرى * قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (قال لولا الاولى ١٦٥ امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الاولى عاطفة الثانية جواب جواب والمعنى لولا انهم قائلون

ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته (فان قلت) فأى فائدة فى ترك المردوف الى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لاثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم فى الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) ارادة أن يتذكروا شبهت الارادة بالترجى فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربى) المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له فى الالواح * والامر المقضى الى موسى عليه السلام الوحى الذى أوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذى أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام فى ميقاته وكتبه التوراة له فى الالواح وغير ذلك * (فان قلت) كيف يتصل قوله (ولكنا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أى وجه يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم (العمر) أى أمد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحينا اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل فى اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه * ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (اذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه و (لكن) علمناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أى هى رحمة (ما أتاهم) من نذير فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم * (لولا) الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها فى حكم الامر من قبل أن الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولو أنهم قائلون اذا

اذا عوقبوا لولا أرسلت الينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت اليهم أحدا فان قلت كيف استقامة هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهى سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الاصلى عليها بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى والسر فى جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الاصلى عليه أمر ان أحدهما ان مزيد العناية

يوجب التقديم وهذا هو السر الذى أبداه سيبويه الثانى ان فى هذا النظم تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الاول فلاقترانه بحرف التعليل وهو ان واما الثانى فلاقترانه بفاء السبب ولا يتعاطى هذا المعنى الا من قولك ان تضل احداهما فتذكر لا من قول القائل ان تذكر احداهما الاخرى اذا ضلت وكان بعض النحاة يورد هذه الآية اشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها فى الآية موجودا وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الارسال لانه ممتنع بالاولى ومتى لم يقع عدم الارسال كان الارسال واقعا ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لانهم يقولون لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لانها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فان لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ويشكل الجواب على النحاة لانه يلزم أن لا يكون واقعا وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضى وقوعه ثم كان مورد هذا الاشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والاصل ولولا كراهة ان تصيبهم مصيبة وحينئذ المضاف يزول الاشكال عن الطائفتين والتحقيق عندى فى الجواب خلاف ذلك وانما جاء الاشكال من حيث عدم تحرير النحاة لمعنى لولا ان يقولون انها تدل على ان ما بعدها موجود وان جوابها ممتنع به والتحرير فى معناها أنها تدل على ان ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فان معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجودا وقد يكون مفروضا والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم فى لو قد يكون

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم

عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك (فان قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهى أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا وانما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدى وتقديم الايدى وان كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل فى أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أولم يكفر آباؤهم (قالوا) فى موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أى تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فان قلت) بم علقت قوله من قبل فى هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولى أن أعلقه بأوتى فينقلب المعنى الى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا فى موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو فى الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل على * هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم * (فان قلت) ما الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية وبينه فى قوله * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * حيث عدى بغير اللام (قلت) هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام ويحذف الدعاء اذا عدى الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف

المضاف (فان قلت) فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع فى دينه الا (هواه بغير هدى من الله) أى مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف (ان الله لا يهدى) أى لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه * قرئ (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين * نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم وقيل فى أربعين من مسلمى أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام * والضمير فى من قبله للقرآن * (فان قلت) أى فرق بين الاستئنافين انه وانا (قلت) الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا فى الكتب الاول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحى (بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الاذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (فان قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو (لا تهدى من أحببت) لا تقدر أن تدخل فى الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل فى الاسلام (من يشاء) وهو الذى علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الالطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه الى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت فى أبى طالب وذلك ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك كلمة واحدة فانك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكنى أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف * قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس أى قليلون ان يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم فى الحرم الذى آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل أوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (تجبى اليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة * وثمرات بضمتين وبضمة وسكون * ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون

الشئ الواحد لازما لشيئين فلا يلزم نفيه من نفى أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الاشكال الوارد على لو فى قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الفصل فتحته فوائد للمتأمل والله الموفق

 (قال هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم

وخاموا انداده * (فان قلت) بم انتصب رزقا (قلت) ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شئ ويرزق ثمرات كل شئ واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم * وانتصبت (معيشتها) اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وأما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه (الا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصى المهلكين بقى أثره فى ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالارض

تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى فى كل وقت (حتى يبعث فى) القرية التى هى امها أى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء * وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر * وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص فى قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله فى غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفى مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم * وأى شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهى مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لان بقاءه دائم سرمد * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ فى الموعظة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع * هذه الآية تقرير وايضاح للتى قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شئ أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى * و (لاقيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحمزة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فان قلت) فسر لى الفاءين وثم وأخبرنى عن مواقعها (قلت) قد ذكر فى الآية التى قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذى هو الضمان فى الخير وأما ثم فلتراخى حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخى وقته عن وقته * وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد فى عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء فى فهو وهو ولهو أحسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل (شركاءى) مبنى على زعمهم وفيه تهكم * (فان قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله

* ولم أزعمك عن ذاك معزلا * فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

حتى أخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل) قال أحمد هذا اسلاف من الزمخشرى لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لا جواب

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا

لهم عنه ينشأ السؤال فى هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف لقامت الحجة على الناس وان لم يكن بعث رسل اذ العقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلا

وهؤلاء

هؤلاء الذين أغوينا
أغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا
يعبدون وقيل ادعوا
شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم ورأوا
العذاب لو أنهم كانوا
يهتدون ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم
المرسلين فعميت عليهم
الانباء يومئذ فهم
لا يتساءلون فأما من
تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى أن يكون من
المفلحين وربك يخلق
مايشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون
وربك يعلم ماتكن
صدورهم ومايعلنون
وهو الله لا اله الا هو له
الحمد فى الاولى والآخرة
وله الحكم واليه
ترجعون قل أرأيتم
ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيامة
من اله غير الله يأتيكم
بضياء

و(هؤلاء) مبتدأ و(والذين أغوينا) صفته والراجع الى الموصول محذوف و(أغويناهم) الخبر * والكاف
صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو الا باختيارنا لأن فوقنا
مغوين أغوونا بقسر منهم والجاء أو دعونا الى الغى وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر
فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم
من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان
وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من
سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شئ حيث قال
لابليس ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من
الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا ايانا يعبدون)
انما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة
الاولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما
رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى أولا ما يوبخهم به من
اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن
الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم
لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم
الانباء) فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى اليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما
يتساءل الناس فى المشكلات لانهم يتساوون جميعا فى عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت
والمراد بالنبا الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون فى الجواب
عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم
قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك
* وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجى
التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح * الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو
التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لان معناه
ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى فى أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها
ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم يعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى لهم فيه الخيرة أى
يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم فى الامرين ليس فيهما خيرة لمختار
(فان قلت) فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه
الخيرة فحذف فيه كما حذف منه فى قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم (سبحان الله) أى الله برئ من
اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة
رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو
المستأثر بالالهية المختص بها و(لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هى (فان قلت) الحمد
فى الدنيا ظاهر فما الحمد فى الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفى الحديث يلهمون
التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف
قياسى ومعناه أخبرونى من يقدر على هذا * والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم
فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص * (فان قلت)

هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا فى أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله فى الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف فى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ أدخل فى مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا فى أهل توحيدك فادخلنا فى الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم لان أنبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمى مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف * وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان الى هرون فمالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى أخيه وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتى بآية فامر رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم فى الثياب شبرا * المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح * ويقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله * والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة * ومحل اذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل * ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك * والفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا

وقيل

أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم

وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الامر عندى كذا كأنه قال انما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأيي هكذا * يجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل (أولم يعلم) فى جملة ماعنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا * (فان قلت) ماوجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك (فى زينته) قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر * كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة فى اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه فى سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فن الغبطة قوله تعالى ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط * والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا أحاظ وجدود * ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالاقراف فى الحث على الفعل * والراجع فى (ولا يلقاها) للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب لانه فى معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهى الايمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير * كان قارون يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى أرادكم على كل شئ وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى قريبا مجيبا

عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان

* قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فعلق الوعيد بالركون الى الظلمة وعن على أن الرجل يعجبه ان يكون شراك نعله خيرا من شراك (١٧٢) نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وعن الفضيل انه قرأها وقال ذهبت الامانى ههنا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد

من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا وى كأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله

فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع * قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وى) مفصولة عن كان وهى كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وى كأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن اعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وى كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول أو لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وى ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك * وقرأ الاعمش لولا من الله علينا * وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها * لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره على والفضيل وعمر * معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيآت) موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعنى ان الذى حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة فى أذى وغلبة من أهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (فان قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب فى معادهم (فان قلت) قوله (الا رحمة من ربك) ما وجه

لقارون لقوله ان فرعون علا فى الارض وقوله ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبرها على وعمر الاستثناء والفضيل) قال أحمد هو تعرض لغمص أهل السنة فى ان كل موحد من أهل الجنة وانما طمعوا حيث أطمعهم الله تعالى بل حقق طمعهم فى رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنا وان سرق ثلاثا وفى الثالثة وان رغم انف أبى ذر اللهم اقسم لنا من رجاء رحمتك ما تعصمنا به من القنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما ألقى عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك * وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهى فى لغة كلب وقال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهمو * صدود السواقى عن أنوف الحوائم (بعد اذ أنزلت اليك) بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك * والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذى سبق ذكره (الا وجهه) الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الحسبان لا يصح تعليقه بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا فى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فان قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان فى الآية (قلت) هو فى قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجىء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فان قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة فى قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا * والفتنة الامتحان بشدائد التكاليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالايمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله وقيل فى ناس أسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا) موصول باحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعنى أن اتباع الانبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من

بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم

﴿القول في سورة العنكبوت﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (قال ان قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد) قال أحمد فيما ذكر ايهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد ان العلم بالكائن غير العلم بان سيكون والحق ان علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله و بعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وان كان سابقا على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لنعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم والله أعلم * قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (قال المراد بهؤلاء أحد فريقين اما قوم مسلمون سيآتهم صغائر مغمورة بالحسنات واما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالاسلام يجب ما قبله) قال أحمد حجر واسعا من رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على مرتكب السيآت الكبائر لا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وان لم تكن توبة اذا غمرتها الحسنات وكلا الاصلين قدري مجتنب والله الموفق

فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه

نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه (فان قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون (فان قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم * لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجوا لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فان أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال * اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * (فان قلت) فان أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) اذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فانما يجاهد) لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم * اما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤا في بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام * وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح

وذبيانية وصت بنيها * بان كذب القراطف والقروف

كما لو قال أمرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الانسان

بوالديه حسنا) وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ماهو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما معروفا و (لا تطعهما) فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لابد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك أيها الانسان (ماليس لك به علم) أى لاعلم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال لتشرك بى شيأ لا يصح أن يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا أراداه على ماذكر على أن كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق * ثم قال الى مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيآن أحدهما أن الجزاء الى فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى الدنيا كما أنى لا أمنعهما رزقى والثانى التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر المرجع والوعيد روى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالاحسان وروى أنها نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام أخواه لامه أسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك وهى أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك فمازالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (فى الصالحين) فى جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى ابراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين أو فى مدخل الصالحين وهى الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية * هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا * واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (انا كنا معكم) أى مشايعين لكم فى دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من المغنم * ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما فى صدور العالمين) من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه * ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام * أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل

بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ

* قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون (قال و بعض المتسمين بالاسلام اذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له افعل هذا واثمه فى عنقى (١٧٥) ومنه ما يحكى ان رجلا رفع الى المنصور حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت لى اليك حاجة هى العظمى قال وماهى قال شفاعتك فى المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين اياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق فى المامن) قال أحمد عمرو ابن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره وليست الآية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشرى يبنى على انه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد ان الكفار يحملون خطايا اتباعهم فلذلك ساقهما مساقا واحدا نعوذ بالله من ذلك * وفى قوله تعالى انهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجئ الامر بمعنى الخبر فان من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد فى ذلك

على أصل الامر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لان الله تعالى أردف قولهم ولنحمل خطاياكم على صيغة الامر بقوله انهم لكاذبون والتكذيب انما يتطرق الى الاخبار * قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لانه يحتمل فيه اطلاق العدد على أكثره بخلاف مجيئه مع الاستثناء) قال أحمد لان الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريرا

عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعني أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم (وليسئلن) سؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل * وقرئ من خطيا تهم * كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة (فان قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لانه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فان قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج

* وغم طوفان الظلام الاثأبا * (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة * والضمير في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة نصب (ابراهيم) باضمار اذكر وابدل عنه (اذ) بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (ان كنتم تعلمون) يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم * وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص * وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا أي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمي الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك (فان قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لانه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيأ من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه * وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم

انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون

للعدد فلا يحتمل المبالغة لانها لا يجوز معها العدد * عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح وكابده من طول المصابرة تسلية له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وانما خالف بين اللفظين فذكر في الاول السنة وفي الثاني العام تجنبا للتكرار الذي لا يحمد الا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو نخم المستثنى

لعاد ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم * قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وانما هو اخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ (١٧٧) النشأة الآخرة كقولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه بعدى) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده انه معطوف وصحح العطف وان كانوا ينكرون الاعادة لان الاعتراف بها لازم لهم

وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين

بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وماضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ماحل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها (فان قلت) اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله (قلت) قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة فى معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس ألف سنة فى قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب * (فان قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا فى الارض (قلت) هى حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى أكثر القرآن (فان قلت) فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفى قصة ابراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه * قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فان قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله مازلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع الى ما يرجع اليه هو فى قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد * دل بقوله (النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء أى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة (فان قلت) ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعا فى الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم فى الابداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذى لا يعجزه شئ هو الذى لم يعجزه الابداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار

وقد أبى ههنا جعله معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الاعادة على البداءة لدخلت فى الرؤية الماضية وهى لم تقع بعد ولا كذلك فى آية النمل ولقائل ان يقول هى وان لم تقع الا أنها باخبار الله تعالى بوقوعه

كالواقعة المرئية فعوملت معاملة مارؤى وشوهد الا أن جعله خبرا ثانيا أوضح والله أعلم * قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال ان قلت ما وجه الافصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد اضماره فى البداءة أولا قلت لان النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليقة بابراز اسمه تعالى

السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه

Diwan d. Hassan 109

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الارض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والارض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يئسوا من رحمتى) وعيد أى ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتى وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا لله عز وجل خائفا * قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين * وروى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها * قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان أن يكون خبرا لان على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى أن الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا انما مودة بينكم فى الحياة الدنيا أى انما تتوادون عليها أو تودونها فى الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا * كان لوط ابن أخت ابراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (الى ربى) الى حيث أمرنى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو مصلحتى (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه * (فان قلت) ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه (قلت) قد دل عليه فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره * (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التى هى التوراة والزبور والانجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على ابراهيم أو على ما عطف عليه و (الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط * وقرئ انكم بغير استفهام فى الاول دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون * وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس وأخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث و (المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا

يتحابقون

كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله

تحقيق النسبة الاعادة الى من نسبت اليه الاولى) قال أحمد والاصل الاظهار ثم الاضمار ويليه لقصد التفخيم الاظهار بعد الاظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الاظهار بعد الاضمار كما فى الآية والله أعلم

ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لاتخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم مايدعون من دونه من شيء

يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا مادام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا (ان كنت من الصادقين) فيما تعدناه من نزول العذاب * كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه (بالبشرى) هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب * واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لاتعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (ان فيها لوطا) ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم وأراد بالجدال اظهار الشفقة عليه ومايجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن ألا ترى الى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لايستأهل مايستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب * وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لافاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة * الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب * وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو ببينة (وارجوا) وافعلوا ماترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط مايسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف * والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها (في دارهم) في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لايلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعني ماوصفه من اهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه * الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه مااتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فان قلت) مامعنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت)

معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيأ (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذي لا يفعل شيأ الا بحكمة وتدبير * كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (بالحق) أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا * الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها (فان قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهي عن السيآت يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال ان المراعي للصلاة لابد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء العموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لانها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين

وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم

* قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق (قال فيه أي بالغرض الصحيح) قال أحمد لفظة قدرية ومعتقد ردي وقد تقدم انكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقا من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالادب والله سبحانه وتعالى أعلم

للجزية الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان أولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف * وقوله (قولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من جنس المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم * ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب الى من كان قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه * وأنت أمى ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (اذا) لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا أمى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده (فان قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لعله تعلمه أو كتبه فانه رجل قارئ كاتب (قلت) سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أمى بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشئ آخر وهو أن سائر الانبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمى ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمى (فان قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات فى صدور) العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه أكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء فى صفة هذه الامة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم المكابرون * قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل (وانما أنا نذير) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان * ان فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر * وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أنى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته

وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

(أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا أن الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين وكقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذى قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم (لمحيطة) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هى محيطة بهم فى الدنيا لان المعاصى التى توجبها محيطة بهم أو لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أى يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أى جزاءه * معنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمرى ان البقاع تتفاوت فى ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا ودار وا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للامر الدينى فى الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هى فى المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرانى الكفرة (فاياى فاعبدون) فى المتكلم نحو اياه ضربته فى الغائب واياك عضتك فى المخاطب والتقدير فاياى فاعبدوا فاعبدون (فان قلت) ما معنى الفاء فى فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فاخلصوها لى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص * لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وان شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة) علالى وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى فى المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم * وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت * والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان

والنملة

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم

وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه

والنملة والفارة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر فى حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى ضمائركم * الضمير فى (سألتهم) لاهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع اقرارهم بأنه خالق السموات والارض * قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (فان قلت) الذى رجع اليه الضمير فى قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة * يريد ما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فان قلت) بم اتصل قوله فاذا ركبوا (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم الى البر) وآمنوا عادوا الى حال الشرك * واللام فى (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كى وكذلك فى (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله فى انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الامر خطأ وأنه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشئ مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم * افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا * وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب * وفى قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه

* قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان (قال انما عدل عن الحياة الى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذى يخص هذا البناء به افادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم

ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم فى جهنم كقوله *ألستم خير من ركب المطايا* قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته أن الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون فى جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة *أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبى سليمان الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

﴿سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله﴾

﴿سورة الروم مكية وهى ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد

*القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشأم أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنه الاردن وفلسطين *وقرئ فى أدانى الارض *والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون فى جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى فى احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفى الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده (فان قلت) كيف صحت المناحبة وانما هى قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبى بن خلف (من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين

أولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا و بعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وقل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) ينصر عليكم تارة و ينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد * ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في أمور الدنيا بل في أمور الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم أردىء هو أم جيد * وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل و بين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا * وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر * وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و (غافلون) خبره والجملة خبر هم الاولى وأن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع واليهم ترجع (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر وأجال فيه فكره و (ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة و بتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا * والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنها وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به (فان قلت) اذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت * والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية * ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثور الانه يثير الارض و بقرة لانها تبقرها أي تشقها (وعمروها) يعني أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم

الدنيا (قال) فيه يعلمون بدل من الاول وفي البدل نكتة وهي الاشعار بانه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حتى كانهما شيء واحد فابدل أحدهما من الآخر وفائدة تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (قال) أحمد وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه وروى عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا انه ينقر الدينار باصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء

ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان كان هذا أبلغ لانه خالق القوى والقدر * فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم * قرئ عاقبة بالنصب والرفع و(السوأى) تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و(أن كذبوا) بمعنى لان كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام (ثم اليه ترجعون) أى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء * الابلاس أى يبقى بائسا ساكنا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو * وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم * وكتب شفعوا فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها * الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (محضرون) لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم * لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد * والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشيا) صلاة العصر و(تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه (فان قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله الى أن هذه الآية مدنية (قلت) لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الاكثر أن الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك

ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعوا وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

* قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا (قال فان قلت أينصب خوفا وطمعا مفعولا لهما وليسا فعلى فاعل الفعل المعلل فما وجه ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لانهم راؤن فتقديره يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا أو على حذف مضاف تقديره ارادة خوفكم وطمعكم) قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهى كونهما مصدرين ومقارنين فى الوجود والفاعل الخالق واحد

يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون

تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ومن قال حين تمسى أدرك ما فاته فى ليلته وفى قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ بمعنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البيضة و (الميت من الحى) البيضة من الطائر * واحياء الارض اخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الابداء والاعادة متساويان فى قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت واحياء الميت واماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لانه خلق أصلهم منه و (اذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم) التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمت ربك عبده * ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان * الالسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فى الحلية فيعروك الخطأ فى التمييز بينهما وتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذوهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون * وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون * هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن * يسمعونه بالآذان الواعية * فى (يريكم) وجهان اضمار أن وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه وقول القائل

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذى أثير

(خوفا) من الصاعقة أو من الاخلاف (وطمعا) فى الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فان قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون فى المعنى لانهم راؤن فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثانى أن يكون على تقدير حذف المضاف أى ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطامعين * وقرئ ينزل بالتشديد

فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه فنقول معنى قول النحاة فى المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل أى ولا بد أن يكون الفاعل متصفا به مثاله اذا قلت جئتك اكراما لك فقد وصفت نفسك بالاكرام فقلت فى المعنى جئتك مكرما لك والله تعالى وان خلق الخوف والطمع لعباده الا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فمن ثم احتيج الى تأويل المصنف على المذهبين جميعا والله أعلم

* قوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الآية (قال ان قلت مابال الاعادة استعظمت فى قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض قلت الاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة الى الانشاء) قال أحمد انما يلتى فى السؤال تعظيم الاعادة من عطفها بثم ايذانا بتغاير مرتبتها وعلو شأنها وقوله فى الجواب انها هونت بالنسبة الى الانشاء لايخلص فان الاعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والارض بأمره وقيامهما ابتداء وانشاء أعظم من الاعادة فيلزم تعظيم الاعادة بالنسبة الى ماعطف عليه عن الانشاء ويعود الاشكال والمخلص والله أعلم جعل ثم على بابها التراخى الزمان لالتراخى المراتب وان سلم انها (١٨٨) لتراخى المراتب فعلى ان تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هى الدنيا وذلك نادر فى مجيئها لتراخى المراتب فان المعطوف حينئذ فى أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم * قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) ان قلت لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت فى

ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من فى السموات والارض كل له قانتون وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه

(ومن آياته) قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد (بأمره) أى بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة ياأهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعى المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت به ابن الطود أو هو أسرع

يريد بابن الطود الصدى أو الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم مايكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو أن يقول ياأهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الاقامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون * قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل على ودعوته من أسفل الوادى فطلع الى (فان قلت) بم تعلق (من الارض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل * (فان قلت) ما الفرق بين اذا واذا (قلت) الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط * وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لايمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لان من أعاد منكم صنعة شئ كانت أسهل عليه وأهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ فى بعض ماينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر فى صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فان قلت) لم ذكر الضمير فى قوله وهو أهون عليه والمراد به الاعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فان قلت) لم أخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين (قلت) هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو على هين وان كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبنى على مايعقلون من أن الاعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فان قلت) مابال الاعادة استعظمت فى قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير فى عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه فى حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن يتنقل فى أحوال ويتدرج فيها الى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الانشاء من قبيل التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وأن لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذى لابد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور واما مايصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف

قوله تعالى هو على هين قلت لان المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هنالك فانه اختصاص الله تعالى بالقدرة على ايلاد الهم والعاقر وأما المقصد ههنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والامر مبنى على مايعتقدونه فى الشاهد من ان الاعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص يغير المعنى (قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر وانما يلتى الاختصاص من تقديم ماحقه ان يؤخر وقد علمت مذهبه فى مثل ذلك * عاد كلامه (قال) فى تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الافعال اما ممتنع عقلا لذاته يمنع واما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله واما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وان لا واما واجب على الحكيم أن يفعله فالانشاء الاول من قبيل التفضل وأما الاعادة فواجبة على الله تعالى لاجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الافعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الانشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق ان لا واجب على الله تعالى وكل ماذكره فى هذا الفصل نزغات قدرية على انها أيضا غير مستقيمة على أصولهم المجتثة فان مقتضاها وجوب الانشاء فى الحكمة

يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب أبعد الافعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الافعال من الامتناع واذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها فى التأتى والتسهل فكانت أهون منها واذا كانت أهون منها كانت أهون من الانشاء (وله المثل الاعلى) أى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله قد عرف به * ووصف فى السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى فى السموات والارض أى قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول (فان قلت) أى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الاولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد * تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أى مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) أى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شئ (من أضل الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه و (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وانما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فان قلت) لم وحد الخطاب أولا ثم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله * وكل خليل غير هاضم نفسه * الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك * والرحمة

وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون

اذ لولا مصلحة اقتضت الانشاء لما وقع وتلك المصلحة توجب متعلقها فقد وضح ان المصنف لا الى معالى السنة رقى ولا فى حضيض الاعتزال بقى فلله العصمة

الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) نظير اعملوا ماشئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته * وما فى (بما كانوا) مصدرية أى بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسعة أو صحة (فرحوا بها وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أوضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة * ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته * حق ذى القربى صلة الرحم * وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم (فان قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذا القربى) بما قبله حتى جىء بالفاء (قلت) لما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب ان يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى أو يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة * هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربو فى) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذى ليس بحرام أن يستدعى بهبته أو بهديته أكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما أتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا أى لتزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى ويربى الصدقات أى يزيدها وقوله تعالى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال للملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والاول أملأ بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شىء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أندادا له من الاصنام وغيرها (من يفعل) شيأ قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربط الجملة بالمبتدا الان معناه من أفعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد فى البر والبحر) نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شىء وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار وقرئ فى البر والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم

ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس

كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم
أخاه وفى البحر بأن جالندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل المبعث فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك
* (فان قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) (قلت) أما على التفسير الاول فظاهر
وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها
فى الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثانى فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما
استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما أفسدوا وتسببوا الفشو المعاصى فى
الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون * ثم أكد تسبب المعاصى لغضب الله ونكاله حيث أمرهم
بأن يسيروا فى الارض فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان
أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن مادونه من المعاصى يكون سببا لذلك
* القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج (من الله) اما أن يتعلق بيأتى فيكون المعنى من قبل أن يأتى
من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجئ به ولا
رد له من جهته * والمرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أى يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد
أحاطت به كل مضرة (فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذى يمهد فراشه ويوطئه
لئلا يصيبه فى مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذى الراقد ويجوز
أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة
على أن ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن
لا تتجاوزه (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب
وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو
ثوابه لان الفضول والفواضل هى الاعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك
الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير
على الطرد والعكس (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا * وقد عدد الاغراض فى ارسالها وأنه أرسلها
للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح
وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من
الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجرى الفلك) فى البحر عند هبوبها * وانما زاد (بأمره) لان الريح قد تهب
ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله)
يريد تجارة البحر * ولتشكروا نعمة الله فيها (فان قلت) بم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان
أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره
وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها * اختصر الطريق الى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر
ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين
ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن
ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم
يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على
الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فيبسطه) متصلا تارة
(ويجعله كسفا) أى قطعا تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) فى التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء

ليذيقهم بعض الذى
عملوا لعلهم يرجعون
قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل
كان أكثرهم مشركين
فأقم وجهك للدين
القيم من قبل أن يأتى
يوم لا مرد له من الله
يومئذ يصدعون من
كفر فعليه كفره ومن
عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله انه لا يحب
الكافرين ومن آياته
أن يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم
من رحمته ولتجرى
الفلك بأمره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم
تشكرون ولقد أرسلنا
من قبلك رسلا الى
قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين
أجرموا وكان حقا علينا
نصر المؤمنين الله الذى
يرسل الرياح فتثير
سحابا فيبسطه فى
السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى
الودق يخرج من
خلاله فاذا أصاب به
من يشاء من عباده
اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل أن
ينزل عليهم

وشقها كقوله تعالى وفرعها فى السماء * وباصابة العباد اصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير
والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم
بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ
أثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيى أى الرحمة (ان ذلك) يعنى ان ذلك القادر الذى
يحيى الارض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم (وهو على كل شئ) من المقدورات قادر وهذا من
جملة المقدورات بدليل الانشاء (فرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لان رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ
بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر
سمى به ما ينبت * ولئن هى اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لظلوا) جواب القسم سد مسد
الجوابين أعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم القطر
قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا
وابتهجوا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على
الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا
على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التى اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا
وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب
مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى ابن عمر
رضى الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وقوله (خلقكم من
ضعف) كقوله خلق الانسان من عجل يعنى أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق
الانسان ضعيفا أى ابتدأناكم فى أول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام
والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم
وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد فى الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة
الى هيئة وصفة الى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك
لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت
علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة * وأرادوا لبثهم فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى
البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهى أربعون سنة أم أربعون ألف
سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو
ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق
والتحقيق فى الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون فى
الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان الا ساعة * القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون (فى كتاب الله)
فى اللوح أو فى علم الله وقضائه أو فيما كتبه أى أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على
الحقيقة * ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق
لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه (فان قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هى التى فى قوله فقد جئنا
خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا
فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان
قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبنى فلان
فأعتبته أى استرضانى فأرضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى الى قوله

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أى أزيل غضبهم والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا

من قبله لمبلسين فانظر
الى آثار رحمت الله
كيف يحيى الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيى
الموتى وهو على كل شئ
قدير ولئن أرسلنا ريحا
فرأوه مصفرا لظلوا من
بعده يكفرون فانك
لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما أنت بهادى
العمى عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون
الله الذى خلقكم من
ضعف ثم جعل من
بعد ضعف قوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا
وشيبة يخلق ما يشاء
وهو العليم القدير ويوم
تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير
ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين
أوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم فى كتاب الله
الى يوم البعث فهذا
يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم ولا هم
يستعتبون

ولقد ضربنا للناس فى هـذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطـلون كذلك يطبع الله عـلى قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

﴿سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهـم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هـم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث

ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لايخرجون منها ولا هم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الآيات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين منه فان يستعتبوا الله أى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته (ولقد) وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل * ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التى ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم أنها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرف خلق الله فى تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه والوفاء به * ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون و يفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبى اسحق و يعقوب ولا يستحقنك أى لا يفتننك فيملكوك و يكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازى و يجوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما فى تلك من معنى الاشارة و بالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات وهى التى ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

حكى عن الاصمعى أنه سئل عن الالمعى فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها * اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى و (لهو الحديث) نحو السمر بالاساطير والاحاديث التى لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم باحاديث رستم و بهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه و يقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فان قلت) ما معنى اضافة اللهو الى الحديث (قلت) معناها التبيين وهى الاضافة بمعنى من وأن يضاف الشئ الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لان اللهو يكون من

الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه * وقوله يشترى اما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الاعاجم أو من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق * وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و(سبيل الله) دين الاسلام أو القرآن (فان قلت) القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول فى الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه والثانى أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف (فان قلت) ما معنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشترى بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها * وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشترى أو ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا * تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال (فان قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل فى كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ ولا يعجزه يقدر على الشئ وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى (فان قلت) ما محلها من الاعراب (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة أو هى فى محل الجر صفة للعمد أى بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى وهى امساكها بقدرته (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته * والخلق بمعنى المخلوق و(الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأرونى ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة * ثم أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى اذا كفيت وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل وأكثر الاقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص أمره فى القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبى كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترانى أسود فقلبى أبيض وروى أن رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال ألست الذى ترعى معى فى مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله

ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين

(القول فى سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه الآية (ذكر فى ذلك اختلاف العلماء فى نبوته وذكر أثناء ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحمد وفى هذا بعد بين وذلك ان الحكمة داخلة فى النبوة وقطرة من بحرها وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الانبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة

*قوله تعالى وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ماليس بشيء وعبر بنفي العلم عن نفي المعلوم) قال أحمد هو من باب قوله *على لاحب لا يهتدى بمناره* أي ماليس باله فيكون لك علم بالالهية وليس كما ذكره في قول فرعون ما علمت لكم من اله غيري وقد

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض

له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (أن) هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غني) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد* قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه* أي (حملته) تهن (وهنا على وهن) كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن * وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ماليس لك به علم) أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ماليس بشيء يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب الي) يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فأجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروى أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر (فان قلت) هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك (فان قلت) فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه

أحمل أمي وهي الحماله * ترضعني الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله

(فان قلت) ما معنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن أبي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وان أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم * قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة أو الاحسان أي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت

مر معناه فيما تقدم * قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية (قال فيه تخصيص حق الام وهو مطابق لبدايته فذكرها في وجوب البر في الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل ما يقوله الفقهاء ان للام من حمل الولد قبل الحلم جله وهو مما يفيد تأكيد حقها والله أعلم * قوله تعالى انها ان تك مثقال

فى العالم العلوى أو السفلى (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما أنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر أى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الاشياء فى أخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين يكتب فيها أعمال الكفار * وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر (ان ذلك) مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أى لم يقطعه بالنية ألا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا فى معنى الفاعل أصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها فى سائر الامم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها * تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون * أراد (ولا تمش) تمرح (مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لاجل المرح والاشر أى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم دينى أو دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس * والمختال مقابل للماشى مرحا * وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا (واقصد فى مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت * وقرى وأقصد بقطع الهمزة أى سدد فى مشيك من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه (أنكر الاصوات) أوحشها من قولك شئ نكر اذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت * والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان (فان قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما فى السموات) الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما فى الارض) البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ * وقرئ نعمه ونعمة

يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا

حبة من خردل فتكن فى صخرة (قال فيه هذا من البديع الذى يسمى التتميم) قال أحمد يعنى انه تمم خفاها فى نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من وادى قولها

كأنه علم فى رأسه نار

ونعمته (فان قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فان قلت) لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان (قلت) لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غنى غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا أن يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه * (فان قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم فى بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى الى العلم بها وقد أكثروا فى ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن رضى الله عنه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس * معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب * قرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك الى الله (فان قلت) ماله عدى بالى وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى أنه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه * قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (ان الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ الذى لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه * قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الاول * وقرئ يمده ويمده وبالتاء والياء (فان قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى (فان قلت) زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال (قلت) هو كقوله * وقد اغتدى والطير فى وكناتها * وجئت والجيش مصطف * وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للارض (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد

أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله

* قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (قال شبه الزامهم التعذيب باضطرار المضطر الى الشئ الذى لا يقدر على الفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار فى الحديث فى انهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطرارا فهو اخبار عن اضطرار وباذيال هذه البلاغة تعلق الكندى حيث يقول

يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت أقلاما (فان قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحى كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية وانما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ ومثله لا تنفد كلماته وحكمه (الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها أى سواء فى قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (ان الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فان قلت) يجرى لاجل مسمى ويجرى الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجرى الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى تريد يجرى لادراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الهيته وأن من دونه باطل الالهية (وأن الله هو العلىّ) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذى أوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن ما غيره باطل وأن الله هو العلى الكبير عن أن يشرك به * قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض * وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) باحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن * يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما * وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

(لا يجزى) لا يقضى عنه شيأ ومنه قيل للمتقاضى المتجازى وفى الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغنى يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله أن يتمادى الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيآتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لانها غرور

ان الله عزيز حكيم
ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة
ان الله سميع بصير ألم تر
أن الله يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى
الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجرى الى
أجل مسمى وأن الله
بما تعملون خبير ذلك
بان الله هو الحق وأن
ما يدعون من دونه
الباطل وأن الله هو
العلى الكبير ألم تر أن
الفلك تجرى فى البحر
بنعمة الله ليريكم من
آياته ان فى ذلك لآيات
لكل صبار شكور
واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد وما يجحد
بآياتنا الا كل ختار
كفور يا أيها الناس
اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزى والد عن
ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيأ ان وعد
الله حق فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور

(فان قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه
(قلت) الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب
فى مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آبائهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فأريد
حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم فى الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله
شيأ فلذلك جىء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى
الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف
المولود فانه لمن ولد منك * روى أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حباتى فى الارض وقد أبطأت عنا
السماء فمتى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت ما فى بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما
أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادّعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان
الكهانة تدعو الى الشرك والشرك وأهله فى النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه
كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين
وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن
ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه (عنده علم الساعة) أيان مرساها (وينزل الغيث) فى ابانه من غير تقديم
ولا تأخير وفى بلد لا يتجاوزه به (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من
الاحوال (وما تدرى نفس) برّة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شرّ وربما كانت عازمة على خير
فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس) أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها
وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها
وروى أن ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا
قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت
لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله
والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يلصق بها
ويختص ولا يتخطاها ولا شىء أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان
من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أى بتأنيث كل فى قولهم كلتهن عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات
عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب
بأنه خبر مبتدا محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب
العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب فى
ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

---

* قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله شيأ (قال ان قلت لم أكد الجملة الثانية دون الاولى قلت لان أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا
على الكفر فلما كان اغناء الكافر عن المسلم بعيدا لم يحتج تأكيدا ولما كان اغناء المسلم عن الكافر قد يقع فى الاوهام
أكد نفيه) قال أحمد
وهذا الجواب تتوقف
صحته على ان هذا الخطاب
كان خاصا بالموجودين
حينئذ والصحيح انه عام
لهم ولكل من ينطلق
عليه اسم الناس فالجواب
المعتبر والله أعلم ان الله
تعالى لما أكد الوصية
على الآباء وقرن شكرهم

ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم
ما فى الارحام وما تدرى
نفس ماذا تكسب
غدا وما تدرى نفس
بأى أرض تموت ان الله
عليم خبير

﴿سورة السجدة مكية
وهى ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب
العالمين أم يقولون افتراه

بوجوب شكره عز وجل
وأوجب على الولد أن
يكفى والده ما يسوءه
بحسب نهاية امكانه
قطع ههنا وهم الوالد
فى ان يكون الولد فى
القيامة مجزيه بحقه
عليه ويكفيه ما يلقاه
من أهوال القيامة كما
أوجب الله عليه فى
الدنيا ذلك فى حقه فلما
كان اجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لان الله حضه عليه فى الدنيا كان جديرا بتأكيد النفى لازالة هذا الوهم ولا كذلك العكس
فهذا جواب كاف شاف للعليل ان شاء الله تعالى

﴿القول فى سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك (قال يعنى قريشا لانها
لم يبعث لها نبى قط فان قلت ان لم يتقدم بعث نبى اليهم فبم قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا
بالرسل لا سبيل اليه
واما قيامها بمعرفة الله
تعالى وتوحيده وحكمته
فنعم لان أدلة العقل
معهم فى كل زمان)
قال أحمد مذهب أهل
السنة انه لا يدرك علم
شئ من أحكام الله تعالى

بل هو الحق من ربك
لتنذر قوما ما أتاهم
من نذير من قبلك لعلهم
يهتدون الله الذى خلق
السموات والارض وما
بينهما فى ستة أيام ثم
استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولى
ولا شفيع أفلا تتذكرون
يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج
اليه فى يوم كان مقداره
ألف سنة مما تعدون
ذلك عالم الغيب والشهادة
العزيز الرحيم الذى
أحسن كل شئ خلقه
وبدأ خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين

انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لان أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الافعال الواجبة على الاطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته (فان قلت) كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله لان نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شئ من الريب وأما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الاعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجى للارادة (فان قلت) ما معنى قوله (ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثانى أن الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا (من السماء الى الارض) ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج اليه) أى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا الى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى أورده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة ألف سنة لان المسافة مسيرة ألف سنة فى الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء الى الارض الى أن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله أى يصير اليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبى عبلة يعرج على البناء للمفعول *وقرئ يعدون بالتاء والياء (أحسن كل شئ) حسنه لانه ما من شئ خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شئ وخلقه على الوصف أى كل شئ خلقه فقد أحسنه *سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه أى

التكليفية الا بالشرع
وما ذكره الزمخشرى
تفريع على قاعدة
التحسين والتقبيح
بالعقل وقد مجها السمع
فلم يجبها القلم فأعرض
عنه حتى يخوض فى
حديث غيره وانما
قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل اليهم كأبيهم اسمعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما أتاهم من نذير يعنى
ذرية العرب فى زمانه عليه الصلاة والسلام اذ لم يبعث اليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم صلى الله عليه وسلم

تنفصل

تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و (سواه) قومه كقوله تعالى فى أحسن تقويم
* ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لايعلم كنهه الاهو كقوله ويسألونك عن الروح الآية
كانه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله
أسند اليهم جميعا * وقرئ أئنا وانا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض
لانتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أو غبنا (فى الارض) بالدفن فيها من قوله * وآب مضلوه بعين جلية * وقرأ
على وابن عباس رضى الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضى الله عنه صللنا
من صل اللحم وأصل اذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهى الارض (فان قلت) بم انتصب الظرف فى
أئذا ضللنا (قلت) بما يدل عليه انا لفى خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا * لقاء ربهم هو الوصول الى
العاقبة من تلقى ملك الموت وماوراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه الى ماهو أبلغ فى الكفر وهو أنهم
كافرون بجميع مايكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع الى
ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ماذكرنا * والتوفى استيفاء النفس وهى
الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شئ من قولك
توفيت حقى من فلان واستوفيته اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان فى
مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضى الله عنه حويت لملك الموت الارض
وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك
الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمنى كانه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمنى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم
وضرارهم فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزى والغم ليشمت بهم وأن تكون
لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد
كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان
أكرم وان أحسن اليه ولو واذ كلاهما للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به فى
تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له * يستغيثون بقولهم (ربنا
أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعنى أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) هى الرجعة الى الدنيا (لآتينا كل نفس هداها) على طريق الالجاء والقسر
ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل
العمى دون البصراء ألا ترى الى ماعقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من
نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعنى أن الانهماك فى
الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (انا نسيناكم) على المقابلة أى
جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أى تركتم الفكر فى العاقبة فتركناكم من الرحمة وفى استئناف
قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أى ما أنتم فيه من
نكس الرؤس والخزى والغم بسبب نسيان اللقاء * وذوقوا العذاب المخلد فى جهنم بسبب ما عملتم من
المعاصى والكبائر الموبقة (اذا ذكروا بها) أى وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على مارزقهم من
الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لايستكبرون)
كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم
* داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضى الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله

ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع

* قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد وقد تمهد عن مذاهب أهل السنة ان المقتضى لاستحقاق الخلود فى العذاب هو الكفر خاصة وأما مادونه من الكبائر فلا يوجب

خلودا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية * قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لاطماع المتمنين) قال أحمد يشير الى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصي موعود بالجنة ولا بد من دخوله اياها وفاء بالوعد الصادق وان أحدا لا يستحق على الله بعمله شيأ فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتنم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في ان الاعمال أسباب موجبة للجزاء ولا دليل في ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك اما أن (٢٠٢) تحمل الآية على ان المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فانها على حسب الاعمال وليس بذلك فان المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها وأما ان تحمل وهو الظاهر والله أعلم على ان الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب ان يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الاعمال بالوعد لو كانت أسباب موجبات فعومل في هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد في النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالاجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزمخشري الحديث المشهور وهو أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وكان جدي رحمه الله يستحسن ان تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفي ورده الى المتكلم وهي من القرآت المستفيضة والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا الى الله تعالى مسندا الى ضمير اسمه عز وجل صريحا والله الموفق * قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه

يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفي لهم) على البناء للمفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي * وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا) و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستوون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا * وأما الذين فسقوا * ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الادنى) عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضي الله عنه عذاب القبر و (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة (لعلهم يرجعون) أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها

لعلهم يتوبون فان قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان وتوبتهم مما لا يكون لانهم لو تابوا لم يكونوا اذا ذاقوا العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده عجزا منك (قال أحمد) هذا الفصل ردىء جدا مفرع على

لو كانت مما يكون لم يكونوا اذا ذاقوا العذاب الاكبر (قلت) ارادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي وأما افعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا * ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها * (فان قلت) هلا قيل انا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعناه انا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن رضي الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبدنا بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل * الواو في (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في (لهم) لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه (كم أهلكنا) لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و (القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يمرون في

ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض

الاشراك الجلي لا على الاشراك الخفي فاعتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه من أصله والله المستعان وانما جره في تفسير لعل الى الارادة والحق في تفسيرها انها الترجي للمخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى كذا فسرها سيبويه فيما تقدم والله أعلم * قوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار (قال سبب نزولها انه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد جلدا وأذرب لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما معا (قال أحمد ذكر السبب المحقق لان المراد بالفاسق وبالذين فسقوا

متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الارض التي جرز نباتها أي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها أرض اليمن وعن مجاهد رضي الله عنه هي أبين * به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء * الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن و(يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضي الله عنهما يوم فتح مكة (فان قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

(سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن زر قال قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض * جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله (يا أيها النبي اتق الله) يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله (فان قلت) ان لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول (قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار ألا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي * اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي

الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

(سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

الذين كفروا الا انها نزلت في الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعصبا لمذهبه في وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد ولقد اتسع الخرق على الراقع

ومعتب

ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة ابن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت (ان الله كان عليما) بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيأ ولا يأمر به الا بداعى الحكمة (واتبع ما يوحى اليك) فى ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (ان الله) الذى يوحى اليك خبير (بما تعملون) فموح اليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر * ماجمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وأمومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير فى حكمته أن يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليها واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة فى النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب فى جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهرى وكان يقول ان لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى انه انهزم يوم بدر فمر بأبى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا أنهما فى رجلى فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها فى صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فى أن الواحد يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى * والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ماجعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه * (فان قلت) أى فائدة فى ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع الى الانكار * وقرئ اللائى بياء وهمزة مكسورتين واللاى بياء ساكنة بعد الهمزة * وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ونحوه فى العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وأفف الرجل اذا قال أف واخوات لهن (فان قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى فى أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فان قلت) ما معنى

ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وماجعل أزواجكم اللاءى تظاهرون منهن أمهاتكم

القول فى سورة الاحزاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قال) أشد ماذكر فيه من التأويلات انهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الاقاويل المتناقضة كجعل الادعياء أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الامور الثلاثة متنافية أما الاول فلانه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده فى الآخر وذلك كالعلم والجهل والامن والخوف وغير ذلك وأما الثانى فلان الزوجة فى مقام الامتهان والام فى محل الاكرام فنافى أن تكون الزوجة أما وأما الثالث فلان النبوة اصالة وعراقة والدعوة لاصقة عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبادره السامع بالانكار

قولهم أنت علي كظهر أمي (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا
يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن
ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة
وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى
الارض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك
حتى جعله ظهر أمه فلم يترك * (فان قلت) الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فماله جمع على
أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي (قلت) ان
شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي (ذلكم) النسب هو
(قولكم بأفواهكم) هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا * والله عز وجل لا يقول
الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق * ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق
وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل
هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم * وقرأ قتادة وهو الذي يهدي
السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب
الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان (فان لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم اليهم
(ف)هم (اخوانكم في الدين) وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد
الاخوة في الدين والولاية فيه (ما تعمدت) في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على
الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك
مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على
سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق
العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة
والسلام وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده (فان قلت)
فاذا وجد التبني فما حكمه (قلت) اذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان
كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة
رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق (وكان
الله غفورا رحيما) لعفوه عن الخطا وعن العمد اذا تاب العامد (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شيء من أمور الدين
والدنيا (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ
عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه
ويجعلوها فداءه اذا أعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا
ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو
ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم
الى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى
بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا
فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته
ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن
بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات
النساء تعني أنهن انما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا

وما جعل أدعياءكم أبناءكم
ذلكم قولكم بأفواهكم
والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ادعوهم
لآبائهم هو أقسط
عند الله فان لم تعلموا
آباءهم فاخوانكم في
الدين ومواليكم وليس
عليكم جناح فيما
أخطأتم به ولكن ما
تعمدت قلوبكم وكان
الله غفورا رحيما النبي
أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وأولوا الارحام
بعضهم أولى ببعض

التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الامهات كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أوحى الى نبيه وهو هذه الآية أو فى آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أى الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة * (فان قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) (قلت) من أعم العام فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبي الا فى الوصية تريد أنه أحق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (ذلك) اشارة الى ما ذكر فى الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام * (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم به أممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله (فان قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فان قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام فى الآية التى هى أخت هذه الآية وهى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى انما أوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء فى العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير * (فان قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه فى بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا * (فان قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبيين لان المعنى أن الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق (اذ جاءتكم جنود) وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله

*قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح لانهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم فى الذكر بمقتض لذلك ألا ترى الى قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

فأخر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليختم به تشريفا له واذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم فى سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده فى الذكر انه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الانبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

بما تعملون بصيرا
اذجاؤكم من فوقكم
ومن أسفل منكم واذ
زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا
هنالك ابتلى المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا
واذ يقول المنافقون
والذين فى قلوبهم
مرض ماوعدنا الله
ورسوله الاغرورا واذ
قالت طائفة منهم
ياأهل يثرب لامقام لكم
فارجعوا ويستأذن
فريق منهم النبي
يقولون ان بيوتنا عورة
وماهى بعورة ان
يريدون الافرارا ولو
دخلت عليهم من
أقطارها ثم سئلوا الفتنة
لآتوها وماتلبثوا بها
الايسيرا ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل
لايولون الادبار وكان

بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لانقدر أن نذهب الى الغائط وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا (زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع * الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ماحكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف فى الوقف زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال * أقلى اللوم عاذل والعتابا * وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها فى الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن فى الامام بألف * وعن أبى عمرو اشمام زاى زلزلوا * وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الازعاج (الاغرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لايقدر أن يتبرز فرقا ماهذا الاوعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه وعن السدى عبد الله بن أبى وأصحابه * ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أى لاقرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجعوا) الى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان * قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بانهم لايخافون ذلك وانما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤها وفعلوها * وقرئ لآتوها لاعطوها (وماتلبثوا بها) وماألبثوا اعطاءها (الايسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الايسيرا فان الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وماتعللوا بشئ وماذاك الالمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه * عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن

لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (لن ينفعكم الفرار) مما لابد لكم من
نزوله بكم من حتف أنف أو قتل * وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن
بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب * (فان قلت)
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء فى العصمة ولا عصمة الا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد
بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة
من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون * كانوا يقولون
(لاخوانهم) من ساكنى المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا
لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم * و (هلم الينا) أى قربوا أنفسكم الينا وهى لغة أهل الحجاز يسوون
فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد مثل أحضر
وقرب قل هلم شهداءكم (الا قليلا) الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم
يبارزون ويقاتلون الا شيأ قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا (أشحة عليكم) فى وقت الحرب
أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (ينظرون اليك) فى تلك الحالة
كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم
عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد * (فان
قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان باللسان
ايمان وان لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الاعمال يجدى عليه فبين أن ايمانه ليس بايمان وأن
كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف أساس أمره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على أن الاعمال
الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا (فان قلت) ما معنى
قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكل شئ عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه
الدواعى ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى
المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية
تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم منهم
من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا
الا تعلة رياء وسمعة * وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفى رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدى
ويساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما تقول
رأيت الهلال وتراءيناه * كان عليكم أن تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه
كما آساكم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه
(فان قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) وقرئ اسوة بالضم (قلت) فيه وجهان
أحدهما أنه فى نفسه أسوة حسنة أى قدوة وهو المؤتسى أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديد
أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والثانى أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهى المواساة
بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم * يرجو الله واليوم الآخر من
قولك رجوت زيدا وفضله أى فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل أو
الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسى برسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك * وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه فى قوله أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب

عهد الله مسؤلا قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت أو القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا
قل من ذا الذى يعصمكم
من الله ان أراد بكم سوأ
أو أراد بكم رحمة ولا
يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا قد
يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم
هلم الينا ولا يأتون
البأس الا قليلا أشحة
عليكم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك
تدور أعينهم كالذى
يغشى عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بألسنة حداد
أشحة على الخير أولئك
لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم وكان ذلك على
الله يسيرا يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا وان
يأت الاحزاب يودوا لو
أنهم بادون فى الاعراب
يسئلون عن أنبائكم
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا لقد كان لكم
فى رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا ولما رأى
المؤمنون الاحزاب

الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم
قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك* وهذا اشارة الى الخطب أو البلاء (ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه
وأقداره *نذر رجال من الصحابة أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى
يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير
وغيرهم رضي الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعني حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعني عثمان وطلحة وفي
الحديث من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة (فان قلت) ما قضاء النحب
(قلت) وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى
نحبه أي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم *(فان قلت) فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقني أخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار
وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما أن يجعل المعاهد
عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه
ولكان مكذوبا (وما بدلوا) العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه
تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها
بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما *ويعذبهم (ان شاء) اذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) اذا تابوا
(ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما
حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال)
بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب من أهل الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم
والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه
يتحصن بها روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج
فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس
وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد
اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا
يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم
وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل
كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير *وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين *وروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في
منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضي الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضي
الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم
القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم *أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك

قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا
ايمانا وتسليما من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا ليجزي
الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان
شاء أو يتوب عليهم ان
الله كان غفورا رحيما
ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا
وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله قويا
عزيزا وأنزل الذين
ظاهروهم من أهل
الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وأورثكم
أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضا لم
تطؤها وكان الله على
كل شئ قديرا يا أيها النبي
قل لأزواجك ان كنتن
تردن الحياة الدنيا
وزينتها فتعالين

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة اني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا (فان قلت) ما حكم التخيير في الطلاق (قلت) اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري رضي الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها فليس بشيء * أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن لاحد أمرين ولم يرد نهوضهن اليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق (فان قلت) المتعة في الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري رضي الله عنه متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضي الله عنه لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منكن) للبيان لا للتبعيض * الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة * والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) ايذان بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه * قرئ يأت بالتاء والياء * مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين * يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون * وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى * أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في

أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما

* قوله تعالى لستن كاحد من النساء (قال فيه معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد انما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن أن يطابق بين المتفاضلين

النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه * ومعنى قوله (لستن كاحد من النساء) لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى وان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول أى فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا * وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و (الجاهلية الاولى) هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر * أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما فى جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين أنه انما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى * واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة ما ينفر أولى الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفى هذا دليل بين على أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم من أهل بيته * ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحى وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (ان الله كان لطيفا خبيرا) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم فى دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين * يروى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت * والمسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله * والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به * والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها * والصادق

يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات

لان الاول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة منكن كاحد من النساء أى كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل الذى واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك فى العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالانثى فى تقديم الافضل عند التفضيل وقد مضت فى ذلك نكتة حسنة والله الموفق

والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله

الذى يصدق فى نيته وقوله وعمله * والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى * والخاشع المتواضع لله
بقلبه وجوارحه وقيل الذى اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله * والمتصدق الذى يزكى ماله ولا يخل
بالنوافل وقيل من تصدق فى أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين * ومن صام البيض من كل شهر فهو من
الصائمين * والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال
بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه
(فان قلت) أى فرق بين العطفين أعنى عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت)
العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط
العاطف بينهما وأما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم) * خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته
أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله
فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين
صاعا من تمر وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى
صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله
أو لان قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرا) من الامور * أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم أن
يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءنى
من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع
الضمير على المعنى لا على اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء و (الخيرة) ما يتخير (للذى أنعم الله عليه) بالاسلام
الذى هو أجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب فى
نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش
رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان
الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب
بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما
اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد
فانطلقت فاذا هى تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم
الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فان قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها
وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى
الزوج (فان قلت) ما الذى أخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بأن
زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية (فان قلت) فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها
وكان من الهجنة أن يقول له افعل فانى أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عز وجل أن يصمت عند

ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عينى الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد (فان قلت) كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح ولا يستهجن النبى صلى الله عليه وسلم التصريح بشئ الا والشئ فى نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وماله لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شئ بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة فى قوله لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا (فان قلت) الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هى (قلت) واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قرأتها على أبى الا كذلك ولا قرأها الحسن بن على على أبيه الا كذلك ولا قرأها على بن أبى طالب على النبى صلى الله عليه وسلم الا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية يعنى وكان أمر الله الذى يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين

وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما

فرض الله له سنة الله
فى الذين خلوا من
قبل وكان أمر الله
قدرا مقدورا الذين
يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون
أحدا الا الله وكفى بالله
حسيبا ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل
شىء عليما يا أيها الذين
آمنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة وأصيلا

فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لانه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله له) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبى من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (فى الذين خلوا) فى الانبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون أو على أعنى الذين يبلغون * وقرئ رسالة الله * قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى أنه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا (فان قلت) أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى أنه قد أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فان قلت) أما كان أبا للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشئ آخر وهو أنه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا الى أن نيف أحدهما على الاربعين والآخر على الخمسين * قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (فان قلت) كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل فى آخر الزمان (قلت) معنى كونه آخر الانبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله) أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أى فى كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى فى كل قلب مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والغفلان أعنى اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصى والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهى الصلاة فى جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لان أداءها أشق ومراعاتها أشد * لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا

كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف (فان قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله (وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هى قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أى أحياك وأبقاك وحييتك أى دعوت لك بأن يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أى ادعوا الله بأن يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر رضى الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم * والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم (فان قلت) وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت) هى حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدرا به الصيد غدا (فان قلت) قد فهم من قوله انا أرسلناك داعيا أنه مأذون له فى الدعاء فما فائدة قوله (باذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول فى حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع أمر فى غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بأن الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه غير مأذون له فى الانفاق أى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حكم التعذر * جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار * ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضىء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفى كلام بعضهم ثلاثة تضنى رسول بطى وسراج لا يضى ومائدة ينتظر لها من يجى وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك * الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به (ولا تطع الكافرين) معناه الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج (أذاهم) يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعنى ودع ان تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله فى باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم فى الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج

هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات

* قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الآية (قال ان جعلت يصلى بمعنى يرحم فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بانهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوت الله له بالحياة والقصد بذلك جعل الحياة محققة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيبت الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يفر الزمخشرى من اعتقاد

المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه
* النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب فى اقتراف الاثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه * سمى الماء بأسنمة الآبال
لانه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان
(فان قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذى نطقت به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتابيات (قلت)
فى اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والاولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح الا مؤمنة عفيفة
ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه
فالتى فى سورة المائدة تعليم ماهو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ماهو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فان قلت) مافائدة ثم فى قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته نفى
التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهى قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها
بالنكاح ويتراخى بها المدة فى حبالة الزوج ثم يطلقها (فان قلت) ذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل
يقوم ذلك مقام المساس (قلت) نعم عند أبى حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فمالكم
عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أى تعتدون فيها كقوله
ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء مافى قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا (فان قلت) ماهذا التمتيع
أواجب أم مندوب اليه (قلت) ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبى حنيفة
الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب
ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن)
مهورهن لان المهر أجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها فى العقد (فان قلت)
لم قال اللاتى آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتى هاجرن معك ومافائدة هذه التخصيصات (قلت) قد
اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها
من الاثرة وذلك أن تسمية المهر فى العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله أن يماسها
وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله
وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبى على ضربين سبى
طيبة وسبى خبثة فسبى الطيبة ماسبى من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالسبى منهم سبى خبثة ويدل
عليه قوله تعالى (مما أفاء الله عليك) لان فىء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب
اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتى هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم
أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع
لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق
ذلك فعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم رضى الله عنهن * قرئ (ان وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضى الله عنه أن بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان (فان قلت) مامعنى الشرط الثانى

ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت

ارادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه ههنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازا لانه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازا والله أعلم

مع الاول (قلت) هو تقييد له شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لان ارادته هى قبول الهبة وما به تتم (فان قلت) لم عدل عن الخطاب الى الغيبة فى قوله تعالى (نفسها للنبى ان أراد النبى) ثم رجع الى الخطاب (قلت) للايذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبى للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعى لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك فى اللفظ يحتاج الى دليل وقال أبو الحسن الكرخى ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتى آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازى لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أى خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت فى أثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهى جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى أى حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق فى دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفى دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أى ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفورا) للواقع فى الحرج اذا تاب (رحيما) بالتوسعة على عباده * روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى أرى ربك يسارع فى هواك (ترجى) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوى) تضم يعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن أرجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن فى الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما فى قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)

نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي

لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر * كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين
كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيد لهن في آتيتهن * (لا تحل) وقرئ بالتذكير لان تأنيث
الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع
لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن
يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن
كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عائشة
بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية
بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث
المصطلقية رضي الله عنهن * من في (من أزواج) لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم
وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات
والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية
كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى
أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من
هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن
الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يا رسول الله قال
أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أحل له النساء تعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما أن يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا أحللنا لك
أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في
تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي
أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن * واستثنى ممن حرم عليه
الاماء (رقيبا) حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى
الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و (غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا
كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا
يا هؤلاء المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز
لاحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا أن يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن
ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير
ما هو له أن يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي * واني الطعام ادراكه
يقال أني الطعام اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته أي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة أكله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن
يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد
أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك
السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولا
مستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطلبوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به أو عن

أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين * لا بد فى قوله (فيستحيى منكم) من تقدير المضاف أى من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيى من الحق يعنى أن اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه * ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الافعال قيل (لا يستحيى من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحى بياء واحدة * الضمير فى (سألتموهن) لنساء النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسئلوهن) المتاع قيل ان عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء فى المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضى الله عنها يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده * وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثانى فى هدم الثلاث مما يجرى مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك (ان تبدوا شيأ) من نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة أهول وأجزل روى أنها لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أى لا اثم عليهن فى أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وأبناؤهما غير محارم * ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى فى حفظهما وليكن عملكن فى الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن (ان الله كان على كل شئ) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت فى علمه الاحوال * قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فان قلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب اليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فقال صلى الله عليه وسلم هذا

فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

من

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين

من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به ان الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره ومنهم من أوجبها فى العمر مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار (فان قلت) فالصلاة عليه فى الصلاة أهى شرط فى جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعى كانوا يكتفون عن ذلك يعنى الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فان قلت) فما تقول فى الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى ولكن للعلماء تفصيلا فى ذلك وهو أنها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدى الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصى وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثانى أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون فى أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى وآذانى ولم ينبغ له أن يؤذينى فأما شتمه اياى فقوله انى اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله ان الله لا يعيدنى بعد أن بدأنى وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل فى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه فى نكاح صفية بنت حيى وأطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان أذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا) بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى الذين أفكوا على عائشة رضى الله عنها وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت الا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول * الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما الرداء الذى يستر من فوق الى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد * مجلبب من سواد الليل جلبابا * ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن فى أول الاسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضى حوائجهن فى النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أى أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن

(فان قلت) مامعنى من في من جلابيبهن (قلت) هو للتبعيض الا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض مالهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين في قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها (الا) زمنا (قليلا) ريثما يرتحلون ويتلقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين (فان قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك (فان قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا * كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين (قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب * السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد * وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا * وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم * يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف * وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك (لا تكونوا

وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

* قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا (قال فيه المراد بقوله تعالى الا قليلا ريثما يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لا غير) قال أحمد وفيها اشارة الى أن من توجه عليه اخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

كالذين آذوا موسى) قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب فى جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على انه برىء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك (فان قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لان ما اما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسدد قولهم فى كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق فى المجىء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله تعالى فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعى الى تركه * لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة) وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما أن الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز * وأما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما فى يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق أخيك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الانسان فأبين الا أن يؤدينها وأبى الانسان الا أن يكون محتملا لها لا يؤديها * ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثانى أن ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته (انه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن الا على

كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوّى العوج وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصوّر مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن فى الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصوّر أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فان قلت) قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لانه مثلت حاله فى تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على أحدهما بحال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شئ مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما فى هذه الآية فان عرض الامانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال فى نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا أن تشبه شيأ والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به فى الآية وفى قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفى نظائره مفروض والمفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها * واللام فى ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما أن التأديب فى ضربته للتأديب نتيجة الضرب * وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافى كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ما فى السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذى كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد فى الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فان قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد فى الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب وأما الحمد فى الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون * ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلج فى الارض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع فى الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هى له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفرطين فى أداء مواجب شكرها * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ننزل بالنون والتشديد * قولهم (لا تأتينا الساعة) نفى للبعث وانكار لمجئ الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد * أوجب ما بعد النفى ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى امدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزى لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فان قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من

﴿سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

﴿القول فى سورة سبأ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة (قال فيه الحمد الاول واجب لانه على نعمة متفضل بها والثانى ليس بواجب لانه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق فى الفرق بين الحمدين ان الاول عبادة مكلف بها والثانى غير مكلف به ولا متكلف وانما هو فى النشأة الثانية كالحليات فى النشأة الاولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس والا فالنعمة الاولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لا عن استحقاق والله الموفق

مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية وأولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على
اثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شئ من الخفيات
اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا (فان قلت) الناس
قد أنكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الايمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو
فى معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم
يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله فى العقول وركب فى الغرائز وجوب
الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسئ لا بد له من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلا
له * قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند الى عالم
الغيب أى ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك وقال أو يأتى
أمر ربك * وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح
ولا يعزب بالضم والكسر فى الزاى من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال
ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) اشارة الى مثقال ذرة * وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على
أصل الابتداء وبالفتح على نفى الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع
عما قبله (فان قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر
وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفى وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل
لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت
الضمير فى عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب فى اللوح لان اثباتها فى اللوح نوع من
البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شئ ولا يزل عنه الا مسطورا فى اللوح * وقرئ معجزين
وأليم بالرفع والجر * وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) فى موضع الرفع أى ويعلم أولو العلم يعنى أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الاحبار
وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما * الذى أنزل اليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق
بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة فى موضع المفعول الثانى وقيل يرى فى موضع النصب معطوف على
ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا
وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا)
قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من
الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى
يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد * أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه * ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون فى شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك
وذلك أجن الجنون وأشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما
كائنان فى وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما فى الحقيقة مقترنان
* وقرأ زيد بن على رضى الله عنه ينبئكم (فان قلت) فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيابهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الاموات فى بطون الطير والسباع وما مرت به
السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح * (فان قلت) ما العامل فى اذا (قلت)
ما دل عليه انكم لفى خلق جديد وقد سبق نظيره * (فان قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت)
هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى
مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذى جده الناسج الساعة فى الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة

مثقال ذرة فى السموات
ولا فى الارض ولا
أصغر من ذلك ولا
أكبر الا فى كتاب مبين
ليجزى الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك
لهم مغفرة ورزق
كريم والذين سعوا فى
آياتنا معاجزين أولئك
لهم عذاب من رجز
أليم ويرى الذين أوتوا
العلم الذى أنزل اليك
من ربك هو الحق
ويهدى الى صراط
العزيز الحميد وقال
الذين كفروا هل ندلكم
على رجل ينبئكم اذا
مزقتم كل ممزق انكم
لفى خلق جديد

جديدوهى عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك (فان قلت) لم أسقطت الهمزة فى قوله افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن أمر اضطرهم الى ترك اسقاطها فى نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام * (فان قلت) مامعنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازى لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل (فان قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما فى قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فامعنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول فى أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلى ببعض الاحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به و بأمره * أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان فى ذلك) لنظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به * قرئ يشأ و يخسف و يسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه * وقرأ الكسائى يخسف بهم بالادغام وليست بقوية (ياجبال) اما أن يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا ياجبال أو قلنا ياجبال * وقرئ أوبى وأوبى من التأويب والاوب أى رجعى معه التسبيح أو ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها مايسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها * وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فان قلت) أى فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى الى مافيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا اشعارا بأنه مامن حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة * وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله و يتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه و يقول لهم ماتقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له مايستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق * والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله * (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشأم ان شاء الله * القطر النحاس المذاب من القطران (فان قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت)

افترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه

أرادبها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى أرانى أعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه * وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لايراه الجنى * المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها و يذب عنها وقيل هى المساجد * والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فان قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لان التمثال كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصوّر محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما * والجوابى الحياض الكبار قال

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية السيح العراقى تفهق

لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الأثافى لاتنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ماقيل لآل داود وانتصب (شكرا) على أنه مفعول له أى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ماشئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الاوانسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ماهذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر * قرئ فلما قضى عليه الموت * ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فأضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة * وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا * والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أى يطرد و يؤخر * وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنساءته على مفعالة كما يقال فى الميضأة ميضاءة من سأته أى من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى * و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر ان الجن (لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لايعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وأنت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع مافى صلتها لانه بدل وفى قراءة أبى تبينت الانس وعن الضحاك

باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين لقد كان

لسبأ فى مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور فأعرضوا
فارسلنا عليهم سيل
العرم وبدلناهم

تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علمت الانس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب مالبثوا وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف فى مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لاى شئ أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة فارادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أن افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه * قرئ (لسبا) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا * ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فان قلت) مامعنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين فى أنفسهما آية وانما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره (فان قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ماشئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) اما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أوهم أحقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم) الجرز الذى نقب عليهم الســكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقيهم فلما طغوا قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله

على

على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم المطر الشديد * وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر * والخمط شجر الاراك وعن أبى عبيدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله * والاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون أن أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلان أكل الخمط فى معنى البرير كأنه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيأ بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا * وقرئ وهل يجازى وهل نجازى بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التى باركنا فيها) هى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لاعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية الى أن يبلغ الشأم لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فان قلت) ما معنى قوله (ليالى وأياما) (قلت) معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن * قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشأم مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم * وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا قال كثير

أيادى سبا يا عز ما كنت بعدكم * فلم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم * قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى

بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه

al-Suyuti, Sharh Shawahid al-Mughni, 235

وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدق ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف عزما منه فظن بهم أتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها * والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبأ أولبني آدم * وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا) لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم * وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لايملكون مثقال ذرة) من خير أوشر أونفع أوضر (في السموات ولا في الارض ومالهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض (وماله منهم) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فان قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثاني فلا يخلو اما أن يكون من دون الله أولا يملكون أو محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لايلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين * تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لاتنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أولا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أوهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فان قلت) بم اتصل قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) ولاي شئ وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عزوجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون كليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن * تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أي أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أي نفى الوجل عنها وأفنى من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ ثم ترك ذكر الوجل وأسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي علقمة انه هاج به المرار

الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق

فالتف

* قوله تعالى وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة فى جد قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وهلم جرا الى الآية المذكورة وهذا الالزام ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومعناه ان أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة على ذرة لعلى أحد الامرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك

فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى * أمره بان يقررهم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لان الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا * وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق منى ومنك وان أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(فان قلت) كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال (قلت) لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه وفى قراءة أبى وانا أواياكم اما على هدى أو فى ضلال مبين * هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فيه من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام * وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار * (فان قلت) ما معنى قوله (أرونى) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به و(كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون

والتعريض أنضل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق منى ومنك

وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل

ان أحدنا لكاذب ومنه قول حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

(قال أحمد) وهذا تفسير مهذب واقتناب مستعذب رددته على سمعى فزاد رونقا بالترديد واستعاده الخاطر كأنى بطىء الفهم حين يفيد ولا ينبغى أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التى أكثر تعاطيها متأخر والفقهاء فى مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الامرين لازم على الابهام فهذا المسلك من هذا الوادى غير بعيد فتأمله والله الموفق * قوله تعالى قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل فى الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى النفس وأراد به الزلات والصغائر التى لا يخلو عنها مؤمن وأسند العمل الى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصى والكبائر) قال أحمد فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات التزاما للانصاف وزيادة على ذلك انه ذكر الاجرام المنسوب الى النفس بصيغة الماضى الذى يعطى تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب الى الخصم بما لا يعطى ذلك والله أعلم

من دون الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله (هو الله العزيز الحكيم) كانه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو ضمير الشان كما فى قوله تعالى قل هو الله أحد (الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه فى الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطأ الاول الا بالخطا الثانى فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فان قلت) فما تأويل من أضافه الى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعنى يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعنى التعظيم (فان قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * الذى بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل فى الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم فى الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب * والمستضعفون هم الاتباع * والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون * أولى الاسم أعنى نحن حرف الانكار لان الغرض انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد اذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول فى الايمان وصحت نياتكم فى اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فان قلت) اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها (قلت) قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فاضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل فى قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد * لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه (فان قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار (فان قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول * (فان قلت) من صاحب

هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا

الضمير فى (وأسروا) (قلت) الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الاضداد * هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا الى أحوالهم فى الدنيا * وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق * وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه * وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف * أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء فى حكم التأنيث ويجوز أن يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها أى ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب * وقرأ الحسن باللاتى تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذى يقربكم أى بالشئ الذى يقربكم * والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أى تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن) استثناء من كم فى تقربكم والمعنى أن الاموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة (جزاء الضعف) من اضافة المصدر الى المفعول أصله فاولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء * قرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى * هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك أعنى واسمعى يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه * والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهى البعد والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا

يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم
من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون
بعبادتها * وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء * الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة
ولا مضرة لأحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا
التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو
وحده * ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك * الاشارة الاولى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الاسلام كما
هو وفى قوله (وقال الذين كفروا) وفى أن لم يقل وقالوا وفى قوله (للحق لما جاءهم) وما فى اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وفى لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد
وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك
الحق النير قبل أن يذوقوه (ان هذا الا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل
عاقل تأمله سماه سحرا * وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نذيرا
ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم
آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل
الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على
تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا * وما بلغ هؤلاء بعض
ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال * فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى
بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء * قرئ يدرسونها من
التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من
الدرس * والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع * (فان قلت) ما معنى (فكذبوا رسلى) وهو مستغنى
عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم
التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر
فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو
فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أى للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله (بواحدة) بخصلة واحدة
وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذى لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب فى
الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا
لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين
متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر
الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره
على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى
ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف
ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب * وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من
جنة) أن هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما
مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدرى ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل

يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التى كنتم
بها تكذبون واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل يريد أن
يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم وقالوا ما هذا
الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما
جاءهم ان هذا الا سحر
مبين وما آتيناهم
من كتب يدرسونها
وما أرسلنا اليهم قبلك
من نذير وكذب الذين
من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم
فكذبوا رسلى فكيف
كان نكير قل انما أعظكم
بواحدة أن تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم
تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة ان هو الا
نذير لكم

راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدى على العاقل دعوى شئ لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فاذا أتى بها تبين أنه نذير مبين * (فان قلت) ما بصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية (بين يدى عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذى هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أى شئ سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفى مسئلة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ولكنه يريد به البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثانى أن يريد بالاجر ما أراد فى قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وفى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة فى القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم (على كل شئ شهيد) حفيظ مهيمن يعلم أنى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا أطمع منكم فى شئ * القذف والرمى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل ان واسمها أو على المستكن فى يقذف أو هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذى غاب وخفى جدا * والحى اما أن يبدئ فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله أى ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى شئ ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك * قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فان قلت) أين التقابل بين قوله فانما أضل على نفسى وقوله فبما يوحى الى ربى وانما كان يستقيم أن يقال فانما أضل على نفسى وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها أو يقال فانما أضل بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شئ (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان

بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا

ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت * والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم (فان قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة * والتناوش والتناول أخوان الا أن التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى أجوه وأدؤر وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلوهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا (بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) اما من أرابه اذا أوقعه فى الريبة والتهمة أو من أراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ

فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

﴿سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع

يزيد فى الخلق مايشاء
ان الله على كل شئ
قدير مايفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها
ومايمسك فلا مرسل
له من بعده وهو العزيز
الحكيم ياأيها الناس
اذكروا نعمت الله
عليكم هل من خالق غير
الله

الاعداد عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير وأما
الوصفية فلا يفترق الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا
يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة
ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد فى الخلق مايشاء) أى يزيد فى خلق الاجنحة وفى غيره ماتقتضيه
مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى
للطيران وأعون عليه (فان قلت) قياس الشفع من الاجنحة أن يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلاثة
(قلت) لعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بى فى بعض
الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر
من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى
جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له فى
صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة
فأتاه جبريل فى صورته فغشى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى
يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل
فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه
ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط
الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال
صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وجراءة فى القلب وسماحة فى
النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة فى التكلم وحسن تأن فى مزاولة الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف
* استعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعنى أى شئ يطلق
الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها *
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على امساكها
وحبسها وأى شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على اطلاقه (فان قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخرا وهو راجع
فى الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة
فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن
اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير * وقرئ فلا مرسل لها (فان قلت) لا بد للثانى
من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون
مطلقا فى كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثانى للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه
(فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) ان أراد بالتوبة
الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراده ابن عباس رضى الله عنهما ان قاله فمقبول وان أراد أنه ان شاء أن
يتوب العاصى تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من
بعده) من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد
آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى
الحكمة ارساله وامساكه * ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من
الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر
أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون فى
نعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم

﴿القول في سورة الملائكة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه ان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا جعلته تفسيرا وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها * عاد كلامه (قال) فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرية اذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لان كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلهذا (٢٣٨) رأيت الزمخشري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده في اثبات خالق غير الله ووجهاهو الحق والظاهر وأخره في الذكر تناسيا له والذي يحقق الوجه الثالث وانه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على انهم مشركون اذا سئلوا عن رازقهم من السموات والارض قالوا الله فقرروا بذلك وقرعوا به اقامة للحجة عليهم باقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه قيدا لكان مفهومه اثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهؤلاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما لا ثم قولهم هذا ترجيح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأما من حيث النظم اللفظي فلان الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا اله الا هو سيقتا سياقا واحدا والثانية مفصولة اتفاقا عما تقدم فكذلك رديفتها * قوله تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه ولا يقولن لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة (قال أحمد هو يعرض باهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحدين وان لم يكن توبة وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى لان الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم اذا مصدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد

من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم ومنه نعمة الله العافية * وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء (فان قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله (فان قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي (فان قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة * وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم

الامايدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم * ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير * ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو أن يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق آمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول أن لا يهتم بامرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه * حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم * وقرئ أرسل الريح * (فان قلت) لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه * والكاف فى (كذلك) فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق * كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا

الا انك أقمت مايدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة * ثم عرف أن ماتطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أى يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل (فان قلت) مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب (السيئات) (قلت) هذه صفة للمصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته أو قتله أو اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة رضى الله عنه زوج بعضهم بعضا (بعلمه) فى موضع الحال أى الا معلومة له * (فان قلت) مامعنى قوله ومايعمر من معمر (قلت) معناه ومايعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (فان قلت) الانسان اما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله (ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائى وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب وصورته أن يكتب فى اللوح ان حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضى الله عنه لو أن عمر دعا الله لاخر فى أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله ومايعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة أطال الله بقاءك وفسح فى مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره وعن قتادة رضى الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضى الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف * ضرب البحرين العذب

اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح
يرفعه والذين يمكرون
السيئات لهم عذاب
شديد ومكر أولئك
هو يبور والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة
ثم جعلكم أزواجا وما
تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ومايعمر من
معمر ولا ينقص من
عمره الا فى كتاب ان
ذلك على الله يسير
ومايستوى البحران
هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح أجاج

والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه (ومن كل) أى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه * وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا * والفرات الذى يكسر العطش * والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل * والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) ويجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبر لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها * ان تدعوا الاوثان (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل (لما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم (يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء (فان قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء * (فان قلت) قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما فاذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيأ * الوزر والوقر أخوان ووزر الشئ اذا حمله * والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار (فان قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لان المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها الا وزر غيرها (فان قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية فى الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ (فان قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ) (قلت) الاول فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فان قلت) لم أسند

ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون
يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى ذلكم الله
ربكم له الملك والذين
تدعون من دونه
مايملكون من قطمير ان
تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير يا أيها الناس أنتم
الفقراء الى الله والله هو
الغنى الحميد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله
بعزيز ولا تزر وازرة
وزر أخرى وان تدع مثقلة
الى حملها لا يحمل منه شئ

كان فى (ولو كان ذاقربى) (قلت) الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة (فان قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت) ليعم ويشمل كل مدعو (فان قلت) كيف استقام اضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذاقربى للمثقلة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فان قلت) ماتقول فيمن قرأ ولو كان ذوقربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذوعسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على أن المثقلة ان دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذاقربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذوقربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ماساغ ان يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ماأوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله * وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعنى انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن ازكى فانما ازكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) وعد للمتزكين بالثواب (فان قلت) كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم فى قوله ان يشأ يذهبكم أتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عز وجل * والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب * والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر * والحرور والسموم الا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فان قلت) لا المقرونة بواو العطف ماهى (قلت) اذا وقعت الواو فى النفى قرنت بها لتأكيد معنى النفى (فان قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى الذى قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه * وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك فى ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك مالا سبيل اليه * ثم قال (ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق * والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة وفى حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فان قلت) كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير (قلت) اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهى المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من

ولو كان ذاقربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها * والجدد الخطط والطرائق قال لبيد * أو مذهب جدد على ألواحه *
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره
وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون
واحد غرابيب وعن عكرمة رضى الله عنه هى الجبال الطوال السود (فان قلت) الغربيب تأكيد للاسود
يقال أسود غربيب وأسود حالك وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد
أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون
الذى بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث
يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله تعالى
ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه
كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه
وقرئ ألوانها وقرأ الزهرى جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن
وسفائن وقد فسر بها قول أبى ذؤيب يصف حمار وحش * جون السراة له جدائد أربع * وروى عنه
جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها
من بعض * وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لان كل واحد منهما فرار
من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال
* المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق
قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث
أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال
رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال العالم من خشى الله وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد
ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فان قلت) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول فى هذا الكلام أو أخر
(قلت) لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده
هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا
يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان (فان قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال
ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر
المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما
يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنا أرجو
أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر
ابن عبد العزيز ويحكى عن أبى حنيفة (قلت) الخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم
كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية
لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (يتلون
كتاب الله) يداومون على تلاوته وهى شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هى آية القراء وعن الكلبى
رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدى رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبر ان * والتجارة طلب الثواب بالطاعة
و(ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم)
وهى ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون فى موضع
الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق فى سبيل الله
لهذا الغرض وخبر ان قوله (انه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة

وغرابيب سود ومن
الناس والدواب والانعام
مختلف ألوانه كذلك انما
يخشى الله من عباده
العلماء ان الله عزيز
غفور ان الذين يتلون
كتاب الله وأقاموا الصلوة
وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور ليوفيهم
أجورهم ويزيدهم من
فضله انه غفور شكور
والذى أوحينا اليك

* قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله (قال يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمتهم الآية الى ظالم لنفسه وهو المرجأ لامر الله والى مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا والى سابق ثم قال الزمخشري فان قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك في تتمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ٢٤٤ جنات عدن يدخلونها قلت لان الاشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب فاقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخداع) قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وانه منهم وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطنب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع الى المصطفين عموما والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعا واعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير الى آخر الآية خبر بعد خبر وخبر على خبر والله المستعان ولا

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي

(الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (فان قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما انا أوحينا اليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله * ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم ارساله في كل أمة رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فان قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة السبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع * وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه (فان قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول * ويحلون من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور * ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم

ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة بمعنى الاقامة يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذى هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع * وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أى لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فان قلت) ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفى ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له فى حكم النفى أى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى) وقرئ يجازى ويجزى (كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال * كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها * واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته * (فان قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة (غير الذى كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه (قلت) فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعنى فنقول لهم * وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم وعن النبى صلى الله عليه وسلم العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة و(النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب * وقرئ وجاءتكم النذر (فان قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغنى عن ذا انائك أجمعا * المعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء ألا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة * يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار * وخسار الآخرة الذى ما بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أرونى) بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله * بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضا) وهم الاتباع (الا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لان

أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

الامساك منع (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض * وقرئ ولو زالتا وان أمسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية * بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * وفى (احدى الامم) وجهان أحدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (مازادهم) اسناد مجازى لانه هو السبب فى أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادهم رجسا الى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فمازادهم الا أن نفروا استكبارا وعلوا (فى الارض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * ويجوز أن يكون (ومكر السيئ) معطوفا على نفورا (فان قلت) فما وجه قوله ومكر السيئ (قلت) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أى لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك فى كتاب الله وقرأ الآية وفى أمثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيأ (سنت الاولين) انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أى لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشأم والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس ان الضب ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شئ (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على أتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيئ والله أعلم بصحته وان صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصر على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أولانه دليل ناطق بالحكمة كالحى أولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فان قلت)

انه كان حليما غفورا وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

﴿سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر

﴿القول في سورة يس﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه ان قلت ما معنى قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين انه كذلك وأجاب بان الغرض وصفه ووصف ما جاء به فجاء بالوصفين في نظام واحد فكأنه قال انك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضا ففي تنكير الصراط انه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع ان التنكير قد يفيد تفخيما وتعظيما وهذا منه * قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه انه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار على أن ما مصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الاول متعلقة بالنفي معنى جوابا له والمعنى ان نفي انذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلناك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعني انها على التفسير الثاني تفهم ان غفلتهم سبب في انذارهم قال فان قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما أتاهم من نذير من قبلك وأجاب بان الآية لنفي انذارهم لا لنفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسماعيل وقد كانت النذارة فيهم * قال فما تصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه ان آباءهم لم ينذروا وهو التفسير الاولى في هذه الآية مع التفسير الثاني ٢٤٧ ومقتضاه أنهم أنذروا * وأجاب بأن آباءهم الاباعد هم المنذرون لا آباؤهم الادنون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وانهم لا يرعون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون لا ما قدامهم ولا ما خلفهم قال والضمير للاغلال لان طوق الغل يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) اذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالاغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبها بالاقماح لان المقمح لا يطأطئ رأسه وقوله فهي الى الاذقان تتمة للزوم الاقماح لهم وكان عدم الفكر في القرون الخالية مشبها بسد من خلفهم وعدم النظر في العواقب المستقبلة مشبها بسد من قدامهم * قال (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي * وأجاب بأن الوجه هو الاول واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله فهم مقمحون لانه جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا وترك الحق الابلج للباطل اللجلج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الاولى في قوله فهي الى الاذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الاقماح فان اليد والعياذ بالله تعالى تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطاتها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فان اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج باطلاقها ولعله يتحيل بها على فكاك الغل ولا كذلك اذا كانت مغلولة فيضاف الى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبها بغل الايدي فان اليد آلة الحيلة الى الخلاص

قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا

أي حاجة اليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فان التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه * وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا (فان قلت) أي فرق بين تعلق قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الاول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (فان قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر (قلت) لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم (فان قلت) ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الادنون دون الاباعد (القول) قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر * ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له

وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله (فان قلت) ما معنى قوله (فهي الى الاذقان) (قلت) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج (فان قلت) فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للايدي أو للايمان (قلت) يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه (فان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه أن البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم أن يخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما) أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح * والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول * وانتصاب اذ بأنه بدل من أصحاب القرية انطاكية و (المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان * أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي

فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في امام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما

* قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال ان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت التقفية تصح لو كان الانذار منفيا وأجاب بأن الامر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالانذار وهي الايمان منفية عنهم قفاه بقوله انما تنذر أي انما تحصل بغية الانذار ممن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) في السؤال سوء أدب وينبغي أن يقال وما وجه ذكر الانذار الثاني في معرض المخالفة للاول مع ان الاول اثبات والانذار الثاني كذلك

على أيديهم ماخلق كثير ورقى حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت مايقولانه فقال لاحال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لوسألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لايبصر ولايسمع ولايضر ولاينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فان قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ماسواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه * انما رفع بشر ونصب فى قوله ماهذا بشرا لان الا تنقض النفى فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل * (فان قلت) لم قيل انا اليكم مرسلون أولا و (انا اليكم لمرسلون) آخرا (قلت) لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار * وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) أى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعى والله انى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركى مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان أصابنا شئ كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ طيركم أى سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهى كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أى تطيركم * وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بألف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة يعنى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وان بغير استفهام لمعنى الاخبار أى تطيرتم لان ذكرتم أو ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لامن قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى أحد الا بعد ظهوره وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومى وقبره فى سوق انطاكية

فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا

---

* قوله تعالى انا اليكم مرسلون (قال ان قلت لم أسقط اللام هنا وأثبتها فى الثانية عند قوله ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قلت الاول ابتداء اخبار والثانى جواب انكار) قال أحمد أى فلاق توكيده

فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة * ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الاما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله (واليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع * وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم * وما أدفع العقول وأنكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به * وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر * أي لما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فان قلت) كيف مخرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال ياليت قومي يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الاشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول أوجه * وقرئ المكرمين * (فان قلت) ما في قوله تعالى (بما غفر لي ربي) أي الما آت هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شئ غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا أن قولك بم غفر لي بطرح الالف أجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شئ صنعت وبم صنعت * المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (فان قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (فان قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (قلت) انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شئ على كبار الانبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب

من لا يسئلكم أجرا
وهم مهتدون ومالي
لا أعبد الذي فطرني
واليه ترجعون أأتخذ
من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني
شفاعتهم شيأ ولا ينقذون
اني اذا لفي ضلال مبين
اني آمنت بربكم
فاسمعون قيل ادخل
الجنة قال ياليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين
وما أنزلنا على قومه من
بعده من جند من
السماء وما كنا منزلين

النجار وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين الى أن انزال الجنود من عظائم الامور التى لا يؤهل لها الا مثلك ما كنا نفعله بغيرك (ان كانت الا صيحة واحدة) ان كانت الاخذة أو العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدنى بالرفع على كان التامة أى ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شىء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة فى حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذى الرمة * ومابقيت الا الضلوع الجراشع * وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقوا ويزقى اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقى (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة فى معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ ياحسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى ياحسرتى وقرئ ياحسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم وياحسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى (كم) لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه و (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفى قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل له ان قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه * قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتى فى مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية * والتنوين فى كل هو الذى يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون * (فان قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حى جميع وجاؤا جميعا * القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشىء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء * قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره) بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقى والآبار وغير ذلك من الاعمال الى أن بلغ الثمر منتهاه وابان أكله يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أنها فى حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات

ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان

*قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون (قال فيه ان قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد وأجاب بأن كلا تفيد الاحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع فى التوكيد تابعا لكل لانه أخص

منه وأزيد معنى * قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للارض وصح ذلك لان المراد بالارض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع الجملة صفة للمعرف وان كان جنسيا وليس الغرض منه معينا وراعى هذا المانع المطابقة اللفظية فى الوصفية ومنه * ولقد أمر على اللئيم يسبنى *

الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر

كما قال رؤبة   فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كان ذاك ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الازواج) الاجناس والاصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم فى دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يسمهم وفى الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفى الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه * سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (مظلمون) داخلون فى الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها موقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذى أقر الله عليه أمرها فى جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذى تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقرئ تجرى الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أى لا تزال تجرى لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذى تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام فى استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد (فى قدرناه منازل) من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس و (عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف * وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لى قديم فهو حر أو كتب ذلك فى وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر * وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب * فلا ينبغى للشمس أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره

* قوله تعالى لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه ان كل واحد منهما لا يدخل على الآخر فى سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس بطيئة السير تقطع فلكها فى سنة والقمر يقطع فلكه فى شهر فكانت الشمس لبطئها جديرة بان توصف بالادراك والقمر لسرعته جديرا بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية ان النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء وبيانه من الآية انه جعل الشمس التى هى آية النهار غير مدركة للقمر الذى هو آية الليل وانما نفى الادراك لانه هو الذى يمكن ان يقع وذلك يستدعى تقدم القمر وتبعية الشمس فانه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق ولا وبحسب الامكان توقيع النفى فالليل اذا متبوع والنهار تابع * فان قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقا * فالجواب ان هذا مشترك الالزام وبيانه ان الاقسام المحتملة ثلاثة اما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء

أوعكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهـذا القسم الثالث منفي باتفاق فلم يبق الا تبعية النهار لليل وعكسه وهـذا
السؤال وارد عليهما جميعا الا ان من قال ان النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فان المتأخر اذا
نفى ادراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع انه يتناءى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تنائيا لا يجمع شمل المعنى باللفظ
فان الله تعالى نفى أن تكون مدركة فضلا عن أن تكون سابقة فاذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي
النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحينئذ يثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فانه غير معتبر
ألا ترى الى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثري فقد قربهم منه عذرا عن قوله تعالى (٢٥٣) وما أعجلك عن قومك فكأنه
سهل أمر هذه العجلة

ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون
وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون وان نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم
ولا هم ينقذون الا
رحمة منا ومتاعا الى
حين واذا قيل لهم
اتقوا ما بين أيديكم وما
خلفكم لعلكم ترحمون
وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين واذا قيل
لهم أنفقوا مما رزقكم
الله قال الذين كفروا
للذين آمنوا أنطعم من
لو يشاء الله أطعمه ان
أنتم الا في ضلال مبين
ويقولون متى هـذا
الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة
واحدة تأخذهم وهم
يخصمون

*ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فان قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطئ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق (لا صريخ) لا مغيث أو لا اغاثة يقال أتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) لا ينجون من الموت بالغرق (الا رحمة) الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة (الى حين) الى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال

سلمت من الحمام الى الحمام * ولم أسلم لكي أبقى ولكن

وقرأ الحسن رضي الله عنه نغرقهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله (الا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة *كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هـذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه أنطعم المقول فيه هـذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة

بكونهم على أثره فكيف
لو كان متقدما وهم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فذاك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقا فحينئذ يكون
القول بسبقية النهار لليل مخالفا صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فان بين عدم الادراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق
بونا بعيدا ومخالفا أيضا لبقية الآية فانه لو كان الليل تابعا ومتأخرا لكان أحرى ان يوصف بعدم الادراك ولا يبالغ به عدم السبق ويكون
القول بتقدم الليل على النهار مطابقا لصدر الآية صريحا ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب الى
الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وتسديده *قوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الى قوله ومتاعا الى حين
(قلت) من هنا أخذ أبو الطيب

سلمت من الحمام الى الحمام * ولم أسلم لكي أبقى ولكن

لانه تعالى أخبرانهم

Diwan, 264 v.40

جوابهم للمؤمنين * قرئ وهم يخصمون بادغام التاء فى الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء فى الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم فى أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم فى متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون فى الحجة فى أنهم لا يبعثون (فلا يستطيعون) أن يوصوا فى شئ من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة * قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم و (الاجداث) القبور وقرئ بالفاء (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهى النفخة الثانية * قرئ ياويلتنا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و (هذا) مبتدأ و (ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف أى هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أى ما وعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فان قلت) اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فاوجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون بمعنى والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقنى سن بكره (فان قلت) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل الا أنه جئ به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (الا صيحة واحدة) قرئت منصوبة ومرفوعة (فاليوم لا تظلم نفس شيأ * ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يثمره فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصى من مشاق التكاليف ومضايق التقوى والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة مالقى العصاة من العذاب وعن ابن عباس فى افتضاض الابكار وعنه فى ضرب الاوتار وعن ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبى هم فى شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم * قرئ فى شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون * والفاكه والفكه المتنعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهى المزاحة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير فى شغل وفى فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال * وقرئ فى ظلل والاريكة السرير فى الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يدعون) يفتعلون من الدعاء أى يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد * فاشتوى ليلة ريح واجتمل * ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون

فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون

ان سلموا من موت الغرق فتلك السلامة متاع الى حين اى الى أجل يموتون فيه ولا بد * قوله تعالى فى شغل فاكهون (قلت) هذا مما التنكير فيه للتفخيم كأنه قيل فى شغل أى شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ومنه قوله تعالى وان اعبدونى هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه والتنكير يفيد ذلك افادته اياه فى قول كثير عزة

فان كان يهدى برد أنيابها العلى
لافقر منى البيت

ولولا ذلك لم يستقم معنى البيت قال ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الاحوال فيه ان

من

من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على وفلان فى خير ما ادعى أى فى خير ماتمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أى مايدعو به أهل الجنة يأتيهم و (سلام) بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل مايدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم مايدعون سالم خالص لاشوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم مايدعون سلام أى عدة من رب رحيم والاوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون و يسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم * وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر الا فى الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا) اشارة الى ماعهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه مافى قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لافقر منى اننى لفقير

أراد اننى لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا (صراط مستقيم) يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه و يجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى الى الضلالة والتهلكة كانه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لايضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه * قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفى قراءة على رضى الله عنه جيلا واحد الاجيال * يروى أنهم يجحدون و يخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل * وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على أن الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة * الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لايخلو من أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لامسبوقا اليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لوشاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا و يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لوشاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لوشاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى أنهم لايقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ماوراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان

سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على

يعتقد انه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه

مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها

يهتدون فيما ألفوا به وضروا به من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم * وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيأ ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فقيل (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ وأين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا أن هذا لفظه عربى كما أن ذاك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فان قلت) فقوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه أن جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه (من كان حيا) أى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالايمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من يعملون بالايدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

* قوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث انه استدلال بقدرته على رده الى أرذل العمر والى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
* وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أى ذو
ركوبهم أوفن منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن
ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب أو الشرب * اتخذوا الآلهة طمعا فى أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس
ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف
ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار * وقرئ فلا
يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما
يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى
نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فان قلت) ما تقول فيمن يقول
ان قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما
أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه
ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح
الشافعى وكلاهما تعليل والثانى أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون
وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه
لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر
البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على
ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما
بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيأ ألا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر * قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه
وأبلغ وأدل على تمادى كفر الانسان وافراطه فى جحود النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى
القحة حيث قرره بأن عنصره الذى خلقه منه هو أخس شئ وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من
الاحليل الذى هو قناة النجاسة * ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة
الجبار وشرز صفحته لمجادلته وركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت
عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من
موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبى بن خلف الجمحى
وأبو جهل والعاصى بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبى ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله
يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وهو
يقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى
قوله (فاذا هو خصيم مبين) فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما
فى نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين * (فان قلت) لم سمى قوله (من يحيى
العظام وهى رميم) مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى انكار قدرة الله تعالى على احياء
الموتى أو لما فيه من التشبيه لان ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا
قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله
وتشبيها له بخلقه فى أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه * والرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات

منافع ومشارب أفلا
يشكرون واتخذوا
من دون الله آلهة
لعلهم ينصرون لا
يستطيعون نصرهم
وهم لهم جند محضرون
فلا يحزنك قولهم انا
نعلم ما يسرون وما
يعلنون أولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين
وضرب لنا مثلا ونسى
خلقه قال من يحيى
العظام وهى رميم قل
يحييها الذى أنشأها
أول مرة

فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبى حنيفة فهى عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى توري بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين * قرئ الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر وفى معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس * وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ) اذا دعاه داعى حكمة الى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لا محالة (فان قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شئ من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع (فان قلت) فما وجه القراءتين فى فيكون (قلت) أما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شئ مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيأ مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة (فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شئ) هو مالك كل شئ والمتصرف فيه بواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام ان فى القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس

وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون

﴿سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

* أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل مازجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فان قلت) ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات (قلت) اما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات (فان قلت) فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده (قلت) ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان أردت العلماء وقواد الغزاة وان أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك اذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل مازجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة * وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف و (المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين (فان قلت) فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين (قلت) أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم * والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملها قوله (بزينة الكواكب) فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والاعمش وابن

(القول في سورة والصافات) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) في تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون في الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فان قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه اما التعاقب وقوع الصفات وجودا كقوله

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

أو على ترتبها التفاوت من بعض الوجوه كقولك اعمل الاحسن فالاجمل واما الترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذا ان وحدت الموصوف كانت الدلالة (٢٥٩) على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها ان تعتقدان صنفا مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وافضلها أو على العكس ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون لتفاضل بين الطوائف اما على أن الاول هو الافضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتبها في التفاضل على أن الاول هو الافضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صفة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداءة بالافضل الاعتناء بالاهم فقدم ووجه عكس هذا الترقي من الادنى الى الاعلى ومنه قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال ان هذا انما ساغ لان الواو لا تقتضي رتبة فان هذا غايته انه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل في مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى فانهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب الى أنها حروف قسم فوقوع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد الا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم

* قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لان الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا فحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن واهدر عملها مثل
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي واستبعد اجتماع هذين الحذفين وان كان كل واحد منهما بانفراده سائغا ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصا لما عليه أحوال المسترقة للسمع اهـ كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب (٢٦٠) عن اشكاله الوارد على الوجه الاول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظا منه هي حاله حال كونه لا يسمع واحدى الحالين لازمة للاخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفا بعدم السماع في حالة واحدة لا على ان عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه ونظير هذه الآية على هذا التقدير

وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لان تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشري وتشديدها في هذه الآية قريب من هذا التفسير الا أنه ذكر معه تأويلا آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعا من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم ما كانوا رسلا الا بالارسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون الا بالحفظ وأما الجواب عن اشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وأصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جميعا من محليهما

وثاب وان أردت الاسم فللاضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها * الضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فان قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لان سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك * الا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب (فان قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن واهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فان قلت) أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه (قلت) المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك * والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع * والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء

وتشديدها واصلهما اختطف * وقرئ فأتبعه وفاتبعه * الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقررهم والضمير لمشركى مكة قيل نزلت فى أبى الاشد بن كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ماذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون * وخلقهم (من طين لازب) اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم * وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد * والثاقب الشديد الاضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فان قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شئ وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعى ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما (هى الا زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فاذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و (هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (فاهدوهم) فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها * هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا

فاستفتهم أهم أشد
خلقا أم من خلقنا انا
خلقناهم من طين
لازب بل عجبت
ويسخرون واذا ذكروا
لا يذكرون واذا رأوا
آية يستسخرون وقالوا
ان هذا الا سحر مبين
أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون
أو آباؤنا الاولون قل
نعم وأنتم داخرون فانما
هى زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين
هذا يوم الفصل الذى
كنتم به تكذبون
احشروا الذين ظلموا
وأزواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله
فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم
مسؤلون ما لكم
لا تناصرون

على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن
عجز فكلهم مستسلم غير منتصر * وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام * اليمين لما كانت أشرف
العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر
الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح
وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى كل شئ وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب
السيآت ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسئ أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه
عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء فى بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة
اليمين أتاه من جهة الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من
بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه
وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فان قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز فى
نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب فى الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا
من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم
كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه
وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الايمان
وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به
تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما) مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد
الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل

* لقد زعمت هوازن قل مالى *

ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن
ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم)
فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا)
مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعنى أن سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها (انهم كانوا اذا)
سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا الا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه * وقرئ لذائقوا العذاب
بالنصب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * بتقدير التنوين * وقرئ على الاصل لذائقون
العذاب (الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم جزاء سيأ بعمل سيئ (الا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء
المنقطع * فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه
لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على
سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فى
جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذى يقوله العلماء فى حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من
أعظم ما يجب أن تتوق اليه نفوس ذوى الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار
وصغارهم * التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض * قال الزجاجة فيها الخمر كأس
وتسمى الخمر نفسها كأسا قال * وكأس شربت على لذة * وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا
فى تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر

بل هم اليوم مستسلمون
وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا
انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا
عليكم من سلطان بل
كنتم قوما طاغين فحق
علينا قول ربنا انا
لذائقون فأغويناكم
انا كنا غاوين فانهم
يومئذ فى العذاب
مشتركون انا كذلك
نفعل بالمجرمين انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون
ويقولون أئنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق
المرسلين انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما
تجزون الا ما كنتم
تعملون الا عباد الله
المخلصين أولئك لهم
رزق معلوم فواكه
وهم مكرمون فى جنات
النعيم على سرر متقابلين
يطاف عليهم بكأس
من معين

للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) اما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هى تأنيث اللذ يقال لذ الشئ فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته ＊ بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم ＊ الغول من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى أمثالهم الغضب غول الحلم و(ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله و يقال للسكران نزيف ومنزوف و يقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفى أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمرى لئن أنزفتم أو صحوتم ＊ لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا فى القشع والكب وفى قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التى تكون فى شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا ＊ والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون فى الاداحى وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور (فان قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

ومابقيت من اللذات الا ＊ أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا أنه جئ به ماضيا على عادة الله فى أخباره ＊ قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت فى رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله به فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ (لمدينون) لمجزيون من الدين أو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه (قال) يعنى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضى والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فاطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشئ دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله ＊ هم الفاعلون الخير والآمرونه ＊ أو شبه اسم الفاعل فى ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا فى الشعر (فى سواء الجحيم) فى وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائى وعن أبى عبيدة قال لى عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائى (ان) مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هى الفارقة بينها وبين النافية ＊ والارداء الاهلاك وفى قراءة عبد الله لتغوين (نعمة ربى) هى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء أو انعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك ＊ الذى عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم

بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين

＊ قوله تبارك وتعالى يطاف عليهم بكأس من معين الى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب ومابقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على الشراب

＊ قوله تعالى هل أنتم مطلعون (قال) فأطلع على صيغة المضارع المنصوب قال فى موجب هذه القراءة ان معناها انه لا يستبد بأمر دونهم فشرط فى اطلاعه اطلاعهم وذلك من آداب المجالسة

وماقضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماشر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيده تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) أى ان هذا الامر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله عزوجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو مارزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حاصلا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والنزل ما يقال للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير فى شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها * والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خير فيقولون فى القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد * شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم * وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر (فان قلت) مامعنى حرف التراخى فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفى قوله (ثم ان مرجعهم) (قلت) فى الاول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الى الجحيم * علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل * والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع

ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته

ذلك

ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه * واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بابلغ مايكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده أوهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فان قلت) فما معنى قوله (فى العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم * علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وان اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق فى أكثر الاشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (فان قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فان قلت) ما معنى المجىء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (أئفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا يعنى أتريدون به افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها افك فى أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان رب العالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر فى وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أى شىء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (فى النجوم) فى علم النجوم أو فى كتابها أو فى أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر اليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم أنه استدل بامارة فى علم النجوم على أنه يسقم (فقال انى سقيم) انى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل (فان قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه وقيل أراد انى سقيم النفس لكفركم (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى أصنامهم التى هى فى زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائى ألا تأكلون مالكم لا تنطقون استهزاء بها

هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعنى خلقكم وما تعملون من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن فان قلت كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم * وأجاب بان هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الاصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى واشكالها وصورها معمولة لهم * فان قلت ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة * وأجاب بان أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فان الله تعالى (٢٦٦) احتج عليهم بانه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى

وبانحطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم (ضربا) لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه اذا حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه (فان قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففى أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفى الآخر انهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثانى أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن أى فطر الاصنام (فان قلت) كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فان قلت) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشئ آخر وهو أن قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما فى ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فان قلت) أجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الالزامان فى عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها

عمل صورة المعبود * قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشئ آخر وهو ان قوله وما تعملون شرحه فى قوله أتعبدون ما تنحتون ولا مقال فى ان ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب * قال فان قلت أجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم

فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه

وحينئذ توافق الاولى فى أنها موصولة فلا يلزمنى التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الالزامان فى عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فهى واقعة عندك على المصدر الذى هو جوهر الصنم وفى ذلك فك للنظم وتبتير

كما لو جعلتها مصدرية انتهى كلامه (قلت) اذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك موصولة انهم لم يعبدوا هذه الاصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعانوا فى تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجرا دون حجر فدل أنهم انما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التى هى أثر عملهم ففى الحقيقة انهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بانهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فاذا أثبت ذلك

فليتبغ كلامه بالابطال أما قوله انها موصولة وان المراد بعملهم لها عمل أشكالها فخالف للظاهر فانه مفتقر الى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فانه غير مفتقر الى حذف البتة ثم اذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته (٢٦٧) على أن جواهر الاصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبودا لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح

في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما

موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم * والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه * أراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث أمره بالمهاجرة اليه من أرض الشأم كما قال اني مهاجر الى ربي (سيهدين) سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده على أبي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب * وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم أواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا * فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فان قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الاب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم * أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال (اني أرى في المنام أني أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي (افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أو أمرك على اضافة المصدر الى المفعول

وأما قوله ان المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح فان لنا أن نحمل الاولى على أنها مصدرية وانهم في الحقيقة انما عبدوا نحتهم لان هذه الاصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة اذا حاصلة والالزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لانا انما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يجدون الذريعة الى اقتحام الحجة ويأبى الله

وتسمية المأموربه أمرا وقرئ ماتؤمر به (فان قلت) لم شاوره فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع
الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ماعنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل
ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة
بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم
الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فان قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى
يوسف عليه السلام سجود أبويه واخوته له فى المنام من غير وحى الى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام فى المنام وماسوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين
مصدوقين لان الحال اما حال يقظة أو حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة
من انفراد أحدهما * يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع
وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له
منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله وعن قتادة فى أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الارض
تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التى
بمنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم (فان قلت) أين
جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ماكان
مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما
من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض
ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من
الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من
غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها * الذبح اسم مايذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما
هو الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط
عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين
وهى السنة فى الاضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع
فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه
فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال
جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقى
سنة وحكى فى قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما
توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شئ من
دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون أهون
فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل
لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان
ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى
فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه
فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر
جبريل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض
جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فان قلت)
من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظى

وجماعة

وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم

الا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الاكاذيب الفارغة فهذا الزمام بل اللجام ان خالف السنة وغل بعنقه وعقر بكتفه وضرب على يده حتى يرجع الى الحق آيبا ويعترف بخطئه تائبا

* قوله تعالى قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فان قلت قد أوحى الى ابراهيم فى المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح * فاجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم ألا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شئ كما يسبق الى بعض الاوهام (٢٦٩) حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ماذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لان التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لان القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها ان ابراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل افعل ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول الى الفداء فمن ثم تحوم الزمخشرى على انه بذل غاية وسعه من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه وانما امتنعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين اما أن يكون الامر انما توجه عليه بمقدمات الذبح وقد حصلت لا بنفس الذبح أو توجه الامر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الامرين لا يخلصه أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله انى أرى فى المنام أنى أذبحك وقوله افعل ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لان الشفرة منعت بامر من الله تعالى بعد تسليم الامر بالذبح فحاصله انه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ اذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن فى هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم الى تسليم انه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لا ثبوت له وسياق الآية يخل دعواه ويقل ثنياه

وجماعة من التابعين أنه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابى يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظى قال كان مجتهد بنى اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بنى اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين أظهرهم قد أسمعتنى كلامك واصطفيتنى برسالتك قال يا موسى لم يحبنى أحد حب ابراهيم قط ولا خير بينى وبين شئ قط الا اختارنى وأما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه وأما اسرائيل فانه لم ييأس من روحى فى شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم أرسل الى يهودى قد أسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى أن احترق البيت وعن الاصمعى قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه اسحق فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب فى قوله فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد فى يعقوب وعن على بن أبى طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه اسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشأم بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فان قلت) قد أوحى الى ابراهيم صلوات الله عليه فى المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح (قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل فى شئ كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فان قلت) الله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادى هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدى به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهبته (فان قلت) فاذا كان ما أتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة

كذلك نجزى المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين
وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين وباركنا
عليه وعلى اسحق ومن
ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين ولقد مننا
على موسى وهرون
ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم
ونصرناهم فكانواهم
الغالبين وآتيناهما
الكتاب المستبين
وهديناهما الصراط
المستقيم وتركنا عليهما
فى الآخرين سلام على
موسى وهرون انا
كذلك نجزى المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين
وان الياس لمن المرسلين
اذ قال لقومه ألا تتقون
أتدعون بعلا وتذرون
أحسن الخالقين الله
ربكم ورب آبائكم
الاولين فكذبوه فانهم
لمحضرون الا عباد الله
المخلصين وتركنا عليه
فى الآخرين سلام على
الياسين انا كذلك
نجزى المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين وان
لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه وأهله أجمعين
الا عجوزا فى الغابرين ثم
دمرنا الآخرين وانكم
لتمرون عليهم

الذبح لم تحصل من فرى الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل ولكن فى نفس الكبش بدلا منه (فان قلت) فأى فائدة فى تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ماوجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة فى ذلك أن يوجد ما منع منه فى بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه (فان قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزى المحسنين) وفى غيرها من القصص انا كذلك (قلت) قد سبقه فى هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فان قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة أو مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذى يحل الاشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبى لا بد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا (وباركنا عليه وعلى اسحق) وقرئ وبركنا أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا أنبياء بنى اسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله أو فعله (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) الضمير لهما ولقومهما فى قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز أن تكون التوراة عربية أن تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس فى موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع * وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات فى الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون فى السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون (فان قلت) فهلا حملت على

هذا

هذا الياسين على القطع واخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن
ياسين اسم أبي الياس أضيف اليه الآل (مصبحين) داخلين في الصباح يعني تمرّون على منازلهم في متاجركم
الى الشأم ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها * قرئ يونس بضم النون وكسرها * وسمي هربه من
قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا * والمدحض
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا
عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على
يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال رب لائم مليم
أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على
شيب ونحوه مدعى بناء على دعى (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله
في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في
القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا
عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله واقباله
على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق
والشدائد (للبث في بطنه) الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم
القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف
في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن
الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه * وروى أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا
وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل * والعراء المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه (وهو
سقيم) اعتل مما حل به وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد * واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض
ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به وقيل هو الدباء
وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى
شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل
كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى
جزعا فأوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة ألف في يد الكافر (فان قلت) ما معنى وأنبتنا عليه
شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به ما سبق
من ارساله الى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين أو الى غيرهم وقيل
أسلموا فسألوه أن يرجع اليهم فأبى لان النبى اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله
باعث اليكم نبيا (أو يزيدون) في مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف
بالكثرة (الى حين) الى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله في أول
السورة وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن
ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثانى تفضيل
أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم
خلق الله عليه وأقربهم اليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء

مصبحين وبالليل أفلا
تعقلون وان يونس لمن
المرسلين اذ أبق الى
الفلك المشحون فساهم
فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو
مليم فلولا أنه كان من
المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون فنبذناه
بالعراء وهو سقيم
وأنبتنا عليه شجرة من
يقطين وأرسلناه الى
مائة ألف أو يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى
حين فاستفتهم ألربك
البنات ولهم البنون

للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت جماليه وذلك فى أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها فى
كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اذا تكاد السموات يتفطرن منه
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض بديع
السموات والارض أنى يكون له ولد ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزأ ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى البنات على
البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (أم خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون) (فان قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ماهو الا استهزاء بهم
وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم
وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق
استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط
جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم * وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى * (فان قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة
استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات (قلت)
جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وان
كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى أضعفها أن الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم
لكاذبون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين * وقرئ تذكرون من
ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل
عليكم فى ذلك كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن
سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه
أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك
على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد
الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية
جامعة له وللملائكة (فان قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن
ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم
جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى أنفسهم أن يبلغوا منزلة
المناسبة التى أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام
لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك
أتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه * والضمير فى (انهم لمحضرون) للكفرة
والمعنى أنهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار
معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث أضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا
ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن أشركوا الجن فى
طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير فى أنهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون
بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم (الا عباد الله
المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين
ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن
يصفوه به * الضمير فى (عليه) لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا أصحاب
النار الذين سبق فى علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فان قلت) كيف يفتنونهم على الله

أم خلقنا الملائكة اناثا
وهم شاهدون ألا انهم
من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون
أصطفى البنات على
البنين مالكم كيف
تحكمون أفلا
تذكرون أم لكم سلطان
مبين فأتوا بكتابكم ان
كنتم صادقين وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا
ولقد علمت الجنة انهم
لمحضرون سبحان الله
عما يصفون الا عباد
الله المخلصين فانكم وما
تعبدون ما أنتم عليه

(قلت)

(قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه
وخببها عليه ويجوز أن يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز
السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله
وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أى فانكم قرناؤهم
وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) بباعثين أو حاملين على طريق
الفتنة والاضلال (الا من هو) ضال مثلكم أو يكون فى أسلوب قوله

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين
هى ولام التعريف (فان قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو (قلت) من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل
هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى أن
يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا
ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره
قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين (ومامنا) أحد (الا له مقام
معلوم) فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفى كان من أرمى البشر
مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه
وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو أجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر
وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة منذ نزلت هذه
الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل فى صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه
أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد
علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا
سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم
وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم
لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب
العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن
يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته أو أجنحتنا مذعنين خاضعين
مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من
المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه
مما لا يجوز عليه * هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا (من) كتب (الاولين)
الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر
الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا (فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام * وان هى المخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره * الكلمة قوله
(انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى
واحد كانت فى حكم كلمة مفردة * وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم
القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم فى بعض
المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله

بفاتنين الا من هو صال
الجحيم ومامنا الا له مقام
معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن
المسبحون وان كانوا
ليقولون لو أن عندنا
ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين
فكفروا به فسوف
يعلمون ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون

فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿سورة ص مكية وهى ست وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ص

عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبى فى حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وعن السدى الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد * مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل * وقرأ ابن مسعود فبئس صباح * وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذر والا ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضى الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * وانما ثنى (وتول عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة * أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿سورة ص مكية وهى ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) على الوقف وهى أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن كذا بالنصب أو باضمار حرف القسم والفتح فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهى المعارضة والمعادلة ومنها

الصدى وهو ما يعارض الصوت فى الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه (فان قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما مر فى أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال والقرآن ذى الذكر انه لكلام معجز والثانى أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعنى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذى الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان و(حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أى ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبى زبيد الطائى

طلبوا صلحنا ولات أوان ✱ فأجبنا أن لات حين بقاء

(فان قلت) ما وجه الكسر فى أوان (قلت) شبه باذ فى قوله وأنت اذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات أوان صلح (فان قلت) فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير (فان قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة وأما قول أبى عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين فى الامام لا متشبث به فكم وقعت فى المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة ابن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه ✱ بيدى استناص ورام جرى المسحل

(منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذى لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته ✱ روى أن اسلام عمر رضى الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين

والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب

﴿القول في سورة ص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد
(قال) فيه معناه اصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد ان هذا الشئ يراد أي يريده الله ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع
فيه الا الصبر اه كلامه (٢٧٦) * قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه
لم يذوقوه بعد فاذا ذاقوه
زال عنهم ما بهم الخ)
قلت ويؤخذ منه ان
لما لائقة بالجواب وانما
ينفى بها فعل يتوقع
وجوده كما يقول سيبويه
وفرق بينها وبين لم بأن
لم نفى لفعل يتوقع
وجوده لم يقبل مثبته
قد ولما نفى لما يتوقع
وجوده أدخل على
مثبته قد وانما ذكرت
ذلك لانى حديث عهد
بالبحث في قوله عليه
الصلاة والسلام
الشفعة فيما لم يقسم فانى
استدللت به على أن
الشفعة خاصة بما يقبل
القسمة فقيل لى ان غايته انه أثبت الشفعة فيما نفى عنه القسمة فاما لانها لا تقبل قسمة واما انها تقبل ولم تقع القسمة
فأبطلت ذلك بأن آلة النفى المذكورة لم ومقتضاها قبول المحل الفعل المنفى وتوقع وجوده ألا تراك تقول الجدار لا يتكلم ولو قلت الجدار عندهم
لم يتكلم لكان ركيكا من القول لافهامه قبوله للكلام * قوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب
(قال) فيه تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التي

أجعل الآلهة الها
واحدا ان هذا الشئ
عجاب وانطلق الملأ منهم
أن امشوا واصبروا على
آلهتكم ان هذا الشئ
يراد ما سمعنا بهذا في
الملة الآخرة ان هذا
الا اختلاق أأنزل عليه
الذكر من بيننا بل هم
في شك من ذكرى بل
لما يذوقوا عذاب أم
عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب
أم لهم ملك السموات
والارض وما بينهما

دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب) أى بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال (الملأ) أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد (ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو ان هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان دينكم لشئ يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه * وأن بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أى اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم * ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها * وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله * ما (هذا الا اختلاق) أى افتعال وكذب * أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم في شك) من القرآن يقولون في أنفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعنى أنهم لا يصدقون به الا أن يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه (أم عندهم خزائن ربك) يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت

يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا فى المعارج والطرق الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
أمر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحى على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب معناه ان هؤلاء
الاجناد متحزبون على النبى صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الادبار اه كلامه (قلت) (٢٧٧) الاستواء المنسوب لله ليس
عما يتوصل اليه بالصعود فى المعارج والوصول الى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه لان الاستواء المنسوب الى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك وانما هو
صفة فعل أى فعل فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضى أبى بكر وليست عبارة الزمخشرى فى هذا الفصل مطابقة للفصل على جارى عاداته فى تحرير
العبارة عن مراده * قوله تعالى أولئك الاحزاب (قال فيه قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم
وانهم الذين وجد التكذيب منهم اه كلامه) قلت وفى تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهى أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين
ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوبا بالزيادة المذكورة ليلى قوله تعالى فحق عقاب على سبيل التطرية
المعتادة عند طول الكلام وهو كما قدمته فى قوله وكذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأمليت للكافرين

عندهم الحكمة التى يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له (فليرتقوا فى الاسباب)
فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت
الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب) يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال
بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما فى قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره الا أنه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب
لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك (ذو الاوتاد) أصله من ثبات
البيت المطنب بأوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود فى ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب
بين أربع سوار كل طرف من أطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده
بين أربعة أوتاد فى الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
(أولئك الاحزاب) قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم هم
الذين وجد منهم التكذيب * ولقد ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية
فأوضحه فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا
وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما
فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد
العقاب وأبلغه * ثم قال (فحق عقاب) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن
يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لانهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ما لها
من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع يعنى اذا جاء
وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من
رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد أنها
نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد * القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال
لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أى نصيبنا من العذاب
الذى وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فان قلت) كيف تطابق
قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت)
كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله فى أعينهم بذكر قصة داود
وهو أنه نبى من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل
زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب
ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته فى بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر اليها
والندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن

فليرتقوا فى الاسباب
جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد
وثمود وقوم لوط
وأصحاب الايكة أولئك
الاحزاب ان كل الا
كذب الرسل فحق عقاب
وما ينظر هؤلاء الا
صيحة واحدة ما لها من
فواق وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا قبل يوم الحساب
اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود

* قوله عزوعلا يسبحن بالعشى والاشراق (قال) الاشراق حين تشرق الشمس أى يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثانى ينفر بين العشى والاشراق فان العشى ظرف بلا اشكال فلو حمل الاشراق على الدخول فى وقت الشروق لكان مصدرا مع أن المراد به الظرف لانه فعل الشمس وصفتها التى تستعمل ظرفا كالطلوع والغروب وشبههما (٢٧٨) * عاد كلامه الى قوله تعالى يسبحن (قال فيه ان قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع

كان حالا وأجاب بان اختيارها لمعنى وهى الدلالة على حدوث التسبيح شيأ بعد شئ كأن السامع محاضر لها فيسمعها تسبح ومنه قول الاعشى
الى ضوء نار فى يفاع تحرق
ولو قال محرقة لم يكن شيأ) قلت ولهذه النكتة فرق سحنون

ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه

نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغى مالقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شئ ما يتقوى به (أواب) تواب رجاع الى مرضاة الله (فان قلت) ما دلك على أن الايد القوة فى الدين (قلت) قوله تعالى انه أواب لانه تعليل لذى الايد (والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشى والاشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس انى لا أجد فى كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق * ويسبحن فى معنى ومسبحات على الحال (فان قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى * الى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيأ وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن الا أنه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيأ بعد شئ جىء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيأ بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف فى قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى المنام

من أصحابنا بين أنا محرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرما بوجود صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فانه لا يكون محرما حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه رأى ان صيغة الفعل خصوصية فى الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وان كان متأخرا وأصحابنا اختلفوا ان

فى معنى قول سحنون فى اسم الفاعل يكون محرما يوم يفعل فمنهم من قال أراد الفور فينشئ احراما ومنهم من قال يكون محرما فى الحال بالتعليق الاول ولا يجدد شيأ ومذهب مالك التسوية بين صيغتى اسم الفاعل والفعل فى هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشرى هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل فى قوله والطير محشورة كل له أواب فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيأ فشيأ معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل فى الاول

*قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية (ذكر) في تفسيرها فصلا أسرده على الاختصار والايجاز لتندرج حقائق فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا النزول له عن امرأته اذا أعجبته فيتزوجها وقد روى مثله عن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبته فسأله ايثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له انك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها وكان الافضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب اليه أهلها فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه الانبياء فقيل له انهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له انك تبتلى (٢٧٩) يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فد يده ليأخذها لولد صغير فطارت فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث الى أيوب صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا الى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم اليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم

الحكمة وفصل الخطاب

فسلم فأمر بتقديمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال من حدثكم بقصة داود كما يرويها القصاص جلدته مائة وستين حد الفرية مضاعفا وروى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فالتماس خلافها فرية وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا لنبيه عليه السلام فما ينبغي لك اظهار ما ستره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز استماعي هذا الكلام أحب الي مما طلعت عليه الشمس * قال الزمخشري والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله أن قصته ليست الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشري على مجيء الانكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع الى التأمل والتنبيه لوجه الخطا مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الانكار والتوبيخ والقاء بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكماء بذلك في سياسة الوالد لولده اذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه

أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال ان الله عز وجل لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أباه غيلة فقتله فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة * الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر * كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى اليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فقد ابتلي ابراهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت

فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على مافى كتاب الله فماينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ماذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فماينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الاطلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فان قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة ألاترى الى الحكماء كيف أوصوا فى سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بانكارها عليه ولايصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ماوجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لمابين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فان قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم بماحكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الانباء العجيبة التى حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر فى أصله تقول خصمه خصما كماتقول ضافه ضيفا (فان قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم (فان قلت) فماتصنع بقوله ان هذا أخى وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فان قلت) فقد جاء فى الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولايمنع ذلك أن يصحبهما آخرون (فان قلت) فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما فى قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين فى صورة الخصم صحت التسمية (فان قلت) بم انتصب (اذ) (قلت) لايخلو اما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلايسوغ انتصابه بأتاك لان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقع الافى عهده لافى عهد داود ولا بالنبالان النبأ الواقع فى عهد داود لايصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبا القصة فى نفسها لم يكن ناصبا فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لمافيه من معنى الفعل وأما اذ الثانية فبدل من الاولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الابنية تسنمه اذاعلا سنامه وتذرّاه اذاعلا ذروته روى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لايتركون من

يدخل

وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف

التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة * قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولاتخفى على أحد وتشويقا الى سماعها أيضا

وقال فى قوله هذا أخى ان الاخوة كيف ما كانت امامن الصداقة أومن الدين أومن الشركة والخلطة تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال ان هذا أخى وقال فى الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتانى بعالم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أى خطبت نخطب على خطبتى فغلبنى والمفاعلة لان الخطبه صدرت منهما جميعا وقال فى ذكر النعاج انها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلا وكلامهم أيضا تمثيلا لانه أبلغ لما تقدم والتنبيه على ان هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه سماجة للافصاح به والستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة أوريا برجل له نعجة (٢٨١) واحدة وخليطه تسع وتسعون

فاراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة ثم قال فان قلت طريقة التمثيل انما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فان كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ ان تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعار والها

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال

الشاة فى قوله ياشاة ماقنص لمن حلت له الا ان لفظ الخلطاء يأباه اللهم الا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذى سبق الى فهم داود عليه

السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم فى النعاج التى هى البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه الى فهم انه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم فى النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك قال فان قلت لم صح من الملائكة الاخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشئ منه وأجاب بان ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول فى تصوير المسئلة زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون خاطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا الى أربعون شاة ولك أربعون ومالك ولا له من الاربعين أربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى وأجاب بانه يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ومعناه وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم اياها بالكسول والمكسال كقوله

يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و(سوء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت ✱ تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به ✱ وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فان قلت) مامعنى ذكر النعاج (قلت) كان تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل أبلغ فى التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة (فان قلت) انما تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة فى نحو قوله ياشاة ماقنص لمن حلت له ✱ فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه الا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فان قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها فى أنفسهم وكانوا فى صورة الاناسى كما تقول فى تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها ومالزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا فى تصويرها لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فان قلت) ماوجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى (قلت) يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله

فتور القيام قطيع الكلام اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولى نعجة انما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير ليسجل على خصمه بالبغى لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التى توجب اقامة عذر ما لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة وتأكيد قلتها بقوله واحدة فهذا الاشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بان القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن وصف مثالها فى قصة الخصمين بالحسن زيادة فى التطبيق لتأكيد التنبيه على انه هو المراد بالتمثيل ثم قال فان قلت لم سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بان ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل ان يكون ذلك من داود على

سبيل الفرض والتقدير أى ان صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم ان هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وانما كانت من البشر اما خليطين فى الغنم حقيقة واما كان

تمشى رويدا تكاد تنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه قيل باضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب (فان قلت) كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه و (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهى الخلطة وقد غلبت فى الماشية والشافعى رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة الا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبى حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففى أربعين بين خليطين لا شئ عنده وفى مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فان قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذى النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى رحمه الله وعند أبى حنيفة لا شئ عليه (فان قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره اليهم الظلم والاعتداء الذى عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له فى أكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما فى (وقليل ماهم) للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) انا ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتنى لهى بالامس أفتنت وفتناه وفتناه على أن الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحنى ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه فى سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتى الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أى مصليا لان الركوع يجعل عبارة

لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا

أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسرارى والثانى مقترا وماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه ان يكونا مغتالين لانهما دخلا عليه فى غير وقت القضاء وماكان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل ثمته اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل عن تنزيه داود عن ذنب يبغيه عليه شهوة النساء فاخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة فى نسبة الظلم الى المدعى عليه لان الباعث على ذلك فى الغالب انما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه فى الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما جردت العناية بتوصية فيما يتعلق بالاحكام الا والذى صدر منه أولا وبان منه من قبيل ما وقع له فى الحكم بين الناس وقد التزم المحققون من أئمتنا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع فى صغائر الذنوب مبرؤن من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لامثال هذه القصة وهذا هو الحق الابلج والسبيل الابهج ان شاء الله تعالى

عن الصلاة (وأناب) ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغباً الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين فى الغنم واما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسراً ماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله فى أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك وغيره مما تصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سبب الضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها و(يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيأ موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوساً أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و(ذلك) اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فان قلت) اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤدياً الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا رجاعا اليه بالتوبة أو مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب أواب والصافن الذى فى قوله

وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه

ألف الصفون فما يزال كأنه ✻ مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل هو المتخيم وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي واقفين كما تخدم الجبابرة (فان قلت) ما معنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما بقي في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره (فان قلت) ما معنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربي) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن توارى الملك أو المخبأة بحجابهما والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها يقال مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (فان قلت) بم اتصل قوله ردوها علي (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في أدؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده

بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا

قوله تعالى الصافنات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للتخيم والصافن الذي يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لأنه لا يكون في الهجن غالبا وانما يكون في العراب الخلص أو وصفها ليجمع لها الوصفين المحمودين جارية وواقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفي وقوفها بالسكينة والطمأنينة لأن ذلك من لوازم الصفون غالبا

لا ينبغي لاحد من
بعدي انك أنت الوهاب
فسخرنا له الريح تجري
بأمره رخاء حيث
أصاب والشياطين
كل بناء وغواص
وآخرين مقرنين في
الاصفاد

من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شئ الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسدا) ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوّا ظاهرا * قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون * ومعنى (من بعدي) دوني (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوّة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوّته قاهرا للمبعوث اليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة وأقيم مقامي غيري ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه اياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له انك حسود فقال أحسد مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولي الامر منكم * قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الاصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيرا (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل

كانوا يبنون له ماشاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم الى أعناقهم مغللين فى الجوامع * والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * وفرقوا بين الفعلين فقالوا اصفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده أى (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعنى جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة وهى العطاء أى فأعط منه ماشئت (أو أمسك) مفوّضا اليك التصرف فيه وفى قراءة ابن مسعود هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (أيوب) عطف بيان و(اذ) بدل اشتمال منه (أنى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب * وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة * والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب الاهل والمال (فان قلت) لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر فى القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب فى ذلك حيث لم ينسبه الى الله فى دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أى اضرب برجلك الارض وعن قتادة هى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض * والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أتى بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما أطرافها قائمة واما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق (وجدناه صابرا) علمناه صابرا (فان قلت) كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه (قلت) الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا

هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب

ولقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله تعالى والدعاء بكشف مابه ومع التعالج ومشاورة الاطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه قال في مناجاته الهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ماملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه (ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله أبيك ابراهيم واسمعيل واسحق * لما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولي الايدي والابصار) يريد أولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ أولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها * ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (فان قلت) مامعنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و(الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت أو ميت (واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واللّيسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع * والتنوين في (وكل) عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار (هذا ذكر) أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الانبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وان للمتقين) كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و(مفتحة) حال والعامل فيها مافي للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم * كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران أثبت وقيل هن أتراب لازواجهن أسنانهن كأسنانهم * قرئ يوعدون بالتاء والياء (ليوم الحساب) لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه

واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد

---

*قوله تعالى هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب (قال فيه انما قال هذا ذكر ليذكر عقبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما يقول الفقيه اذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الاول هذا دليل ثان كذا وكذا الى آخرها في نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار

ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الامر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم أي هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة واياى فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوق آخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أي الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فان قلت) ما معنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه (فان قلت) فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك (قالوا) هم الاتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الاشرار) من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (اتخذناهم سخريا) قرئ بلفظ الاخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله (أم زاغت عنهم الابصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا اما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

واما

هذا وان للطاغين لشر
مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا
فليذوقوه حميم وغساق
وآخر من شكله أزواج
هذا فوج مقتحم معكم
لا مرحبا بهم انهم
صالوا النار قالوا بل أنتم
لا مرحبا بكم أنتم
قدمتموه لنا فبئس
القرار قالوا ربنا من
قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار وقالوا
ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار
اتخذناهم سخريا أم
زاغت عنهم الابصار

*قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال في موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على ان الضعفين اثنان من شيء واحد خلافا لمن قال غير ذلك لانه في موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال في موضع ضعفين والمراد اذا عذابان

والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة (قلت) هذا يحقق أن ماتقدم من قوله لا مرحبا بهم انهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لامرحبا بكم من قول الاتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا لمن قال ان الاول من كلام خزنة جهنم والثانى من كلام الاتباع فانه على هذا التقدير انما تكون الخصومة من أحد الفريقين فالتفسير الاول أمكن وأثبت

ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من

واما أن تكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك انها لابل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لان أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا الصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهم والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم * وقرئ سخريا بالضم والكسر (ان ذلك) أى الذى حكيناه عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس (فان قلت) لم سمى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة ما أنا الا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا اله الا الله (الواحد) بلاند ولا شريك (القهار) لكل شئ وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ اليه * أوقل لهم ما أنا الا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة * ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس في علم مالم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل الا بالوحى من الله (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير) أى لانما أنا نذير ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أى ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس الى غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية أى الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر * وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة * (فان قلت) بم يتعلق اذ يختصمون (قلت) بمحذوف لان المعنى ما كان لى من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم و(اذ قال) بدل من اذ يختصمون * (فان قلت) ما المراد بالملا الاعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم (فان قلت) ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله تعالى وبينهم لان الله سبحانه وتعالى هو الذى قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين اما أن تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق * (فان قلت) كيف صح أن يقول لهم (انى خالق بشرا) وما عرفوا ما البشر وما عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخروا * كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك الا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (فان قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذى لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه * (فان قلت) كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا (وكان من

* قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قال) فيه لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغير اليدين حتى قيل فى عمل القلب هذا مما عملت يداك * قال ومعناه ان الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف بسببه انه سجود لمخلوق مع انه دون الساجد لان آدم من طين وابليس من نار فرأى للنار فضلا على الطين وزل عنه ان الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة ان يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذهبوا بانفسهم الى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له ما منعك أن تسجد لهذا الذى هو مخلوق بيدى كما وقع لك مع انه لاشك أن فى ذلك امتثالا لامرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التى منعته من السجود وقيل له ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمرى ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض اسقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه انتهى ٢٩٠ المقصود من الآية بعد تطويل واطناب واكثار واسهاب (قلت) انما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لاهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية * أحدهما ان اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع هذا مذهب أبى الحسن والقاضى بعد ابطالهما حمل اليدين على القدرة فان قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلا حملهما على النعمة بان نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من أهل السنة كامام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجيب
من
عما ذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على ابليس اذ لم يخلق ابليس لنعمة الآخرة وعلى ان المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد فى اللغة كثيرا * المعتقد الثانى أن النبى أفضل من الملك والزمخشرى شديد العصبية فى هذه المسئلة والانكار على من قال بذلك من أهل السنة لاجرم انه أجرم فى بسط كلامه على آدم عليه السلام فمثل قصته فى انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط حشم الملك مثلا لآدم الذى هو عنصر الانبياء عليهم السلام وأقام لابليس عذره وصوب اعتقاده انه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وانما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة اذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة اليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدى انما ذكر تقريرا للعلة التى منعت ابليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسأل الله العصمة المراد منه ضد ما فهم الزمخشرى وانما ذكر ذلك تعظيما لمعصية ابليس اذا امتنع من تعظيم من عظمه الله اذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه ويدل عليه الحديث الوارد فى الشفاعة اذ يقول له الناس عند ما يقصدونه فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فانما يذكرون ذلك فى سياق تعديد كراماته وخصائصه لا فيما يحط منه معاذ الله واياه نسأل أن يعصمنا من مهاوى الهوى ومهالكه وان يرشدنا الى سبيل الحق ومسالكه انه ولى التوفيق وبالاجابة حقيق

الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق فى جنس الاوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين فى الازمنة الماضية فى علم الله (فان قلت) ما وجه قوله (خلقت بيدى) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (فان قلت) فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قلت) الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه فى المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ويعلم أنهم فى السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل فى عبادته منهم فى السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى ما منعك من السجود لشىء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدى لاشك فى كونه مخلوقا امتثالا لامرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعنى كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه أنى خلقته بيدى فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعى حكمة دعانى اليه

من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له مالم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدى لما خلقت بغير واسطة * وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وقرئ بيدى على التوحيد (من العالين) ممن علوت وفقت فأجاب بانه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان أم تدل عليه أو بمعنى الاخبار * هذا على سبيل الاولى أى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى (خلقتنى من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا * والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمى بالحجارة أو لان الشياطين يرجمون بالشهب * (فان قلت) قوله (لعنتى الى يوم الدين) كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت * (فان قلت) ما الوقت المعلوم الذى أضيف اليه اليوم (قلت) الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر (فبعزتك) أقسام بعزة الله تعالى وهى سلطانه وقهره * قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الاول مقسم به كالله فى ان عليك الله أن تبايعا وجوابه (لاملأن) والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على أن الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك أى فالحق قسمى لاملأن والحق أقول أى أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الاول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق أقول أى ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فان قلت) أجمعين تأكيد لماذا (قلت) لا يخلو أن يؤكد به الضمير فى منهم أو الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا أو لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى الى فانا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) أى ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدإ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر

من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين

(سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب

مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة و بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الاول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فان قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الاول اما (أن الله يحكم بينهم) أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم (فان قلت) فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم * وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم * واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض أقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين * المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين * وقرئ كذاب وكذب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء * ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة * وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء * ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب * والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه

منها

بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض

(القول في سورة الزمر)

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المصنف المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلطف بهم وانه في علمه من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فان معتقدهم ان معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى اضلاله للكافر ازاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة ان يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا خلافا للقدرية وغرضنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره

* قوله تعالى ألا هو العزيز الغفار (قال أى لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق انه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على مادون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزمخشرى الآية بما يرى * قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فان قلت ماوجه العطف بثم فى قوله ثم جعل وأجاب بانهما آيتان الخ) قال أحمد انما منعه من حمل ثم على التراخى فى الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخى الوجود فاجملها فى الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يعنى شفعها بزوجها فكانت هو بناء على بابه التراخى الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم * قوله تعالى وأنزل لكم من ٢٩٣ الانعام ثمانية أزواج (قال انما جعلها منزلة لان قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ)

بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم

منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب

تلوى الثنايا باحقيها حواشيه * لى الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ماغيبه عن مطامح الابصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على اثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذى يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة (فان قلت ماوجه قوله (ثم جعل منها زوجها) ومايعطيه من معنى التراخى (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التى عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا أن احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجربها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة لا من التراخى فى الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف * والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله هو (الله ربكم * فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره (فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لانه يوقعهم فى الهلكة (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضى شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد الا عباده الذين عناهم فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد

قال أحمد ومن هذا النمط بعينه قول الراجز اسمه لا بال فى سحابة * قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الارادة والعباد على العموم الخ) قال أحمد ان المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أو فى ميزان عقله غبن أليس يدعى أو يدعى له انه الخريت فى مغابر العبارات وبديع الزمان فى صناعة البديع فكيف نباعن جادة الاجادة فهما وأعار منادى الحذاقة اذنا صما اللهم الا أن يكون الهوى اذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى سنى مكشوف العبارة فصقاصقا أليس مقتضى العربية فضلا عن القوانين العقلية ان المشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا مضيه واستقبال الشرط لغة وعقلا واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أن ارادة الله تعالى لشكر عباده مثلا مقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الارادة وقد جعل فى الآية مشروطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا ومجزيا واللازم من ذلك عقلا تقدم المراد وهو الشكر على الارادة وهى الرضا ولغة تقدم المشروط على الشرط

والزمخشري أخص من قال ان المشروط متى كان ماضيا محضا لزمته الفاء وقد كقولك ان تكرمني فقد أكرمتك قبل وقد عريت الآية
عن الحرفين المذكورين على انه لابد من تأويل يصحح الشرطية مع ذلك فاذا أثبت بطلان حمل الرضا على الارادة عقلا ونقلا تعين
التماس المحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضي عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم
وان تشكروا يجازكم على شكركم ٢٩٤ بجزاء المرضي عنه ولا شك ان المجازاة مستقبلة بالنسبة الى الشكر فجرى الشرط والجزاء على
مقتضاهما لغة وانتظم
ذلك بمقتضى الادلة
العقلية على بطلان
تقدم المراد على الارادة
عقلا ومثل هذا يقدر
فى قوله ولا يرضى لعباده
الكفر أى لا يجازى
غير الكافر مجازاة
المغضوب عليه من
النكال والعقوبة * قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عمن يتمادى على المعاصى ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضى الله عنه صحيح غير منزل
على كلام الزمخشري بقرينة حاله فان الحسن أراد ان المتمادى على المعصية مصرا عليها غير تائب اذا غلب رجاؤه خوفه كان متمنيا لان
اللائق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن اقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قرينة حال الزمخشري فانها تنم على ما أضمره
من ايراده هذه المقالة فان معتقده ان مثل هذا العاصى وان كان موحدا يجب خلوده فى نار جهنم ولا معنى لرجائه والتمنية صحة هذا
المعتقد أورد مقالة الحسن كالتزام الى تتميم هذه النزعة وهما قليل يقرع سمعه ما فى أنباء هذه السورة والصالحين

تعملون انه عليم بذات
الصدور واذا مس
الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه ثم اذا خوله
نعمة منه نسى ما كان
يدعو اليه من قبل وجعل
لله أندادا ليضل عن
سبيله قل تمتع بكفرك
قليلا انك من أصحاب
النار أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجوا
رحمة ربه قل هل يستوى
الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر
أولوا الالباب قل
يا عبادى الذين آمنوا
اتقوا ربكم للذين أحسنوا
فى هذه الدنيا حسنة
وأرض الله واسعة

المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وفى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثانى جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفى معناه قول العرب * ان الغنى طويل الذيل مياس * (ما كان يدعو اليه) أى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسى ربه الذى كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى * وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا فى الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة فى الخذلان لان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره فى المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم * قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت فى الوتر لانه دعاء المصلى قائما (ساجدا) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين * وقرئ ويحذر عذاب الآخرة * وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى * وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية * وقرئ انما يذكر بالادغام (فى هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فان قلت) اذا علق الظرف بأحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها اذا تأخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء

*قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين الى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى (قال فيه فان قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد ولقد أحسن فى تقوية هذا المعنى فى هذه الآية بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه فان مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة فى وصف الله تعالى لفظاعة خسرانهم

والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت) باخلاص الدين (وأمرت) بذلك لاجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقا (فان قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الامر بالاخلاص وتكليفه شئ والامر به ليحرز القائم به قصب السبق فى الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها فى أردت لأن أفعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين فى اسطاع عوضا من ترك الاصل الذى هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفى معناه أوجه أن أكون أول من أسلم فى زمانى ومن قومى لانه أول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لأكون مقتدى بى فى قولى وفعلى جميعا ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الاولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى أن الله أمرنى أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلى العقل والوحى *فان عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه *(فان قلت) ما معنى التكرير فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى) (قلت) ليس بتكرير لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثانى اخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره فى الاول فالكلام أولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين *قل ان الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة يعنى وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هى (ظلل) لآخرين (ذلك) العذاب هو الذى يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة

انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين

فقال استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين فى تسمية الشيطان طاغوتا وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثانى بنؤه على فعلوت وهى صيغة مبالغة كالرحموت وهى الرحمة الواسعة والملكوت وشبهه الثالث تقديم لامه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية

من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادى (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هى البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك فى وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات * وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون فى مذهبك كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره (أولئك) * أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار وانما جاز حذف فأنت تخلصه لان أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم فى الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل فى النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض * (فان قلت) ما معنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم انها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها (تجرى من تحتها الانهار) كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد (مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الاصمعى لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب (حطاما) فتاتا ودرينا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا * وقرئ مصفارا (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسى القلب * ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال

اذا

اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشرى عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب أفمن شرح الله

* قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر الخ) قال أحمد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى حققت من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان متمكنا من فؤاده الصميم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يارسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت فى حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فان قلت) ما الفرق بين من وعن فى هذا (قلت) اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أى من أجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا أرواه حتى أبعده عن العطش * عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيه على أنه وحى معجز مباين لسائر الاحاديث و (كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (ومتشابها) مطلق فى مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه فى الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها فى التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه فى الاعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (مثانى) بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثانى جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل كما جاء فى وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك (فان قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق وأعصاب الا أنك تركت الموصوف الى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثانى صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (فان قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شئ عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه فى صدورهم * اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فان قلت) ما وجه تعديته لان بالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فان قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لان أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هى سابقة غضبه فلأصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شئ من صفاته الا كونه رؤفا رحيما (فان قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم فى أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به) يوفق به من يشاء يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فما له من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدى به

*قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه كمن هو آمن فحذف الخبر اسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى فى النار والعياذ بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه ٢٩٨ ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما القيها بوجهه كانت حاله حال المتقى بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلى والله أعلم *قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون (قال فيه قرئ انك مائت ومائتون الخ) قال أحمد فاستعمال ميت مجاز اذ الخطاب مع الاحياء واستعمال مائت حقيقة اذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعنى توفى الموت والتى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين المنام تشبيه اللنوم بالموت كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل فيمسك الانفس التى قضى عليها الموت الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية ويرسل الاخرى أى النائمة الى الاجل الذى سماه

أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون

بهذا الاثر من يشاء من عباده يعنى من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم فى الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم تؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فماله من هاد من مؤثر فيه بشئ قط *يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت فى أبى جهل *وقال لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون *من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم * والخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريأ من التناقض والاختلاف (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان احداهما نفى أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعانى دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

*واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى ومشاده واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير فى أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أى هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا فى ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه فى عاجله مؤمل للثواب فى آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه *والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه (سالما لرجل) خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهى مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أى ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة *وقرئ بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقى به أو سعد فان المرأة والصبى قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير فى يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذى لا شريك له دون كل معبود سواه أى يجب أن يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره * كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم * وقرئ مائت ومائتون

ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أى سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حى فى نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى فى قوله (انك ميت وانهم ميتون) انك واياهم وان كنتم أحياء فأنتم فى عداد الموتى لان ماهو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بالاباطيل تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفى أهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعى قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة والوجه الذى يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى الى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون) الا أن هذا فى الصفة وذاك فى الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفى قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذى لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به (فان قلت) ما معنى اضافة الاسوإ والاحسن الى الذى عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) اما الاضافة فما هى من اضافة أفعل الى الجملة التى يفضل عليها ولكن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان وأما التفضيل فايذان بأن السيئ الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوإ وحسنهم بالاحسن وقرئ أسواء الذى عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى أنه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شئ فعمد خالد اليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف وفى هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافى عباده على الاضافة ويكافى عباده ويكافى يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو أبلغ من كفى

انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده

أى قدره لوثنها الحقيق هذا أوضح ما قيل فى تفسير الآية والله أعلم

لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله و يجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب منيع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم * قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف (فان قلت) لم فرض المسئلة في نفسه دونهم (قلت) لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فاذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال (حسبي الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله (فان قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (قلت) أنثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فان قلت) حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه و بذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب أي عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار * وقرئ مكاناتكم (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا و ينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها * وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار (الانفس) الجمل كما هي * وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتي لم تمت في منامها) يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الانفس (التي قضى عليها الموت) الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها و يقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة و يتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام (ان في ذلك) ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم و يعتبرون * وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد

ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولوأن للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم

الا باذنه ألا ترى الى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فان قلت) بم يتصل قوله (ثم اليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة * مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أى نفروا وانقبضوا (واذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه (فان قلت) ما العامل فى اذا ذكر (قلت) العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار * بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بينى وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (وبدا لهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم نفس ما أخفى لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط فى حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لى من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيآت أنواع العذاب التى يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم * التخويل مختص بالتفضل يقال خولنى اذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أى على علم منى أنى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق أو على علم من الله بى وباستحقاقى أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى (فان قلت) لم ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار لقوله كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر (فان قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنثه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله لانه فى معناه كقولهم ماجاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (فان قلت) ما السبب فى عطف هذه الآية

* قوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بى وباستحقاقى الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدرى قفى على الله ان يثيبه فى الآخرة ان الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة ان حمد الدنيا واجب على العبد لانه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لانه على نعمة واجبة على الله عز وجل ولقد صدق الله اذ يقول وهى فتنة انما سلم منها أهل السنة اذ يعتقدون ان الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق ويتبعون فى ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى برحمته فما أحمق من منى نفسه وركب رأسه وطمع انه يستحق على الله الجنة (قال فان قلت لم عطفت هذه الآية على التى قبلها بالفاء والآية التى قبلها فى أول السورة بالواو وأجاب بان هذه الآية مسببة عن قوله واذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل فافهمه فضلا عن مشبه قليل

بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (قلت) السبب فى ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره ومابينهما من الآى اعتراض (فان قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) ما فى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ماعقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لايحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لايبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة فى أكمامها وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وماهى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو (فان قلت) من أى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه (قلت) فى هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجىء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه فى جعله سببا فى الالتجاء فأنت تحكى ماعكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله * الضمير فى (قالها) راجع الى قوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة من القول * وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركى قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لاقابض ولا باسط الا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (ان الله يغفر الذنوب جميعا) يعنى بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن فى حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضى الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التى حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لاتحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لاتشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لاتخشون شيأ لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فان قلت) لم نكرت (قلت) لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الاعشى

بل هى فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وماهم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون أن تقول نفس ياحسرتا

* قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد قد عدا طور التفسير لمرض فى قلبه لا دواء له الا التوفيق الذى حرمه ولا يعافيه منه الا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الرد لانه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لاضربنا عنه صفحا ولوينا عن الالتفات ٣٠٣ اليه كشحا وبالله التوفيق فنقول أما تعريضه بان أهل السنة يعتقدون ان القبائح من فعل الله تعالى فيرجمه باعتقادهم المشار اليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل أما الزمخشرى واخوانه القدرية فيغبرون فى وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شئ لان القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا انهم نزهوا وانما أشركوا * وأما تعريضه لهم فى أنهم يجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض فذلك لان أفعاله تعالى لا تعلل لانه الفعال لما يشاء وعند القدرية ليس فعالا لما يشاء لان الفعل اما منطو على حكمة ومصلحة فيجب عليه ان يفعله عندهم واما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فأين أثر المشيئة اذا * وأما اعتقاده ان فى تكليف ما لا يطاق

على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين اتقوا

وربّ بقيع لو هتفت بجوّه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره ربّ بلد قطعت وربّ بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير * وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه * والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرّى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى الى قوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت فى جنب الله) على معنى فرطت فى ذات الله (فان قلت) فمرجع كلامك الى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت فى الله فما معنى فرطت فى الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفى حرف عبد الله وحفصة فى ذكر الله * وما فى ما فرطت مصدرية مثلها فى بما رحبت (وان كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى وروى أنه كان فى بنى اسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه فى الفجور فأتاه ملك الموت فى ألذ ما كان فقال ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره فى القرآن (لو أن الله هدانى) لا يخلو اما أن يريد به الهداية بالالجاء أو بالالطاف أو بالوحى فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الالطاف فيلطف به وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وانما يقول هذا تحيرا فى أمره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتى) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى * وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فان قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لانه لا يخلو اما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فان قلت) كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفى (قلت) لو أن الله هدانى فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا باثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة)

بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك

جملة فى موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب * قرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فان قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا (فان قلت) بما اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبد و (تأمرونى) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه فى معنى تعبدوننى وتقولون لى أعبد والاصل تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ألا ترى أنك تقول أفغير الله تقولون لى أعبده وأفغير الله تقولون لى أعبد فكذلك أفغير الله تأمروننى أن أعبده

تظليم الله تعالى فاعتقاد باطل لان ذلك انما ثبت لازما لاعتقادهم ان الله تعالى خالق أفعال عبيده فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقا لهم والقاعدة الاولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم الا التصرف فى ملك الغير بغير اذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وأما تعريضه بانهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض فيقال له ما قولك أيها الظنين فى ايلام البهائم والاطفال ولا أعواض لها وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا للقدرية اذ يقولون لا بد فى الالم من استحقاق سابق أو عوض * وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فانه اغترار فى اعتقاده بادلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر انه يقابل بهداية قول نبى الهدى عليه الصلاة والسلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبو عن التأويل ٣٠٤ ولا يردع المتمسك به شئ من التهويل وأما قوله انهم يتسترون بالبلكفة فيعنى به قولهم بلا كيف أجل انهم استتروا بما تهتكه يد الباطل البتراء ولا تبعده عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تعريضه بانهم يجعلون لله أندادا باثباتهم معه قدماء فنفى لاثباتهم صفات الكمال كلا والله انما جعل لله أندادا القدرية اذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا ان ما شاؤه كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فلم يزيدوا على ان اعتقدوا أن الله تعالى علما وقدرة وارادة وسمعا وبصرا وكلاما وحياة حسبما دل عليه العقل وورد به الشرع وأى مخلص للقدرى اذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شئ علما الا اعتقاد أن لله تعالى علما أو جحد آيات الله واطفاء نوره ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * وأما قوله انهم يثبتون لله تعالى يدا وقدما ووجها فذلك فرية ما فيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وانما أثبت القاضى أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز فى اثباتها ما وردت عليه فى كتاب الله العزيز على ان غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه المباحثة بحال من بحثه بظلفه عن حتفه وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وانما حملنى على اغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فانه قد أساء عليهم الادب ونسبهم بكذبه الى الكذب والله الموعد

وأفغير

*قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه أصل الكلام ان كنت عابدا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه اه كلامه) قلت مقتضى كلام سيبويه فى أمثال هذه الآية أن الاصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الاول اختصارا فلما وقعت الفاء أولا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظا ودالة على أن ثم محذوفا اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها وينضاف الى هذه الغاية فى التقديم فائدة الحصر كما تقدم (٣٠٥) من اشعار التقديم بالاختصاص *قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال) فيه الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أوجهة مجاز وكذلك حكم ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبرا جاء اليه فقال ياأبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الحبر ثم قرأ هذه الآية تصديقا له فانما ضحك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما فهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا هز ولا شئ من ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة التى لا يوصل السامع الى الوقوف عليها الا اجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخييل ثم قال وأكثر كلام الانبياء والكتب السماوية وعليها تخييل قد زلت فيه الاقدام قديما اه كلامه (قلت) انما نعى اجراء ههنا من لفظ التخييل التمثيل وانما العبارة موهمة منكرة فى هذا المقام لاتليق به بوجه من الوجوه والله أعلم

لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه

وأفغير الله تأمرونى أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب *وقرئ تأمرونني على الاصل وتأمرونى على ادغام النون أوحذفها *قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء أى ليحبطن الله أو الشرك *(فان قلت) الموحى اليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحى اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا (فان قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط (فان قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها الاغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا يعنى على سبيل الالجاء وان يكون ذلك لامتناع الداعى اليه ووجود الصارف عنه *(فان قلت) مامعنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن فى الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ان مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى الى قوله تعالى اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد *لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وماعظموه كنه تعظيمه *ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أوجهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وماقدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا أصبع ولا هز ولا شئ من ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التى تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا فى علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى فى القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان أكثره وعليته تخييلات

قد زلت فيها الاقدام قديما وما أتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الامر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان الا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم * مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعده من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء * (فان قلت) (أخرى) ما محلها من الاعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم * قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى (وأشرقت الارض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الاضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا و (الكتاب) صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله * الزمر الافواج المتفرقة بعضها في أثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد

والعلماء

سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

﴿سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا

والعلماء والقراء وغيرهم * وقرئ نذر منكم * (فان قلت) لم أضيف اليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضاً فى أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال * اللام فى المتكبرين للجنس لان (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا أن جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شئ لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جئ بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فان قلت) كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعاً بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة فما هى الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة الا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الارض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقراً ومتبوأ وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى انفاقه طولاً وعرضاً * (فان قلت) ما معنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره (حافين) محدقين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين * (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع الى الملائكة على أن ثوابهم وان كانوا معصومين جميعاً لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق * (فان قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التى هى حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل فى الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهى خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قرئ بامالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وانها على زنة أعجمى نحو قابيل وهابيل * التوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع * والطول الفضل والزيادة

﴿القول في سورة غافر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية (قال) فيه فان قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف وأجاب بان غافر الذنب وقابل التوب معرفان لانهما صفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا بل اضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلاشك في أن اضافته غير حقيقية يريد لانه من الصفات المشبهة ولا تكون اضافتها محضة أبدا * عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلا وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبوّ ظاهر والوجه أن يقال ان جميعها ابدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة كما لو جاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن قضى عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لان دخول مستفعلن في الكامل ممكن لان متفاعلن يصير بالضمير اليه مستفعلن وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكنا اذ لا يصير اليه مستفعلن البتة فما يفضى الى الجمع بينهما فانه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لانه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجها آخر وهو أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب محذوف الالف ليجانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو مشفع على ان الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا انه على نية الالف واللام كما جاء الجماء الغفير على نية حذف الالف واللام مضافا الى ماسهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة * وأجاز وجها آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما في الابهام من الدلالة على فرط الشدة * قال وامل هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال * قال فان قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع بين رحمتي مغفرة الذنب وقبول التوب * قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لادحاض الحق وقصد اطفاء نور الله فقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها فاعظم جهاد في سبيل الله تعالى وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر ولهذا أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال

يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطوّل اذا تفضل * (فان قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبوّ ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال (فان قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه * سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل

الزيغ

لز يغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فان قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغررك) ما قبله (قلت) من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشأم واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغرك (الاحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للاسير أخيذ (فأخذتهم) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذه ان أخذتهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * وقرئ كلمات * روى أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر * وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فان قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شئ الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت

فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا

* قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية (قال) فيه ان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بان فائدته اظهار شرف الايمان كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب افعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا * قال وفيه تنبيه على ان الاشتراك في وصف الايمان يجب ان يكون أدعى شئ الى النصيحة وأبعث شئ على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا في صفة الايمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب الجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق

الارض اه كلامه (قلت) كلام حسن الاستدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا الايدل لان الايمان هو التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة اطلاق الايمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وانما نقب الزمخشري بهذا التكلف عما في قلبه من مرض لكنه طاح بعيدا عن الغرض فقرر ان حملة العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لان معنى الايمان عنده التصديق بالغائب ثم يأخذ من كونهم غير مشاهدين ان البارى عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يصححه العقل وقد أبطلنا ما ادعاه من أن الايمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم انه يلزم من كون حملة العرش غير مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة الانتاج لان الرؤية عبارة عن ادراك يخلق الله تعالى هذا الادراك لحملة العرش الآن يذهب بالزمخشري الوهم الى ان معتقدي الرؤية يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومعتقدي الرؤية من ذلك

* قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فان قلت قد ذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجبه الرحمة وهو الغفران فأين موجب العلم وأجاب بان معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك * قال وقوله انك أنت (٣١٠) العزيز الحكيم معناه الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعى

ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى

الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوى وأرضى قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض * أى يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فان قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شئ (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى والاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شئ (فان قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا اليها (انك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وقهم السيآت) أى العقوبات أو جزاء السيآت فحذف المضاف على أن السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فان قلت) ما الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب * وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم * أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة و (اذ تدعون) منصوب بالمقت

الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك ثم قال ومعنى السيآت العقوبات التى هى جزاء السيآت أو على حذف مضاف على ان السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة * ثم قال فان قلت ما الفائدة فى استغفارهم وهم تائبون صالحون موعدون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بان هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه ههنا محشو بانواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعى الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد ان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وجوبا وان لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التى لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى ومنها جحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة ان الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وانه يجوز ان يعذب على الصغائر وان اجتنب الكبائر وانه يجوز ان يغفر الكبائر ما عدا الشرك وان لم يتب منها وان قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وانها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يقلد عقائل عقائدنا بها الى الخاتمة وأن لا يحرمنا ألطافه ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج الى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال فى هذا الموضع قد تقدم غير انه جدد ههنا قوله ان فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير يريد ان المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذى قاله مما يجعل لنفسه فيه الفضيحة زادت على بطلانه هذه الآية بالالسن الفصيحة كيف يجعل المسؤل مزيد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهى ناطقة بانهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذى أنكر الزمخشري كونه مسؤلا

*قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه احدى الاماتتين خلقهم أمواتا أولا والاخرى اماتتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال فان قلت كيف سمى خلقه لهم أمواتا اماتة وأجاب بأنه كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما يقال للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا عكسه ولا من ضيق الى وسع ولا عكسه وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته ان الكبر والصغر جائزان معا على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن من الآخر جعل صرفا عن الآخر وهو متمكن منه اه كلامه (قلت) ما أسد كلامه ههنا حيث صادق التمسك باذيال نظر مالك رحمه الله فى مسئلة ما اذا باعه احدى و زنتين معينتين على اللزوم لاحداهما والخيرة فى عينها فانه منع من ذلك لان المشترى لما كان متمكنا من تعيين كل واحدة منهما على سواء فاذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الاخرى وقد كان متمكنا منها منزلة اختيارها أولا ثم الانتقال عنها الى هذه فاذا آل بيع احداهما بالاخرى غير معلومتى التماثل وهو الذى خصه أصحابنا فى قولهم ان من خير بين شيئين فاختار أحدهما عد منتقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم *قوله تعالى فهل الى خروج من سبيل (قال) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم معناه ان اعتياص السبيل الى خروجكم من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك انتهى كلامه (قلت) وعلى هذا النمط بنى الشعراء مثل قولهم

هل الى نجد وصول * وعلى الخيف نزول

وانما قصدهم ان هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

بالمقت الاول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع فى موضع أبلغ الانكار وأشده (اثنتين) اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة (قلت) كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التى بعد حياة الدنيا والتى بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياآت وهو خلاف ما فى القرآن الا أن يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم فى القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم فى المستثنين من الصعقة فى قوله تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق فى المعاصى فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا (يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها * والرزق المطر لانه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس

رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدا محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة الى أن تبلغ العرش وهى دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات ثوابه التى ينزلها أولياءه فى الجنة (الروح من أمره) الذى هو سبب الحياة من أمره يريد الوحى الذى هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه (لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أى لتنذر الروح لانها تؤنث أو على خطاب الرسول * وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول (ويوم التلاق) يوم القيامة لان الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل المعبود والعابد (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أى من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فان قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضى أن يكون المنادى هو المجيب * لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى أن كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها * الآزفة القيامة سميت بذلك لازوفها أى لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا (فان قلت) (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أى وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين * الحميم المحب المشفق * والمطاع مجاز فى المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر فى أنها لا تكون الا لمن فوقك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفى الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندى كتاب يباع فهو محتمل نفى البيع وحده وأن عندك كتابا الا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفى الضب وانجحاره (فان قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفى الامرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله

* قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المنفى الشفيع الذى هو الموصوف وصفته وهى الطاعة ويحتمل أن يكون المنفى الصفة وهى الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت انما جاء الاحتمال من حيث دخول النفى على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع كما يكون بنفى كل واحد من جزئيه كذلك يكون بنفى أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفى الامرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفى الصفة لانه اذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكأنه نفى الصفة مرتين من وجهين مختلفين

* قوله تعالى يعلم خائنة الاعين (قال الخائنة اما صفة للنظرة واما مصدر كالعافية قال ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لانه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفى الصدور انتهى كلامه) قلت انما لم يساعد عليه لان خائنة الاعين على هذا التقدير معناه الاعين الخائنة وانما يقابل الاعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الاول فان المراد به نظرات الاعين فيطابق خفيات الصدور *
قوله تعالى حكاية عن فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا اذا هم بقتله (٣١٣) كفوه عنه بقولهم ليس هذا ممن يخاف وانما هو ساحر لا يقاويه الا مثله وقتله يوقع الشبهة عند الناس

انك انما قتلته خوفا وكان فرعون لعنه الله فى ظاهر أمره والله أعلم عالما انه نبى خائفا من قتله مع رغبته فى ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بان يقول لهم ذرونى أقتله ليكفوه عنه فينسب الانكفاف عن قتله اليهم لا الى جزعه وخوفه ويدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تمويهاته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله بهم ويوهمهم ان قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن

لا يحبون ولا يرضون الا من أحبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا فى زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته انما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فان قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة فى ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) فى ذكرها فائدة جليلة وهى أنها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالى فرس أركبه ولا معى سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى منى الركوب والمحاربة ولا فرس لى ولا سلاح معى فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذى لا ينبغى أن يتوهم خلافه * الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه (فان قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الاعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) يعنى والذى هذه صفاته وأحواله لا يقضى الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم * وآلهتكم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر * وقرئ يدعون بالتاء والياء * هم فى (كانوا هم أشد منهم) فصل (فان قلت) من حق الفصل أن لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الالف واللام فاجرى مجراها * وقرئ منكم وهى فى مصاحف أهل الشأم (وآثارا) يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهى المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة * (فان قلت) اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذى أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الاول (فى ضلال) فى ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع فى الكرتين جميعا (ذرونى أقتل موسى) كانوا

يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى

غيظاء ليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة فى المحافظة على حوزة المملكة لان ذلك خوف وهلع ولقد كذب انما كان فؤاده مملوأ رعبا * قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه الآية (قال) الظاهر ان الرجل من آل فرعون وقيل انه من بنى اسرائيل ومن آل فرعون (٣١٤) متعلق بيكتم تقديره يكتم ايمانه من آل فرعون وهو بعيد لان بنى اسرائيل كان ايمانهم ظاهرا فاشيا ولقد استدرجهم هذا المؤمن فى الايمان باستشهاده على صدق موسى باحضاره عليه السلام من عند من تنسب اليه الربوبية بينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التى شهدتموها

وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم

وعرفتموها على ذلك ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فان يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصبكم ان تعرضتم له بعض الذى يعدكم * قال وانما ذكر بعض مع تقديرانه نبى صادق والنبى الانصاف صادق فى جميع مايعد به لانه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم وأدخل فى تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه صحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع مايعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم لهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام ليريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وأثنى عليه فضلا عن أن يكون متعصباله

اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله و يقولون اذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس منه بانه هو الذى يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه و يعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك * والفساد فى الارض التفاتن والتهارج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش و يهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفى مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا * وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أى يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون * لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (انى عذت) بالله الذى هو ربى وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه و يعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لانه اذا اجتمع فى الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالادغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد فى عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا و (من آل فرعون) صفة لرجل أو صلة ليكتم أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بنى اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه (أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة قط فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم و يكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها * ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وان يك صادقا يصبكم بعض) ما يعدكم ان تعرضتم له (فان قلت) لم قال بعض (الذى يعدكم) وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى أن يلاوصهم ويداريهم و يسلك معهم طريق

*قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لاسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد امارة صدقها على امارة صدق يوسف (٣١٥) وان كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وابعاد الظن وادلالا بان الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة *وقريب من هذا التصرف لابعاد التهمة ما فى قصة يوسف مع أخيه اذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى

الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (فان قلت) فعن أبى عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلق كان أجفى من أن يفقه ما أقول له (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا (ظاهرين فى الارض) فى أرض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرنا) وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة *وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل (مثل يوم الاحزاب) مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه أغنى عن ذلك كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب * ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فان قلت) بم انتصب مثل الثانى (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك

ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

قيل انه لما انتهى اليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف ان يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل ان ما لقيه أبو بكر رضى الله عنه مع النبى صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقاله أبو بكر جهرا قال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ليعلمهم انه يساهمهم فيه فيتحققوا نصحه لهم

* قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعبيد وهذا أبلغ لانه اذا لم يرد للظلم كان فعله عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده قال ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى ان الله لا يريد لعباده أن يظلموا لانه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الاول وقد تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بارادة الله تعالى خلافا لهذا وأشياعه * قوله تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين (٣١٦) آمنوا (قال) فى اعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لان المراد كل مسرف وجاز ابداله على معنى من لا على لفظها قال فان قلت ما فاعل كبر وأجاب بانه ضمير من هو مسرف فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس ببدع اه كلامه (قلت) فيما ذكره معاملة لفظ من بعد معاملة معناها وهذا مما قدمت أن أهل العربية يستغربونه والاولى ان يجتنب فى اعراب القرآن فان فيه ابهاما بعد ايضاح والمعهود فى قراء البلاغة عكسه والصواب أن يجعل الضمير فى قوله كبر راجعا الى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقتا ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون فى آيات الله والضمير فى قوله كبر مقتا عائد الى الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله فى حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله على احد تأويليه ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق الى الوجه المتقدم فالوجه المعدول عنه

وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب

الحكم الى أول ما تناولته الاضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كانه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يريد لهم أن يظلموا يعنى أنه دمرهم لانهم كانوا ظالمين * التنادى ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور * وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى اذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفى كان بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث * ثم قال (كذلك يضل الله) أى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فان قلت) كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه قال كل مسرف (فان قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فان قلت) أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع فى المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفى كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام * وقرئ قلب بالتنوين * ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب

*قوله تعالى تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم (قال المراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم الها) قلت وهذا من قبيل * على لاحب لا يهتدى بمناره * أي لا منار له فيهتدى به وكلام الزمخشري ههنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ما علمت لكم من اله غيري * قوله تعالى لا جرم أن

ماتدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة (قال فيه) سياق لا جرم عند البصريين أن يكون لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم بمعنى كسب أي وكسب دعاؤهم اليه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يكون لا جرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما انك تقول لا بد لك أن تفعل والبد من التبديد الذي هو التفريق ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا فكذلك لا جرم معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الاصنام بل هي باطلة أبدا

أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وياقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لا جرم أن ماتدعونني اليه

القلب * وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشئ اذا ظهر و (أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فان قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) اذا أبهم الشئ ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني * ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل * والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه * قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاد اليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي (فلا يجزى الا مثلها) لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل * قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع في مقابلة الا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة (فان قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجئ بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة * يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق وهداه له (ماليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم الها (لا جرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو

* قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم (قال) فان قلت فهلا قيل لخزنتها وأجاب ان في ذكر جهنم تهويلا وتقطيعا ويحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام أى بعيدة القعر وكان النابغة يسمى الجهنام لبعد غوره في الشعر انتهى كلامه (قلت) الاول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذي أشار اليه والثاني ذكره وهو شئ واحد بظاهر غير الاول أقطع منه لان جهنم أقطع من النار اذ النار مطلقة وجهنم أشدها

ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا

القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أى لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بدو فعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ماتدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وماتدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله (في الدنيا ولا في الآخرة) يعنى أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيأ من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (المسرفين) عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا (وأفوض أمرى الى الله) لانهم توعدوه (فوقاه الله سيآت مامكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به * وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوا وعشيا) في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فاما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فان قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر * واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع أو وصفا بالمصدر * وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا أو كلنا فيها (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين في النار لخزنتها (قلت) لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال

ابو

* قوله تعالى قالوا فادعوا (قال فى معناه انهم لما ألزموهم الحجة بقولهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات واعترفوا بذلك وكان فى ضمن ذلك انهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الاجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا أنتم معناه انا نحن لا نجترئ ان ندعو ولكم فادعوا أنتم وليس قولهم فادعوا ترجية للكفار ولكن قطعا لرجائهم لانه اذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر * قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة لكنها لا تنفعهم لانها باطلة ويحتمل انهم لا يعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هما الاحتمالان فى قوله تعالى ولا شفيع يطاع ولكن بين الموضعين فرقا يصير أحدهما معه عكس الآخر

أبو نواس فى خلف الاحمر فليذم من العياليم الخسف وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أولم تك تأتيكم) الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التى يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثانى بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بنى اسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال وأولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه (فاصبر ان وعد الله حق) يعنى ان نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه فى بنى اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه (بالعشى والابكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (فان قلت) كيف اتصل قوله (لخلق السموات والارض) بما قبله

أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس

وذلك انه هنا على تقدير أن يكون المراد انهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة وهى المنفعة التى لها تراد المعذرة قطعا لرجائهم كى لا يعتذروا البتة كانه قيل اذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتا لنفى الصفة ولهذا أولى النفى فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى النفى الذات المنسوب اليها الفعل * قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله

وأجاب بان مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم نخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فن قدر على خلقها مع عظمها كان على الانسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الاولوية فى هذا الاستشهاد ثابتة بدرجتين أحدهما ماذكره من ان القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت فى البعث وهو الاعادة ولاشك ان الابتداء أعظم وأبهر من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم (٣٢٠) يعنى السموات والارض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس ادخل تحتها واعادته ادخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والارض بدرجتين والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى فى الم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والارض هو بامره أى خلقهما من آياته فكيف بما هو أحط من قيامهما بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء ليتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واذا تأملت الذى ذكرته منسوبا بالماذكره الزمخشرى علمت أن ماذكره هو لباب المراد فجدد عهدا به ان لم تعلم ذلك قوله تعالى ولكن أكثر الناس لايشكرون (قال فيه) هلاقيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن فى التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار

لايعلمون ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ماتتذكرون ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لااله الاهو

(قلت) ان مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لايقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لايعلمون) لانهم لاينظرون ولايتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسىء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لاريب فيها) لابد من مجيئها ولامحالة وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء (لايؤمنون) لايصدقون بها (ادعونى) اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى والاستجابة الاثابة وفى تفسير مجاهد اعبدونى أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فانه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثورى انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفى الحديث اذا شغل عبدى طاعتى عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لان الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنه أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الانبياء مرسلا كان يقول لكل نبى أنت شاهدى على خلقى وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ماعليك من حرج وقال لنا مايريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى أستجب لك وقال لنا ادعونى أستجب لكم وعن ابن عباس وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الاسناد المجازى لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار (فان قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لوقيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولوقيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألاترى الى قولهم ليل ساج وساكن لاريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فان قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل (قلت) لان الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يستوى بالاضافة (فان قلت) فلوقيل ولكن أكثرهم فلايتكرر ذكر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التى لايشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شئ لااله الاهو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية الربوبية

* قوله تعالى قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى (قال فيه) فان قلت النبى عليه الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجىء الوحى فعلام تحمل الآية وأجاب بان الامر كذلك ولكن البينات مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر الامرين أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أما معرفة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الاصنام آلهة فستفاد من أدلة

فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا (٣٢١) والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل

والربوبية وخالق كل شئ وانشائه لا يمتنع عليه شئ والوحدانية لا ثانى له (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان * ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا * وقرئ خالق كل شئ نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء * هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهى أنه جعل الارض مستقرا (والسماء بناء) أى قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لان السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى فى أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * (فان قلت) أما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكر الادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة * وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (فاذا قضى أمرا فانما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فان قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) الا مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على اذا الا أن الامور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال * وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل اذ أعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

العقول وقد ترد الادلة العقلية فى مضامين السمعيات وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الاصنام فحكم شرعى لا يستفاد الا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى انى نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله انما أريد به والله أعلم تحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد الا من نهى الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة الزمخشرى تقتضى ان تحريم عبادة غير الله تعالى تتلقى من العقل قبل ورود الشرع اذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتقبيح ولهذا أورد الاشكال عليه واحتاج الى الجواب عنه ثم قوله فى الجواب ان أدلة الشرع مقوية لادلة العقل ضعيف مع اعتقاده ان العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل الزيادة والتأكيد والقطعيات لا تفاوت فى ثبوتها

* قوله تعالى فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (قال فيه) فان قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بان الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء * قوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون (قال فيه المصحح لالحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجز دخولها) * قلت وانما كان كذلك لان النون المؤكدة حقها ان تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب الا أنه اذا أكد قوى ابهامه فقربته قوة الابهام من غير الواجب فيساغ دخول النون فيه * ثم قال وقوله تعالى أو نتوفينك اما أن يشرك مع الاول في الشرط ويكون قوله فالينا يرجعون جزاء مشتركا بينهما فلا يستقيم المعنى على فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون وان جعل الجزاء مختصا بالثاني بقي الاول

يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام

كأنه قيل يصطحبون وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم أجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فان قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الاوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم الا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الاوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فان قلت) أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى (قلت) الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء (فاما نرينك) أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك * (فان قلت) لا يخلو اما أن تعطف (أو نتوفينك) على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فالينا يرجعون) فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا * الانعام الابل خاصة * (فان قلت)

بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الاول محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم وهو ما حل بهم لم يوم بدر فذاك أو نتوفينك فالينا يرجعون فننتقم منهم اه كلامه (قلت) وانما حذف جواب الاول دون الثاني لان الاول ان وقع فذاك غاية الامل في انكائهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما ان لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج الى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وان تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه * قال ومثله قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الاول محذوف بذكره هذه الآية

*قوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم (قال فيه) فان قلت هلا قيل لتركبوا منها ولتأكلوا منها ولتبلغوا او منها تركبون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بان فى الركوب فى الغزو والحج وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فن جنس المباح الذى لا يتعلق به الارادة اه كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط مؤسس على قاعدة واهية وهى ان الامر راجع الى الارادة فالواجب والمندوب مرادان لانهما مندرجان فى الامر والمباح غير مراد لانه غير مأمور به وهذا من هنيات المعتزلة فى انكار كلام النفس فلا نطيل فيه النفس

لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم (قلت) فى الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فن جنس المباح الذى لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (فان قلت) هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه (فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه (وآثارا) قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعنى أى شئ أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة وعلمهم فى الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به * البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس *(فان قلت) أى فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم) وبينه لو قيل

وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط بين الامر والارادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد خلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح اذا أن المقصود الاهم من الانعام والمنفعة المشهورة فيها انما هى الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الاسفار والانتقال فى ابتغاء الاوطار فلذلك ذكرهما هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض وأما الاكل وبقية المنافع كالاصواف والاوبار والالبان وما يجرى مجراها فهى وان كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الاكل بالغنم خصوصا الضأن أشهر فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم فلذلك جردت هذه المنافع بالاخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على انها المقصود *قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فان قلت أى فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بان معنى كان

سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل

فلم ينفعهم ايمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم (فان قلت) كيف ترادفت هذه الفا آت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ان جعلت (حم) اسما للسورة كانت في موضع المبتدا و (تنزيل) خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه (فان قلت) بم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والاجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات * وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدا محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه * والأكنة جمع كنان وهو الغطاء * والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا اننا عاملون في ابطال أمرك وقرئ انا عاملون * (فان قلت) هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا

هنا معناها في قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد ينبغي فلم يستقم ولم يصح ان ينفعهم ايمانهم اه كلامه (قلت) كان الذي ثبت التصرف فيها باجرائها مجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صان وحان في القلة فالاولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهتي نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فان قلت ما فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بان فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتدأ الحجاب ومن جهته أيضا ابتداء حجاب فيلزم ان المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها ولو لا ذكر من فيها لكان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه (قلت) لا ينفك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الامر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لانه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الاولى فيكون التقدير اذا ومن بيننا ومن بينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين اخلالا بينا فانها تأبى تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لان تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط ويقطعه عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لان في ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا

حاصل

فجعل بين الثانية غير الاولى لانه جعل الاولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الامر كما ظنه بل بين الاولى هى الثانية بعينها وهى عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها انما كان لان المعطوف مضمن محفوظ فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا انه لا تفاوت باتفاق بين ان تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وانما ذكرها مع الظاهر جوازا ومع المضمر وجوبا لما بيناه فاذا وضح ذلك فالظاهر والله أعلم ان موقع من ههنا كموقعها فى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك للاشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى الى آخر هذه الآية كيف لم يستعمل فيها من وهى قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وكلام الزمخشرى هذا اذا امتحنته بالتحقيق الذى ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفى هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق ان ينتظم الا فى درر الكتاب العزيز فانها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف فى فنه فأولها الحجاب الحائل الخارج ويليه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذى أكن القلب والعياذ بالله فلم تدع هذه الآية حجابا مرتجيا الا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الاشقياء مطمعا ولا صريخا الا استلبته فنسأل الله كفايته * قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم الآية (قال) فان قلت كيف كان هذا جوابا لما تقدمه (وأجاب) بما ملخصه فنقول لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الاباء بدأهم باقامة الحجة على وجوب القبول منه فانه بشر مثلهم لا قدرة له على اظهار المعجزات التى ظهرت وانما القادر على اظهارها هو الله تعالى تصديقا له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتمم ذلك بانذارهم على ترك القبول بالويل الطويل * قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فان قلت لم خص الزكاة وأجاب بان أحب الاشياء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداق لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فان استعماله الخداع غير لائق لانهم انما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الايمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وما نحا هذا النحو

انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها

حاصل وسط الجهتين وأما زيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فان قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفى آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا فى المعانى (فان قلت) من أين كان قوله (انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) جوابا لقولهم قلوبنا فى أكنة (قلت) من حيث انه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (وتوبوا اليه) مما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) وقرئ قال انما أنا بشر (فان قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لان أحب شئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الايمان * الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق أداؤه وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين (ذلك) الذى قدر على خلق الارض فى مدة يومين هو (رب العالمين * رواسى) جبالا ثوابت (فان قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسى كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات وجعلنا فى الارض رواسى وجعل لها رواسى (قلت) لو كانت تحتها كالاساطين

لهما تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضا وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك لابد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) فذلكة لمدة خلق الله الارض ومافيها كأنه قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين ومافيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هى سواء (فان قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض ومافيها أو بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج (فان قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) اذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الارض خلقت فى يومين علم أن مافيها خلق فى يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول فى يومين وأن تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الاولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى الى السماء) من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على شئ وهو من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض ومافيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع * ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول

القائل

وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين

* قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) ان قوله فى أربعة أيام فذلكة بمدة خلق الله الارض ومافيها كأنه قال وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء قال ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج ان معنى الآية فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين * ثم قال فان قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بأنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض ومافيها أو يقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل السائلين المحتاجين اليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الاول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الاول ان قوله فى أربعة أيام فذلكة ومن شأنها الوقوع فى طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بقدر لزم وقوع الفذلكة فى حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فان الاربعة على قوله من تتمة الاول وهى متعلقة بقدر على تأويل حذف التتمة تعلق الظرف بالمظروف ليلائم ذلك اتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الاقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فانه يشتمل على ذكر مدة خلق الاقوات بالتأويل القريب الذى قدره ومتضمن لما يقوم مقام الفذلكة اذ ذكر جملة العدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزمخشرى تكون الفذلكة مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فانه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتى هى على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة

* قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (قال فيه) اما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كأن عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع اذا ورد عليه الامر المطاع فهذا وجه واما أن يكون تخييلا فيبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السموات والارض فأجابتاه والغرض منه تصوير أثر القدرة فى المقدور من غير أن يحقق شيأ من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد اسأل من يدقنى لم يتركنى ورأيى الحجر الذى ورائى اهـ كلامه (قلت) قد تقدم انكارى عليه اطلاق التخييل على كلام الله تعالى فان معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من ايهام وسوء أدب والله أعلم

* قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الآية (قال) فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان معها والارض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي من الشكل ائتي يا أرض مدحوة وقرارا ومهادا وائتي يا سماء سقفا مقببة * ثم قال فان قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بانه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت * ثم قال فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لانها سموات وأرضون وأجاب بانه لما جعلن مخاطبات ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين اهـ كلامه (قلت) لم يحقق الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن في ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهي مؤنثة وهذا هو السؤال الذي أورده الثاني أتى بها على جمع العقلاء وهي لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذي ذكره مختص بالسؤال الذي لم يذكره ولهذا نظره بقوله ساجدين فان تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء

القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورأي الحجر الذي ورائي (فان قلت) لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا (فان قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فان قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاهن) يجوز أن يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان (فان قلت) فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك

فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح

فاما السؤال الآخر فلا لان الكلام راجع الى الكواكب وهي مذكرة والشمس وان كانت مؤنثة الا أنه غلب في الكلام المذكر على المؤنث على المنهاج المعروف فاما هذه الآية فتزيد على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والارض مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع اللاتي تختص بالعقلاء لا بها ولم يوجد في جمع المؤنث عدول الى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة الى العقل فيه فتمت الفائدة بذلك على تأويل السموات والارض بالافلاك مثلا وما في معناه من المذكر ثم غلب المذكر على المؤنث ولا يعدم مثل هذا التأويل في الارضين أيضا * قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين (قال فيه) قيل ان الله تعالى خلق السموات وما فيها في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم في تتمة اليوم وفيه تقوم القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان اهـ كلامه (قلت) كانه يستدل باهمال اليومين عن التأكيد حيث لم يكن خلق السموات بما فيها في جملة اليومين على أنه انما فذلك أيام خلق الارض بما فيها لانه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يوم منها بل كان يجوز أن يكون الخلق في أحد اليومين وبعض الآخر كما كان في هذه الآية على النقل الذي ذكره وهذا لا يتم له منه غرض فان للقائل ان يقول انما كان خلق السموات بما فيها في يومين كاملين لان آدم لم يكن في السموات حينئذ وبخلقه كملت اليومان على مقتضى ما نقله فتأمله

* قوله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة فى البنية ونقيضها الضعف والقدرة ما لاجله يصح الفعل من الفاعل وهى نقيضة العجز فان وصف الله تعالى بالقوة فذلك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح قوله هو أشد منهم قوة ولا بد ان يراد بالقوة (٣٢٨) فى الموضعين شىء واحد وأجاب عنه بان القدرة فى الانسان صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة زيادة فى القدرة فكما صح ان يقال الله أقدر منهم صح أن يقال أقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدر على خلاف ما هى فى اعتقاد المتكلمين

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم

أو شأنها وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعنى من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فان أعرضوا) بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته * فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أى عذاب شديد الوقع كانه صاعقة * وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعنى لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لى فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضى وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم رسل من قبلهم ومن بعدهم (فان قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم * أن فى (أن لا تعبدوا) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أى بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا * ومفعول شاء محذوف أى (لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا فى الارض) أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام أو استعلوا فى الارض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (فان قلت) القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف وأما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف

فان سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنه الى حمل القدرة فى الآية على مقتضاها فى فن الكلام وحمل التفضيل من حيث ان الله تعالى قادر لذاته أى بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة للقدرية ونظير هذا التفسير فى الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو باثبات صفة العلم للمفضول وسلبها بالكلية عن الافضل وهل هذا الاعنته وعمى فى اتباع الهوى وعمه فالحق ان التفضيل انما جاء من جهة ان القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله معلومة قبله وبعده مفقودة غير مؤثرة فى العقل الراجح فى محلها فضلا عن تجاوزها الى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة فى المقدورات موجودة أزلا وأبدا عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذى لا يلوح الا من اثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله المنة

هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم

بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وانما يصح اذا أريد بالقوة في الموضعين شئ واحد (قلت) القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة * الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر * وقرئ لتذيقهم على أن الاذاقة للريح أو للايام النحسات * وأضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر * وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد (فان قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة (قلت) للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب و(الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الآية لكفى بها حجة * قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الاولين والآخرين (يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته * (فان قلت) ما في قوله (حتى اذا ما جاؤها) ما هي (قلت) مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به * شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات (فان قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج * أراد بكل شئ كل شئ من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم (لم شهدتم علينا)

* قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد * ثم قال فان قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة وأجاب بأنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها * ثم قال ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام وكفى به شهيدا الا هذه الآية لكفى به حجة انتهى كلامه (قلت) قد أنطقه الله الذي أنطق كل شئ بأن القدرية مجوس هذه الامة بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام وقد شهد صحبه الاكرمون ان الطائفة الذين (٣٢٩) قفا الزمخشري أثرهم القدرية المتمجسة الذين أديانهم بادناس الفساد متنجسة فهم أول منخرط في هذا السلك ومنهبط في مهواة هذا الهلك * ولنرجع الى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى في قلوب المؤمنين والاضلال خلق الضلال في قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازا واتساعا نحو هذه الآية فان المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقه كما فسره الزمخشري وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على ان استعمال الهدى ههنا مجاز ثم ان أهل السنة يحملونه على المجاز في جميع موارده في الشرع فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وأي دليل

في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس الى نحره ويذيقه وبال أمره * قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء (قال) فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب

أهل السنة أن الأمر على ظاهره فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه ويأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها وإنما

أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما

تأولها الزمخشري ليتبعها أهواه الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وإن وقع النهي عنه فعلى خلاف الإرادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا موضع هذه المقالة التي أنطقه بها الله الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم * المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم * وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين * وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و(ظنكم) و(أرداكم) خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فإن يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار (وإن يستعتبوا) وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا ولم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فإن قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله

إن تك أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففي آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد (فإن قلت) في أمم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم * وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم * وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر و(أسوأ الذي كانوا يعملون) في الآخرة (ذلك) إشارة الى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة و(النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء بما

كانوا

كانوا بآياتنا يجحدون) أى جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (اللذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لأن الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق * وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء فى معنى الاعطاء وأصله الاحضار (ثم) لتراخى الاستقامة عن الاقرار فى المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قلت يارسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر واذا قاموا من قبورهم (ألا تخافوا) أن بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه * والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم * كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (تدعون) تتمنون * والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال (ممن دعا الى الله) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا الدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله (وقال اننى من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبى حنيفة تريد مذهبه * يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك * ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا أهل الصبر * والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فان قلت) فهلا قيل فادفع بالتى هى أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن * وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فان قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة. وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا * النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه ببعثه على

كانوا بآياتنا يجحدون
وقال الذين كفروا ربنا
أرنا اللذين أضلانا من
الجن والانس نجعلهما
تحت أقدامنا ليكونا
من الاسفلين ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التى
كنتم توعدون نحن
أولياؤكم فى الحيوة
الدنيا وفى الآخرة ولكم
فيها ما تشتهى أنفسكم
ولكم فيها ما تدعون نزلا
من غفور رحيم ومن
أحسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا
وقال اننى من المسلمين
ولا تستوى الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتى
هى أحسن فاذا الذى
بينك وبينه عداوة
كأنه ولى حميم وما
يلقاها الا الذين صبروا
وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ

مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريدوا ما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أولتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على
شأنك ولا تطعه * الضمير فى (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى
أو الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن أولما قال ومن آياته كن فى معنى الآيات وقيل خلقهن (فان قلت)
أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعى رحمه الله تعالى (تعبدون) وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر
لفظ السجدة قبلها وعند أبى حنيفة رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد
ابن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى
خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فان استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا
الواسطة فدعهم وشأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين
ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة * وقرئ لا يسأمون
بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى
قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا أخصبت وتزخرفت
بالنبات كأنها بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة * وقرئ وربأت أى
ارتفعت لان النبت اذا هم أن يظهر ارتفعت له الارض * يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (فان قلت) بم اتصل قوله (ان الذين كفروا
بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه
وحرفوا تأويله (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)
مثل كأن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به (فان
قلت) أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون (قلت) بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به
بأن قيض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا
مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ما يقال لك) أى ما يقول لك كفار قومك (الا)
مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة
لانبيائه (وذو عقاب) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو
قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض
تخويف العصاة * كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا
الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أى بينت ولخصت بلسان نفقهه (أأعجمى وعربى) الهمزة همزة
الانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى وقرئ أعجمى والاعجمى الذى
لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان والعجمى منسوب الى أمة العجم وفى قراءة الحسن أعجمى بغير
همزة الاستفهام على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمرسل أو المرسل اليه عربى والمعنى ان آيات الله على أى
طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن
هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربى
المرسل اليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع فى انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب
الى قوم من العرب يقول كتاب أعجمى ومكتوب اليه عربى وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتى الكتاب
والمكتوب اليه لا على أن المكتوب اليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق اليه من الغرض ولا يوصل
به ما يخل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس

فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم ومن
آياته الليل والنهار
والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله
الذى خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون فان
استكبروا فالذين عند
ربك يسبحون له بالليل
والنهار وهم لا يسأمون
ومن آياته أنك ترى
الارض خاشعة فاذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت ان الذى أحياها
لمحيى الموتى انه على كل
شئ قدير ان الذين
يلحدون فى آياتنا
لا يخفون علينا أفمن
يلقى فى النار خير أم من
يأتى آمنا يوم القيامة
اعملوا ما شئتم انه بما
تعملون بصير ان الذين
كفروا بالذكر لما
جاءهم وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد
ما يقال لك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك
ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب أليم ولو جعلناه
قرآنا أعجميا لقالوا لولا
فصلت آياته أأعجمى
وعربى

*قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى (أجاز) فى الواو فى هذه الآية وجهين أحدهما أن تكون الواو لعطف الذين على الذين ووقر على هدى وشفاء ويكون من العطف على عاملين قال وأما أن يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو فى آذانهم منه وقر انتهى (قلت) أى وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدا

قصير ولو قلت ولا الذبسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع فى ذكورة اللابس وأنوثته انما وقع فى غرض وراءهما (هو) أى القرآن (هدى وشفاء) ارشاد الى الحق وشفاء (لما فى الصدور) من الظن والشك *(فان قلت) (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو اما أن يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر الا أن فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو فى آذانهم منه وقر *وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل *والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه نفع (فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام) فيعذب غير المسىء (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها الا الله *وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركاءى) أضافهم اليه تعالى على زعمهم وبيانه فى قوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أى ما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا *والمحيص المهرب (فان قلت) آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكى ويجوز أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الامر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وان مسه الشر) أى الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون *واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذا لى) أى هذا حقى وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عنى ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه *ونحوه قوله تعالى (وما أظن الساعة قائمة) ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون *فان كانت على طريق التوهم (ان لى) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ويقول فى الآخرة ياليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة *فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ماهم

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركاءى قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض

عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك * هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم * وان مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلاظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء فى رأى (فان قلت) حقق لى معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا فى قوله تعالى على مافرطت فى جنب الله ان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة الشئ نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه وان خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أنتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبرونى من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط فى مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو فى شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) يعنى ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفى باحة العرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر أمثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام فى أقطار المعمورة وبسط دولته فى أقاصيها والاستقراء يطلعك فى التواريخ والكتب المدونة فى مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (بربك) فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى و(أنه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شئ شهيد ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع مهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة * وقرئ فى مرية بالضم وهى الشك (محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرأ ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما حم سق (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك والى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه من قبلك الى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل

ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط

﴿سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات

يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا

أوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن ايحاء مثله عادته * وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول (فان قلت) فما رافع اسم الله على هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فان قلت) فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء * والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر * قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى فى نوادر ابن الاعرابى "الابل تشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلى" العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه * (فان قلت) لم قال من فوقهن (قلت) لان أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهى العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن ونظيره فى المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم فجعل الحميم مؤثرا فى أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين * (فان قلت) كيف صح أن يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن فى الارض) يدل على جنس أهل الارض وهذه الجنسية قائمة فى كلهم وفى بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله الا اياهم ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا فى استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الى أن قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فان قلت) قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات ينفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الارض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثانى فكأنه قيل يكدن ينفطرن من اقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التى علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فحسب * ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله فى كتابه فى مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا و (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه عليك

لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله

لتفهم مايقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الاول أعنى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثانى وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لاريب فيه) اعتراض لامحل له * قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أى متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فان قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين فى حالة واحدة (قلت) هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان أريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق (لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله تعالى ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولوشاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان * ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على مايختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه * معنى الهمزة فى (أم) الانكار (فالله هو الولى) هو الذى يجب أن يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق لاولى سواه (وهو يحيى) أى ومن شأن هذا الولى أنه يحيى (الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لايقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ماخالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (واليه) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وماوقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لاتتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى (فان قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين فى أحكام الشريعة (قلت) لا لان الاجتهاد لايجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أى وخلق من الانعام أزواجا ومعناه وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء أخوات (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لايعقل وهى من الاحكام ذات العلتين (فان قلت) مامعنى يذرؤكم فى هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير

* القول فى سورة حم عسق *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال ان الضمير المتصل بيذرؤ عائد على الانفس وعلى الانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لايعقل وهى من الاحكام ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح انهما حكمان متباينان غير متداخلين أحدهما مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطبا أو غائبا والثانى مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالاول لتغليب العقل والثانى لتغليب الخطاب الا

*قوله تعالى ليس كمثله شئ (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربي العرب
لا تخفر الذمم ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفى حديث رقيقة بنت صيفي فى سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته
تريد طهارته وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من
فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
بها شيأ آخر حتى انهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم ان كلمة التشبيه

كررت للتأكيد كما كررت فى قول من قال وصاليات ككما يؤثفين * ومن قال * فأصبحت مثل كعصف مأكول * انتهى
كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على مافيه من الاخلال
بالمعنى وذلك ان الذى يليق هنا تأكيد نفي
المماثلة والكاف على هذا الوجه انما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية وبين
تأكيد نفي المماثلة فان نفي المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد فى المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد اذ يلزم من نفي المماثلة
الغير المؤكدة نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها فى التحقيق والتأكيد وحيث وردت
الكاف مؤكدة للمماثلة وردت فى الاثبات فأكدته فليس النظر فى الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم وبما يرشد الى صحة
ماذكرته ان للقائل أن يقول ليس زيد شبيها بعمرو ولكن مشبها له ولو عكس هذا لم يكن صحيحا وما ذاك الا انه يلزم من نفي أدنى
المشابهة نفي أعلاها ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها فتأكيد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الاول الذى ذكره هو الوجه
فى الآية عنده وأتى بعطية الضعف فى هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن تزعم فافهم

شئ وهو السميع البصير
له مقاليد السموات
والارض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه بكل
شئ عليم شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا
والذى أوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى أن
أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله
يجتبي اليه من يشاء
ويهدى اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولولا كلمة سبقت من
ربك الى أجل مسمى
لقضى بينهم وان الذين
أورثوا الكتاب من بعدهم
لفى شك منه مريب

ألا تراك تقول للحيوان فى خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم فى القصاص حياة * قالوا مثلك لا يبخل
فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا
نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم
كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفى
حديث رقيقة بنت صيفي فى سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا
علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من
فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه
مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
شيأ آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن
كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال * فأصبحت مثل كعصف
مأكول * وقرئ ويقدر (انه بكل شئ عليم) فاذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه والا أفقره (شرع لكم من
الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه
بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على
حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا اما نصب
بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة
الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم
اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (يجتبي اليه) يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد
(من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من
بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى
عدة التأخير الى يوم القيامة (لقضى بينهم) حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من
بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك) من كتابهم لا يؤمنون
به حق الايمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الارض أجمعين بالطوفان فلما
مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما
اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (قال فرق بين عملى العاملين بان من عمل للآخرة (٣٣٨) وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى منها شيأ الا ما يريده و يبتغيه وهو رزقه الذى قسم له

فلذلك فادع واستقم
كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم وقل آمنت
بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم
الله ربنا وربكم لنا
أعمالنا ولكم أعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا واليه المصير
والذين يحاجون فى الله
من بعد ما استجيب
له حجتهم داحضة عند
ربهم وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد
الله الذى أنزل الكتاب
بالحق والميزان وما
يدريك لعل الساعة
قريب يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها والذين
آمنوا مشفقون منها
ويعلمون أنها الحق ألا
ان الذين يمارون فى
الساعة لفى ضلال بعيد
الله لطيف بعباده يرزق
من يشاء وهو القوى
العزيز من كان يريد
حرث الآخرة نزد له فى
حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وماله فى
الآخرة من نصيب أم
لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به
الله

كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وأن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا (فلذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (بما أنزل الله من كتاب) بأى كتاب صح أن الله أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى و يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الىّ (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا و ينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام (فان قلت) كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء (قلت) المراد محاجزتهم فى مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الاسلام (داحضة) باطلة زالة (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به * بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) فى تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجىء الساعة قريب (فان قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان (قلت) لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه و يزن أعمالكم و يوفى لمن أوفى و يطفف لمن طفف * المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لفى ضلال بعيد) من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته (فان قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره الى جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره الا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر و يصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الاخوين ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب * سمى ما يعمله العامل مما يبغى به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملى العاملين بان من عمل للآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيأ منها الا ما يريده و يبتغيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط فى الآخرة ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب معنى الهمزة فى (أم) التقرير والتقريع * وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذى شرعت لهم الشياطين

وفرغ منه وماله فى الآخرة من نصيب ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك فى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب وتعالى

وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء الله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن أضللن كثيرا من الناس (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أوولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم * وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) فى الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه أشفقوا أولم يشفقوا * كان روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا بيشاؤن * قرئ يبشر من بشره و يبشر من أبشره و يبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أوذلك التبشير الذى يبشره الله عباده * روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية (الا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا أى لا أسألكم أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ولم يكن هذا أجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فان قلت) هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة فى القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وروى أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوننى قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى الا أن تودونى فى القربى أى فى حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن أجله يعنى أنكم قومى وأحق من أجابنى

ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

قوله تعالى الا المودة فى القربى (قال فيه) ان قلت هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان هوى وحب شديد وليس فى صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى وانما هى متعلقة بمحذوف تقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذى قصده بقوله فى الآية التى تقدمت ان قوله يذرؤكم فيه انما جاء عوضا من قوله يذرؤكم به فافهمه

ومن يقترف حسنة نزد
له فيها حسنا ان الله
غفور شكور أم يقولون
افترى على الله كذبا
فان يشا الله يختم على
قلبك ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته
انه عليم بذات الصدور
وهو الذى يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن
السيئات ويعلم ماتفعلون
ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم
عذاب شديد ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا
فى الارض ولكن ينزل

وأطاعنى فاذقد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على وقيل أتت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما جمعوه وقالوا يارسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق
ومالك سعة فاستعن بهذا على ماينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله
ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) عن السدى
أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر
العموم فى أى حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على انها تناولت المودة
تناولا أوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد أى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله
تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى
الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمزة
فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى
وأفحشها (فان يشا الله يختم على قلبك) فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب
فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من
مثله وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الامناء
فيقول لعل الله خذلنى لعل الله أعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد أن
يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق
(بكلماته) بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفتريا كما
تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن
وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب
ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك
وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (فان قلت) ان كان قوله ويمح الله الباطل
كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط (قلت) كما سقطت فى قوله تعالى ويدع
الانسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة فى بعض المصاحف يقال قبلت منه الشئ وقبلته
عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة
أن يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاودهما لان المرجوع عنه قبيح واخلال
بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وروى جابر أن اعرابيا دخل مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه
ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال ياأمير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته (ويعفوا عن السيئات) عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
(ويعلم ما يفعلون) قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين
آمنوا) أى يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله تعالى واذا كالوهم أى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
على الثواب تفضلا أو اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل
الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن
سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا
نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من

*قوله تعالى ومابث فيهما من دابة (قال فيه فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها) وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان لبعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح الخ) قال أحمد اطلاق الدواب على الاناسي بعيد من عرف اللغة فكيف فى اطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الاول وقد جاء مفسرا فى غير ما آية كقوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة فخص هذا الامر بالارض والله أعلم *قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت (٣٤١) أيديكم ويعفو عن كثير (قال فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحمد هذه الآية تنكسر عندها القدرية ولا يمكنهم ترويج حيلة فى صرفها عن مقتضى نصها فانهم حملوا قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء على

البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمى ينبت بيننا * وبين بنى رومان نبعا وشوحطا

يعنى أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغى والتفاتن أومن البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب ابن الارت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (خبير بصير) يعرف ما يؤول اليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا (فان قلت) قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لاشبهة فى أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن *قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته فى كل شئ كانه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومابث) يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا يحمل على المضاف اليه أو المضاف (فان قلت) لم جاز (فيهما من دابة) والدواب فى الارض وحدها (قلت) يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وانما هو فى فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانا يمشى فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم ومالا نعلم من أصناف الخلق *اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه (اذا يشاء) وقال الشاعر

واذا ما أشاء أبعث منها * آخر الليل ناشطا مذعورا

*فى مصاحف أهل العراق (فبما كسبت) باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفى مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لاجرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا أصابهم شئ من ألم أوغيره فللعوض الموفى وللمصلحة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج

بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم

التائب وهو غير ممكن لهم ههنا فانه قد أثبت التبعيض فى العفو ومحال عندهم ان يكون العفو ههنا مقرونا بالتوبة فانه يلزم تبعيض التوبة أيضا وهى عندهم لاتتبعض وكذلك نقل الامام عن أبى هاشم وهو رأس الاعتزال والذى تولى كبره منهم فلا محمل لها الا الحق الذى لامرية فيه وهو مرد العفو الى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وقول الزمخشرى ان الآلام التى تصيب الاطفال والمجانين لها اعواض انما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده وقد أخطأ على الاصل والفرع لان المعتزلة وان أخطأت فى ايجاب العوض فلم تقل بايجابه فى الاطفال والمجانين ألا ترى ان القاضى أبا بكر الزمهم قبح ايلام البهائم والاطفال والمجانين فقال لااعواض لها وليس مترتبا على استحقاق سابق فيحسن فانما يتم الزامه بموافقتهم له على أن لااعواض لها

عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعاته أكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم تثن عليه العقوبة فى الآخرة وعنه رضى الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن (بمعجزين) بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (من ولى) من متول بالرحمة (الجوارى) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء كأنه علم فى رأسه نار* وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر (يوبقهن) يهلكهن والمعنى أنه ان يشأ يبتلى المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا* بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فان قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (فان قلت) فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (فان قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام (فان قلت) فما وجوه القراآت الثلاث فى (ويعلم) (قلت) أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على اضمار أن لان قبلها جزا تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وان شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه فى كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو فى قوله ان تأتنى آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا أنه فى الجزاء صار أقوى قليلا لانه ليس بواجب أنه يفعل الا أن يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه اه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة (فان قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال أو ان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه* ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى بكر رضى الله عنه مال فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الاثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كبير الاثم هو الشرك (هم يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس* وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم* والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم)

الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم

* قوله تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لا تجرى على ظهر البحر) قال أحمد وهم يقولون ان الريح لم ترد فى القرآن الا عذابا بخلاف الرياح وهذه الآية تخرم الاطلاق فان الريح المذكورة هنا نعمة ورحمة اذ بواسطتها يسير الله السفن فى البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا ننكر أن الغالب من ورودها مفردة ما ذكروه وأما اطراده فلا وما ورد فى الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلاجل الغالب فى الاطلاق والله أعلم

قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لما ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفي غليل السائل ويحصل منه على كل طائل ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (٣٤٣) فان الانسان كفور (قال فيه لم يقل

ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله مالكم من

أى ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى * هو أن يقتصروا فى الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يتعدوا وعن النخعى أنه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فان قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لان من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم أورد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود * كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره الى الله (ان ذلك) منه (لمن عزم الامور) وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم الامر قد ينعكس فى بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغى وقطع مادة الاذى وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى فقال لعائشة دونك فانتصرى (ومن يضلل الله) ومن يخذل الله (فماله من ولى من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفى وفيه تعسف (يوم القيامة) اما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا واما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعدما حكم به أو من صلة يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده * والنكير الانكار أى مالكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون فى صحائف أعمالكم * أراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت أيديهم انما تستقيم فيهم * والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف * والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود

فانه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم الخ) قال أحمد وقد أغفل هذه النكتة بعينها فى الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع الضمير الذى كان من حقه ان يعود على اسم ان فيقال الا أنهم فى عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها * لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط (فان قلت) لم قدم الاناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الاناث (قلت) لانه ذكر البلاء فى آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال (ذكرانا واناثا) كما قال انا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت فى الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (انه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا) على ثلاثة أوجه اما على طريق الوحى وهو الالهام والقذف فى القلب أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره قال عبيد بن الابرص وأوحى الىّ الله أن قد تأمروا * بابل أبى أوفى فقمت على رجل أى ألهمنى وقذف فى قلبى واما على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لانه فى ذاته غير مرئى وقوله (من وراء حجاب) مثل أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحى الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أى نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف وقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحى كلام خفى فى سرعة كما تقول لا كلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا فى معنى أن يوحى وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا لا بأن يوحى أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا طابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا فى معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (انه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (فان قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدرى ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الايمان) والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من

ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان

* (قال فان قلت قد علم ان النبى عليه الصلاة والسلام ما كان يدرى الكتاب قبل الوحى الخ) قال أحمد لما كان معتقد الزمخشرى ان الايمان اسم التصديق مضافا اليه كبير من الطاعات فعلا وتركا حتى لا يتناول الموحد العاصى ولو بكبيرة واحدة اسم الايمان ولا يناله وعد المؤمنين وتفطن لامكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدها فرصة لينتهزها وغنيمة يحرزها وأبعد الظن بارادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الايمان هو مجرد التوحيد والتصديق كما تقول أهل السنة للزم أن ينفى عن النبى عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا

النظر

ولما كان التصديق ثابتا للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين لزم ان لا يكون الايمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحينئذ يتعين صرفه الى مجموع أشياء من جملتها التصديق ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم الا بالوحي وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذي طمع فيه بخرط القتاد ولا يبلغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وان قالوا ان الايمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وان كان فاسقا يخصون التصديق بالله وبرسوله فالنبي عليه الصلاة والسلام مخاطب في الايمان بالتصديق برسالة نفسه كما ان أمته مخاطبون بتصديقه ولا شك انه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك الا بالوحي

ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور

﴿سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الاولين

النظر والاستدلال أن يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الايمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلاة لانها بعض ما يتناوله الايمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه (صراط الله) بدل وقرئ لتهدي أي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

(سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك انها اغريض (المبين) البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة في أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و(قرآنا عربيا) حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي اراده أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لانه الاصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفه Tarafah [illegible] xii. 3

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بواجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين (أن كنتم) أي لان كنتم وقرئ ان

واذا كان الايمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله ولم يكن هذا المجموع

 ثابتا قبل الوحي بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الايمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم ﴿القول في سورة الزخرف﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم الخ) قال أحمد تنبيه حسن جدا ووجه التناسب فيه انه أقسم بالقرآن وانما يقسم بعظيم ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بانه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون أي يتعقلوا آيات الله تعالى فكان جواب القسم مصححا للقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وانما يقسم الشعراء بمثل هذا الاشعار بانه في غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونها في نهاية الحسن لانها هي اغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا فجعل المقسم عليه مصححا للقسم والله أعلم عاد كلامه الى قوله تعالى لعلكم تعقلون (فسره بالارادة) وقد بينا فساد ذلك غير ما مرة

* قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا الآية (قال فيه فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقبه ان كان من قولهم الخ) قال أحمد الذى يظهر ان الكلام مجزأ فبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى فالذى هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام انهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله فى الآية الاخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سيق الكلام كله سياقة واحدة حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة فى كلام الله تعالى مقامه كانه كلام واحد ونظير هذا ان تقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمنى زيد فتقول أنت واصفا المذكور الكريم الجواد الذى من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم الى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان فى البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها الى التكلم فى قوله فأنشرنا كل ذلك افتنان فى افنان البلاغة ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فجاء أول الكلام حكاية (٣٤٦) عن موسى الى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى الى كلام الله تعالى فوصف ذاته

وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا بالسنتهم

كنتم واذ كنتم (فان قلت) كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخيل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه الضمير فى (أشد منهم) للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (فان قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذى هذه أوصافه وليسندنه اليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا (الازواج) الاصناف (ما تركبون) أى تركبونه (فان قلت) يقال ركبوا الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه (قلت) غلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها فى قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها

أوصافا متصلة بكلام موسى حتى كانه كلام واحد وابتدأ فى ذكر صفاته على لفظ الغيبة الى قوله فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر الى تحقيق التطبيق بين الآيتين تر العجب والله الموفق قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت فى الفلك الى آخره) قال أحمد لم يحرر العبارة فى هذا الموضع فان قوله غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بنفسه يوهم ان بين الفعلين تباينا وليس كذلك فان المتعدى الى الانعام هو عين الفعل المتعدى الى السفن غاية ما ثم ان العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالتعدى بنفسه والاختلاف بالتعدى والقصور أو باختلاف آلات التعدى وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف فى المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل سكرت واخوانه ويعدون الافعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصليت فانك تقول صلى النبى على آل أبى أوفى ولو قلت دعا على آل أبى أوفى لافهم عكس المقصود ولكن دعا لآل أبى أوفى ويعدون بعضها الى مفعولين ومرادفه الى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدى والقصور الاختلاف فى المعنى فالذى يحرر من هذا ان ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وان خص أحدهما باقتران الواسطة والآخر بسقوطها فالصواب أحد أمرين اما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والاقرب تعليله باعتبار التعدى بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتبارى الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب فى قوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم على أحد التأويلين فيه فان التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعنى أجمع على الامر وجمع الشركاء ولكن لما تقاربا غلب احدهما على الآخر ثم جعل المغلب هو المتعدى بنفسه والله أعلم

سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

بألسنتهم وهو ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر فى لطائف الصناعات فكيف بالنظر فى لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشئ اذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتنى ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى الى قولهم فى الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فان قلت) كيف اتصل بذلك قوله * وانا الى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منقلب من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو فى بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو فى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا أوامره وقد بلغنى ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به فى هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزأ أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمتين (لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الاناث دون الذكور على انهم أنفر خلق الله عن الاناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا

* قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (قال فيه كأنه قيل هبوا أن اضافة الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول ان كل شئ بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا للدليل العقلى وتصديقا للنص النقلى فى أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح الا تمهيدا ولا تفيده الا تصويبا وتسديدا فنقول اذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلما مهدناه وأما كونه أراد بها باطلا فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على (٣٤٧) الله توهما انه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضل أن لا يعاقبه على ذلك لانه انما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية اخوان الوثنية ذلك فاشركوا بربهم واعتقدوا ان الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لان هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنيه فى ملك ربهم المتوحد بالربانية جل وعلا فاذا وضح ما قلناه فاعلم ان الله رد عليهم مقالتهم هذه لانهم توهموا انها حجة على الله فدحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وان هم الا يظنون وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير وذلك قوله تعالى فى سورة الانعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب بالرسل والاشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فشبه تعالى حالهم فى الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم ثم بين انه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب فقال ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ثم لما

أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما * وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

مالأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ماشينا
* وانما نأخذ ما أعطينا *

* والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الافعال الناقصة بمعناها * وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر * ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء * قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم * وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث * وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين

أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فلله الحجة البالغة ثم أوضح ان الرد عليهم ليس الا في احتجاجهم على الله بذلك لا لان المقالة في نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء الله ما أشركنا من حيث ان لو مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلت الآية الاخيرة على ان الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تأتيا وتيسرا للهداية وغيرها من الافعال الكسبية حتى صارت الافعال الصادرة منه مناط التكليف لانها اختيارية يفرق بالضرورة بينها وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم في سلك الافهام الكثيفة فلا جرم ان أفهامهم تبددت وأفكارهم تبددت فغلت طائفة القدرية واعتقدت ان العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وجارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وان جميع الافعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فخصهم الله من هدايته قسطا وأرشدهم الى الطريق الوسطى فانتهجوا سبل السلام وساروا ورائد التوفيق لهم امام مستضيئين بأنوار العقول المرشدة الى ان جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الافعال للعبد مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الضروري والاختياري في التصوير فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم

بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكى الذى هو ايمان عنده لو جدوا فى النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقى أن يكونوا جادين وتشترك كلها فى أنها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا (فان قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون فى ذلك القول لا فى تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم * الضمير فى (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحى فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم أى تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التى يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبران أو الظرف صلة المهتدون (مترفوها) الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه * قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعنى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم * قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى * قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرىء فبرىء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذى فطرنى) فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى فانه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال اننى براء مما تعبدون الا من الذى فطرنى (فان قلت) كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى أن الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما فى ما تعبدون موصوفة تقديره اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * (فان قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف (قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده * لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله * وقرئ كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك وفى عاقبه أى فيمن عقبه أى خلفه (بل متعت هؤلاء) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم وقرئ بل متعنا (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة

ان هم الا يخرصون
أم آتيناهم كتابا من
قبله فهم به مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على أمة وانا على
آثارهم مهتدون
وكذلك ما أرسلنا من
قبلك فى قرية من نذير
الا قال مترفوها انا
وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم مقتدون
قال أولو جئتكم بأهدى
مما وجدتم عليه آباءكم
قالوا انا بما أرسلتم به
كافرون فانتقمنا منهم
فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه
اننى براء مما تعبدون
الا الذى فطرنى فانه
سيهدين وجعلها كلمة
باقية فى عقبه لعلهم
يرجعون بل متعت
هؤلاء وآباءهم حتى
جاءهم الحق ورسول
مبين

النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل اساءة من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله (فان قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا الا رجالا من أهل القرى جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته * ثم ضرب لهم مثلا فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام * ثم قال (ورحمت ربك) يريد هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم

ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

* قوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون (قال فيه فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه الى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه الا ان قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها اطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الاضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا وليس المراد بها ان الامل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكأن تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الاضراب في مثل قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وهذه الاضرابات ليست على معنى أن الثاني منهار دالاول بل ثانيها آكد من أولها وجاء الاضراب مع التوافق والزيادة للاشعار بان الثاني لما زاد على الاول صار باعتبار زيادته ونقصان الاول كانهما شيا آن متنافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله وهو التوفيق * قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم ان الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والزمخشري بنى على أصله وقد تقدم

* قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه لولا كراهية أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفا من فضة أى لوسعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد لولا هنا أخت لولا فى قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك بأن لا تقدر محذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا ان اجماعهم على الكفر منع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد ان ما بعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا محققا فيمتنع الجواب بلا اشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الاكثر وقد يكون وجوده تقديرا معه وعلى ذلك الآية أى لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدر الوجد مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدرا معه وكل ما أدى وجوده الى وجود مانعه لا يوجد (ثم قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى اليها التوسعة من الاطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الايمان وأجاب بان التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما يؤدى اليه من الدخول فى الاسلام لاجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اه كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين احداهما تعليل أفعال الله تعالى والاخرى ان الله تعالى أراد الاسلام من الخلق أجمعين أما الاولى فقد أخرس الله السائل عنه بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا * قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا الآية (قال فيه يقال عشى بصره بكسر الشين اذا أصابته الآفة الخ) قال أحمد فى هذه الآية نكتتان بديعتان * أحدهما الدلالة على ان النكرة الواقعة فى سياق الشرط تفيد العموم وهى مسئلة اضطرب فيها الاصوليون وامام الحرمين من القائلين بافادتها العموم حتى استدرك على الائمة اطلاقهم القول بان النكرة فى سياق الاثبات تخص وقال ان الشرط يعم والنكرة فى سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن على الانبارى شارح كتابه ردا عنيفا وفى هذه الآية للامام ومن قال بقوله كفاية وذلك ان الشيطان ذكر فيها منكرا فى سياق شرط ونحن نعلم انه انما أراد عموم الشياطين لا واحدا لوجهين أحدهما أنه قد ثبت ان لكل أحد شيطانا فكيف بالعاشى عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو انه أعاد عليه الضمير مجموعا فى قوله وانهم فانه عائد الى الشيطان قولا واحدا ولولا افادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا اشكال فهذه نكتة تجد عند اسماعها المخالف هذا الرأى سكتة * النكتة الثانية أن فى هذه الآية ردا على من زعم ان العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه اجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندى هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه الآية وكان جدى رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك لانه أعاد على اللفظ فى قوله يعش وله مرتين ثم على المعنى فى قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى اذا جاءنا وقد قدمت ان الذى منع ذلك

لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن

وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين فى قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة فى سقف وسقوفا * ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهى المصاعد الى العلالى (عليها يظهرون) أى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه * وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفى التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أى للذى هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرى وما كل ذلك الا * لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (فان قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدى اليه من الدخول فى الاسلام لاجل الدنيا والدخول فى الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى * قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى

قد يكون اقتصر بمنعه على مجيء ذلك في جملة واحدة وأما اذا تعددت الجمل واستقلت كل بنفسها فقد لا يمنع ذلك حتى رددت على الزمخشري في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فان الجملة واحدة

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين

واذا انظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * متى تأته تعشو الى ضوء ناره * أي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم أعشو اذا ما جارتي برزت * حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمي وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان * (فان قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله (وانهم ليصدونهم) (قلت) لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) العاشي وقرئ جاآنا على أن الفعل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران (فان قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد اليهما (أنكم) في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله ياليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء

* أعزي النفس عنه بالتأسي * فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى اذ ظلمتم (قلت) معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره * اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين أني ولد كريمة * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم) انكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ما في قوله (فاما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم في أنها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك فالينا يرجعون * وان أردنا أن نجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة * وقرئ نرينك بالنون الخفيفة * وقرئ بالذي أوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحامات على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم الى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره (وانه) وان الذي أوحي اليك (لذكر) لشرف (لك ولقومك و) لسوف (تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين * ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر

فانظره في موضعه

* قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا (قال سؤال الرسل مجاز عن الفحص في شرائعهم والنظر في مللهم الخ) قال أحمد ويشهد لارادة سؤال الامم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والله أعلم

في

*قوله تعالى فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها (قال جازت اجازة لما باذا التى للمفاجأة لان فعل المفاجأة مقدر معها وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر فى تسويغ هذا الاطلاق والله أعلم ان كل واحدة من هذه الآى اذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يجزم انها النهاية وان كل آية دونها فاذا انتقل الفكرة الى أختها استوعبت أيضا فكره بعظمها وذهل عن الاولى فجزم بان هذه النهاية وان كل آية دونها والحاصل انه لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرده بالفكر جزم بانه النهاية وعلى هذا التقدير يجرى جميع ما يرد من امثاله والله أعلم *قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان الخ) قال أحمد قد تقدم فى غير موضع ان لعل حيثما وردت فى سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء الى المخلوقين أى ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد أما الزمخشرى فيحمل لعل على الارادة لانه لا يتحاشى من اعتقاد ان الله يريد شيأ ويريد العبد خلافه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فما أشنعها زلة وأبشعها خلة ولقد أساء الادب فى هذا الموضع حتى انه لولا تعين الرد عليه والا لما جرى القلم بنقل ما هذى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله فى جعل حقيقة الامر هو الارادة وأضاف الى ذلك اعتقاد ان العبد يوجد فعله ويخلقه وان مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغواية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا

العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون

فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال عن الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء *ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) أى يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة (فان قلت) كيف جاز أن يجاب لما باذا المفاجأة (قلت) لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كانه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (فان قلت) اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم اذا قروتهم رجلا رجلا (فان قلت) هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا هى أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الاشياء التى تتلاقى فى الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (لعلهم يرجعون) ارادة أن يرجعوا عن الكفر الى الايمان (فان قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) ارادته فعل غيره ليس الا أن يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه *والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك *وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فان قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (اننا لمهتدون) (قلت) قولهم اننا لمهتدون وعد منوى اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى الى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر *بما عهد

عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (ونادى فرعون فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعاله والمعنى أنه أمر بالنداء فى مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينتشر عنه فى جموع القبط فكأنه نودى به بينهم فقال (أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) يعنى أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى ويجوز أن تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وليت شعرى كيف ارتقت الى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودى بها فى أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع فى صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هذه متصلة لان المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أأنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الانهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو فى نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم أبيناء بلغاء * وأراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) اما مقترنين به من قولك قرنته فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره * وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير جمع اسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير * وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفز من قولهم للخفيف فز (آسفونا) منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا فى المعاصى وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم * وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون * لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم

ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا

مثلا

مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون)
ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما
يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فن الصدود أى من أجل
هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف
ونظائرهما (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن الهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من
حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الالاجل الجدل
والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج
كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله ما أريد به الا الأصنام وكذلك قوله
عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال أن يقصد به الانبياء والملائكة الا
أن ابن الزبعرى بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان
المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على
طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب
عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة فى الاصنام على أن ظاهر قوله وما
تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من
النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل
لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وماضربوه لك الاجدلا معناه وما قالوا هذا القول يعنى أآلهتنا
خير أم هو الا للجدال * وقرئ أآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفى
حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله
قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر
ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين
آلهتهم السخرية به والاستهزاء * ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ماقلنا
بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا
وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك
مثله وماتنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه الا قياس باطل بباطل وماعيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا
عليه) حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال
(ملائكة) يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لاتتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وانه) وان عيسى
عليه السلام (لعلم للساعة) أى شرط من أشراطها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس
لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبى لذكر على تسمية مايذكر به ذكرا كما سمى مايعلم به علما وفى الحديث ان
عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه
عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان
فيه الاعلام بها (فلا تمترن بها) من المرية وهى الشك (واتبعون) واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى وقيل هذا
أمر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم اليه أو هذا القرآن ان جعل الضمير فى
وانه للقرآن (عدو مبين) قد أبانت عداوته لكم اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات)

اذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم
هو ماضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم
خصمون ان هو الا عبد
أنعمنا عليه وجعلناه
مثلا لبنى اسرائيل ولو
نشاء لجعلنا منكم
ملائكة فى الارض
يخلفون وانه لعلم للساعة
فلا تمترن بها واتبعون
هذا صراط مستقيم
ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين ولما
جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم

بالحكمة ولأبين لكم
بعض الذي تختلفون
فيه فاتقوا الله وأطيعون
ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم
فويل للذين ظلموا من
عذاب يوم أليم هل
ينظرون الا الساعة
أن تأتيهم بغتة وهم
لا يشعرون الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين ياعباد
لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون الذين
آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبرون
يطاف عليهم بصحاف
من ذهب وأكواب
وفيها ماتشتهيه الانفس
وتلذ الاعين وأنتم فيها
خالدون وتلك الجنة
التي أورثتموها بما
كنتم تعملون لكم فيها
فاكهة كثيرة منها
تأكلون ان المجرمين
في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم
الظالمين ونادوا يامالك
ليقض علينا ربك قال
انكم ماكثون لقد
جئناكم بالحق ولكن
أكثركم للحق كارهون

بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعني الانجيل والشرائع (فان قلت) هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون في الديانات ومايتعلق بالتكاليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم (الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للاحزاب (فان قلت) من بينهم الى من يرجع الضمير فيه (قلت) الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (فان قلت) أما أدى قوله (بغتة) مؤدى قوله (وهم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لان معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون (يومئذ) منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله وقيل (الا المتقين) الا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط (ياعبادي) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ * (والذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف أي الذين صدقوا (بآياتنا وكانوا مسلمين) مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد ياعبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين * وقرئ ياعباد (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل * والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) الضمير للجنة * وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون (وتلك) اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ و (الجنة) خبر و (التي أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذي هو اسم الاشارة والتي أورثتموها خبر المبتدا أو التي أورثتموها صفة و (بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الاول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة * وقرئ ورثتموها (منها تأكلون) من للتبعيض أي لا تأكلون الا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (لا يفتر عنهم) لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها * والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين * وقرئ وهم فيها أي في النار * وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يامال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل * والحق يامال غير ماتصف * وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ماهم فيه وقرأ أبو السرار الغنوي يامال بالرفع كما يقال ياحار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا (فان قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعد ماوصفهم بالابلاس (قلت) تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة مابهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله عنهما انما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لا تقبلونه وتنفرون

* قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه ان صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له الى آخره) قال أحمد لقد اجترأ عظيما واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدليا ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين انه شيطان وليس باله فلينقم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا انه تعالى خالق لذلك في القلوب كما خالق الايمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على ان لا خالق الا الله وتصديقا بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شيء واذا ثبتت هذه المقدمة عقلا ونقلا لزمه فرك اذنه وغل عنقه اذ يلحد في الله الحادا لم يسبقه اليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف في كفر القدرية فقد وافق على كفر من تجرأ أفقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة بلا محالة فانه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المسؤل ان يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه

منه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر ان كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له * وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة * ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما

* قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله في السماء الخ) قال أحمد ومما سهل حذف الراجع مضافا الى الطول الذي ذكره وقوع الموصول خبرا عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتكرار المستكره اذ كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء اله ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وان الراجع انما حذف على قلة حذف مثله لامر متأكد فانه لم يرد في الكتاب العزيز الا في قوله تماما على الذي أحسن ومع أي في موضعين على رأي * عاد كلامه قال ويحتمل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الالهية الخ

ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الامن شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب * وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيأ وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الارض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء * ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من (شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو وقيله يارب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

﴿سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة

(سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفو العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الواو في (والكتاب) واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كان حم مقسما بها وقوله (انا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب المبين القرآن * والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام ان الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر

والمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان (فان قلت) مامعنى انزال القرآن فى هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (فان قلت) (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذى هو قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم * والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التى يتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة * ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها الى الأخرى القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته * وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن على رضى الله عنه نفرق بالنون * كل أمر حكيم كل شأن ذى حكمة أى مفعول على ماتقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الامر الذى هو ضد النهى ثم اما أن يوضع موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين فى أنزلناه اما من ضمير الفاعل أى أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أى أنزلناه فى حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فان قلت) (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده أى يفصل فى هذه الليلة كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين * وفى قراءة زيد بن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص * وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (انه هو السميع العليم) ومابعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق الا لمن هذه أوصافه * وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فان قلت) مامعنى الشرط الذى هو قوله (ان كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض ومابينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهر واسخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) وأن اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته

انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء

نحو نظرته وانتظرته * واختلف فى الدخان فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان
يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ
ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس
الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من
منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام
ويروى أنه قيل لابن مسعود ان قاصا عند أبواب كندة يقول انه دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأنفاس
الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من علم الرجل أن يقول لشئ لا يعلمه الله أعلم
ثم قال ألا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل
يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه أبو سفيان
ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى
شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل
الجر صفة لدخان و(هذا عذاب) الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون
منصوب على الحال أى قائلين ذلك (انا مؤمنون) موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى)
كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم
وأدخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات
والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا * وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا
لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أى ريثما
نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال
(فان قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
(قلت) اذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم
قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى (انا منتقمون)
أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم (فان قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك * وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش
بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر * وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة
أنه أمهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام أو ابتلاهم
بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى
عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هى أن
المفسرة لان مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشان والحديث أدوا الى (عباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله تعالى أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون
نداء لهم على أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى * وعلل
ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل الاولى فى

بدخان مبين يغشى الناس
هذا عذاب أليم ربنا
اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون أنى لهم
الذكرى وقد جاءهم
رسول مبين ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون انا
كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون يوم نبطش
البطشة الكبرى انا
منتقمون ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم
أن أدوا الى عباد الله
انى لكم رسول أمين
وأن لا تعلوا

وجهها أى لاتستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أولا تستكبروا على نبى الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون * وقرئ عت بالادغام ومعناه أنه عائذ به متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا أسباب الوصلة عنى أو تخلونى كفافا لالى ولا على ولا تتعرضوا الى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى وبوصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين * الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الاعشى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

أى مشيا ساكنا على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضرب به فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم * والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر * والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام * وقرئ فاكهين وفكهين (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الامر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم * اذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا * وقالت الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون * وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك بقوله (انه كان عاليا من المسرفين) أى كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا فى اسرافه أو عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا * الضمير فى (اخترناهم) لبنى اسرائيل و(على علم) فى موضع الحال أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم

على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم

﴿القول في سورة الدخان﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ان هؤلاء ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى (قال فيه فان قلت كان الكلام معهم واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت الخ) قال أحمد وأظهر من ذلك انهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين الاولى منهما الموت والاخرى حياة البعث اثبتوا الحالة الاولى وهى الموت ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شىء بعدها لانهم نزلوا جحدهم على الاثبات فجعلوها أولى على ماذكرت لهم وهذا أولى من حمل الموتة الاولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما ان الاقتصار عليها لا يعتقدونه لانهم يثبتون الموت الذى يعقب حياة الدنيا وحمل الحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة لم يذكر لا على نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى ان الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة فان الموتة فعلة فيها اشعار بالتجدد والطريان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طرأ عليها هذا مع ان فى بقية السورة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وانما عنى بالموتة الاولى هنا الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط ففيه ارشاد لما ذكرته والله أعلم * قوله تعالى ان شجرت الزقوم طعام يقول

على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم

منا بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات فى بعض الاحوال (على العالمين) على عالمى زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم (من الآيات) من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (هؤلاء) اشارة الى كفار قريش (فان قلت) كان الكلام واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (ان هى الا موتتنا الاولى) وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الاولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هى الا حياتنا الدنيا فى المعنى * يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤن * هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذى ملك برا وبحرا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتى تبع لا تشركان بالله شيأ وقيل هو الذى كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (أهم خير) ولا خير فى الفريقين (قلت) معناه أهم خير فى القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع (وما بينهما) وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن * وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل (لا يغنى مولى) أى مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أى مولى كان (شيأ) من اغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للموالى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه * قرئ ان شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروى أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذى يخوفكم به محمد فنزل (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان

الاثيم الآية (قال فيه نقل ان أبا الدرداء أقرأ هارجلا فلم يقم النطق بالاثيم وجعل يقول طعام اليتيم الخ) قال أحمد لادليل فيه لذلك وقول أبي الدرداء محمول على ايضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عونا على أن يأتي (٣٦٣) بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم * قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قال انما استثنيت الموتة الاولى المذوقة

كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب

يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلي) وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و (الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه * يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها * (فان قلت) هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه (قلت) اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا أن صب العذاب طريقه الاستعارة كقوله * صبت عليه صروف الدهر من صبب * وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب * يقال (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ وقرئ أنك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر (ان هذا) العذاب أو ان هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) أي تشكون أو تتمارون وتتلاجون * قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره * قيل السندس مارق من الديباج * والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر (فان قلت) كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي (قلت) اذا عرب خرج من أن يكون عجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (كذلك) الكاف مرفوعة على الامر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم (وزوجناهم) وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة * وقرأ عبيد ابن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت (فان قلت) كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها (قلت) أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها * وقرئ ووقاهم بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أي ذلك فضل (فانما يسرناه بلسانك) فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم

قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها الخ) قال أحمد هذا الذي ذكره مبني على ان الموتة بدل على طريقة بني تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس وأما على طريقة الحجازيين فانتصبت الموتة استثناء منقطعا وسر اللغة التميمية بناء النفي المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمعا في الاثبات فيقولون ما فيها أحد الا حمار على معنى ان كان الحمار من الاحدين ففيها أحد فيعلقون الثبوت على أمر محال حتما بالنفي وعليه حمل الزمخشري قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله أي ان كان الله ممن في السموات والارض ففي السموات

(انهم مرتقبون) ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بـ(تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و (من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (ان في السموات والارض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله * (وفي خلقكم) (فان قلت) علام عطف (وما يبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف اليه (قلت) بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك ان أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد * قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار (فان قلت) العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها باضمار هي * وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فاذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات آيات الله و (نتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث * وقرئ (يؤمنون) بالتاء والياء * الافاك الكذاب * والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الاعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة في كل ما كان مضارا لدين الله (فان قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كمعناه في قول القائل * يرى غمرات الموت ثم يزورها * وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والاقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الايذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها

واستكباره

انهم مرتقبون

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيي به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم

والارض من يعلم الغيب فاذا نفر السامع من ثبوت الاول تعدت النفرة الى ثبوت الثاني فجزمت بالنفي والله أعلم

واستكباره عن الايمان بها (كأن) مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله
كان ظبية تعطو الى ناضر السلم * ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (واذا) بلغه شئ من
آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أى اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشئ من الكلام
أنه من جملة الآيات التى أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم
يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيأ يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به
على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع
الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة * وقرئ علم (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين * والوراء اسم للجهة التى
يواريها الشخص من خلف أو قدام قال

أليس ورائى ان تراخت منيتى * أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أى من قدامهم (ما كسبوا) من الاموال فى رحالهم ومتاجرهم
(ولا ما اتخذوا من دون الله) من الاوثان (هذا) اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات
ربهم لان آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل فى الرجولية
وأيما رجل * والرجز أشد العذاب * وقرئ بجر أليم ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على
اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع البحر (فان قلت) مامعنى منه فى قوله (جميعا
منه) وماموقعها من الاعراب (قلت) هى واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة
من عنده يعنى أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره هى جميعا منه وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما فى السموات وما
فى الارض جميعا منه وأن يكون ما فى الارض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما منة وقرأ
سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو على أنه خبر مبتدا محذوف أى ذلك أو
هو منه * حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون
وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها فى عمر رضى الله عنه
وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا
لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة * (فان قلت) قوله (قوما) ماوجه تنكيره وانما أراد
الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين
لصبرهم واغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص (بما كانوا يكسبون)
من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله
وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذى بعثك بالحق لاترى الغضب فى وجهى وقرئ
ليجزى قوما أى الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة
(والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما
أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم
(بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين * فما وقع بينهم الخلاف فى الدين (الا من بعد ما جاءهم)
ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم * وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد (على شريعة) على

واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات

طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * ولا توالهم انما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان * والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد ألا ترى لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما أعد لهم وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس * أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو أحسن رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بأنواع الالطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) * وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح * وقرئ تتذكرون (نموت ونحيى) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الاصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر * وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر * قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره (فان قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لانهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لانه فى حسبانهم وتقديرهم حجة أو لانه فى أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى أن تكون لهم حجة ألبتة * (فان قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان أنصفوا وأصغوا الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على

ذلك

من الامر فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ان ربك
يقضى بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون
ثم جعلناك على شريعة
من الامر فاتبعها ولا
تتبع أهواء الذين
لا يعلمون انهم لن يغنوا
عنك من الله شيأ وان
الظالمين بعضهم أولياء
بعض والله ولى المتقين
هذا بصائر للناس
وهدى ورحمة لقوم
يوقنون أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا
وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون وخلق الله
السموات والارض
بالحق ولتجزى كل
نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون أفرأيت من
اتخذ الهه هواه وأضله
الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة فمن يهديه
من بعد الله أفلا
تذكرون وقالوا ما هى
الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا
الدهر وما لهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون
واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ما كان حجتهم الا
أن قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين قل الله
يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيامة لا ريب
فيه

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى
كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون

ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان أهون شئ عليه * عامل النصب فى (يوم تقوم) يخسر و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم * وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة (الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فان قلت) كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل (قلت) الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته اياهم فلان أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أى نستكتبهم أعمالكم (فى رحمته) فى جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه * وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها (ما الساعة) أى شئ الساعة (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين * سيئات ما عملوا) أى قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم فى العذاب كما تركتم عدة (لقاء يومكم هذا) وهى الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشئ الذى يطرح نسيا منسيا (فان قلت) ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم (قلت) كمعنى اضافة المكر فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه * وقرئ لا يخرجون بفتح الياء (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب * وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (فى السموات والارض) وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وهى أربع وثمانون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أى من شئ أوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة وأما الاثرة فالمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم

﴿سورة الاحقاف مكية وهى أربع وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما

الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك
فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين

(القول في سورة الأحقاف) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام الخ) قال أحمد وفي قوله الى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك انه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المعنى عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لانهم في القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم انها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وان وافق ما قبلها الا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني حتى كأن الحالتين وان كانتا نوعا واحدا التفاوت ما بينهما كالشئ وضده وذلك ان الحالة الاولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم اياهم فهو من وادي ما تقدم آنفا في سورة الزخرف في قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون * قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه الآية (قال فيه اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا الخ) قال أحمد هذا الاضراب في بابه مثل الغاية التي قدمتها آنفا في بابها فانه انتقال الى موافق لكنه أزيد من الاول فتنزل لزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين كالنفي والاثبات اللذين يضرب عن أحدهما للآخر وذلك ان نسبتهم للآيات الى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها الى أنها سحر فاضرب عن ذلك الاول الى ذكر ما هو أغرب منه * قوله تعالى قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ (قال فان قلت ما معنى اسناد الفعل اليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبيل ان الكلام جرى فرضا وتقديرا ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره فيما

ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم

به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة * واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه أسند اليهم ما يسند الى أولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها * قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات * واللام في (للحق) مثلها في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا أي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر * ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في أم الانكار والتعجيب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته) على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شئ من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيأ ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي (قلت) كان

نصح فان النصح عبارة عن الدعاء الى مافيه نفع ولا ينفع المكلف فى عمل ظاهر أو باطن الا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل الى الاطلاع على ذلك الا من الوحى الحق لا غير فاذا لا يتصور نصح مع الافتراء وانما يتم هذا الذى قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بان العقل طريق يوصل الى معرفة حكم الله تعالى لانه اذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال ان الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله اليكم ولم يكن متعوقا فانه محق فى الامر بالتوحيد لان العقل دل على وجوبه عندهم وان كان ٣٦٩ مفتريا فى دعوى كونه رسولا

فيما أتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عنى أيها المنصوحون ان أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه * البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربى (وما أدرى) لانه لا علم لى بالغيب ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لى ولكم من قضاياه (ان أتبع الا ما يوحى الى) وعن الحسن وما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز وجل (فان قلت) ان يفعل مثبت غير منفى فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم (قلت) أجل ولكن النفى فى ما أدرى لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى الى قوله أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء فى حيز أن وذلك لتناول النفى اياها مع ما فى حيزها * وما فى ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة * وقرئ يوحى أى الله عز وجل * جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين * والشاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله

من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدتها الادلة القاطعة فيحتمل فى آخر الآية على مذهب أهل السنة أن يكون اسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشئ على مقابله بطريق المفهوم فالمعنى اذا ان كنت مفتريا فالعقوبة واقعة

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا

بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (قال أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة

يريد بذلك أن تفصيل ما يصير اليه من خير ويصيرون اليه من شر الى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وانهما جميعا فى صلة موصول واحد ولو قيل ان المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدرى ما يفعل بى ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة الى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء يريد حسان رضى الله عنه أفمن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة

تعالى وانه لفى زبر الاولين ان هذا لفى الصحف الاولى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فان قلت) أخبرنى عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عنى لم نتفق فى أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الايمان فى قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحى وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ماجاء به خيرا ماسبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ماسبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أنى فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان مايدعو اليه محمد حقا ماسبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه (فان قلت) لابد من عامل فى الظرف فى قوله (اذلم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل فى الظرف لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (افك قديم) كقولهم أساطير الاولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه و (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول * وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر (وبشرى) فى

* قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم (قال فيه ان قلت أخبرنى عن نظم هذا الكلام لاقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد انما لم يوجه المعطوف الى جهة واحدة لان التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك فى الآيتين فجدد به عهدا * قوله تعالى واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (قال فيه لابد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد ان لم يكن مانع من عمل فسيقولون فى الظرف الا تنافى دلالتى المضى والاستقبال فهذا غير مانع فان الاستقبال ههنا انما أخرج مخرج الاشعار بدوام ماوقع ومضى لان القوم قد حرموا الهداية وقالوا هذا افك قديم وأساطير الاولين وغير ذلك فمعنى الآية اذا وقالوا اذلم يهتدوا به هذا افك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه فعبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال ابراهيم الا الذى فطرنى فانه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فعبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيهدين وقوله فى الاخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه ولكن محل الفاء المسببة دالة بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملا فيه لينتظم بتقديره عاملا أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته فتعين ماذكره الزمخشرى لاجل الفاء لا لتنافى الدلالتين والله أعلم * قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا (أجاز فى نصبه أن يكون حالا عن كتاب لتخصصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان حسنان أعزهما ثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا والله أعلم

* قوله تعالى وأصلح لى فى ذريتى (قال فيه فان قلت مامعنى فى ههنا وأجاب بان المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى الا المودة فى القربى عدولا عن قوله الا مودة القربى أوالمودة للقربى والله أعلم * قوله تعالى والذى قال لوالديه الى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم ان المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبى بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبى بكر ولكنا لانختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فان له أن يقول أراد عبد الرحمن وابنه ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فخاطبها وخاطب أمتها والمقصودة هى وقد عاد الى خطابها خصوصا بقوله واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ماذكره الزمخشرى ثانيا فقال ان الذين حق عليهم القول هم المخلدون فى النار فى علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل ان معاوية كتب الى مروان يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان أيها الناس ان هذا هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ماهو به ولو شئت أن أسميه سميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله اهـ كلامه (قلت) وفى هذه الآية رد على من زعم ان المفرد الجنسى لايعم لانه لايعامل معاملة الجمع لا فى الصفة ولا فى الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذى الواقع جنسا جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم

محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له * قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر * وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (فان قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى المدة بالامد من قال

كل حى مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الاشد أن يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبى قط الا بعد أربعين سنة * والمراد بالنعمة التى استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه * وقيل فى العمل المرضى هو الصلوات الخمس (فان قلت) مامعنى فى فى قوله (وأصلح لى فى ذريتى) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لى الصلاح فى ذريتى وأوقعه فيهم ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى (من المسلمين) من المخلصين * وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون (فان قلت) مامعنى قوله (فى أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان الى الاسلام فأفف بهما وقال ابعثوا الى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذى قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضى الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ماهو به ولو شئت أن أسميه لسميته

خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون والذى قال لوالديه أف لكما

* قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار امامن قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد ان كان ٣٧٢ قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوبا لان المجئ ثم الى اعتقاد القلب

أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله

ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله * وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوّت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما * وقرئ أتعدانني بنونين وأتعدانى لاحدهما وأتعدانى بالادغام وقد قرأ بعضهم أتعدانَنِى بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن اطرح أحدهما (أن أخرج) ان أبعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لاحقيقة الهلاك (فى أمم) نحو قوله فى أصحاب الجنة * وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما (فان قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات * ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) * وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنه يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لوشئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وعنه لوشئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم مايجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآ أذهبتم بألف بين همزتين * الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان * وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها * الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و(النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم * الافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت) صادقا فى وعدك (فان قلت) من أين طابق قوله تعالى (انما العلم عند الله) جوابا لقولهم فأتنا

ان الحوض جماد لا ادراك له والناقة هى المدركة فهى التى يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بانها حينئذ مدركة ادراك الحيوانات بل ادراك أولى العلم فالامر فى الآية على ظاهره كقولك عرضت الاسرى على الامير والله أعلم

* قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتنبي ليس كما أنشده وانما هو يروى لعمرك ان ما بان منك لضارب *
با قبل مما بان منك لغائب ولا يستقيم الا كذلك لان قبله هو ابن رسول الله وابن صفيه * وشبههما اشبهت بعد التجارب
من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي ولو أتى أبو الطيب عوض ما بان لجاء البيت * يرى ان ما ان بان عنك لضارب *

بما تعدنا (قلت) من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) في الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض * واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله تعالى قل (تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية * وقرئ لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فان قلت) ما فائدة اضافة الرب الى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقويه (ان) نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش

يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار (من شئ) أي

وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ

وهذا التكرار أثقل من تكرار ما بلا مراء وانما فنده الزمخشري والزمه استعمال ان عوض ما لاعتقاده ان البيت كما أنشده

لعمرك ما ما بان منك لضارب * با قبل مما بان منك لغائب ولو عوض ان عوض ما كما أصلحه الزمخشري لزم دخول الباء في خبر ما وانما تدخل الباء في خبر ما الحجازية العاملة وان لا تعمل حملا على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء في خبرها فاعدل المتنبي عن ذلك الا لتعذره عليه من كل وجه على انى لا أبرئ المتنبي من التعزل فانه كان مغرى به مغرما بالغريب من النظم ونقل الزمخشري في الآية وجها آخر وهو جعلها صلة مثلها في قوله يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب (قال ويكون معناه على هذا مكناهم في مثل ما مكناكم الخ) قلت واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو

أشد منهم قوة وقوله مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم * قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول محذوف الخ) قال أحمد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الاعراب ونحن نبينه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى الى انهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لان السيد اذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدا دونى فانما معناه اللوم على نسبة السيادة الى غيره وليس هذا المقصد فان الله تعالى يتقرب اليه ولا يتقرب به لغيره فانما وقع التوبيخ على نسبة الالهية الى غير الله تعالى فكان حق الكلام ان يكون آلهة هو المفعول الثانى لا غير * قوله تعالى يا قومنا أجيبوا داعى الله

اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

من شئ من الاغناء وهو القليل منه (فان قلت) بم انتصب (اذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى (فان قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا أن اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون) * القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أى غابوا عن نصرتهم (وذلك) اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء * وقرئ أفكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أى وذلك الاتخاذ الذى هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الافك (صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أى فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أى أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فان قلت) كيف قالوا (من بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى (فان قلت) لم بعض فى قوله (من ذنوبكم) (قلت) لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله

وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية (قال انما بعض المغفرة لان من الذنوب مالا يغفره الايمان كذنوب المظالم اه كلامه قال أحمد ليس ما أطلقه من ان الايمان لا يغفر المظالم بصحيح لان الحربى لو نهب الاموال المصونة وسفك الدماء المحقونة ثم حسن اسلامه جب الاسلام عنه اثم ما تقدم بلا اشكال ويقال انه ما وعد المغفرة للكافر على تقدير الايمان فى كتاب الله تعالى الا مبعضة وهذا منه فان لم يكن لاطراده بذلك سر فما هو الا ان مقام الكافر قبض لا بسط فلذلك لم يبسط رجاءه فى مغفرة جملة الذنوب وقد ورد فى حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

عز

﴿القول فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (قال معناه جعلها كالضالة من الابل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثانى حسن متمكن ملى بمقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما ان الكفار ضلت أعمالهم الصالحة فى جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصى حتى صار صالحهم مستهلكا

عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فان قلت) هل للجن ثواب كالانس (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) واليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم فى حكم بنى آدم لانهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز فى الارض) أى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر * ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الاول (أليس هذا بالحق) محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولى العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه * ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية﴾
﴿وهى سورة القتال وهى تسع وثلاثون آية وقيل ثمان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وصدوا) وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التى هى بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتنى بأمرها أو جعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله

ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

﴿سورة القتال مدنية وهى تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم

فى غمار سيئهم ومقابله فى المؤمنين ستر الله لاعمالهم السيئة فى كنف أعمالهم الصالحة من الايمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفرا ممحقا فى جنب صالح أعمالهم والى هذا التمثيل الحسن فى عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يضرب الله للناس أمثالهم والله أعلم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام * وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره * وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدا محذوف أى الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول و (الباطل) ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم (فان قلت) أين ضرب الامثال (قلت) فى أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو فى ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (لقيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك أن قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا فى قوله بما كسبت أيديكم على أن فى هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صوره وهو حز العنق واطارة العضو الذى هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد فى هذه الغلظة فى قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به * منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم (فان قلت) كيف حكم اسارى المشركين (قلت) أما عند أبى حنيفة وأصحابه فأحد أمرين اما قتلهم واما استرقاقهم أيهما رأى الامام ويقولون فى المن والفداء المذكورين فى الآية نزل ذلك فى يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وانما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى باسارهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعى فيقول للامام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبى عروة الحجبى وعلى ابن أثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأى وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء * أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فان قلت)

حتى

حتى يم تعلقت (قلت) لا تخلوا اما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب * وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا * وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والارف الحدود (ان تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسا لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا (فان قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم * دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لان التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون (فان قلت) قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الانعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام وقرئ وكائن بوزن كاعن * وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم * ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك (فان قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وانما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا)

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم

* قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي الخ) قال أحمد لم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها لا يعورها الا التنبيه على ان في الكلام محذوفا لا بد من تقديره لانه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين (٣٧٨) في النار الا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه * ومن هذا النمط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فانه لا بد من تقدير محذوف مع الاول أو الثاني ليتعادل القسمان وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسينة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادي تنظير الشيء بنفسه باعتبار حالتين احداهما أوضح في البيان من الاخرى فان المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الاعمال أولا وأوضح ذلك بانكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة

للحمل على لفظ من ومعناه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد في النار (قلت) هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار (فان قلت) فلم عرى من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار * وقرئ اسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي أسن * كالمسك فت على ماء العناقيد (من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة أي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم * هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين (ان تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك (فان قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل

قوله (فقدجاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان أكرمنى زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والاشراط العلامات قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبى كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر أختها وهى مروية عن أبى عمرو وما أخوفنى أن تكون غلطة من الراوى على أبى عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم * لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت أن الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون فى منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد * كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) فى معنى الجهاد (فاذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا فى أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفى قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين فى قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتى الاقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هى حكاية قولهم أى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف (فاذا عزم الامر) أى جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا فى ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى التوكيد (فان قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الافساد (فان قلت) فكيف يصح هذا فى كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفى قراءة على بن أبى طالب

Kitab al-Aghani XI
117

فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم أسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين

رضى الله عنه توليتم أى ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بافسادهم * وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا أنزلت سورة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا فى القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فان قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت الاقفال اليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك أو يراد على بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح وقرئ أقفالها على المصدر (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى وقرئ وأملى لهم يعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى انما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فان قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل هم المنافقون * الذين قالوا القائلون اليهود * والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم * وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (فى بعض الامر) فى بعض ما تأمرون به أو فى بعض الامر الذى يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم * فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ * وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه لقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (ما أسخط الله) من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضوانه) الايمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيماهم) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق * (فان قلت) اى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الاولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا * واللحن يعرفه ذووا الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح * وقرأ يعقوب ونبلو

* قوله تعالى الشيطان سول لهم (قال فيه هو مشتق من السؤال وهو الاسترخاء أى سهل لهم ركوب العظائم قال وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لان السؤال مهموز وسول معتل

بسكون

قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم (قال فيه معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر ما دون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما نعم يقولون ان الحسنات يذهبن السيآت كما وعد به الكريم جل وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لانهم يقطعون بخلود الفاسق فى النار وسلب سمة الايمان عنه ومتى خلد فى النار لم تنفع طاعاته ولا ايمانه فعلى هذا بنى الزمخشرى كلامه وجلب الآثار التى فى بعضها موافقة فى الظاهر لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لان القاعدة المتقدمة ثابتة قطعا بادلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر فى الحل والعقد عن مخالفتها فهما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده اليها بوجه من التأويل فان كان نصا لا يقبل التأويل فالطريق فى ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الاثر المذكور عن ابن عمر وهو أولى بأن يدل ظاهره لاهل السنة فتأمله وأما محل الآية عند أهل الحق فعلى النهى عن الاخلال بشرط من شروط العمل وركن يقتضى بطلانه من أصله لا أنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول

كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل

بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم * وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم) أى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (و) لا (تدعوا الى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الاعلون) أى الاغلبون الاقهرون (والله معكم) أى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة * وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى أو منصوب لاضمار أن ونحو قوله تعالى وأنتم الاعلون قوله تعالى انك أنت الاعلى (ولن يتركم) من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى أفرد عنهما قتلا ونهبا (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أى ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال (ان يسئلكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير فى يخرج لله عز وجل أى يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لانه سبب الاضطغان * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) قيل هى النفقة فى الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه

لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون الى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله (فانما يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه * ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغنى الذى تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (فان قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضى الله عنه رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم فى الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصرا عزيزا) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور اسناد مجازيا أو عزيزا صاحبه (السكينة) السكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن

ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

(سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية (قال فيه جاء الاخبار بالفتح على لفظ الماضى وان لم يقع بعد لان المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة فى اخباره لانها لما كانت محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم الى الغيبة * عاد كلامه (قال) فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بان ذلك علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل * قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهادا وعبادة سببا للغفران بعد

لـيزدادوا ايمانا مـع
ايمانهـم ولله جنـود
السمـوات والارض
وكان الله عليما حكيما
لـيدخـل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين
فيها ويكفر عنهم سيآتهم
وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما و يعـذب
المنافقـين والمنافقات
والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء
عليهـم دائرة السوء
وغضب الله عليهـم
ولعنهم وأعد لهم جهنم
وساءت مصيرا ولله
جنـود السموات
والارض وكان عزيزا
حكيما انا أرسـلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعـزروه وتوقـروه
وتسبحوه بكرة وأصيلا
ان الذين يبايعـونك
انما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث
فانما ينكث على نفسه
ومن أوفى بما عاهـد
عليه الله فسيؤتيه أجرا
عظيما سـيقول لك
المخلفون من الاعراب
شغلتنا أموالنا وأهلونا
فاسـتغفر لنا يقولون
بألسنتهم ماليس فى
قلوبهم قل

بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السـلام
من الشرائع (ليزدادوا ايمانا) بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهـم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى
ايمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبيه ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى
ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك وكرهوه * وقع السوء عبارة عن رداءة الشئ وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل
فى المرضى الصالح من الافعال فعل صدق وفى المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن
الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أى
ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح
أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها فهى عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فان قلت) هل من
فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب فى أن
يضاف اليـه ما يراد ذمه من كل شئ وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير يقال أراد به
السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن
لا تضاف اليه الا على التأويل الذى ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلان الذى أصابهم مكروه وشدة فصح أن
يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس (ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه
(ويسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله
عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد * وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولامته * وقرئ وتعزروه بضم الزاى وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه
بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر
وصلاة الظهر والعصر * لما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق
أيديهم) يريد أن يد رسول الله التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات
الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من
يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال
جابر بن عبد الله رضى الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا
البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم * وقرئ انما يبايعون لله أى
لاجل الله ولوجهه * وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها * وبما عاهد وعهد (فسنؤتيه) بالنون والياء
* يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم * هم
الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل
البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه
وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه فى عقر
داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم
وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم * وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم)
تكذيب لهم فى اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق * وطلبهم

* قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم (قال فيه لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد اسقاط لفظ التخييل وابداله بالتمثيل وقد تقدمت أمثاله

* قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا (قال أى قتلا وهزيمة أو أراد بكم نفعا أى ظفرا وغنيمة انتهى كلامه) قال أحمد لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللف وكان الاصل والله أعلم فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا ومن يحرمكم النفع ان أراد بكم نفعا لان مثل هذا النظم يستعمل فى الضر وكذلك ورد فى الكتاب العزيز مطردا كقوله فمن يملك من الله شيأ ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض الحديث انى لا أملك لكم شيأ يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة ان الملك مضاف فى هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للمدفوع عنه وليس كذلك حرمان المنفعة فانه ضرر عائد عليه لا له فاذا ظهر ذلك فانما انتظمت الآية على هذا الوجه لان القسمين يشتركان فى ان كل واحد منهما نفى لدفع المقدر من خير وشر فلما تقاربا أدرجهما فى عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضر لانه هو المتوقع لهؤلاء اذ الآية فى سياق التهديد أو الوعيد الشديد وهى نظير قوله قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة فان العصمة انما تكون من السوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان برامان فى التقرير (٣٨٤)

فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم

للاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعا) من ظفر وغنيمة * وقرئ ضرا بالفتح والضم * الاهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كارض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال * وقرئ الى أهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل كلاهما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم * والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر * ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم * فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيما) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغير واموعد الله لاهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا (تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها (لا يفقهون) لا يفهمون الا فهما (قليلا) وهو فطنتهم لامور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (فان قلت) ما الفرق بين حرفى الاضراب (قلت) الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف عند أبى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعى لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب وهذا دليل

على

الذى ذكرته والله أعلم * قوله تعالى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال فيه يغفر ويعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثالها والقول بان موجب الحكمة ما ذكر تحكم هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتى على ما يعتقده فلا تبقى ولا تذر فكم من دليل على ان المغفرة لا تقف على التوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأى الفاسد فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق * قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا (قال المراد بكلام الله وعده أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحمد فالاضراب الاول اذا هو المعروف والثانى هو المستغرب المستعذب الذى ليس فيه مباينة بين الاول والثانى بل زيادة بينة ومبالغة متمكنة وانما كان المنسوب اليهم ثانيا أشد من المنسوب اليهم أولا لان الاول نسبة الى جهل فى شئ مخصوص وهو نسبتهم الحسد الى المؤمنين والثانى يعتبر بجهل على الاطلاق وقلة فهم على الاسترسال

على امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا
معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم
اعطاء الجزية (فان قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
(قلت) ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معى أبدا مادمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى
الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى
المغنم (كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية * أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد
الامرين اما المقاتلة أو الاسلام لا ثالث لهما وفى قراءة أبى أو يسلموا بمعنى الى أن يسلموا * نفى الحرج عن هؤلاء
من ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو * وقرئ ندخله ونعذبه بالنون * هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية
وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة
فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضى الله عنه ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من
عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه
فخبرهم أنه لم يأت بحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم
قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة
وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى
أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدى غصن من
الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا
وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل
السكينة) أى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر
غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها)
هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم أتاه عثمان
بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق (وعدكم الله مغانم كثيرة) وهى ما يفىء على المؤمنين
الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر
وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة
بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم
والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبياء صلوات الله عليهم وحى
فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم
بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا
عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى
قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها
تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة
بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدا والجر باضمار رب (فان قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف
موقعه (قلت) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى
وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا
لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل

أو يسلمون فان تطيعوا
يؤتكم الله أجرا حسنا
وان تتولوا كما توليتم
من قبل يعذبكم عذابا
أليما ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض
حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار
ومن يتول يعذبه عذابا
أليما لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما فى
قلوبهم فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحا
قريبا ومغانم كثيرة
يأخذونها وكان الله
عزيزا حكيما وعدكم
الله مغانم كثيرة
تأخذونها فعجل لكم
هذه وكف أيدى
الناس عنكم ولتكون
آية للمؤمنين ويهديكم
صراطا مستقيما وأخرى
لم تقدروا عليها قد أحاط
الله بها وكان الله على
كل شئ قديرا ولو قاتلكم
الذين كفروا لولوا
الادبار ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا

* قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوفا الخ) قال أحمد وانما كان مرجعهما ههنا واحدا وان كانت لولا تدل على امتناع لوجود ولو تدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناف ظاهر لان لولا ههنا دخلت على وجود ولو دخلت على قوله تزيلوا وهو راجع الى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فآلا الى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدى رحمه الله يختاره هذا الوجه الثانى ويسميه تطرية وأكثر ما تكون اذا تطاول الكلام وبعد عهد أوله واحتيج الى رد الآخر على الاول فمرة يطرى بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدى مؤداه وقد تقدمت لهما أمثال والله أعلم وهو الموفق والسلام

سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم

مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلى (أيديهم) أيدى أهل مكة أى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت * وقرئ تعملون بالتاء والياء * قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم أى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل لابى حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فان قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم (فان قلت) فاذن قد نحر فى الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا و(أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم * والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه و(بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعنى أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطأ المقيد نابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفى الاماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فان قلت) أى معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير (فان قلت) قوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (اذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أى لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام فى ذلك الوقت وأن ينتصب باضمار اذكر * والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة

والسلام اكتب مايريدون فانا اشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و(كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى * وفى مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذى دفن مصحفه أيام الحجاج رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ماحلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله ورسوله الرؤيا) صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ماعاهدوا الله عليه (فان قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) اما بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أى صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الاحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه و(لتدخلن) جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (فان قلت) ماوجه دخول (ان شاء الله) فى اخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله أو هى حكاية ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفى هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم مايستقلون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على ان ماوعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) اما خبر مبتدا أى هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيأ من جسده وقد رخص أبو يوسف فى المعانقة ومن حق المسلمين فى كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى

كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم

(من أثر السجود) يفسرها أى من التأثير الذى يؤثره السجود وكان كل من العليين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس أبى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدث فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه (فان قلت) فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الارؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرئ الانجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) من المؤازرة وهى المعاونة وعن الاخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أى فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو فى معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (فان قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفى قوله تعالى (لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما يقدم والثانى أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذى يحيى ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا الا أن الاول أملأ بالحسن وأوجه وأشد

فاسق بنبأ (ذكر فيه من النكت انه تعالى ابتدأ السورة بايجاب أن يكون الامر الذى ينتهى الى الله ورسوله متقدما على الامور كلها من غير تقييد ولا تخصيص) قال أحمد يريد انه لم يذكر المفعول

من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشر آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله

الذى يتقاضاه تقدموا باطراح ذلك المفعول كقوله يحيى ويميت وحلى الكلام بمجاز التمثيل فى قوله بين يدى الله ورسوله بفائدة ليست فى الكلام العريان وهو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة وجعل صورة ذلك المنهى عنه مثل أن يجلس العبد فى الجهتين المسامتتين ليمين سيده ويساره ويليه دبره ومعناه ان لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه

ملاءمة

ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا الى أمر من أمور الدين
قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما * وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين
يمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى
الشئ باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو
الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى
أن لا تقطعوا أمرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيأ حتى يقصه على
لسان رسوله ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك
المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لان من أحظاه الله بهذه
الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه
الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين
رجلا وعليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا
رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونزلت أي لا تعملوا شيأ من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
مسروق دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد
نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله الا أن تزول الشمس
وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو
المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هي
عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه أنه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه
بالجواب وأن لا يمشى بين يديه الا لحاجة وأن يستأني في الافتتاح بالطعام (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه
عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه
أمرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل
لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك
لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون
وحق مثله أن يتقى ويراقب * اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد
وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك
لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه
عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أنه اذا
نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه
عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم
كشية الابلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم * وبقوله ولا تجهروا له بالقول

واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

* قال وقوله واتقوا الله على أثر ذلك بمنزلة قولك للقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق العار بك فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل أمرك فيه لم يرتكب تلك الفاعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها * وقوله ان الله سميع عليم أي فحقيق أن يتقي ويراقب وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي جدد النداء عليهم استدعاء لتجديد الاستبصار والتيقظ والتنبيه عند كل خطاب وارد وتطرية للانصات منهم لكل حكم نازل * وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أي اذا نطق ونطقتم فلتكن أصواتكم قاصرة عن الحد الذي يبلغه صوته ليكون عاليا

على كلامكم وجهره باهر لجهركم لأن تغمر واصواتكم بلغطكم وتبهر وامنطقه بجنيكم * وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أي اذا كان صامتا فابتدأتموه (٣٩٠) بالخطاب فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع أصواتكم بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم * قال ولا يتناول النهي الرفع الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان بينهم في حرب أو مجادلة معاند له أو ارهاب عدو ونحوه ففي الحديث أنه قال للعباس وكان أجهر الناس صوتا لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس ويروى من جهارة صوت العباس أنه

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك

صاح في غارة ياصباحاه فاسقطت الحوامل وفيه يقول نابغة بني جعد زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم وزعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه * قوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قال) فيه انه مفعول له ومتعلقه اما معنى النهي كأنه قال انتهوا كراهية

أنكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عزاسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزيز والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو وما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس ياصباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذوّ بها حذو التشديدة في قول الاعلم الهذلي

رفعت عيني بالحجا * زالى أناس بالمناقب

وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا وافلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه الا بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط

حبوط أعمالكم على حذف مضاف كقوله يبين الله لكم أن تضلوا وأما نفس الفعل فهو المنهي عنه على معنى أعمالكم

تنزيل صيرورة الجهر المنهي عنه الى الحبوط منزلة جعل الحبوط علة في الجهر على التمثيل من وادي ليكون لهم عدوا وحزنا قال والتخيص الفرق بينهما انه على الثاني يقدر انضمام المفعول من أجله الى الفعل الاول الخ) قال أحمد هو يحوم على شرعته وبه اياك ورودها

وذلك انه يعتقد أن ما دون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود فى العذاب المقيم وتخرج المؤمن من اسم الايمان ورسمه ومعاذ الله من هذا المعتقد فعليك بعقيدة أهل السنة الممهدة فى مواضع من هذا المجموع تجدد العهد بها وهى اعتقاد ان المؤمن لا يخلد فى النار وان الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه ما دون الشرك أو ما يؤدى كزبد البحر وانه لا يحبط حسنة سيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك والزمخشرى اغتنم الفرصة فى ظاهر هذه الآية فنزلها على معتقده ووجه ظهورها فيما يدعيه أن رفع الصوت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لا تبلغ الشرك وقد أخاف الله عباده من احباطه الاعمال بها ولو كان الاحباط مقطوعا بنفيه لم تستقم الاخافة به وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله وتطم الكلام يأباه عند البصير بمعناه (٣٩١) فنقول المراد فى الآية النهى عن رفع الصوت على الاطلاق ومعلوم أن حكم النهى الحذر مما يتوقع فى ذلك من ايذاء النبى عليه السلام والقاعدة المختارة ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق فورد النهى عما هو مظنة لاذى النبى

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

عليه الصلاة والسلام سواء وجد هذا المعنى أولا حماية للذريعة وحسما للمادة ثم لما كان هذا المنهى عنه وهو رفع الصوت منقسما الى ما يبلغ ذلك المبلغ أولا ولا دليل يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الايذاء اذ لا دليل ظاهر يميزه وان كان فلا يتفق تمييزه فى كثير من الاحيان والى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الاشارة بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون والا فلو كان الامر على ما يعتقده الزمخشرى لم يكن لقوله وأنتم لا تشعرون موقع اذ الامر بين أن يكون رفع الصوت مؤذيا فيكون كفرا محبطا قطعا وبين أن يكون غير مؤذ فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعا فعلى كلا حاليه الاحباط به محقق اذا فلا موقع لادغام الكلام بعدم الشعور مع ان الشعور ثابت مطلقا والله أعلم وهذا التقرير الذى ذكرته يدور على مقدمتين كلتاهما صحيحة احداهما ان رفع الصوت من جنس ما يحصل به الايذاء وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الآن حتى ان الشيخ ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه فكيف برتبة النبوة وما يستحقه من الاجلال والاعظام المقدمة الاخرى ان ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم كفر وهذا أمر ثابت قد نص عليه أئمتنا وأفتوا بقتل من تعرض لذلك كفرا ولا تقبل توبته فما أتاه أعظم عند الله وأكبر والله الموفق

أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثانى أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كأنه فعل لاجله وكأنه العلة والسبب فى ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فان قلت) لخص الفرق بين الوجهين (قلت) تلخيصه أن يقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كأنهما شئ واحد ثم يصب النهى عليهما جميعا صبا وفى الاول يقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه (فان قلت) بأى النهيين تعلق المفعول له (قلت) بالثانى عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتونى أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فرجع المعنى الى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان فى قوله تعالى فيحل عليكم غضبى والحبوط من حبطت الابل اذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الابل اذا أكلت العرفج فاصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامیه الى الفساد جعل العمل السئ فى اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثانى أن فى آثامه ما لا يدرى أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون فى تقواه كالماشى فى طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشئ باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هى التى فى قولك أنت لهذا الامر أى كائن له ومختص به قال

* أنت لها أحمد من بين البشر * أعداء من لليعملات على الوجى * وهى مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى أى لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شئ جهدته فقد محنته وأنشد

أتت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت آطالها

قيل أنزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسم الان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة فى الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفى الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان (فان قلت) أفرق بين الكلامين بين ما ثبتت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادى فى أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفى الثانى لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذى يقول نادانى فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أى قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم فى ادبار الحجرات أو فى وجوهها وانما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة * والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهى فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم أن الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفى أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم وروى أن وفد بنى تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم فورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب أن تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر ماهو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جئ على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار بأخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية مالا

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

---

* قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (قال فيه الوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام الخ) قال أحمد ولقد اغتر بعضهم فى تبكيت بنى تميم بما لا تساعده عليه الآية فانها نزلت فى المتولين لمناداة النبى عليه الصلاة والسلام أو فى الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بنى تميم وعلى الجملة ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يسوغ اطلاق اللسان بالسوء فى حق أمة عظيمة لان واحدا منهم أو اثنين ارتكب جهالة وجفاء فقد ورد ان المنادى له عليه السلام هو الاقرع هذا مع توارد الاحاديث فى فضائل تميم وتخليدها وجوه الكتب الصحاح

* عاد كلامه (قال وتأمل نظم الآية ومجيئها على النمط المسجل على الصائحين الخ)

يخفى

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (قال فيه نكر فاسقا ونبأ لقصد الشياع فكأنه قيل أي فاسق جاء بأي نبأ) قال أحمد تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول لان النكرة اذا وقعت في سياق الشرط تعم كما اذا وقعت في سياق النفي والله أعلم * عاد كلامه قال وعدل عن اذا الى أن لان مجيء الفاسق (٣٩٣) بالكذب لرسول الله ولاصحابه مما يندر الخ * قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان الآية (قال فيه الجملة المصدرة بلولا تكون مستأنفة لادائه الى تنافر النظم الخ) قال أحمد من جملة هنات المعتزلة ثلبهم على عثمان

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر

يخفى أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه (أنهم صبروا) في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر (فان قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) والى أن تخرج (قلت) ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء اليه (فان قلت) فأي فائدة في قوله (اليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان خيرا لهم) في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع * وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء اذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور (أن تصيبوا) مفعول له أي كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة * والاصباح بمعنى الصيرورة * والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته أدمن الامر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه * الجملة المصدرة بلولا تكون كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم

رضي الله عنه ووقوفهم عن الحكم بتعنيف قتلته فضم الى هذا المعتقد غير معرج عليه ما أورده الزمخشري في هذا الموضع من حكايات تولية عثمان لاخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضا من سعد بن أبي وقاص أحد الصحابة وما عرض

به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات فنهاهم البتة النبي صلى الله عليه وسلم باتباع آرائهم التي من جملتها تصديق الوليد في الايقاع ببني المصطلق فاذا ضممت هذه النبذة التي ذكرها ارسالا الى ما علمت من معتقده تبين لك من حاله أعني الزمخشري ما لا أطيق التصريح به لانه لم يصرح وانما سلكنا معه سبيل الانصاف ومحجة الانتصاف نصا بنص وتلويحا بتلويح فنسأل الله العظيم بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين أن يرضى عن أصحابه أجمعين وعنا بهم آمين

* عاد كلامه (قال ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق الخ) قال أحمد تلجلج والحق أبلج وزاغ والسبيل منهج وقاس الخلق بالواحد الحق وجعل أفعالهم لهم من ايمان وكفر وخير وشر اغترارا بخيال اعتقد اطراده فى الشاهد وهو أن الانسان لا يمدح بفعل غيره وقاس الغائب على الشاهد تحكما وتغلغل باتباع هوى مهما يجره ذلك بل جرأه على تأويل الآية وابطال ماذكرته من نسبة تحبيب الايمان الى الله تعالى على (٢٩٤) حقيقته وجعله مجازا لانه يعتقد أنها لو بقيت على ظاهرها لكان خالق الايمان مضافا الى الله تعالى والعبد اذا ممدوح بما ليس من فعله وهذا عنده محال فاتبع الآية رأيه الفاسد فاذا عرضت عليه الادلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق الا الله خالق كل شئ وطولب بابقاء الآية على ظاهرها المؤيد بالعقل والنقل فانه يتمسك فى تأويلها بالحبال المذكورة فى التحكم بقياس الغائب على الشاهد مما له ادلاء الى تعويج كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالذى نعتقده ثبتنا الله على الحق ان الله تعالى منح ومدح وأعطى وامتن فلا موجود الا الله وصفاته وأفعاله غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلا لبعض فسمى المحل فاعلا والحال فعلا فهذا هو التوحيد الذى لا محيص عنه للمؤمن ولا محيد ولا بد أن أطارحه و (فضلا) القول فأقول أخبرنى من ثناء الله على أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤه لهم لاختياره اياهم هل بمكتسب أم بغير مكتسب فلا يسعه أن يقول الا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه بل بما وهبه اياهم فاتهبوه وان عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنهم أثنى عليهم بمكتسب لهم من رسالة أو نبوة فقد خرج عن أهل الملة وانحرف عن أهل القبلة وهذه النبذة كفاية ان شاء الله تعالى

لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون

ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهى أنكم تحاولون منه أن يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أى لوقعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى الى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ما قلته (فان قلت) ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها (قلت) القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه (فان قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على أنه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (فان قلت) كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (قلت) هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى أن يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فان قلت) فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود (قلت) الذى سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة الثقات وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول * (والكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود (والفسوق) الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضى لما أمر به الشارع والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت * والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد

وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد

* قوله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة (أعرب فضلا في الآية مفعولا من أجله منتصبا عن قوله الراشدون الخ) قال أحمد أورد الاشكال بعد تقرير ان الرشد ليس من فعل الله تعالى وانما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده ونحن بنيناه على ما بيناه ان الرشد من أفعال الله ومخلوقاته فقد وجد شرط انتصاب المفعول له وهو اتحاد فاعل الفعلين على ان الاشكال وارد نصا على تقريرنا على غير الحد الذى أورده عليه الزمخشري بل من جهة ان الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم ومما يعهدونه ان الفاعل من نسب اليه الفعل وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازا حتى يكون زيد فاعلا وانقض الحائط واشباهه كذلك وقد نسب الرشد اليهم على طريقة انهم الفاعلون وان كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد واذا تقرر وروده على هذا الوجه قلت في الجواب عنه طريقان اما جواب الزمخشري واما أمكن منه وأبين وهو ان الرشد هنا يستلزم كونه راشدا اذ هو مطاوعه لان الله تعالى أرشدهم فرشدوا وحينئذ يتحد الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فان الاشكال بعينه وارد فيها اذ الخوف والطمع فعلهم أي منسوب اليهم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون والفعل الاول لله تعالى لانه مريهم ذلك والجواب عنه أنهم مفعولون في معنى الفاعلين بواسطة استلزام المطاوعة لانه اذا أراهم فقد رأوا وقد سلف هذا الجواب مكانه فصحت الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلا وعكسه آية الحجرات اذ تصحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولا وهذا من دقائق العربية فتأمله والله الموفق * قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قال فيه لم قال اقتتلوا عدولا الخ) قال أحمد قد تقدم في مواضع انكار النحاة الحمل على لفظ من بعد الحمل على معناها وفي هذه الآية حمل على المعنى بقوله اقتتلوا ثم على اللفظ بقوله بينهما فلا يعتقد ان المقول في من مطرد في هذا لان المانع لزوم الاجمال والابهام بعد التفسير وههنا لا يلزم ذلك اذ لا ابهام في الطائفة بل لفظها مفرد أبدا ومعناها جمع ابدا وكانت كذلك لاختلاف أحوالها من حيث المعنى مرة جمعا ومرة مفردا فتأمله والله الموفق

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت

و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فان قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن يتحد الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التى هى أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضى الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا * والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح * والفيء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فان قلت) ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى أمر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شئ ما وجدته من أمر هذه الآية ان لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل قاله بعد أن اعتزل فاذا كافت وقبضت عن الحرب أيديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع

الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما أن تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب
أن تقاتل فئة البغي الى أن تكف وتتوب فان فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك
تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات
منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بأن الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل
التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل
في قوله تعالى (فاصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره
وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون
ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط (فان قلت) فلم قرن بالاصلاح
الثاني العدل دون الاول (قلت) لان المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتي شبهة
وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة
الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك
اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على
طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن
التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته
الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور * هذا تقرير
لما ألزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من
السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها
ثم قد جرت عادة الناس على أنه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه
وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى أن يصادف ما وهي من الوفاق من
يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه
ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل (فان قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع
(قلت) لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر ألزم لان الفساد
في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج * وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات
الاجنبية وأبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع
من ذلك ان وقع واحسموه (واتقوا الله) فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة
الى اماطة ما يفرط منه * وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا
به رجاءكم * القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه
الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور
في جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما
واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير * أقوم آل حصن أم نساء * وأما قولهم في قوم
فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر
الاناث لانهن توابع لرجالهن * وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض وأن تقصد افادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل
ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية
واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي

فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

* قوله تعالى يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية (قال فيه لم يقل لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات الخ) قال أحمد ولو عرف فقال لا يسخر المؤمنون بعضهم من بعض لكانت كل جماعة منهم منهية ضرورة شمول النهي ولكن أورد الزمخشري هذا وانما أراد أن في التنكير فائدة ان كل جماعة منهية على التفصيل في الجماعات والتعرض بالنهي لكل جماعة على الخصوص ومع التعريف تحصيل النهي لكن لا على التفصيل بل على الشمول والنهي على التفصيل أبلغ وأوقع * عاد كلامه (قال وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة للاشعار الخ) قال أحمد وهو في غاية الحسن لا مزيد عليه

ماعليه من النهى والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه فى تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدى ذلك وان أوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذى صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان أحول كلبا * وفى قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التى لا خبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ * واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن رضى الله عنه فى ذكر الحجاج أخرج الى بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة فى سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فانه أتانا أخيفش أعيمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقى ولا من الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالالقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضى الله عنه أشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة فى الامم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير * روى عن الضحاك أن قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبى ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وان عمى موسى وان زوجى محمد وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لى حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها

عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

(قال وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم جواب للمستخبر عن علة النهى الخ) قال أحمد وهو من الطراز الاول

أبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى الى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفى قوله (بعد الايمان) ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثانى أنه كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ثم يقال فى مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) (فان قلت) بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن فى الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا فى تظننه والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة فى الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له * والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذى النوى بى فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها باحباطه * وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق فى خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ أخذنا به * غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهى ذكر السوء فى الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم) تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم

---

* قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (قال فيه الاسم ههنا الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم كأنه قال بئس الذكر المرتفع للمؤمنين الخ) قال أحمد أقرب الوجوه الثلاثة ملاءمة لقاعدة أهل السنة وأولاها هو أولها ولكن بعد صرف الذم الى نفس الفسق وهو مستقيم لان الاسم هو المسمى ولكن الزمخشرى لم يستطع ذلك انحرافا الى قاعدة بصرف الذم الى ارتفاع ذكر الفسق من المؤمن تحوما على ان الاسم التسمية ولا شك ان صرف الذم الى نفس الفسق أولى وأما الوجه الثانى فادخله ليتم حمل الاسم على التسمية صريحا وأما الثالث فليتم به أن الفاسق غير مؤمن وكلا القاعدتين مخالف للسنة فاحذرهما وبالله التوفيق ولقد كشف الله لى عن

مدودة أن تأكل منها كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي * وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا * ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أى ان صح هذا فكرهتموه وهى الفاء الفصيحة أى فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن فى أعراض المسلمين * وقرئ فكرهتموه أى جبلتم على كراهته (فان قلت) هلا عدى بالى كما عدى فى قوله وكره اليكم الكفر وأيهما القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشئ فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشئ فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشئ فهو حبيب اليه * والمبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة أو لانه بليغ فى قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (من ذكر وانثى) من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب * والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها * وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا أى لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التى من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هى أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب * ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط لا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو لما به فجاءه وهو فى ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت * الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (قل لم

أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا قل لم

مقاصده حتى ما تنقلب له كلمة مصيرة الى فئة البدعة الا اذا أدركها الحق فكلمها والله الحمد

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذى يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعى فى هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم فى قوله فى صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التى هى لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه فى معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به (فان قلت) قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا وما فى لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الالت وهى لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه فى المعنى فلا تظلم نفس شيأ * ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضى الله عنه أن نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذرارى يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت * ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فان قلت) ما معنى ثم ههنا وهى للتراخى وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التى حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف فى قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثانى أن الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التى يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أوهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات * يقال ما علمت بقدومك أى ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تجهيل لهم * يقال من عليه يدا أسداها اليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التى لا يستثيب

قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا (قال فيه وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولا الخ) قال أحمد ونظير هذا النظم ومراعاة هذه اللطيفة (٤٠٠) قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ولما كان مؤدى هذا تكذيب الله تعالى لهم فى شهادتهم برسالة النبى صلى الله عليه وسلم قدم على ذلك مقدمة تلخص المقصود وتخلصه من حوادث الوهم ونوائبه فقال بين الكلامين والله يعلم انك لرسوله ثم قال بعد ذلك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فتلخص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم بالحق لان ذلك حقيقة الشهادة لا أنهم كذبوا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول من الله وكان المخلص من ذلك قوله جل وعلا والله يعلم انك لرسوله

مسديها

مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذى هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لاغير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانما ماوسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذى حق تسميته أن يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا على اسلامكم أى حدثكم المسمى اسلاما عندى لا ايمانا * ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفى اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف مالا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم * وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اذ هداكم * وقرئ تعلمون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه عز وجل يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته * قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء * ثم عول على أحد الانكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان فى قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد (فان قلت) فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى (ما تنقص الارض منهم) ما يموت فيدفن فى الارض منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا) اضراب أتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم

﴿القول فى سورة ق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد (وقع فى النسخة ما أحكيه وصورته فان قلت لم نكر الخلق الجديد الخ) قال أحمد هذا كلام كما تراه غير منتظم والظاهر انه لفساد فى النسخة والذى يتحرر فى الآية وهو مقتضى تفسير الزمخشرى ان فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الاول ونكر اللبس والخلق الجديد فاعلم ان التعريف لاغرض منه الا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف الذكور فى قوله ويهب لمن يشاء الذكور ولهذا المقصد عرف الخلق الاول لان الغرض جعله دليلا على امكان الخلق الثانى بطريق الاولى أى اذا لم يعى تعالى بالخلق الاول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لا يعيا به فهذا سر تعريف الخلق الاول وأما التنكير فأمره منقسم فمرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الابهام كأنه أفخم من ان يخاطب به معرفة ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه وعلى الاول سلام قولا من رب رحيم وقوله لهم مغفرة

الوريد

بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى أصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شئ واحد * وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هى التى فى قولهم لخمس خلون أى عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله فى خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعنى أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور (مددناها) دحوناها (رواسى) جبالا ثوابت لولا هى لتكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أى خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا فى السماء وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض اما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا) على أنبتناها رزقا لان الانبات فى معنى الرزق أو على أنه مفعول له أى أنبتناها لنرزقهم (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف فى محل الرفع على الابتداء * أراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم الا أنه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم * عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثانى ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك فى طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة (بل هم فى لبس) أى فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول على رضى الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (فان قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول (قلت) قصد فى تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس فى مثله * الوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس * والباء مثلها فى قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للانسان أى ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس اذا حدثتها (ونحن أقرب اليه) مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شئ من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان وقد جل عن الامكنة * وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة والموت أدنى لى من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله كأن وريديه رشا آخلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (فان قلت) ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشئ لا يضاف الى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثانى أن يراد حبل العاتق فيضاف الى

فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد

الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا (اذ) منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعانى تعمل فى الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لاشئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهى ما فى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحى من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب يعنى ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقى التلقن بالحفظ والكتبة * والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله كنت منه ووالدى بريا (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه * وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) ونفخ فى الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية يعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها فى قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضى الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على أنها السكرة التى كتبت على الانسان وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها أولان الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت اليه تفظيعا للشأن وتهويلا وقرئ سكرات الموت (ذلك) اشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات أو الى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعا هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة * قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أى يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدى عتيد) هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى (فان قلت) كيف

اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد

وأجر عظيم وان المتقين فى جنات ونعيم وقوله باعان ألحقنا بهم ذرياتهم وهو أكثر من أن يحصى والثانى هو الاصل فى التنكير فلا يحتاج الى تمثيله فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم كأنه قال فى لبس أى لبس وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لامره بالنسبة الى الخلق الاول ويحتمل أن يكون للتفخيم كأنه أمر أعظم من أن يرضى الانسان بكونه ملتبسا عليه

مع أنه أول ما تبصر فيه تحته ولعل اشارة الزمخشري الى هذا والله أعلم فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة فان يكن هو ما أراده الزمخشري فذاك والا فالعق العسل ولا تسل * قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (قال فيه) ان قلت لما طرحت الواو من هذه الجملة وذكرت في الاولى وأجاب بأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (قال) فان قلت أين المقاولة قلت لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت (٤٠٤) للدلالة عليها من السياق كانه لما قال القرين هذا ما لدى عتيد قال الكافر رب هو أطغاني فلما قال الكافر ذلك قال القرين ما أطغيته فلما حكى قول القرين والكافر كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا أي لا تختصموا في دار الجزاء وذكر الواو في الجملة الاولى لانها أول المقاولة ولا بد من عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وهذه المقاولة الى آخرها (قال) وقوله وقد قدمت اليكم بالوعيد حال مما اشتمل عليه قوله لا تختصموا وصح ذلك مع أن التقديم في الدنيا والخصومة في الآخرة لان المراد وقد صح عندكم أني قدمت وصحة ذلك عندهم في الآخرة فاتحد زمان الفعلين الحال والعامل في صاحبه * قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه ان قلت كيف جاء على لفظ المبالغة الخ) قال أحمد وذكر فيه وجهان آخران أحدهما أن فعالا قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه الثاني أن المنسوب في المعتاد الى الملوك من الظلم تحت ظلمهم ان عظيما فعظيم وان قليلا فقليل فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قدس ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب اليه من ظلم تحت شمول كل موجود ولقد بدل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر الا بما أراده وبما هو من خلق العبد بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفا بما لا يطاق واعتقدوا أن ذلك ظلم في

ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين

اعراب هذا الكلام (قلت) ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الالف في ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيأ قط أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه (الذي جعل) مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكريرا للتوكيد (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الاولى (قلت) لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فان قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدى علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما جعلته طاغيا وما أوقعته في الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فاذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي * ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب * والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به (فان قلت) ان قوله وقد قدمت اليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة (فان قلت) كيف قال بظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان

الشاهد فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلما والله تعالى مبرأ من الظلم ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه ان يكون الله تعالى ظلاما لعبيده تعالى الله عن ذلك لان الحق الذي قامت بصحته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلما فنفوه فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها لتبين للناس ما نزل اليهم ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله الموفق للصواب * قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت الآية (قال فيه سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى الخ) قال أحمد قد تقدم انكاري عليه اطلاق التخييل في غير ما موضع والنكير ههنا أشد عليه فان اطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة وفي مثل قوله بل يداه مبسوطتان وانما أراد به حمل الايدي على نوع من المجاز فمعنى كلامه صحيح لانا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي فلا بأس عليه في معنى اطلاقه غير انا مخاطبون باجتناب الالفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وان كانت معانيها صحيحة وأي ايهام أشد من ايهام لفظ التخييل ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر انه سحر وباطل في قوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فلا يشك في وجوب اجتنابه ثم يعود بنا الكلام الى اطلاقه ههنا فنقول هو منكر لفظا ومعنى

غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده والثاني أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك * قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال * وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف * وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شئ ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والميد واما اسم مفعول كالمبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل * وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية و(لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وهذا اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت * والاواب الرجاع الى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و(من خشي) بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الى وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد (فان قلت) كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات * وصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب * يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه

أما اللفظ فقد تقدم واما المعنى فلانا نعتقد ان سؤال جهنم وجوابها حقيقة وان الله تعالى يخلق فيها الادراك بذلك بشرطه وكيف نفرض وقد وردت الاخبار وتظاهرت على ذلك منها هذا ومنها لجاج الجنة والنار ومنها اشتكاؤها الى ربها فاذن لها في نفسين وهذه وان لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها لانا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع ولا مانع ههنا فان القدرة صالحة والعقل يجوز والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل وقد وقع مثل هذا قطعا في الدنيا كتسليم الشجر وتسبيح الحصا في كف النبي صلى الله عليه وسلم وفي يد أصحابه ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظاهر في تفاصيل المقالة لاتسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق وليس هذا كالظواهر الواردة في الالهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها فان العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد الى أدلة العقل المرشدة الى المعتقد الحق فاشدد يدك بما فصل في هذا الفصل مما أرشدتك به الى منهج

وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف نخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث ابن حلزة نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال ماسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف ابلهم أوحفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (لمن كان له قلب) أى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لاقلب له * والقاء السمع الاصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لايحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه ماشئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه * اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوغ قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على مايقولون) أى اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاآن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يامعاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك (فان قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و (المنادى) اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية و (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء * قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لايتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لايشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى

فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وماأنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

القرب والوصل والله الموفق * قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب (قال فيه ان ذات كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة الرحمة الخ) قال أحمد ومن هذا الوادى بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثناء على صهيب بقوله نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه

بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على ايقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر أي ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسألوني ولا تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قلت) ما معنى الفاء على التفسيرين (قلت) أما على الاول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث * ووعد صادق كعيشة راضية * والدين الجزاء * والواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير

Diw. d. Zohair X. 22

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحي مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها واذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل (انكم لفي قول مختلف) قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر وأساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء

﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك

﴿القول في سورة الذاريات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يؤفك عنه من أفك (قال فيه يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه الخ) قال أحمد انما أفاد هذا النظم المعنى الذي ذكر من قبل انك اذا قلت يصرف عنه من صرف علم السامع ان قولك يصرف عنه يغني عن قولك من صرف لانه بمجرده كالتكرار للاول لولا ما يستشعر فيه من فائدة تأبى جعله تكرارا وتلك الفائدة انك لما خصصت هذا بأنه هو الذي صرف أفهم ان غيره لم يصرف فكأنك قلت لا يثبت الصرف في الحقيقة الا لهذا وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة اليه والله تعالى أعلم

للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن على يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أى يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أى قتل الله (فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة (فان قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فان قلت) فبم انتصب اليوم الواقع فى الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهى الجملة (فان قلت) فما محله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذى هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبى عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهى الحرة لان حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) فى محل الحال أى مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و (الذى) خبره أى هذا العذاب هو الذى (كنتم به تستعجلون) ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أى ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعنى أنه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أى يقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أى كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الفرار من النوم قال

قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه (فان قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت * السائل الذى يستجدى (والمحروم) الذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذى لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذى لا ينمى له مال وقيل المحارف الذى لا يكاد يكسب (وفى الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذى جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين فى مناكبها وهى مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهى كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة فى برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشى والانسى والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون

قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم وفى الارض آيات للموقنين

بعيون

*قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (ذكر) فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون أى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل أو تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية اه كلامه (قال أحمد) وجوه مستقيمة خلا جعل ما مصدرية فان قليلا حينئذ واقع على الهجوع لانه فاعله وقوله من الليل لا يستقيم أن يكون صفة للقليل ولا بيانا ماله ولا يستقيم أن يكون من صلة المصدر لانه تقدم عليه ولا كذلك على انها موصولة فان قليلا حينئذ واقع على الليل كانه قال قليلا المقدار الذى كانوا يهجعون فيه من الليل فلا مانع أن يكون من الليل بيانا للقليل على هذا الوجه وهذا الذى ذكره انما تبع فيه الزجاج وقد ذكر الزمخشرى أن تكون ما نفيا وقليلا منصوب بيهجعون على تقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل واستدرده الى امتناع تقدم ما فى حيز النفى عليه (قلت) وفيه خلل من حيث المعنى فان طلب منام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وان قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود ثم قال وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا شرعوا فى الاستغفار كانهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم *قال وقوله هم معناه هم الاحقاء بالاستغفار دون المصرين *قال وفى الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف القرار من النوم *قال وقوله قليلا وقوله من الليل لانه وقت السبات قال ومنها زيادة ما فى بعض الوجوه (قلت) وفى عدها من المبالغة نظر فانها تؤكد الهجوع وتحققه الا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل

وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون

بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعانى وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوّى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا شئ منها جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء *قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو الى ما توعدون وعن الاصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير ذلك فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى *والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك واكرامهم أن ابراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (اذ دخلوا) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما فى ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر (سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما *وأما (سلام) فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم

٢ (قول المحشى قوله تعالى كانوا قليلا الخ) هذه القولة محلها الصحيفة التى قبلها ونقلت سهوا ولم يمكن تداركها والخطب سهل اه

*قوله تعالى فراغ الى أهله (قال فيه اشارة لاخفائه من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره الخ) قال أحمد معنى حسن وقد نقل أبو عبيد انه لايقال راغ الا اذا ذهب على خفية ونقل أبو عبيد فى قوله عليه السلام اذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه

فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا

أو كان هذا سؤ الالهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبى الله ابراهيم البقر (فجاء بعجل سمين) * والهمزة فى (ألا تأكلون) للانكار أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه (بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبى والمبشر به اسحق وهو أكثر الاقاويل وأصحها لان الصفة صفة سارة لاهاجر وهى امرأة ابراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل (فى صرة) فى صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة قال الحسن أقبلت الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت فى صرة كما تقول أقبل يشتمنى وقيل صرتها قولها أوه وقيل ياويلتا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله والله قادر على ماتستبعدين وروى أن جبريل قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة * لما علم أنهم ملائكة وأنهم لاينزلون الا باذن الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (الى قوم مجرمين) الى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا * سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم الضمير فى (فيها) للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا أن الايمان محفوظ لاضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هى صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (فان قلت) كيف وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون فى قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت) موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى الى قوله تعالى وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقيم) التى لاخير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها فعن على رضى الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب * الرميم كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله * وقرئ الصعقة وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهارا يعاينونها وروى أن العمالقة كانوا معهم فى الوادى ينظرون اليهم وماضرتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به

والا فليروغ له لقمة قال أبو عبيد يقال روغ اللقمة وسغبلها وسغسغها وفرغها اذا غمسها فأرويت سمنا (قلت) وهو من اذا
هذا المعنى لانها تذهب مغموسة فى السمن حتى تخفى ومن مقاولة غور الارض والجرح وسائر مقاولاته قريبة من هذا المعنى والله أعلم

* قوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين (قال فيه معنى ففروا الى الله أى طاعته من معصيته والى ثوابه الخ) قال أحمد حمل الآية ما لم تحمله لانه لا يكاد يخلى سورة حتى يدس فى تفسيرها بيده من معتقده فدس ههنا القطع بوعيد الفساق وبخلودهم كالكفار ولا تحتمل فى الآية لما ذكر فان العناية فى قوله ففروا الى الله الفرار الى عبادة الله فتوعد من لم يعبد الله ثم نهى عابده ان يشرك بعبادة ربه غيره وتوعده على ذلك وفائدة تكرار النذارة الدلالة على انه لا تنفع العبادة مع الاشراك بل حكم المشرك حكم الجاحد المعطل لا كما قال الزمخشرى المأمور به فى الاول الطاعة الموظفة بعد الايمان فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود وعلى هذا لا يكون تكرارا على اختلاف الوعيدين (٣) فهو أولى فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى بها ليتم الاستدلال بها على معتقده الفاسد نعوذ بالله من ذلك * قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قال فيه الا لاجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها الخ) قال أحمد

اذا عجز عن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد) بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (فنعم الماهدون) فنعم الماهدون نحن (ومن كل شئ) أى من كل شئ من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ وكرر قوله (انى لكم منه نذير مبين) عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما ألا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله (كذلك) الامر أى مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا (أتواصوا به) الضمير للقول يعنى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الايمان أو يزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر * أى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها (فان قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) انما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها

منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة

من عادته انه اذا استشعر ان ظاهرا موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة ايراد معتقد أهل السنة سؤالا وايراد معتقده جوابا فكذلك صنع ههنا فقول السؤال الذى أورده مما لا يجاب عنه بما ذكره فانه سؤال مقدماته قطعية عقلية فيجب تنزيل الآية عليه وهى ان ظاهر سياق الآية دليل لاهل السنة فانها انما سيقت لبيان عظمته عز وجل وان شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم فان عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا اطعاما وانما يطلب منهم عبادته لا غير وزائدا على كونه لا يطلب منهم رزقا انه هو الذى يرزقهم فهذا المعنى الشريف هو الذى تحلى تحت راية هذه الآية وله سيقت وبه نطقت ولكن الهوى يعمى ويصم فخاصله وما خلقت الجن والانس الا لادعوهم الى عبادتى وهذا ما لا يعدل عنه أهل السنة فانه وافق معتقدهم وبالله التوفيق

ولو أرادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم * يريد أن شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا أو مرتب في فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا أنا وحدي (المتين) الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ * وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني أنا الرازق * الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

ولما قال عمرو بن شاس

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبة والمعنى فان الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم (من يومهم) من يوم القيامة وقيل من يوم بدر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

﴿سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين * والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سوّاها (والبيت المعمور) الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت وروى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه في الاسارى فألفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (تمور السماء) تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشئ يتردد في عرض كالداغصة في الركبة * غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا * الدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم وقرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء أي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا الى النار (دعا) مدعوين يقال لهم هذه النار (أفسحر هذا) يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (سواء) خبر محذوف أي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه (فان قلت) لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) (قلت) لان الصبر انما يكون

المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذين يوعدون

﴿سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين

(القول في سورة الطور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (قال فيه يريد هذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى أم أنتم لا تبصرون كما كنتم الخ

له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة * وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) (فان قلت) علام عطف قوله (ووقاهم ربهم) (قلت) على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة * يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله فى قوله

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

أعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيأ ههنا هنأكم الاكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب * وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا) معطوف على حور عين أى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين (وأتبعناهم ذرياتهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال (بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فان قلت) ما معنى تنكير الايمان (قلت) معناه الدلالة على أنه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد ايمان الذرية الدانى المحل كأنه قال بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ وأتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو أن يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض (وما ألتناهم) وما نقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيأ نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ ألتناهم وهو من بابين من ألت يألت ومن ألات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا أوبقها (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (يتنازعون) يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم واخوانهم (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يتكلمون فى أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء * وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم (غلمان لهم) أى مملوكون لهم مخصوصون بهم (مكنون) فى الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (يتساءلون) يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله (مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله * وقرئ ووقانا بالتشديد (عذاب السموم)

في جنات ونعيم فاكهين
بما آتاهم ربهم ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم كلوا
واشربوا هنيأ بما كنتم
تعملون متكئين
على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين
والذين آمنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان ألحقنا
بهم ذريتهم وما ألتناهم
من عملهم من شئ كل
امرئ بما كسب رهين
وأمددناهم بفاكهة
ولحم مما يشتهون
يتنازعون فيها كأسا
لا لغو فيها ولا تأثيم
ويطوف عليهم غلمان
لهم كأنهم لؤلؤ مكنون
وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انا كنا
قبل في أهلنا مشفقين
فمن الله علينا ووقانا عذاب
السموم انا كنا

عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج فى كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله * وما أنت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين * وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون مايقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال * أمن المنون وريبه تتوجع * وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أحلامهم) عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم (فان قلت) مامعنى كون الاحلام آمرة (قلت) هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب * وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق (بل لا يوقنون) أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على اراداتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد (أم لهم سلم) منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم * المغرم أن يلتزم الانسان ماليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) مافيه حتى يقولوا لانبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته * الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى يلقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفى مصحف عبد الله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة (فانك بأعيننا) مثل أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عينى * وقرئ بأعينا بالادغام (حين تقوم) من أى مكان قمت وقيل من منامك (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى فى أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول

من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

﴿سورة والنجم مكية وهى احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال

اذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعى كساء

أو جنس النجوم قال * فباتت تعد النجم فى مستحيرة * يريد النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذى يرجم به اذا هوى اذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما فى عشرين سنة اذا هوى اذا نزل أو النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبى لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشأم فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشأم فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

(ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى * والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى * وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه * وانما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه فى أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه فى الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالى الثمر المعلق قال * تدلى عليها بين سب وخيطة * ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن على قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما

﴿سورة والنجم مكية وهى احدى وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين

﴿القول فى سورة النجم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فكان قاب قوسين (قال فيه تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب
قوسين الى آخره) قال أحمد وقد قال بعضهم انه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة لان الحليفين فى عرف العرب اذا تحالفا على الوفاء
والصفاء ألصقا وترى قوسيهما (قلت) وفيه ميل لقوله أو أدنى * قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى (قال فيه هذا تفخيم للوحى الذى أوحى
الله اليه) قال أحمد التفخيم لما فيه من الابهام كأنه أعظم من أن يحيط به بيان وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وقوله فغشيهم
من اليم ما غشيهم * قوله
تعالى لقد رأى من آيات
ربه الكبرى (قال فيه
معناه قد رأى من آيات
ربه الآيات التى الخ) قال
أحمد ويحتمل ان تكون
الكبرى صفة آيات ربه
لا مفعولا به ويكون
المرئى محذوفا للتفخيم
الامر وتعظيمه كأنه قال
لقد رأى من آيات ربه
الكبرى أمورا عظاما
لا يحيط بها الوصف
والحذف فى مثل هذا
أبلغ وأهول وهذا والله
أعلم أولى من الاول لان
فيه تفخيما لآيات الله
الكبرى وان فيها ما رآه
وفيها ما لم يره وهو على
الوجه الاول يكون مقتضاه انه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم وفيه بعد فان آيات
الله تعالى ما لا يحيط أحد علما بجملتها فان قال عام أريد به خاص فقد رجع الى الوجه الذى ذكرناه والله أعلم * قوله تعالى أفرأيتم اللات
والعزى ومنات الثالثة الاخرى (قال فيه اشتقاق اللات من لوى على كذا اذا أقام عليه لانهم كانوا الخ) قال أحمد الاخرى ما يثبت آخرا
ولا شك انه فى الاصل مشتق من التأخير الوجودى الا أن العرب عدلت به عن الاستعمال فى التأخير الوجودى الى الاستعمال حيث
يتقدم ذكر مغاير لا غير حتى سلبته دلالته على المعنى الاصلى بخلاف آخر وآخرة على وزن فاعل وفاعلة فان اشعارهما

أو أدنى فأوحى الى عبده
ما أوحى ما كذب الفؤاد
ما رأى أفتمارونه على
ما يرى ولقد رآه نزلة
أخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ
يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى
لقد رأى من آيات ربه
الكبرى أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة

خطوات يسيرة وقال وقد جعلتنى من خزيمة أصبعا (فان قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت)
تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو على فى قوله
وقد جعلتنى من خزيمة أصبعا أى ذا مقدار مسافة أصبع (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون
(الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها (ما أوحى) تفخيم
للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك
(ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه
لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق وقرئ
ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة
واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء
من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرة أخرى من
النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل
عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج * قيل فى سدرة المنتهى
هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها
الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها * والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء
أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد
ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التى يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى
اليها أرواح الشهداء وقرأ على وابن الزبير وجماعة جنة المأوى أى ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها
أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها
من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا
قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من
ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من
غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز
ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى
السماء فأرى عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف
بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة
أو يلتوون عليها أى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا أنه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت

ويطعمه

بالتأخير الوجودي ثابت لم يتغير ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا ربيع الآخر على وزن الافعل وجمادى الاخرى الى ربيع الآخر على وزن
فاعل وجمادى الآخرة على وزن فاعلة لانهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي لان الافعل (٤١٧) والفعلى من هذا الاشتقاق
مسلوب الدلالة على غرضهم فعدلوا عنها الى الآخر والآخرة

ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها و (الاخرى) ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى * كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى) ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الاناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث أندادا لله وتسمونهن آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد (هي) ضمير الاصنام أي ما هي (الا أسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أو ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل (أم للانسان ما تمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والاولى) أي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد أن يتحكم عليه في شيء منهما * يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيأ قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه بعبدتهم (ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (به من علم) أي بذلك وبما يقولون وفي قراءة أبي بها أي بالملائكة أو التسمية (لا يغني من الحق شيأ) يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال (ان ربك هو أعلم) أي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي من أحببت وما عليك الا البلاغ * وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء * قرئ ليجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا

الأخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا

والتزموا ذلك فيهما وهذا البحث مما كان

الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى قد حرره آخر مدته وهو الحق ان شاء الله تعالى وحينئذ يكون المراد
الاشعار بتقدم مغاير في الذكر مع ما نعتقده في الوفاء بفاصلة رأس الآية والله أعلم

الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء و(بالحسنى) المثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى (كبائر الاثم) أي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها (والفواحش) ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله * واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه وألم بالمكان اذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه لقاء أخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى (الا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين (ان ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها * فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا أفحم روي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت * ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان الى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفى) قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله تعالى فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته اياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر (الا ما سعى) الا سعيه (فان قلت) أما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب

بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى

* قوله تعالى أضحك وأبكى (قال فيه أي خلق قوتي الضحك والبكاء) قال أحمد وخلق أيضا فعلى الضحك والبكاء على قواعد السنة وعليه دلت الآية غير منابرة لتحريفه والله الموفق * قوله تعالى وأن عليه النشأة الاخرى (قال فيه انما قال عليه لانها واجبة عليه الخ) قال أحمد هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذي يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة وأي فساد أعظم مما يؤدي الى اعتقاد الايجاب على رب الارباب تعالى الله عن ذلك ومثل هذه القاعدة التي عفت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفي فيها كلمة محتملة هي لو كانت ظاهرة لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها وبين القواطع والذي حملت عليه لفظة عليه غير هذا المعنى وهو ان المراد ان أمر النشأة الاخرى يدور على قدرته عز وجل وارادته كما يقال دارت قضية فلان على يدي وقول المحدثين على يدي دار

كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن الى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تعالى والى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق قوتي الضحك والبكاء (اذا تمنى) اذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني أي قدر المقدر * قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (الشعرى) مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا * عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ عاد الولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمودا) وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أي أسقطها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الاولى) أي انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة (أزفة الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي لنا أي غني لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

﴿سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله

ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الاولى وثمودا فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا

﴿سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقتربت الساعة وانشق القمر

الحديث أى هو الاصل فيه والسند والله أعلم ﴿القول فى سورة القمر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (قال فيه ان قلت ما فائدة كذبوا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) قال أحمد قد تقدم كلامه على قوله تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى وأجاب عنه بجوابين أحدهما متعذر ههنا والآخر ممكن وهو ان ذلك كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مضى لى جوابان أحدهما يمكن اجراؤه هنا وحاصله منع ورود السؤال لان الاول مطلق والثانى مقيد فليس تكرارا وهو كقوله فى هذه السورة فتعاطى فعقر فان تعاطيه هو نفس عقره ولكن ذكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه اسهابا وهو بمثابة ذكره مرتين وجواب آخر هنا وهو ان المكذب أولا محذوف دل عليه ذكر نوح فكأنه قال كذبت قوم نوح نوحا ثم جاء بتكذيبهم ثانيا مضافا الى قوله عبدنا فوصف نوحا بخصوص العبودية وأضافه اليه اضافة تشريف فالتكذيب المخبر عنه ثانيا أبشع عليهم من المذكور أولا لتلك اللمحة والله أعلم

كذبوا

عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم * مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أى كل أمر لا بد أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل أمر ذو مستقر أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أى اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم فى رسول الله أسوة حسنة أى هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاى فيها (حكمة بالغة) بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما (فان قلت) ان كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر (قلت) تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو انكار وما منصوبة أى فأى غناء تغنى النذر (فتول عنهم) لعلمك أن الانذار لا يغنى فيهم * نصب (يوم يدع الداعى) بيخرجون أو باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم ينادى المنادى (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم) حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طيئ ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما * وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور (كأنهم جراد منتشر) الجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر فى كل مكان لكثرته (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم قال

تعبدنى نمر بن سعد وقد أرى * ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت) معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا

كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم فى قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه * قرئ أنى بمعنى فدعا بانى مغلوب وانى على ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ماطم عليه الامر وبلغ السيل الزبا فقد روى أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون * وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا * وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره فى النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعنى مياه السماء والارض وقرئ الما آن أى النوعان من الماء السماوى والارضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى قال لنا أبلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهى ان قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الارض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر فى اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه

* ولكن قيصى مسرودة من حديد أراد ولكن قيصى درع وكذلك ولو فى عيون النازيات بأكرع أراد ولو فى عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر أى جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أى مجازاة * الضمير فى (تركناها) للسفينة أى للفعلة التى جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة * والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزجر * والنذر جمع نذير وهو الانذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال

وقمت اليه باللجام ميسرا * هنالك يجزينى الذى كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (ونذر) وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (فى يوم نحس) فى يوم شؤم وقرئ فى يوم نحس كقوله فى أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى أربعاء فى آخر الشهر لا تدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدى بعض ويتدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعنى أنهم كانوا يتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس وذكر

مجنون وازدجر فدعا
ربه أنى مغلوب فانتصر
ففتحنا أبواب السماء
بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى
الماء على أمر قد قدر
وحملناه على ذات ألواح
ودسر تجرى بأعيننا
جزاء لمن كان كفر ولقد
تركناها آية فهل من
مدكر فكيف كان
عذابى ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من
مدكر كذبت عاد
فكيف كان عذابى
ونذر انا أرسلنا عليهم
ريحا صرصرا فى يوم
نحس مستمر تنزع
الناس كأنهم أعجاز نخل
منقعر فكيف كان
عذابى ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت ثمود
بالنذر

صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال أعجاز نخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول أوجه للاستفهام * كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

(فان قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا أبشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره (مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء (محتضر) محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها (صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له * فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل * والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر * والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (بسحر) بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد * مرت بأعلى السحرين تدأل * وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحر اذا لقيه في سحر يومه (نعمة) انعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (بكرة) أول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما بكرة غير منصرفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا أردت التنكير وبغيره اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضي بهم الى عذاب الآخرة (فان قلت) ما فائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (قلت) فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما

فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر

قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر (قال فيه منصوب بمضمر يفسره الظاهر) قال أحمد كان قياس ما مهده النحاة اختيار رفع كل لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة وانما كان كذلك لان الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان فالرفع أخصر مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الاصناف الستة أعنى الامر والنهى الى آخرها ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعد دونه من محال اختيارهم للنصب فاذا تبين ذلك فاعلم أنه انما عدل عن الرفع اجماعا لسر لطيف يعين اختيار النصب وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التى هى خلقناه صفة لشئ ورفع قوله بقدر خبرا عن كل شئ المقيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير انا كل شئ (٤٢٣) مخلوق لنا بقدر فافهم ذلك ان مخلوقا ما اضاف الى غير الله تعالى ليس بقدر وعلى النصب يصير الكلام انا خلقنا كل شئ بقدر فيفيد عموم نسبة كل مخلوق الى الله تعالى فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللطيفة على قراءة الرفع مع ما فى الرفع من نقصان المعنى ومع ما فى هذه القراءة المستفيضة من مجئ المعنى تاما واضحا كفلق الصبح لاجرم أجمعوا على العدول عن الرفع الى النصب لكن الزمخشرى لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات الى مخلوق لله ومخلوق لغير الله فيقولون هذا لله بزعمهم وهذا لنا فغرت هذه الآية فاه وقام اجماع القراء حجة عليه فاخذ يستروح الى الشقاء وينقل قراءتها بالرفع فليراجع له ويعرض عليه اعراض القراءة السبعة عن هذه الرواية مع أنها هى الاولى فى العربية لولا ما ذكرناه أيجوز فى حكمه حينئذ الاجماع على خلاف الاولى لفظا ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا وهو الخبير فيما يحكم به فالى الله ترجع الامور

كذبوا بآياتنا كلها فاخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الانذار (بآياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام * وعن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (ويولون الدبر) أى الادبار كما قال * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * وقرئ الادبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وأمر) من الهزيمة والقتل والاسر * وقرئ ستهزم الجمع (فى ضلال وسعر) فى هلاك ونيران أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكأنما تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم * وذوقوا على ارادة القول * وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

Diwan de Dhu'r-Rummah, LXVII, 13

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بافنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث (كل شئ) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شئ بالرفع * والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أى خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعنى أنه اذا أراد تكوين شئ لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فى الزبر) فى دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك مبهم أمره فى الملك والاقتدار فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القول في سورة الرحمن﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان (قال فيه عدد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما في ضروب آلائه الخ) قال أحمد نغير من هذا الكلام قوله (٤٢٤) ان خلق الانسان كان الغرض فيه أى المراد منه أن يحيط علما بالكتب والوحى ويعوض بان المراد بخلقه أن يدعى الى ذلك لا أن يقع ذلك منه فهذا هو المراد العام ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علما بالدين فيسره له ذلك ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال ثم ذكر ماتميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب الخ) قال أحمد وانما خص الجمل الاول بذكرها تبكيتا للانسان لاجل التصاق معانيها به ألا ترى أنه مذكور فيها نطقا او اضمارا او حذفا مدلولا عليه في الكلام فهو منطوق به مظهرا في قوله خلق الانسان ومضمرا في قوله علمه البيان ومدلولا على حذفه في قوله علم القرآن فانه المفعول الثاني أما قوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فليس للانسان فيهما ذكر البتة وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى * عاد كلامه قال وانما قرن هاتين الجملتين لتناسبهما من حيث التقابل الخ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب

* عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من أجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ماتميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير و (الرحمن) مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فاتنكر من احسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى (يجريان) في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والنبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق * وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده (فان قلت) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قلت) كيف أخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جئ به بعد (قلت) بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذى قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل مايجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فان قلت) أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضى الله عنه الانسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وقراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ماتوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وماتعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أوهى أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه * وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما يتفكه به و (الاكمام) كل مايكم أى يغطى من ليفة وسعفة وكفراة

* قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (قال فيه ان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من المالح الخ) قال أحمد هذا القول الثانى مرذود بالمشاهدة والصواب هو الاول ومثله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وانما أريد احدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر وكما تقول فلان من أهل ديار مصر وانما بلده محلة واحدة منها * قوله تعالى ويبقى وجه ربك

ذوا العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان

وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف و(العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيهما ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم وفى مصاحف أهل الشأم والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه * والخطاب فى (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان * الصلصال الطين اليابس له صلصلة * والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فان قلت) قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق فى المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و(الجان) أبو الجن وقيل هو ابليس * والمارج اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط * (فان قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان المارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى * قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة * قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أى الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون * واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (الجوارى) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

و(المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن * والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الارض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان و(ذو الجلال والاكرام) صفة الوجه وقرأ عبد الله ذى على صفة ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذى يقال له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فان قلت) ما النعمة فى ذلك (قلت) أعظم النعمة وهو مجئ وقت الجزاء عقيب ذلك * كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدهما

ذو الجلال والاكرام (قال فيه الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون) قال أحمد المعتزلة ينكرون الصفات الالهية التى دل عليها العقل فكيف بالصفات السمعية على أن من الاشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكره ولم ير بيانها صفات سمعية * ثم قال فان قلت كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق وأجاب بان معناه انهم يفنون ثم يبعثون الى دار الجزاء أى دار النعيم المقيم الحقيقى بان يكون هو النعيم لا غير

سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الابسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم

اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى أخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال له أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما و يبتلى معافا و يعافى مبتلى و يعز ذليلا ويذل عزيزا و يفقر غنيا و يغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ماسعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لايكون الندم توبة فى تلك الامة و يكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للانسان الا ماسعى فمعناه ليس له الا ماسعى عدلا ولى أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنك حتى لايكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه و يجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أى الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة أبى سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم * والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (يامعشر الجن والانس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم) أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا * ثم قال لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وماأنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وروى أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به * قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضىء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم مايدهن به كالحزام والادام قال

كأنهما مزادتا متعجل * فريان لما تدهنا بدهان

وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

(انس) بعض من الانس (ولاجان) أريد به ولاجن أى ولابعض من الجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم و يراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لايسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون (فان قلت) هذا خلاف قوله تعالى

* قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان (قال فيه لم يطمث الانسية انسى ولا الجنية جنى الخ) قال أحمد يشير الى الرد على من زعم ان الجن المؤمنين لاثواب لهم وانما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا * وقال فى قوله ومن دونهما جنتان انما تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن صفة الاوليين حتى قال ومن دونهما لانه قال مدهامتان وذلك دون ذواتا أفنان ونضاختان وذلك دون تجريان وفاكهة وذلك دون

فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون قيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالاقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها * ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف (مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه أي حافظ مهيمن من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب * (فان قلت) لم قال (جنتان) (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة * خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان ألوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(عينان تجريان) حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب (متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم * وقرئ وجني بكسر الجيم (فيهن) في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم *لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس * وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء (هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة يعني أن كل من أحسن أحسن اليه وكل من أساء أسيء اليه (ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد ادهامتا من شدة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش (فان قلت) لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكائيل أو لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة

فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن

رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذى هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق * حسان الخلق (مقصورات) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف و يقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه * والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الاوجه لصحته (فان قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما (قلت) مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التى لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله (فان قلت) بم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكونى أو هى من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير

اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

أى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر فى الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (منبثا) متفرقا وقرئ بالتاء أى منقطعا وقرئ رجت و بست أى ارتجت وذهبت وفى كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهى تمشى وتفاج (فان قلت) بم انتصب اذا رجت (قلت) هو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى

خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة

(القول فى سورة الواقعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة (قال فيه) كاذبة صفة تقدير موصوفها نفس كاذبة الخ

*قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم (قال فيه ما تعجب من حال المقربين الخ) قال أحمد اختار ما هو المختار لانه اقعد بالفصاحة (٤٢٩) لكن بقى التنبيه على المخالفة بين المذكورين فى السابقين وفى أصحاب اليمين مع ان كل واحد منهما انما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين فنقول التعظيم المؤدى بقوله السابقون أبلغ من قرينه وذلك ان مؤدى هذا ان أمر السابقين وعظمة شأنه مالا يكاد يخفى وانما تحير فهم السامع فيه مشهور وأما المذكور فى قوله وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة فانه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله أولئك المقربون فجمع بين اسم الاشارة المشار به الى معروف وبين الاخبار عنه بقوله المقربون معرفا بالالف واللام العهدية وليس مثل هذا مذكورا فى بسط حال أصحاب اليمين فانه مصدر بقوله فى سدر مخضود

فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين

بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار فى طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال * ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين فى السعادة والشقاوة والمعنى أى شئ هم * والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبى النجم وشعرى شعرى كأنه قال وشعرى ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثانى لانه تمام الجملة وهو فى مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ فى جنة النعيم * والثلة الامة من الناس الكثيرة قال

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهى من الثل وهو الكسر كما أن الامة من الام وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الاولين كثير وهم الامم من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (فان قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين (قلت) هذا فى السابقين وذلك فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا (فان قلت) فقد روى أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لامرين أحدهما أن هذه الآية واردة فى السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية فى أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثانى أن النسخ فى الاخبار غير جائز وعن الحسن رضى الله عنه سابقو الامم أكثر من سابقى أمتنا وتابعو الامم مثل تابعى هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف أى هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى * ومن نسج داود موضونة * وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رضى الله عنه وعن الحسن وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة * الاكواب أوان بلا عرى وخراطيم * والاباريق ذوات

الخراطيم (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم (يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون) يتمنون * وقرئ ولحوم طير * قرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية * السدر شجر النبق * والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذى تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب * والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحوّلها فقال آى القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه * والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط لا يتقاص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجرى على الارض فى غير أخدود (لا مقطوعة) هى دائمة لا تنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) لا تمتنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن أنشأناهن انشاء أى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضى الله عنها سألته عن قول الله تعالى انا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر (أترابا) على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهى تبكى فقال عليه الصلاة والسلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين * واللام فى لاصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لا بارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى أنه ظل حار ضار الا أن للنفى فى نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذى هو لاضدادهم فى الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو كذلك و(الحنث) الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث فى يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فان قلت) كيف

لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون

حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا * وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره * وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه (قلت) ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين * النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به * واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (ما تمنون) ما تمنونه أي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى (تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف * سبقته على الشيء اذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن (ننشئكم) في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها * قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) من الطعام أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم الى قوله أفرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن رضي الله عنه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها * وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم

الى ميقات يوم معلوم
ثم انكم أيها الضالون
المكذبون لآكلون
من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من
الحميم فشاربون شرب
الهيم هذا نزلهم يوم
الدين نحن خلقناكم
فلولا تصدقون أفرأيتم
ما تمنون أأنتم تخلقونه
أم نحن الخالقون نحن
قدرنا بينكم الموت
وما نحن بمسبوقين على
أن نبدل أمثالكم
وننشئكم في ما لا تعلمون
ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون
أفرأيتم ما تحرثون أأنتم
تزرعونه أم نحن الزارعون
لو نشاء لجعلناه حطاما
فظلتم تفكهون

اذا غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكنون أى يتندمون (انا المغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا (الماء الذى تشربون) يريد الماء العذب الصالح للشرب و (المزن) السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا) ملحا زعاقا لا يقدر على شربه (فان قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا (قلت) ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى الى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوى حالى حذفه واثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس Diwan d'Aws b. Hajar 11, 6

حتى اذا الكلاب قال لها * كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أر فاذن حذفها اختصار لفظى وهى ثابتة فى المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك انما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبى العلاء Diwan d'Abou-l-Ala 3, 6

اذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا أضيافهم شبما زلالا

وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (شجرتها) التى منها الزناد (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أى لم آكل شيأ (فسبح باسم ربك) فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أى بذكر ربك و (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من أمرهم فى غمط آلائه وأياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلاقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لامرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى أن لافعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى

انا المغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم

* قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم (قال فيه لا زائدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب قال وقرأ الحسن فلاقسم واللام فى هذه للابتداء الخ) قلت تلخيص الرد بهذا الوجه الثانى ان سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع النجوم واقع ويدل عليه القراءة الاخرى على زيادة لا ومقتضى جعلها جوابا للقسم محذوف ان لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعا بل مستقبلا فتتنافر القراءة اذا والله الموفق للصواب

ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة مالا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (في كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس أدناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيضا وعن ابن عمر أحب الى أن لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أي منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم مدهنون) أي متهاونون به كمن يدهن في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن شعر وسحر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب * ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي أقرب اليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم * ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم * والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم (ان هذا) الذي أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن

انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

﴿سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله

(ثم قال قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب الخ) قال أحمد وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسبا للمقسم مثل قوله حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا ومن واديه * وثناياك انها اغريض * كما تقدم

﴿القول فى سورة الحديد﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن (قال فيه) ان قلت مامعنى الواو وأجاب بان المتوسطة بين الاول والآخر للجمع بين معنى الاولية والبقاء الخ *قال ومعنى الظاهر أى بالادلة والباطن أى عن الحواس قال وفيه دليل الرد على من زعم انه تعالى يرى فى الآخرة بالحاسة (قلت) لادليل فيه على ذلك فان لنا أن نقول ان المراد عدم الادراك بالحاسة فى الدنيا الا فى الآخرة ونحن نقول به أو فى الآخرة والمراد الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى الى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان قيل تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر قلنا والمسئلة قطعية فيكفى الاحتمال وأيضا فقسيمه لابد فيه من تخصيص فانه تعالى لم يظاهر جميع خلقه على الادلة الموصلة الى معرفته بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالايمان به عز وجل

مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها ومايتنزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم

من أسند اليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تعالى ويسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لاتخلو اما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (مافى السموات والارض) مايتأتى منه التسبيح ويصح (فان قلت) مامحل (يحيى) (قلت) يجوز أن لايكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون مرفوعا على هو يحيى ويميت ومنصوبا حالا من المجرور فى له والجار عاملا فيها ومعناه يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء (هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فان قلت) فامعنى الواو (قلت) الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعنى أن الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب *فانفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم (لاتؤمنون) حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ماتصنع قائما أى ومالكم كافرين بالله *والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ ومالكم لاتؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج *وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لاتؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لامزيد عليه *وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (ليخرجكم) الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤف

(وما

فالظاهر اذا معناه فى التخصيص كالثانى طبقا بينه وبين الاول *قوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (قال فيه أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم الخ) قال أحمد وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على مابينه الله فى آية غير هذه اذ يقول تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولقد يرى منه انكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع امكانها عقلا ووقوعها بالسمع قطعا الى مايتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا فالقاعدة التى تعتمد عليها كى لايضرك مايومئ اليه ان ما كل ماجوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق

(ومالكم ألا تنفقوا) فى أن لا تنفقوا (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله * ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من أنفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال و لنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة) * وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله * القرض الحسن الانفاق فى سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه اياه (فيضاعفه له) أى يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (أضعافا) من فضله (وله أجر كريم) يعنى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم * وانما قال (بين أيديهم و بأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا و بصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما * و يقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) * وقرئ ذلك الفوز (يوم يقول) بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف * لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فدية) ما يفتدى به (هى مولاكم) قيل هى أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومئنتكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأنى وألما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن رضى الله عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب * وقرئ نزل ونزل وأنزل (ولا يكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فان قلت) ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلى القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * أراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى أمده وقرئ الامد أى الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الارض (المصدقين) المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين (فان قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا * والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة * وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين أى يضاعف الله * يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم (فان قلت) كيف يسوى بينهم فى الاجر ولا بد من التفاوت (قلت) المعنى ان الله يعطى المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره * أراد أن الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع * وقرئ مصفارا (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار الى جنة (عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * المصيبة فى الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفى الانفس نحو الادواء والموت (فى كتاب) فى اللوح (من قبل أن نبرأها) يعنى الانفس أو المصائب (ان ذلك) ان تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد * ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا تأسوا * ولا تفرحوا) يعنى أنكم اذا علمتم أن كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل

مختال

ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال
عليهم الامد فقست
قلوبهم وكثير منهم
فاسقون اعلموا أن الله
يحيى الارض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون ان
المصدقين والمصدقات
وأقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم أجر كريم
والذين آمنوا بالله ورسله
أولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم لهم
أجرهم ونورهم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب الجحيم اعلموا
أنما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر فى الاموال
والاولاد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفى الآخرة
عذاب شديد ومغفرة من
الله ورضوان وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور
سابقوا الى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض
أعدت للذين آمنوا بالله
ورسله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله
ذوا الفضل العظيم
ما أصاب من مصيبة فى
الارض ولا فى أنفسكم
الا فى كتاب من قبل
أن نبرأها ان ذلك على الله
يسير لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم والله لا يحب كل

*قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الآية (قال فيه الرهبانية الفعلة المنسوبة للرهبان الخ) قال أحمد وفيه اشكال فان النسب الى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد الى مفرده الا أن يقال انه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم وان كان جمعا كالعلم لهم فلحق بانصاري ومدائني واعرابي *عاد كلامه (قال وهو منصوبة بفعل مضمر الخ) قال أحمد في اعراب هذه الآية تورط أبو علي الفارسي وتحيز الى فئة الفتنة وطائفة البدعة فاعرب رهبانية على انها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر وعلل امتناع العطف فقال ألا ترى

مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها

مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس *قرئ بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما أوتيتم (فان قلت) فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح (قلت) المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما (الذين يبخلون) بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته (ومن يتول) عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه *وقرئ بالبخل *وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعني الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أي الوحي (والميزان) روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوي عزيز) غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب (والكتاب) والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق *قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب *وقرئ رآفة على فعالة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم *والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يعني وأحدثوها من عند أنفسهم

ان الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا مع وصفها بقوله ابتدعوها لان ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم والزمخشري ورد أيضا مورده الذميم وأسلمه شيطانه الرجيم فلما أجاز ما منعه أبو علي من جعلها معطوفة اعتزل لذلك بتحريف الجعل الى التوفيق فرارا مما فر منه أبو علي من اعتقاد ان ذلك مخلوق لله تعالى وجنوحا الى الاشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه وكفى بما في هذه الآية دليلا بعد الادلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه فانه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بان محلها القلب فجعل قوله في قلوب الذين اتبعوه تأكيدا لخلقه هذه المعاني وتصويرا لمعنى الخلق بذكر محله ولو كان المراد أمرا غير مخلوق في قلوبهم لله تعالى كما زعما لم يبق لقوله في قلوب الذين اتبعوه موقع ويأبى الله ان يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له ألهمنا الحجة ونهج بنا واضح

ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا) يريد أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها فى محل النصب أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (يا أيها الذين آمنوا) يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمنى أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشان لا يقدرون (على شئ من فضل الله) أى لا ينالون شيأ مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم فى الايمان لا تفرقون بين أحد من رسله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضى الله عنه فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا فى الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت * وقرئ لكى يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء ولين يعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون فى الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل فى وجهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها فى لام لا فصار للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد * أريد لانسى ذكرها وقرئ أن لا يقدروا (بيد الله) فى ملكه وتصرفه واليد مثل (يؤتيه من يشاء) ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

﴿سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله) قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان اذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع لها * وقرئ تحاورك أى تراجعك الكلام وتحاولك أى تسائلك وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى فلما خلى سنى

ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التى تجادلك

المحجة انه ولى التوفيق وواهب التحقيق

(اقول فى سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها (قال فيه قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات الخ) قال أحمد ولقد استدل به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمى وليس بقوى لانه غير المقصود

* عادكلامه قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا (قال فيه يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول الخ) قال أحمد وهذا الوجه يلزم الكفارة بمجرد قول الظهار في الاسلام لا غير والقول بوجوبها بمجرد الظهار قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء * عادكلامه (قال ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير منزل على أن وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الامصار ولا يخص هذا التفسير وجها من وجوه العود التي ذكرها العلماء * عادكلامه (قال ووجه ثالث وهو أن يكون المراد بما قالوه الخ) قال أحمد وهذا التفسير يقوى القول بان العود الوطء نفسه لان حاصله ثم يعودون للوطء وظاهر قولك عاد للوطء فعله وحمل العود على الوطء من جملة أقوال مالك رحمه الله فقد تلخص ان كلام المختلفين في العود له مأخذ من هذه الآية فاما من لم يقف وجوب الكفارة عنده الا على مجرد الظهار فحمل العود على الظهار وتسميته عودا والحالة هذه باعتبار انه كان في الجاهلية وانقطع في الاسلام فايقاعه بعد الاسلام عود اليه وأما من أوقعها على العود وجعل العود ان يعيد ٤٣٩ لفظ الظهار وهو قول داود فاعتبر ظاهر اللفظ وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود الى القول الاول عود بالتدارك لا بالتكرار وتدارك بعضه ببعضه

في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا

ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في أمرك شئ وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (ان الله سميع بصير) يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر (فان قلت) ما معنى قد في قوله قد سمع (قلت) معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (ما هن أمهاتهم) وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد أن الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لانهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة لانهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات * فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالاصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو

وهل نقيضه العزم على الوطء لان الاول امتناع منه أو العزم على الامساك لان العصمة تقتضي الحل وعدم الامتناع فيكفي محل خلاف وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه ويحمل قوله من قبل أن يتماسا أي مرة ثانية وقد اختلف العلماء أيضا فيما اذا قدم الوطء على الكفارة فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لا يسقط الكفارة ولا يوجب أخرى وذهب مجاهد الى ايجاب أخرى به وذهبت طائفة الى اسقاط الكفارة به أصلا ورأساوكأن منشأ خلافهم النظر الى قوله من قبل أن يتماسا فرآه أكثر العلماء منعا من الوطء قبل التكفير حتى كأنه قال لا تماس حتى تكفر ورآه الطائفة المسقطة للكفارة بالوطء شرطا في الوجوب فلا جرم اذا مسها فقد فقد الشرط الذي هو عدم التماس فسقط الوجوب ورآه مجاهد في ايجاب الكفارة اذا تماسا قبل الكفارة تعددت ثم فيه نظر آخر وهو انه ذكر عدم التماس في كفارتي العتق والصوم وأسقطه في كفارة الاطعام فتلقى أبو حنيفة بذلك الفرق بين الاطعام وبين الآخرين حتى انه لو وطئ في حال الاطعام لم يجب عليه استئناف كفارة بخلاف الآخرين فان الوطء في خلال كل واحدة منهما يوجب ابطالها واستئناف أخرى على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث في تحريم المساس قبل حصولها كاملة كذا نقل الزمخشري عنه ولقائل أن يقول على أبي حنيفة اذا جعلت الفائدة في ذكر عدم التماس في بعضها واسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها فلم صرفت الفرق الى أحد الحكمين وهو ايجاب الاستئناف بالوطء في خلال الكفارة في بعضها دون البعض

دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل الشروع فى الكفارة فتخصيص أحد الحكمين دون الآخر الانوع من التحكم وله أن يقول اتفقنا على التسوية فيه فتعين صرفه الى الآخر هذا منتهى النظر مع أبى حنيفة ورأى القائلون بان الطعام يبطل بتخلل الوطء فى أثنائه كالصيام ان فائدة ذكره عدم المماسة ثم اسقاطه التنبيه على التسوية بين التكفير قبل و بعد وتقريره ان ذكره مع الاثنين كذكره مع الثالث واطلاق الثالث كاطلاق الاثنين فكأنه قال فى الجميع من قبل أن يتماسا ومن بعد وانطوى ايراد الآية على هذا الوجه على ابطال قول من قال ان الامر يختلف بين ما قبل التماس وما بعده فيجب قبل و يسقط بعد وعلى قول من قال يجب قبل كفارة و بعد كفارتان وههنا نظر آخر فى أنه لم ذكر عدم التماس مع نوعين منها وقد كان ذكره مع واحد منها مفيدا لهذه الفائدة على التقرير المذكور والجواب عنه ان ذكره مع العتق، فقصر على افادة تحريم الوطء قبل العتق ولا يتصور فى العتق الوطء فى اثنائه اذلا ٤٤٠ يتبعض ولا يتفرق فاحتيج الى ذكره مع الصيام الواقع على التوالى ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه و بعد الشروع الى التمام اذ لو لم يذكره هنا لتوهم ان الوطء انما يحرم قبل الشروع خاصة لا بعد لانها هى الحالة التى دل عليها التقييد فى العتق فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليا استغنى عن ذكره مع الطعام لانه مثله فى التعدد والتوالى وامكان الوطء فى خلاله وهذا التقرير منزل على ان العتق لا يتجزأ ولا يتبعض وهذا هو المرضى وقد نقل العينى عن ابن القاسم ان من أعتق شقصا من عبد يملك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار أن ذلك يجزيه وهو خلاف أصله فى المدونة وعابه عليه أصبغ وسحنون وابنه (تنبيه) ان قال قائل ارتفاع التحريم بالكفارة لا يخلو اما أن يكون مشروطا فيلزم ان لا يرتفع التحريم بالكفارة التى تقدم على الشروع فيها مساس وان لم يكن مشروطا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التى تخللها المساس وكلاهما غير مقول به عندكم * فالجواب ان المساس مناف لصحة الكفارة واعتبارها فى رفع التحريم فان وقع قبل الشروع فى الكفارة تعذر الحكم ببطلان الكفارة لان المحل لم يوجد وتعذر ذلك لا يبطل الحكم ككونه منافيا أما ان وقع فى أثنائها فالمحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم فوجب اعمال المنافى وهذا كالحدث مناف لصحة الصلاة فان وقع فى أثنائها أثر فى ابطالها والله تعالى الموفق للصواب

الضمير

ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا فى قوله تعالى ونرثه ما يقول و يكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فان قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم اذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختى من الرضاع أو عمتى من النسب أو امرأة ابنى أو أبى أو أم امرأتى أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعى والزهرى والاوزاعى والثورى وغيرهم نحوه وقال الشافعى لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبى وعن الشعبى لم ينس الله أن يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ أخبر أن الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فان قلت) فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه (قلت) لها ذلك وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شىء من الكفارات يجبر عليه و يحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها (فان قلت) فان مس قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتى ثم أبصرت خلخالها فى ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فان قلت) أى رقبة تجزى فى كفارة الظهار (قلت) المسلمة والكافرة جميعا لانها فى الآية مطلقة وعند الشافعى لا تجزى الا المؤمنة لقوله تعالى فى كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزى أم الولد والمدبر والمكاتب الذى أدى شيأ فان لم يؤد شيأ جاز وعند الشافعى لا يجوز (فان قلت) فان أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبى حنيفة وعند أبى يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى (فان قلت) كم يعطى المسكين فى الاطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبى حنيفة وعند الشافعى مدا من طعام بلده الذى يقتات فيه (فان قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف فى ذلك فعند أبى حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث فى وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على أنه اذا وجد فى خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع فى خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله و بعده سواء (فان قلت)

الضمير فى أن يتماسا الام يرجع (قلت) الى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها (ذلك) البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الطهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها (عذاب أليم * يحادون) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم (جميعا) كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حال واحدة كما تقول حى جميع (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصى وانما تحفظ معظمات الامور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقى ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شئ من النجوى * والنجوى التناجى فلا تخلو اما أن تكون مضافة الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أى من أهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل أو جعلوا نجوى فى أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه (فان قلت) ما الداعى الى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر الا) والله معهم يسمع ما يقولون فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثانى أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل أحد وانما هم طائفة مجتباة من أولى النهى والاحلام ورهط من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلى هذا العدد ويقاربه وفى مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفى الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر الا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر الا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة * وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف * كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته * وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى أنهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبى (لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا

ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول

* قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (قال فيه تعميم ثم تخصيص للعلماء الخ) قال أحمد فى الجزاء برفع الدرجات ههنا مناسبة للعمل لان المأمور به تفسح المجالس كيلا يتنافسوا فى القرب من المكان الرفيع حوله عليه الصلاة والسلام فيتضايقوا فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزى على تواضعه برفع الدرجات كقوله من تواضع لله رفعه الله ثم لما علم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك ماهم من الرفعة فى المجالس تواضعا لله تعالى * عاد كلامه ثم ذكر فى فضل العلم فصلا أنقله بعينه) قال روى عن ابن مسعود رضى

حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم

الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أى اذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تنتاجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا (انما النجوى) اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) (فان قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن الا باذن الله (قلت) كانوا يوهمون المؤمنين فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم الا باذن الله أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا فى المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ فى المجالس قيل كان الرجل يأتى الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال (بين يدى نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لان الصدقة

الله عنه أنه كان اذا تلا هذه الآية قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعنه عليه الصلاة والسلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة بين النبوة والشهادة بشهادة النبى عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس خير سليمان عليه الصلاة والسلام بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطاه الله الملك والمال تبعا له وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والله أعلم

الصدقة طهرة روى أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه
وأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال على رضى الله عنه لما
نزلت دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال
انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغنى فلشحه وقيل كان ذلك
عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها
أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبى
تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلى ثلاث لو كانت لى واحدة
منهن كانت أحب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس
هى منسوخة بالآية التى بعدها وقيل هى منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من
الانفاق الذى تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (فاذلم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم
و (تاب الله عليكم) وعذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه * فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات
(بما تعملون) قرئ بالتاء والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله تعالى من
لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من
اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله
انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب بحت (فان
قلت) فما فائدة قوله وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم
فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف
بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود
فبينا رسول الله فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى
شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله
ما فعل وقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (عذابا شديدا) نوعا من
العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى أنهم كانوا فى الزمان الماضى المتطاول على سوء العمل
مصرين عليه أوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة * وقرئ ايمانهم بالكسر أى اتخذوا أيمانهم التى حلفوا
بها أو ايمانهم الذى أظهروه (جنة) أى سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدوا) الناس فى خلال
أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويضعفون أمر المسلمين
عندهم * وأوعدهم الله العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء روى أن رجلا منهم
قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون له) تعالى على أنهم مسلمون فى الآخرة (كما
يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شئ) من النفع يعنى ليس العجب من حلفهم لكم فانكم
بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا فى ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه فى
دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع
والاضطرار الى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم
وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى كذبهم فى الآخرة
والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر
كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شئ من النفع اذا حلفوا
استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم
على أفواههم (الا انهم هم الكاذبون) يعنى أنهم الغاية التى لا مطمح وراءها فى قول الكذب حيث استوت
حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها

أأشفقتم ان تقدموا
بين يدى نجواكم
صدقات فاذلم تفعلوا
وتاب الله عليكم فأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة
وأطيعوا الله ورسوله
والله خبير بما
تعملون ألم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله
عليهم ما هم منكم ولا
منهم ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون
أعد الله لهم عذابا شديدا
انهم ساء ما كانوا يعملون
اتخذوا أيمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله
فلهم عذاب مهين لن
تغنى عنهم أموالهم ولا
أولادهم من الله شيأ
أولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم
ويحسبون أنهم على
شئ الا انهم هم
الكاذبون استحوذ عليهم

الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم (الشيطان) لطاعتهم له فى كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم *قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحدهما (لا تجد قوما) من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الاخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لا تجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

*صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم

من ديارهم لاول الحشر (قال فيه اللام فى قوله لاول الحشر كاللام فى قوله قدمت لحياتى) قال أحمد كأنه يريد انها اللام التى تصحب التاريخ كقوله كتبت لعام كذا ولشهر كذا

الى

لى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشأم وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعنى الشأم فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم * وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله (فأتاهم) أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب ابن الاشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك (فان قلت) أى فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه (قلت) فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم * وقرئ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه * وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه * وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب (فان قلت) ما معنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين (قلت) لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا) بما دبر الله ويسر من أمر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال * يعنى أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره أنه أشق عليهم من الموت (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما فى قوله (أو تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهى أجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (فبإذن الله) فقطعها باذن الله وأمره (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين من ذلك شئ فنزلت يعنى أن الله أذن لهم فى قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون فى أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن

ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين

---

* قوله تعالى ما قطعتم من لينة (ذكر فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ما عدا العجوة والبرنى وهما خيار النخل الخ) قال أحمد والظاهر ان الاذن عام فى القطع والترك لانه جواب الشرط المضمر لهما جميعا ويكون التعليل باخزاء الفاسقين لهما جميعا وان القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها للمسلمين ينتفعون بها فهم فى حسرتين من الامرين جميعا

* قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (قال فيه هو بدل من قوله لذى القربى وما بعده والذى منع الابدال من الله
وللرسول الخ) قال أحمد مذهب أبى حنيفة ان استحقاق ذوى القربى لسهمهم من الفىء موقوف على الفقراء حتى لا يستحقه أغنياؤهم
وقد أغلظ الشافعى رضى الله عنه فيما نقله عنه امام الحرمين الرد على هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشرط
الحاجة وعدم اعتبار القرابة مضادة ومحادة واعتذر امام الحرمين لابى حنيفة بان الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم
فى خمس الفىء والغنيمة انه لا يمنع (٤٤٦) صرف ذلك اليهم امتناع صرف الصدقات ثم أتبع هذا العذر بان قال لا ينبغى ان يعبر به
فان صيغة الآية ناصة
على تعيين الاستحقاق
لهم تشريفا لهم وتنبيها
على عظم اقدارهم فمن
حمل ذلك على جواز
الصرف اليهم مع
معارضة هذا الجواز
بجواز حرمانهم فقد
عطل فحوى الآية ثم استعظم الامام وقع ذلك عليهم لانهم يذهبون الى اشتراط الايمان فى رقبة الظهار زيادة على النص المعنى
فيأتون فى اثبات ذلك بالقياس لانه يستنتج وليس من شأنه الثبوت بالقياس قال فكذلك يلزمهم ان يعتقدوا ان اشتراط الفقر فى القرابة
واشتراط الحاجة لقرب ماذكروه بغرض القرب فأما وان أصلهم المخصوصون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والثابتون
من شجرته كالعجمة فلا يبقى مع هذا المذهب وجه انتهى كلام الامام وانما أوردته ليعلم ان معارضته لابى حنيفة على ان اشتراط
الحاجة عند أبى حنيفة مستند الى قياس أو نحوه من الاسباب الخارجة عن الآية فلذلك ألزمه أن يكون زيادة على النص فأما
وقد تلقى أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تقييد هذا البدل المذكور فى الآية فانما يسلك معه فى واد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين

وما أفاء الله على رسوله
منهم فما أوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب
ولكن يسلط رسله
على من يشاء والله على
كل شئ قدير ما أفاء الله
على رسوله من أهل
القرى فلله وللرسول
ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل
كيلا يكون دولة بين
الاغنياء منكم وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا واتقوا الله
ان الله شديد العقاب
للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم
وأموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله

مسعود قطعوا منها ما كان موضع القتال (فان قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) ان كانت من الالوان
فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن
رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها
لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى
الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله
له فيأ خاصة * والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات
ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما (أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال
بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على
أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت
عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت * لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها
غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس
من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة * والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان أى
يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كيلا
يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا
يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرياسة
والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن
اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم
ما يغترف يعنى كيلا يكون الفىء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى التداول أى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ
دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا
يكون تداول له بينهم أو كيلا يكون شئ متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة
غنيمة أو فىء (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه
وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والاجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لقى رجلا محرما
وعليه ثيابه فقال له أنزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء)
بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان

لاغير وتقريره انه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم ويحمل الاغنياء على ايثارهم وأن لايجدوا فى صدورهم حاجة مما أوتوا فلما قصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم و بين مايقصد من ذكر صفاتهم بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم الى قوله شديد العقاب طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات المتتالية بعده فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الاولى مبدلة منها وهى الفقر لتشهد التطرية على فائدة الجمع لهم بين صفتى المسكنة والفقر ثم تليت صفاتهم على أثر ذلك وهى اخراجهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله ونصرهم لله ورسوله وصدقهم فى نياتهم الى آخر ذلك فهذا هو الذى يرشد (٤٤٧) اليه السياق مؤيدا بالاصل فان ذوى القربى ذكروا بصفة الاطلاق فالاصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق انهم مرادون بالتقييد وماذكرناه من صرف ذلك الى المساكين يكفى فى اقامة وزن الكلام فيبقى ذوو القربى على أصل الاطلاق وتلك قاعدة لايسع الحنفية مدافعتها فانهم يرون الاستثناء المتعقب للجمل يختص بالجملة الاخيرة لان عوده اليها يقيم وزن الكلام ويبقى ماتقدمها على الاصل ولا فرق بين التعقيب بالاستثناء والبدل وكل ماسوى هذا مع أنه لو جعل بدلا من ذوى القربى مع مابعده لم يكن ابداله من ذوى القربى الا بدل بعض من كل فان ذوى القربى منقسمون الى فقراء وأغنياء ولم يكن ابداله من المساكين الا بدلا للشئ من الشئ وهما العين واحدة فيلزم أن يكون هذا البدل محسوسا بالنوعين المذكورين فى حالة واحدة وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين وكل منهما يتقاضى ما يأباه الآخر فهذا القدر كاف ان شاء الله تعالى وعليه

أولئك هم الصادقون والذى تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون

لمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عزوجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزوجل (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم (والذين تبوؤا) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (فان قلت) مامعنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان (قلت) معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أى وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوؤ دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون فى أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أى طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعنى أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أى خلة وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت * الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد أضيف الى النفس لانه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن غلب ما أمرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه (فاولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لاخوانهم) الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين فى السر (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو فى خذلانكم واخلاف ماوعدناكم من النصرة (لكاذبون) أى فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب (فان قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الاخبار بأنهم لاينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن

أعرب الزجاج الآية بجعله بدلا من المساكين خاصة والله تعالى الموفق للصواب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد (قال فيه سمى يوم القيامة غدا تقريبا له الخ) قال أحمد وقد قيل فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا حتى قيل انه من عكس الكلام الذى يقصد به الافراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا فمعنى رب ههنا هو معنى كم وأبلغ منه قول القائل (٤٤٨) * قد اترك القرن مصفرا أنامله * الا أن الزمخشرى فر من هذا المعنى لان الواقع قلة النفوس الناظرة فى أمر المعاد فنزله على معنى يطابق الواقع ويمكن أن يلاحظ الامر فيسوغ حمله على التكثير هذا للنفوس المأمورات بالنظر فى المعاد وانه ما من نفس الا ومن حقها أن تمتثل هذا الامر وهو نظر حسن فان الفعل المسند الى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل وانما هو طلب النظر وهو عام التعلق بكل نفس والانصاف ان ما ذكره الزمخشرى أمكن وأحسن والله الموفق * قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم (قال فيه جعلهم ناسين بالخذلان) قال أحمد بل خلق فيهم النسيان

لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله

المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب المبنى للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم من الله (فان قلت) كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد ان اليهود يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما أولى بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة فى صدورهم (لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين متساندين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب فى قلوبهم وأن تأييد الله تعالى ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعنى ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لا يعقلون) ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فى زمان قريب (فان قلت) بم انتصب (قريبا) (قلت) بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة عذاب النار * مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم (كمثل الشيطان) اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برئ منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال * وقرئ أنا برئ وعاقبتهما بالرفع * كرر الامر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد * والغد يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فان قلت) ما معنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم

*هذا تنبيه للناس وايذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك و ينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعى رضى الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل وتخييل كما مر فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره * وقرئ مصدعا على الادغام (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ فى النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح و (السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة فى وصف كونه سليما من النقائص أو فى اعطائه السلامة و (المؤمن) واهب الأمن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول فى قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين و (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا أن همزته قلبت هاء و (الجبار) القاهر الذى جبر خلقه على ما أراد أى أجبره و (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده و (الخالق) المقدر لما يوجده و (البارئ) المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة و (المصور) الممثل وعن حاطب بن أبى بلتعة أنه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أى الذى يبرأ المصور أى يميز ما يصوره بتفاوت الهيآت وقرأ ابن مسعود وما فى الارض عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة وهى ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*روى أن مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالى والعشيرة وقد ذهبت الموالى تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على رضى الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وروى عزيزا فيهم أى غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه

وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم

﴿سورة الممتحنة وهى ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء

*عاد كلامه (قال وقوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وتهالكهم على الشهوات الخ)

*قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (قال فيه هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ) قال أحمد وهذا مما تقدم انكارى عليه فيه أفلا كان يتأدب بادب الآية حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل وتلك الخيالات نضربها للناس ألهمنا الله حسن الادب معه والله الموفق

وقبل عذره فقال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت * عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى أولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد (فان قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره و بأولياء صفة له و يجوز أن يكون استئنافا (فان قلت) اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هوله فأين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم أنتم بالمودة (قلت) ذلك انما اشترطوه فى الاسماء دون الافعال لو قيل أولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال ألقى اليه خراشى صدره وأفضى اليه بقشوره * والباء فى (بالمودة) اما زائدة مؤكدة للتعدى مثلها فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التى بينكم و بينهم * وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة أى تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله بسبب المودة (فان قلت) (وقد كفروا) حال مماذا (قلت) اما من لا تتخذوا واما من تلقون أى لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم و (يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا و (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أى يخرجونكم لايمانكم و (ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعنى لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه و (تسرون) استئناف ومعناه أى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان سيان فى علمى لا تفاوت بينهما * وأنا مطلع رسولى على ماتسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الاسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدرى لما جاءكم أى كفروا لاجل ماجاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم و يتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتال والشتم * وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فان قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضى (قلت) الماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن يقصد أعز شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم (ولا أولادكم) الذى توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم * ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربهم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا فخطأ رأيهم فى موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه أولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم أن ما أقدموا عليه من أى جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل و يفصل على البناء للمفعول و يفصل و يفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قرئ أسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به أى كان فيهم مذهب حسن مرضى بأن يؤتسى به و يتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ماقالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله ومادام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فأفصحوا عن محض الاخلاص ومعنى (كفرنا بكم) و بما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على شئ (فان قلت) مم استثنى قوله (الا قول ابراهيم) (قلت) من قوله أسوة حسنة لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به و يتخذونه سنة يستنون بها (فان قلت) فان كان قوله (لاستغفرن لك) مستثنى من القول الذى هو أسوة

حسنة

تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء و يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك

القول فى سورة الممتحنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

● قوله تعالى أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (قال) فيه ان قلت كيف أورد جواب الشرط مستقبلا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضى الخ

*قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن (قال معناه لا حل بين المؤمنة والمشرك اه كلامه) قال

حسنة فما بال قوله (وما أملك لك من الله من شئ) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيأ (قلت) أراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار (فان قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه فى البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم *وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة * ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به *ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عز وجل منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمنى للسبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبى سفيان واسترخت شكيمته فى العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن أبى جحش الى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه و (عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم *وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم فى صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل أرادبهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافى ذلك أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات (ولا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن

وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح

أحمد هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع لانه تعالى قال لاهن حل لهم والضمير الاول للمؤمنات والثانى للكفار والمراد به يحرمن على الكفار لان قوله متفق على أن المراد به تحريم الكفار على المؤمنات فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبا

بالحرمة ولما كان المذهب المعزى الى أصحاب أبي حنيفة ان الكفار غير المخاطبين سلك الزمخشري بتفسير الآية ما يوافق ذلك فحملها على أن المراد نفي الحل بين المؤمنة والكافر على الاجمال حتى لا يتمحض نسبة الحرمة الى الكافر وهذا لامتخلص فيه فان الحل المنفي بين المؤمنة والكافر الى الحرمة لا بد وان يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما اذ هو حكم فان تعلق بفعل كل واحد منهما أعني التمكين من المرأة والفعل من الرجل تحقق خطاب الكافر ٤٥٢ بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل يأباه نظم الآية فانه نفى الحل من الجهتين جميعا ولو كان كذلك لكفى قوله ولاهم يحلون لهن والتحقيق الممتحن على قواعد الاصول هو ما نذكره ان شاء الله تعالى فنقول كل من

عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين

من أتاكم من أهل مكة رد اليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر (فان قلت) كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن (قلت) ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فان قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل لكم الا ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وأن ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن أجورهن أي مهورهن لان المهر أجر البضع ولا يخلو اما أن يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى أزواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم أدائه واما أن يراد أن ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر وأنه لا بد من اصداق وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن (واسئلوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات * وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أي ولا تتمسكوا (ذلكم حكم الله) يعني جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة روي أنها لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ) من أزواجكم أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود أحد (فان قلت) هل لايقاع شئ في هذا الموقع فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لا يغادر شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه (فعاقبتم) من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء

فعلى المؤمنة والكافر ينفي عنه الحل بالتفسير اللائق فأما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك في تعلق الحرمة للشرع باعتبار أنها مخاطبة بان لا يحصل في الوجود على وجه لو حصل لكانت متوعدة على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلا فنفي حله باعتبار ان الشرع قصد الى أن لا يحصل الوطء لما يشتمل عليه من المفسدة وللشرع قصد في أن لا يقع المفاسد وليس الكافر موردا للخطاب ولكن الائمة مثلا أو من يقوم مقامهم مخاطبون بان يمنعوا الكافر كي لا يقع هذا الفعل المنطوي على المفسدة في نظر الشرع فكلا الفعلين اذا من جانب المرأة والرجل غرض في أن لا يقع لكن مورد الخطاب المنطوي على السلامة من المفسدة في حق المرأة هي وفي حق الكافر الائمة مثلا ان ويتفق المختلفون فيه في خطاب الكفار على ان للشرع غرضا في أن لا تحصل المفاسد في الوجود ألا ترى ان الكافر اذا جهر بالفساد بين المسلمين

مهور

مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم فى العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القرآآت فكانت العقبى لكم أى فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت أبى أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نصلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولا يقتلن أولادهن) وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك فى معروف) فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف (فان قلت) لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف (قلت) نبه بذلك على أن طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب رضى الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فما أدرى أتحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أوتزنى الحرة وفى رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه * روى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

يتفق على وجوب ردعه عن ذلك ومنعه عنه وماذاك الا لما فهم عن الشرع من طلب سلامة الوجود عن المفاسد ومورد الخطاب بردع الكافر كى لا يجهر بالفساد بهم الائمة والله الموفق * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (قال فيه كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من أثمارهم فنزلت هذه الآية

ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

والمراد بالكفار المشركون الخ) قال أحمد قد كان الزمخشرى ذكر فى قوله وما يستوى البحران الى قوله ومن كل تأكلون لحما طريا ان آخر الآية استطراد وهو فن من فنون البيان مبوب عليه عند أهله وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جدا فانه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء فى الاستطراد أحسن ولا أمكن منه ومما صدروا هذا الفن به قوله اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرم وقوله ان كنت كاذبة التى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام

وقوله ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام ﴿القول فى سورة الصف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قال فيه هذا من أفصح الكلام وأبلغه فى معناه قصد الى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الامر الخ) قال أحمد وزائد على هذه الوجوه الاربعة وجه خامس وهو تكراره لقوله ما لا تفعلون وهو لفظ واحد فى كلام واحد ومن فوائد التكرار التهويل والاعظام والا فقد كان الكلام مستقلا لو قيل كبر مقتا عند الله ذلك فما اعادته الا لمكان ٤٥٤ هذه الفائدة الثانية والله أعلم * قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (قال فيه ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل الخ) قال أحمد صدق والاول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فالنهى العام ورد أولا والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرما معينا لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدا (وقد

وفائدة مثل هذا النظم النهى عن الشئ الواحد مرتين مندرجا فى العموم ومفردا بالخصوص وهو أولى من النهى عنه على الخصوص مرتين فان ذلك معدود فى حيز التكرار وهذا يتكرر مع ما فى التعميم من التعظيم والتهويل والله أعلم * عاد كلامه (قال فى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص حالان متداخلان) قال أحمد يريد ان معنى الاولى مشتمل على معنى الثانية لان التراص هيئة للاصطفاف والله أعلم

﴿سورة الصف مكية وهى أربع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى

﴿سورة الصف مكية وهى أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم) هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد روى أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد فى سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبى عليه السلام أنك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت فى المنتحل وعن الحسن نزلت فى المنافقين * ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه فى معناه * قصد فى (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله وأسند الى أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و (عند الله) أبلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله * فى قوله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات فى قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن على يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون (صفا) صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم) فى تراصهم من غير فرجة ولا خلل (بنيان) رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلان (واذ) منصوب باضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا (تؤذوننى) كانوا يؤذونه بأنواع الاذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه

قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون الآية (قال فيه بين انهم على عكس الصواب حيث قال تؤذوننى عالمين الخ) قال أحمد أهل العربية تقول ان قد تصحب الماضي لتقريبه من الحال ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة وتشتمل المصاحبة للماضى أيضا على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه قد فعل جواب لما يفعل وقال الخليل هذا الخبر لقوم ينتظرونه وأما مع المضارع فانها تفيد التقليل مثل ربما كقولهم ان الكذوب قد يصدق فاذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت فى الآية على مضارع فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذى يقصدون به الافراط فيما ينعكس عنه ويكون قد فى هذا المعنى نظيرة ربما فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فانها فى هذا الموضع أبلغ من كم فى التكثير فلما أوردت ربما فى التكثير على عكس معناه الاصلى فى التقليل فكذلك ايراد قد ههنا التكثير علمهم أى تحقيق تأكيده على عكس معناها الاصلى فى تقليل الاصل وعليه ٤٥٥ * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وانما مدح نفسه بكثرة هذا

وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم

(وقد تعلمون) فى موضع الحال أى تؤذوننى عالمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمى وتوقيرى لا أن تؤذونى وتستهينوا بى لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه فى تعظيم رسوله ولان من أذاه كان وعيد الله لاحقا به (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لايهدى القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لانهم ليسوا من أهل اللطف (فان قلت) مامعنى قد فى قوله وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لاشبهة لكم فيه * قيل انما قال يابنى اسرائيل ولم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ماتقدمنى (من التوراة) وفى حال تبشيرى (برسول يأتى من بعدى) يعنى أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدى بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (فان قلت) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما فى الرسول من معنى الارسال أم باليكم (قلت) بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيأ لان حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل * وقرئ هذا ساحر مبين * وأى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه * وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل * أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء فى سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة فى قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام فى لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة فى لا أباك واطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة (ودين الحق) الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن فى الارض الا دين الاسلام * وقرئ أرسل نبيه (تنجيكم) قرئ مخففا ومثقلا و (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر فى معنى

الفعل منه عكس ديدنه الاصلى ولا يقال ان حملها فى الآية على التكثير متعذر لان العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل لانا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية فى نوعه بما يعبر به عن التكثير وهو تعبير صحيح ألا ترى ان قوله ربما يود الذين كفروا وهو من هذا القبيل فان المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لاغير والله الموفق (قال الزمخشرى وانما قال يابنى اسرائيل ولم يقل ياقوم لانه لم يكن له صلوات الله على نبينا وعليه نسب فيهم) قال أحمد وهذا نظير قوله تعالى اذ قال لهم شعيب لان شعيبا لم يكن من قوم من أرسل اليهم * عاد كلامه قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم (قال فيه) مثلت حالهم بحالة من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه * قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله الى قوله يغفر لكم (قال فيه قوله) تؤمنون استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الاول قيل كيف نفعل فقيل تؤمنون الخ) قال أحمد انما وجه اعراب الفراء بما ذكر لانه لو جعله جوابا لقوله

الامر ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فان قلت) لم جيء به على لفظ الخبر (قلت) للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فان قلت) هل لقول الفراء انه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم (فان قلت) فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على اضمار لام الامر كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعني ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم تعلمون) (قلت) معناه ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل (فان قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لانه في معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك (فان قلت) لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا وقرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث على النصرة عليهم (فان قلت) ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصاري الى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله (فان قلت) ما معنى قوله من أنصاري الى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة أنصاري خلاف اضافة أنصار الله فان معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من

قرأ

ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

هل أدلكم فانكم ان أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته اياهم على الخير وليس كذلك انما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة فلذلك أول هل أدلكم على تجارة بتأويل هل تتجرون بالايمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الايمان والجهاد لا على الدلالة وهذا التأويل غير محتاج اليه فان حاصل الكلام اذا صار الى هل أدلكم أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة فانه رتب فعل الصلاة على الامر بها حتى كأنه قال فانك ان تقل لهم أقيموا يقيموها * وللقائل أن يقول قد قيل لبعضهم أقم الصلاة فتركها فالجواب عنه ان الامر الموجه على المؤمن الراسخ في الايمان لما كان مظنة لحصول الامتثال جعل كالمحقق وقوعه مرتبا عليه وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم وامتثالهم سببا في المغفرة محققا عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة

والله أعلم * قوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (قال فيه معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم الخ) قال أحمد كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لان علمهم لذلك محقق اذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر انه من وادي قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين والمقصود بهذا الشرط التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والهاب الحمية للطاعة كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه ان كنت حرا فانتصر تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير والله أعلم * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين (قال ان قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصار الخ) قال أحمد كلام حسن وتمام على الذي أحسن أن يميز بين الاضافتين المذكورتين بأن الاولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها والله الموفق

قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخاصانه من الحور وهو البياض الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتى وحوارىّ من أمتى وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحوارى فى زنته الحوالى الكثير الحيل (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت) به (طائفة فأيدنا) مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن على كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد * الامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار ومعنى (بعث فى الاميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا فى قوم أميين كما جاء فى حديث شعياء انى أبعث أعمى فى عميان وأميا فى أميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ فى الامين بحذف ياءى النسب (يتلوا عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمى بغير تعلم آية بينة (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة * وان فى (وان كانوا) هى المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين) مجرور عطف على الاميين يعنى أنه بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب فى ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته * شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أى كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها * ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أى حملوها ثم لم يحملوها فى الحقيقة لفقد العمل * وقرئ يحمل الاسفار (فان قلت) يحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * هاد يهود اذا تهود (أولياء لله) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التى أعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا) بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهى احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا * ولا فرق بين لا ولن فى أن كل واحدة منهما

فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا

(القول فى سورة الجمعة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا (قال فيه اما أن يكون قوله يحمل حالا كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى) * قلت يريد ان المراد فيهما الجنس فتعريفه وتنكيره سواء

نفى للمستقبل الآن فى ان تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم (ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن على رضى الله عنه انه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهى ظاهرة وأما التى بالفاء فلتضمن الذى معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذى تفرون منه كلاما برأسه فى قراءة زيد أى ان الموت هو الشئ الذى تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم * يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة فى عسرة وقرئ بهن جميعا (فان قلت) من فى قوله (من يوم الجمعة) ماهى (قلت) هى بيان لاذا وتفسير له * والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثانى فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود فى ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبى حنيفة رضى الله عنه الا فى مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا فى مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع الى الولاة الفىء والصدقات والحدود والجمعات فان أم رجل بغير اذن الامام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهى تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعى باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند أبى حنيفة ولا على الشيخ الذى لا يمشى الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر

بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة

*قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع (قال استدل بذلك على مذهب أبى حنيفة رحمه الله الخ) قال أحمد لا دليل فان العرب تسمى الشئ باسم بعض ما يشتمل عليه كما سميت الصلاة مرة قرآنا ومرة سجودا ومرة ركوعا لانها مشتملة على ذلك فكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه لا سيما والمسمى خطبة عند العرب لا بد وان يزيد على القدر الذى اكتفى به أبو حنيفة قال بعض أصحاب مالك رحمه الله أقلها حمد الله والصلاة على نبيه وتحذير وتبشير وقرآن (ثم اتبع الزمخشرى) الاستدلال على مذهب أبى حنيفة بالآية بأثر عن عثمان وهو انه صعد المنبر فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد انتهى كلامه) قال أحمد أسابلا اشتباه فان عثمان لم يصدر ذلك منه فى خطبة الجمعة وانما كان ذلك فى ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة وكانت عادة العرب الخطب فى المهمات ألا ترى الى قوله وستأتيكم بعد ذلك الخطب فان ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة ولو كان فى الجمعة لكان تاركا للخطبة بالكلية وهى منقولة فى التاريخ انه أرتج عليه فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب * عاد كلامه (قال ان قلت كيف فسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين الخ) قال أحمد الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم فقيل له أتدعو له وهو ظالم فقال اى والله أدعو له ان ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله لا سيما اذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه والله الموفق

فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا

رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى وقيل المراد بالسعى القصد دون العدو والسعى التصرف فى كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعى وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعى على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله فى موطئه أن ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فأسرع المشى قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (الى ذكر الله) الى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعى لا بد من كلام يسمى خطبة (فان قلت) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالى فى ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام * أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذى نفعه يسير وربحه مقارب (فان قلت) فاذا كان البيع فى هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة فى الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد * ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وأن لا يلهيهم شئ من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم فى جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفصلون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشئ من أمور الدنيا نظرا فى هذه الآية * روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا أن يسبقوا اليه فما بقى معه الا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل

﴿القول في سورة المنافقين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (قال انما كذبهم لانهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطئ لقلوبهم الخ) قال أحمد ومثل هذا من غطه المليح قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد كان المطابق لقوله ولكن قولوا أسلمنا أن يقال لهم لا تقولوا آمنا ولكنه لما كان موهما للنهي عن قول الايمان عدل عنه على مافيه من الطباق الى ماسلم الكلام فيه من الوهم وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة لاسيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ألا تراهم كيف غالطوا انفسهم متغابين وليسوا على ضعفهم متجاهلين (٤٦٠) عندما أنزل قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم * عاد كلامه (قال استدلال لابي حنيفة على ان قول القائل أشهد يمين بقوله اتخذوا أيمانهم جنة ولم يصدر منهم الا قولهم نشهد انك لرسول الله يجعله يمينا) قال أحمد أحد القولين عند مالك رحمه الله اذا قال أشهد وأحلف وأقسم (قلت) ولم ينو بالله ولا بغيره كما نقل عن أبي حنيفة انه يمين وليس بالمشهور اما لو نوى بالله وان لم يتلفظ فيمين بلا اشكال وليس فيما ذكره دليل على ماذكره فان قوله اتخذوا أيمانهم جنة غايته ان ماذكره يسمى يمينا وليس الخلاف في تسميته يمينا وانما الخلاف هل يكون يمينا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا وليس كل مايسمى حلفا أو قسما يوجب حكما ألا ترى انه لو قال أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره فهو من محل الخلاف في وجوب الكفارة به وان كان حلفا لغة باتفاق لانه فعل مشتق منه * عاد كلامه قوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا (قال فيه المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم الخ) قال أحمد ويحتمل وجها رابعا وهو انهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة لانهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة ولعل في المنافقين يهودا وان لم يكن فقد كان الايمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الاوثان من العرب الى نزول قوله لم يكن الذين

انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

﴿سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير (فان قلت) فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) ان بقي وحده أو مع أقل من ثلاث فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبروهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت (فان قلت) كيف قال (اليها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أرادوا بقولهم (نشهد انك لرسول الله) شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة أو أراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه (فان قلت) أي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن البصري ايمانهم أي ماأظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (ب) سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أو الى ماوصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فجسروا على كل عظيمة (فان قلت) المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا

(قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أى وظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثانى آمنوا أى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله تعالى انما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم * وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن على فطبع الله * كان عبد الله بن أبى رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم (فان قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا فى استنادهم وما هم الا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها فى حسن صورهم وقلة جدواهم * والخطاب فى رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب * وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له * وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهى فى قراءة ابن عباس وعن اليزيدى أنه قال فى خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثانى مفعولى يحسبون أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما فى قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الاخطل

ما زلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أى الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير (فان قلت) فحقه أن يقال هى العدو (قلت) منظور فيه الى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من

كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة كيف حكى الله تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه والبينة النبى صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى كأنهم خشب مسندة (قال فيه كانوا يجالسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستندون فى المجالس ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن الخ) قال أحمد وفيما قال اليزيدى نظر من حيث مقتضى العربية والا فهو متمكن المعنى وذلك انها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين ففيه دليل ان أصلها الضم والسكون انما هو طارئ عليه تخفيفا وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء لان قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر ولا يطرأ الضم فلو كان كما قال لم تضم شينها والله تعالى أعلم * قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو (قال المفعول الثانى عليهم تقديره واقعة عليهم الخ) قال أحمد وغلا المتنبى فى المعنى فقال وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا عاد كلامه (قال) ويوقف على قوله عليهم ويبتدأ هم العدو أى الاعداء الكاملون الخ

كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون

المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق
يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال فكيف
اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى
قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة
فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى أن
رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت
لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد
عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم
شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده
حتى أمره رسول الله بتخليته وروى أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل
أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن
رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت
فما بقى الا أن أسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى
ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لان الله لا يغفر لهم
* وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت اشباعا
لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما فى آلسحر وآلله (ينفضوا) يتفرقوا وقرئ
ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم (ولله خزائن السموات
والارض) وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله
وأضرابه جاهلون (لا يفقهون) ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان * وقرئ ليخرجن الأعز منها الاذل بفتح
الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبى عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه
خروج الاذل أو اخراج الاذل أو مثل الاذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن
المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض
الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن
الحسن بن على رضى الله عنهما أن رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا
هذه الآية (لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء
فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم
عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم فى حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة
الاموال والاولاد وأنه أهون شئ وأدونه فى جنب ما عند الله (عن ذكر الله) وايثاره عليها (ومن يفعل ذلك)
يريد الشغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى
وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن
الكلبى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * من فى (مما رزقناكم) للتبعيض والمراد الانفاق الواجب
(من قبل أن يأتى أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به
الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه
وعن ابن عباس رضى الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه
ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكى واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة
فلا يعطاها وعنه أنها نزلت فى مانعى الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقى الله يسأل

سواء عليهم استغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم ان الله
لا يهدى القوم الفاسقين
هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا
ولله خزائن السموات
والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون
يقولون لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون
يا أيها الذين آمنوا
لا تلهكم أموالكم ولا
أولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك
فأولئك هم الخاسرون
وانفقوا مما رزقناكم
من قبل أن يأتى أحدكم
الموت فيقول رب

﴿القول في سورة التغابن﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (قال فيه معناه فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان الخ) قال أحمد لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء واقتحم وعرا السالك فيه هالك والعابر فيه عاثر وانما ينصب الى مهاوى الاراك ويحوم حول مراتع الاشراك ويبحث ولكن على حتفه بظلفه ويحذق وماهو الا يتشدق ويحقق وماهو الا يتعسق وهب انه أعرض عن الادلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على ان الله تعالى خالق كل شئ واطرد له فى الشاهد مادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد قد الجأ الى الاعتراف بان الله خالق العبد الفاعل للقبيح وان خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة اعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر وانا هذا قبيح شاهدا ولا يلزم أن يكون مثله قبيحا فى خلق الله تعالى أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فايؤمنه من دعوى ان أفعال العبد وان استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى وفى خلقها حكمة استأثر الله بعلمها وهل الفرق اذا الا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا دون تمكنه من اتباع

المؤمنون الكرة قال نعم أنا اقرأ عليكم به قرآنا يعنى أنها نزلت فى المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن مامن أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت فى أهل القبلة (لولا أخرتنى) * وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبى فأتصدق على الاصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفى للتأخير على وجه التأكيد الذى معناه منافاة المنفى الحكمة والمعنى أنكم اذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لاسبيل اليه وأنه هاجم لامحالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجازيكم عليها من منع واجب وغيره لم تبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿سورة التغابن مختلف فيها وهى ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يعنى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أى عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فان قلت) نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق فى علم الحكيم أنه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخالق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق فى فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح فى حسنه كما لا يقدح فى حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعى الحكمة الى خلقها (بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا * واليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه (فان قلت) كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف مايرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل فى أحسن تقويم (فان قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج تقتحمه العيون (قلت) لاسماجة ثم ولكن

لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

﴿سورة التغابن وهى ثمانى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم

هذه القواعد ان يمكن من القتاد اخترط ومن الجمل ان يلج فى سم الخياط * قوله تعالى واستغنى الله (قال فيه أطلقه ليتناول كل شئ
ثم قال فان قلت كان التولى فيهم الخ) قال أحمد انما الحق انه لم يخلق لهم ايمانا ولا قدرة عليه فكان قادرا ان يخلق
لهم الايمان والقدرة عليه وانما حرفها الزمخشرى الى قاعدته

بذات الصدور ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون

الحسن كثيرة من المعانى على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفى عليها لا تستملح والا فهى داخلة فى حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى فى مراتب الحسن منها فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان * نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخالق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة و (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (فان قلت) قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (قلت) معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى المفعولين تعدى العلم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا * وأن مع ما فى حيزه قائم مقامهما * والذين كفروا أهل مكة و (بلى) اثبات لما بعد لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أى لا يصرفه عنه صارف * وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون (فان قلت) بم انتصب الظرف (قلت) بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون * التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وان جلت وعظمت (صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (الا باذن الله) الا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك (يهد قلبه) حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر * وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أى يهد فى قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى ان كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتدى ويهدأ قلبه يطمئن ويهدو ويهدا على التخفيف (والله بكل شئ عليم) يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه (فان توليتم) فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه * ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد أولادا

يعادون

يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعى ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى الى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فأخذهما ووضعهما فى حجره على المنبر فقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ فى خطبته وقيل اذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما (ما استطعتم) جهدكم ووسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا * وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسىء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

(سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة آية)

﴿سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

* خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى (اذا طلقتم النساء) اذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله

﴿القول فى سورة الطلاق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قال فيه خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب الخ) قال أحمد وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى فافرد موسى عليه السلام بالنداء لانه كان أجل الاثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب وقد تقدم فيه وجه آخر عاد كلامه (قال ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن الخ) قال أحمد حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على

ان وقت الطلاق هو الوقت الذى تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وادعى ان ذلك معنى المستقبل فيها ونظر اللام فيها باللام فى قولك مؤرخا الليلة لليلة بقيت من المحرم وانما

يعنى ان العدة بالحيض كل ذلك تحامل لمذهب أبى حنيفة فى ان الاقراء الحيض ولا يتم له ذلك فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة وأكدوا الدلالة بالشاذة على ان الاقراء الاطهار ووجه الاستدلال لها على ذلك ان الله تعالى جعل العدة وان كانت فى الاصل مصدرا ظرفا للطلاق المأمور به وكثيرا ما تستعمل العرب المصادر ظرفا مثل خفوق النجم ومقدم الحاج واذا كانت العدة ظرفا للطلاق المأمور به وزمانه هو الطهر وفاقا فالطهر عدة اذا ونظير اللام هنا على التحقيق اللام فى قوله يا ليتنى قدمت

لحياتي واغماتمنى ان لو عمل عملا في حياته وقراءته عليه السلام في قبل عدتهن تحقق ذلك * فان قيل الشئ جزء منه وداخل فيه وفي صفة مسح الرأس فاقبل بهما وأدبر أي مسح قبل الرأس وهو مقدمها فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر * عادكلامه (قال والمراد أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه الى آخره) قال أحمد الامر كما نقله وضابط السنة عند مالك ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه واحدة وهي غير معتدة والآية تدل لمذهبه على تأويل المتقدمين جميعا أما على تأويل الزمخشري وتفسيره المقيد بالاستقبال فلان الطلاق المأمور به أي المأذون فيه في الآية مغدوق بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وهذا يأبى وقوع

وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

الطلاق في أثناء العدة الماضي بعضها وأما على تأويلنا فلأنه مغدوق بزمان يكون أولا للعدة وقبلا لها وهذا يأبى من وقوعه مرادفا في الطهر الثاني والثالث غير ان البدعة عند مالك تتفاوت فلا جرم قال ان طلقها في الحيض أجبر على الرجعة فان أبى ارتجع عليه الحاكم وان طلقها في طهر مسها فيه أو أردف الطلاق لم يجبره * قوله تعالى وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة السكنى قال فيه معناه أكملوا العدة أقراء ثلاثة مستوفاة) قال أحمد وقوله واتقوا الله ربكم توطئة لقوله لا تخرجوهن من بيوتهن حتى كأنه نهى عن الاخراج مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وقد تقدمت أمثاله

صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا أزواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضي الله عنه لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما مفرقا في الاطهار فلا لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قلت) كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت (فان قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فان قلت) قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (قلت) لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن (ولا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى (فان قلت) ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن (قلت) معنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في

* قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره (قال فيه قوله بالغ أمره بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه الخ) قال أحمد ليس بعسل فلا يرجى ابراء القدرى وأين التسليم للقدر وليس هذا دينه ولا معتقده من تقسيم الحوادث ثلاثة أقسام فنها ما يريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثر مراده منها ومنها ما يريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده ومنها ما لا يريد عدمه ولا وجوده فان وجد فبغير ارادته عز وجل وان عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذى لا يتصور ان الكائنات انما تتبع ارادة الخالق لانها لا تقع الا بها فان وافقت ارادة الله تعالى فليس وقوعها تابعا لها الا انها وقعت بدونها وان خالفت ارادة الله تعالى لم يكن لمخالفتها للارادة الربانية تأثير فى منع وقوعها فمن يتوغل فى أذغال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذى يتوقف على اعتقاد ان الكائنات جميعها انما تتوقف على ارادة الله عز وجل فهما أراده وقع ومهما لم يرده لم يقع شاء العبد أو أبى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والعبد مجرى لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وارادته لا غير لا راد لامره ولا معقب لحكمه فما القدرى من هذا المقام الشريف الا على مراحل لا يقربه اليها الا راحلة

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن

السكنى وقيل الا أن يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبى "الا أن يفحشن عليكم" وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه * الامر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وقيل فائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم فى امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم * أى (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به * ومن يتق الله) يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم فى عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعنى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن عوف بن مالك الاشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ أمره) أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالاضافة وبالغ أمره بالرفع أى نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبر ان وبالغا حال (قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل * روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لا يحضن فنزلت فمعنى (ان ارتبتم) ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق فى أولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن

الانصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق والله حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم الى قوله وان كن أولات حمل الآية (قال أحمد) لا يخفى على المتأمل لهذه الآي أن المبتوتة غير الحامل لا نفقة لها لان الآي سيقت لبيان الواجب فأوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ولم يوجب سواها ثم استثنى الحوامل فخصهن بايجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن وليس بعد هذا البيان بيان والقول (٤٦٨) بعد ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملا أو غير حامل لا يخفى منافرته لنظم الآية والزمخشري نصر مذهب أبي حنيفة فقال فائدة تخصيص الحوامل بالذكر ان الحمل ربما طال أمده فيتوهم متوهم ان النفقة لا تجب بطوله فخصت بالذكر تنبيها على قطع هذا الوهم وغرض الزمخشري بذلك أن يحمل التخصيص على هذه الفائدة كيلا يكون له مفهوم في اسقاط النفقة لغير الحوامل لان أبا حنيفة يسوي بين الجميع في وجوب النفقة * عاد كلامه

(قال وفي قوله وان تعاسرتم فسترضع له أخرى معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة الخ) قال أحمد وخص الام بالمعاتبة لان المبذول من جهتها هو لبنها الولد وهو غير متمول ولا مضنون به في العرف وخصوصا في الام على الولد ولا كذلك المبذول من جهة الاب فانه المال المضنون به عادة فالام اذا أجدى باللوم وأحق بالعتب والله أعلم

وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى

وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي (يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم (أسكنوهن) وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن (فان قلت) من في (من حيث سكنتم) ما هي (قلت) هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه (فان قلت) فقوله (من وجدكم) (قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو أن يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها الى أن تفتدي منه (فان قلت) فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) (قلت) فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان قلت) فما تقول في الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها (فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي * الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها

غيرك

* قوله تعالى قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا (ذكر فيه ستة أوجه ابدال الرسول من الذكر لان انزاله فى معنى انزال الذكر الخ) قال أحمد وعلى هذين الوجهين الاخيرين يكون مفعولا اما بالفعل المحذوف أو بالمصدر وعلى الاربعة المتقدمة بدلا والله سبحانه وتعالى أعلم

غيرك تريدان تبقى غيره قضية وأنت ملوم. وقوله له أى للاب أى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أى شرعنا ذلك لينفق * وقرأ ابن أبى عبلة قدر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولى الالباب) من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر فصح ابداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أى ملكا مذكورا فى السموات وفى الامم كلها أو دل قوله أنزل الله اليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا فى رسولا اعمال المصدر فى المفاعيل أى أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول * أنزله (ليخرج الذين آمنوا) بعد انزاله أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر * وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما فى القرآن آية تدل على أن الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبى عليه السلام وهى ثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا

لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما

﴿سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أزواجك (نقل فى سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى الخ) قال أحمد ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقوّل وافتراء والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل وكلاهما محظور

لا يصدر من المتسمين بسمة الايمان وان صدر سلب المؤمن حكم الايمان واسمه الثانى الامتناع مما أحله عز وجل وحمل التحريم بمجرده
صحيح لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل أى منعنا الا غير وقد يكون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف وحلال محض
ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحال بلا اشكال فاذا علمت بون ما بين القسمين فعلى القسم الثانى
تنزل الآية والتفسير الصحيح (٤٧٠) يعضده فان النبى صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا قرب مارية ولما نزلت الآية كفر عن يمينه
ويدل عليه قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقال مالك فى المدونة عن زيد بن أسلم انما كفر النبى صلى الله عليه وسلم فى تحريمه أم ولده لانه حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبى وهذا المقدار مباح ليس فى ارتكابه جناح وانما قيل له لم تحرم ما أحل
الله لك رفقا به وشفقة عليه وتنويها لقدره ولمنصبه صلى الله عليه وسلم ان يراعى مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن ان يحرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجله خلقوا ليظهر الله كمال نبوته بظهور
نقصانهم عنه والزمخشرى قطعا لم يحمل التحريم على هذا الوجه لانه جعله زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الاول ومعاذ الله مارية
وحاش لله وان آحاد المؤمنين يحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله له فكيف لا يربأ بمنصب النبى عليه السلام عما يرتفع عنه منصب
عامة الامة وما هذه من الزمخشرى الا جراءة على الله ورسوله واطلاق القول من غير تحرير وابراز الرأى الفاسد بلا تخمير نعوذ بالله من
ذلك وهو المسؤل أن يجعل وسيلتنا اليه تعظيم نبينا صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ويقيلنا من عثرات اللسان آمين

يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا

متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه (لم تحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغى) اما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله لان الله عز وجل انما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن فى يمينك اذا أطلقتها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثانى قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذى الرمة قليلا كتحليل الألى (فان قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا فى كل شئ ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين فى القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال على حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة فى النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعى عنده وعن أبى بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن على رضى الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيأ ويقول ما أبالى أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبى قال ليس بشئ محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لاحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام على وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أى منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين (فان قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لانفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذى أسر اليها حديث

مارية وامامة الشيخين (نبأت به) أفشته الى عائشة وقرئ أنبأت به (وأظهره) واطلع النبي عليه السلام (عليه) على الحديث أى على افشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبى صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أى جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ماصنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم وهو كثير فى القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها (فان قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة فى وجود الانباء به وافشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة ألا ترى أنه لما كان المقصود فى قوله (فلما أنبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر المنبأ كيف أتى بضميره (ان تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ماسألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وان تظاهرا) وان تعاونا (عليه) بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أى وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين يعنى كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فان قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت فى السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء فى المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (فان قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا * قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (سائحات) صائمات وقرئ سيحات وهى أبلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد مايطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن فى هذه الامة سياحة الا الهجرة (فان قلت) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك فى قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (فان قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار (قلت) لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن فى

فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا

قوله تعالى فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (قال فيه ان قلت هلا (471) قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه وأجاب بأنه ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف الخ * قوله تعالى ان تتوبا الى الله قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (قال فيه جاء على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما الخ * قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية (قال فيه ان قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف الخ) قال أحمد وقد ذكر لى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله ان القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو فى الآية هى الواو التى سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية لانها ذكرت مع الصفة الثامنة فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة أحدها التى فى الصفة الثامنة من قوله التائبون

العابدون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية فى قوله وثامنهم كلبهم والثالثة فى قوله وفتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب
ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه الى أن ذكره يوما بحضيرة أبى الجود النحوى المقرى فبين له أنه واهم فى عدها من ذلك القبيل
وأحال البيان على المعنى الذى ذكره (٤٧٢) الزمخشرى من دعاء الضرورة الى الاتيان بها ههنا لامتناع اجتماع الصنفين فى موصوف
واحد وواو الثمانية ان ثبتت فانما ترد بحيث لا حاجة اليها الا للاشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة فأنصفه الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود * عاد كلامه (قال فى قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قرئ وأهلوكم) قال أحمد

سائر الصفات فلم يكن بد من الواو (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه فى الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل (فان قلت) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم (قلت) لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضى الله عنه هى حجارة الكبريت وهى أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أى ذوو قودها (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى أجرامهم غلظة وشدة أى جفاء وقوة أو فى أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل أى لا يعصون ما أمر الله أى أمره كقوله تعالى أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (فان قلت) أليست الجملتان فى معنى واحد (قلت) لا فان معنى الاولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (فان قلت) قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحى بهذا بعينه فى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين (قلت) الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقى من الارتداد والندم على الدخول فى الاسلام وأن يكونوا خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازى والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون فى قبيح من القبائح الى أن يعود اللبن فى الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن على رضى الله تعالى عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدى لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده كأنه قال قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة (ثم قال فان قلت قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان فى معنى واحد وأجاب بأن معنى الاولى انهم يلتزمون الاوامر ولا يأبونها الخ) قال أحمد جوابه الاول مفرع على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد خلود الفساق فى جهنم ولعله انما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس عما فى نفسه مما لا يطيق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه والا فالسؤال غير وارد فانه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن يناله على الايمان كقوله فى آل عمران خطابا للمؤمنين واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن على توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم) اطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثانى أن يجىء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذى يدل على المعنى الاول وأنه فى معنى البت قراءة ابن أبى عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب لكم تكفير سيآتكم ويدخلكم (يوم لا يخزى الله) نصب بيدخلكم ولا يخزى تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون تمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فان قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتى آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب (قلت) أما الاشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين الامن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالاحتجاج * واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين لاقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء أسرارهم * مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الاجانب وأبعد وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط * ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما فى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه فى التغليظ قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين واشارة الى أن من حقهما أن تكونا فى الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لان امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره (فان قلت) ما فائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح فى الانسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذى يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى

* عاد كلامه فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا الآية (قال فيه) مثل الله حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم أغلظ عقاب وأشده من غير ابقاء الخ

* قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه (قال فيه يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التي أنزلها الله تعالى على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها الخ) قال أحمد هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم فلا جرم ان كلامه

عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وأن ماسواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده (فان قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مابغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن أبي هريرة أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة أريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة (فان قلت) مامعنى الجمع بين عندك وفي الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن (وصدقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (فان قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل (فان قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وأما ماروي أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وأبى الله الا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

لا يعدو الاشعار بان كلمات الله متناهية لانه في الوجه الاول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها وفي الثاني حصرها بقوله جميع وأين وصفها بالقصر والحصر من الآيتين التوأمتين اللتين احداهما قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي والاخرى قوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية

من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

وما هو في الحقيقة الا غير مؤمن بكلمات الله تعالى فالحق ان كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية فهكذا آمنت امرأة فرعون المتلو ثناؤها في كتاب الله العزيز ثبتنا الله على الايمان ووقانا الخذلان والله المستعان * عاد كلامه

(قال) وامرأة فرعون اسمها آسية بنت مزاحم وما نقل في الحديث ان عائشة قالت يارسول الله لم سمى الله المؤمنة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها الخ

(سورة

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه * والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وهو الذى يصح منه أن يعلم ويقدر * والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم (فان قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فان قلت) أتسمى هذا تعليقا (قلت) لا انما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أى من اختلاف واضطراب فى الخلقة ولا تناقض انما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف (فان قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هى صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع * وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا (ينقلب اليك) أى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بمطلبك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور أى بالبعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد (فان قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

﴿القول سورة الملك﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هو الذى خلق الموت والحياة (قال أى ما يوجب كون الشئ حيا أو ما يصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك الخ) قال أحمد أخطأ فى تفسير الموت دينه المعروف ان يفسر ويتبع التفسير آراء القدرية ومنها قطع الله ذكرها ان الموت عدم وهو خطأ صراح ومعتقد أهل السنة انه أمر وجودى يضاد الحياة وكيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا حادثا وعدم الحوادث مقرر أزلا للزم قطع الحوادث أزلا وذلك اشنع من القول بقدم العالم فانظر الى هذا الهوى أين مؤداه وكيف أهوى بصاحبه فأرداه نعوذ بالله من الزلل والخطل * عاد كلامه قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (قال فيه أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى وأجاب بأن معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملا لان البلوى تتضمن العلم الخ) قال أحمد التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والاصح ما أجازه وهو فى هذا الفن يمشى وفيه يدرج ويدرى كيف يدخل فيه ويخرج

* قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (قال فيه لم خص الكرتين فاجاب بان معنى التثنية ههنا التكثير الخ) قال أحمد وفى قوله ينقلب اليك البصر وضع للظاهر موضع المضمر وفيه من الفائدة التنبيه على أن الذى يرجع خاسئا حسيرا غير مدرك المنظور هو الآلة التى (٤٧٦) يلتمس بها ادراك ماهو كائن فاذا لم يدرك شيء دل على أنه لاشيء ومن هذا القبيل قوله خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت وأصله ما ترى فى خلقهن من تفاوت ولكنه ذكرهن منسوبات لخلق الرحمن تنبيها على السبب الذى ربأ بهن على الفطور والتفاوت * قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير (حمل الشياطين على ظاهره ونقل عن بعضهم ان معناها وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب الخ) قال أحمد وهذا من الاستطراد لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعيد الكافرين عموما والله أعلم * قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير (قال فيه معناه لو كنا نسمع للانذار سماع طالبين للحق الخ) قال أحمد ان عنى ان الاحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع بناء على قاعدة التحسين والتقبيح فهو غير بعيد من أصحاب السعير وان عنى ان العقل يرشد الى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالاحكام الشرعية فهو مع أهل السنة

الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير فاعترفوا

رجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها فى أثر بعض وقولهم فى المثل دهدرين سعد القين من ذلك أى بعد باطل (فان قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى أن يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور (الدنيا) القربى لانها أقرب السموات الى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم * والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها (بمصابيح) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما) لأعدائكم (الشياطين) الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به وعن محمد بن كعب والله مالاحد من أهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم أى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها) أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقا) اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه * وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة فى الارض وشقة فى السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم * وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده (فان قلت) (ان أنتم الا فى ضلال كبير) من المخاطبون به (قلت) هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين أى حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (لو كنا نسمع) الانذار سماع طالبين للحق * أو نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل

*عادكلامه (قال ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى الخ) قال أحمد ولو تفطن نبيه لهذه الآية لعدها دليلا على تفضيل السمع على البصر فانه قد استدل على ذلك بأخفى منها * قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (قال فيه أنكر أن لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد هذه الآية رد على المعتزلة وتصحيح الطريق التى يسلكها أهل السنة فى الرد عليهم فان أهل السنة يستدلون على ان العبد لا يخلق أفعاله بأنه لا يعلمها وهو استدلال بنفى اللازم الذى هو العلم على نفى الملزوم الذى هو الخلق وبهذه الملازمة دلت الآية فان الله تعالى أرشد الى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للبارى عز وجل وابطال خلق العبد لافعاله واعراب الآية ينزل على هذا المعنى فان الوجه فيها أن يكون من فاعلا مرادا به الخالق ومفعول العلم محذوف تقديره ذلك اشارة الى السر والجهر ومفعول خلق محذوف ضميره عائد الى ذلك والتقدير فى الجميع ألا يعلم السر والجهر من خلقهما ومتى حذونا غير هذا الوجه من الاعراب ألقانا الى مضايق التكلف والتعسف فن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر والتقدير ألا يعلم الله المسرين والجاهرين وليس مطابقا للمفصل فانه لم يقع على ذوات الفاعلين وانما وقع على أفعالهم من السر والجهر وعليه وقع الاستدلال ويحتمل غير ذلك أبعد منه والاول هو الاولى لفظا ومعنى والله الموفق * قوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن (قال فيه معناه باسطات أجنحتها لانها اذا بسطتها صفت قوادمها الخ) قال أحمد ويلاحظ هذا المعنى فى قوله والطير محشورة بعد قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن ولم يقل مسبحات مثل محشورة لقربه من هذا التفسير ولقد أحسن فيه كل الاحسان

بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن

والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين (بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أى فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم * ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما * ثم انه علله (بانه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به * ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر (من خلق) الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم (فان قلت) قدرت فى ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر فى القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التى هى قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان ألا يعلم معتمد على الحال والشئ لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شئ * المشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فى جبالها فاذا أمكنكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها * والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثانى أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصى (فستعلمون) قرئ بالتاء والياء (كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن)

ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لان الاصل فى الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن الا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون) الله ان أرسل عليكم عذابه (أمن) يشار اليه ويقال (هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا فى عتو ونفور) بل تمادوا فى عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه * يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شئ من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما أكب من باب انفض وألام ومعناه دخل فى الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فان قلت) ما معنى (يمشى مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشى سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشى معتسفا فى مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشى سويا أى قائما سالما من العثور والخرور أو مستوى الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذى ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الاعمى الذى لا يهتدى الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصى الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبى عنى به أبو جهل بن هشام وبالسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) الضمير للوعد * والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) القائلون الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها فى أول الليل فى صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى أن نودى لصلاة الفجر ولعمرى انها الوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها * كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعنى أنكم تطلبون لنا الهلاك الذى هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم فى أمر هو الهلاك الذى لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله فى الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له (فان قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا فى الارض وعن الكلبى لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجئ به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى

آياته

ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين

آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وهى ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما فى ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعى ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع فى تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علما أن تصرفه وتجره أولا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذى يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر فى الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) وما يكتب من كتب وقيل ما يستره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة *(فان قلت) بم يتعلق الباء فى (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك الاثبات والنفى استواءهما فى قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل (وان لك) على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال * استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذى أمره الله تعالى به فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضى الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون أو لان العرب يزعمون أنه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم * والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أى بأيكم الجنون أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر (ان ربك هو أعلم) بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فان قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى (قلت) قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك قال سيبويه وزعم هرون أنها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (مهين) من المهانة وهى القلة والحقارة يريد القلة فى الرأى والتمييز أو أراد الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوى شدقيه فى أقفية الناس (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشد فى بعض العرب

﴿سورة ن مكية وهى ثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم

﴿القول فى سورة ن والقلم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون (قال معناه غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ الخ) قال أحمد ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يرضى من الزمخشرى بتفسير الآية هكذا وهو صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة ولقد بلغ بالزمخشرى سوء الادب الى حد يوجب الحد وحاصل قوله أن الله لا منة له على أحد ولا فضل فى دخول الجنة لانه قام بواجب عليه نعوذ بالله من الجراءة عليه

*قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم (قال العتل الجافي والزنيم الدعي وكذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومي استلحقه المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده الخ) قال أحمد وانما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك فانه يعطي تراخي المرتبة فيما بين المذكور أولا والمذكور بعده في الشر والخير ونظيره في الخير قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ومن ثم استعملت ثم لتراخي المراتب وان أعطت عكس الترتيب الوجودي *قوله تعالى (٤٨٠) انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة الى آخر الآيات (قال فيه أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كان لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين الخ) قال أحمد وفائدة التنكير الابهام تعظيما لما أصابها ومعنى كالصريم أي كالهالك ثمرها وقيل الصريم الليل لانها احترقت واسودت وقيل النهار أي خالية فارغة من قولهم بيض الاناء اذا فرغه (قلت) ومنه البياض من الارض أي الخالية من الشجر ورد في الحديث ويستعمله الفقهاء في المساقاة ومعنى صارمين حاصدين قال وانما عدل عن الى في قوله على حرثكم لان غدوهم كان ليصرموه فهو غدو عليه ومعنى يتخافتون يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم وقوله الا يدخلنها اليوم عليكم مسكين مثل لا أرينك ههنا والحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها والمعنى وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع وقيل الحرد السرعة أي غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان ومعنى قادرين على هذا التأويل عند أنفسهم وقيل حرد اسم الجنة المذكورة وقولهم انا لضالون قالوه في بديهة أمرهم دهشا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا انهم ضلوا عنها وانها ليست هي ثم لما تبينوا وأيقنوا انها هي اضربوا عن الاول الى قولهم بل نحن محرومون للمساكين

مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا

تشبي تشبب الغيمه * غشي بها زهر الى تميمه

(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من أسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) مجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد له من المثالب والنقائص (زنيم) دعي قال حسان شعر

وأنت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على أألأن كان ذا مال وبنين كذب أو أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر الوجه أكرم موضع في الجسد والانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير في الخياشيم *انا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك

للمساكين ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بنى اسرائيل (مصبحين) داخلين فى الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمى استثناء وانما هو شرط (قلت) لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف) كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أى احترقت فاسودت وقيل النهار أى يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق شئ فيها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه أى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا * الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد و(قادرين) من عكس الكلام للتهكم أى قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطنى من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح والاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون فى الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لان منهم

مصبحين أن اغدوا على
حرثكم ان كنتم صارمين
فانطلقوا وهم
يتخافتون أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين
وغدوا على حرد
قادرين فلما رأوها
قالوا انا لضالون بل
نحن محرومون قال
أوسطهم ألم أقل لكم
لولا تسبحون قالوا
سبحان ربنا انا كنا
ظالمين فأقبل بعضهم
على بعض يتلاومون
قالوا ياويلنا انا كنا
طاغين

* قوله تعالى مالكم كيف تحكمون (٤٨٢) أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون (قال هذا خطاب على وجه الالتفات لاهل مكة اذا اعتقدوا انهم فى الآخرة أكثر نعيما من المؤمنين الخ)

من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا * كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) فى ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * وتخير الشئ واختاره أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا أخذ منخوله * لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (فان قلت) بم يتعلق (الى يوم القيامة) (قلت) بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك الحكم (زعيم) أى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا) بهم (ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

Hatim Tai Diw. XLIX. 14

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات

Ibn Ruqayyat XXXIX. 58

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) فى معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل فى البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن (فان قلت) فلم جاءت منكرة فى التمثيل (قلت) للدلالة على انه أمر مبهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شئ نكر كانه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبى عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان

عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم

قال أحمد ولما كان الدرس قولا كسرها * قوله أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة (قال) فيه تعلق الى يوم القيامة بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لاتخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا أعطيناكم ما تحكمون به قال أو يتعلق ببالغة أى تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم يبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه

والآخر

والآخرنفي حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقده هذا العلم علم مقدار عظم منافعه
وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم
تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر
الشين من أكشف اذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب
الظرف فليأتوا أو اضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من
الكوائن مالا يوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل
لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة (فان قلت) لم يدعون
الى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا
مع اعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى
السجود وهم سالمون الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به * يقال ذرني واياه يريدون كله
الى فاني أكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به أن تكل أمره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب أن يفعل به
مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين * استدرجه الى كذا اذا استنزل اليه درجة فدرجة حتى
يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد
الكفر والمعاصي (من حيث لا يعلمون) أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم
يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم (وأملي لهم) وأمهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم
يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج
بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه * وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما
سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه
في التسبب للهلاك المغرم الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في
أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب) أي اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم
ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام (اذ نادى)
في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من
الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه * حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود
تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما
يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام * ونعمة ربه أن أنعم
عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله (وهو مذموم) يعني أن حاله
كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي أنها نزلت بأحد حين حل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف
وقرئ رحمة من ربه (فاجتباه ربه) فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
(فجعله من الصالحين) أي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه * ان مخففة
من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه
حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا
بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد
يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

من حيث لا يعلمون
وأملي لهم ان كيدي
متين أم تسألهم
اجرا فهم من مغرم
مثقلون أم عندهم
الغيب فهم يكتبون
فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم
لولا أن تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين
وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم

وقيل كانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى أمره وتنفيرا عنه والا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لاجل القرآن (وما هو الا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجىء التى هى آتية لا ريب فيها أو التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أى لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والاصل الحاقة ما هى أى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك) وأى شئ أعلمك ما الحاقة يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام * القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأخمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق لشدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى

ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح أى سخرها عليهم مستأصلة وقيل هى أيام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كما شاء (فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام * وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من

نفس

لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين

﴿سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون

(القول فى سورة الحاقة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
* قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (قال) معناه الحاقة ما أدراك ما هى تعظيما لها وتفخيما الخ

نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وأبى ومن معه وقراءة أبى موسى ومن تلقاءه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالخطإ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطإ العظيم (رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ليربو فى أموال الناس (حملناكم) حملنا آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للايذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد * أسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل * وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور (فان قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنها لا تثنى فى وقتها (فان قلت) فأى النفختين هى (قلت) الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية (فان قلت) أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الارض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب * وقرئ وحملت بحذف المحل وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) فحينئذ نزلت النازلة وهى القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوة جدا بعدما كانت محكمة مستمسكة * يريد والخلق الذى يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى (فان قلت) ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها) على جوانبها الواحد رجا مقصور يعنى أنها تنشق وهى مسكن الملائكة فينضوون الى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) أى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله

ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

---

* قوله تعالى وتعيها أذن واعية (قال فيه يقال وعيته أى حفظته فى نفسك الخ) قال أحمد هو مثل قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وقد ذكر ان فائدة التنكير والتوحيد فيه الاشعار بقلة الناظرين * قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (قال فيه ان قلت لم قال واحدة وهما نفختان الخ) قال أحمد واما فائدة الاشعار بعظم هذه النفخة ان المؤثر لدك الارض والجبال وخراب العالم هى وحدها غير محتاجة الى أخرى * قوله تعالى والملك على أرجائها (قال) أى على حافاتها لانها تنشق فتعمد الملائكة الذين هى سكنهم الى أذيالها الخ قال

أحمد كلاهما معرف تعريف الجنس فالواحد والجمع سواء في العموم * عاد كلامه (قال وحق هذه الهاآت يعني في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه الخ) قال أحمد تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب مع ان المعتقد الحق ان القراآت السبع بتفاصيلها منقولة تواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي أثبت الهاء في الوصل انما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم آيها كذلك قبل أن تكتب المصحف وما نفس هؤلاء الادخال الاجتهاد في القراآت المستفيضة واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري وهذا خطأ لا ينبغي فتح بابه فانه ذريعة الى ما هو أكبر منه ولقد جرت بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفاوضة في قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه على قراءة حفص انتهت الى ان ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة لا في حجته باثبات القراء المشاهير لها كذلك ففهمت من رده لذلك ما فهمه من كلام الزمخشري ههنا ولم أقبله منه رحمه الله فتراجع عنه وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بيني وبينه وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته وذلك صحيح لانها كانت في أوائل مرضه رحمه الله والله أعلم

فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم

عليكم (فأما) تفصيل للعرض * هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الامر كيت وكيت (راضية) منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها (عالية) مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والاشجار (دانية) ينالها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أكلا وشربا هنيأ أو هنيتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله عز وجل يا أوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام الخالية * الضمير في (ياليتها) للموتة يقول ياليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ما أغنى) نفي أو استفهام على وجه الانكار أي أي شئ أغنى عني ما كان لي من اليسار (هلك عني سلطانيه) ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد أنه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة * وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها أفظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة (انه) تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله (ولا يحض على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وتشاكس عليهم وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير

المرق

المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما * والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الاسود الدؤلى ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله * هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن (لقول رسول كريم) أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون والقلة فى معنى العدم أى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال تنزيلا أى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل * وسمى الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته * وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لاخذنا منه باليمين) لاخذنا بيمينه كما ان قوله (لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه * وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل (حاجزين) فى وصف أحد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير فى عنه للقتل أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن (وانه) الضمير للقرآن (لحسرة) على الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح) الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما أهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما أن يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة

وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سأل سائل بعذاب واقع

* قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل (قال فيه التقول افتعال القول لان فيه تكلفا الخ) قال أحمد وبناء افعولة من القول وهو معتل كما ترى غريب عن القياس التصريفى ويحتمل أن تكون الاقاويل جمع الجمع كالاناعيم جمع أقوال وانعام وهو الظاهر والله أعلم

(القول فى سورة المعارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع (قال) فيه سأل بمعنى دعا كقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين الخ

سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل عن هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم (فان قلت) بم يتصل قوله (للكافرين) (قلت) هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له أى بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أى دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أى بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين (فان قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح اليه) الى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (فان قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سأل سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير فى (يرونه) للعذاب الواقع أوليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع أى يستبعدونه على جهة الاحالة (و) نحن (نراه قريبا) هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون) بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو باضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل أحد ما يشغله عن المساءلة (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أى لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب (فان قلت) ما موقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (فان قلت) لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم * قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب (وفصيلته) عشيرته الادنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه انتماء اليها أو لياذا بها فى النوائب (ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء أو من فى الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (انها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (لظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لان أو خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث لانه فى معنى النار أو رفع على التهويل أى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على انها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل * والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد (تدعوا) مجاز عن احضارهم كأنها

تدعوهم

للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا

قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم الآية (قال فيه معناه يبصر الاصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم الخ) قال أحمد وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين فى سياق النفى يعم كما التزم فى والله لا أشرب ماء من اداوة أنه عام فى المياه والاداوات خلافا لبعضهم فى الاداوات

* قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية (قال فيه جعل الانسان لايثاره الجزع والمنع ورسوخهما فيه كانه الخ) قال أحمد هو يشرك باطنا
وينزه ظاهرا فينفى كون الهلع الذى هو موجود للآدمى مخلوقا لله تعالى تنزيها له عن ذلك ويثبت خالقا مع الله ويتغالى عن اقتضاء نظم الآية
لذلك فانك اذا قلت بريت القلم رقيقا فقد نسبت اليك الحال وهو ترقيقه كما نسب اليك البرى وكذلك ٤٨٩ الآية وأما قوله والله لا يذم

من أدبر وتولى وجمع فأوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا

تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة تدعو أنفه الريب وقوله ليالى اللهو يطبينى فأتبعه وقول أبى النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه فى الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أى أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع) المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر أريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين * والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس * والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع وأخذ يوصى والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبى صلى الله عليه وسلم شر ما أعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فان قلت) كيف قال (على صلوتهم دائمون) ثم على صلاتهم يحافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشئ من الشواغل كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها (حق معلوم) هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة * السائل الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) أى لا ينبغى لاحد وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء * قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى زيها تضييعها وابطالها * كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (مهطعين) مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا خلقناهم مما يعلمون) الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء

خلقه فالله تعالى له الحمد على كل حال وانما المذموم العبد بحجة انه جعل فيه اختيارا يفرق به بالضرورة بين الاختياريات والقسريات
ألا لله الحجة البالغة والله أعلم * قوله تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون (قال أى لا يتركونها فى وقت ولا يحبطونها الخ) قال أحمد حفظها
من الاحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة فلا يحبط ما سواه خلافا للقدرية وقد تقدمت أمثاله والله أعلم

فن أين يطمعون فى دخول الجنة (فان قلت) من أى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث (قلت) من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم فى مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أى من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شئ والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون أى من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وهى تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على ارادة القول و (ان اعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون أقبح لاعراضهم عنه * سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما و (جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا

حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون

﴿سورة نوح مكية وهى تسعة وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم

به

اذا جاء لا يؤخر (قال فيه) ان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع التأخر الخ

به أو مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا * أمرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم اليهم الموعد بما هو أوقع فى نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروى سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية * والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله اذا نزل السماء بأرض قوم * والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أى تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر * نبههم على النظر فى أنفسهم أولا لانها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر (فيهن) فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى الارض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور * استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم فى الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم (ثم يعيدكم فيها) مقبورين ثم (يخرجكم) يوم القيامة * وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة * جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤسهم المقدمين أصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام * وجعل أموالهم وأولادهم التى لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة فى الدنيا زائدة (خسارا) فى الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه * وقرئ وولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح (مكرا كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه

جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم

* قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا (قال فيه ما لكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله تعالى الخ) قال أحمد وهذا التفسير يبقى الرجاء على بابه ونقل قولا آخر حمله على الخوف أى لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس أن الوقار العاقبة لاستقرار الثواب وثبات العقاب من وقر اذا ثبت * قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا (قال فيه وانما هو فى السماء الدنيا لان بين السموات وبين السماء الدنيا مناسبة) قال أحمد ويلاحظ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

*عاد كلامه قوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا (قال فيه كيف جاز أن يريد الضلال وأجاب بان المراد به منع الالطاف) قلت هذا على
قاعدته *قوله تعالى مما خطيئاتهم ٤٩٢ أغرقوا فأدخلوا نارا (قال فيه ماموجب اغراقهم حين أغرقوا وأجاب بانهم ما أغرقوا الا على
وجه العقاب الخ) قال أحمد هذا السؤال مفصح عما في باطنه من وجوب تعليل أفعال الله تعالى وعليه يبنى أنه لا يجوز الالم من الله تعالى الا باستحقاق سابق أو لاعواض مترقبة أو لغير ذلك من المصالح بناء على القاعدة اهم في الصلاح والاصلح والصبيان لا جناية سبقت منهم ولا عوض

طول وطوال (ولا تذرن ودا) كان هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد
قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي أسماء رجال صالحين
وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات
أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة
ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر *وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش
ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف
اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما
منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج (وقد أضلوا) الضمير
للرؤساء ومعناه وقد أضلوا (كثيرا) قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا بأول من
أضلوهم أو وقد أضلوا باضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز أن يكون للاصنام كقوله
تعالى انهن أضللن كثيرا من الناس (فان قلت) علام عطف قوله (ولا تزد الظالمين) (قلت) على قوله رب انهم
عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال
لا تزد الظالمين الا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي
للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه (فان قلت) كيف جاز أن يريد لهم الضلال
ويدعو الله بزيادته (قلت) المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من
ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك
قوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا *تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم
النار الا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا
بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت
كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا
يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم أن معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ
خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز
أن يراد الكفر (فأدخلوا نارا) جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن
لا محالة فكأنه قد كان أو أريد عذاب القبر ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب
المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها
أو لان الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض باتخاذهم
آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم
ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (ديارا) من الاسماء المستعملة في
النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به
ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا (فان قلت) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم
بالكفر عند الولادة (قلت) لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم
وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرنيه فيموت

ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك

يترقب فيهم فيرد السؤال على ذلك وأما أهل السنة فالله تعالى قد تكفل الجواب عنهم بقوله لا يسئل عما يفعل وهذا الكلام بالنظر الى خصوص واقعة قوم نوح ويتجر الكلام منها الى حكم الله علينا في العدو واذا خيف
من مقاتلتهم بالآلات على ذراريهم ان ذلك لا يوجب الانكفاف عن مقاتلتهم بالآلات المهلكة لهم الكبير
والذرية ويستدل برمي النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الطائف بالمجانيق وقيل له فيهم الذرية فقال هم من آبائهم وأما مهم بالنار
وفيهم الذرية فمنعه مالك رحمه الله الا أن يخاف غائلتهم فيرمون بها ان لم يندفعوا بغيرها والله تعالى أعلم

الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز وجل أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى (لا يلدوا الا فاجرا كفارا) لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه (ولوالدى) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين بن على ولولدى يريد ساما وحاما (بيتى) منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه * ثم عم المؤمنين والمؤمنات (تبارا) هلاكا (فان قلت) ما فعل صبيانهم حين اغرقوا (قلت) غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى عذاب الآباء والامهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ أحى وأصله وحى يقال أوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن واذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة وقد أطلقه المازنى فى المكسورة أيضا كاشاح واسادة واعاء أخيه وقرأ ابن أبى عبلة وحى على الاصل (أنه استمع) بالفتح لانه فاعل أوحى وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقى (نفر من الجن) جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم (فقالوا انا سمعنا) أى قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا (عجبا) بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان * الضمير فى (به) للقرآن * ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به فى طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره (جد ربنا) عظمته من قولك جد فلان فى عينى أى عظم وفى حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروى فى أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذى هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك * وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه * سفيههم ابليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن * والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه أشط فى السوم اذا أبعد فيه أى يقول قولا هو فى نفسه شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله * وكان فى ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم (كذبا) قولا كذبا أى مكذوبا فيه أو نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول * ومن قرأ أن لن تقول

ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا * الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان اذا أمسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم (وانهم) وأن الانس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحى والضمير فى وانهم ظنوا للجن والخطاب فى ظننتم لكفار قريش * اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال

مسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى نسب فى قومه غير واضح

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها * والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان فى معنى الرجال والركاب * والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا يعنى يجد شهابا راصدا له ولاجله (فان قلت) كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين فى خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبى خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون الفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق فى بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وروى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفى قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته * يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر أراده الله بأهل الارض ولا يخلو من أن يكون شرا أو رشدا أى خيرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق (منا الصالحون) منا الابرار المتقون (ومنا دون ذلك) ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله

* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق (فى الارض) و (هربا) حالان أى لن نعجزه كائنين فى الارض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا * والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وانهم

يعتقدون

وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا

(القول فى سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (قال فيه ان قلت كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتى الزينة والرجم الخ) قال أحمد ومن عقائدهم ان الرشد والضلال جميعا مراد لله تعالى بقولهم وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا ولقد أحسنوا الادب فى ذكر ارادة الشر محذوفة الفاعل والمراد بالمريد هو الله عز وجل وابرازهم لاسمه عند ارادة الخير والرشد فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة

يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطالب ولا ينجى عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن وايمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أى فهو غير خائف ولان الكلام فى تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف (فان قلت) أى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبراله ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهى (بخسا ولا رهقا) أى جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول فى قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحى الى أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم * وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه أصل المعاش وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا فى اتباعهم شهواتهم ووقوعهم فى الفتنة وازديادهم اثما أو لنعذبهم فى كفران النعمة (عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة أى ندخله (عذابا) والاصل نسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة * والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدتنى خطبة النكاح يريد ما شق على ولا غلبنى (وأن المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد (لله فلا تدعوا) على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أى فلا تدعوا (مع الله أحدا) فى المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعنى الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهى الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هى جمع مسجد وهو السجود (عبد الله) النبى صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا قيل رسول الله أو النبى (قلت) لان تقديره وأوحى الى أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جئ به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لان المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا * ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة صلى الله عليه وسلم (كادوا يكونون عليه لبدا) أى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا

وانا لما سمعنا الهدى
آمنا به فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا
وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن أسلم
فأولئك تحروا رشدا
وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وأن لو
استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه ومن يعرض
عن ذكر ربه يسلكه
عذابا صعدا وأن المساجد
لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وأنه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا

(قوله تعالى قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (قال فيه معناه أى لا أستطيع ان أنفعكم أو أضركم انما النافع والضار الله عز وجل الخ) قال أحمد فى الآية دليل بين على ان الله تعالى هو الذى يملك لعباده الرشد والغى أى يخلقهما لا غير فان النبى صلى الله عليه وسلم انما سلب ذلك عن قدرته ليمحض اضافته الى قدرة الله وحده وفطن الزمخشرى لذلك فاخذ يعمل الحيل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك الى الله تعالى وتارة يكنع عنه لان فيه ابطالا لخصوصية الرشد المنصوص عليه فى الآية فيثور له من تقليده الرأى الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق وعن اعتقاد ان الله تعالى ٤٩٦ هو الذى يخلق الرشد لعبيده مقارنا لاختيارهم فيدخل زيادة القسر لان معنى ما ورد من اضافة الرشد الى قدرة الله تعالى عندهم انه يخلق ان تخضع لها الرقاب فيخلق العبد لنفسه عند ظهورها رشدا فيضاف الى قدرة الله تعالى لانه

قال انما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا

وساجدا واجبابا عاتلا من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين فى عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة فى معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه فى ائتمامهم به (قال) للمتظاهرين عليه (انما أدعوا ربى) يريد ما أتيتكم بأمر منكر انما أعبد ربى وحده (ولا أشرك به أحدا) وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتى وعداوتى أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتى الله ورفضى الاشراك به بأمر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا رشدا) ولا نفعا أو أراد بالضر الغى ويدل عليه قراءة أبى غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم انما الضار والنافع الله أو لا أستطيع أن أقسركم على الغى والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل و(الا بلاغا) استثناء منه أى لا أملك الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله ان أراد به سوأ من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوى اليه * والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا * وقرئ قال لا أملك أى قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل الا هى ان لا ومعناه ان لا أبلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القوله اليه وأن أبلغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان (فان قلت) ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بلغوا عنى بلغوا عنى (قلت) من ليست بصلة للتبليغ انما هى بمنزلة من فى قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله * وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فان لله خمسه أى فحكمه أن لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع فى من (فان قلت) بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر واظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون * قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل (قل) انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة (فان قلت) ما معنى قوله (أم يجعل له ربى أمدا) والامد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى الى قوله تود لو أن بينها

خلق السبب وهو فى الحقيقة مخلوق بقدرة العبد هذه قاعدة القدرية وعقيدتهم وما الجن بعد هذا الا أوفر منهم عقلا وأسد منهم نظرا لانهم قالوا وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فاضافوا الرشد نفسه الى ارادة الله عز وجل وقدرته * عاد كلامه قوله تعالى قل انى لن يجيرنى من الله أحد الآية (قال فيه هو اعتراض وقوله الا بلاغا استثناء من قوله لا املك أى لا املك لكم الا بلاغا وقيل بلاغا بدل من ملتحدا الخ) قال أحمد فيكون تقدير الكلام بلاغا من الله مستفادا من قوله قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا (قال) ان قلت ما معنى التقسيم والامد يكون قريبا وبعيدا لقوله تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا وأجاب بانه كان صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد وكأنه قال ما أدرى هل هو حال متوقع فى كل ساعة أم له غاية مضروبة

* قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (قال فيه ابطال الكرامات لانه حصر ذلك فى المرتضى من الرسل والولى وان كان من المرتضين الخ) ادعى عاما واستدل خاصا فان دعواه ابطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليه بالآية ابطال اطلاع الولى على الغيب خاصة ولا يكون كرامة وخارق العادة الا الاطلاع على الغيب لا غير وما القدرية الا لهم شبهة فى ابطالها وذلك ان الله عز وجل لا يتخذ منهم وليا أبدا وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط فلا جرم انهم يستمرون على الانكار ولا يعلمون ان شرط الكرامة الولاية وهى مسلوبة عنهم اتفاقا وأما سلب الايمان فمسئلة خلاف فأطمع من يكون ايمانه مسئلة خلاف وهو يريد الكرامة لانه لم يؤتها والله الموفق ﴿القول فى سورة المزمل﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (٤٩٧) * قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (قال فيه هو المتلفف فى ثيابه كالمدثر ونودى بما يهجن اليه الخ) قال أحمد أما قوله الاول ان نداءه بذلك تهجين للحالة التى ذكر انه كان عليها واستشهاده بالابيات المذكورة

وبينه أمدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدرى أهو حال متوقع فى كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية * أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و(من رسول) تبيين لمن ارتضى يعنى أنه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط (فانه يسلك من بين يديه) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحى به اليه وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الانبياء وحد أولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وضبط كل شئ معدودا محصورا أو مصدر فى معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة أو عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المزمل) المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى ونحوه المدثر فى المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذى زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفته واستعداده للاستثقال فى النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا

﴿سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا

خطأ وسوء أدب ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له فى الاكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشرى

فقد قال العلماء انه لم يخاطب باسمه نداء وان ذلك من خصائصه دون سائر الرسل اكراما له وتشريفا فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه واستشهاده على ذلك بابيات قيلت ذما فى جفاة حفاة من الرعاء فأنا أبرأ الى الله من ذلك وارى بأبه صلى الله عليه وسلم ولقد ذكرت بقوله * أوردها سعد وسعد مشتمل * ما وقفت عليه من كلام ابن خروف النحوى يرد على الزمخشرى ويخطئ رأيه فى تصنيفه المفصل واجحافه فى الاختصار بمعانى كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف البرنامج وأنشد عليه

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا توردي ياسعد الابل

وأما ما نقله ان ذلك كان فى مرط عائشة رضى الله عنها فبعيد فان السورة مكية وبنى النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها بالمدينة والصحيح فى الآية ما ذكره آخر الان ذلك كان فى بيت خديجة عندما لقيه جبريل أول مرة فبذلك وردت الاحاديث الصحيحة والله أعلم

وفى أمثالهم أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا توردياسعد الابل
فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بان يختار على الهجود التهجد وعلى
التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لاجرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع
أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم
واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى فى وجوههم وترامى أمرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان
متزملا فى مرط لعائشة يصلى فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر
بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله
أربع عشرة ذراعا نصفه على وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا
ولا مرعزيا ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أول
ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى وحسب أنه عرض له فبيناهو على ذلك اذ ناداه جبريل
يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما أى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله
* وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء
الساكنين فبأى الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كأنه
قال قم أقل من نصف الليل * والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من
نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت
جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام
الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا
نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الاقل من النصف
فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء
النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف
النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع
كأنه قيل أوزد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين
النصف والثلث والربع (فان قلت) أكان القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضى الله عنها أن الله جعله
تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به
وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير فى المقدار
ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبى كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث
والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير فى المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك
* ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجىء المتلو منه شبيها بالثغر
المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير
الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و(ترتيلا) تأكيد
فى ايجاب الامر به وأنه مالا بد منه للقارئ * هذه الآية اعتراض ويعنى بالقول الثقيل القرآن وما فيه من
الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
متحملها بنفسه ومحملها أمته فهى أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة
التكاليف الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من
مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضى الله عنه كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده
وعن عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا

نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا

(قوله الحقحقة الخ) كتب عليه بالحاءين المهملتين شدة السير والهذرمة بمعنى الهذ والالص متقارب الاسنان وقوله بعد وتربد معناه وتعبس اه مصححه

وعن

وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ماروى عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هي أشد وطأ) هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدوّ الاصوات وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة انما هي وأقوم فقال ان أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الانصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدوّ الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شئ فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره (وتبتل اليه) وانقطع اليه (فان قلت) كيف قيل (تبتيلا) مكان تبتلا (قلت) لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه (لا اله الا هو) كما تقول والله لا أحد في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب على التهليلة لانه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار * الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافأة وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف * اذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه أي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه أن يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل أمره اليه فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه * النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (ان لدينا)

ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا

* قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ (قال فيه قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التي تنشأ عن مضجعها الخ) قال أحمد فان حملت الناشئة على النفس فاضافة المواطأة اليها حقيقة وان حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازي

ما يضاد تنعمهم * من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل * ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد * ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم * ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيي البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم ترجف) منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة * والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل * الخطاب لاهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (فان قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لانه أراد أرسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أي فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه و (يجعل الولدان شيبا) مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شئ منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض (وعده) من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة (أدنى من ثلثي الليل) أقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الاخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه * والضمير في (لن تحصوه) لمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح

أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه

منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا أن تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخيص فى ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة فى تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب * وعبر عن الصلاة بالقراءة لانها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ماتيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية * وقد بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والضاربين فى الارض للتجارة والمجاهدين فى سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبدالله بن عمر ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب فى الارض أبتغى من فضل الله و (علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلوة) يعنى المفروضة * والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من اخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وأن يريد كل شئ يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال (خيرا) ثانى مفعولى وجدوه وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه فى امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المدثر) لابس الدثار وهو مافوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هى أول سورة نزلت وروى جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فرأيت شيأ وفى رواية عائشة فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهرى أول مانزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبى الله فرجع الى خديجة وقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وأذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال فى المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط فى الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى والاحب فى غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مالا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا

فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر

وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبنى زيد ثوبه كما يقولون أعجبنى زيد عقله وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر فى كل شئ (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدى اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريأ منه * قرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا الكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثانى أن يكون نهى تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن فى قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لان من شأن المنان بما يعطى أن يستكثره أى يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز فى الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعى على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لانه أحد ما يتناوله العام * والفاء فى قوله (فاذا نقر) للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه * والفاء فى (فذلك) للجزاء (فان قلت) بم انتصب اذا وكيف صح أن يقع (يومئذ) ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى اذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين والذى أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتى ويقع حين ينقر فى الناقور واختلف فى أنها النفخة الاولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير (فان قلت) فما فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرنى وحدى معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم والثانى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذى كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه (ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم

والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا

ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي (كلا) ردع له وقطع لرجائه وطمعه (انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق الا له واخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه (ثم نظر) في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمي بها ✽ وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما (فان قلت) ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الاولى ونحوه قوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي (فان قلت) ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها (قلت) الدلالة على أنه قد تأتى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد (فان قلت) فلم قيل (فقال ان هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (فان قلت) فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (لا تبقي) شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا

ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر

﴿القول في سورة المدثر﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

✽ قوله تعالى ثم يطمع ان أزيد (قال دخلت ثم استبعاد الطمعه وحرصه على الزيادة واستنكارا لذلك فرد الله طمعه خائبا الخ) قال أحمد لان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد امعانه النظر لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث (قال) فان قلت لم يوسط بين الجملتين عاطفا وأجاب بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد للاولى

* قوله تعالى وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة وماجعلنا عدتهم الآية (قال فيه ان قلت قدجعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا الخ) قال أحمد ماجعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هى التى جعلت سببا لان المراد وماجعلنا عدتهم الاتسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين أن يفتتن بها من لايؤمن بالله وبحكمته ولايذعن وان خفى عليه وجه الحكمة كانه قيل لقد جعلنا (٥٠٤) عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب * قال أحمد السائل جعل الفتنة التى هى فى تقدير الصفة للعدة اذ معنى الكلام ذات فتنة سببا فيما بعدها والمجيب جعل العدة التى عرضت لها هذه الصفة سببا لاباعتبار عروض الصفة لها ويجوز أن يكون ليستيقن راجعا الى ماقبل الاستثناء كانه قيل جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين وسببا ليقين المؤمنين وهذا الوجه أقرب مماذكره الزمخشرى وانما ألجأه اليه اعتقاد ان الله تعالى مافتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم بناء على قاعدة التبعيض فى المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها * عاد كلامه (قال وقوله تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين اثبات اليقين الخ) قال أحمد أطلق الغرض على الله عز وجل مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله فى أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم وانما قالوا على خلاف ماأراد وقد عرفت فساد القاعدة فارح فكرك من هذا السؤال فالكل مراد وحسبك تتمة الآية كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء

لواحة للبشر عليها تسعة عشر وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا

حتى يعاد أولاتبقى على شئ ولاتدعه من الهلاك بل كل مايطرح فيها هالك لامحالة (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول مالاحك يامسافر * يابنة عمى لاحنى الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل * والبشر أعالى الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين * وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أى يلى أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالى الحركات فى ماهو فى حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم مايأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولايستروحون اليهم ولانهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبى صلى الله عليه وسلم كان أعينهم البرق وكان أفواههم الصياصى يجرون أشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فأنزل الله (وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة) أى ماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون (فان قلت) قدجعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ماجعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هى التى جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا) وماجعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لايؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولايذعن اذعان المؤمن وان خفى عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ماأنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك (فان قلت) لم قال (ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان وازدياد الايمان دلا على انتفاء الارتياب (قلت) لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفى الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر (فان قلت) كيف ذكر الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون فى مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس فى ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لايخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فان قلت) قدعلل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء

الارتياب وقول المنافقين والكافرين ماقالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا الاترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشرفقد جعلت المخافة علة لخروجك وماهى بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فان قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى غرض قصد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص * الكاف فى (كذلك) نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين يعنى يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (ومايعلم جنود ربك) وماعليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص ومافى اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (الا هو) ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة فى أعداد السموات والارضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات فى الشريعة أو ومايعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبى جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله (وماهى الا ذكرى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وماسقر وصفتها الا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون احدى الكبر نذيرا و(دبر) بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذا أدبر (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائه فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافى فى جمع السافياء والقواصع فى جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء و(نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهى انذارا كما تقول هى احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل باول السورة يعنى قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفى قراءة أبى نذير بالرفع خبر بعد خبر لان أو بحذف المبتدا (أن يتقدم) فى موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلى ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن على رضى الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضى الله عنه هم الملائكة (فى جنات) أى

كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك الا هو وماهى الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات

---

* قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة (قال وليست تأنيث رهين الخ) قال أحمد لانه فعيل بمعنى مفعول يستوى مذكره ومؤنثه كقتيل وجديد * عاد كلامه قال وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم الخ

* قوله تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر الآية (قال فيه يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا عنهم الخ) قال أحمد
انما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدالة على ان فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلا يسلكون في النار
مخلدين مع الكفار فجعل كل واحدة من الخلال الاربع توجب ما توجب الاخرى من الخلود والصحيح في معنى الآية انها خاصة بالكفار ومعنى قولهم لم نك من المصلين لم نك من أهل الصلاة وكذلك

الى آخرها لانهم يكذبون بيوم الدين والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات ولو فعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم وانما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم * قال وفي تشبيههم بالحمر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة وأيضا المقصود تشبيه ادبارهم عن الحق وتسارعهم الى الاعراض لا
عنه بنفار حمر الوحش وعادة العرب انها تشبه في السرعة بعدو الحمر وخصوصا اذا أحست بقانص تجري على ما عهدوه والله أعلم

يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله

هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه (فان قلت) كيف طابق قوله (ماسلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم (قلت) ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم (في سقر قالوا لم نك من المصلين) الا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه * الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي (فان قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالاطفال أنهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار (فان قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه و بعضهم بهذه (قلت) يحتمل الامرين جميعا (فان قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا (اليقين) الموت ومقدماته * أي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أوغيره من المواعظ و (معرضين) نصب على الحال كقولك مالك قائما * والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار * والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله * ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال (انه تذكرة) يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه و (ذكره) للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون الا أن يشاء الله) يعني الا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم

لا يؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بان يتقيه عباده و يخافوا عقابه فيؤمنوا و يطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم اذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه * وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿سورة القيامة مكية وهى تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم أنى أفر

وقال غوية بن سلمى

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله فى بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى الى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه أن يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى أنه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفى لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فان قلت) قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التى أنشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت ان لا التى قبل القسم زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) لو قصر الامر على النفى دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا أقسم قالوا ويعضده أنه فى الامام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس فيه أى فى يوم القيامة على تقصيرهن فى التقوى أو بالتى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الاحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وأن الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقيل هى التى تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هى نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى أباعد الارض وقيل ان عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت (بلى) أوجبت ما بعد النفى وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها و (قادرين) حال من الضمير فى نجمع أى نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى أن نسوى بنانه أى أصابعه التى هى أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوى بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوى أصابع يديه ورجليه أى نجعلها مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيأ مما يعمل بأصابعه

هو أهل التقوى وأهل المغفرة

﴿سورة القيامة مكية وهى تسع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه

(القول فى سورة القيامة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم (قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الخ) قال أحمد ان لا التى قبل أقسم زيدت توطئة للنفى بعده وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا تقديره لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى وأجاب بانه لو قصر الامر على النفى دون الاثبات لكان له مساغ ولكنه ليس بقاصر عليه ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان فى كبد وقوله لا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم

المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتى لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أى نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه الى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (يسئل) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أى لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (المفر) بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك (الى ربك) خاصة (يومئذ) مستقر العباد أى استقرارهم يعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا الى غيره وينصبوا اليه أو الى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو الى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار أى مفوض ذلك الى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (فان قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر* الضمير فى (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك واثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته* والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن فى ضمان تحفيظه (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شئ من معانيه كأنه كان يعجل فى الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (كلا) ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ فى ذلك باتباعه قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فان قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة

بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة

• قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (قال الوجوه كناية عن الجملة وقدم الى ربها ليفيد الحصر الخ) قال أحمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن ويطيل فى جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق فلما فغرت هذه الآية فاه صنع فى مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لانها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز وعلا منظورا سواه وحقيق له أن يحصر رؤيته الى من ليس كمثله شئ ونحن نشاهد العاشق فى الدنيا اذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه ولم يؤثر عليه فكيف بالمحب لله عز وجل اذا أحظاه النظر الى وجهه الكريم نسأل الله العظيم ان لا يصرف عنا وجهه وان يعيذنا من نزالق البدعة ومزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل

* الوجه عبارة عن الجملة * والناضرة من نضرة النعيم (الى ربها ناظرة) تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتى نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه * والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته وفظاعته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين * والضمير فى (بلغت) للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذى هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقال حاضر وصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه (المساق) أى يساق الى الله والى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعنى الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أى لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت فى أبى جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفى الحديث اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعنى كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فخلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الانسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذى أنشأ هذا الانشاء (بقادر) على الاعادة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

﴿سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية﴾

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى

(سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية)

﴿القول فى سورة الانسان﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى هل أتى على الانسان (قال) هل بمعنى قد فى الاستفهام والاصل أهل الخ*قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا (قال فيه هما حالان من الهاء فى هديناه الخ) قال أحمد هذا من تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره *عاد كلامه (قال أو يكون معناه انا دعوناه الى الايمان كان معلوما منه الخ) قال أحمد واستحسانه لقراءة أبى السمال لتخيله ان فى التقسيم اشعارا بغرضه الفاسد وليس كذلك فان التقسيم يحتمل الجزاء أما شاكرا فمثاب وأما كفورا فمعاقب ويرشد اليه ذكر واجزاء الفريقين بعد*قوله تعالى سلاسل وأغلالا (قال فيه قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلا من ألف الاطلاق الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول لان معتقده ان القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفاصيلها وانها موكولة الى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مرله وطم على ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذى يسبق اليه اللسان فى غير موضعه لمرنه عليه فى موضعه والحق ان جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترا عنه صلى الله عليه وسلم وتنوين هذا على لغة من يصرف فى نثر الكلام جميع مالا ينصرف الا أفعل والقرآت مشتملة على اللغات المختلفة وأما قوارير قوارير

منه

فقرئ بترك تنوينهما وهو الاصل وتنوين الاول خاصة بدلا من ألف الاطلاق لانها فاصلة وتنوين الثانية كالاولى اتباعا لها ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الاولى فانه عكس ان يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة الى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة *قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله (قال فيه كافورا عين فى الجنة اسمها كذلك فى لون الكافور ورائحته وبرده الخ) قال أحمد هذا الجواب على القولين الاولين وأما على القولين الآخرين وهو ان العين بدل من الكأس ومعنى مزاجها بالكافور اما اشتمالها على أوصافه واما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم فلا يتم الجواب المذكور فيجاب عن السؤال بانه لما ذكر الشراب أولا باعتبار الوقوع فى الوجود ذكره ثانيا مضمنا للالتذاذ به وكأنه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله *أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم *فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أى أتى على الانسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) أى كان شيأ منسيا غير مذكور نطفة فى الاصلاب والمراد بالانسان جنس بنى آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة *حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فان قلت) ما محل لم يكن شيأ مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزى والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار وبرد أكياش وهى ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هى عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو فى تقدير التأخير يعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف *شاكرا وكفورا حالان من الهاء فى هديناه أى مكناه وأقدرناه فى حالتيه جميعا أو دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لالزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى أما وهى قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره *ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد *وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف (الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر *والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده و (عينا) بدل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا

منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعيناً على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمراً خمر عين أو نصب على الاختصاص (فان قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لان الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر (على حبه) الضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار فى دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة وعن أبى سعيد الخدرى هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم) على ارادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغى أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيأ وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم * والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (انا نخاف) يحتمل أن احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وأنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة * ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه فى شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل * والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب فى كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله (بما صبروا) بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما أن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى

يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم

قال فيشربون منها فيلتذون بها وعليه حمله أبو عبيد * عاد كلامه (قال) قوله تعالى يفجرونها تفجيرا أى سهلا لا يمتنع عليهم الخ

محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة (فان قلت) مامعنى ذكر الحرير مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر (فان قلت) (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الامرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا (فان قلت) فعلام عطف (وذللت) (قلت) هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا (قوارير قوارير) قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من (فضة) أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها (فان قلت) مامعنى كانت (قلت) هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا * سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

و (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين

بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا

سل سبيلا فيها الى راحة النفـس براح كأنها سلسبيل

* و (عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هـذا القول مبدلة من كاسا كأنه قيل و يسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص * شبهوا في حسـنهم وصفاء ألوانهـم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت اليـه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيـل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و (ثم) في موضع النصب على الظرف يعني في الجنـة ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسـقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيأ يروى أن أدنى أهـل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شـيأ كان وقيل يسـلم عليهم الملائكة ويسـتأذنون عليهم * قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم * وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واسـتبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه أعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخـله حرف التعريف تقول الاستبرق الا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لانه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره (وحلوا) عطف على ويطوف عليهـم (فان قلت) ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهـذا صحيح لا اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها وما أحسـن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعـقل وليست الدار دار تكليف أو لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسـه الاقدام الدنسة ولم يجعـل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها أو لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك * أي يقال لاهل الجنة (ان هذا) وهـذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمـالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز * تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيـل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا أنا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما أفعـله بدواعي الحـكمة ولقد دعتني حكمة بالغـة الى أن أنزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعـد حين (فاصبر لحـكم ربك) الصادر عن الحـكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحـدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر * وكانوا مع افراطهم في العـداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم ان أجابهم (فان قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله (آثما أو كفورا) (قلت) معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليـه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهـم على فعـل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنـين دون الثالث وقيـل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا الانواع

ويطوف عليهم ولدان مخلـدون اذا رأيتهـم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبـيرا عاليهم ثياب سـندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضـة وسقاهم ربهـم شرابا طهورا ان هـذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشـكورا انا نحن نزلنا عليـك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثمـا أو كفور

---

* قوله تعالى عاليهـم ثياب سـندس خضر (قال فيه قرئ بالسكون على انه مبتدأ خـبره ثياب الخ) قال أحمد في هـذا الوجـه الآخر نظر فانه يجعله داخلا في مضمون الحسـبان وكيف يكـون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة لا على وجـه التشبيه باللـؤلـؤ بخلاف كونهم لؤلؤا فانه على طريق التشبيه اقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ الى ان يحسبوا لؤلؤا ويحتمل ان يصح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالاول

* قوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال فيه معناه وما تشاؤن الطاعة الا أن يشاء الله الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز كدأب الشطار واللصوص فانقطع بدحته التي أعدها وذلك حكم هذه السرقة وحدها فنقول الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذى لا حصر ولا نصر أوضح منه ألا ترى ان كلمة التوحيد اقتصر بها على النفى والاثبات لان هذا النظم أعلق شئ بالحصر (٥١٤) وأدله عليه فنفى الله تعالى ان يفعل العبد شيأ له فيه اختيار ومشيئة الا ان يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل فقتضاه مالم يشا الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد وماشاء منه وقوعه وقع وهو رديف ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانظر ادخاله القسر فى تعطيل الآية لا تأويلها كيف الله ناقض به فان معنى الآية عنده ان مشيئة العبد الفعل لا تكون الا اذا قسره الله عليها والقسر مناف للمشيئة فصار الحاصل ان مشيئة العبد لا توجد الا اذا انتفت فاذا لا مشيئة للعبد البتة ولا اختيار وما هو الا فر من اثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة ليتم له اثبات قدرة ومشيئة مؤثرين فوقع فى سلب القدرة والمشيئة أصلا ورأسا وحيث لزم الحيد عن الاعتزال انحرف بالكلية الى الطرف الاقصى متحيزا الى الجبر فيا بعد ما توجه بسوء نظره والله الموفق

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما

﴿سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا

الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (فان قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا نهى أن يقول لابويه أف علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الاولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له أو يعنى صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض * الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب * والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته (واذا شئنا) أهلكناهم و (بدلنا أمثالهم) فى شدة الاسر يعنى النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع ٣ وحقه أن يجئ بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (هذه) اشارة الى السورة أو الى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة * واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة (وما تشاؤن) الطاعة (الا أن يشاء الله) بقسرهم عليها (ان الله كان عليما) بأحوالهم وما يكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم * وقرئ تشاؤن بالتاء (فان قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كأن معه (يدخل من يشاء) هم المؤمنون * ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحققين (أو نذرا) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة

الله فى الغيث و يشكرونه او اما انذار اللذين يغفلون الشكر لله و ينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات
للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت (فان قلت) مامعنى عرفا (قلت) متتابعة
كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه و يكون بمعنى العرف الذى هو
نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على
التثقيل نحو نكر فى نكر (فان قلت) قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا
(قلت) ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم (فان قلت) ما العذر
والنذر وبما انتصبا (قلت) هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر
والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما
فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين
أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين * ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو
جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق
ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (فرجت) فتحت
فكانت أبوابا قال الفارجى باب الامير المبهم (نسفت) كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه و بست الجبال بسا
وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشئ اذا اختطفته * وقرئت
طمست وفرجت ونسفت مشددة * قرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى
توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم * والتأجيل من الاجل كالتوقيت من
الوقت (لاى يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى
يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة
وأجلت أخرت (فان قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) (قلت) هو فى أصله
مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه
ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له و يلا كيلا * قرأ قتادة نهلك بفتح النون
من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد
لاهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل
تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الاولين من
قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع
(نفعل) بكل من أجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره (الى قدر معلوم) الى مقدار من الوقت
معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر أو مادونها أو مافوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم
القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أولى لقراءة من قرأ
فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره * الكفات من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت
كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه
قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا
فى بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعى رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الارض كفاتا
للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز (فان قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهى
كفات الاحياء والاموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا
لا يحصرون على أن أحياء الانس وأمواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز أن يكون المعنى
تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم أنها كفات الانس (فان قلت) فالتنكير فى
(رواسى شامخات) و (ماء فراتا) (قلت) يحتمل افادة التبعيض لان فى السماء جبالا قال الله تعالى وننزل

انما توعدون لواقع
فاذا النجوم طمست
واذا السماء فرجت
واذا الجبال نسفت
واذا الرسل أقتت لاى
يوم أجلت ليوم الفصل
وما أدراك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين
ألم نهلك الاولين ثم
نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين
ويل يومئذ للمكذبين
ألم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه فى قرار مكين
الى قدر معلوم فقدرنا
فنعم القادرون ويل
يومئذ للمكذبين ألم
نجعل الارض كفاتا
أحياء وأمواتا وجعلنا
فيها رواسى شامخات
وأسقيناكم ماء فراتا
ويل يومئذ للمكذبين

﴿القول فى سورة
المرسلات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نجعل
الارض كفاتا أحياء
وأمواتا (قال) وهى
كفات الاحياء والاموات
الخ

من السماء من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أي ضابل هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم * أي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه (الى ظل) يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (لا ظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (بشرر) وقرئ بشرار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة وحوج (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل (صفر) لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجى

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى * ترمى بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الادم فى العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه * قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة (جمعناكم والاولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وأممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك و (كلوا وتمتعوا) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فان قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك فى الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك فى الآخرة ايذانا بأنهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفى طريقته قوله

اخوتى لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء فى حياتكم بان يدعى لكم بذلك * وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين فى الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة

انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث

علينا

علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهي أربعون أو احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان رضي الله عنه

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شئ خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شئ هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبإ العظيم) بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما أن يجرى الوصل مجرى الوقف واما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشئ يبهم ثم يفسر (فان قلت) قد زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) (قلت) كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا و (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى (ثم) الاشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الاول وأشد (فان قلت) كيف اتصل به قوله (ألم نجعل الارض مهادا) (قلت) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى أنه عابث في كل ما فعل * مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد (سباتا) موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الادواء * ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا أي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها * المعصرات السحائب اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع اذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية

تفخيم الشأن كأنه قيل عن أي شئ يتساءلون ونحوه ما في قولك الخ) قال أحمد وقد اكثرت ام زرع من هذا التفخيم في قولها وأبو زرع ما أبو زرع الى آخر حديثها * عاد كلامه (قال هذا أصله ثم جرد للدلالة على التفخيم الخ) قال أحمد لان بعضهم شك في البعث وبعضهم

بعده يؤمنون

﴿سورة النبأ مكية وهي أربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء

يبت النفي ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وانما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر (ثم قال فان قلت كيف اتصال قوله ألم نجعل الارض مهادا بما قبله الخ) قال أحمد جوابه الاول سديد وأما الثاني فغير مستقيم فانه مفرع على المذهب الاعوج في وجوب مراعاة الصلاح والاصلح واعتقاد ان الجزاء واجب على الله تعالى عقلا ثوابا وعقابا بمقتضى ايجاب الحكمة وقد فرغ من ابطال هذه القاعدة

ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا

اذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وأن تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هى السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن أى يحملن على العصر ويمكن منه (فان قلت) فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر (فان قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتى أعصرن أى حان لها أن تعصر أى تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعنى يثج الكلام ثجا فى خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثجج فى الوادى (حبا ونباتا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد أنشدنى الحسن بن على الطوسى

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان فى تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور الى الموقف أمما كل أمة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضى الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء * وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعنى أنها تصير شيأ كلا شئ لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها * المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء * قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذى يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما

مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الاحيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له * والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد * وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أى يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أوذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من يغالب فى أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شئ أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر فى موضع احصاء أو أحصينا فى معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة فى معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده * والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر * والاعناب الكروم * والكواعب اللاتى فلكت ثديهن وهن النواهد * والاتراب اللدات * والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطنى * وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو لا يكاذبه وعن على رضى الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز و (عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أى جزاهم عطاء و (حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك * قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثانى على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون * والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض أى ليس فى أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه و (يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم

لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم

أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض * والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل * هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (المرء) هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني (ما قدمت يداه) من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿ سورة والنازعات مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم (غرقا) اغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة و(يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و(الراجفة) الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك (فان قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أي ترجف تابعتها الرادفة (فان قلت) كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى (قلت) المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دل عليه (قلوب يومئذ واجفة)

الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

* (سورة والنازعات مكية وهي خمس وأربعون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ

... من أذن له الرحمن (...) وقال صوابا) قال فيه وقف الشفاعة على شرطين الخ) قال أحمد يعرض بأن الشفاعة لا تحل على مرتكبي الكبائر من الموحدين وقد صرح بذلك في مواضع تقدمت له ويتلقى ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين وذوو الكبائر ليسوا مرتضين ومن ثم أخطأ فان الله عز وجل ما خصهم بالايمان والتوحيد وتوفاهم عليه الا وقد ارتضاهم لذلك بدليل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم فجعل الشكر بمعنى الايمان المقابل للكفر مرضيا لله تعالى وصاحبه مرتضى ﴿ القول في سورة والنازعات ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أي قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات (قال فيه) اما أن يكون المراد الملائكة فالنازعات يعني للارواح ومعنى غرقا اغراقا في النزع الخ

واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى أن تزكى واهديك الى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله

أى يوم ترجف وجفت القلوب (واجفة) شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة (فان قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) كيف صح اضافة الابصار الى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون (فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت (فان قلت) ماحقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى جاء فيها فحفرها أى أثرفيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا اذا أثر الاكال فى أسناخها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل ان كان فى أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أى الى طريقته وحالته الاولى قال

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى الصفقة وقرأ أبو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة فى أصل الكلمة بمعنى المحفورة * يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الاجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير و (اذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث (كرة خاسرة) منسوبة الى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فان قلت) بم تعلق قوله (فانما هى زجرة واحدة) (قلت) بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هى زجرة واحدة يعنى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة فى قدرته ماهى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية (فاذاهم) أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه * والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحى السراب مجللا * لاقطارها قد جبتها متلثما

أو لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذاهم فى جهنم (اذهب) على ارادة القول وفى قراءة عبد الله أن اذهب لان فى النداء معنى القول * هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه (الى أن تزكى) الى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالادغام (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك فى جيبك أو أرادهما جميعا الا أنه جعلهما واحدة لان الثانية كأنها من جملة الاولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وأن الطاعة قد وجبت عليه (ثم أدبر يسعى) أى لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع فى مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة * وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والآخرة أنا ربكم الاعلى

---

* قوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة (قال فيه ان قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب انهم أنكروا الاعادة الخ) قال أحمد وما أحسن تسهيل أمر الاعادة بقوله زجرة عوضا من صيحة لان الزجرة أخف من الصيحة وبقوله واحدة أى غير محتاجة الى مثنوية وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة حيث قيل كيف وحدها وهما نفختان فجدد به عهدا * قوله تعالى ثم أدبر يسعى (قال فيه أى لما رأى الثعبان ولى هاربا مذعورا الخ) قال أحمد وهذا الوجه الاخير حسن لطيف جدا وهو على هذا من أفعال المقاربة

(قال وقوله نكال الآخرة والاولى يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة الخ) قال أحمد فعلى الاول يكون قريبا من اضافة الموصوف الى الصفة لان الآخرة والاولى صفات للكلمتين وعلى الثانى لا يكون كذلك * قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج (قال فان قلت هلا أدخل العاطف على (٥٢٢) أخرج الخ) قال أحمد والاول أحسن وهو مناسب لقوله السماء بناها لانه لما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء ثم الكلام لكن مجملا ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال بناها بغير عاطف ثم فسر البناء فقال رفع سمكها بغير عاطف أيضا * قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى (قال فيه يعنى أظهرت اظهارا بينا مكشوفا الخ) قال أحمد وفائدة هذا النظم الاشعار بانه أمر ظاهر لا يتوقف ادراكه الا على البصر خاصة أى لا شئ يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته ولا قرب مفرط الى حيث غير ذلك من موانع الرؤية * قوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها (قال فيه مرساها أى مستقرها الخ) قال أحمد وفيه اشعار بثقل اليوم كقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ألا تراهم لا يستعملون الارساء الا فيما له ثقل كمرسى

(نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهى قوله أنا ربكم الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكرى البعث يعنى (أأنتم) أصعب (خلقا) وانشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء (فان قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى أنعامهم (الطامة) الداهية التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وفى أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر) بدل من اذا جاءت يعنى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه * وما فى (ما سعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أى لكل أحد يعنى أنها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذى عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد (فأما) جواب فاذا أى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك * والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان و (هى) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص فى جوفه (أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها أراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها

نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها

السفينة وارساء الجبال * عاد كلامه (قال ومعنى فيم أنت أى فى أى شئ أنت من أن تذكر (٥٢٣) وقتها الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه تطرف فان الآية الاخرى ترده وهى قوله يسئلونك كأنك حفى عنها أى انك لا تحتفى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسئلونك كما يسئل الحفى عن الشئ أى الكثير السؤال عنه فالوجه الاول أصوب * عاد كلامه (قال وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال الخ) قال أحمد فعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله فيم ليفصل بين الكلامين

(القول فى سورة عبس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله فانت له تصدى (ذكر سبب الآية وهو ان ابن أم مكتوم الاعمى الخ) قال أحمد وانما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا ما يتلقى الاختصاص من ذلك ولقد غلط فى تفسير الآية وما كان له أن يبلغ ذلك

فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها

(سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له

حيث تنتهى اليه (فيم أنت) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس * أى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور (الا عشية أو ضحاها) (فان قلت) كيف صحت اضافة الضحى الى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد (فان قلت) فهلا قيل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح (أن جاءه) منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى وأعرض لذلك وقرئ آأن جاءه بهمزتين وبألف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ والزام الحجة وفى ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء (وما يدريك) وأى شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) أى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكراك أى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى أنك طمعت

فى أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى (تصدى) تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء فى الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (فان قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه أى مثلك خصوصا لا ينبغى له أن يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (انها تذكرة) أى موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ (فى صحف) صفة لتذكرة يعنى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أو مرفوعة المقدار (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين لا يمسها الا أيدى ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (بررة) أتقياء وقيل هى صحف الانبياء كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الانسان) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و (ما أكفره) تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه * ثم أخذ فى وصف حاله من ابتداء حدوثه الى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر (من أى شئ خلقه) من أى شئ حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشئ بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شئ فقدره تقديرا * نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره الميت اذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا (أنشره) أنشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية (ما أمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعنى أن انسانا لم يخل من تقصير قط * ولما عدد النعم فى نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الى مطعمه الذى يعيش به كيف دبرنا أمره (انا صببنا الماء) يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين ابن على رضى الله عنهما أنى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء * وشققنا من شق الارض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب * والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما * والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمى بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أى عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب

تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت

*عاد كلامه (قال) وفى قوله يسعى (٥٢٤) وهو يخشى تنبيه على وجوب حق ابن أم مكتوم الخ * قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره الى قوله ثم شققنا الارض شقا (دعاء عليه وهو من أشنع دعائهم الخ) قال أحمد ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه الله تعالى يقول ثم شققنا فيضيف فعله الى ذاته حقيقة كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله من نطفة خلقه وهلم جرا والزمخشرى يجعل الاضافة مجازية من باب اسناد الفعل الى سببه فيجعل اضافة الفعل الى الله تعالى من باب اضافة الشق الى الحارث لانه السبب قتل القدرى ما أكفره على قول وما أضله على آخر واذا جعل شق الارض مضافا الى الحراث حقيقة والى الله مجازا فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذى صب الماء وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة وهل هما الا واحد

يمشى

يمشي بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

* والاب المرعى لانه يؤب أي يؤم و ينتجع والاب والام أخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب به والمكرع

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب ومالا فدعوه (فان قلت) فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشئ من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الاب بعض ما أنبته الله للانسان متاعا له أو لانعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن * يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيأ * وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه (مسفرة) مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها أو سترها لان الثوب اذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره اذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار (فان قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أي عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب * والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها

الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش

* عاد كلامه في قوله يوم يفر المرء من أخيه الآية (نقل) في التفسير ان أول من يفر من أخيه هابيل وأول من يفر من أبويه ابراهيم وأول من يفر من صاحبته نوح ولوط وأول من يفر من ابنه نوح

أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال
قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى
آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت
السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من
سجر التنور اذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا
تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس
بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا
ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين * وأد يئد مقلوب من آد يؤد اذا أثقل
قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها
جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول
لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها
انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا
أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته
(فان قلت) ما حملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق
كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به
فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم توأد

(فان قلت) فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها
وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وانما قيل قتلت بناء على أن
الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ
ابن عباس رضى الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان أطفال المشركين
لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح
به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من
العذاب الشديد السرمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ
بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة
صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته وعن عمر رضى الله
عنه أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة
حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم
القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى
يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط
الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت
الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل
سعرها غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير
بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى اذا الشمس
كورت وفيما عطف عليه (فان قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

حشرت واذا البحار
سجرت واذا النفوس
زوجت واذا الموؤدة
سئلت بأى ذنب قتلت
واذا الصحف نشرت
واذا السماء كشطت
واذا الجحيم سعرت واذا
الجنة أزلفت

[illegible] II. 20; [illegible] aghani XIX. 4

محضرا

﴿القول فى سورة التكوير﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس (لم يتعرض فى تفسيره للعامل الخ) قال أحمد هذا الجواب لا يستمر لاجل ظهور الفعل والثانى فى قوله فلا أقسم بالخنس ولما أعضل الجواب عن هذا السؤال فى سورة التكوير التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب اجازة العطف على عاملين واتخذ هذه الآية وزره ومعتضده فى مخالفة سيبويه ورد على الزمخشرى جوابه فى سورة الشمس وضحاها لانه لم يطرد له ههنا وكان على رده يستحسن تيقظ فطنته فى استنباطه ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه فى امتناع العطف على عاملين فى جعل الواو الثانية عاطفة ويجرى جواب الزمخشرى ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول قوله والليل اذا عسعس هذه الواو الاولى ابتداء قسم والواو فى قوله والصبح اذا تنفس عاطفة فيطرد ما قال الزمخشرى * فان قيل فقد خالفتم سيبويه فانه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة وقد جعلتم الواو الاولى وهى متعقبة للقسم ابتداء قسم * قلنا انما تكلم سيبويه فى الواو المتعقبة للقسم بالواو وأما الآية فالقسم الاول فيها بالباء والفعل فجعلنا الواو بعد ذلك قسما وتبعا وهو أبلغ كانه أقسم قسمين بشيئين مختلفين * فان قيل أجل انما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو فما الفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء وما هما الا سواء فان كل واحد منهما آلة له والتاء تدل على الباء فحكمهما واحد * قلنا ليستا سواء فان القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى فجعلها قسما لاخر فيه تكرار مستكره اذ الآلة (٥٢٧) واحدة ولا كذلك اذا اختلفت الآلة فان عاملة التكرار مأمونة اذا ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو ثم تلاه قسم بالباء لتحتم جعلهما قسمين مستقلين فكذلك لو خولف هذا الترتيب وأيضا فانه ان كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسما مستقلا مجىء الجواب واحدا واحتياج الواو الاولى الى محذوف فالعطف يغنى عن تقدير محذوف فيتعين فلا يلزم اطراد الباء لانها أصل القسم لاسيما مع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا فان فى مجموع ذلك ما يغنى عن افراده بجواب مذكور ولا كذلك الواو فانها ضعيفة المكنة فى باب القسم بالنسبة الى الباء فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه فى الوضوح * وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول انما خصصت ايراد السؤال بالواو الثانية فى قوله والليل اذا عسعس دون الثالثة لانه غير متوجه عليها ألا تراك لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين لانك تجعلها نائبة عن الباء وتجعل اذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة اذ لم يتقدم فى جملة الفعل ظرف تعطف عليه اذا فتصير بمثابة قولك مررت بزيد وعمرو اليوم فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وافهم من المثال ان مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف وانما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة لكن يطابق الآية فان الظرف فيها وان عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل لا للقسم بالخنس * قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية (قال فيه المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته وثم اشارة الى الظرف المذكور يعنى عند ذى العرش الخ) قال أحمد ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوى على التقصير فى حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام ولقد أتبع الزمخشرى هواه فى تمهيد أصول مذهبه الفاسد فأخطأ على الاصل والفرع جميعا ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول أولا اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير الى أن المراد بالرسول الكريم ههنا

علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين

محضر الانفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل

قد أترك القرن مصفرا أنامله

وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى أو لا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه (الخنس) الرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله و(الجوارى) السيارة و(الكنس) الغيب من كنس الوحشى اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها * عسعس الليل وسعسع اذا أدبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا أقبل ظلامه (فان قلت) ما معنى تنفس الصبح (قلت) اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (انه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) اشارة الى الظرف المذكور أعنى عند ذى العرش

الى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فان يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه وان كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس فى المفاضلة بين الملائكة والرسل والمشهور عن أبى الحسن تفضيل الرسل ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة الا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا نسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل لان التفضيل وان كان ثابتا الا أن فى التعيين ايذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى أى لا تعينوا مفضولا على التخصيص لان التفضيل على التعميم ثابت باجماع المسلمين أى تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على النبيين أجمعين وكان جدى رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء فلان أفضل أهل عصره لكان فى الجماعة احتمال لهذا التفضيل وان لزم اندراجهم فى المفضولين ولو عينت واحدا منهم وقلت فلان أفضل منك وأتقى لله لاسرع به الاذى الى بغضك واذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز اطلاق التفضيل على التخصيص علمت أن الزمخشرى أخطأ على أصله لانه بتقدير أن يكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال عن أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الانبياء على التخصيص لا سيما فى سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم ان المراد جبريل وبعد ان نسكله فى تعيينه النبى صلى الله عليه وسلم وعده مفضولا الى الله فنقول لم يذكر فيها نعت الا وللنبى صلى الله عليه وسلم مثله أو لها رسول كريم فقد قال فى حقه صلى الله عليه وسلم فى آخر سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وقد قيل أيضا ان المراد جبريل الا أنه يأباه قوله وما هو بقول شاعر وقد وافق الزمخشرى في

على ذلك فيما تقدم فهذا أول النعوت وأعظمها وأما قوله ذى قوة فليس محل الخلاف اذ لا نزاع فى ان لجبريل عليه السلام فضل القوة والجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مراء فى فضل قوته على قوة البشر وقد قيل هذا فى تفسير قوله ذو مرة فاستوى وقوله عند ذى العرش مكين مطاع ثم فقد ثبت طاعة الملائكة أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله يقرئك السلام وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عندما آذته قريش فسلم عليه الملك وقال ان أمرتنى أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت فصبر النبى صلى الله عليه وسلم واحتسب وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود فى الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد اذ يقول الله تعالى له ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق والله انى لامين فى الارض أمين فى السماء وحسبك قوله وما هو على الغيب بضنين ان قرأته بالظاء فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم أمين على الغيب غير متهم وان قرأته بالضاد رجع الى الكرم فكيف يذهب الى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء ومالى مباحثة فى أصل المسئلة ولكن الرد عليه فى خطئه على كل قول يتعين والا فالمسئلة فى غير هذا الكتاب فنسأل الله أن يثبتنا على الايمان به وملائكته وكتبه ورسله وعلى القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان يعمر قلوبنا بحبهم وان يجعل توسلنا اليه بهم وهو حسبنا ونعم الوكيل

وماصاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين

على أنه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة (وماصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وماصاحبكم بمجنون (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى اليه وغير ذلك (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أحد الاحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فان قلت) فان وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا

في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين وانما أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يامن يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يامن لايشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انفطرت) انشقت (فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصيره مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور أخوان * بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين (فان قلت) مامعنى قوله (ماغرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صيح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد مامكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ماشئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ماغرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت * ما في (ماشاء) مزيدة أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ماقبلها (قلت) لانها بيان لعدلك (فان قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون في أي معنى التعجب أي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ماشاء ركبك أي ركبك ماشاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا (كلا) ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله

(قال فيه ان قلت قوله ماغرك بربك الكريم مامعناه وكيف يطابق الوصف بالكريم الخ) قال أحمد حجة الزمخشري ههنا فارغة فان الآية انما وردت في الكفار بدليل قوله كلا بل تكذبون بالدين ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع

لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك كلا

معاذيرهم لا على ان تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة فان الله لا يجب عليه شئ ويجوز عقلا ان يثيب الكافر ويخلده في الجنة وبالعكس في المؤمن ولولا ورود السمع باثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير اليه لكان ماذكرناه في الجواز والاحتمال فان الله عز وجل يفعل مايشاء ويحكم مايريد

والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وان عليكم لحافظين) تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (وماهم عنها بغائبين) كقوله وماهم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعنى فى قبورهم وقيل أخبر الله فى هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التى يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التى يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وماهم عنها بغائبين * يعنى أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دارك كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول فى وصفه فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه أو باضمار اذكر ويجوز أن يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو فى محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن على رضى الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان فى النار فقيل له ان ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه فى النار وعن أبى رضى الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل وألسن الموازين * لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك * والضمير فى (كالوهم أو وزنوهم) ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم

بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله

﴿سورة المطففين وهى ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (قال فيه لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالا يضرهم الخ) قال أحمد لا منافرة فيه ولا يجعل هذا القائل الضمير دالا على مباشرة ولا اشعار أيضا فيه بذلك وانما يكون نظم الكلام على هذا الوجه اذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه واذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه والله أعلم والذى يدلك على ان الضمير لا يعطى مباشرة الفعل انك ان تقول الامراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة ولست تعنى انهم يباشرون ذلك بأنفسهم وانما معناه ان فعل ذلك من جهتهم خاصة

أووزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى
نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين
انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو
كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب
بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني
رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى
جميعا لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك
هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا
يرتكبان ذلك أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا (فإن قلت)
هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أووزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كالوا
أووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن)
إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا (أنهم
مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما
تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا
قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به
فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل
أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر * ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون
وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث
والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم * وكتاب الفجار
ما يكتب من أعمالهم (فإن قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم
فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال
الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم
من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من
السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض
السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانة به وإذالة وليشهده الشياطين المدحورون
كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فإن قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول
من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به
للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدي الأثيم عن قوله (ران على قلوبهم)
ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل
الخير ولا يميل إليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا

يخسرون ألا يظن أولئك
أنهم مبعوثون ليوم
عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين كلا إن
كتاب الفجار لفي سجين
وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم ويل
يومئذ للمكذبين الذين
يكذبون بيوم الدين
وما يكذب به إلا كل
معتد أثيم إذا تتلى
عليه آياتنا قال أساطير
الأولين كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا
يكسبون

* عاد كلامه (قال)
والتعلق في إبطال هذا
بخط المصحف لعدم
الألف بعد الواو ركيك
الخ

وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم * وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب * وكتاب الابرار ما كتب من أعمالهم * وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماله وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله من سلطانه أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين (الارائك) الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ماشاؤا مد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (نضرة النعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع * الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها أرفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روى أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم * و(عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أي ينسبون المسلمين الى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم * ثوبه وأثابه بمعنى اذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

* قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (قال فيه كونهم محجوبين عنه تمثيل الخ) قال أحمد هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية فان الله تعالى ما خص الفجار بالحجاب الا دل على ان المؤمنين الابرار مرفوع عنهم الحجب ولا معنى لرفع الحجاب الا الادراك بالعين والا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال هذا هو الحق وما بعد الحق الا الضلال وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بآية واطلع الكتاب والسنة يحظى بها والله المسؤل في العصمة

(سورة

﴿سورة انشقت مكية وهى خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم فى مثلها من سورتى التكوير والانفطار وقيل جوابها مادل عليه فلاقيه أى اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة * أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت فى انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعنى وهى حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشئ فامتد وهو أن تزال جبالها واكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مدت مد الاديم العكاظى لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أى زيدت سعة وبسطة (وألقت مافيها) ورمت بما فى جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق مافى طبعهما (وأذنت لربها) فى القاء مافى بطنها وتخليها * الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى (كادح الى ربك) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير فى ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لايناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يارسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله فى الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك * وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (فى أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعنى أنه كان فى الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لايهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون فى العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (ظن أن لن يحورا) ان يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لايحور ولا يحول أى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت أدرى مامعنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حورى أى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (ان ربه كان به بصيرا) وبأعماله لاينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة ابن عبد الاشد وأخيه الاسود بن عبد الاشد * الشفق الحمرة التى ترى فى المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه فى احدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمى لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (اذا اتسق) اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة * قرئ لتركبن على خطاب الانسان فى ياأيها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على

﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت وأذنت لربها وحقت ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق

﴿القول فى سورة الانشقاق﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وأذنت لربها وحقت (قال فيه معنى أذنت استمعت الخ) قال أحمد نغص تفسير الآية بقوله القادر بالذات وما باله لايقول القادر الذى عمت قدرته الكائنات حتى لا كون الا بقدرته حقيق أن يسمع له ويطاع فيثبت

لتركبن الانسان * والطبق ماطابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا أى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ماتطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عزوعلا (طبقاعن طبق) أى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت ومابعده من مواطن القيامة وأهوالها (فان قلت) مامحل عن طبق (قلت) النصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه (لايسجدون) لايستكينون ولايخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة (الذين كفروا) اشارة الى المذكورين (بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (الا الذين آمنوا) استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

﴿سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* هى البروج الاثنا عشر وهى قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التى هى منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) يعنى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود مافى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اماماذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كانه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام فى الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم الاوينادى انى يوم جديد وانى على مايعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام (فان قلت) أين جواب القسم (قلت) محذوف يدل عليه قوله (قتل أصحاب الاخدود) كانه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق أنواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ماكانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الاخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه فى أخاقيق جرذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان لبعض الملوك ساحر فلما كبرضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص

ويشفى

لتركبن طبقاعن طبق فما لهم لايؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

﴿سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود

لله صفة الكمال وبوحده حق توحيده هو خير من سلب صفة الكمال من الله تعالى واشراك مخلوقاته به جل ربنا وعز

ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فأبراه فأبصره الملك فسأله فقال من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر باخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى وقيل قال لها ما هى الا غميضة فصبرت وعن على رضى الله عنه أنهم حين اختلفوا فى أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله أحل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الاخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الاخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا ذكر أصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم (اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى (عليها) على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله

* وبات على النار الندى والمحلق * وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه * ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (وما نقموا منهم) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * قال ابن الرقيات

مانقموا من بنى أمية الا * أنهم يحلمون ان غضبوا

وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح * وذكر الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه * يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين أولهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم * البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ البطش ويعيده يعنى يبطش بهم فى الدنيا وفى الآخرة أو دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم

النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور

﴿القول في سورة البروج﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى فعال لما يريد (قال فيه انما يقال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة) قال أحمد ما قدر الله حق (٥٣٦) قدره هلا قال لانه لا فاعل الا هو وهل المخالف لذلك الا مشرك وكم أراد الله تعالى على

ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا *وقرئ ذي العرش صفة لربك *وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدإ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) أي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه * والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشئ المحيط به *ومعنى الاضراب ان أمرهم أعجب من أمر أولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أي بل هذا الذي كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أي قرآن رب مجيد * وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(النجم الثاقب) المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دريء لانه يدرؤه أي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق أو لانه يطرق الجني أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها (فان قلت) ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم روي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا فجزع أبو طالب وقال أي شئ هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت (فان قلت) ما جواب القسم (قلت) (ان كل نفس لما عليها حافظ) لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شئ رقيبا وكان الله على كل شئ مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الانسان بالنظر في أول أمره ونشأته الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته (مم خلق) استفهام جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما

معتقد القدرية من فعل فلم يفعله وهب انا اطرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله في جميع مراده فارده الى النصوص الانكوص عن النصوص *عاد كلامه (قال) في قوله

الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج

تعالى هل أتاك حديث الجنود الخ معناه قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل الخ

(القول في سورة الطارق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (قال) الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه الخ

واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج * فى صلب مثل العنان المؤدم * وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله اننى لفقير (يوم تبلى) منصوب برجعه ومن جعل الضمير فى رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب أو الاحليل أو الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما فى والسماء والطارق (فماله) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ولا مانع يمنعه * سمى المطر رجعا كما سمى أوبا قال

ربَّاء شماء لا يأوى لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

تسمية بمصدرى رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع فى المدجنة السارية * والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات (انه) الضمير للقرآن (فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) يعنى انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقى ذهنه الى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين فى قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه (انهم) يعنى أهل مكة يعملون المكايد فى ابطال أمر الله واطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدى من استدراجى لهم وانتظارى بهم الميقات الذى وقته للانتقام منهم (فمهل الكافرين) يعنى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أى امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعانى التى هى الحاد فى أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم * ويجوز أن يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ على رضى الله عنه سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوى) أى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الافعى اذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على

من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

﴿سورة سبح مكية وهى تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى

﴿القول فى سورة الاعلى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال) فيه وجهان أحدهما ان أحوى
صفة لغثاء أى جعله بعد خضرته (٥٣٨) ورقيفه غثاء أحوى الخ * قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى (قال الاشقى
الكافر لانه أشقى من
الفاسق والنار الكبرى
السفلى من اطباق النار)
قال أحمد يشير الى خلود
الفاسق مع الكافر فى
أسافل النار والفاسق
أعلى منه كما تقدم له
التصريح بذلك كثيرا
* عاد كلامه قال وقوله
لا يموت فيها ولا يحيى
لان الترجح بين الحياة

والذى أخرج المرعى
فجعله غثاء أحوى
سنقرئك فلا تنسى الا
ما شاء الله انه يعلم الجهر
وما يخفى ونيسرك
لليسرى فذكر ان نفعت
الذكرى سيذكر من
يخشى ويتجنبها الاشقى
الذى يصلى النار
الكبرى ثم لا يموت
فيها ولا يحيى قد أفلح
من تزكى وذكر اسم
ربه فصلى

والموت أقطع من الصلى
الخ * قوله تعالى قد أفلح
من تزكى وذكر اسم
ربه فصلى (نقل عن على
أنه قال هو التصدق
بصدقة الفطر وقال
لا أبالى أن لا أجد فى
كتابى غيرها الخ) قال
أحمد فى تلاقى هذين
الحكمين الاخرين
من الآية تكلف أما الاول فلان العطف وان اقتضى المغايرة فيقال بوجهها فنحن ان قلنا ان تكبيرة الاحرام جزء من انه
الصلاة فالجزء مغاير للكل فلا غرو أن يعطف عليه والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه واما الثانى فلان الاسم معرف بالاضافة
وتعريف الاضافة عهدى عند محقق الفن حتى ان القائل اذا قال جاءنى غلام زيد ولزيد غلامان فانما تفهم من قوله معينا منهم بسابق

شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من
مصالحه وما لا يحصر من حوائجه فى أغذيته وأدويته وفى أبواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور
وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى * وقرئ قدر بالتخفيف
* أحوى صفة لغثاء أى (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورقيفه (غثاء أحوى) دريناً أسود ويجوز
أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حوته
* بشره الله باعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ
فيحفظه ولا ينساه (الا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل
بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة الى أن تحفظه ثم
لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال الا ما شاء الله يعنى القلة والندرة كما روى أنه أسقط آية فى
قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال الا ما شاء الله والغرض نفى النسيان رأسا
كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمى فيما أملك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شئ وهو من استعمال القلة
فى معنى النفى وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراءته
وتكريره فتنساه الا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (انه يعلم الجهر) يعنى أنك تجهر بالقراءة مع
قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل
فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو
مصلحة لكم فى دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحى ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء (ونيسرك لليسرى)
معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر
وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل
الجنة (فان قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع
(قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا
يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا
فى تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام
وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثانى أن يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما
للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ
عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (سيذكر) فيقبل التذكرة
وينتفع بها (من يخشى) الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير
خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتحاماها (الاشقى) الكافر لانه
أشقى من الفاسق أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى
الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى
نار الدنيا * وقيل (ثم) لان الترجح بين الحياة والموت أقطع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى
لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (تزكى) تطهر من الشرك والمعاصى أو تطهر للصلاة أو تكثر من
التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أى الصلوات الخمس نحو
قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه

ء هدبينك وبينه هذا مهيع تعريف الاضافة والمعهود في افتتاح الصلاة ما استمر النبي صلى الله عليه وسلم على العمل به قولا وفعلا وهو
التكبير المعروف ولو بدر لنا على انه في الآية مطلق فالحصر في قوله تحريمها التكبير قيد اطلاقه * عاد كلامه (ونقل

أنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أي أعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل في نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة أرنب (هذا) اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان على وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

﴿ سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم * قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن * الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن في هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود

(فان قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام الا من ضريع) وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أن طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا

عن الضحاك ان المراد ذكر الله بالتكبير في طريق المصلى يصلي صلاة العيد

﴿ القول في سورة الغاشية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة (قال فيه معناه

بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

﴿ سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ

ذليلة تعمل في النار عملا تنصب منه وهو جرها السلاسل الخ) قال أحمد الوجه الاول متعين لان الظرف المذكور وهو قوله يومئذ مقطوع عن الجملة المضاف اليها
تقديرها يوم اذ غشيت وذلك في الآخرة بلا اشكال وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها أعني خاشعة عاملة ناصبة فكيف يتناول أعمال
الدنيا * عاد كلامه * قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع (قال فيه الضريع يبيس الشبرق وهو جنس

الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن فى البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما أن يتكذبوا و يتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفى السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (لاغية) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو ولا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم * وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عيونا فى غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشئ اذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند الى أخرى (وزرابى) وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس (أفلا ينظرون الى الابل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أرادها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان أظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شئ نابت فى البرارى والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر الى الابل كيف خلقت (فان قلت) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (قلت) قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا فى أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد (كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل ولا تزول و (كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى مهاد للمتقلب عليها * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه * أى لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون (انما أنت مذكر) كقوله ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو فى لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه (الا من تولى) استثناء منقطع أى لست بمستول عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه

ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

من الشوك ترعاه الابل مادام رطبا (الخ) قال أحمد فعلى الوجه الاول يكون صفة مخصصة

وقرا

* وقرأ أبو جعفر المدنى ايابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيب فيعل من الاياب أو أن يكون أصله أوّابا فعالا من أوّب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم فعل به مافعل بأصل سيد وميت (فان قلت) مامعنى تقديم الظرف (قلت) معناه التشديد فى الوعيد وأن ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر * وأراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة (فان قلت) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فان قلت) فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالغاز والتعمية * وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع أيامها وذاك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك وقد أكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم (اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس * وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن أبى عمرو * وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال أيام عشر وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) يريد هل يحق عنده أن تعظم بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

Diwan d'Ibn Ruqayyat LXI.37

مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبلها ارما

فارم فى قوله (بعاد ارم) عطف بيان لعاد وايذان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعنى بعاد أهل أعلام ذات العماد و(ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعاد أرمّ ذات العماد أى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة

﴿سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى

* قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم (قال فيه ان قلت ما معنى تقديم الظرف وأجاب بان معناه التشديد فى الوعيد الخ) قال أحمد ومعنى ثم الدلالة على ان الحساب أشد من الاياب لانه موجب العذاب وبادرته * عاد كلامه (قال ومعنى الوجوب وجوب الحكمة) قال أحمد أخطأ على عادته ليس على الله واجب وقد تقدم معنى على فى غير هذا والله أعلم

﴿القول في سورة الفجر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب (قال) انما خص السوط تقليلا لعذاب الدنيا بالنسبة الى ما أعدلهم الخ * قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان الآية قال (فيه ان قلت كيف اتصل قوله فاما الانسان بما قبله الخ) قال أحمد قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة ولا يأمره الا بها فاسد الصدر مبني على أصله الفاسد سليم العجز * عاد كلامه (قال ان قلت كيف يوازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله وأما اذا ما ابتلاه) قال أحمد يريد انه صدر ما بعد أما الاولى بالاسم وما بعد أما الثانية بالفعل ومقصود السائل أن يكونا مصدرين اما باسمين أو بفعلين * عاد كلامه أجاب عن السؤال بان التقدير بعد الثانية اسم واقع مبتدأ مخبرا عنه بقوله فيقول ربي أهانن حتى يوازن الاول فانه كذلك (قال فان قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه وأجاب بان البسط اكرام من الله تعالى للعبد من غير سابقة) ولا قيد زائد تفريعا على أصله الفاسد والحق ان كل نعمة من الله كذلك * عاد كلامه (قال) وأما التقدير فليس باهانة فان ترك التفضل لا يعد اهانة ألا تراك تقول أكرمني زيد بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني اذا لم يهد اليك شيأ

لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن

وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (لم يخلق مثلها) مثل عاد (في البلاد) عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها أي لم يخلق الله مثلها (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة * قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا أو لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية (الذين طغوا) أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون * يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا أتى على هذه الآية قال ان عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها * المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الاهواء والبدع باحتجاجه (فان قلت) بم اتصل قوله (فأما الانسان) (قلت) بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فأما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها (فان قلت) فكيف توازن قوله فاما الانسان (اذا ما ابتلاه ربه) وقوله وأما اذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما تقول أما الانسان فكفور وأما الملك فشكور أما اذا أحسنت الى زيد فهو محسن اليك وأما اذا أسأت اليه فهو مسيء اليك (قلت) هما متوازنان من حيث ان التقدير وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله (فيقول ربي أكرمني) خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره (فان قلت) كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء (قلت) لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فان قلت) هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (قلت) لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني

(قال فان قلت فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمنى وذمه عليه كما أنكر قوله ربى أهاننى وذمه عليه وأجاب بأمرين أحدهما ان المنكر عليه اعتقاده ان اكرام الله تعالى له عن استحقاق لمكان نسبه وحسبه وجلالة قدره كما كانوا يعتقدون الاستحقاق بذلك على الله كما قال انما أوتيته على علم) قال أحمد والقدرى لا يبعد عن ذلك لانه يرى أن النعيم الاعظم فى الآخرة حق للعبد على الله واجب له عليه ليس بتفضل ولا ممنون * عاد كلامه (قال الثانى ان سياق الانكار والذم الى قوله ربى

ولا أكرمنى اذا لم يهدلك (فان قلت) فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (قلت) فيه جوابان أحدهما أنه انما أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده الى أن الله أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها والثانى أن ينساق الانكار والذم الى قوله ربى أهانن يعنى انه اذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فأكرمه * وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة (كلا) ردع للانسان عن قوله * ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الانعام ويحبونه فيشحون به * وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء * وقرئ تحاضون أى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم * ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة * ويومئذ بدل من (اذا دكت الارض) وعامل النصب فيهما يتذكر (دكا دكا) دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا * (فان قلت) ما معنى اسناد المجىء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان فى جهة (قلت) هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (صفا صفا) ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجىء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وروى أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضى الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على له كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع * أى يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين

أهانن بمعنى أنه اذا تفضل عليه بالخير اعترف بتفضيل الله تعالى واذا لم يتفضل عليه سمى ترك الفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فأكرمه) قال أحمد

كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى

يقول كأنه يجعل قوله فأكرمه توطئة لذمه على قوله أهانن لانه مذموم معه * عاد كلامه قوله تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين الآية (قال فيه انما أضرب عن الاول للاشعار بان هنا ما هو أشر من القول الاول الخ) قال أحمد وفى هذه الآية اشعار بابطال الجواب الثانى من جوابى الزمخشرى فانه جعل قوله أكرمن غير مذموم ودلت هذه الآية على أن المعنى ان المكرم بالبسط بالرزق حالتين احداهما اعتقاده ان اكرام الله له عن استحقاق الثانية أشد من الاولى وهى أن لا يعترف بالاكرام أصلا لانه يفعل افعال جاحدى النعمة فلا يؤدى حق الله الواجب عليه فى المال من اطعام اليتيم والمسكين * عاد كلامه (قال) وقوله ويأكلون التراث أكلا لما يجوز فيه وجوه منها انهم يجمعون الى نصيبهم من الميراث نصيب غيرهم الخ

يوم يتذكر و بين وأنى له الذكرى تناف وتناقض (قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان فى أيديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب أهل الاهواء والبدع والافا معنى التحسر * قرئ بالفتح يعذب و يوثق وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبى عمرو أنه رجع اليها فى آخر عمره * والضمير للانسان الموصوف وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (يا أيتها النفس) على ارادة القول أى يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس اما أن يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك و (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة (فان قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى وقرأ ابن عباس فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى وقرأ أبى ائتى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿سورة البلد مكية وهى عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعنى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا به صيدا و يعضدوا به شجرة و يستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعنى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا و بيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (فان قلت) أين نظير قوله وأنت حل فى معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع فى كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو فى كلام الله أوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت

يا ليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى

﴿سورة البلد مكية وهى عشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد أيحسب

(القول فى سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (قال) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على ان الانسان خلق مغمورا الخ

نزولها فيا بال الفتح (فان قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذى هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل وبمن ولده وبه (فان قلت) لم نكر (قلت) للابهام المستقل بالمدح والتعجب (فان قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) فيه ما فى قوله والله أعلم بما وضعت أى بأى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد * والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده اذا أصاب كبده قال لبيد

يا عين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى فى شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير فى (أيحسب) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعنى أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للانسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج برئ فهو حقيق بأن أعظمه بقسمى به لقد خلقنا الانسان فى كبد أى فى مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة * لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية (فان قلت) قلما تقع لا الداخلة على الماضى الا مكررة ونحو قوله فأى أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فالهالم تكرر فى الكلام الافصح (قلت) هى متكررة فى المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن * والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين فى تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الاعمال وعن أبى حنيفة رضى الله عنه ان العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبى حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبى فى رجل عنده فضل نفقة أيضعه فى ذى قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار * قرئ فك رقبة أو اطعام على هى فك رقبة أو اطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض ومعناه أنك لم تدرك كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله * والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب

أن لن يقدر عليه أحد
يقول أهلكت مالا لبدا
أيحسب أن لم يره أحد
ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه
النجدين فلا اقتحم العقبة
وما أدراك ما العقبة
فك رقبة أو اطعام فى
يوم ذى مسغبة يتيما ذا
مقربة أو مسكينا ذا
متربة

﴿القول في سورة الشمس﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها (قال) فيه جعلها بعضهم مصدرية في الثلاث وليس بالوجه الخ * قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قال فيه معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان (٢٤٦) أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه الخ) قال أحمد بين في هذا الكلام نوعين من الباطل أحدهما في قوله معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح والذي يكنه في هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

(سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها

في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أى صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه أو اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به * والمرحمة الرحمة أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن * قرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي أن أسد أذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ضحاها ضوؤها اذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب أن ينتصف (اذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور (اذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق (فان قلت) الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما * جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا (فان قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس * ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من

والقبح مدركان بالعقل ألا ترى الى قوله اعقالهما أى خلق العقل الموصل الى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح وانما اغتنم في هذا فرصة اشعار الالهام بذلك فانه ربما يظن أن اطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد والذي يقطع دابر هذه النزغة أنا وان قلنا ان الحسن والقبح لا يدركان اختيار الا بالسمع لانهما راجعان الى الاحكام الشرعية التي ليست عندنا بصفات الافعال فانا لا ننفي حظ العقل من ادراك الاحكام الشرعية بل لا بد في علم كل حكم شرعي من المقدمتين عقلية وهي الموصلة الى العقيدة وسمعية مفرعة عليها وهي الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بظاهر لو سلم ظهوره في قاعدة قطعية بمعزل عن الصواب * النزغة الثانية وهي التي كشف القناع في ابرازها ان التزكية

اختيار ماشاء منهما بدليل قوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل فى تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما وأما قول من زعم أن الضمير فى زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع الى من لانه فى معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو برىء منه ومتعال عنه ويحيون ليالهم فى تمحل فاحشة ينسبونها اليه (فان قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ * الباء فى (بطغواها) مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى فى المصادر (اذ انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و (أشقاها) قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى أفعل التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم * والضمير فى (لهم) يجوز أن يكون للاشقين والتفضيل فى الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و (ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبى الصبى باضمار ذروا أو احذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فدمدم عليهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسواها) الضمير للدمدمة أى فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الابقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض أو فى الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفى مصاحف أهل المدينة والشأم فلا يخاف وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار واما كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء * وفى قراءة النبى صلى

وقسمها اليه مخلوقين لله تعالى بل لشركائه المعتزلة وانما ارضه فى الظاهر من فحوى الآية على انه لم يذكر وجها فى الرد على من قال ان الضمير لله تعالى وانما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهه على أهل السنة فنقول لامراء فى احتمال عود الضمير الى الله تعالى والى ذى النفس لكن عوده الى الله تعالى أولى لوجهين أحدهما ان الجمل سيقت سياقة واحدة من قوله والسماء وما بناها وهلم جرا والضمائر فيما تقدم هذين الفعلين عائدة الى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر لغير الله تعالى ذكر وان قيل بعود الضمير الى غيره فانما يتمحل لجوازه بدلالة الكلام ضمنا واستلزاما لا ذكرا ونطقا وما جرى ذكره أولى ان يعود الضمير عليه الثانى ان الفعل المستعمل فى الآية التى استدل بها

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها

﴿سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم

فى قوله قد أفلح من تزكى تفعل ولا شك أن تفعل مطاوع فعل فهذا بأن يدل لنا أولى من أن يدل له لان الكلام عندنا نحن قد أفلح من زكاه الله فتزكى وعنده الفاعل فى الاثنين واحد أضاف اليه الفعلين المختلفين ويحتاج فى تصحيح الكلام الى تعديد اعتبار وجهه ونحن عنه فى غنية على انا لا نأبى ان تضاف التزكية والتدسية الى العبد على طريقة انه الفاعل كما يضاف اليه الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات لان له عندنا اختيارا وقدرة مقارنة وان منعنا البرهان العقلى الدال على وحدانية الله تعالى ونفى الشريك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالقة فهذا جوابنا على الآية تنزلا والا فلم يذكر وجها من الرد فيلزمنا الجواب عنه وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت والله الموفق * عاد كلامه (قال) وجواب القسم محذوف تقديره ليدمدمن عليهم أى على أهل مكة الخ

﴿القول في سورة الليل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى (قال فيه) يدل على أن الخنثى المشكل عندنا لابد أن يكون عند الله من أحد القبيلين ولا يكون عنده نوعا ثالثا الخ *قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (قال فيه التيسير لليسرى خلق الالطاف الخ) قال أحمد ألا يطيل لسانه ههنا على أهل السنة ولكن قصره الحق فتراه يؤول الكلام بل يعطله لانه يحمله مالا يحتمله وعلى كلامه في أمثالها روعة السارق الخائف *قوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى الخ (قال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم أن كل شقى يصلاها الخ) قال أحمد لا شك ان السائل بنى سؤاله على التمسك بمفهوم الآية لورودها بصيغة التخصيص فحاصل جواب الزمخشرى ان التخصيص ههنا لفائدة أخرى غير النفى عما عدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة وحيث تعرض لك السؤال والجواب فهو يلاحظ نظر الشافعى رحمه الله فى قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فانه لم يقل بمفهوم حصرها وحملها على ان الحصر لفائدة المقابلة بالرد لاحكام (٥٤٨) الجاهلية لا لنفى ما عدا المحصور على ان الزمخشرى انما ضيق عليه الخناق فى هذه الآية حتى التزم ورود السؤال المذكور التفاته الى قاعدته الفاسدة وحذره ان تنقض

لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى

الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والانثى وعن الكسائى وما خلق الذكر والانثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان كان مشكلا عندنا (شتى) جمع شتيت أى ان مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره (أعطى) يعنى حقوق ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيؤه لها من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الامور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (واستغنى) وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه فى مقابلة واتقى (فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريق الجنة والنار أى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل نزلتا فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبى سفيان بن حرب (وما يغنى عنه) استفهام فى معنى الانكار أو نفى (تردى) تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (ان علينا للهدى) ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) أى ثواب الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين *وقرأ أبو الزبير تتلظى *(فان قلت) كيف قال (لا يصلاها الا الاشقى *وسيجنبها الاتقى) وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يجنبها لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما

ويأبى الله الا نقضها ورفضها واذا نزلت الآية على قواعد السنة وضح لك ما قلته فنقول الصلى فى اللغة أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه بين اطباقه فأما تصنع ماسوى فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بصلى وهذا التفسير بعينه نص عليه الزمخشرى ونقله عن أهل اللغة فى سورة الغاشية أيضا وانا وقفت عليه فى كتبهم فاذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الاحراق بالنار وفى علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف مؤمن صالح فائز ومؤمن عاص وكافر وان المؤمن الفائز يمر على النار فيطفئ نوره لهبها ولا يؤلم بمسها البتة وانما يردها تحلة القسم والعاصى ان شاء الله تعذيبه ومجازاته فانما يعذب على وجه النار فى الطبقة الاولى باتفاق حتى ان منهم من تبلغ النار الى كعبه وأشدهم من تبلغ النار الى موضع سجوده فيحرمه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله تعالى والكافر هو المعذب بين أطباقها تبين لك أن النار لا يصلاها أى يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره فى اللغة الا الكافر وهو الاشقى لان المؤمن العاصى لا يبلغ مبلغه فى الشقاء وان المؤمن الفائز وهو الاتقى بالنسبة الى المؤمن العاصى يجنب النار بالكلية لان وروده تحلة القسم لا يصل اليه مسها ولا ألمها وان المؤمن العاصى الذى ليس بالاتقى ولا بالاشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية لان وروده تحلة القسم لا يعذب فيها الا بالصلى فهذا أحسن ما حملت الآية عليه لكن انما ينزل على جادة السنة وأما الزمخشرى فينحرف عنها فلا جرم انه فى عهدة الجواب

تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة (قلت) الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضى الله عنه (يتزكى) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فان قلت) ما محل يتزكى (قلت) هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فحله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أى ما لأحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما فى الدار أحد الا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار أحد الا حمار وأنشد فى اللغتين قول بشر بن أبى خازم

أضحت خلاء قفار الا أنيس بها * الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى مكية وهى احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ماودعك) جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعنى ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان أم جميل امرأة أبى لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت * حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (فان قلت) كيف اتصل قوله (وللآخرة خير لك من الاولى) بما قبله (قلت) لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه فى الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى أقطار الارض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف فى قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذى لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضى الله عنهما له فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فان قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون

يفكر ويقدر والله أعلم

وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى

﴿سورة والضحى مكية وهى احدى وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى

(القول فى سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (قال ان قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب بأنه لما كان فى ضمن التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك الخ) قال أحمد واخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف الى ذلك * عاد كلامه (قال) ثم وعده بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وعدا شاملا لجميع ما أعطاه فى الدنيا من الفتوحات والنصر وغير ذلك

الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لأقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك (فان قلت) ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة * عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك * وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين أوى هذه الموقسة واما من أوى له اذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشأم حين خرج به أبو طالب * فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما انه ليس بالسائل المستجدى ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره * التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان اذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه الا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة على رضي الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شئ وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

ألم يجدك يتيما فآوى
ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فأغنى
فأما اليتيم فلا تقهر
وأما السائل فلا تنهر
وأما بنعمة ربك فحدث

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح وايجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك

ألم نشرح لك صدرك

ولذلك

ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبار المعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التى يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبى جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها فى مخرجها فظن السامع أنه فتحها * والوزر الذى أنقض ظهره أى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوّة أو من جهله بالاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام أولى العناد من قومه وتلهفه * ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك * ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين والاخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فان قلت) أى فائدة فى زيادة لك والمعنى مستقل بدونه (قلت) فى زيادة لك ما فى طريقة الابهام والايضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فان قلت) كيف تعلق قوله (فان مع العسر يسرا) بما قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى أنتم فيه يسرا (فان قلت) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية وتقوية القلوب (فان قلت) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكرر المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد وأن تكون الاولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما أن يكون للجنس الذى يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال (فان قلت) فما المراد باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم فى أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب (فان قلت) فما معنى هذا التنكير (قلت) التفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأى يسر وهو فى مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فان قلت) فاذا ثبت فى قراءته غير مكرر فلم قال والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة (فان قلت) فكيف تعلق قوله (فاذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك

ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب

﴿القول فى سورة ألم نشرح﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

---

* قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك (قال فيه ان قلت ما فائدة لك مع ان الاضافة تغنى عنها الخ) قال أحمد وقد تقدم عند الكلام على نظيرها فى قوله قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى قريب من هذا المعنى والله أعلم

وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه انى لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغب بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد أى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضى لصح للناصبى أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بهما لانهما عجيبان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشأم لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون * وأضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب * والبلد مكة حماها الله * والامين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام فى كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه * ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فان قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثانى منقطع يعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم (فان قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى أنك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فأى شئ يضطرك الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء * والباء مثلها فى قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر

لا ترى

والى ربك فارغب

﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين

(القول فى سورة والتين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (قال فيه) خلقناه فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه الخ

لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك أيها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم * محل (باسم ربك) النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فان قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الانسان) (قلت) هو على وجهين اما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما أن يقدر ويراد خالق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته (فان قلت) لم قال (من علق) على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لان الانسان فى معنى الجمع كقوله ان الانسان لفى خسر (الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم (الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم فى صفة القلم

ورواقم رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين و(استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت فى أبى جهل وكذلك (أرأيت الذى ينهى) وروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروى عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فو الذى يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذى ينهى ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما

أليس الله بأحكم الحاكمين

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى

﴿القول فى سورة اقرأ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (قال) الرؤية ههنا من رؤية القلب ودلك على ذلك انها لو كانت بمعنى الابصار لامتنع الخ

يامره به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فان قلت) ما متعلق أرأيت (قلت) الذى ينهى مع الجملة الشرطية وهما فى موضع المفعولين (فان قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى (فان قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح فى قولك ان أكرمتنى أتكرمنى وان أحسن اليك زيد هل تحسن اليه (فان قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولى أرأيت (قلت) هى زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لابى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة قال عمرو بن معدى كرب

قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لاسفعا وكتبتها فى المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هى ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم *ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازى وهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ *والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون والمراد أهل النادى كما قال جرير *لهم مجلس صهب السبال أذلة* وقال زهير *وفيهم مقامات حسان وجوههم* والمقامة المجلس روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت *وقرأ ابن أبى عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسى وأصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لا تطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى أنا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها * ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالى (وما أدراك ما ليلة القدر) يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها * ثم بين له

ذلك

ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب

﴿سورة القدر خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة

(القول فى سورة القدر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أنزلناه فى ليلة القدر (قال) فيه عظم الله القرآن فيها من ثلاثة أوجه الاول انه أحال تنزيله اليه وجعله مختصا به الخ

ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد (تنزل) الى السماء الدنيا وقيل الى الارض (والروح) جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة (من كل أمر) أى تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (سلام هى) ما هى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين * وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعنى أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره فى الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما * وانفكاك الشئ من الشئ أن يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجىء البينة و(البينة) الحجة الواضحة و(رسول) بدل من البينة وفى قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل * والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند (فان قلت) لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب فى قوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) (قلت) لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفى ولكنهم حرفوا وبدلوا (وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة (فان قلت) ما وجه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله (قلت) معناه وما أمروا بما فى الكتابين الا لاجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا * قرأ نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل * وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب فى جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(زلزالها) قرئ بكسر الزاى وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (فان قلت) ما معنى زلزالها بالاضافة (قلت) معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله

والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر

﴿سورة القيمة مكية وهى ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه

(سورة الزلزلة تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الآيات (قال فيه)

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه الخ

﴿القول في سورة الزلزلة﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قال فيه ان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر الخ) قال أحمد السؤال مبني على قاعدتين احداهما ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر فان حسنات الكافر محبطة أي لا يثاب عليها ولا ينعم واما تخفيف العذاب تشبيها فغير منكر فقد وردت به الاحاديث الصحيحة وقد ورد ان حاتما يخفف (٥٥٦) الله عنه لكرمه ومعروفه وورد ذلك في حق غيره كابي طالب أيضا فحينئذ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب فيمكن أن يكون المرئي هو ذلك الاثر والله أعلم وأما القاعدة الثانية وهي القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر ويكفرها عن المؤمن فمردود عند أهل السنة فان الصغائر عندهم حكمها في التكفير حكم الكبائر تكفر باحد أمرين اما بالتوبة النصوح المقبولة واما بالمشيئة لا غير ذلك واما اجتناب الكبيرة عندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة فالسؤال المذكور اذا ساقط عن أهل السنة ولكن الزمخشري التزم الجواب عنه للزومه على قاعدته الفاسدة والله الموفق قال (القول في سورة والعاديات) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والعاديات ضبحا الآية (قال أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها الخ) قال أحمد ولم يذكر حكمة الاتيان بالفعل معطوفا على الاسم فنقول انما عطف أثرن على الاسم الذي هو العاديات وما بعده لانها اسماء فاعلين تعطي معنى الفعل وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل تصوير هذه الافعال في النفس فان التصوير

وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

﴿سورة والعاديات وهي احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعاديات ضبحا

وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي اكرامه وأهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه * الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (فان قلت) ما معنى تحديث الارض والايحاء لها (قلت) هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وأن هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها (فان قلت) اذا ويومئذ ما ناصبهما (قلت) يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث (فان قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها الا أن المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم (فان قلت) بم تعلقت الباء في قوله (بأن ربك) (قلت) بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كانه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا و(أوحى لها) بمعنى أوحى اليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال

* أوحى لها القرار فاستقرت *

وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف * يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار * ليروا جزاء أعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح * وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى أن اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن طريق

* والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء (فان قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح * والضبح صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح

قال عنترة

والخيل تكدح حين تضـ * ـبح فى حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ماينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع أى وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام مالم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فتى ينقع صراخ صادق أى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار أو قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ماقلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثورة وما أشبه ذلك وقيل الضبح لايكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت أضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة (فان قلت) علام عطف فأثرن (قلت) على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن * الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند أباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان أجل ما أنعم به على الانسان من مثله نعمة أبويه ثم ان عظماها فى جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعنى وانه لاجل حب المال وأن انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (بعثر) بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف * ومعنى حصل جمع فى الصحف أى أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل * ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لان ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وهى عشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير

فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير

﴿سورة القارعة مكية وهى عشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

يحصل بايراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالاسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضى وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن معديكرب

بانى قد لقيت الغول تهوى
بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران

﴿القول فى سورة القارعة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (قال فيه) شبهوا حينئذ بالفراش لكثرتهم وانتشارهم الخ

ان الفرزدق ماعلمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلى

وفى أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره * وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف * الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان * وثقلها رجحانها ومنه حديث أبى بكر لعمر رضى الله عنهما فى وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا الحسنات أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا أى فأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التى دل عليها قوله فأمه هاوية فى التفسير الاول أو ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مكية وهى ثمانى آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله و (التكاثر) التبارى فى الكثرة والتباهى بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات * عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذى هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم فى طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا * ذاق الضماد أو يزور القبرا

وقال

زار القبور أبو مالك * فأصبح ألأم زوارها

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم * والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم و (ثم) دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ من الاول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم * ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدو

وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية

﴿سورة التكاثر مكية وهى ثمانى آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون

* قوله تعالى فأمه هاوية (قال فيه) اذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا هوت أمه الخ) قال أحمد والاول أظهر لانه مثل معروف كقولهم لامه الهبل

(القول فى سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون (ذكر) فيه مبالغة من وجوه يجمعها ستة أوجه الاول انه كرر الانذار الخ

به مالا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة (فان قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد (قلت) ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين * وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والابصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه (فان قلت) ما النعيم الذى يسئل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من أحد الا وله نعيم (قلت) هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التى لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

﴿سورة والعصر مكية وهى ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولان التكليف فى أدائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب * والانسان للجنس * والخسر الخسران كما قيل الكفر فى الكفران والمعنى ان الناس فى خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا فى الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال
وان أغيب فأنت الهامز اللمزة * وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذى) بدل من كل أو نصب على الذم * وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر * وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك الادغام نحو ضننوا (أخلده) وخلده بمعنى أى طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت أو يعمل من

علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

﴿سورة والعصر مكية وهى ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده

(القول فى سورة الهمزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة (قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم الخ) قال أحمد وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة فانه لما وسمه بهذه السمة بصيغة رشدت الى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه اتبع المبالغة بوعيده بالنار التى سماها بالحطمة لما يلقى فيها وسلك فى تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التى ضمنها الذنب حتى يحصل

تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروى أنه كان للاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ماتقول فى ألوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه * وقرئ لينبذان أى هو وماله ولينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره ولينبذنه (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة * يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادل موجبها (مؤصدة) مطبقة قال

تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

* وقرئ فى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق ويجوز أن يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روى أن أبرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم أن المرء يمنع رحله فامنع رحالك * لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك

ان

كلا لينبذن فى الحطمة
وما أدراك ما الحطمة
نار الله الموقدة التى
تطلع على الافئدة انها
عليهم مؤصدة فى عمد
ممددة

التعادل بين الذنب
والجزاء فهذا الذى
ضرى بالذنب جزاؤه
هذه الحطمة التى هى
ضارية بحطم كل ما يلقى
اليها * عاد كلامه (قال)
وخص الافئدة لانها
ألطف ما فى الانسان
والالم عليها أشد منه الخ

ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنافأمر مابدالك * يارب لا أرجولهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فاذاهو بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ماهى بنجدية ولاتهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدرى ظهر * قرئ ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار أثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و(كيف) فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام (فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم (أبابيل) حزائق الواحدة ابالة وفى أمثالهم ضغث على ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير فى تضامها بالابالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها * وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أى الله تعالى أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى * وسجيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضى الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا * وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة فى ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا أكل أى وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود او بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقى صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وهى أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين (فان قلت) فلم دخلت الفاء (قلت) لما فى الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما فى الثانية من صلاة المغرب وقرأ فى الاولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان أولفه ايلافا اذا ألفته فأنا مؤلف قال

من المؤلفات الرهو غير الاوارك وقرئ لئلاف قريش أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا

وقرأ أبو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف * وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

﴿سورة قريش مكية وهى أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لايلاف قريش

(القول فى سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل (قال معناه فى ضياع وسمى امرؤ القيس الملك الضليل الخ

(القول فى سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لايلاف قريش (قال) فيه اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت لما دخلت الفاء الخ

وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد

وقريش هى التى تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد * أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام * وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لأمن الالباس كقوله كلوا فى بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها * والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أوخوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة فى غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهى سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذى سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أوسمعت براع * رد فى الضرع ماقرى فى العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذى كرمت على والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أى يترك ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعنى أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه فى التحذير من المعصية وانها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التى هى عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذى هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التى هى شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذى يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل أخبرنى وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذى اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أى اذا علم أنه مسىء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما أضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم (فان قلت) كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذى يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لان المراد به الجنس (فان قلت) أى فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك فى

صلاتهم

ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

﴿سورة أرأيت مكية وهى سبع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

(القول فى سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم (قال) فيه المعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء الخ

صلاتهم (قلت) معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى فى أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم وعن أنس رضى الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فان قلت) ما معنى المراآة (قلت) هى مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا غمة فى فرائض الله لانها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء أن يقصد بالاظهار أن تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا فى المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان فى بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود (الماعون) الزكاة قال الراعى

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

وعن ابن مسعود ما يتعاور فى العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنطيناك بالنون وفى حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة * والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر نهر فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لابره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير * والنحر نحر البدن وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى من جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك ومعطى ذلك كله أنا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذى أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم فى النحر للاوثان (ان) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم (هو الابتر) لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وانما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت فى العاص بن وائل وقد سماه الابتر

الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون

﴿سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

(القول فى سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر) قال أى جمعنا لك العطيتين السنيتين أحدهما اصابة أشرف عطاء وهو الكوثر الخ) قال أحمد جعل الزمخشرى توسط الضمير بين الجزأين مفيدا للاختصاص لان افادته ههنا الذلك بينة مكشوفة * عاد كلامه (قال) لان النبى صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع على المنابر وعلى لسان عالمى أمته الذين هم فى الحقيقة أعقابه الخ)

(القول في سورة الكافرين) (بسم الله الرحمن الرحيم) قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (قال معناه في المستقبل لان لا تنفي المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد كذلك ولا أنا عابد ما عبدتم أي فيما سلف الخ) قال أحمد هذا الذي قاله خطأ على الاصل والفرع جميعا أما على أصله القدري فانه وان كان مقتضاه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل البعث على دين نبي قبله لاعتقاد القدرية ان ذلك غميرة في مذهبه ونفرة من اتباعه (٥٦٤) فيستحيل وقوعه للمفسدة الا أنهم يعتقدون ان الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر في آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته وان وجوب النظر بالعقل لا بالسمع فذلك عبادة قبل البعث يلزمهم ان لا يظنوا به صلى الله عليه وسلم الاخلال بها فحينئذ يقتضي أصلهم انه كان قبل البعث يعبد الله تعالى فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم اتباعه لنبي سابق فأخل بالتفريع على أصله الآخر في وجوب العبادة بالعقل والحق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل الوحي ويتحنث في غار حراء (٣) فان كانت هي قوله لان الماضي لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة في الآية فيحمل الامر فيها والله أعلم على مجموع العبادات الخاصة التي لم تعلم الا بالوحي لا على مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته فان ذلك لم يزل ثابتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعث والله أعلم أو يكون مجيئه مضارعا لقصد تصوير عبادته في نفس السامع وتمكينها من فهمه كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة والاصل فأصبحت وانما عدل منه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله والله أعلم

(سورة الكافرين مكية وهي ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين

(سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون

والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان أي المبرئتان من النفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد) أريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته (فان قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت (فان قلت) فلم جاء على ما دون من (قلت) لان المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي (لكم دينكم ولي دين) لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى أني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

(سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة روى أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع (فان قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام (فى دين الله) فى ملة الاسلام التى لادين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (أفواجا) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى الاسلام أفواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر * وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فان قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب اما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببالك وبال أحد من ان يغلب أحد على أهل الحرم واحمده على صنعه أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له روت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة فى نفسه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضى الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفى أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا أراه سألهم الا من أجلى فقال بعضهم أمر الله نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونى عليه بعد ما ترون وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان توابا) أى كان فى الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

﴿سورة تبت مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أى هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

﴿سورة تبت خمس آيات وهي مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبي لهب وتب

(القول في سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (قال) معناه فتعجب من تيسير الله لك مالم يخطر ببالك الخ

(القول في سورة تبت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبي لهب وتب قال هذا دعاء عليه بالتباب وهو الخسران والهلاك

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فان قلت) لم كناه والتكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على ابن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله بجرة الدال لا يعرف الا هكذا والثانى أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة فى وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ أبى لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم (ما أغنى) استفهام فى معنى الانكار ومحله النصب أو نفى (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى أن بنى أبى لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عنى الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيده فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذى ظن أنه منه على شئ كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى) قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أى هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (وامرأته) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر ورفعت عطفا على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته و(فى جيدها) فى موضع الحال أو على الابتداء وفى جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته بالتصغير * المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال ومسد أمر من أيانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة ابن أبى لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت الى شتمى ومنقصتى * أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة فى المجد غرتها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون فى نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمل حزمة

الشوك

ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد

(قال ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب) قال أحمد وفى هذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الاعراب وأولها ألا تراهم انما حافظوا على صيغته التى بها اشتهر الاسم وكانت أول أحواله * عاد كلامه (قال) ولأمير مكة ولدان أحدهما عبد الله بالنصب والآخر عبد الله بالجر فلا يعرف كل واحد منهما الا بذلك الخ

الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

﴿سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هو) ضمير الشأن و (الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له (فان قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فان قلت) فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبي هو الله أحد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين و (الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم *ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به (فان قلت) الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فان قلت) لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها (قلت) لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبي وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد يعني ما خلقت

﴿سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

﴿القول في سورة الاخلاص﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد (قال ان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك) قال أحمد نقل سيبويه انه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ ولم يكن له كفوا أحد وجرى هذا الجلف على عادته فجفا طبعه عن لطف المعنى الذي لاجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وذلك ان الغرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسلب المكافأة والله أعلم

(القول فى سورة الفلق) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق (قال معناه من شر خلقه أى من شر ما يفعله المكلفون الخ) قال أحمد لا يسعه على قاعدته الفاسدة التى هى من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة الا صرف الشر الى ما يعتقده خالقا لافعاله (٥٦٨) أو الى ما هو غير فاعل له البتة كالموت واما صرف الاستعاذة الى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك لانه يعتقد ان الله لا يخلق أفعال الحيوانات وانما هم يخلقونها لانها شر والله تعالى لا يخلقه لقبحه كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والاصلح التى وضح فسادها حتى حرف بعض القدرية الآية فقرأ من شر ما خلق

﴿سورة الفلق وهى خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد

بتنوين شر وجعل ما نافية *قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد (قال هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن عليها الخ) قال أحمد وقد تقدم ان قاعدة القدرية انكار حقيقة السحر على ان الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والامر بالتعوذ منه وقد سحر صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة فى جف طلعة ذكر والحديث مشهور وانما الزمخشرى استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف وما به الا أن يتبع اعتزاله ويغطى بكفه وجه الغزالة *عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى الاستعاذة من شرهن وأجاب الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فعد عنه جانبا ولو فسر غيره النفاثات فى العقد بالمتخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم انكار وجود السحر لعده من بدع التفاسير

الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالى أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ما خلق) من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله فى الموات من أنواع الضرر كالاحراق فى النار والقتل فى السم *والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما *ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفى الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعنى صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه (النفاثات) النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شئ ضار أو سقيه أو اشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذى يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤن به (فان قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك والثانى أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (اذا حسد) اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن

يراد

يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله فى وقت حسده واظهاره أثره (فان قلت) قوله من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذى يكيدك من حيث لا تشعر (فان قلت) فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا حسد الا فى اثنتين وقال أبو تمام وما حاسد فى المكرمات بحاسد وقال ان العلا حسن فى مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى كلها

﴿سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة (فان قلت) لم قيل (برب الناس) مضافا اليهم خاصة (قلت) لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالى اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى أمرهم * (فان قلت) (ملك الناس اله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبى حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فان قلت) فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (قلت) لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى و (الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى فاذا غفل وسوس اليه (الذى يوسوس) يجوز فى محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما أحقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسى كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان * قال عبد الله الفقير اليه وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة * وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة * من كل ما يكلم الدين * ويثلم اليقين * أو يعود فى العاقبة بالندم * أو يقدح فى الايمان المسوط باللحم والدم * وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر * ووضع الخد لجلالة الاعظم الاكبر * مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة فى

﴿سورة الناس وهى ست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

(القول فى سورة الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى قل أعوذ برب الناس (قال ان قلت لم أضاف اسمه تعالى اليهم خاصة وهو رب كل شئ الخ) قال أحمد وفى التخصيص جرى على عادة الاستعطاف فانه معه أتم * عاد كلامه (قال) واله الناس عطف بيان لملك الناس أو كلاهما عطف بيان للاول والثانى أبين لان ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى وأما اله الناس فلا يطلق الا له عز وجل فجعل غاية البيان وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما يسر الله من القول وانى أبرأ الى الله تعالى من القوة والحول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام * وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى * ومرابطتى بمكة ومصابرتى * على توا كل من القوى * وتخاذل من الخطا * ثم أسأله بحق صراطه المستقيم * وقرآنه المجيد الكريم * وبما لقيت من كدح اليمين * وعرق الجبين * فى عمل الكشاف عن حقائقه * المخلص عن مضايقه * المطلع على غوامضه * المثبت فى مداحضه * الملخص لنكته ولطائف نظمه * المنقر عن فقره وجواهر علمه * المكتنز بالفوائد المفتنة التى لا توجد الا فيه * المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه * مع الايجاز الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المملول * ولو لم يكن فى مضمونه * الا ايراد كل شئ على قانونه * لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار * وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار * وبما شرفنى به ومجدنى * واختصنى بكرامته وتوحدنى * من ارتفاعه على يدى فى مهبط بشاراته ونذره * ومتنزل آياته وسوره * من البلد الأمين بين ظهرانى الحرم * وبين يدى البيت المحرم * حتى وقع التأويل * حيث وجد التنزيل * أن يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى يوم التناد * ولا يفضحنى بها على رؤس الاشهاد * ويحلنى دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نوله * انه الجواد الكريم * الرؤف الرحيم *

﴿فى نسخة ما نصه﴾

فى أصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى وهذه النسخة هى نسخة الاصل الاولى التى نقلت من السواد وهى أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها فى السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة فى جناح داره السليمانية التى على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر فى عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين

﴿ نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى ﴾

قد ذكر الاستاذ الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقا رحمه الله جملة من ترجمة مؤلف الكشاف ذيل بها النسخة التي جرى عليها الطبع فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع على بعض ما للمؤلف من رفيع المزايا وحميد السجايا ولسان صدق في الآخرين وانموذجا لفضله المتين ونصها هو امام الائمة وهادي هداة هذه الامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري من هو بأحاسن النعوت حري صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة الامام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معاني كان امام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال من كل مكان شاسع أخذ الادب عن شيخه منصور أبي مضر وصنف التصانيف البديعة الغرر منها هذا الكتاب في تفسير القرآن ولم يدرك شأوه فيه انسان والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب في العربية والفائق في تفسير الحديث ولم ير مثله في القديم ولا في الحديث وأساس البلاغة في اللغة ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه أسامي الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض في علم الفرائض والمفصل في النحو وهو كتاب كبير وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج في علم العربية والمفرد والمؤلف في المسائل النحوية ورؤس المسائل الفقهية والمستقصى في الامثال العربية والبدور السافرة في الامثال السائرة والكتاب الجليل المسمى بديوان التمثيل وشقائق النعمان في حقائق النعمان وشافي العي من كلام الشافعي والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الاصول ومقدمة الادب في اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والامالي الواضحة في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه في غرة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أن احدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جارن من خشب واختلف في سبب سقوطها فقيل انه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر في الاطراف في تلك البلاد فتسقط به خصوصا خوارزم فانها في غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه وقيل ان الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتألمت والدتي لذلك وقالت قطع الله رجل الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وعملت علي عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفي الغليل فلما كان في العام الثاني كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشفي الغليل وله في ذلك الاجر الجزيل فكتب اليه الزمخشري مالم يكن له في حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ومامثلي مع أعلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني

الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلي فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا الى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبل شفاها ولا يغرنكم قول فلان في وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولو سردناها الطال الحال ثم قال فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وايصال الشفقة الى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وافاضة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتي والاعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم وغلطوا في ونسبوني الى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي واطلعته طلع أمري وأفضيت اليه بخبية سري وألقيت اليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير في شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر الله الاصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلي على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا ديلم هل أجازه بعد ذلك أولا ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوارزم

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطلبن النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذ غازلته قرب روضة * الى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له اني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر المذكور أولا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

(ومما أنشده لغيره) في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

وقيل ان الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات

(ومن كلامه رضي الله عنه)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ومن كلامه)

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي * من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طربا لحل عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها * أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقري لألقي الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

﴿ومن كلامه﴾

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلم
فان حنفيا قلت قالوا بانني * أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وان مالكيا قلت قالوا بانني * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وان شافعيا قلت قالوا بأنني * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبليا قلت قالوا بأنني * ثقيل حلولي بغيض مجسم
وان قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني * أنا الميم والايام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانيه بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم قال ياقوت الحموي في معجم البلدان يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها جرجانيه وهي على شاطئ جيحون انتهى ماذكره الاستاذ الدسوقي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أنزل الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه المتحدى بأقصر سورة منه جميع البشر المودع من بديع الاسرار ما لا يحيط به الاخالق القوى والقدر والصلاة والسلام على من أيده الله بالقرآن وأعطاه أعلى الفصاحة والبيان وعلى آله الهادين الى الصراط المستقيم وأصحابه الموعودين بالمغفرة والاجر العظيم ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع كتاب الكشاف المسفر عن دقائق التنزيل ولداء الجهل شاف المملوء بالنكات البديعة والاستنباطات الرفيعة والافهام العجيبة والاستظهارات الغريبة كيف لا وهو تأليف فخر خوارزم العلامة أفضل همام وخير فهامة من هو بالذكر الجميل حرى الامام محمود بن عمر الزمخشرى فلقد أبدع فى ذلك التصنيف وأعجب فى هذا التأليف وأودعه من رموز المعانى والبيان وكنوز الكشف والتبيان درراً لم يستخرجها أحد سواه ولم تطمح عين الى نحو مرماه الا أنه تعصب لمذهبه فوقعت منه فرطات وربما يعتذر بأن الحسنات يذهبن السيئات فطبع بهامشه الحاشية المسماة بالانتصاف من صاحب الكشاف للعلامة الوحيد والفهامة الفريد علم الفضل الاشهر سيدى أحمد بن المنير فلقد نصب أعلام السنة على شواهق الجبال وصوب الاسنة نحو نحور الشبهات حتى هزم جيش الاعتزال فجزاه الله الجزاء الجزيل وشكر له هذا المسعى الجميل هذا ولعموم الفائدة والانتفاع وتشوف الطلاب الى مواد الكشاف لاجل الاطلاع قد استحسن معهما طبع حاشيته الجليلة ذات النفائس الجزيلة لعلامة وقته الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرامى للمعالى بكل سهم مصيب الحائز لاعلى شرفى العلم والنسب مفخر العجم والعرب صاحب التآليف فى النحو واللغة والبيان والمعانى العلامة الفاضل السيد الشريف الجرجانى فدونك ثلاثة كتب كانت أعز من بيض الانوق وأبعد تناولاً من الثريا أو العيوق فأتاح الله لها من أحياها بالطبع بعدما كانت

تدفع فيها النقود التى لها وقع خصوصاً طبعها بالمطبعة العامرة التى بجوار القطب

الدردير من القاهرة تعلق المستعين بمولاه فيما يعيد ويبدى حضرة

محمد مصطفى أفندى أحسن الله أحواله وختم بالصالحات أعماله

وقد فاح مسك الختام وتم سلك النظام فى أواخر شهر

شعبان المعظم سنة ١٣٠٨ من هجرة السيد

الاعظم عليه وعلى آله أزكى صلوات

وأبهى تحيات ما هبت

نسمات وهدأت

حركات

فهرست الجزء الثانى من الكشاف

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت

تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات
شرح شواهد الكشاف للعلامة
المرحوم محب الدين أفندى
عليه الرحمة والرضوان
من الرب الكريم
المنان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا من قامت على وحدانيته الشواهد وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد تنزه فى ذاته عن المثال وتقدس فى صفاته ان يتصوره وهم أوخيال صل على سيدنا محمد أفصح العرب وعلى آله وأصحابه أهل البلاغة والادب صلاة نبلغ بها أسنى المقاصد وتكون لنا فى اليوم المشهود أعظم شاهد ﴿وبعد﴾ فغير مستور ولا خاف أن الشواهد الواقعة فى الكشاف كثيرا ما يحفظ منها أبيات لكن لا يعلم ما استشهد بها عليه من الآيات ويعزب عن البال استحضار تلك الموارد والآيات التى قامت منها عليها شواهد وطالما رأيت من يحفظ البيت بقلبه وهو يدور عليه وربما يوجد فى البيت ساكن بل يلتقى فيه ساكنان ولم يهتد اليه وقد وقفت لبعضهم على شرح شواهد الكتاب الا أنه لم يذكر فيه آية تدل على ذلك البيت ليعلم الدخول اليه من أى باب فيحتاج عند كل بيت الى مراجعة محله من التفسير ويصرف فى استخراجه لتنزيل الآية عليه زمن كثير فوجدت أن تسهيل الطريق الى البيت أمر يحتم وجردت الابيات من محالها ورتبتها على حروف المعجم وكتبت تلك الآية ليعرف منها محل الشاهد ويعلم ويدرى ذلك البيت بأدنى تنبيه وصاحب البيت أدرى بالذى فيه على أنه لم يفت الشارح المذكور من الابيات الا الثمد والسبد واللمم أو ما أغفل منها فلم يجر عليه القلم ثم انى أبسط العذر عند مطالع هذا الكتاب عن شرح بعض الابيات بطريق الاسهاب وضم سابق الشاهد ولاحقه اليه والميل أحيانا الى عطف ذلك عليه فنهر بها دعت له المناسبة وكان بين البيت وما يليه من كل جهة أفعال المقاربة وكدت لذكر البيت مع ما يناسبه * تكامنى أحجاره وملاعبه وكأن لسان حاله ينشد فى هذا المقام مخاطبا ويتمثل ببيت جرير معاتبا تمرون الديار ولم تعوجوا * كلامكمو على اذا حرام فلم أربدا من أن أعطف البيت على سابقه لحق الجوار وأبين معناه مجانب الاكثار وقد يكتفى بشطر البيت فأولى وجه النظر شطره أو يقتصر على محل الشاهد من العجز فأشرح صدره لكمال اتصاله به وائتلافه ومعلوم أن مقام البسط يباين مقام خلافه وما تلك قضية منكوره بل قصة معروفة مشهوره فلعل الواقف عليه يغضى عما يجده من الخلل ولا يعد ذلك تطويلا يوجب الملل والله المسؤل أن يوفقنى لصالح القول والعمل ثم من المقرر أن وجه التسمية لا يلزم اطراده ولكنى أردت أن أسمى هذا الكتاب باسم يحسن وقعه وايراده ﴿فسميته تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات﴾ ولنقدم قبل الشروع فى المقصود مقدمة وهى أنا لمحنا فى الديباجة ببعض ألفاظ تحتاج الى افصاح ولوحنا الى مقاصد تفتقر الى الايضاح وهى قولنا على أنه لم يفت الشارح المذكور من الابيات الا الثمد والسبد واللمم أو ما غفل منها فلم يجر عليه القلم أما الثمد فهو تلميح الى بيت أغفله فى سورة مريم عند قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وهو بيت النابغة الذبيانى واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام سراع وارد الثمد وأما السبد فهو تلميح الى بيت أغفله فى سورة الشعراء عند قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وهو قوله سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو عقالين لاصبح الناس أوبادا ولم يجدوا * عند التفرق فى الهيجا عقالين وأما اللمم فهو تلميح الى بيت أغفله فى سورة النجم عند قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهو قوله لقاء أخلاء الصفاء لمام * وكل وصال الغانيات ذمام وأما قولنا أو ما أغفل منها فلم يجر عليه القلم فهو ايماء الى بيتين أوردهما المصنف من نظمه فى سورة القلم حيث قال يعنى نفسه وبعضهم فى صفة القلم ورواقم رقش الى آخر البيتين ثم لا يخفى على من ذاق هذا الكلام وتأمله أن فى هذه الالفاظ ما يلوح الى قلة ما أغفله ونسأل الله تعالى أن يوسع علينا فضله ويوقظنا من سنة الغفله ويعصمنا من الزلل والخطا وأن لا نكون ممن اتبع هواه وكان أمره فرطا والله تعالى ولى التوفيق والهادى بالعناية الى أقوم طريق وهو حسبى ونعم الوكيل

﴿سورة الفاتحة﴾

﴿باسم الذى فى كل سورة سمه * قد وردت على طريق تعلمه﴾

هذا البيت ثانى أبيات الكشاف وانما ابتدأنا به هنا تبركا باسمه سبحانه وتعالى والبيت لرؤبة بن العجاج والشاهد فيه كون الاسم أحد الاسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن واذا وقعت فى الدرج لم تفتقر الى زيادة شئ واستغنى عنها بتحريك الساكن وبعد البيت أرسل فيها بازلا يقرمه * فهو بها ينحو طريقا يعلمه أى أرسل بازلا فى الابل حال كون المرسل قرمه أى تركه عن العمل للفحلة فالبازل يقصد بتلك الابل طريقا يعلمه لانه ألف ذلك العمل أى الجماع والبازل الذى انشق نابه وذلك فى السنة التاسعة وربما بزل فى الثامنة وبعد الآن نشرع فى شرح الابيات على ترتيب الحروف

﴿حرف

﴿حرف الالف﴾

﴿ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء﴾

البيت لابى تمام فى سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمى فهم لا يرجعون فان المنافقين لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى وعقب ذلك بتمثيل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة حول المستوقد والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات فكأنهم من حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول وينطقوا بها وأصروا على ذلك صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكلية كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم أذنوا وقوله أصم عن الشئ الذى لا يريده * وأسمع خلق الله حين يريد وهذا عند مفلق سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسى التشبيه كما فى قول أبى تمام فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه وهذا البيت فى مدح أبيه وذكر علوه فانه استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء فى معارج الكمال ثم بنى عليه ما يبنى على علو المكان من الارتقاء الى السماء فى مدارج الحاجة فى السماء وليس ذلك من قبيل الاستعارة التى يطوى لها ذكر المستعار بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة كدلالة الحال أو فحوى الكلام يحمل على المعنى الحقيقى كقول زهير لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

﴿يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فهم لا يرجعون أو كصيب حيث ثنى الله تعالى فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا بعد ايضاح كما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع كما فى قول الجاحظ يرمون الخ * قيل لابى عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطنب فقال ليسمع منها فقيل فلم توجز قال ليحفظ عنها ومن هذا القبيل ما أورده من تجاهل العارف كالمبالغة فى المدح فى قول البحترى يمدح الفتح بن خاقان ألمع برق بدا أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى أو التدله فى الحب كقول العرجى بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر وما أحسن قول القاضى الفاضل يمدح الملك العادل أبا بكر بن أيوب أهذه سير فى الفضل أم سور * وهذه أنجم فى السعد أم غرر وأنمل أم بحار والسيوف بها * موج وافرندها فى لجها درر وأنت فى الارض أم فوق السماء وفى * يمينك البحر أم فى وجهك القمر الى غير ذلك من مستطرفات الامثال

﴿فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى أو كصيب من السماء حيث جاء بالسماء معرفة لينفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء قال تعالى وأوحى فى كل سماء أمرها ولو نكر السماء لجاز أن يكون الصيب من بعض الآفاق بدليل قوله فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها الخ الشاعر يتوجع لذكر الحبيبة ومن بعد ما بينه وبينها من قطعة أرض وقطعة سماء تقابل تلك القطعة الارض فنكرهما اذ لا يتصور بينهما بعد جميع الارض والسماء وأوه كلمة توجع تستعمل مع اللام وقد اتفق للشاعر استعمالها معها فى بيته ورب ما قصد ذلك فلله دره ومنه يقال أوه الرجل تأويها وتأوه تأوها اذا قال أوه والاسم الآهة بالمد قال المثقب العبدى اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين يقال رحلت البعير أرحله اذا شددت عليه الرحل * وهذا البيت لم يذكر فى شرح الشواهد لا تزدرين فتى من أن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء

﴿فانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللابناء آباء﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وعلى المولود له أى على الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم وانما قال المولود له ليعلم أن الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات فلا تزدرين بأحد أنه ولد من أمة رومية أو سوداء هندية قيل عاب هشام زيد بن على فقال بلغنى أنك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة فقال كان اسمعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فأخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم * وأنشد المأمون بن الرشيد البيت فى مثل ذلك وما أحسن ما قيل فى معنى ذلك وهل هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل فان ولدت مهرا كريما فبالحرى * وان كان اقراف فما أنجب الفحل ولذلك ترى المفتخرين بالانساب فيما مضى وما هو آت انما يفتخرون بالآباء لا بالامهات كما قال الفرزدق أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع ومنهم من لا يفتخر لا بالآباء ولا بالامهات وانما يفتخرون بالفضائل والكمالات كما قال لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وما أحسن ما قيل وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهود فى كل موكب فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بام ولا أب

﴿ ألم أك جاركم ويكون بينى * وبينكم المودة والاخاء ﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فى قراءة من ينصب باضمار أن والبيت للحطيئة يذكرهم حق المجاورة والمودة والاخاء والواو جواب الاستفهام ويجاب بها كما يجاب بالفاء وفى سورة الاعراف عند قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك حيث كان ويذرك عطفا على يفسدوا وجواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك

﴿ أدعى باسماء نبزا فى قبائلها * كان أسماء أضحت بعض أسمائى ﴾

فى سورة الانعام عند قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات يقول أدعى فى قبائل المحبوبة باسماء وليست أسماء اسمى وانما ينبزوننى بها والنبز اللقب من باب ضرب

﴿ فمن يلق فى بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحالى ومنشى ٣ ﴾

فى الانعام عند قوله تعالى ولتنذر أم القرى والبيت للمصنف قال ولبعض المجاورين يعنى به نفسه أى فأم القرى ملقى رحالى ومنشى ومرجعى ومعادى أدخل نوبة بعد نوبة والمراد بأم القرى مكة شرفها الله تعالى

﴿ كان سلافة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء ﴾

كان الرحل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤه هواء

فى يونس عند قوله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا على قراءة ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان أوحينا خبره وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود أن تكون كان تامة وان أوحينا بدلا من عجب لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة فجعله منصوبا على تلك الطريقة وما أحسن قول القائل فى هذا المعنى كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق بسم الله فى ألف الوصل أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما دون الورى شاعر مثلى والبيت لحسان من قصيدته المشهورة التى أولها عفت ذات الاصابع فالجواء * الى عذراء منزلها خلاء ومنها يجيب أبا سفيان بن الحرث لما هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء ولما أنشد هذا البيت قال له النبى صلى الله عليه وسلم جزاك الله الجنة ومنها

هجوت محمدا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقد ذكر هذا البيت فى تفسير سورة العنكبوت أيضا عند قوله تعالى والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون فان هذا الكلام ورد مورد الانصاف كقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قيل لما أنشد هذا البيت قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب ومنها فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء ولما أنشد هذا البيت قال له النبى صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار يا حسان روى عن عائشة رضى الله عنها أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال شاعره حسان بن ثابت متى يبد فى الداجى البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد فمن كان أو من قد يكون كاحمد * نظام لحق أو نكال لملحد والسلافة أول ما يسيل من ماء العنب وهو أرق ما فيه وبيت رأس قرية بالشأم وقيل أراد به الرئيس فان شراب الملوك أطيب من شراب غيرهم وقوله يكون مزاجها عسل وماء فى موضع الوصف لسلافة وخبر كأن المشددة فى البيت الثانى وهو قوله على أنيابها أو طعم غض * من التفاح هصره اجتناء والهصر عطفك الشئ الرطب وهو أن تأخذ برأس غصن ثم تكسره اليك من غير بينونة لتجنى ثمره وطعم منصوب معطوف على اسم كان المشددة شبه طعم ريقها بطعم الخمر وقد مزجت بعسل وماء أو بطعم تفاح غض قد اجتنى

﴿ ردى ردى ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الماء ﴾

فى مريم عند قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش أو كالدواب التى ترد الماء وحقيقة الورد السير الى الماء كقوله ردى الخ والشاعر يخاطب الناقة وانما جعلها صماء لانها لا تسمع صوت القانص حتى تنفر والكدرية نوع فيها كدرة وفى لفظ الورد تهكم عظيم لا سيما وقد جعل المورد جهنم أعاذنا الله منها برحمته

﴿ فصرم حبلها اذ صرمته * وعادك أن تلاقيها عداء ﴾

فى طه عند قوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى على تقدير أن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير المذكور قال أبو عمرو بمعنى شغلك وقال الاصمعى صرفك والعداء البعد والشغل وقال الاصمعى الجور أى وشغلك أو صرفك العداء عن ملاقاتها ولكن المعنى الذى

---

٣ كذا بالاصل وهو تصحيف والذى فى صحيح النسخ ومنتابى من قولك انتابهم اذا أتاهم نوبة ثم نوبة فالصواب ذكره مع شرحه فى باب الياء

اراد

اراد المصنف فى عاد هنا غير المعنيين وهو أن يكون عادك بمعنى عاد اليك فقوله وعادك عطف على قوله صرمته أى اقطع حبلها ان قطعته هى وعادك بمعنى عاد اليك جور أو شغل أو بعد واذا ثبت ان عاد يتعدى الى مفعول واحد بنفسه فيتعدى بسبب زيادة الهمزة الى المفعولين الاول الضمير المتصل والثانى سيرتها كأنه قيل ستعيد اليها سيرتها الاولى وأما قوله عداء فى البيت فهو فاعل عادك

﴿آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء﴾

فى الانبياء البيت لابن حلزة عند قوله تعالى فان تولوا فقل آذنتكم على سواء والاذان الاعلام أى أعلمتكم مستوين أى أنا وأنتم فى علم ما أعلمتكم به والبين الفرق وأسماء اسم المحبوبة من الوسامة وهى الحسن والجمال والهمزة بدل من الواو كما فى أحد والثواء الاقامة يقول أعلمتنا أسماء بمفارقتها ايانا أى بعزمها على فراقنا ثم قال رب مقيم تمل اقامته والمراد غيرها أى ان فراقها يؤذى ولا يمل ثواؤها وليست هى كغيرها ممن يمل ثواؤه وما أحسن قول الباخرزى فى عكس هذا المعنى وقيل انه لابى بكر الخوارزمى

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا * زمانا وان أعسرت زرت لماما فما أنت الا البدر ان قل ضوءه * أغب وان زاد الضياء أقاما

﴿أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش وسيأتى شرحه فى يونس

﴿كانت قناتى لا تلين لغامز * فألانها الاصباح والامساء﴾

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء فى والصافات عند قوله تعالى فقال انى سقيم ان قلت كيف جاز له أن يكذب قلت قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وفى ارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه معراض من الكلام وقد نوى به أن من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربى الخ وقد مات رجل فجأة فجاءه الناس والتفوا عليه وقالوا مات وهو صحيح فقيل أصحيح من الموت فى عنقه والقناة الرمح والمراد هنا القامة والغمز العصر باليد يصف قوته فى الشباب وضعفه فى الكبر ومرور الصباح والمساء عليه كما قيل ست وستون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها فى منعة الحجر وقيل لشيخ كيف أصبحت قال فى داء يتمناه الناس ومن المشهور أشاب الصغير وأفنى الكبيـ * ـر كر الغداة ومر العشى وقد تضمن البيتان الشكاية من الدهر والايام وأنها تحول بين المرء وبين المرام وأن ما مضى من حلاوة العيش فيما مضى من الزمن لا تعادلها مرارة هذه الايام الكثيرة المحن ولله در القائل

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه وما أحسن ما أنشد فى معنى ذلك

لقد كنت أشكو لك الحوادث برهة * وأستمرض الايام وهى صحائح الى أن تغشتنى وقيت حوادث * تحقق أن السالفات منائح

ولما كانت عادة الايام الاتيان بعكس المرام وخلاف الاسعاف والاسعاد كان يتمنى البعد من يريد الوصال ويرجو الانقطاع باغى الاتصال كما قال سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا وما أحسن ما قيل فى ذلك لابى حسن الباخرزى واكم تمنيت الفراق مغالطا * واحتلت فى استثمار غرس ودادى وطمعت منها بالوصال لانها * تبنى الامور على خلاف مرادى ومن ألطف ما قيل فى طريقة ذلك دعوت الله أن تسمو وتعلو * علو البدر فى كبد السماء فلما أن علوت علوت عنى * وكان اذا على نفسى دعائى وبالجملة فالى الله المشتكى من دهر اذا أساء أصر على اساءته وان أحسن ندم من ساعته ولو أنى أعد ذنوب دهرى * لضاع القطر فيه والرمال

﴿طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء﴾

هو لابى زبيد الطائى من قصيدة طويلة أولها

خبرتنا الركبان أن قد فخرتم * وفخرتم بضربة المكاء

ولعمرى لعارها كان أدنى * لكمو من تقى وحسن وفاء

فاصدقونى وقد خبرتم وقد ثا * بت اليكم جوانب الانباء

هل سمعتم من معشر شافهونا * ثم عاشوا صفحا ذوى غلواء

ثم أزالت رماحنا من قبيل * قاتلونا بنكبة وشقاء

فى مقام لو أبصروا ورخاء * ثم لما تشذرت وأنافت

وتصلوا منها كريه الصلاء * بعثوا حربنا عليهم وكانوا

طلبوا صلحنا الخ وبعده ولعمرى لقد لقوا أهل باس * يصدقون الطعان عند اللقاء ولقد قاتلونا فاجبن القو * م عن الامهات والآباء

وحملناهم على صعبة زو * راء يعلونها بغير وطاء

ثم أنتم بنجوة فى السماء * أطمعتم بان تريقوا دمانا

فلحا الله طالب الصلح منا * ما أطاف الخميس بالدهناء

اننا معشر شمائلنا الصبـ * ـر ودفع الاسى بحسن العزاء

ولنافوق كل مجد لواء * فاضل فى التمام كل لواء فاذا ما استطعتم فاقتلونا * من يصب يرتهن بغير فداء

فى سورة ص عند قوله تعالى ولات حين مناص حيث قرؤا ولات حين مناص بالكسر ومنه البيت ووجه الكسر فى أوان أنه شبه باذ فى قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو * بعافية وأنت اذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات أوان صلح فان قلت ما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا عن الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن ان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذى تتصل به تاء التأنيث وأما الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص وأما قراءة العامة فهى بفتح التاء وحين بالنصب ومذهب سيبويه أن لا نافية بمعنى ليس والتاء مزيدة فيها كزيادتها فى رب وثم ولا يعمل الا فى الازمان خاصة نحو لات حين ولات أوان كما فى البيت وقوله ندم البغاة ولات ساعة مندم * والبغى مرتع مبتغيه وخيم والاكثر حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع كقوله من صد عن نيرانها * فأنا ابن قيس لا براح أى لا براح لى

﴿وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء﴾ Zuhair Diwan … I, 94,1 60, 62, 61, 61

لزهير بن أبى سلمى من قصيدته التى أولها عفا من آل فاطمة الجواء * فيمن فالقوادم فالحساء ومنها أرونا خطة لا ضيم فيها * يسوى بيننا فيها السواء فان ترك السواء فليس بينى * وبينكم بنى مضر بقاء فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء فذلكم مقاطع كل حق * ثلاث كلهن له شفاء فى سورة الحجرات عند قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم القوم الرجال خاصة لانهم القوام بأمور النساء قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم الا ماذب عنه والذابون هم الرجال وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية وفى قول زهير وقد استشهد به أيضا على ان الهمزة فيه للتعيين ليست للتسوية كما ظن ابن الشجرى ذلك وعلى الفصل بالفعل الملغى بين سوف ومدخولها وعلى وقوع الجملة المعترضة بين حرف التنفيس والفعل واستشهد به أهل البديع على النوع المسمى بتجاهل العارف

﴿اذا طلع النجم عشاء * يبتغى الراعى كساء﴾

فى سورة والنجم والنجم الثريا وهو اسم غالب لها قيل ان الثريا تخفى فى السنة أربعين يوما لانه يطلع الشمس فلا يرى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا طلع النجم ارتفعت العاهات والعرب تسمى الثريا النجم وهى سبعة ظاهرة وواحد خفى قال الشاعر

خليلى انى للثريا لحاسد * وانى على ريب الزمان لواجد أيجمع منها شملها وهى سبعة * ويؤخذ منى مؤنسى وهو واحد

﴿بادت وغير آيهن مع البلى * الا رواكد جمرهن هباء﴾
﴿ومشجج أما سواء قذاله * فبدا وغير ساره المعزاء﴾

هو من أبيات الكتاب فى سورة الواقعة عند قوله تعالى وحور عين بالرفع على وفيها حور عين أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم فى جنات وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب على معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا بادت هلكت وغير آيهن أى علاماتهن والمراد بالرواكد أحجار الاثفية وهباء الرماد يهبو اذا اختلط بالتراب وقوله ومشجج المراد به وتد الخباء الذى شج رأسه من الدق وغير ساره أى بقيته والامعز مكان يخالط ترابه حجارة وحصى واذا حمل على الارض أو البقعة قيل المعزاء أى لم يبق من آثار منازل الارض سوى أحجار الاثافى ورمادها المختلط بالتراب ووتد الخباء المكسور الرأس المتغير بطول بقائه فى الارض ورفع مشجج ولم يعطفه على رواكد أى وفيها مشجج وحمل مشجج بعد بالرفع على المعنى لان المعنى بادت الا رواكد بها رواكد فحمل مشجج على ذلك ومثله لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف * لان تقديره لم يبق من المال الا مسحت فحمل مجلف عليه وسيجىء الكلام على اعرابه فى محله مستوفى ان شاء الله تعالى

﴿كيف نومى على الفراش ولما * تشمل الشأم غارة شعواء﴾
﴿تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء﴾

فى القلم عند قوله تعالى يوم يكشف عن ساق والكشف عن الساق والابداء عن الخدم مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم Diwan XLIX, 14

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه الخ فمعنى يوم يكشف عن ساق فى معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقال للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ولا غل وانما هو مثل فى

البخل

الجحفل يقال غارة شعواء أى فاشية متفرقة تذهل أى تشغل تلك الغارة وأغاخص الشيخ لوفور عقله وممارسته الشدائد افرطمح ه
للاولاد وانهدام الخلخال والعقيلة من النساء التى عقلت فى بيتها أى خدرت وحبست وعقيلة كل شئ أكرمه ورفع الشعواء وخفض
العذراء اقواء يتساهل الشعراء فيه وسمى اقواء لانه نقص من عروضه قوة يقال أقوى الحبل اذا جعل بعضه أغلظ من بعض والشعر
خالف قوافيه برفع بيت وجر آخر كما فى بيت النابغة الذبيانى زعم البوارح ان رحلتنا غدا * وبذاك خبرنا الغراب الاسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد والبارح ضد السانح يقال من لى بالسانح بعد البارح أى بالمبارك
بعد المشؤم يقال سنح الطائر جرى من يمينك الى شمالك والعرب تتيمن بذلك قال ابن فارس السانح ما أتاك عن يمينك من طائر وغيره

﴿حرف الباء﴾

﴿خيال لام السلسبيل ودونها * مسيرة شهر للبريد المذبذب﴾
﴿فقلت لها أهلا وسهلا ومرحبا * فردت بتأهيل وسهل ومرحب﴾
﴿معاذ الاله أن تكون كظبية * ولا دمية ولا عقيلة ربرب﴾

هو من قصيدة من الحماسة للبعيث بن حريث وأولها * خيال لام السلسبيل ودونها * الخ وبعده

ولكنها زادت على الحسن كله * كمالا ومن طيب على كل طيب وان مسيرى فى البلاد ومنزلى * لبا لمنزل الاقصى اذا لم أقرب
ولست وان قربت يوما ببائع * خلاقى ولا دينى ابتغاء التحبب ويعتده قوم كثير تجارة * ويمنعنى من ذاك دينى ومنصبى
دعانى يزيد بعدما ساء ظنه * وعبس وقد كانا على حد منكب وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضرى من خاذلين وغيب
فكنت أنا الحامى حقيقة وائل * كما كان يحمى عن حقيقتها أبى محل الشاهد أن الاله أصل الله والبيت مبالغة فى الاعتصام أى
أعوذ بالله عياذا أو عياذة ومعاذا أو عوذا تجعله بدلا من اللفظ بالفعل لانه مصدر وان كان غير مستعمل مثل سبحان والدمية الصنم والصورة
المنقوشة والعقيلة من كل شئ أكرمه والربرب القطيع من بقر الوحش يصف المحبوبة المسماة بهذه الاوصاف أنها بتلك المحاسن ثم بين
أنها أحق مما وصفها به واستغفر الله أن تكون فى الحسن بحيث تشبه بذلك اذ كانت هذه الاشياء عنده دونها وقاصرة عن رتبتها وقد
استعمل محرره الفقير هذا المعنى بعينه فى قصيدة أرسلها للمرحوم العلامة الشيخ شمس الدين بن المنقار عليه رحمة الغفار جوابا عن قصيدة
كان أرسلها الى تقريظا امتدح به رحلة الفقير التى أنشأها لما توجه الى مصر المحمية فى خدمة المرحوم شيخ الاسلام مفتى الانام حضرة
جوى زاده رزقه الله الحسنى وزياده ولا بأس بايراد بعض أبيات من القصيدتين لمناسبة المقام ولا يخفى على ذوى الذوق السليم أن بين
ما نظمته وبين الشاهد الشبه التام فمطلع قصيدة المرحوم المشار اليه أهذه الخود تجلى فى معانيها * أم السماء بدت فيها دراريها
أم بنت فكر غدت باللفظ تسحرنا * ونحن من حسنها الفتان نرقيها جرت على ادباء العصر قاطبة * ذيل الترفع من أعجابها تيها
لن يستطيع بليغ أن يعارضها * ولا امام المعانى أن يدانيها دانت لها العرب العرباء قاطبة * أقر بالعجز قاصيها ودانيها
لله در محب الدين سيدنا * أحل أعلى المعانى فى أغانيها فلفظها الزهر مفتر مباسمه * والجوهر الفرد جزء من معانيها
بنى قصور الاهل العلم عالية * من الثناء فحلوا فى أعاليها لابدع ان أطنبت فى وصفها مدح * وكيف لا والمحب المحض بانيها
سارت اليه المعالى وهى خاضعة * لما تفرد فى أعلى مراقيها لازال يرفل فى أثواب سودده * مع الاحبة فى معنى تلاقيها
ما مال نحو محب حبه وبدت * تشدو الحمائم فى أعلى أغانيها

فكتب الفقير اليه قصيدة مطلعها

جاءت مخدرة تستصحب التيها * تميس عجبا وقد رقت حواشيها * عذراء مقصورة عزت فصاحتها * عن أن يكون لها كفء يكافيها
أزرت بقس وسحبان فصاحتها * وكل كل لسان مادح فيها * ماراعنى كاس معنى من قوادمها * الا وأسكرنى معنى خوافيها
وكلما مر فى سمعى مكررها * يحلو لقلبى زلالا برد صافيها * وكنت أسمع بالسحر الحلال وما * أظنه غير ما ضمت قوافيها
ما هذه كلم فى اللفظ بل درر * من قال تلك كلام ليس يدريها * وكيف لا وفصيح العصر سيدنا * فخر الافاضل شمس الدين منشيها
أتت اليه القوافى وهى ملقية * زمامها وله قد طاع عاصيها * والنظم أضحى كانفاس يرددها * بلا تكلف أفكار يعانيها
بالله قل لى وهذا أمر ملتمس * ماذى اللآلى التى فى الطرس تبديها * أهذه درر أضحت مرصعة * فى جبهة الطرس أم حور تناجيها
وأنجم أم بدور فى مشارقها * أو هذه الشمس قد لاحت لرائيها ومنها وهو محل المناسبة
أستغفر الله مالى مشبهها * بما ذكرت من الاشياء تشبيها * أنى يكون لسان لى فيمدحها * كلا ومن أين لى شكر يؤديها

يا أفضل العصر يا من من نوادره * ما زال يهدى لاسماعى أمانيها * لا فض فوك وماتت حاسدوك ولا * زالت سجاياك مشكورا مساعيها
ولا برحت اماما راقيا أبدا * من السيادة فى أعلى مراقيها * ما شببت نسمات الدوح فى سحر * وما حدا العيس والاظعان حاديها

﴿ أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا ﴾

فى سورة الفاتحة عند قوله تعالى الحمد لله ومعناه أن النعم التى أنعمتم بها على افادتكم منى ثلاثة يدى فأعاونكم بها ولسانى فأثنى عليكم به وقلبى فهو محشو بحبكم مملوء منها فانا أشكر نعماءكم وأجازيها بالقلب واللسان والجوارح قال السيد الشريف وهو استشهاد معنوى على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة وبيانه أنه جعلها بازاء النعمة جزاء لها متفرعا عليها وكل ما هو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة ومن لم يتنبه لذلك وزعم أن المقصود مجرد التمثيل لجميع شعب الشكر لا الاستشهاد على أن لفظ الشكر يطلق عليها فانه غير مذكور هنا وما يقال من أن الشاعر جعل مجموعها بازاء النعمة فيستفاد منه أنه يطلق عليه لا أنه يطلق على كل واحد منها فجوابه لا شبهة فى اطلاقه على فعل اللسان حتى توهم كثير من الناس اختصاص الشكر به فى اللغة وان الاشتباه فى اطلاقه على فعلى القلب والجوارح فلما جامع الاول وعدت ثلاثة علم أن كل واحد شكر على حدة فكأنه قيل كثرت نعماؤكم عندى وعظمت فاقتضت استيفاء أنواع الشكر وبولغ فى ذلك حتى جعل مواردها واقعة بازاء النعماء ملكا لاصحابها مستفادا منها * وفى وصف الضمير بالمحجب اشارة الى أنهم ملكوا ظاهره وباطنه

﴿ يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ﴾

والله لو لاقيته خاليا * لآب سيفانا مع الغالب
أيا ابن زيابة ان تلقنى * لا تلقنى فى النعم العازب

هو من أبيات الحماسة والشعر لابن زيابة فى جواب الحرث بن همام حين قال
فى سورة البقرة عند قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك حيث وسط حرف العطف بين الصفات كأنه قال الذى صبح فغنم فآب أى يا حسرة أبى من أجل الحرث والحرث اسم من غزاهم وصبحهم وغنم منهم وآب الى قومه سالما أى يا حسرة أبى من أجل الحرث فيما حصل من مراده واتصف به من الاوصاف المتعاقبة قيل تهكم به بمعنى أنه لم يحصل له تلك الاوصاف فان الحرث توعد أبا زيابة بالقتل ثم نكص عن جزئه وقيل هو على ظاهره ثم أقسم بالله تعالى فقال والله لو لقيته منفردا عن أشياعه لحصل سيفان مع الغالب منا والمعنى لو خلوت به لقتلته أو قتلنى

﴿ تلك الفتاة التى علقتها عرضا * ان الحليم وذا الاسلام يختلب ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا يعنى ان المؤمنين وان جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى الى قول ذى الرمة ان الحليم الخ ويختلب أى يخدع من خلب يخلب من باب قتل يقتل والاسم الخلابة والفاعل خلوب مثل رسول وقوله عرضا أى من غير قصد بل شئ اعترضه هكذا لا يعلمه كما قال عليه السلام ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب مثل أن يقول ما رأيت فلانا ولا كلمته ومراده ما ضربت رئته ولا جرحه والانخداع ضربان أحدهما أن ينخدع ولا يعلم أنه مخدوع فذلك من البله والثانى أن ينخدع ويعلم فذلك من الكرم قيل كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كلما صلى عبد من عبيده وأحسن قراءته أعتقه فقيل له يخدعونك فقال من خادعنا بالله نخدع له والبيت لذى الرمة من قصيدته البائية المشهورة الطويلة التى يذكر فيها صاحبته مية التى أولها

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلا مفرية سرب (ومنها)
ديار مية اذ مى تساعفنا * ولا يرى مثلها عجم ولا عرب * براقة الجيد واللبات واضحة * كأنها ظبية أفضى بها لبب
زين الثياب وان أثوابها استلبت * على الحشية يوما زانها السلب * تزداد للعين اسفارا اذا سفرت * وتحرج العين منها حين تنتقب
تلك الفتاة التى علقتها عرضا * ان الكريم وذا الاسلام يختلب

وقد وقع فى شواهد الكشاف من هذه القصيدة عدة أبيات تأتى فى محالها ان شاء الله تعالى وقد أغفل بعضها فى شرح الشواهد الذى وقفنا عليه ولم يذكرها رأسا مع أنها من غرر الابيات وأحسن الشواهد منها قوله

اذاك أم نمش بالوشى أكرعه * مسفع الخد غاد ناشط شبب * أذاك أم خاضب بالسى مرتعه * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

هو لذى الرمة من الابيات التى لم تذكر فى شرح الشواهد فى سورة البقرة عند قوله تعالى أو كصيب من السماء مما أتى من التمثيل ومنه وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات والاوصاف المذكورة فى البيتين لثور الوحش ومسفع الخد أسوده من السفعة والناشط الخارج من أرض الى أرض وهو أسرع ما يكون والشبب المسن من بقر الوحش والظليم اذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه أو اصفرتا يقال له خاضب ولا يقال ذلك الا للظليم وهو النعام دون النعامة والسى الارض المستوية

ناوه

وهنا علم أرض بعينها منقلب أى راجع الى أفراخه الثلاثين شبه ناقته بحمار الوحش ثم بالثور الوحشى ثم بالظليم فذلك الاول اشارة الى الحمار فى الابيات السابقة والثانى الى الثور وهو مبتدأ محذوف الخبر أى أذاك الحمار يشبه ناقتى أم ذاك الثور النمش أم الظليم الخاضب وشواهد هذا النوع كثيرة لا تحصى ومن ألطفها قول سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى

أبرق بدا من جانب الغور لامع * أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
أم ابتسمت ليلى فضاء بوجهها * نهار به نور المحبـــة ساطع

﴿عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان صادق الوعد صيب﴾

هو للشماخ فى البقرة عند قوله تعالى أو كصيب من السماء يعنى أن الصيب كما يطلق على المطر الذى يصوب أى ينزل و يقع يقال للسحاب صيب أيضا كما فى بيت الشماخ يقول ان اختلاف الرياح وتتابع الامطار على ربع المحبوبة عفا آيه وغير رسمه ومحا أثره ونحوه قول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

﴿أحاولت ارشادى فعقلى مرشدى * أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى﴾

﴿هــمـا أظلما حالى ثمت أجليا * ظلاميهما عن وجه أمرد أشنب﴾

سعيى فى حلوق الحادثات مشرق * به عزمه فى الترهات مغرب فى البقرة عند قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا حيث استعمل لازما ومتعديا والمتعدى لا يوجد فى استعمال من يستشهد بكلامه ولم يثبته الثقات من أئمة اللغة الا القليل جدا واعلم أن الشعراء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون أى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من أهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد بأشعارهم ثم المحدثون كالبحترى وأبى تمام ولا يستشهد بشعرهم وانما أسند الاظلام الى العقل لانه لا يطيب عيش للعاقل والى الدهر لانه يعادى كل فاضل والاولى أن يراد بالاظلام ما يشق على النفس من تعنيف المؤدب والمرشد وباجلاء الظلام ما ظهر لهما من ثمرتى الارشاد والتأديب أى كلفانى ما أظلم به حالى وتنغص به عيشى ثم أجليا ظلاميهما لانى تهذبت وتأدبت

﴿يعشون رسما فوق قنته * ينهون عن أكل وعن شرب﴾

فى البقرة عند قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها أى عن الشجرة أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان عنها زلتهما وعن هذه مثلها فى قوله وما فعلته عن أمرى وقوله ينهون من أكل وعن شرب والمعنى يصدر تناهيهم فى السمن عن الاكل والشرب يصف مضيا فاصدر الاضياف عنه شباعا وكذا ما فعلته عن أمرى

﴿فما أدرى أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا﴾

فى البقرة عند قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ حيث اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أو مال أصابوا أى أراهم قد تغيروا عما كانوا عليه من الوفاء فالذى غيرهم البعد وطول العهد كما قيل طول العهد ينسى أم المال والغنى فان المال يطغى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولاجل ذلك قال أبو الهول فى صديق له أيسر فلم يجده كما يحب

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فاصبحت فيها بعد عسر الى يسر فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

والبيت للحرث بن كلدة الثقفى من قصيدة تتضمن ألطف عتاب وأحسنه قالها وقد خرج الى الشام فكتب الى بنى عمه فلم يجيبوه وهى قوله

ألا أبلغ معاتبتى وقولى * بنى عمى فقد حسن العتاب
وسل هل كان لى ذنب اليهم * هم منه فأعتبهم غضاب
كتبت اليهم كتبا مرارا * فلم يرجع الى لها جواب
فما أدرى أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا
فمن يك لا يدوم له وصال * وفيه حين يغترب انقلاب
فعهدى دائم لهم وودى * على حال اذا شهدوا وغابوا

ولا يخفى على ذى الذوق السليم لطف هذا العتاب والخطاب المستطاب ولعمرى أنه حرى بقول الآخر

وأملى عتابا يستطاب فليتنى * أطلت ذنوبى كى يطول عتابه
فقال لى قول ذى رأى ومقدرة * مجرر نزه خال من الريب

﴿أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب﴾

فى البقرة اختلف فى قائله فقيل خفاف بن ندبة وقيل عباس بن مرداس المحرر المعتق النزه بكسر الزاى البعيد عن السوء والنشب المال الاصيل يجمع الصامت والناطق وقد جمع فى البيت بين الحذف والاثبات ألا ترى أنه قال أمرتك الخير ثم قال أمرت به ولم يقل أمرته عند قوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون أى به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة

يوسف عند قوله تعالى ولئن لم يفعل ما آمره الضمير راجع الى الموصول والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما في أمرتك الخير ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ولم يجوز الزمخشري عوده الى يوسف الا اذا جعلت ما مصدرية ومعناه على هذا وان لم يفعل أمري اياه أي موجب أمري ومقتضاه وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا عند قوله تعالى في آخر الحجر فاصدع بما تؤمر أي بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كما في البيت ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر مبني للمفعول قال أبو حيان والصحيح أن ذلك لا يجوز قال تلميذه السمين الخلاف انما هو في المصدر المصرح وهل يجوز أن ينحل بحرف مصدري وفعل بني للمفعول أم لا يجوز في ذلك خلاف مشهور اما ان الحرف المصدري هل يجوز أن يوصل بفعل بني للمفعول نحو يعجبني ان ضرب عمرو أم لا يجوز ذلك محل النزاع

﴿تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب﴾

هو للاعشى من قصيدة يمدح بها أبا الاشعث بن قيس عند قوله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه * وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقوله كالزبيب أي سود يعني خيلي وابلي السود وأولادها من الممدوح ونعمته وقبل البيت

كل عام يعدني بجموم * عند وضع للضأن أو بنجيب

وأول القصيدة

من ديار الهضب هضب القليب * فاض ماء الشؤون فيض الغروب
أخلفتني بها قتيلة ميعا * دي وكانت للوعد غير كذوب
ان من لام في بني بنت حسا * ن ألمه وأعصه في الخطوب
ان قيسا قيس الفعال أبا الاشـ * ـعث أمست أصداؤه لشعوب

كل عام يعد في البيتين وبعدهما

ذا كم الماجد الجواد أبو الاشـ * ـعث أهل الندى وأهل السيوب

﴿فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا﴾

عند قوله تعالى فقد سفه نفسه قيل انتصاب النفس على التمييز ويجوز أن يكون من شذوذ تعريف المميز والمعنى ليس قومي بثعلبة وهي اسم قبيلة ولا بفزارة الكثيرة الشعر بالرقبة وهذا من شذوذ تعريف المميز ولا يجوز ارتكابه في القرآن والمراد منه رد ذلك القول والبيت للحرث بن ظالم المري كان يدعى انه من قريش وان أمه خرجت به الى مرة وهو صغير فنسب اليهم وبعده

وقومي ان سألت بنو لؤي * بمكة علموا مضر الصوابا

ويقال للشديد أشعر الرقبة تشبيها له بالاسد

﴿عريض القفا ميزانه في شماله * قد انحص من حسب القراريط شاربه﴾

عند قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر عند قصة عدي بن حاتم حين عمد الى عقالين أبيض وأسود فجعلهما تحت وسادته فقال له صلى الله عليه وسلم ان كان وسادك لعريضا وروى انك لعريض القفا وهو كناية عن الحمق وكون ميزانه في شماله كناية عن البله لان الميزان يرفع باليمين وانحص شعره وشاربه اذا انجرد وانحسر وان الحاسب اذا أمعن في الحساب وتفكر فيه عض على شفته وشاربه

﴿قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يسوي بانف الناقة الذنبا﴾

هذا البيت ذكر استطرادا عند قوله

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والبلد الحرام

﴿خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب﴾

فاني رأيت الحب في الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

هو لاسماء بن خارجة الفزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها وبعده

ولا تضربيني مرة بعد مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب

عند قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وهو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع أي خذي ما سهل ولم يشق علي من الاموال لتستديمي محبتي ولا تنطقي في حال حدتي وشدة غضبي فان الحب والاذى اذا دخلا في الصدر لا يلبث الحب معه فهما ضدان لا يجتمعان وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة الاعراف عند قوله تعالى خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة

﴿تود عدوي ثم تزعم أنني * صديقك ليس النوك عنك بعازب﴾

فليس أخي من ودني رأي عينه * ولكن أخي من ودني في المغايب

عند قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان وخلاصة المعنى أن الصديق الصدوق من يكون صديقا لصديق صديقه ومبغضا لبغيض صديقه ويراعي الاخوة بظهر الغيب لا برأي العين

﴿مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها﴾

عند

عند قوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق حيث عطف وشهدوا على ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا وقوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب بالجر عطفا على محل مصلحين لان تقديره ليسوا بمصلحين لانه توهم أن الباء فى مصلحين موجودة ثم عطف عليه مجرورا وان كان منصوبا وهذا نادر لا يقاس عليه وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة هود عند قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب حيث قرئ بالنصب كأنه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة ليسوا مصلحين عشيرة وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة المؤمن عند قوله تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون حيث قرئ بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل اذ أعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره * مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * الخ

﴿ وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب ﴾

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبي المغوار منك قريب   فى آل عمران عند قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم يقال استجاب له ربه واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب أى لم يجبه وقال تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقال كلما أوقدوا نارا للحرب وقائله كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه شبيبا واسمه هرم وكنيته أبو المغوار من قصيدته المشهورة التى منها

تتابع أحداث تخرمن اخوتى * وشيبن رأسى والخطوب تشيب   لعمرى لئن كانت أصابت مصيبة * أخى والمنايا للرجال شعوب

لقد كان اما حلمه فمروح * علينا وأما جهله فعزيب   فان تكن الايام أحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

ومنها البيتان وبعدهما   يجيبك كما قد كان يفعل انه * مجيب لابواب العلاء طلوب

﴿ فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والايام من عجب ﴾

فى النساء عند قوله تعالى تساءلون به والارحام بالنصب على وجهين على تقدير قراءة الجر والتمحل له بتقدير تكرير الجار لان عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد وأما قراءة النصب فعلى وجهين اما العطف على لفظ الجلالة أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وأما الرفع فعلى أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والارحام كذلك أى مما يتقى ومعنى البيت أدنيت كلامك بالقبيح وأسرعت فى الذم والايذاء فاذهب على طريقتك فانها شيمة الايام وأهلها وهو أمر تهديد وتخلية ومتاركة من قبيل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا اسلاما

﴿ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ﴾ Dīw. J. Nābighah 1.19

هو للنابغة الذبيانى من قصيدته المشهورة التى أولها   Dīw. 1.102

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب   تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يرعى النجوم بآيب

عند قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهو تأكيد الشئ بما يشبه نقيضه كقولك فلان لا عيب فيه الا أنه سخى وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما على بعض التوجيهات يعنى ان أمكنكم أى تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال فى التأبيد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله لا عيب فيهم وفلول السيف كناية عن كمال الشجاعة فكونه من العيب محال وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الاعراف عند قوله تعالى وما تنقم منا الا أن آمنا أى ما تنقم منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان وقد استشهد به أيضا عند قوله تعالى فى سورة مريم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما أى ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادى * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * اه على أحد الوجوه الثلاثة المذكورة فى الكشاف وقبل البيت   Dīw. J. Nābighah 1.15–16

على عارفات للطعان عوابس * بهن كلوم بين دام وجالب   اذا استنزلوا للطعن عنهن أرقلوا * الى الموت ارقال الجمال المصاعب

قوله عارفات أى صابرات والعارف الصابر يقال أصابته مصيبة فوجد عروفا أى صبورا عوابس كوالح بهن أى بهذه الخيل كلوم بين دام أى جرح طرى فهو يدمى وآخر قد يبس فعليه جلبة يابسة أى قشرة تركب الجرح قوله استنزلوا أى يضيق المكان على الفارس فينزل فيقاتل راجلا وأرقلوا أسرعوا واحد المصاعب مصعب وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعبا

﴿ لا يجتوينا مجاور أبدا * ذو رحم أو مجاور جنب ﴾

عند قوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب أى الذى جاره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى وأنشد لبعان ابن قيس انى لأنكر هذا من اجتويت البلاد اذا كرهتها أو لم يوافقك ماؤها ولا هواؤها وذو رحم أى ذو قرابة أو مجاور جنب أى أجنبى

﴿أمنت على السر امرأ غير حازم * ولكنه فى النصح غير مريب﴾
﴿أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب﴾

هو لابى الاسود الدؤلى فى النساء عند قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به يقال أذاع السر وأذاع به أى جاء متعديا بنفسه وبالباء والمتعدى بها يحتمل أن يكون هو المتعدى بنفسه ينزل منزلة اللازم ثم وصل بالباء كما وصل فى يجرح فى عراقيبها نصلى فيكون أبلغ من المتعدى بنفسه من جهة أن المعنى فعل به حقيقة الاذاعة وجعله محلا لذلك والثقوب اسم لما يثقب به النار كالوقود اسم لما يوقد به ومن أحسن ماقيل فيمن لا يكتم السر قوله

لى صديق غدا وان كان لا ينـطق الا بغيبة أو محال * أشبه الناس بالصدى ان تحدثـه حديثا أعاده فى الحال

﴿فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه﴾

عند قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم حيث قرئ لعلمه باسكان اللام البازل الشاب من البعير والادم جمع آدم وادماء وهو الشديد البياض وصفحتاه خصوصا لانهما أرق جلودا يقول ان أهجه يضجر كما يضجر الدبر من النوق حين يحمل عليها الحمل الثقيل قال فى الصحاح وقد خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف فخذ فى الاسماء

﴿كطود يلاذ باركانه * عزيز المراغم والمذهب﴾

هو للنابغة الجعدى عند قوله تعالى يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه فى ذلك والطود الجبل يلاذ أى يلجأ عزيز المراغم أى شديد المسالك والمراغمة المهاجرة

﴿عجبت والدهر كثير عجبه * من عنزى سبنى لم أضربه﴾

عند قوله تعالى ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزى وعنزة أبو حى من ربيعة أصله لم أضربه بسكون الباء وضم الهاء

﴿قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا﴾

عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد وأوفى به والموفون بعهدهم والعقد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه كما قال الحطيئة والعناج ككتاب حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة ثم يشد فى العراقى وهى جمع عرقوة بفتح العين والعرقوتان الخشبتان اللتان تعرضان على الدلو كالصليب وجمعهما العراقى والكرب بالتحريك الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير والمراد بالقوم بنو أنف الناقة وكان هذا اللقب فى غاية الشناعة فأبرزه الحطيئة فى صورة المدح وكمال الرياسة حيث قال بعد هذا البيت

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وفى البيت اشارة الى كون العقد بمعنى العهد مستعارا من عقد الحبل حيث رشح ذلك بذكر الحبل والدلو وما يتعلق بهما

دعاك الهوى والشوق لما ترنحت * هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوبها ورق أرعن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

﴿فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب﴾

هو لضابئ بن الحارث البرجمى عند قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به حيث وحد الضمير فى قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيآن ومثله قول حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسـود ما لم يعاص كان جنونا

وقوله

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا فى شقاق

ومثل ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه ولم يقل يرضوهما أى الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقد استشهد بالبيت فى سورة التوبة عند قوله تعالى ولا ينفقونها فى سبيل الله ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل ولا ينفقونها الذهب كما فى البيت وقد استشهد بالبيت المذكور عند قوله تعالى فى سورة الاسراء أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أى مقابلا كالعشير والمعاشر هو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذه عليها كما حذف الخبر فى قوله * فانى وقيار بها لغريب * ينشد برفع قيار ونصبه لانك اذا عطفت على اسم ان كان لك فى المعطوف الرفع والنصب على المحل واللفظ وقد استشهد بالبيت المذكور فى غير موضع من الآيات الكريمة

أمنت

﴿أمت سجاح ووافاها مسيلمة * كذابة من بنى الدنيا وكذاب﴾

عند قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال فى الكشاف كان أهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار كان له حمار يقول له قف فيقف وسر فيسير وكان يبنى بعض الامور على الحمار وكانت النساء يتعطرن بروث حماره وقيل يعقدن روثه بخمرهن فسمى ذا الحمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى تتبعه فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره آخر ربيع الاول * وبنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فأجابه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام أراد فى جاهليتى واسلامى * وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه * وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعرى فى كتاب استغفرى استغفرى

أمت سجاح ووافاها مسيلمة * كذابة من بنى الدنيا وكذاب

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يد أبى بكر رضى الله عنه * وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه وقوله أمت سجاح يروى آمت بالمد وتخفيف الميم من الأيمة أى سارت أيما وأمت بالتشديد من الامامة والأيم المرأة التى مات عنها زوجها والرجل اذا لم يكن له امرأة أيم أيضا وقيل فى المثل الحرب مأيمة أى يقتل فيها الرجال فتبقى النساء أيامى ووافاها مسيلمة أى وافقها وتزوجها وأراد بها سجاح بنت المنذر امرأة مسيلمة الكذاب وكانت متنبئة قبل أن يتزوجها وكانت شريفة فلما تزوجها سلمت له فاتبعه قومها وهم بنو حنيفة وقال الشاعر فيه

مسيلمة اليمامة كان أدهى * وأكذب حين سار الى سجاح
ليمدح قومه بأبى رباح * وفاز ورد مقصوص الجناح

وفيها يقول قيس بن عاصم

أضحت نبيتنا أنثى نساء بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك أغرانا
أعنى مسيلمة الكذاب لاسقيت * اصداؤه ماء مزن حيثما كانا

ثم لما قتل مسيلمة تابت سجاح وحسن اسلامها وكذلك طليحة بن خويلد الاسدى مات فى زمن عمر رضى الله عنه

﴿هذى مخايل برق خلفه مطر * جود وورى زناد خلفه لهب﴾

﴿وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب﴾

عند قوله تعالى فالق الاصباح قالوا فيه وجهان أحدهما فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثانى يراد فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق كما قال الطائى وهو أبو تمام أو البحترى وأزرق الفجر اه والفجر فجران الاول رقيق يضرب الى الزرقة والثانى أبيض منتشر فى الافق والاول يسمى الفجر الكاذب والفجر الازرق وهو الذى كذنب السرحان فذلك الذى لا يبيح صلاة الفجر ولا يحرم الطعام على من أراد الصيام والفجر الثانى هو أول وقت الصبح يحلل الصلاة ويحرم الطعام على الصوام

﴿لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب﴾

عند قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انتصابه على الظرف وشبهه الزجاج بقوله ضرب زيد الظهر والبطن يصف الشاعر رمحا باللين أى لين يعسل يعدو والعسلان عدو الذئب أى يعسل فى عدوه هذه فاضطر لتقدم ذكره وكما عسل الطريق يريد أنه لا زازة فيه اذا هز زنه ولا جسوء وذكر المتن والمراد المجموع وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الجن عند قوله تعالى كنا طرائق قددا أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب

﴿وخبرتمانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب﴾

عند قوله تعالى كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وهو لاستنكار أن يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه

وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم وحذف الفعل المستنكر للايذان بأن النفس مستحقرة له مترقبة لورود ما يجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما فى البيت فانه علة مصححة أى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله ورسوله وان يظهروا عليكم اه الهضبة كل صخرة راسية ضخمة والقليب البئر وسمى القليب قليبا لانه قد قلب ترابه وقبل البيت لعمر أبى ان البعيد الذى مضى * وان الذى يأتى غدا القريب وهو لكعب الغنوى فى مرثية أخيه مع صاحبيه أى خبرتمانى انما الموت يكون بالقرى لان من سكن الامصار والقرى مرض للوباء الذى يكون فى الامصار فكيف مات أخى فى هذا الموضع وهو برية

﴿مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها شبه الصاب﴾

﴿فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب﴾

عند قوله تعالى قل نار جهنم أشد حرا الاستجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل والمعنى يضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره وقوله مسرة أحقاب مبتدأ خبره أريها شبه الصاب والاحقاب الازمان الكثيرة واحدها حقب والارى العسل والشبه المثل والصاب نبت مر وقيل الحنظل يقول مسرة أزمان كثيرة ترى بعدها مساءة يوم هى فى الحقيقة مثل الصاب مرارة فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وتقع بسبب تلك المسرة فى مشقة الابد وذلك مثل نعيم الدنيا ولذتها اذا وقع صاحبها بعدها فى عذاب الآخرة نعوذ بالله من ذلك ومن هنا أخذ المرحوم أبو السعود قوله فى قصيدته الميمية زمان تقضى بالمسرة ساعة * وآن تولى بالمساءة عام وهو مأخوذ من قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وكلهم آخذون من قوله

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار

﴿أحقا عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده فان قوله يبدأ الخلق ثم يعيده اما استئناف معناه التعليل أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد بدأ الخلق ثم أعاده والمعنى أعاد الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا ابداء الخلق كقوله أحقا عباد الله ويحتمل أن يريد الرقيب الذى يمنعه من الحبيب ويحتمل أن يريد به ما قال تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ كما قال الشاعر

من عليه بكل لفظ رقيب * عجبا منه كيف يطاق لفظا

ومنه قول الحماسى

أحقا عباد الله أن لست رائيا * رفاعة طول الدهر الا توهما

قال المرزوقى أحقا انتصب عند سيبويه على الظرف كانه قال أفى الحق ذلك وانما جعل ظرفا لانه رآهم يقولون أفى حق كذا وفى الحق كذا فجعله منصوبا على تلك الطريقة وما أحسن قول القائل فى هذا المعنى

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم مادون الورى شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق بسم الله فى ألف الوصل

﴿أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا﴾

فى هود عند قوله تعالى الر كتاب أحكمت آياته على القول بأن معنى أحكمت منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح كما فى قول جرير يقول امتنعوا عن ايذائى والتعرض الى فانى أخاف عليكم اذا غضبت فأصيبكم بسوء من هجو أو غيره كقوله ياتيم تيم عدى لا أبا لكمو * لا يلقينكم فى سوءة عمر تعرضت تيم لى عمدا لأهجوها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

﴿بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس باد شحوبها﴾

عند قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك حيث عدل عن ضيق الى ضائق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لانه صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القراآت وقول المكى بمنزلة أما اللئيم فسامن أى سمين المراد به حدوث السمن والشحوب تغير لون الرجل من غم أو سفر وعند بعض العرب هو الهزال وهو أولى أى بمنزلة ضيق وجدب يكون اللئيم بها سمينا اذ ليس له هم سوى هم بطنه وأما الكرام فبادهزالهم لانهم يطعمون الناس ولا يطعمون

﴿ولقد طعنت أبا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا﴾

عند

عند قوله تعالى يا قوم لا يجرمنكم شقاقى جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه كما قال جرمت فزارة اهـ ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم أو لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب جرمت قطعت المعنى طعنت هذا الرجل طعنة قتلته بها وقطعت قبيلة فزارة بعد هذه الطعنة أن يغضبوا القطع دابرهم وضعفهم ونحو ذلك بجهم

﴿أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب﴾

عند قوله تعالى ولئن لم يفعل ما آمره الضمير راجع الى الموصول والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما فى أمرتك الخير ويجوز أن تجعل مصدرية فيرجع الى يوسف ولم يجوز الزمخشرى عوده على يوسف الا اذا جعلت ما مصدرية ومعناه على هذا وان لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه

﴿عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب﴾

cf. al-Qālī, Amālī, I. 72 [illegible] al-Baghdādī Khizānah IV, 77–83 [illegible]

من قصيدة لهدبة بن خشرم العذرى قالها وهو مسجون بسبب القتل وأول القصيدة

طربت وأنت أحيانا طروب * وكيف وقد تغشاك المشيب
يجد النأى ذكرك فى فؤادى * اذا ذهلت على النأى القلوب
يؤرقنى اكتئاب أبى نمير * فقلبى من كآبته كئيب
فقلت له هداك الله مهلا * وخير القول ذو اللب المصيب

عسى الكرب اهـ

فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله الرجل الغريب
ألا ليت الرياح مبشرات * بحاجتنا تباكر أو تؤوب
فتخبرنا الشمال اذا أتتنا * وتخبر أهلنا عنا الجنوب
فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غدا لناظره قريب
وقد علمت سليمى أن عودى * على الحدثان ذو أيد صليب
وان خليقتى كرم وانى * اذا أبدت نواجذها الحروب
أعين على مكارمها وأغشى * مكارهها اذا كع الهيوب
عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما أغنى البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وهى طويلة فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى من ورائه جهنم من بين يديه كما فى عسى الكرب اهـ وكقوله

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

قال فى الصحاح ووراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وهى من الاضداد قال الاخفش يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية واذا كان غير مضاف تجعله اسما وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد وأنشد

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

وحذف أن من الفعل بعد عسى وجعل الفعل هو الخبر وهو قليل الكرب اسمها والذى نعت الكرب وفرج بالجيم وهو مبتدأ مخبر عنه بقوله وراءه والجملة فى محل نصب على أنها خبر يكون واسمها ضمير يعود الى الكرب ولا ينبغى أن يجعل فرج اسم يكون ووراءه خبرها لئلا يلزم كون الفعل من جملة الخبر رافعا الاجنبى من الاسم وهو وهم ﴿نكتة﴾ قال الدمامينى فى حاشية المغنى والمفهوم من كلام الجزولى وابن الحاجب أن معنى عسى رجاء دنو الخبر فاذا قلت عسى مريضى يشفى دل على أنك ترجو قرب شفائه ونازع الرضى فى ذلك قائلا ليس عسى متعينا بالوضع للطمع فى دنو مضمون خبره بل للطمع فى حصول مضمونه مطلقا سواء ترجى عن قرب أو بعد مدة مديدة تقول عسى الله أن يدخلنى الجنة فاذا قلت عسى زيد أن يخرج فهو بمعنى لعل أن يخرج ﴿أقول﴾ فعلى قول الجزولى يمكن أن يكون فى لفظ قريب فى البيت نكتة التجريد وقريب من هذا المعنى قول القائل

أقول اذا ما اشتد شوقى والتظى * بقلبى من هجران فاتنى جمر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

﴿أمهتى خندف والياس أبى﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ الهاء مزيدة فى أمات كما زيدت فى أراق فقيل اهراق وشذت زيادتها فى الواحدة قال * أمهتى خندف والياس أبى * وتصغر الام بأميم على اللفظ وأميهة على الاصل وخندف بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة امرأة الياس بن مضر اسمها ليلى نسب اليها ولد الياس وهى أمهم والخندفة فى اللغة مشية كالهرولة البيت لقصى ابن كلاب بن مرة أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم وقبله

انى لدى الحرب رخى اللبب * معتزم الصولة عالى النسب

الاعتزام مبالغة العزمة من قولهم عزم الامر وقيل لزوم القصد يقال فى لبب رخى أى فى حال واسعة

Dīwān Dhī r-Rummah XVII. 41

﴿يغشى الكناس بروقيه ويهدمه * من هائل الرمل منقاص ومنكثب﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض حيث قرئ ينقاص بالصاد غير المعجمة والبيت لذى الرمة يصف ثور وحش تقدم ذكره فى سوابق الابيات أى يغشى الكناس حاملا بروقيه أى قرنيه يحفره ليتسع مكانه ويتخلص من المطر ويهدم ما حفره أو الكناس

منقاص من الرمل وهو التساقط طولا والمنكثب المجتمع وروى البيت بالمعجمة من قضته فانقاض اذا هدمته والمعنى على المهملة

﴿فمرت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجماجم والتريبا﴾

أى الخيل فى مريم عند قوله تعالى فانتبذت به أى اعتزلت وهو فى بطنها ونحوه تنبت بالدهن أى تنبت ودهنها فيها أى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها

﴿فلست بانسى ولكن ملأكا * تنزل من جو السماء يصوب﴾

فى مريم عند قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق واللائق بهذا الموضع النزول على مهل والصوب بمعنى الميل وفى معناه قول صواحب يوسف ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم

﴿شفع الاسامى مسبلى أزر * حمر تمس الارض بالهدب﴾

فى مريم عند قوله تعالى هل تعلم له سميا وهذا شاهد على أن الاسامى الشفع جديرة بالارادة وأياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنبه وأنزه عن النبز

﴿ليالى اللهو تطبينى فأتبعه * كاننى ضارب فى غمرة لعب﴾

هو لذى الرمة فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى فذرهم فى غمرتهم حتى حين فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم يقال طبى فلانا يطبى عن رأيه وأمره أى يصرفه وكل شئ صرف شيأ عن شئ فقد طباه يطبيه والضارب السابح والغمرة الماء الذى يغمر القامة يقول تصرفنى ليالى اللهو عن رأيى فأتبعه كاننى سابح فى غمرة من الماء لعب فيه وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة المعارج عند قوله تعالى تدعو من أدبر وتولى حيث كان تدعو مجازا عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة تدعو أنفه الريب

﴿ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وكقول القائل ولست بمفراح اهـ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها وأما من طلبه الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن قول أبى الطيب

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

يقول السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم لانه يراعى وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور

﴿أقلى اللوم عاذل والعتابا * وقولى ان أصبت لقد أصابا﴾

فى سورة الاحزاب عند قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا حيث قرأ الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف فى الوقف زادها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال أقلى اللوم عاذل اهـ وكذلك الرسولا والسبيلا فقوله عاذل يعنى يا عاذلة أقلى ملامى وعتابى وقولى ان فعلت حسنا أو صوابا لقد أصاب فلان فى قوله وفعله والبيت من قصيدة لجرير تزيد على مائة وعشرين بيتا وبعد البيت

اذا غضبت على بنو تميم * وجدت الناس كلهم غضابا

﴿كأنما الوابل فى مصابه * أسنمة الآبال فى سحابه﴾

أوله * أقبل فى المستن من ربابه * فى سورة الاحزاب عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه وتسمية الشئ باسم سببه من المجاز المرسل أمر شائع مستفيض ومنه قول الحق وكلمته لان عيسى لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى الغيث بالسماء فى قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

والشحم بالندى فى قوله

كثور العذاب الفرد يضربه الندى * تعلى الندى فى متنه وتحدرا العذاب ما استدق من الرمل والندى الاول المطر والثانى الشحم ومنه تسميتهم الخمر اثما لانها سبب فى اقتراف الاثم فى قولهم شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم تذهب بالعقول وما أحسن قول سيدى عمر بن الفارض فى خمريته وقالوا شربت الاثم كلا وانما * شربت التى فى تركها عندى الاثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه * سمى الماء بأسنمة الآبال لانه سبب سمن الابل وارتفاع أسنمته ثم ان لفظ النكاح لم يرد فى كتاب الله الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان والمستن فى البيت من استن الفرس قمص وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجن برجليه وقمص البحر بالسفينة اذا حركها بالموج والقميص الذى يلبس

﴿أهلا بضيف أتى ما استفتح البابا * مجلبب من سواد الليل جلبابا﴾

فى سورة الاحزاب عند قوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن أى يغطين وجوههن وأيديهن والجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زيد

مجلبب

مجلبب من سواد الليل جلبابا ومن هذا الباب لامحالة بيت المبكر مع البازى على تلك الحالة وبينهما بعض ملابسة ونوع مجانسة
لكن شتان مابين اليزيدين فى الندى وهل يستوى من ضل مع من اهتدى

﴿تبالمن بالهون قد أبا * مثل البعير السوء قد أحبا﴾

فى سورة ص عند قوله تعالى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حيث ضمن أحببت معنى فعل يتعدى بعن كأنه قال أنبت حب الخير عن ذكر ربى أوجعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربى وذكر أبو الفتح الهمدانى ان أحببت بمعنى لزمت من قوله
* مثل البعير السوء قد أحبا * وقبله كيف قربت عملك القرشبا * حين أتاك لاغبا مخبا * حلت عليه بالقفيل ضربا
القرشب بكسر القاف الشيخ المسن والقفيل السوط قال الجوهرى الاحباب البروك والاحباب فى الابل كالحران فى الخيل واللاغب من اللغوب ويقال جاؤا مخبين من أخب حمله على الخبب نوع من العدو وهو أن يراوح بين يديه ورجليه وعن ثعلب أنه يقال للبعير الحسن مخب وقال غيره أخب أى لزم المكان فلم يبرح وحلت عليه أى وثبت والمخب من الخبب بمعنى الاسراع واعلم أن الخير فى الآية هو المال كقوله ان ترك خيرا كأنه نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وزيد الخيل هو زيد بن مهلهل الطائى سمى بذلك لشجاعته وكان شاعرا مجيدا خطيبا شجاعا وكفاك بن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ووصفه بأنه وجده فوق ماوصف له روى ان جار الله الزمخشرى لما قدم بغداد للحج أتاه السيد الشريف ابن الشجرى مهنيا بقدومه وأنشد كانت مسائلة الركبان تخبرنى * عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأطيب مما قد رأى بصرى فقال له جار الله ان زيد الخيل دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فلما بصر بالنبى صلى الله عليه وسلم رفع صوته بالشهادتين فقال صلى الله عليه وسلم كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة الا أنت فانك فوق ماوصفت لى وكذلك أنت يا أيها الشريف

﴿وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب﴾

أراد به القرآن فى الزمر عند قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج أى مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف قال الزمخشرى ان قلت فهلا قيل مستقيما أو غير ذى عوج قلت فيه فائدتان احداهما نفى أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانى أن لفظ العوج مختص بالمعانى دون الاعيان فدل على استقامة المعنى من كل وجه بعد مادل على استقامة اللفظ بكونه عربيا بخلاف ما اذا قيل مستقيما أو غير معوج فانه لا يكون نصا فى ذلك لاحتمال ان يراد نفى العوج بالفتح وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وعليه البيت وقد أتاك اه

دعا قومه حولى فجاؤا لنصره * وناديت قوما بالمسناة غيبا

﴿ورب بقيع لو هتفت بجوه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا﴾

هو لابى عمرو بن العلاء فى الزمر عند قوله تعالى أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله قال الزمخشرى فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع اه وهو يريد أفواجا كراما ينصرونه لا كريما واحدا ونظير ذلك أى فى كونه خلاف مقتضى الظاهر وهو ان الذى ليس للتكثير قد يستعمل للتكثير رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقوله قد اختلس الطعنة وبعده لا يدمى بها نصلى وقبله ونبلى وفقاها كعراقيب قطا طحل * اياتك باملى ذريتى وذرى عذلى الطحلة لون بين الغبرة والسواد وفقوة السهم فوقه موضع الوتر منه والجمع فقى أراد انه تناول من خصمه ماتناول بتثبت وقوة قلب لا كما يفعل الجبان ثم ذكر تمكنه من خصمه على شدة احترازه منه حتى تناول منه ماتناول خلسا وقد وصف الشجاع بالخالس والخاليس وكذلك المصارع ومن مدح خصمه ثم ذكر غلبته له كان أبلغ فى الافتخار به وقريب من هذا المعنى فلان عالم فاضل قرأ على واعلم أنه يجوز أن يراد بالنفس المنكرة نفسا متميزة من بين الانفس باللجاج الشديد فى الكفر أو بالعذاب العظيم كما تقدم ولما كان فى حمل المفرد المنكر على التكثير نوع بعد استشهد فيه بكلام الفصحاء والبقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمى بقيع الغرقد بالغين مقبرة المدينة وقوله وناديت قوما بالمسناة غيبا أى أمواتا مقبورين صارت الاحجار مسناة فوقهم والشاعر يشكو قومه حين قعدوا عن نصره فبالغ فى اغضابهم وجعلهم دون الاموات فقال ورب مقبرة لو هتفت بجوها أتانى كريم ينفض الرأس من تراب القبر محمولا على غضب أى غضب ومعلوم أنه لو عنى كريما واحدا لم يستقم معنى البيت (أقول) وقريب من هذه الشكاية من عدم النصرة من القوم وترك المعاونة قول الحماسى من شعر قريط

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل وشيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ماقال برهانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
وخبر هذه الابيات على مافى شرح الحماسة انه اغار ناس من بنى شيبان على رجل من بلعنبر يقال له قريط بن أنيف فأخذوا له ثلاثين بعيرا فاستنجد أصحابه فلم ينجدوه فاتى بنى مازن فركب معه نفر فاطردوا لبنى شيبان مائة بعير فدفعوها الى قريط وخرجوا معه حتى صار الى قومه فقال قريط هذه الابيات والخبر يدل على أنه يمدح بنى مازن ثم يهجو قومه * وقد تذكر الفقير عند كتابة هذا المحل قول صاحب الحماسة فى هذا المعنى حيث أنشد قول بعضهم

Abu Tammam Hamasa p. 247-249

دعوت بنى قيس الى فشمرت * خناذيذ من سعد طوال السواعد
اذا ما قلوب القوم طارت مخافة * من الموت أرست بالنفوس النواجد

ويعجبنى فى هذا المعنى قول القائل

اذا المرء لم تغضب له حين يغضب * فوارس ان قيل اركبوا الموت يركبوا * ولم يحبه بالنصر قوم أعزة * مقاحيم فى الامر الذى يتهيب
تهضمه أدنى العدو ولم يزل * وان كان عضا بالظلامة يضرب * فآخ لحال السلم من شئت واعلمن * بان سوى مولاك فى الحرب أجنب
ومولاك مولاك الذى ان دعوته * أجابك طوعا والدماء تصبب * فلا تخذل المولى وان كان ظالما * فان به تثأى الامور وترأب

﴿كم امرئ كان فى خفض وفى دعة * صبت عليه صروف الدهر من صبب﴾

فى الدخان عند قوله تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم قال الزمخشرى هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا اصب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا كأنه قيل صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء افراغا كأن العذاب شبه بالماء ههنا فى الصب فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب انتهى ولا شك فى أن الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيدت من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع

Diwan d. Mutanabbi p. 333

﴿لعمرك ما مابان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب﴾

هو للمتنبى وقبله

هو ابن رسول الله وابن وصيه * وشبههما شبهت بعد التجارب

فى الاحقاف عند قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال الزمخشرى ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل فى مهما ماما فلبشاعة التكرار قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله لعمرك ما مابان منك لضارب اهـ انتهى قوله ولقد أغث أى جاء بكلام غث يقال أغث فلان فى كلامه اذا تكلم بما لا خير فيه وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل وقال ما ان بان منك لضارب والمعنى أن لسانه لا يتقاعد عن سنانه هذا الغات وهذا للضاربة وما الاولى نافية والثانية موصولة واسم ان محذوف تقديره ترى أنه ما الذى ظهر منك لضارب بأقتل من الذى بان منك لعائب أى لا يرى القتل أشد من العيب بل العيب عنده أشد من القتل وقد أخذ المتنبى هذا من قول أبى تمام

Diwan d'Abu Tammam p. 129

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل * ولكن يرى أن العيوب المقاتل

من قصيدته المشهوره التى مدح بها محمد بن عبد الملك بن الزيات التى أولها

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل * وقلبك منها مدة الدهر آهل

Diwan d'Abu Tammam p. 127

ومنها من شواهد التلخيص

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

Diwan d'Abu Tammam p. 128

منها

أبا جعفر ان الجهالة أمها * ولود وأم العلم جداء حائل وان الفتى فى كل ضرب مناسب * مناسب روحانية من يشاكل

وما أحسن قوله فى آخرها

Diwan d'Abu Tammam p. 129

مضتكها تشفى الجوى وهو لاعج * وتبعث أشجان الفتى وهو ذاهل ترد قوافيها اذا هى أرسلت * هوامل مجد القوم وهى هوامل
فكيف اذا حليتها بحليها * تكون وهذا حسنها وهى عاطل أكابرنا عطفا علينا فاننا * بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

﴿يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب﴾

عند قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه حيث جعلت ان صلة كما أنشد البيت المذكور الاخفش من شعر اياس بن الارت وقبله

فان أمسك فان العيش حلو * الى كأنه عسل مشوب

وبعده

وما يدرى الحريص علام يلقى * شراشره أيخطى أم يصيب

ومعنى البيت أن الانسان تمتد أطماعه الى الامور المغيبة التى لا يراها ويعترض الموت عندها أو يعترض دون أقربها عنده حصول الامور الشديدة

الشديدة التي لا تقطع رجاءه فـاظنك بأبعد الاشياء وقريب من هذا المعنى قوله   المرء قد يرجو الرجا * ء مؤملا والموت دونه
واعلم أن دون تستعمل بمعنى عنـد وقد تستعمل في معنى قولهم هذا دونه أي أقرب منه وقد وقع لمحرره في شرحه لبيتي الغزي المشهورين
وهما   ونخز الاسنة والخضوع لناقص * أمران عند ذوي النهى مران   والرأي أن يختار فيما دونه الـ * ـمران وخز أسنة المران
أنه أبدى هـذا الاحتمال حيث قال بعد ذكره أن دون بمعنى عند ولا مانع من أن تجعل دون من قبيل قولهم هذا دونه أي أقرب منه كما هو
أحد معانيها فيكون أبلغ في ارادة المعنى كما لا يخفى

﴿ولقد لحنت لكيما تعرفوا * واللحن يعرفه ذوو الالباب﴾

في سورة القتال عند قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول على القول بأن اللحن أن تلحن في كلامك أي تميله على نحو من الانحاء ليفطن
له صاحبك كالتعريض والتورية كما في البيت وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب قال
وحديث ألذه هو مما * ينعت الناعتون يوزن وزنا   منطق رائع وتلحن أحيانا * وخير الكلام ما كان لحنا
يريد أنها تتكلم بالشيء وتريد غيره وتعرض حديثها فتزيله عن جهته من ذكائها وفطنتها وكأن اللحن في العربية راجع الى هذا لانه
من العدول عن الصواب

﴿رفعت عيني بالحجا * زالى اناس بالمناقب﴾

في الحجرات عنـد قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي بالتشديد للمبالغة في قراءة ابن مسعود كما أن الباء زيدت في قراءة ابن
مسعود في قوله بأصواتكم والمناقب أول منزل بمكة وليس المراد النهي عن الرفع الشديد وتسويغ مادونه بل المعنى نهيهم عما كانوا
عليه من الجلبة وهي رفع الصوت واستخفافهم فيما كانوا يفعلونه وعن أنس أنه لما نزلت هذه الآية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما أخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يارسول الله لقد أنزلت عليك هـذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون
عملي قد حبط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة

﴿غضنفر تلقاه عند الغضب * كأن وريديه رشا آخلب﴾

في سورة ق عنـد قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد مثـل في فرط القرب والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في
مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده والاضافة في حبـل الوريد للبيان كقولهم عرق قيفال
وبعير سانية وفي المثل سـير السواني سـفر لا ينقطع والخلب بضم الخاء المعجمة واللام جميعا الليف وكذلك الخلب بالتسكين والمعنى انه
يشبه وريديه المذكورين برشاءين من الليف لغلظهما فجمل كأن بعد التخفيف عاملة كما كانت قبل التخفيف

﴿ينهون عن أكل وعن شرب * مثل المها يرتعن في خصب﴾

في والذاريات عند قوله تعالى يؤفك عنـه من أفك أي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب يقال جمل ناه اذا كان عريقا في السمن
وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما به فـمضيا فاصدر الاضياف عنه شباعا أي يصدر افكهم عن القول المختلف ونظيره فأزلهما
الشيطان عنها وكذا وما فعلته عن أمري وقد تقدم

﴿انا اذا شاربنا شريب * له ذنوب ولنا ذنوب * فان أبى كان له القليب﴾

الشريب من يشرب معك * الذنوب الدلو العظيمة وهذا المثل أصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب والمعنى انى
أوثر شريبي بالحظ الاوفر والنصيب الاجزل فان لم يرض أوثره بالجميع في والذاريات عنـد قوله تعالى وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب
أصحابهم

﴿وأنت الذي آثاره في عـدوه * من البؤس والنعمى لهن ندوب﴾

﴿وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب﴾

في والذاريات عند قوله تعالى وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم شاس هو أخو علقمة بن عبدة ومدح بهذه القصيدة الحرث بن
أبي شمر الغساني وكان شاس عنده أسيرا * قوله خبطت بنعمة الخابط الطالب والمجتدي يخبط المواضع التي يسير فيها الى من يرجوه
ويأمل معروفه ثم قيل لكل طالب خابط ومختبط ويجوز أن يكون من قولهم خبطت الشجرة اذا جمعت أغصانها ثم ضربتها ليسقط
ورقها فتعلفه الابل ثم استعار الورق للمال وأصله للخابط والذنوب النصيب وأصله الدلو ومعنى البيت أنت أنعمت على كل حي بنعمة
واستحق شاس أن تتفضل عليه * قيل لما سمع الحرث قوله فحق لشاس من نداك ذنوب قال نعم وأذنبة فأمر باطلاق شاس وجميع أسرى
بني تميم وقيل خيره بين اطلاق أسرى تميم وبين جزيل اعطائه فقال أبيت اللعن حتى أدخـل عليهم فلما دخل قال اني قد استوهبتكم من

الملك فوهبكم لى وهو كاسيكم وواهب لكم وحاملكم فان أعطيتمونى مايعطيكم من كسوة وحملان وهبة أخرجتكم فضمنوا له ماسأل فلما أخرجهم وبلغوا بلادهم أخذ ماءهم وأطلقهم

﴿لنا ابلان فيهما ماعلمتمو * فعن أيها ماشئتمو فتنكبوا﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر حيث قرئ فالتقى الما آن أى النوعان من الماء السماوى والارضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى والاصل فى الجمع الانثى الا فيما ثنته العرب فيما يذهبون فيه الى مذاهب شتى مختلفين كقولهم ابلان أرادوا ابل قبيلة وابل قبيلة أخرى وابلا سوداء وابلا حمراء كأنهم قالوا قطيعان من الابل فيما علمتموه من قرى الاضياف وصلة ذى الفاقة فتنكبوا ماشئتم أى اجعلوه منكبكم حاملا يه الى بيوتكم وعن للمجاوزة وذلك لان القطعة المنكبة قد انفصلت عن الباقى من نكب القوس ألقاها على منكبيه أو اعدلوا وابعدوا عن أيها شئتم وانصرفوا خائبين بالعجز عن مجاراتنا

﴿أمسى بوهبين مجتاز المرتعه * من ذى الفوارس تدعو أنفه الربب﴾

فى سورة المعارج عند قوله تعالى تدعو من أدبر وتولى مجازا عن جذبها واحضارها كأنها تدعوهم وتحضرهم كقوله تدعو أنفه الربب والبيت لذى الرمة يصف ثورا وحشيا ووهبين اسم موضع والاجتياز السلوك وذى الفوارس اسم موضع رمل وتدعو أنفه الربب أى تجره والربب جمع ربية وهو أول ماينبت من الارض

﴿والعير يرهقها الحبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب﴾
﴿فعلاهما سبط كأن ضبابه * مجبوب صادات دواجن ينضب﴾
﴿فتجاريا شأوا بطيئا مثله * هيهات شأوهما وشأو التواب﴾

لبشر بن أبى حازم فى سورة الجن عند قوله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال بعضهم ان الرجم بالشهب كان بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واحدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء فى شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبى حازم والعير يرهقها اه وقال أوس بن حجر وانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا يصف عدو فرس ويقول انقض كالدرى أى هوى فى العدو كالكوكب الدرى يتبعه أى الفرس نقع وهو الغبار الساطع تخاله أى تحسب الغبار طنبا من امتداده يصف عدو عير واتان وجحشهما يثور من عدوهما الغبار وقوله يرهقها أى يكلفها والحبار الاثر والحبار الارض اللينة أيضا يعنى العير يكلف الاتان اتباع أثره فى العدو وينقض أى يهوى انقض الطائر أى هوى من طيرانه ليسقط على شئ وروى انقض عليه جبريل أى نزل يعنى يكلف العير الاتان اتباع أثره فى العدو والجحش يعدو خلفهما كما يهوى كوكب الرجم ثم قال فعلاهما سبط أى غبار ممتد كان ضبابه الضباب ندى كالغبار يغشى الارض بالغدوات قد نصبت السماء وسماء نضبة وصادات أى اعلام وتنضب اسم شجر دخانه أبيض يشبه الغبار يقول ثم علا العير والاتان غبار ممتد من عدوهما كان غباره مجبوب صادات دخان شجرة ينضب ثم قال فتجاريا شأوا والشأو الطلق يقال جرى شأوا بطيئا أى بعيدا وهيهات أى بعد والتولب ولد الحمار يعنى ان العير والاتان تجاريا شأوا بعيدا شأوهما عن شأو التولب وسبقاه فى العدو مع أن الجحش ينقض خلفهما انقضاض كوكب الرجم

﴿كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب﴾

فى سورة الانسان عند قوله تعالى اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه لما زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت على نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبى نواس كانه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء وأخذ ابن المعتز هذا المعنى فى قوله
وأمطر الكأس ماء من أبارقه * فأنبت الدر فى أرض من الذهب وسبح القوم لما ان رأوا عجبا * نورا من الماء فى نار من العنب
وخطئ أبو نواس فى استعماله فيه أفعل التفضيل من غير احدى الثلاث على ما فى المفصل

﴿وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب﴾

فى سورة النبأ عند قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو اخفاء مالا تحبون الاطلاع عليه من الامور كما فى قول المتنبى وكم لظلام الليل اه ومن المعلوم من مذهب المانوية أن الخير منسوب الى النور والشر الى الظلام فكذبهم

فكذبهم أبو الطيب بأن نعمته وخيريته حصلت من الظلام وبين تلك النعمة في قوله بعده

وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب أى وقاك ظلام الليل العدو وأنت تسرى اليهم فيما بينهم فلا يبصرونك وزارك في الظلام المحبوب الذى له عليك ولاية وهو محجوب عن العيون والبيت المذكور من قصيدته المشهورة التى مطلعها

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب ومنها البيتان

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت في عين من لا يجرب لحا الله ذى الدنيا مناخا لراكب * فكل بعيد الهم فيها معذب

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة * فلا أشتكى فيها ولا أتعتب وبى ما يذود الشعر عنى أقله * ولكن قلبى يا ابنة القوم قلب

الى ان قال يخاطب كافورا

اذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا * وان طلبوا الفضل الذى فيك خيبوا ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب وما أحسن قوله أيضا

وتعذلنى فيك القوافى وهمتى * كأنى بمدح قبل مدحك مذنب ولكنه طال الطريق ولم أزل * أفتش عن هذا الكلام وينهب

ومنها وهو آخرها فشرق حتى ليس للشرق مشرق * وغرب حتى ليس للغرب مغرب

ولم أورد هذه الابيات مع اشتهارها الا استلذاذا بعذوبة لفظها وحلاوة معناها محاسن لم تزدك معرفة * وانما لذة ذكرناها

﴿فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه﴾

في سورة النبأ عند قوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا حيث قرئ بالتخفيف كما قال فصدقتها وكذبتها ومثله قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا ومثله وان مديح الناس حق وباطل * ومدحك حق ليس فيه كذاب

﴿اذا غزوا باب ذى عيبة رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب﴾

في المطففين عند قوله تعالى بل ران على قلوبهم ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران عليه النوم رسخ فيه ورانت به الخمرة ذهبت به وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم * قال اذا غزوا باب ذى عيبة رجبوا اه غزوا قصدوا والعيبة الكبر والنخوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى ورجبوا أى عظموا يقال رجبت الرجل رجبة ورجبا اذا أكرمته وعظمته وبه سمى رجب لان العرب كانت تعظمه قوله والناس ما بين مرجوب أى يؤذن على الملوك للوجهاء المكرمين ويحجب عنهم الادنياء المهانون

﴿وما نقموا من بنى أمية الا * أنهم يحلمون ان غضبوا﴾

هو لقيس بن الرقيات في سورة البروج عند قوله تعالى وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد يعنى أنهم جعلوا أحسن الاشياء قبيحا وهو الحلم عند الغضب وذلك أصل الشرف والسيادة كما قال

ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكل عيونها

وقد تقدم في شرح بيت النابغة الشاهد المذكور على تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب مافيه مقنع فليراجع

﴿هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وما ذا يؤدى الليل حين يؤوب﴾

في القارعة عند قوله تعالى فأمه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا ومنه بيت الحماسة هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما أبوا أن يفروا والقنا فى نحورهم *

وان يرتقوا من خشية الموت سلما فلو أنهم فروا لكانوا أعزة * ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

و يبعث من البعث من النوم والغادى الذى يغدو ويؤوب أى يرجع وهوت أمه دعاء لا يريد به الوقوع وانما يقال عند التعجب والمدح يتعجب منه حين يغدو ويروح ويصفه بالجلد والتقدير أى شئ يبعث الصبح منه غاديا وأى شئ يرد الليل منه آتيا على التعجب منه لانه ماثلا في طلب الغارة واتيانه ظاهر أو منه للتعجب وحذف منه كما يقال السمن منوان بدرهم ومنه تجريد والبيت لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه شبيبا واسمه هرم وكنيته أبو المغوار من قصيدته المشهورة التى منها

لعمري لئن كانت أصابت مصيبة * أخي والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فمروّح * علينا وأما جهله فغريب
فان تكن الايام أحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

ومنها البيتان المشهوران

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبي المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل انه * مجيب لابواب العلاء طلوب

﴿صاح هل ريت أو سمعت براع * ردفى الضرع ما قرى فى العلاب﴾

فى الماعون عند قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين حيث قرئ ريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذى سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام كما فى البيت وهى قراءة الكسائى والذى فى الآية أقوى توجها من البيت لوجود الهمزتين واذا وقع فى أول الكلام حرف الاستفهام كره همزة أخرى بعدها والزمخشرى لما بين أن حذف الهمزة من أرأيت ليس باختيار أشار الى ان لهذه القراءة وجها حسنا لوقوع الهمزة قبل أرأيت والحذف أولى فان قيل لا وجه لايراد المصنف هذا البيت فى هذا الموضع استشهادا بحذف الهمزة من أرأيت بسبب حرف الاستفهام فانه لم يجتمع فيه همزتان بخلاف قوله أرأيت وجوابه أن الهمزة مقدرة فى البيت لان هل فى الاصل بمعنى قد ولا تستعمل الا فى الاستفهام مع الهمزة بسبب كثرة الاستعمال حذفت منه الهمزة والدليل عليه قول الشاعر

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع من أكم

ولما كانت الهمزة فى هل رأيت مقدرة حذفت من أرأيت ولذا قال الزمخشرى سهل أمرها وقوع حرف الاستفهام ولم يقل همزة الاستفهام والعلبة المحلب من جلد والجمع علب وعلاب وصاح أصله يا صاحبي فرخم والقرى جمع الماء فى الحوض يقول يا صاحبي هل رأيت أو سمعت براع ردالى الضرع ما حلب من اللبن وجمع فى العلب وروى الحلاب بدل العلاب

﴿من البيض لم يضدد على ظهر لامة * ولم يمش بين الحى بالحطب الرطب﴾

فى سورة تبت عند قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب تحمل الحطب بينهم أى توقد بينهم النائرة وتورث الشر قوله من البيض أى من بيض الوجوه لم يضدد وبرواية لم يضطد من الضد وهو ما يضاد شيأ على ظهر لامة أى لوم وسوء أى لم يرتكب الامر الذى يلام عليه واللامة الامر الذى يلام عليه أى لا يمشى بين الناس فيلق بينهم العداوة ويهيج نارها كما توقد النار بالحطب وسمى النميمة حطبا وذم الله تعالى امرأة أبى لهب وهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان وكانت عوراء قال حمالة الحطب أى نقالة الحديث والشاعر يصف امرأة بطهارة العرض أى لم تؤاخذ على الامر الذى تلام عليه وفى قوله الرطب ابغ الحسن وقيل يمدح رجلا بأنه برىء من أن يضاد على سوء ولوم فيه ومن أن يمشى بالسعاية والنميمة بين الناس وانما جعل رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة الشر

﴿ماذا أردت الى شتمى ومنقصتى * أم ما تعير من حمالة الحطب﴾
﴿غراء شادخة فى المجد غرتها * كانت سليلة شيخ ثابت الحسب﴾

فى سورة تبت عند قوله تعالى حمالة الحطب قيل عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بحمالة الحطب بهذين البيتين وقيل قال معاوية لعقيل بن أبى طالب ما حال عمك أبى لهب قال فى النار مفترش عمتك حمالة الحطب والى شتمى متعلق بمحذوف أى مائلا الى شتمى ويجوز أن يكون متعلقا بأردت على تضمين معنى ملت فيكون ماذا فى محل المصدر أى أى شئ أردت منتهيا الى شتمى وفيه مبالغة حيث جعله نهاية ارادته وقصاراها وشدوخ الغرة اتساعها الى الانف من غير اصابة العينين وتكون فى العناق تقول منه شدخت الغرة اذا اتسعت فى الوجه

﴿حرف التاء﴾

﴿واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت﴾
﴿درت بأرزاق العفاة مغالق * بيدى من قمع العشار الجلة﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وقرئ مطهرات يقال النساء فعلت وفعلن والنساء فاعلات وفواعل فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة والبيت من الحماسة قوله ملت أى خبزت المليل وهو أن تجعل العجين فى الرماد الحار حتى يدرك ويؤكل والقمع جمع قمعة وهى قطعة السنام والمغالق بالغين المعجمة من سهام الميسر التى تغلق الخطر فتوجه للفائز المقام كما يغلق الرهن المستحق والجلة العظام السمان ولقد بالغ فى وصف نفسه بحسن التفقد للضيوف والزوار من وجوه عديدة كما ترى والبيت لسلم

اين

ابن ربيعة بن جفنة من قصيدة أولها حلت تماضر غربة فاحتلت * فلجا وأهلك باللوى فالحلة

زعمت تماضر أنني أنا ان أمت * يسدد أبينوها الاصاغر خلتي تربت يداك وهل رأيت لقومه * مثلي على يسري وحين تعلتي

رجلا اذا ما النائبات غشينه * أكفى لمعضلة وان هي جلت ومناخ نازلة كفيت وفارس * نهلت قناتي من مطاه وعلت

وبعده البيتان وبعدهما

ولقد رأيت ثأى العشيرة بينها * وكفيت جانبها اللتيا والتي وصفحت عن ذي جهلها ورفدتها * نصحي ولم تصب العشيرة زلتي

﴿ولا تعدلين أتاويين تضربهم * نكباء صر بأصحاب المحلات﴾

في سورة آل عمران عند قوله تعالى كمثل ريح فيها صر عدلت فلانا بفلان اذا سويت بينهما وهذا مما حذف منه المفعول به أي لا تعدلين بهم أحدا والتقدير لا تعدلين مجاورتهم بمجاورة أحد وحذف المفعول في القرآن كثير ومنه مالك يوم الدين أي الحكم وحسن هذا الاختصاص تفرد القديم سبحانه في ذلك اليوم بالحكم فاما في الدنيا فانه يحكم فيها الولاة والقضاة والفقهاء ومنه فذوقوا بما نسيتم أي العذاب ومنه ربنا اني أسكنت من ذريتي أي ناسا أو فريقا وقوله فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض أي شيأ وهو كثير والاتاوي الغريب البعيد من الدار والنكباء الريح الشديدة والصر الريح الباردة والمحلات اسم للماعونات مثل الفاس والقدر والرحى والدلو والغربال يقول لا تعدلين الغرباء الذين لا نزل لهم ولا ديار تكنهم من البرد والرياح العاصفة بأصحاب الديار والمنازل والاثاث * ومن ذلك قول ليلى الاخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يهبط مع المتغور ولم يغلب الخصم الالد ويملأ الـ * ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر

روى أن ليلى الاخيلية ترثي أخاها وتعد مناقبه * وقيل ان توبة بن الحمير أراد ليلى الاخيلية على ما يريد الرجال وكان كل منهما يحب صاحبه فأبت واشمأزت وقالت في ذلك

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

﴿وذي ضغن كففت السوء عنه * وكنت على اساءته مقيتا﴾

في سورة النساء عند قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا قاله الزبير بن عبد المطلب أي رب ذي ضغن وحقد على كففت السوء عنه وكنت مقتدرا على أن أصيبه بالمكاره يعني أتحمل عنه مع القدرة وفي حواشي الصحاح عن الصغاني الرواية أقيت والقافية مضمومة وبعده

يبيت الليل مرتفعا ثقيلا * على فرش الفتاة وما أبيت تعن الي منه مؤديات * كما تؤذي الجذامير البروت

الجذمور والجذمار ما بقي من أصل السعفة اذا قطعت والبرت الفاس وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة هود عند قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أي اطمأنوا اليه وانقطعوا العبادته بالخشوع والتواضع من الخبت بالتاء الفوقية وهي الارض المطمئنة ﴿ليت شعري وأشعرن اذا ما * قربوها منشورة ودعيت﴾

ألي الفضل أم علي اذا حو * سبت اني على الحساب مقيت قولا ينفع الكثير الخبيت * ينفع الطيب القليل من الرز

في سورة النساء عند قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفوس ويحفظها قوله قربوها كناية عن الصحف كقوله تعالى واذا الصحف نشرت ودعيت يعني حين يدعى كل أناس بامامهم ومقيت أي حفيظ شهيد أي ليت شعري على حاصل اذا أوتيت بصحيفة أعمالي اقراءتها ألي الفضل على غيري لوفور حسناتي أم لغيري على الفضل لكثرة سيئاتي فاني على الحساب شهيد عالم و يروى اني بالكسر والمعنى لا يختلف كانه تمنى أن يشعر ان هناك قدرة نافعة على الحساب في الفضل له وعليه مثل ماله في الدنيا وقوله وأشعرن اعتراض أي لا حاجة الى تمني الشعور فانه حاصل وأعلم أني ان عملت خيرا جزيته وان عملت شرا كذلك

﴿أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت﴾

هو لكثير عزة من قصيدته المشهورة في التوبة عند قوله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين أي أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أي وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة فلا ألومك وفي معناه قول القائل أخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود

ولو جئت تبغي كفه لتبينها * لبادر اشفاقا عليك من الرد يرى أنه في الود وان مقصر * على أنه قد زاد فيه على الجهد

وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة يوسف عند قوله تعالى وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن فان المشهور استعماله الاحسان

بالى نحو أحسن كما أحسن الله اليك ولما تضمن معنى اللطف تعدى بالباء كقوله و بالوالدين احسانا وكذلك بيت كثير عزة قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن طباطبا فى كتاب عيار الشعر قال العلماء لو قال هذا البيت فى وصف الدنيا لكان أشعر الناس ومن أخوات هذا البيت

وقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

قال ابن طباطبا قد قال العلماء ولو أن كثيرا جعل هذا البيت فى وصف حرب لكان أشعر الناس وسيأتى بقية أبيات هذه القصيدة فى محلها قريبا ان شاء الله تعالى

﴿ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم * فما على بذنب عندكم فوت﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية أى أولو فضل وخير وسمى الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجود والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة بقيتكم ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى هلا كان منهم ذوو الابقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وفسرت البقية فى البيت على وجهين أحدهما أن يكون المعنى ثم يأتينى خياركم وأماثلكم والآخر أن يكون المعنى ثم يأتينى بقيتكم الذين لم يذنبوا متنصلين * قوله بذنب أى بسببه وقد حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال لا فوت عليك فى كذا كما يقال لا بأس عليك وفى هذا الكلام اعلام بأنه يستعمل الاناة والحلم معهم والمعنى بالتفسير الاول ان تذنبوا ثم يأتينى خياركم وأماثلكم يقيمون معذرة بأنفسهم ويبينون انهم لم يساعدوكم بالرأى ولا بالفعل فما على بجزاء ذنب فوت وما يلحقكم من لائمة وعيب وبالتفسير الآخر ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم الذين لم يذنبوا يعتذروا بأنهم فارقوكم لعظيم جنايتكم فلا تفوتنى مؤاخذتكم ومحاسبتكم

﴿يوم ترى النفوس ما أعدت * من نزل اذا الامور غبت﴾

﴿فى سعى دنيا طالما قد مدت﴾

فى سورة طه عند قوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث أتى حيث نكر الساحر أولا وعرف ثانيا وانما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج فى سعى دنيا اهـ وفى حديث عمر رضى الله عنه انى لا كره أن أرى أحدكم سبهللا لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنياوى وأمر دنيائى وأخروى يقال جاء يمشى سبهللا اذا جاء وذهب فى غير شئ أى يوم القيامة ترى النفوس ما أعدته أى جعلته عدة وأوله

الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وما تعنت * أوحى لها القرار فاستقرت

وشدها بالراسيات الثبت * والجاعل الغيث غياث الامة * والجامع الناس ليوم البعثة * بعد الممات وهو محيى الموت

يوم ترى النفوس ما أعدت * من نزل اذا الامور غبت

﴿فى سعى دنيا طالما تعنت﴾

قوله من نزل بيان ما أعدت وقوله غبت أى بلغت غبها وآخرها فى سعى دنيوى مدة دنياه وأمهلت وقوله فى سعى دنيا ظرف لغبت وانما نكر دنيا التنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كما فى الآية والمراد تنكير السعى أى فى سعى دنيوى

﴿فلو أن الاطبا كان حولى * وكان مع الاطباء الاساة﴾

قال ابن العينى لم أقف على قائله فى سورة المؤمنون عند قوله تعالى قد أفلح المؤمنون قال الزمخشرى وعن طلحة أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * فلو أن الاطبا كان حولى * أى كانوا وقصر الاطباء للضرورة والاساة جمع آس كرماة فى رام وقد اجتزى بضم كانوا الاولى عن الواو وقيل الاساة هم الاطباء ويحتمل انه أراد الحذاق من الاطباء وأراد بالاطباء مطلق الاطباء حتى يصح قوله * وكان مع الاطباء الاساة * لانه لا يصح الا بعد ثبوت المغايرة بين الاطباء والاساة ويحتمل أن يكون التعريف فى الاطباء للجنس وفى الاساة للعهد أو أراد بالاطباء علماء الطب وبالاساة المعالجون منهم

﴿المطعمون الطعام فى السنة الازمة والفاعلون للزكوات﴾

فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية كما أن الذكاة بمعنى التذكية فى قوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة أمه وهو الذى أراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول الضارب فاعل الضرب والقاتل فاعل القتل والمزكى فاعل الزكاة وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول فى جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم تمتنع الزكاة الداله على العين أن يتعلق بها فاعلون بخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل

الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشدوا لامية بن أبى الصلت المطعمون الطعام اهـ ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا أصح لانها فيه مجموعة والمصدر لا يجمع فى الاغلب اذ قد يجمع قال الله تعالى وتظنون بالله الظنونا وقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقوله الازمة يقال أزمت السنة اذا اشتدت والازم الجدب

﴿هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت﴾

فى سورة الطور عند قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أى كلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله فى قوله هنيئا مريئا اهـ يعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحلة من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله شهيدا والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب قيل كان كثير فى حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها أغضبيه فاستحت من ذلك فقال لتغضبيه أو لاضربنك فدنت من الحلقة فأغضبته وذلك ان قالت كذا وكذا بفم الشاعر فقال ذلك وقصيدة كثير هذه مشهورة وأولها

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم احللا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولت
وما أنصفت أما النساء فبغضت * الينا وأما بالنوال فضنت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
فان سأل الواشون فيم صرمتها * فقل نفس حر سليت فتسلت

(ومنها)

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت
ووالله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا أكثرت الا استقلت
أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

قال القالى فى أماليه حدثنا أبو بكر بن دريد قال بينا أنا مع أبى فى سوق المدينة اذ أقبل كثير فقال له أبى هل قلت بعدى شيأ يا أبا صخر قال نعم وأقبل على وأنشد هذه الابيات

وكنا سلكنا فى صعود من الهوى * فلما توافينا ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * فلما توافقنا شددت وحلت
فواعجبا للنفس كيف اعترافها * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
وللعين أسباب اذا ما ذكرتها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
وانى وتهيامى بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وهى طويلة وأوردنا هذا القدر منها لانسجامها وحلاوتها فى الذوق

﴿حرف الثاء﴾

﴿شجعاء جرتها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى والباقيات الصالحات خير على ضرب من التهكم اذ لا ثواب لهم حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه فهو على طريقة قولهم الصيف أشد حرا من الشتاء الشاعر يصف ناقة بسير دائم يعنى تسير اذا كان سائر المطايا لا تسير فسيرها بمنزلة الاجترار لغيرها والجرة البعير بكسر الجيم ما يخرجه من كرشه من العلف للاجترار وكل ذى كرش يجتر والشجع فى الابل سرعة نقل القوائم والذميل سرعة السير وجرتها الذميل من باب فأعتبوا بالصيلم وقوله تلوكه أى الذميل تمضغه ترشيح وأصلا جمع أصيل وقوله اذا راح المطى غراثا أى صرن ضعافا من السير لا يقدرن عليه كأنها شبعى بأكل السير اذا كن غرثى لا يجدن ما يأكلن من السير زيادة ترشيح وهذا على حذو قول أبى تمام

بسواهم لحق الاياطل شزب * تعليقها الاسراج والالجام

الساهمة الناقة الضامرة ولحق لحوقا أى ضمر تعليقها من العلاق كزنار وهى البلغة وهى ما يتبلغ به من العيش العلوق ما تعلقه الابل أى ترعاه قال

هو الواهب المائة المصطفا * ة لاط العلوق بهن احمرارا

لا من العلاقة ويروى تعليفها وهو ظاهر والاياطل جمع أيطل وهو الخاصرة ولم يتفق فى شواهد الكشاف من قافية الثاء غير هذا البيت وهى قافية ضيقة قل أن يتفق للشعراء نظم شئ منها ولهذا يحكى أن ثلاثة أنفار من أهل الادب جمعهم مكان منتزه فى قرية تسمى طهياثا فقالوا ليقل كل منكم قافية على حرف الثاء على اسم هذا المكان فقال الاول * لقد نزلنا اليوم فى طهياثا * وقال الثانى * لما حثثنا القدح احتثاثا * ثم أرتج على الثالث فقال * وأم عمرو طالق ثلاثا * فقال رفيقاه ويحك ما ذنب المسكينة فقال والله ما لها ذنب الا انها وقفت فى طريق القافية

﴿حرف الجيم﴾

﴿ متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ﴾

فى البقرة عند قوله تعالى يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء على قراءة الاعمش بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم والكلام مفصل فى كتب الاعاريب فلينظر فى محله ومعنى البيت أنهم يوقدون غلاظ الحطب لتقوى نارهم فتأتى اليها الضيفان من بعيد فيقصدونها وقد استشهد بالبيت المذكور على قوله تعالى فى سورة الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف حيث كان يضاعف له العذاب بدلا من يلق لاتحادهما فى المعنى كما فى البيت وقرئ بالرفع على الاستئناف أو الحالية

﴿ بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه نهيق محشرج ﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده وأصله جبل شاهق أى متناهى الطول البيت للشماخ يصف حمار وحش والمحشرج الذى يتردد صوته فى حلقه وجوفه وقال رؤبة

حشرج فى الصدر صهيلا وشهق * حتى يقال ناهق وما نهق

﴿ أيا رب مقفو الخطى بين قومه * طريق نجاة عندهم مستو نهج ﴾

﴿ ولو قرؤا فى اللوح ما خط فيه من * بيان اعوجاج فى طريقته عجوا ﴾

فى الحج عند قوله تعالى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد مقفو اسم مفعول من قفوت الرجل اذا اتبعته والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح يقول رب رجل مقتدى فى قومه متبوع فى حزبه عندهم انه على صراط مستقيم ونهج واضح ولو قرؤا ما خط فى اللوح المحفوظ من ضلالة ذلك الرجل المقفو وغوايته فى معتقده وطريقته عجوا وضجوا متضرعين الى الله تعالى من أن يكونوا ممن قال الله فيهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

﴿ بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج ﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة من جمد فى مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال لتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد وهى تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش بأرعن مثل الطود الارعن الجبل ويريد هنا الجيش والطود الجبل العظيم لحاج جمع حاجة والركاب المطى لا واحد لها من لفظها والهملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهملجة فارسى معرب وهى مشى سهل كانه يقول حاربنا العدو بجيش مثل الجبل العظيم تحسب أنهم وقوف لحاجة والحال أن الركاب تسرع المشى كما قال الله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

﴿ ورا كد الشمس أجاج نصبت له * قواضب القوم بالمهرية العوج ﴾

﴿ اذا تنازع حالا مجهل قذف * اطراف مطرد بالحز منسوج ﴾

﴿ تلوى الثنايا بحقويها حواشيه * لى الملاء بأبواب التفاريج ﴾

﴿ كأنه والرهاء المرت يركضه * اعراف أزهر تحت الريح منتوج ﴾

فى سورة الزمر عند قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض ومنها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب بلوى اه الثنية العقبة والحقو الازار والخصر أى وسط الانسان قال فى الصحاح الحقو الازار وقال فى المجمل الحقو الازار وأيضا الحقو الخصر وشد الازار والجمع أحق وحواشيه أى حواشى هذا الآل والتهابه هو أن لا يطرد فيه اطراده فى المستوى والملاء بالضم والمد جمع ملاءة وهى الجلباب والتفراج الباب الصغير والحواشى الجوانب أى بادى الهضاب بأوسطها حواشى السراب مثل لى المرط بأبواب الدار الشاهد أن المراد باللى غشيانه مكانه والثنايا فاعل تلوى وحواشيه أى حواشى هذا الآل والتهابه هو أن لا يطرد فيه اطراده فى المستوى والتفاريج مصاريع من ديباج وقوله كأنه والرهاء المرت أى كان الآل المتسع الخالى بجريه والرهاء اسم موضع بعينه والمرت الارض القفر وقوله اعراف أزهر تحت الريح منتوج عرف الفرس والديك الجمع الاعراف واعرورف البحر والسيل اذا تراكم موجه حتى يكون كالعرف وأزهر أى سحاب أزهر والزاهر الابيض

ومنتوج

ومنتوج يقال الريح تنتج السحاب اذا مرته حتى يجرى قطره والمعنى كان السراب والآل أيضا الموضع المسمى بالرهاء أعالى مطر سحاب أبيض خرج ماؤه بامتراء الريح و يروى * اغراس أزهر تحت الليل منتوج * والاغراس جمع غرس وهو الماء الذى يخرج مع الولد فاستعاره للمطر أى كانه مطر سحاب أزهر خرج ماؤه ليلا والجملة التى هى والرهاء المرت يركضه فى موضع نصب على الحال والعامل فيها معنى الفعل وفاعل يركض الآل وركضه اياه هو كهزه له ويجوز أن يكون فاعل يركض المرت من باب زيدا ضربته كانه قال المرت يركضه لان الرهاء مركوض وفاعله السراب كما ان زيدا مضروب و بيت الكشاف يلوى الثنايا باحقيها البيت

﴿ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج﴾

فى سورة الزمر عند قوله تعالى ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب العدة ثم قالوا افرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية من القسم الثانى وهو المطلوب بها اثبات أمر لامر أو نفيه عنه فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بضد الصفات و يترك التصريح بها الى الكناية كقوله ان السماحة والمروءة والندى الخ والبيت لزياد الاعجم قاله فى عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور وقبله

ملك أغر متوج ذونائل * للمعتفين يمينه لم يشنج
ياخير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبى المصطفى المستخرج

وكقوله لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

وكقوله أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرا عليك تقطع

﴿ومهمه هالك من تعرجا * لايرتجى الخريت منها مخرجا﴾

فى سورة المرسلات عند قوله تعالى ألم نهلك الاولين بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه كما فى قول العجاج ومهمه اه ويقال عرجوا بنا فى هذا المكان أى أنزلوا والخريت الدليل العارف سمى خريتا لانه يهتدى لمثل خرت الابرة ولا يخفى عليه طريق وان روى هالك بالضم فهو خبر مبتدا محذوف أى هو هالك والجملة صفة مهمه وان روى بكسرها فالوجه أن من نكرة موصوفة وهو مفعول هالك

﴿حرف الحاء﴾

﴿وفرع يصير الجيد وحف كانه * على الليت قنوان الكروم الدوالح﴾

فى البقرة عند قوله تعالى فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن قال * ولكن أطراف الرماح تصورها * وسيأتى وصف محبوبته بكثافة الشعر ووفوره وسواده وان الضفائر على عنقها بحيث تميله من كثرتها مثل العناقيد على الكروم الكثيرة الحمل يصير أى يميل والوحف الشعر الكثير الاسود والليت العنق وقنوان جمع قنو نحو صنو وصنوان وهو العنقود والدوالح المثقلات

﴿ألا رب من قلبى له الله ناصح * ومن قلبه لى فى الظباء السوانح﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الم قال صاحب الكشاف بعد أن قرر أن أسماء السور معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه ثم قال بعد ذلك على تقدير نصبها هلا زعمت أنها مقسم بها وانها انصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم كما قال ذو الرمة ألا رب من قلبى له الله ناصح اه وقوله

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك اه ثم ان من فى البيت نكرة موصوفة وأنه بمعنى رب صديق قلبى له ناصح ورب صديق قلبه لى ناصح فى محبة النساء أى قلبه نافر عنى بمنزلة الظباء المسرعات من سنح له سانح اذا عرض والسانح ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبى والعرب تتيمن به والبارح ما أتاك عن يسارك والقعيد ما أتاك من خلفك والجابه ما استقبلك والعرب قد تتشاءم بالسانح وأنشدوا * وأشأم طير الزاجرين سنيحها * وأنشد زهير

جرت سنحا فقلت لها أجيزى * نوى مشمولة فتى اللقاء

Diw. d. Zohair 1. 7

﴿وان قصائدى لك فاصطنعنى * عقائل قد عضلن عن النكاح﴾

فى البقرة عند قوله تعالى فلا تعضلوهن العقيلة الكريمة وعقيلة كل شىء أكرمه وهى من النساء التى خدرت فى بيتها وحبست والعضل الحبس يقول ان قصائدى مثل عقائل النساء لك فلا أمدح بها غيرك فاصطنعنى بعد حى اياك بها ومنه قوله

فلا عضلن قصائدى من بعده * حتى أزوجها من الاكفاء

﴿فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا يبكنا الا الكلاب النوابح﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى قال الحواريون نحن أنصار الله يعنى قل للنساء الحضريات يبكين غيرنا فاسنا ممن عرف بالحضر على الفراش بل نحن من أهل البدو والمحاربة ولا يبكى علينا الا الكلاب النوابح اللاتى تساق معنا فى البدو والصيد أو الكلاب اللاتى جرت عادتهن بأكلهن قتلانا فى المحاربة

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن عرض صحيح

الابيات لعمرو بن الاطنابة فى سورة آل عمران عند قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم وفى رواية أقول لها اذا جشأت وجاشت قوله واقحامى أى تكلفى والهامة وسط الرأس والمشيح المجد من أشاح الرجل اذا جد فى القتال وجشأت أى تحركت وجاشت القدر اذا غلت وكل شئ يغلى فهو يجيش حتى الهموم كأنه قال أبت لى عفتى ان أتبع هوى النفس واللذاذات وأبى بلائى أى قتالى ان أنكسر وأصبر * وحكى عن معاوية أنه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلى فى الركاب يوم صفين أى للهزيمة فما ثبتنى الا قول عمرو بن الاطنابة وقد يكون للنفس عند الشدة بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه والبيت المذكور ورد شاهدا فى سورة الانفال عند قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق أراد أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام قال * واضرب هامة البطل المشيح * قوله وضربى معطوف على المرفوعات قبله فاعل أى فى البيت السابق

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح
وكلتاهما قد خط لى فى صحيفة * فلا العيش أهوى لى ولا الموت أروح

هو لتميم بن مقبل وبعده

فى سورة النساء عند قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه على تقدير أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون يقول ليس الدهر الا تارتان فمنهما تارة أموت بها وتارة أحيا وأعيش فيها وخلاصة المعنى ليس الدهر الا حالتان حالة يموت المرء فيها ويستريح من نصب الدنيا وأذاها ان كان من أهل الاستراحة وحالة يعيش فيها ويكدح لمعاشه ومعاده ويتحمل نصب الدنيا وصروفها

سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

فى سورة النساء عند قوله تعالى ثم يدركه الموت بالنصب ونصب ألحق ضعيف لانه لم يقع فى جواب الاشياء الستة والعذر ان الفعل المضارع كالتمنى والترجى وقد استشهد بالبيت فى سورة الانبياء عند قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه حيث قرئ بالنصب ووجهه وما بعده الحمل على المعنى والعطف على ألحق فان المستقبل فيه اشمام التمنى وقد استشهد به أيضا فى سورة الشورى عند قوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا ويعفوعن كثير ويعلم الذين يجادلون حيث كان نصب يعلم بالعطف على تعليل مقدر أى يذقهم لينتقم منهم ويعلم ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف كثير فى القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله خلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ومنه قوله وألحق بالحجاز فأستريحا ثم انظر الى معنى البيت فانك لو رفعت فيه وألحق لم يكن فيه ذلك اللطف الذى هو فى النصب لانك اذا رفعت كان المعنى سأترك منزلى وألحق بالحجاز وأما اذا نصبت يكون النصب بتقدير أن ويكون أن مع ما بعده فى تأويل مفرد أى وشأنى الالحاق بالحجاز أو لحوق الحجاز بى فانظر يشهد لك الذوق بالتفاوت بين معنى الرفع والنصب فلذلك المعنى عدل عن الرفع للنصب وجميع آى القرآن وتراكيبه لا يلزم أن يكون أفصح على الاطلاق بل بعضه أفصح وبعضه فصيح فيكون واردا على جميع طرق أنواع الكلام وفنونه

أفنى رباحا وبنى رباح * تناسخ الامساء والاصباح

فى سورة الانعام عند قوله تعالى فالق الاصباح فى قراءة الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله أفنى رباحا اه ورباح حى من يربوع وقيل اسم رجل وروى بفتح الراء والباء المنقوطة بواحدة والامساء والاصباح يروى بالكسر والفتح مصدرى وجمعى مساء وصباح

وهذا على حد
أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشى

وقريب منه
تسع وتسعون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها فى منعة الحجر

(يقولون)

﴿يقولون لا تبعدوهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح﴾

في سورة التوبة عند قوله تعالى ولكن بعدت عليهم الشقة بكسر العين من باب تعب في قراءة عيسى بن عمر ومنه البيت بعد الرجل اذا هلك قال الله تعالى ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفعلهما ككرم وفرح بعدا وبعدا وقد وقع لفظ البعد بمعنى الهلاك في قول قيس بن أبي عوانة الباهلي في قصيدته المشهورة التي أولها

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا الى ان قال

ولا تبعد فقد لاقيت حرا * يحاذر أن يعاب فمت حرا والصفائح أحجار عراض يسقف بها القبر وهذه لفظة جرت العادة باستعمالها عند المصاب وليس فيه طلب ولا سؤال وانما هي عبارة عن تناهي الجزع كما قال

لا يبعد الله أقواما لنا ذهبوا * أفناهم حدثان الدهر والابد نمدهم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب الينا منهم أحد

ومثل قوله اخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا وهذا وان كان لفظه لفظ الدعاء فهو جار على غير أصله وانما هو تحسر وتوقع ومنه البيت يقولون لا تبعدوهم يدفنونه * وأين مكان البعد الا مكانيا وفي هذه الآية نوع من البيان يسمى الاستطراد وهو أن يمدح شيأ أو يذمه ثم يأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضه في أوله قالوا ولم يأت في القرآن غيره وأنشدوا في ذلك قول حسان رضي الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحرث بن هشام ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ومضى بدوس طمرة ولجام

خرج من الغزل الى هجو الحارث بن هشام وهو أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك ومن لطيف الاستدراك قوله اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان ذا جرم

﴿وجاؤنا بهم سكر علينا * فاجلى القوم والسكران صاحي﴾

في سورة هود عند قوله تعالى مجريها ومرساها على تقدير أن تكون جملة من مبتدا وخبره مقتضبة أي بسم الله اجراؤها وارساؤها ومعنى المقتضبة أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجريها ومرساها بذكر الله تعالى أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله فجاؤنا بهم سكر علينا فلا يكون كلاما برأسه بل فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين والسكر بمعنى السكر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وسكر مبتدأ وبهم خبره والجار في علينا متعلق بسكر وسكر علينا واقع موقع الحال يقول جاؤنا بهم والحال أن علينا السكر واجلى بمعنى جلا أي انكشف أي كان القوم في سكر وحيرة واليوم من غيبتهم في ظلمة فلما جاؤنا بهم انجابت الظلمة من وجه اليوم وصحا السكران من سكرته وحيرته كأنه قيل جاؤنا غضابا علينا فانكشف اليوم وهم صاحون عن سكر الغضب يريد انا غلبناهم وهزمناهم

﴿مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل البرق الغمام اللوائح﴾

البيت لذي الرمة في سورة هود عند قوله تعالى فقالوا سلاما قال سلام أي أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما وقيل سلم وسلام كحرم وحرام بكسر السين وعليه قوله مررنا فقلنا اه أكتل الغمام بالبرق أي لمع ايه اسم فعل مبني على الكسر بمعنى حدث وقيل معناه زد فاذا قصدت التنكير نونت فقلت ايه حديثا ومعناه قلنا حدثنا واستأنسي فأمرناسلم أي نحن سالمون مؤنسون فسلمت علينا واستأنست مثل البرق اللامع وقدم ايه على السلام للاهتمام

﴿وأنت من الغوائل حين ترمي * وعن ذم الرجال بمنتزاح﴾

قال في الصحاح البيت لابن هرمة يرثي ابنه في سورة يوسف عند قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ قرأ الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال ونحوه في الاشباع منتزاح بمعنى منتزح ومن الاشباع قوله

أعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الاذناب أي العقرب

﴿فاهدت متكة لبني أبيها * يخب بها العثمثمة الوقاح﴾

في سورة يوسف عند قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ على قراءة متكا بضم الميم وسكون التاء وقصر الكاف والمتك الاترج لبني أبيها أي لاخوتها والعثمثمة الناقة الصلبة والوقح شدة الحافر وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الاترجة التي ذكرها أبو داود في سننه انها شقت نصفين وحملا كالعدلين على جمل

﴿ ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح ﴾

هو لضرار بن نهشل يرثي يزيد بن نهشل في سورة الحجر عند قوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح فيه قولان أحدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال

* ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة قوله ليبك يزيد ببناء الفعل للمفعول واسناده الى يزيد كأنه قيل له من يبكيه فقال ضارع والضارع هو الذي ذل وضعف والمختبط السائل وتطيح تهلك تقول طاح الشئ يطيح ويطوح اذا هلك قال الجوهري طوحته الطوائح قذفته القواذف ولا يقال المطوحات وهي من النوادر وقيل انه من قبيل ما حذفت منه الزوائد كقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح أي ملقحات قال أبو حاتم سألت الاصمعي لم قال الطوائح والقياس المطيحات أو المطاوح قال هو جمع طائحة تقول ذهبت طائحة من العرب أي فرقة وما مصدرية بمنزلة الاطاحة كما تقول يعجبني ما صنعت

﴿ اني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح ﴾

في سورة الكهف عند قوله تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله حسنت مرتفقا وفي الصحاح بات فلان مرتفقا أي متكئا على مرفق يده وهو هيئة المتحزنين المتحسرين فعلى هذا لا يكون من المشاكلة ولا للتهكم بل هو على حقيقته كما يكون للتنعم يكون للتحزن والصاب شجر مر يحرق ماؤه العين قال

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها مشبه الصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

ومعنى البيت اني سهرت وبت الليل متكئا على المرفق كأن الصاب في عيني مذبوح أي مشقوق وتقديره كأن عيني مذبوح فيها الصاب أي مشقوق وليس يريد بالمذبوح الذي تفرى أوداجه وينهر دمه ومثله قول الآخر * فأرة مسك ذبحت في مسك * أي شقت وقيل لما يذكى ذبح لانه نوع من الشق فقالوا ذبحت الشاة والبقرة وقالوا في الابل نحرت لما كانت توجأ في نحورها فوصف الدم بأنه ذبيح والمعنى أن الدم مذبوح له كما أن قوله بدم كذب معناه مكذوب فيه وليل نائم أي ينام فيه ونهاره صائم وأما قول الفرزدق

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فهو من المقلوب أي أفض ختام الاغلاق ألا ترى أن الاغلاق والاقفال المختوم عليها انما يفض الختم الذي عليها

﴿ اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح ﴾

في سورة النور عند قوله تعالى اذا أخرج يده لم يكد يراها مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها أي لم يقرب من البراح فاله يبرح وهو من برح الخفاء اذا ظهر الرسيس الشئ الذي لزم من بقية هوى أو سقم في البدن ويقال رس الهوى وأرس اذا ثبت في القلب ومية اسم امرأة ويبرح يزول يقال برح براحا اذا دام في موضعه ومنه لا أبرح افعل ذلك أي لا أزال أفعله البيت لذي الرمة من قصيدته المشهورة التي أولها

أمنزلتي مي سلام عليكما * على النأي والنائي يود وينصح
ولا زال من نوء السماك عليكما * ونوء الثريا وابل متبطح
وان كنتما قد هجتما راجع الهوى * لذي الشوق حتى ظلت العين تسفح
وبعده البيت وبعده
فلا القرب يدني من هواها ملالة * ولا حبها ان تنزح الدار ينزح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على النفس كادت في فؤادي تجرح
وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحي * وحبك عندي يستجد ويربح
هي البرء والاسقام والهم والمنى * وموت الهوى لولا التنائي المبرح
اذا قلت تدنو مية اغبر دونها * فياف لطرف العين فهي مطرح
لئن كانت الدنيا علي كما أرى * تباريح من ذكراك للموت أروح

﴿ ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح ﴾

في سورة العنكبوت عند قوله تعالى أليس في جهنم مثوى للكافرين من حيث ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير قيل لما مدح الشاعر الخليفة بالقصيدة التي فيها هذا وبلغ البيت كان متكئا فاستوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا وأعطاه مائة من الابل ومن هنا قال بعضهم لو كان معنى قوله ألستم خير من ركب المطايا استفهاما لم يعطه الخليفة مائة من الابل

﴿ اسقني حتى تراني * حسنا عندي القبيح ﴾ Diw. d. Abû Nuwâs

أوله
غرد الديك الصبوح * فاسقني طاب الصبوح
قهوة تذكر نوحا * حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها فتأبى * طيب ريح فتفوح

في

فى سورة الملائكة عند قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو تقرير لما سبق من التباين بين عاقبتى الفريقين أى بعد كون حالهما كما ذكر أيكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح فحذف ماحذف لدلالة ماسبق عليه وقد صدق على الاول قول أبى نواس اسقنى اه أى يقول للساقى اسقنى حتى أكون سكران بحيث يكون القبيح عندى حسنا كما قيل قد حسن السكر فى عينى ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

﴿نهيتك عن طلابك أم عمرو * بعافية وأنت اذ صحيح﴾

فى سورة ص عند قوله تعالى ولات حين مناص على تقدير القراءة بالكسر من حيث انه شبه باذ فى قوله وأنت اذ صحيح فى أنه ظرف قطع عن المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات أوان صحتك وقد تقدم الكلام عليه فى ولات حين بقاء أى ذكرتك سوء عاقبة طلابها حين كنت صحيحا

﴿كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح﴾

﴿قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح﴾

فى أبيات الحماسة فى سورة ص عند قوله تعالى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى يقال عزنى جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وبعد البيتين لها فرخان قد تركا بوكر * فعشهما تصفقه الرياح اذا سمعا هبوب الريح نصا * وقد أودى بها القدر المتاح

فلا فى الليل نالت ما ترجى * ولا فى الصبح كان لها براح

﴿ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا﴾

فى سورة المؤمن عند قوله تعالى كانوا أشد منهم قوة وآثارا فى الارض يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا أى وحاملا رمحا ومنه علفتها تبنا وماء باردا وزججن الحواجب والعيونا

﴿واصطليت الحروب فى كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح﴾

هو لاسد بن ناعصة فى سورة الانسان عند قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا القمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة ومنه قمطرير الصباح صلى واصطلى بهذا الامر اذا قاسى حره وشدته ويوم باسل أى شديد وهو الشجاع اذا اشتد كلوحه

﴿والخيل تكدح حين تضـ * ـبح فى حياض الموت ضبحا﴾

فى سورة والعاديات أقسم بخيل الغزاة تعدو وتضبح والضبح صوت أنفاسها اذا عدت أى يسمع من أفواهها صوت ليس بصهيل ولا حمحمة وعن ابن عباس أنه حكاه فقال اح اح كما قال عنترة والخيل تكدح اه

﴿حرف الدال﴾

﴿تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد﴾

فى سورة الفاتحة عند قوله تعالى اياك نعبد حيث عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب وهو لامرئ القيس وقد التفت ثلاث التفاتات فى الثلاثة أبيات على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام لان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع من اجرائه على أسلوب واحد وبعد البيت

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد وذلك من خبر جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

﴿تباعد عنى فطحل اذ دعوته * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا﴾

عند من قصر أمين وفطحل اسم رجل استمنحه القائل فما منحه فدعا عليه بالبعد ومثله فى المعنى قوله

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فأبعدكن الله من شجرات

﴿اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الم أى أحلف أو أقسم بالله أى أحلف بامانة الله فلما حذف منه حرف الجر انتصب بفعل مضمر وتقدم القول عليه عند قوله ألا رب من قلبى له الله ناصح * ومن قلبه لى فى الظباء السوانح

قال سيبويه فى الكتاب واعلم أنك اذا حذفت من المحلوف حرف الجر نصبته كما نصبت حقا اذا قلت انك ذاهب حقا فالمحلوف به يؤكد به هذا الحديث كما تؤكد بالحق وتجر بحروف الاضافة كما تجر حق اذا قلت انك ذاهب بحق وذلك قولك الله لافعلن وقال ذو الرمة ألا رب من

قلبي اه وقال الآخر اذا ما الخبز تأدمه اه

﴿وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ذلك الكتاب كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية يعنى ان اللام للجنس لعدم العهد ومثله يفيد الحصر والبيت من أبيات الحماسة من أبيات أولها

ألم ترأني بعد عمرو ومالك * وعروة وابن الهول لست بخالد
وكانوا بني ساداتنا فكأنما * يساقوا على لوح سمام الاساود
ومانحن الا منهم غير أننا * كمنتظر ظمأ وآخر وارد
هم ساعد الدهر الذى نتقى به * وما خير الا أن تنوء بساعد
أسود الشرى لاقت أسود خفية * تساقت على لوح سمام الاساود

قوله ان الذى أصله الذين فحذفت النون تخفيفا ويروى وان الأُلى وحانت هلكت وفلج بفتح الفاء وسكون اللام وجيم موضع بطريق البصرة ودماؤهم نفوسهم والاساود جمع اسودة واسودة جمع سواد وهو الشخص وأراد بالاساود شخوص الموتى وشرى بفتح المعجمة والراء طريق فى سلمى كثير الاسد واسود خفية مثل قولهم أسود حلية وهما مأسدتان والسمام جمع سم

﴿لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذ أضاءهما الوقود﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يوقنون حيث قرأ أبو حية النميرى يؤقنون بالهمزة قال فى الكشاف وقرأ أبو حية النميرى يؤقنون بالهمزة جعل الضمة فى جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان اه انتهى قال أبو على فى الحجة عن الاخفش قال كان أبو حية النميرى يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وينشد البيت * لحب المؤقدان الى مؤسى * اه وتقدير ذلك أن الحركة لما كانت تلى الواو فى موسى صارت كأنها عليها والواو اذا تحركت بالضم أبدلت منها الهمزة انتهى والبيت لجرير وموسى وجعدة ابناه واللام فى لحب للقسم يقال حبب فلان معناه حب بالضم ثم أسكنت وأدغمت يعنى أوقدا نار الضيافة فأضاء وجوههما الوقود

﴿أصم عن الشئ الذى لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمى أى لما كانت حواسهم سليمة ولكن سدوها عن الاصاخة الى الحق وأبوا أن تنطق ألسنتهم وان ينظروا بعيونهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتقصت بناؤها التى بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم أذنوا

وقد قيل ينبغى أن يجعل الانسان عند ذكر محبوبه نفسه قلبا ويجعل قلبه أذنا ثم يسمع ذكره كما قيل

غنت فلم يبق فى جارحة * الا تمنت انها أذن

وقد أحسن سيدى عمر بن الفارض فى قوله

فان هى ناجتنى فكلى أعين * وان هى نادتنى فكلى مسامع

﴿يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده﴾

هو للبحترى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ورعد وبرق حيث لم يجمع الرعد والبرق أخذا بالابلغ كما فى قول البحترى لانهما لما كانا مصدرين فى الاصل روعى حكم أصلهما بان ترك جمعهما شبه الشاعر السحاب لتكاثفه بمن لبس برودا كثيرة وأثبت البرود تخييلا والتلفع والاختيال ترشيحا وبعده

ان شئت عدت لارض نجد عودة * فحللت بين عقيقه وزروده

وبعده

لتجود فى ربع بمنعرج اللوى * قفر تبدل وحشة من غيده

﴿أتيما تجعلون الى ندا * وما تيم لذى حسب نديد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا والند هو المثل المناوى المضاهى سواء كان مثلا أو ضدا أو خلافا وقيل الكفء قال حسان أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء أى لست له بكفء وقد روى ذلك والجعل بمعنى التصيير القولى والاعتقادى من قبيل وجعلوا الملائكة ومعنى الى منسوبا الى فهو حال من تيما وقيل من ندا وفيه ان هذا فى حكم خبر المبتدا فلا يكون ذا حال والنديد المثل أى لا يصلحون مثلا لذى حسب فكيف لمثلى المشهور بالاحسان

﴿اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت فى اناء من الورد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا والله تعالى ليس من شأنه الحياء لكن استعير الحياء فيما لا يصح فيه أى ان الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى أن يتمثل بها لحقارتها فعلى هذا يكون قوله ان الله لا يستحيى من قبيل التمثيل والمشاكلة والضمير فى استحين للنوق أى يتركن والسبت الجلود المدبوغة بالقرظ والمراد هنا مشافرها اللينة الشاعر يصف كثرة مياه الامطار

أى

فى طريقه وأنه أينما ذهب رأى الماء فكأنه يعرض نفسه عليها فتكرع فيه بمشافرها كأنها السبت والارض قد أنبتت الازهار والانوار فكأنها الذلك اناء من الورد وقريب منه ما أنشده المصنف شاهد التعدية الاستحياء بنفسه لامرأة دعته الى النكاح وهى عند قبر زوجها

فان تسألانى عن هواى فانى * مقيم بهذا القبر يا فتيان
وانى لاستحييه والقبر بيننا * كما كنت استحييه وهو يرانى

Tarafah Moall. 64

﴿ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى﴾

هو لطرفة بن العبد من قصيدته المشهورة التى أوّلها

Tarafah Moall. 1.2

لخولة اطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ومنها

Tarafah Moall. 55

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى * ولا أهل هاذاك الطراف الممدّد

ومنها البيت فى سورة البقرة عند قوله تعالى لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا أى بأن يقدر وتحسنوا بالوالدين احسانا وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما أن حذفت أن رفع الفعل وقد استشهد بالبيت فى سورة والصافات عند قوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى قال فى الكشاف ان قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعون فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت أن واهدر عملها كما فى قول القائل ألا أيهذا اه قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده وأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب انتهى وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الزمر عند قوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون والاصل أن أعبد فحذف ان ورفع الفعل كما فى قوله أحضر الوغى والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة المدثر عند قوله تعالى ولا تمنن تستكثر وهو اما مرفوع منصوب المحل على الحال وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله أحضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز فى الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع

Div. Hudh. ed. Kosegarten XXV, 11

﴿قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء دليل على مجىء قد للتكثير مع دخولها على المضارع وقوله مصفرا أنامله أى مقتولا كما قال لبيد

Diwan Labid XLI, 10

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

والفرصاد ماء التوت يريد ان الدم على ثيابه كماء التوت قال الزمخشرى فى شرح أبيات كتاب سيبويه هو للهذلى وقيل لعبيد بن الابرص وهو من قصيدة طويلة أولها

Diwan Hudh. ed. Kosegarten XXV. 1, 2, 4a, 10, 7, 11, 12

طاف الخيال علينا ليلة الوادى * من آل أسماء لم يلمم بميعاد
انى اهتديت كركب طال ليلهم * فى سبسب بين دكداك واعقاد

ومنها

فان حييت فلا أحسبك فى بلدى * وان مرضت فلا تحسبك عوادى
اذهب اليك فانى من بنى أسد * أهل القباب وأهل الجود والنادى
لا أعرفنك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زوّدتنى زادى
قد أترك القرن مصفرّا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد
أوجرته ونواصى الخيل معلمة * سمرا عواملها من خلفها نادى

﴿فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس الى خلود﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى حيث ثقفتموهم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة والمعنى ان تدركونى أيها الاعداء وقدرتم علىّ فاقتلونى فان من أدركه لا بقاء له ولا اجابة بل أقتله

Diwan al-Asha III, 465

﴿ولا تقربن من جارة ان سرّها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا﴾

هو للاعشى فى البقرة عند قوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا وهو كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سببه كما فعل بالنكاح وتأبدا من الابود وهو النفار أى اعزل عنهن مالم يكن حلالا كأنك وحشى لا تدرى النكاح وأصله تأبدن بالنون للتأكيد وجعلوه فى حالة الوقف ألفا والبيت لاعشى بنى قيس واسمه ميمون من قصيدة قالها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ظهوره وكان نزل على حيية وربيعة فسمع به أبو جهل فأتاه فى جمع من قريش وأهدى اليه هدية ثم سأله ما جاء بك قال جئت الى محمد صلى الله عليه وسلم لانى كنت سمعت به لانظر ماذا يقول وما يدعو اليه فقال له أبو جهل انه يحرم عليك الاطيبين الخمر والزنا قال لقد كبرت ما بقى لى بالزنا حاجة قال انه قد حرم الخمر قال قد أصبت منها غرضى فجعلوا يحدثونه أسوأ ما يكون من الكلام والفعل ثم قالوا أنشدنا ما قلت فيه فأنشدهم هذه القصيدة فلما فرغ منها قالوا ان أنشدته هذا لم يقبله منك فلم يزالوا به حتى صدوه فخرج من

فوره ذلك فأتى اليمامة فقال أتلوم عامى هذا فمكث زمنا يسيرا ومات باليمامة وهذه القصيدة

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا وماذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم صحبة مهددا

ولكن أرى الدهر الذى هو خائن * اذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا شباب وشيب وافتقار وثروة * فلله هذا الدهر كيف تردّدا

ومازلت أبغى المال مذ أنا يافع * وليدا وكهلا حين شبت وأمردا فان تسألى عنى فيارب سائل * حفى عن الاعشى به حيث اصعدا

ألا أيهذا السائلى أين يممت * كان لها فى أهل يثرب موعدا وأما اذا ما أدلجت فترى لها * رقيبين جديا لايغيب وفرقدا

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى تلاقى محمدا نبى يرى مالاترون وذكره * أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

متى ماتناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندا له صدقات ماتغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا ندمت على أن لاتكون كمثله * فترصد للامر الذى كان أرصدا

فاياك والميتات لاتطعمنها * ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا وذا النصب المنصوب لاتنسكنه * ولاتعبد الاوثان والله فاعبدا

وصل على حين العشيات والضحى * ولاتحمد الشيطان والله فاحمدا ولا السائل المحروم لاتتركنه * لفاقته حتى الاسير المقيدا

ولاتسخرن من بائس ذى ضرارة * ولاتحسبن المال للمرء مخلدا ولاتقربن من جارة ان سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

﴿فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا﴾

للعرجى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ومن لم يطعمه أى ومن لم يذقه ومنه طعم الشئ لمذاقه كما فى البيت ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ماذقت غماضا والنقاخ بالنون والقاف والخاء المعجمة الماء العذب البارد والبرد النوم ومنه قوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا وانما قال سواكم بلفظ الجمع للتعظيم ولم يقل سواكن لان النساء منسوبات الى غيرهن تقول امرأة تخلفت مع الذاهبين أو ذهبت مع الغابرين وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة هود عند قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا حيث جمع العطاف بعد افراده وهو قوله قل والسر فيه أن معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت اه وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى رب ارجعون بخطاب الجمع وسواكم للتعظيم فانه ربما خوطبت المرأة الواحدة بخطاب الجمع المذكر يقول الرجل عن أهله فعلوا كذا مبالغة فى سترها حتى لاينطق بالضمير الموضوع لها ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال لاهله امكثوا وكذلك كان الاكثرون على أن الضمير فى قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن للازواج ليتحد فاعل الشرط مع فاعل الجزاء وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة النبأ عند قوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا على تفسير البرد بالنوم وعن بعض العرب منع البرد البرد

﴿ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا﴾

فى سورة البقرة عند آخر آية الكرسى قال فى الكشاف وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها مرتبة عند الله تعالى أهل العدل والتوحيد ولايغرنك كثرة أعدائه فان العرانين تلقاها محسدة يعنى بذلك شيعة المعتزلة كما هو دأبه فى نصرة مذهبهم والاعتزال عن أهل الحق ناحية قال العلامة السكونى فى التمييز أما تسميتهم أنفسهم العدلية فباطل لانهم يعنون بتسميتهم أنفسهم عدلية كونهم على زعمهم يخلقون أفعالهم قالوا ولو لم يكن الامر كذلك لما كان تعذيبنا على ماليس بخلق لنا عدلا بل جورا وهو أن لانعذب على فعل غيرنا وسموا أهل السنة مجبرة لاعتقادهم أن الله سبحانه لاشريك له فى أفعاله ولا خالق لشئ من المخلوقات سواه وأجاب أهل الحق عن ذلك بما هو مذكور فى أواخر مقدمة التمييز فلينظر ثمة وعرانين الناس ساداتهم يقول انما يحسد السادة الكبراء لعلو همتهم وشرفهم ولا ترى أحدا يحسد لئيما خسيسا قيل للمهلبية ما أكثر حسادكم فانشدوا البيت

﴿وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قرأ نافع بضم السين والباقون بفتحها وهو المشهور وقرئ بضم السين وكسرها مضافين الى ضمير ذى عسرة بحذف التاء عند الاضافة كقوله أقام الصلاة وقوله وأخلفوك اه وأوّله ان الخليط أجدوا البين وانجردوا * الخليط اسم جمع بمعنى المخالط كالنديم والمنادم والجليس والمجالس وأجد صار ذا جد وانجردوا أى مضوا عد الامر أى عدة الامر حذفت التاء عند الاضافة الى ضمير الغريم وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة التوبة عند قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة حيث قرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال أى عدته

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانه * لافسح مما كان فيه وأرغد

هو لابن الرومى فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم تؤذن أى تعلم يقول انما يكون بكاء الطفل ساعة الولادة لما يعلم أن الدنيا موضع الفتن ومكان المحن والا فما يبكيه منها والحال أنه قد نجا من ضيق البطن والرحم وانفصل الى موضع هو أفسح وأرغد منه وبعد البيتين اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وبرواية أخرى

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع * والا فما يبكيه منها وانها
لاروح مما كان فيه وأوسع * اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * يرى ما سيلقى من أذاها ويسمع

Ibn al-Athir, Usd al-ghabah III, 158

لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال الزمخشرى ان قلت كيف يجوز تمنى الشهادة وفى تمنيها تمنى غلبة الكافر على المسلم قلت قصد متمنى الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لاغير ولا يذهب الى حصول المأمول من الشقاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله ولذلك قال عبد الله بن رواحة حين نهض الى غزوة مؤتة وقيل له ردك الله سالما * لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وبعد البيت

Ibn al-Athir, Usd al-ghabah III, 158; Ibn Hisham, Sirat ... II, 203; Tabari, Annales I, 1611; ... Tarikh al-Khamis II p. 78

وطعنة بيدى حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثى * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

قوله ضربة ذات فرغ أى واسعة ذات افراغ الدم والافراغ الصب والفرغ الدلو وتقذف الزبد أى الدم الذى له زبد من كثرته وحران أى عطشان الى قتلى ومجهزة صفة طعنة أى سريعة القتل والمجهز الذى يكون به رمق فجهزت عليه اذا أسرعت قتله

al-Baladhuri, Kitab ... II, 175

فآليت لاأرثى لها من كلالة * ولا من وجى حتى ألاقى محمدا

فى سورة النساء عند قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة وهى تطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ماورث المجد عن كلالة كما تقول ماصمت عن عى وما كف عن حيرة والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد الوفادة عليه فآليت الخ فصده قريش عن ذلك فخرج من فوره وأتى اليمامة ومات والبيت من القصيدة التى تقدم غالب أبياتها فى سورة البقرة وهى طويلة بديعة

Tarafah, Mu'allaqat v. 23

كقنطرة الرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

فى سورة النساء عند قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا القنطار المال العظيم من قنطرت الشئ اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد شبه ناقته بقنطرة الرجل الرومى والنهر الرومى فى بحر دجلة والفرات ربها أى صاحبها فحاط بالطلى الى أن ترفع بالآجر وقيل الرومى نهر دجلة والفرات لانهما يأتيان من الروم كما قيل

Lisan al-Arab II, 236

وذا النصب المنصوب لاتعبدنه * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

هو للاعشى من قصيدته المشهورة المتقدم ذكرها فى سورة المائدة عند قوله تعالى وماذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد دل على افراده بذكر اسم الاشارة

أبنى لبينى ان أمكم * أمة وان أباكم عبد

فى سورة المائدة عند قوله تعالى وعبد الطاغوت على قراءة ومعناه الغلو فى العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والفطنة قال فى الصحاح فى مادة عبد وحكى الاخفش عبد مثل سقف وسقف وأنشد

انسب العبد الى آبائه * أسود الجلدة من قوم عبد

ومنه قراءة بعضهم وعبد الطاغوت واضافه والمعنى فيما يقال خدم الطاغوت قال وليس هذا بجمع لان فعلا لايجمع على فعل وانما هو اسم بنى على فعل كحذر وندس فيكون المعنى وخادم الطاغوت وأما قول الشاعر أبنى لبينى الخ فان الفراء يقول ان ضم الباء ضرورة

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت يداه تلاعه ووهاده

فى سورة المائدة عند قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان وفى الكشاف وعن ابن

عباس رضي الله عنه هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها وغل اليد ربطها مجاز عن البخل وبسطها مجاز عن الجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وبسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كما في البيت ولله در من استعملها مضمومة مكسورة وأبرزها على هذه الصورة حيث قال لنا خليل له خلال * تعرب عن أصله الاخس أضحت له مثل حيث كف * وددت لو أنها كأمس

﴿وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي﴾

في سورة الانعام عند قوله تعالى أو يلبسكم شيعا أي يجعلكم فرقا مختلفين يقول رب كتيبة خلطتها بكتيبة حتى اذا اختلطت نفضت يدي منهم وخليتهم وشأنهم كقوله تعالى فلما كفر قال اني بريء منك يظهر أنه مهياج للشر يعرف مداخله ومخارجه وفيه اثبات طرف من اللؤم ولهذا عيب عليه هذا القول

﴿فزججتها بمزجة * زج القلوص أبي مزاده﴾

في سورة الانعام عند قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم فانه قرئ زين على البناء للفاعل الذي هو الشركاء وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين وأما قراءة زين قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورة وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما يسمج ورد وزج القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته فان اضافة زج الى أبي مزادة اضافة المصدر الى فاعله والفصل بالمفعول أعني القلوص مردود اذ لا ضرورة فيه لاستقامة الوزن والقافية بالاضافة الى القلوص ورفع أبي مزادة والضمير في زججتها للكتيبة والزج الطعن والمزجة رمح قصير والقلوص الشابة من النوق

﴿حرام على عيني أن تطعم الكرى * وأن ترقا حتى ألاقيك يا هند﴾

في سورة الاعراف عند قوله تعالى حرمهما على الكافرين أي منعهم شراب الجنة كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام الخ والطعم بمعنى الذوق كما يقال ماذقت غمضا ورقأ الدم والدمع اذا سكن

﴿بمستأسد القريان عاف نباته * تساقطني والرحل من صوت هدهد﴾

البيت للحطيئة في سورة الاعراف عند قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثر كما قال

ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم

وسيأتي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وأعفوا اللحى وعليه بيت الحطيئة بمستأسد الخ وقبل البيت

فان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم في الغور قالت له ابعد بأرض ترى فرخ الحبارى كأنها * بها راكب موف على ظهر قردد

بمستأسد البيت والمستأسد النبات الطويل الغليظ يقال استأسد الزرع اذا قوي وسيأتي في سورة المعارج قوله

مستأسدا ذبانه في غيطل * يقلن للرائد أعشبت انزل

كأنه أخذ من الاسد والقريان بضم القاف جمع القري بوزن فعيل ويجمع على اقرية وقريان وهو مجرى الماء الى الروض من صوت هدهد من غاية السرعة والخوف في أرض من شأنها ذا وذا وقوله بمستأسد القريان بدل من قوله بارض بتكرير العامل وصف الارض أولا بانها متلالئة ولهذا كان فرخ الحبارى بها كالراكب المشرف وبين أنها حزن ثم أكد ذلك بالابدال المذكور وبين ان الحزن والسهل سواء في الخلاء عن الانس وضمير نظرت للناقة وفي الغور حال منه والموفي المشرف والقردد المكان الغليظ المرتفع وجزاء الشرط تساقطني وقالت صفة علم يصف الناقة بالسرعة والنشاط والمكان بالبعد من الانيس بحيث تتردى فيه الناقة برحلها وراكبها من صوت هدهد خوفا وسرعة وقيل جزاء الشرط قالت وتساقطني حال من ضمير نظرت أو قالت

﴿يا راكب الذنب هدهد * واسجد كأنك هدهد﴾

في سورة الاعراف عند قوله تعالى انا هدنا اليك أي تبنا اليك وهاديهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب والهدهد طائر والمداهد مثله قال الراعي * كهداهد كسر الرماة جناحه * والجمع الهداهد بالفتح

﴿فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يباري وسودد﴾

في سورة الاعراف عند قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من

من الشرك قالوا الوجه أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى ألا ترى الى قوله فى قصة أم معبد فيا لقصى الخ والمراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك يخاطب قريشا ويقول يا آل قصى تدرون ما قبضه عنكم من فخار وسودد بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصة أم معبد مشهورة ذكر عن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها وعلى من معها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدروا أين توجه حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه فمر على مكة وهو ينشد هذه الابيات وهى

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فيا فوز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يبارى وسودد
ليهن بنى سعد مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

الضرة أصل الضرع الذى لا يخلو عن ابن وخيمتى نصب على الظرف اجراء للوقت مجرى المبهم وفى شرح السنة ان الصوت صوت مسلم الجن أقبل من أسفل مكة حتى خرج بأعلاها وروى أن حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه لما بلغه شعر الجنى وما هتف به فى مكة قال يجيبه

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد به كل مهتدى
لقد نزلت منه على آل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

والقصة بتمامها مذكورة فى الروض الانف مستوفاة

﴿يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه على تقدير انتصابه على أن الامنة النعاس الذى هو فاعل يغشاكم أى يغشاكم النعاس الامنة على اسناد الامن الى النعاس اسناد امجازيا وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل قال الزمخشرى والبيت له وقد ألم به من قال * يهاب النوم أن يغشى عيونا الخ يقول يهاب النوم أن يغشى عيون أعاديك ومخالفيك فلا يناموا من خوفك ونفار مبالغة من نفرت الدابة نفارا وشرود من شرد الشئ عن أصله وفرس شرود أى مستعص

﴿ياصاحبى ألا لا حى بالوادى * الا عبيد وآم بين أذواد﴾

﴿أتنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تغدوان فان الريح للعادى﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله أتنظران قليلا الخ وقوله أم تغدوان أى تسرعان فان الدولة لمن يسرع ويغتنم الفرصة أو لمن يغدو ويظلم ولا يبالى وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله تعالى وآم جمع أماء وأذواد جمع ذود وهو من الابل ما بين ثلاثة الى عشرة أتنظران من أنظرته اذا أخرته والبيت لسليك بن سلكة وقصة ذلك أن سليكا مع صاحبين له أتوا الجوف جوف مراد باليمن فاذا نعم قد ملأ كل شئ من كثرته فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الحى فقال سليك كونوا قريبا حتى آتى الرعاء فأعلم لكما علم الحى أقريب هم أم بعيد فان كانوا قريبا رجعت اليكما وان كانوا بعيدا قلت لكما قولا أغنى به لكما فأغيرا فانطلق الى الرعاء فلم يزل يستبسطهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هم بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال سليك للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فتغنى بأعلى صوته * ياصاحبى ألا لا حى بالوادى * البيتين فلما سمعا ذلك اتياه فاطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى مضوا بما معهم

﴿اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * فحسبك والضحاك سيف مهند﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى حسبك الله ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع كما فى قوله فحسبك والضحاك والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا والهيجاء الحرب وانشقاق العصا كناية عن وقوع الخلاف والمهند السيف المطبق من حديد الهند يعنى اذا كان يوم الحرب وافترقت العصبة ووقع

ائتلاف بينهم فحسبك مع الضحاك ومحار بته سيف مهند ونصب الضحاك بحسبك لانه فى معنى يكفيك و يكفى الضحاك

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا فى الحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فى سورة التوبة عند قوله تعالى ان الله يحب المتقين وانه وارد على سبيل التعليل لان التقوى وصف مرتب على الحكمين أعنى قوله فقولوا لهم سيحوا وقوله فأتموا ومضمونهما عدم التسوية بين الغادر والوافى أى فاتقوا الله فى عدم التسوية كما اتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسو بين بكر وبنى خزاعة وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده ذلك لاهم أصله اللهم والميمان فى لاهم عوضان عن النداء عند البصريين انى ناشد محمدا أى أسأل ربى النصرة بمحمد يقال ناشدتك الله نشدة أى طلبت منك بالله تعالى ان تفعل كذا والحلف والحليف والاحلاف الذين تحالفوا القوم على النصرة والوفاء وأبيك الاتلد الاقدم والحطيم الذى فيه الرداة وهو الحجر وقيل انما سمى حطيما لانهم كانوا فى الجاهلية يحلفون فيه فيحطم الكاذب والعتيد الحاضر وقصة ذلك ان قريشا أعانت بنى بكر على خزاعة فى غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى نكثوا فهم فأتى الصريخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو عمرو بن سالم وأنشده ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وغضب لهم وخرج الى مكة و نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وشفى صدور خزاعة من بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما قال تعالى و يشف صدور قوم مؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود
ولو جئت تبغى كفه لتبينها * لبادر اشفاقا عليك من الرد
يرى أنه فى الود وان مقصر * على أنه قد زاد فيه عن الجهد

فى سورة التوبة عند قوله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين يقول أخوك الذى ان أسأت اليه أحسن اليك حتى لو قمت تضربه بالسيف لايجدك غشا فى المودة و برواية لايستغشك من الغش وهو الخيانة ولو جئته تطلب ان تقطع يده لبادر اليك فرقا من الرد عليك ومع هذا الوفاء والجهد فى حفظ أسباب المودة يرى أنه مقصر فى الود وان فيه ومن هذا القبيل قوله

وليس صديقا من اذا قلت لفظة * توهم فى اثنائها موقعها أمرا
ولكنه من لو قطعت بنانه * توهمه نفعا لمصلحة أخرى

وفى معنى هذا البيت قول كثير عزة أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
وقد تقدم شرح هذا البيت فى معنى الآية فليراجع ثمة

أعاذل شكتى بدنى وسيفى * وكل مقلص سهل القياد

فى سورة يونس عند قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك أى فى الحال الذى لاروح فيه وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك كما قال عمرو بن معديكرب اعاذل شكتى بدنى وسيفى الخ كانت له درع من ذهب يعرف بها وكل مقلص بكسر اللام أى فرس ينقبض وقاص اذا انضم وسهل القياد أى القود وكان أصل الكلام فاليوم نطرحك بعد الغرق بجانب البحر ثم سلك طريق التهكم وقال ننجى ببدنك لمزيد التصوير والتهويل أو وقع ببدنك حالا من الضمير المنصوب لتصور الهيئة المنكرة فى نظر التعبيرين

اخوتى لاتبعدوا أبدا * و بلى والله قد بعدوا
من أبيات الحماسة و بعده
ما أمر العيش بعدكم * كل عيش بعدكم نكد
ليت شعرى كيف شربكم * ان شربى بعدكم ثمد

فى سورة هود عند قوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود وهو دعاء عليهم بالهلاك بعد هلاكهم ومعناه انهم كانوا مستأهلين له كما فى قوله اخوتى لاتبعدوا الخ أى كانوا فى حال حياتهم مستأهلين لان يقال لهم هذا القول وقد جرت العادة على استعماله عند المصائب وليس فيه طلب ولا سؤال وانما هو تنبيه على شدة الامر وتفاقم الجزع وهيعة وتوجع وقريب من هذا المعنى بيت الحماسة أيضا

فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد
قال ابن النحاس المعروف فى اللغة بعد يبعد بعدا او بعدا اذا هلك والبعد ضد القرب وفعلهما ككرم وفرح بعدا او بعدا والعرب تفرق بين المعنيين بتغير البناء فقالوا بعد بالضم ضد القرب وهو فى الواحد والجمع سواء

سواء تقول ما أنت عنا ببعيد وما أنتم عنا ببعيد وبعد بالكسر ضد السلامة والمصدر البعد بفتح العين وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة المرسلات عند قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون يقال لهم في الآخرة ذلك ايذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بان يقال لهم ذلك وكانوا من أهله مذكرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك المخلد وقد ذكرناه هذا البيت بالمناسبة عند قوله يقولون لاتبعدوهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح

واستطرد القول هناك الى النوع البديعي المسمى بالاستطراد فراجعه

﴿ومشهد قد كفيت الغائبين به * في محفل من نواصي الناس مشهود﴾

من أبيات الحماسة في سورة هود عند قوله تعالى وذلك يوم مشهود المراد بالمشهود الذي كثرت شهوده ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور كما في قوله في محفل الخ والمراد انه مشهود فيه لا مشهود في نفسه لان سائر الايام مشهودات كلها وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه أي فليصم فيه وكان من حقه ان يؤتى بما أسند اليه لكن حذف وجعل كالمفعول به وحذف مفعول الشهود تفخيما وتعظيما أن يجرى على اللسان وذهابا الى أنه لا مجال لالتفات الذهن الى غيره وفي ذلك دليل على أن اسم المفعول من الفعل المتعدي بحرف الجر يجوز أن يجرد عنه ومنه قوله تعالى ان العهد كان مسؤلا وقد أخذ على بعض المصنفين قوله المفهوم والمنطوق وقيل يجب أن يقال المنطوق به وهذا يدل على جواز ذلك ومعنى البيت رب مشهد قد كفيت الغائبين بالنطق عنهم أو الناطقين الحاضرين أن ينطقوا في محفل ملتئم من أشراف الناس كثير مشاهدوه وكشفت الغمة وأثبت الحجة ونطقت بالصواب وطبقت المفصل في الجواب وجواب رب الثاني

فرجته بلسان غير ملتبس * عند الحفاظ وقلب غير مزؤد

أي مذعور وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة الشعراء عند قوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أي منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصفة أيضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءني عشرة من الناس أي فوج منهم وقرئ خاضعة ﴿ضلوا وان سبيل الغي مقصدهم * لهم عن الرشد أغلال وأقياد﴾

في سورة الرعد عند قوله تعالى أولئك الاغلال في أعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في أعناقهم أغلالا الغل جامعة تشد بها العنق واليد والاغلال جمعه والقيد ما يوضع على الرجل فيمنع عن السير يقول اتخذوا سبيل الغي مقصدا ولهم من الرشد اغلال بحيث لا يقدرون أن يمشوا اليه بأرجلهم ﴿ما ان هلعت ولا جزعـ * ـت ولا يرد بكاي زندا﴾

في سورة الرعد عند قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية حيث كان الضمير مطلقا فيما يصبر عليه من المصائب لئلا يعاب بالجزع ولئلا تشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع

وما أحسن قول سيدي عمر بن الفارض ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

على أنه لا رد للفائت كما قيل ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت وما أحسن قول من قال متأسفا على حلاوة ما مر من سالف الليالي

آها لها من ليال هل تعود كما * كانت وأي ليال عاد ماضيها لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها * وأي أنس من الايام ينسيها

والهلع أفحش الجزع وقد فسره الله تعالى بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقد جاء في الحديث من أشر ما أوتي العبد شح هالع وجبن خالع أي يجزع فيه العبد ويحزن كما يقال يوم عاصف وليل نائم والخالع كأنه خلع فؤاده لشدته وقوله ولا يرد بكاي زندا يقال تزند فلان اذا ضاق بالجواب وغضب ومنه قول عدي * فقل مثل ما قالوا ولا تتزند * يروى بالنون والياء والمزند مثل في الشيء الحقير القليل كالنقير والقطمير والفتيل يقال للحقير زندان في مرقعة ولهذا ثنى فعلى هذا يكون ذكر الزند تقليلا لفائدة الحزن وبعضهم يرويه بالياء يعني به زيد بن الخطاب أخا الامام عمر رضي الله عنه وكان بينهما صداقة في الجاهلية وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة مريم عند قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أي مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زيدا والبيت لعمرو بن معديكرب من قصيدة أولها قوله ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا

كم من أخ لي صالح * بوأته بيدي لحدا وبعده البيت وبعده ألبسته أثوابه * وخلقت يوم خلقت جلدا

أغني غناء الذاهبيـ * ـن أعد للاعداء عدا ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

﴿ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة أى كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير يعنى ان الله تعالى قادر أن يجمع فى واحد مافى الناس من معانى الفضل والكمال كما قال ان ابراهيم كان أمة وكما قال الشاعر

كما تخطى اليه الرجل سالمة * تستجمع الخلق فى تمثال انسان

والثانى أن يكون أمة بمعنى مأموم أى يؤم الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء على فعلة بمعنى مفعول

﴿وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همدا﴾

البيت لامية بن أبى الصلت فى سورة الكهف عند قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم وهو اسم كلب أصحاب الكهف والوصيد فناء البيت وأنشدوا

بأرض فضاء مايسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

وهمد أى رقود يعنى أن أصحاب الكهف كانوا رقودا فى الغار وكلبهم مجاور لوصيدهم

﴿فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * وانم القتود على عيرانة أجد﴾

هو للنابغة من قصيدته المشهورة فى سورة الكهف عند قوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم من أعداه وعداه منقلا بالهمزة والتضعيف ومنه البيت يعنى انصرف عما ترى من تغير الدار وما أنت فيه اذا يقنت أن لا رجعة له وتشاغل بالرجعة وانم القتود أى ارفع والقتود عيدان الرحل بلا اداة وهو جمع أقتاد وقيل واحد القتود قتد والعيرانة الناقة شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها والاجد الموثقة الشديدة الخلق يقال بناء مؤجد وموجد أى مداخل موثق وقد أجد

﴿لا ينطق اللهو حتى ينطق العود﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض حيث استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير النطق للعود وكما استعير الهم والعزم لذلك وقال الشاعر

فى مهمه فلقت به هاماتها * فلق الفؤوس اذا أردن نصولا

وقال آخر

يريد الرمح صدر أبى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

﴿يأبى على اجفانه اغفاءه * هم اذا انقاد الهموم تمردا﴾

البيت للمصنف فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض أى يأبى على أجفانه النوم هم تمرد اذا انقادت الهموم وطاوعت والاغفاء النومة الخفيفة وكلام العرب أغفى وقلما يقال غفا

﴿بلغ المغارب والمشارق يبتغى * أسباب أمر من حكيم مرشد﴾

﴿فرأى مغار الشمس عند مغيبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس البيت لتبع الاكبر وقبله

قد كان ذو القرنين عمى مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد

بلغ المغارب الخ الخلب بالضم الحمأة والحرمد الطين الاسود والثأط أيضا الحمأة وفى المثل ثأطة مدت بماء للرجل يشتد حمقه لان الثأطة اذا أصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة

﴿واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام سراع وارد الثمد﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا أراد بالحكم الحكمة وهو الفهم للتوبة والفقه فى الدين ومنه قول النابغة واحكم الخ وأراد بالفتاة زرقاء اليمامة التى يضرب بها المثل فى حدة البصر حكيمة فى كل شئ نظرت الى حمام من بعيد فقالت

ليت الحمام ليه * الى حمامتيه

ونصفه قديه * تم الحمام ميه

وفيه يقول النابغة

فحسبوه فألفوه كما وجدت * تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد

وصفها بالاصابة بسرعة فيما يشكل فى بادى النظر وطلب من النعمان أن يحكم مصيبا بسرعة فى أمره فلا يأخذه بقول الواشى ولا يشكل عليه ماقضى من ذلك بثاقب بصيرته ولهذا كثرها وجعلها سراعا واردة الثمد ليكون أعون لسرعتها فيكون الحكم بالاصابة أعجب وفى هذا التشبيه رفع من قدر الزرقاء والحمام عند العرب كل ذى طوق من الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والدواجن والوراشين واشباه ذلك الواحدة حمامة ويقع على الذكر والانثى فيقال حمامة ذكر وحمامة أنثى وقال الزجاج اذا أردت تصحيح المذكر قلت رأيت حماما على حمامة أى ذكرا على أنثى والعامة تخص الحمام بالدواجن والبيت من قصيدة النابغة الدالية المشهورة التى أرسل يعتذر فيها الى النعمان بن المنذر وأولها

يادارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

وقفت فيها أصيلا نا أسائلها * أعيت جوابا ومابالربع من أحد

ومنها

ومنها فمن أطاعك فانفعه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
الا لمثلك أو من أنت سابقه * سبق الجواد اذا استولى على أمد

واحكم البيت وبعده قالت الخ وبعده فحسبوه الخ وبعده
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد نبئت أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأر من الاسد
فلا لعمر الذى طيفت بكعبته * وما هريق على الانصاب من جسد والمؤمن العائذات الطير يرقبها * ركبان مكة بين الغيل والسند
ما ان أتيت بشئ أنت تكرهه * اذا فلا رفعت سوطا الى يدى اذن فعاقبنى ربى معاقبة * قرت بها عين من يأتيك بالحسد
والبيت المذكور لم ننظره فى شرح الشواهد ﴿تتمة﴾ قال ابن دريد فى الوشاح النوابغ أربعة الذبيانى هذا والنابغة الجعدى قيس ابن عبد الله صحابى والنابغة الحارثى يزيد بن أبان والنابغة الشيبانى جمل بن سعد وفى المؤتلف والمختلف لابى القاسم الآمدى زيادة على هؤلاء النابغة الذهلى عبد الله بن المخارق وهو القائل لا تمدحن فتى حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
والنابغة بن لاى بن مطيع الغنوى والنابغة العدوانى والنابغة بن قتال بن يربوع ذبيانى أيضا والنابغة الثعلبى الحارث بن عدوان

﴿فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد﴾

هو للفرزدق فى سورة مريم عند قوله تعالى ويقول الانسان حيث أسند القول الى الانسان والمراد به الجنس كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم ومن هذا القبيل الذين قال لهم الناس ويقال للمتبرجة أتتبرجين للرجال بالنكاح ومنه قول الفرزدق فسيف بنى عبس الخ حيث أسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ابن زهير بن خديجة العبسى من قصته أن سليمان بن عبد الملك أمر الفرزدق بضرب أعناق بعض أسارى الروم فاستعفاه الفرزدق فلم يعفه وأعطاه سيفا لا يقطع فقال بل أضربهم بسيف أبى رغوان مجاشع يعنى سيف نفسه فقام وضرب عنق بعضهم فنبا فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق

أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم * خليفة الله من يسقى به المطر * لم ينب سيفى من رعب ولا دهش
عن الاسير ولكن أخر القدر * وان يقدم نفسا قبل ميتتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وشاع حديث الفرزدق هذا وعابه من كان يهاجيه كجرير والبعيث وغيرهما

﴿اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من أن تقرى به ابدا﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى سنكتب ما يقول قال فى الكشاف ان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين وعلم بالانتساب أنى لست بابن لئيمة والثانى أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك ولم تجدى بدا من الاقرار بانى لست من اللئام بل من الكرام أى لم تجدى فراقا أو خلاصا يقال لا بد من كذا أى لا فراق ويجوز أن يريد به التعريض بكون أم المخاطبة لئيمة والبيت لزائد بن صعصعة الفقعسى وكانت له امرأة فطمحت عليه وكانت أمها سرية وقبله

رمتنى عن قوس العدو وباعدت * عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا

وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الزخرف عند قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون المعنى اذ صح ظلمكم ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا الخ * ان قلت الام يرجع الضمير فى بها ولم يسبق له مرجع * قلت هو من باب اعدلوا هو أقرب للتقوى وانما أنث الضمير بالنسبة الى الكينونة المتولدة من لم تلدنى ﴿تتمة﴾ فى فاعل لن ينفعكم فى الآية وجهان أحدهما أنكم وما عملت فيه والثانى انه ضمير التمنى المدلول عليه بقوله ياليت بينى من معنى التباعد ويكون المعنى لانكم قال أبو البقاء وأما اذ فمشكلة الامر لانها ظرف زمان ماض ولن ينفعكم وفاعله واليوم المذكور ليس بماض فقال ابن جنى راجعت أبا على فيها مرارا فآخر ما حصل منه ان الدنيا والاخرى متصلتان وهما سواء فى حكم الله تعالى وعليه فتكون اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلة أو كان اليوم ماض وقال غيره الكلام محمول على المعنى والمعنى ان ثبوت ظلمهم عندهم يكون يوم القيامة فكانه قال ولن ينفعكم اليوم اذ صح ظلمكم عندكم فهو بدل أيضا وقال آخرون التقدير بعد اذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به وقيل اذ بمعنى أن أى لان ظلمتم

﴿فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد﴾

هو لامرئ القيس فى سورة طه عند قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها وقرأ أبو الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها ابالفتح من خفاه اذا

أظهره أى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء الخ فاكاد أخفيها محتمل للمعنيين والداء الدفين الذى لا يعلم به حتى يظهر ولا نخفه بفتح النون أى لا نظهره يقول ان ترجعوا الى الصلح لا نظهر العداوة والحرب التى كانت بيننا وان تبعثوا الحرب أى ان تعودوا الى الحرب نعد اليها وقال آخر

يخفى التراب باظلاف ثمانية * فى أربع مسهن الارض تحليل

أى رسوخ وهو بفتح الياء اى يظهر

﴿هوى من رأس مرقبة * ففتت تحتها كبده﴾

فى سورة طه عند قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك ويقولون هوت أمه أى سقط سقوطا لا نهوض بعده ومرقبة ثنية مرتفعة يرقب عليها يقول سقط من رأس جبل فصارت كبده تحت المرقبة متفرقة سقط ابن لاعرابى من جبل فمات فرثاه أبوه بقوله

هوى ابنى من على شرف * يهول عقابه صعده
هوى من رأس مرقبة * ففتت تحتها كبده
ألام على تبكيه * وألمسه فلا أجده
وكيف يلام محزون * كبير فاته ولده

﴿أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى واخلف من قتيلة موعدا﴾

فى سورة طه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ومنه البيت وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أى لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر فى لأهب لك والبيت للاعشى وبعده

ومضى لحاجته وأصبح حبله * خلقا وكان بحالة لن ينكدا

أقصر ليله أى وجده قصيرا واخلف موعدا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقتيلة اسم معشوقته يقول صار العاشق ضيفا فى الحى ليزود من معشوقته فقضى ليله رجاء الوصل فمضى الليل ووجد الموعد خلفا ولم يتمتع بوصالها وليله فى ديوان الاعشى بالتاء بخلاف نسخ الكشاف

﴿حتى اذا اسلكوهم فى قتايدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا﴾

فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال تعالى ما سلككم فى سقر وقتايدة ثنية معروفة وقيل هى عقبة والشل الطرد والجمال صاحب الجمل والجمالة جمعه مثل حمار وحمارة وناقة شرود سائرة فى البلاد يصف جيشا انكروا وهزموا والشعر لعبد مناف الهذلى وهذا آخر القصيدة ولا جواب لقوله حتى اذا اسلكوهم وقال بعضهم شلا جواب اذا والاصل شلوا به شلا فاكتفى بالمصدر عن الفعل يقال سلكته واسلكته ادخلته يصف قوما أغير عليهم فدفعوا الغارة عن أنفسهم وادخلوا المغيرة فى موضع يقال له قتايدة يقول هزموهم وطردوهم حتى اسلكوهم فى هذه الثنية كما تطرد الجمالة النوق الشرد السائرة فى البلاد وقافية شرود أى سائرة فى البلاد والتشريد الطرد ومنه فشرد بهم من خلفهم أى فرق وبدد جمعهم وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الجن عند قوله تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا أى يدخله عذابا والاصل يسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل اليه كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى يدخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم البيت

﴿قدنى من نصر الخبيبين قدى * ليس الامام بالشحيح الملحد﴾

فى سورة النور عند قوله تعالى والذين يرمون المحصنات المؤمنات قدنى وقدى بمعنى حسبى فى الصحاح الخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه فمن أنشد على التثنية ارادهما كما قالوا سنة العمرين ومن روى على الجمع فانه يريد عبد الله وشيعته وعبد الله هو الذى ادعى الخلافة وكنيته المشهورة أبو بكر وكانوا اذا أرادوا ذمه كنوه بأبى خبيب كما قيل أرى الحاجات عند أبى خبيب * يلدن ولا أمية بالبلاد والملحد المحتكر وقيل لانه حارب فى الحرم

﴿فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود﴾

من مراثى الحماسة فى سورة النور عند قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه حيث أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما فى خروجها الى معنى التكثير فى نحو قوله فان تمس الخ أى ان مت وصرت مهجور الساحة مرفوض الخدمة فربما كانت الوفود فيما مضى من حياتك تزدحم على بابك يعنى ان هجر فناؤك الساعة لموتك فربما كان مألوفا للوفود حال حياتك والبيت لابى عطاء السندى فى ابن هبيرة وقتله المنصور بعد ان امنه

أمنه غدرا فلما حل رأسه اليه قال للحرسي أترى الى طينة رأسه ما اعظمها فقال له الحرسي طينة ايمانه أعظم من طينة رأسه وأول القصيدة ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود عشية قام النائحات وشققت * جيوب بأيدي مأتم وخدود

فان تمس الخ وبعده

فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقال زهير

Diw. d. Zohair XV. 34

أخي ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

وقد مضى الكلام عليه

﴿أصبح قلبي صردا * لا يشتهي ان يردا * الا عرارا عردا﴾

﴿وصليانا بردا * وعنكثا ملتبدا﴾

في سورة الفرقان عند قوله تعالى وهذا ملح أجاج حيث قرئ ملح ولعله تخفيف مالح كبرد في بارد كما قال وصليانا بردا أي باردا الصرد من البرد صردت أصرد صردا ويوم صرد وليلة صردة وقوله أن يردا من الورود وهو الحظ من الماء والموارد الطرق الى الماء والعرار بهار البرور ياحينه له أرج طيب قال الشاعر اذا هبت ريح عرارا وصبوة * وريح الخزامى خلتها هبت عطرا وكل ذلك من رياحين البر والعارد من النبات ما غلظ وعسا وكل غليظ عرد وعارد والصليان والعنكث أنواع من النبات والعرد الشديد الصلب من كل شيء وبردا أي باردا وملتبدا أي مجتمعا بعضه فوق بعض كاللبد ولبدا أي كثيرا زعمت العرب في خرافاتها ان الضفدع كانت ذا ذنب فسل الضب ذنبه قالوا وسبب ذلك أن الضب خاطب الضفدع في الظما أيهما اصبر وكان الضب ممسوح الذنب فخرجا في الكلا فصبر الضب يوما فناداه الضفدع ياضب وردا وردا فقال الضب أصبح قلبي صردا * لا يشتهي أن يردا * الا عرارا عردا * وصليانا بردا * وعنكثا ملتبدا * فلما كان في اليوم الثاني ناداه الضفدع ياضب وردا وردا فقال أصبح قلبي صردا الى آخرها فلما كان في اليوم الثالث نادى الضفدع ياضب وردا وردا فلم يجبه فلما لم يجبه بادر الى الماء فتبعه الضب فأخذ ذنبه

Tarafah Suppl. Diw. VI. 1

﴿أبني لبيني لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد﴾

البيت لطرفة في سورة القصص عند قوله تعالى سنشد عضدك بأخيك العضد قوام اليد وبشدتها تشتد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ولبيني اسم امرأة وبنو لبيني من بني أسد بن وائلة تعيرهم بأنهم أبناء أمة اذ تنسبهم الى الام تهجينا لشأنهم وانهم هجناء ونصب يدا بعد الا والمستثنى منه مجرور بالباء وجعل الاستثناء من موضع الباء لا من لفظه وبعده

أبني لبيني لا أحقكم * وجد الاله بكم كما أجد

﴿فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد﴾

في سورة القصص عند قوله تعالى واني لاظنه من الكاذبين حيث فسر الظن باليقين أي أتيقنه ومنه الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وظنوا على صيغة الامر وقوله بألفي مدجج أي بالفي فارس مدجج أي مغطى بالسلاح وفارس مدجج وقد تدجج بشكته كأنه تغطى وسراتهم يعني رؤساءهم وخيارهم والفارسي المسرد يعني به الدروع كان القائل ينذر قوما بهجوم جيش تام السلاح عليهم فقال قلت لهم أيقنوا باتيان ألفي فارس تام السلاح عليهم سراتهم في الدروع السابغة والسرد تتابع الشيء كأنه أراد من الدروع سابغ الحلق للنسج كذلك في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد ومنه السرمد بمعنى الدائم المتصل والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص والمعنى قلت لهم ان الاعداء لكم مترصدون واليكم قاصدون وعددهم كثير فوسعوا مجال اللقاء السيء بهم اذا تمكنوا منكم وأيقنوا بقصدهم والبيت لدريد بن الصمة الفارس المشهور والشاعر المذكور أحضره مالك بن عوف معه يوم حنين فقتل كافرا والبيت من قصيدة دالية أولها

أرث جديد الحبل من آل معبد * بعافية قد أخلفت كل موعد * وبانت ولم أحمل اليك نوالها
ولم ترج فينا ردة اليوم أو غد * وكل تباريح المحب لقيتها * سوى أنني لم ألق حتفي بمرصد

فقلت لهم البيت وبعده

ولما رأيت الخيل قبلا كأنها * جراد تباري وجهة الريح تغتدي * أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وانني غير مهتدي * وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد دعاني أخي والخيل بيني وبينه * فلما دعاني لم يجدني بقعدد * تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد * كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من الآفات طلاع أنجد قليل التشكي للمصيبات حافظ * من اليوم أعقاب الاحاديث في غد * وان مسه الاقواء والجهد زاده * سماحا واتلافا لما كان في اليد

صباما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد   وطيب نفسى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

﴿أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد﴾

Kitab al Aghani XIX. 87

هو لعبيد بن الابرص فى سورة سبأ عند قوله تعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أقفرت الارض من الكلا والناس وفلان قفير الرأس أى لا شعر عليه وقوله أقفر من أهله أى هلك من أهله عبيد وان الحى اما أن يبدئ فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك كما يقال لا يأكل ولا يشرب أى ميت وقصة عبيد أن المنذر بن ماء السما كان ملكا فكان له يوم فى السنة يذبح فيه أول من يلقى فبينما هو يسير فى ذلك اليوم اذ أشرف له عبيد بن الابرص فقال لرجل ممن كان معه من هذا الشقى فقال هو فلان فقال له أنشدنا من شعرك فقال حال الجريض دون القريض فقال الملك أنشدنا قولك

Diwan 'Abid I, 1

أقفر من أهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب   ثم أمر به فقتل وملحوب اسم موضع ومعنى الآية جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

﴿والمؤمن العائذات الطير يرقبها * ركبان مكة بين الغيل والسند﴾

هو للنابغة من قصيدته الدالية المشهورة التى أرسل يعتذر فيها الى النعمان بن المنذر وأولها

Nabighah adh-Dhubyani Diw. V, 38

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد   وقفت فيها أصيلانا أسائلها * عيت جوابا وما بالربع من أحد

Diwan Nabighah adh-Dhubyani V. 1, 2, 32, 34–36, 41, 37, 38, 39

ومنها

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد   قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت * تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد   فكملت مائة فيها حمامتنا * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد
نبئت ان أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأر من الاسد   فلا لعمر الذى طيفت بكعبته * وما هريق على الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يرقبها * ركبان مكة بين الغيل والسند   ما ان أتيت بشىء أنت تكرهه * اذن فلا رفعت سوطى الى يدى
اذن فعاقبنى ربى معاقبة * قرت بها عين من يأتيك بالحسد

Nabighah adh-Dhubyani Diw. XIX, 1

فى سورة الملائكة عند قوله تعالى وغرابيب سود من حيث ان الغرابيب تأكيد للسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذى اشتد سواده وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق والوجه فى ذلك أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذى بعده تفسيرا لما أضمر كما فى البيت وانما يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار يعنى فيكون الاصل وسود غرابيب سود نحو والمؤمن العائذات الطير ونحوه * وبالطويل العمر عمرا حيدرا *

﴿والبيت لا يبتنى الا باعمدة * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد﴾

Kitab al-Aghani XI. 136

هو للافوه الاودى فى سورة ص عند قوله تعالى ذو الاوتاد أصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لاثبات العز والملك واستقامة الامر وهى استعارة بليغة وقيل الاوتاد هنا حقيقة فى التفسير انه كان له أوتاد يربط عليها الناس يعذبهم بها قال والبيت لا يبتنى الخ وما أحسن تشبيههم بيت الشعر ببيت الشعر ولقد أحسن المعرى ما شاء فى قوله

Abu-l-'Ala Diw. p. 8

حسنت نظم كلام توصفين به * ومنزلا بك معمورا من الخفر   فالحسن يظهر فى بيتين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وبعد البيت   فان تجمع أسباب وأعمدة * وساكن بلغوا الامر الذى كادوا   أى أرادوا فان كاد تجئ بمعنى أراد كثيرا ومنه قوله

كدنا وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من زمن الصبابة ما مضى

cf. Kitab al-Aghani XI. 134–135, 136

﴿ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد﴾
﴿جرت الرياح على مقر ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد﴾
﴿ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد﴾
﴿فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد﴾

ومنها ﴿ولقد علمت لو ان علمى نافعى * أن السبيل سبيل ذى الاعواد﴾

الابيات للاسود بن يعفر من قصيدته المشهورة التى أولها

نام الخلى وما أحس رقادى * والهم محتضر لدى وسادى   من غير ما سقم ولكن شفنى * هم أراه قد أصاب فؤادى

فى سورة ص عند قوله تعالى ذو الاوتاد يقال غنينا بمكان كذا أى أقمنا به أى عاشوا وأقاموا فى ديارهم بانعم عيش فى ظل ملك راسى الاوتاد وأما تغانوا فمعناه استغنى بعضهم عن بعض قال كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

والغانية

والغانية التي استغنت بزوجها قال جميل

أحب الايامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

﴿وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا﴾

هو للمتنبي من قصيدته الدالية المشهورة التي أولها لكل امرئ من دهره ما تعودا * وعادة سيف الدولة الطعن في العدا
وقبل البيت تركت السرى خلفي لمن قل ماله * وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

في سورة ص عند قوله تعالى وآخرين مقرنين في الاصفاد والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط المنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومنه ما يقال غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها وفرقوا بين صفد وأصفد فقالوا صفده يصفده قيده وأصفده يصفده أعطاه وانما كان صفد بمعنى قيد وأصفد بمعنى أعطى لان القيد فيه ضيق فناسبه ضيق الحروف وقلتها والعطاء كرم فناسبه سعة الحروف وكثرتها

﴿شمر وكن في أمور الدين مجتهدا * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا﴾

في سورة الزمر عند قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أي يكونون نقادا في الدين يميزين بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا *

﴿متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد﴾

في سوره الزخرف عند قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي يعشى من باب تعب فهو أعشى والمرأة عشواء وأصله الواو وانما قلبت ياء لانكسار ما قبلها كرضي يرضى وعشا يعشو أي تفاعل ذلك ونظر نظر العشي ولا آفة ببصره كما قالوا ان عرج لمن به آفة العرج وعرج عن تعارج ومشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * متى تأته تعشو الى ضوء ناره * الخ وهو من قصيدته الدالية المشهورة التي منها

تزور امرأ يثري على الحمد ماله * ومن يأت اثمان المحامد يحمد
يرى البخل لا يبقي على المرء ماله * ويعلم أن المال غير مخلد
كسوب ومتلاف اذا ما سألته * تهلل واهتز اهتزاز المهند
وذاك امرؤ ان يعطك اليوم نائلا * بكفيه لم يمنعك من نائل الغد

﴿كل حي مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده﴾

في سورة الاحقاف عند قوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال الزمخشري (فان قلت) المراد بيان مدة الارضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل الخ وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة الحديد عند قوله تعالى فطال عليهم الامد أراد بالامد الاجل وقرئ الامد بالتشديد أي الوقت الاطول

﴿لقد سقتني رضابا غير ذي أسن * والمسك فت على ماء العناقيد﴾

في سورة القتال عند قوله تعالى من ماء غير آسن الرضاب الريق وترضب الرجل ريق المرأة اذا ترشفها والفت الكسر وفتات الشئ دقاقه يقول ان المحبوبة سقتني رضابا غير متغير الطعم والرائحة كالخمر فت عليه المسك ويقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه ويقال في صدره أجن أي حقد قال

اذا كان في صدر ابن عمك أجنة * فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

﴿فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت اشراط أوله تبدو﴾

في سورة القتال عند قوله تعالى فقد جاء أشراطها والاشراط العلامات يعني علامات الصرم تظهر في أول الوصل كما قيل

صرمت لودك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تغير وتقلب

وكما قال امرؤ القيس أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرما فأجملي

ومن أحسن ما قيل في باب المتاركة والمهاجرة * بيت التي ضربت بيتا مهاجرة * وهو وان كان منكر الكنه عند أهل المعرفة مشهور في البين وهو بيت واحد لكن يظهر حسنه في بيتين وما أحرى هذا العازم على ذلك الازماع الآتي في مقام الوصل بالفصل وكمال الانقطاع أن ينشد ما قيل ان كنت أزمعت على هجرنا * من غير ما جرم فصبر جميل وان تبدلت بنا غيرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿وغير مقلدو موشمات * صلين الضوء من صم الرشاد﴾

فى سورة الحجرات عند قوله تعالى أولئك هم الراشدون والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة وكل صخرة رشادة يصف صلابة النوق وقوتها على السير بحيث يظهر شرر من الاحجار فى سيرها وانها اليعملات غير المقلدات والموسمات المضمر والقلاد الوتر لانه يقلد منه الحبل أى يعلق والموشمات الاثافى لان النار أثرت فيها تأثير الوشم فى الجلد وصلين من صلى النار أو صلى بها اذا احترق ويحتمل ان الشاعر عنى بذلك خلو الدار من الآثار من قبيل * ثلاث الاثافى والديار البلاقع * أى لم يبق فى الدار الا الوتد والاثافى

﴿هل أغدون فى عيشة رغيد * والموت أدنى لى من الوريد﴾

فى سورة ق عند قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وهو مجاز والمراد قرب علمه وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار والبيت لذى الرمة وحبل الوريد عرق فى الحبل شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله * كأن وريديه رشا آخلب * والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين وسمى وريدا لان الروح ترده والاضافة للبيان لان الحبل هو الوريد

﴿لما حططت الرحل عنها واردا * علفتها تبنا وماء باردا﴾

فى سورة والذاريات عند قوله تعالى وفى موسى من حيث انه معطوف على ما قبله بنحو عشرين آية وهو قوله وفى الارض آيات للموقنين على معنى وجعلنا فى موسى آية من قبيل علفتها تبنا الخ أى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا ونحوه * وزججن الحواجب والعيونا * أى وكحلن العيونا

قريت الكلابى الذى يبتغى القرى * وأمك اذ تحدى عليك قعودها

﴿فباتت تعد النجم فى مستحيرة * سريع بأيدى الآكلين جمودها﴾

فى سورة النجم عند قوله تعالى والنجم ان أريد به جنس النجوم المستحيرة الجفنة الممتلئة أى نظرت فى هذه الجفنة فرأيت فيها النجوم لعظمها وقوله سريع يريد أن الوقت كان وقت الشتاء فكان يجمد دسمه على أيدى الآكلين

﴿مفرشى صهوة الحصان ولكن قميصى مسرودة من حديد﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع

﴿وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد﴾

فى سورة الواقعة عند قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الثلة الامة من الناس الكثيرة من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان التابعين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والبيت شاهد لمعنى الكثرة فان كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص والا فالاستدلال عليها من ان المقام مقام مبالغة ومدح وخندفية منسوبة الى قبيلة خندف قال * أمهتى خندف والياس أبى * والتيار الموج ومزبد كثير الزبد والمراد كثرة الجيش وتموجهم كتموج السيل المزبد

﴿وأنت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد﴾

فى سورة ن عند قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم أى دعى كما قال حسان وأنت زنيم الخ وقال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وهو من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعز تقطع وتخلى معلقة فى حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله قال

زنيم تراه الرجال زيادة * كما زاد فى عرض الاديم الاكارع

كأنه يقول لذلك المخاطب أنت زنيم مؤخر فى آل هاشم كما يؤخر الراكب القدح خلفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب أى لا تؤخرونى فى الدعاء

﴿نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد﴾

فى سورة المزمل عند قوله تعالى ان ناشئة الليل ناشئة الليل التى تنشأ من مضجعها الى العبادة أى تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت نشأنا أى نهضنا وقمنا والخوص جمع خوصاء وهى الناقة المرتفعة الاعلى الضخمة الاسفل برى نيها النى بفتح النون الشحم أى أذاب شحمها سير الليل والقماحد جمع القمحدوة بسكون الحاء وهو مؤخر القذال وهى فاس الرأس المشرفة على النقرة أى قصدنا الى

ناقة

ناقة مهزولة من السرى ورحلنا

﴿على ماقام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد﴾

فى سورة النبأ عند قوله تعالى عم يتساءلون حيث كان أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أى شأن يتساءلون والاصل وهو اثبات ألف ما الاستفهامية قليل لاجل الضرورة ومنه قول حسان بن المنذر على ماقام الخ يهجو بذلك بنى عائذ بن عمرو بن مخزوم وقبله

فان تصلح فانك عائذى * وصلح العائذى الى فساد   وان تفسد فما ألفيت الا * بعيدا ما علمت من السداد

وتلقاه على ما كان فيه * من الهفوات أونوك الفؤاد   على ماقام الخ وبعده

مبين الغى لايبغى عليه * ويبغى بعد عن سبل الرشاد   فأشهد ان أمك من بغايا * وأن أباك من شر العباد

فلن أنفك أهجو عائذيا * طوال الدهر مانادى المنادى   وقد سارت قواف قافيات * تناشدها الرواة بكل نادى

فقبح عائذ وبنو أبيه * فان معادهم شر المعاد

﴿ومنا الذى منع الوائدا * ت وأحيا الوئيد فلم يوأد﴾

فى سورة التكوير عند قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت يقال وأد بنته اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت كندة تئد البنات والذى حملهم على وأد البنات الخوف من لحوق العار بهم والخوف من الاملاق وقال الفرزدق مفتخرا * ومنا الذى منع الوائدات * يعنى جده صعصعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فأسلم فقال يارسول الله عملت أعمالا فى الجاهلية فهل لى فيها من أجر فقال وما عملت قال قد أحييت ثلاثة وستين من الموؤدة أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لى فى ذلك من أجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من باب البر ولك أجره اذ من الله عليك بالاسلام

﴿قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد﴾

فى سورة المطففين عند قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه وأثابه بمعنى اذا جازاه كما قال أوس سأجزيك الخ يخاطب مؤنثا من امرأة أو نفسه أو ناقته وتبين ذلك من قوله تحمدى كما قال * مكانك تحمدى أو تستريحى * قيل يفتح للكفار باب الجنة فيقال لهم اخرجوا الآن فاذا وصلوا اليه أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم

﴿وحبسن فى هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود﴾

فى سورة الغاشية عند قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الهزم بالمعجمة الصدع وهو شق شئ له صلابة وحدباء من احدودب ظهره اذا انحنى والحرد بالتسكين الغيظ استشهد به على ان الضريع لايصلح غذاء للراعية وهزم الضريع بالزاى المعجمة هو ماتكسر منه وناقة هزماء اذا بدا عظم وركها الحرد من النوق القليلة اللبن والشاعر يصف نوقا حبسن فى مرعى سوء غير ناجع هزلهن فكلهن داميات الايدى من وضعها على الضريع ذى الشوك قليلة اللبن

﴿أعين هلا بكيت أربداذ * قمنا وقام الخصوم فى كبد﴾

فى سورة البلد عند قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد من قولك كبد الرجل كبدا فهو كبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة قوله أعين أى ياعين هلا بكيت أربد اذ قمنا للحرب مع الخصوم فانه كان أخا الحرب حافظ الكتيبة يوم الكريهة والبيت للبيد فى مرثية أخيه أربد وأول القصيدة

ماان تعزى المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد   ومنها البيت ومعنى تعزى أى تترك

Tarafah [illegible] 66

﴿أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة مال الفاحش المتشدد﴾

فى سورة والعاديات عند قوله تعالى وانه لحب الخير لشديد هو البخل المحكر يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة أرى الموت الخ أى وانه لاجل حب المال وانفاقه عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس أى انه شديد لبدء الامر قوى له وانه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض والاعتيام الاختيار وعقيلة كل شئ أكرمه والفاحش البخيل قال تعالى ويأمركم بالفحشاء والمعنى أرى الموت يختار كرام الناس وكرائم الاموال التى يضن بها

﴿تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده﴾

فى سورة الهمزة عند قوله تعالى انها عليهم مؤصدة من حن اذا اشتاق وحنين الناقة نزاعها الى ولدها ووطنها واجبال جمع جبل مؤصدة أى مطبقة مغلقة من آوصد بالالف وأوصد الباب اذا أغلقه

﴿وانى لمحسود وأعذر حاسدى * وما حسد بالمكرمات بحاسد﴾

فى سورة الفلق عند قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد والكامل الفاضل لا يخلو من حاسد يحسد فضله كما قيل

ان يحسدوك على فضل خصصت به * فكل منفرد بالفضل محسود

ومن الحسد ما هو محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فجعله فى حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها قيل عنى بالحسد هنا الغبطة ومنه قوله

فافخر فامن سماء للعلى ارتفعت * الاوأفعالك الحسنى لها عمد * واعذر حسودك فيما قد خصصت به * ان العلى حسن فى مثلها الحسد

﴿حرف الراء﴾

﴿فهياك والامر الذى ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره﴾

هو لمضرس بن ربعى فى سورة الفاتحة عند قوله تعالى اياك نعبد أصل اياك هياك قلبت الهمزة هاء واختلفوا فيه هل هو من قبيل الاسماء الظاهرة أو المضمرة فالجمهور على انه مضمر وقال الزجاج هو اسم ظاهر وترجيح القولين مذكور فى كتب النحو والقائلون بأنه ضمير اختلفوا فيه على أربعة أقوال أحدها ان اياك ضمير والثانى ان ايا وحده ضمير وما بعده اسم مضاف اليه مبين ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب وثالثها ايا وحده ضمير وما بعده حرف مبين ما يراد به ورابعها ان ايا عماد وما بعده هو الضمير ودليله ثبوت اضافته الى الظاهر فى قولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويروى البيت هكذا

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر * فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وفى هذا الخطاب ايماء الى أنه يجب على المخاطب عند الشروع فى عظائم الامور أن لا يهجم عليها فيعسر عليه مغبتها فان من نظر فى العواقب أمن من المعاطب

﴿وجدنا فى كتاب بنى تميم * أحق الخيل بالركض المغار﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الم فان الحكاية ان تجىء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى يقال ركض فلان دابته اذا ضرب جنبيها برجليه لتعدو والمغار بالغين المعجمة من قولهم أغرت الحبل اذا فتلته ويروى بالمهملة واستدل عليه بما فى البيت الذى قبله وهو

كان خفيف منخره اذا ما * كتمن الربو كير مستعار

وهو خطأ والبيت لبشر بن أبى حازم الاسدى من قصيدته التى مطلعها ألا بان الخليط فلا يزار * وقلبك فى الظعائن مستعار

ومنها ولما أن رأينا الناس صاروا * أعادى ليس بينهم ائتمار مضت أسلافنا حتى حللنا * بأرض قد تحاماها نزار

وبدلت الاباطح من غير * سنابك يستثار بها الغبار وليس الحى حى بنى كليب * بمنجيهم وان هربوا الفرار

ومنها البيت وبعده يضمر بالاصائل وهو نهد * أقب مقاص فيه اقورار كان سراته والخيل شعث * غداة وجيفها مسد مغار

ومايدريك مافقرى اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا ولا يغنى من الغمرات الا * نواكاء القتال أو الفرار

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

لقد أرانى ونعما لاهيين بها * والدهر والعيش لم يهمم بامرار

﴿نبئت نعما على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى﴾

هو للذبيانى عند قوله تعالى فى سورة البقرة ذلك الكتاب حيث أشير باسم الاشارة الى الجنس الواقع صفة تقول ذلك الانسان أو الشخص فعل كذا والمعنى ان نعما عاتبة على الهجران عاتبة له سقيا ورعيا لذلك الشخص العاتب الزارى على الهجران أى العائب والعوج عطف رأس البعير بالزمام ونعم اسم المحبوبة والدمنة ما تلبد من البعر والقمامة وربما نبت فيها النبات وفسر قول النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن بالمرأة الحسناء فى المنبت السوء والنؤى الحاجز حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ولم يهمم من هم بالشىء اذا أراده بامرار باعطاء المرة وسقيا ورعيا منصوبان على المصدر أى سقاها الله ورعاها سقيا ورعيا والزارى من زرى عليه اذا عابه

﴿ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر﴾

فى البقرة عند قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الختم ههنا بمعنى الحبسة والعى وعذافر بالعين المهملة وضمها والذال المعجمة وكسر الفاء اسم رجل ويقال للرجل عذافر أى عظيم شديد ويقال للاسد عذافر أيضا والشاعر يخبر عن حال ذلك الرجل ولسانه ونطقه بأنها كذلك

يمكن

ويمكن أنه يقول ذلك على سبيل الدعاء عليه

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي * ﴿اذا ردّ عافي القدر من يستعيرها﴾

فكانوا قعودا حولها يرقبونها * وكانت فتاة الحي ممن يعيرها

في سورة البقرة عند قوله تعالى ختم الله على قلوبهم من جهة الاسناد المجازي حيث أسند الختم الى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة فان الشيطان هو الخاتم والكافر الا أنه سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما أسند العذاب الى السبب وعافي القدر من عفاه اذا جاء يطلب خيره ومعروفه وقال عليه السلام ما أكلت العافية فهو صدقة وهي طلاب الرزق من الدواب والطير وعافي القدر هذا الذي جاء يطلب ما فيها او يأكله فاذا جاء مرارا يعيرا لقدر رآها مشغولة وقيل عافي القدر ما يبقى في أسفل القدر من المرق ويرد على معيرها وهكذا كانوا يفعلون في تناهي القحط وشدة الزمان والمعنى اسألي عن خليقتي وجودي وكرمي أوان الضيق والجدب حين يرد مستعير القدر على المعير بقية الطعام الذي طبخ فيها وفيه وجه آخر وهو أنه اذا أبقى في القدر بقية من الطعام فان استعاره أحد ردّ من أجل هذه البقية التي في القدر والمراد في الحقيقة صاحب القدر قال عروة بن الورد Dīw. ʿUrwah b. al-Ward X. 1

واني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد

جمع القائل بين معنيين في البيت فان معنى عافي انائي بقية طعام انائي ومعنى عافي انائك طالب معروف انائك ويقال له العقبة وهو شيء من المرق يرده مستعير القدر اذا ردها وقريب من هذا المعنى قول حاتم

ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي ينزل القدر Dīw. d. Hatim LIX. 1

ومن هذا القبيل قوله

سأقدح من قدري نصيبا لجارتي * وان كان ما فيها كفافا على أهلي Hatim Tai Dīw. LXXVII

اذا أنت لم تشرك رفيقك في الذي * يكون قليلا لم تشاركه في الفضل

﴿أما والذي أبكى وأضحك والذي﴾ * أمات وأحيا والذي أمره الامر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى * أليفين منها لا يروعهما الذعر

Abū Ṣakhr al-Hudhalī Hamasah p. 544

من أبيات الحماسة في سورة البقرة عند قوله تعالى ألا انهم هم المفسدون وان الاستفهام اذا دخل على النفي أفاد ذلك تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولا تكاد تكون بعدها الجملة الا مصدرة بنحو ما يتلقى القسم وأختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها وبعده

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

ومنها

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر

صدقت أنا الصب المصاب الذي به * تباريح حب خامر القلب أو سحر

فيا حبذا الاحياء ما دمت حية * ويا حبذا الاموات ما ضمك القبر

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وتنبت في أطرافها الورق الخضر

الى أن قال

فيا هجر ليلى قد بلغت بنا المدى * وزدت على ما لم يكن يبلغ الهجر

فليست عشيات الحمى برواجع * لنا أبدا ما أورق السلم النضر

﴿أخذت بالجمة رأسا أزعرا﴾ * وبالثنايا الواضحات الدردرا

﴿وبالطويل العمر عمرا حيدرا﴾ * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

في البقرة عند قوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى ومعنى البيت ان حالي في الاستبدال كحال مسلم استبدل بالاسلام النصرانية واختارها عليه والالف واللام في المسلم اذ تنصر للعهد كما في قوله فعصى فرعون الرسول والمراد بالمسلم الذي تنصر جبلة بن الايهم وكان على دين النصرانية فقدم مكة في أحسن زي وأسلم وطاف بالكعبة فوطئ رجل محرم ازاره فلطمه جبلة فشكا الرجل الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحكم أن يقتص باللطمة فسأله جبلة أن يؤخره الى الغد وسار ليلا ولحق بالروم وتنصر وندم على ما فعل وقال[1]

تنصرت بعد الحق عارا للطمة * ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر

وأدركني فيها لجاج حمية * فبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني * صبرت على القول الذي قاله عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر

ويا ليت لي بالشأم أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

﴿ولما رأيت النسر عز ابن داية﴾ * وعشش في وكريه جاش له صدري

في سورة البقرة عند قوله تعالى فما ربحت تجارتهم فانه لما ذكر الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه ويكمله ويضم اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا

1) Kitāb al-Aghānī XIV. 4

لحقيقتها والمراد بالنسر الشيب وبالغراب الشباب وبالوكرين الرأس واللحية ولما شبه الشيب بالنسر والشعر الناعم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر

﴿فأصممت عمرا وأعميته * عن الفخر والجود يوم الفخار﴾

فى البقرة عند قوله صم بكم عمى فهم لا يرجعون معناه فاخرت عمرا يوم الفخار فأصممته عن سماع مفاخرى اذلم يقدر على جوابى وأعميته عن رؤية جودى ونحره فى مقابلة جودى ونحرى ومعنى أصممت عمرا من باب وجود الشئ على صفة أى وجدته أصم

﴿أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر﴾

هلا كررت على غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر

فى سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمى أى ليس لك أن تقول قد طوى فى قوله صم بكم عمى ذكر المستعار له وهم المنافقون عن الجملة بحذف المبتدا فليكن ذلك استعارة قلنا ان المطوى هنا فى حكم المنطوق به ونظيره قول عمران بن حطان قاتل الحجاج أسد على أى أنت أسد والنعام يضرب به المثل فى الجبن فيقال انه لا أجبن من نعامة والفتخاء تأنيث الفتخ وهو انفراج ولين فى الاصابع وغزالة امرأة شبيب الخارجى قيل ان الحجاج قتل شبيبا الخارجى فدخلت امرأته غزالة الكوفة فى ثلاثين فارسا وفيها ثلاثون ألف مقاتل فصلت الغداة وقرأت البقرة وحاربته سنة كاملة وهزمت الحجاج وهى تمشى خلفه فالشاعر يقول هو أسد على وفى الحروب مثل النعام جبنا ينفر من صفير الصافر والصفير صوت المكاء ونحوه وغيره وقال هلا حملت على هذه المرأة فى الوغى بل كان قلبك فى الوجيب والخفقان من الحزن فى جناحى طائر

﴿ياتيم تيم عدى لا أبا لكم﴾ * لا يلقينكم فى سوأة عمر

تعرضت تيم لى عمدا لأهجوها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم حيث أقحم الموصول الثانى بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير فى قوله ياتيم تيم الثانى بين الاول وما أضيف اليه قال الميدانى اذا قال لا أبا لكم لم يترك من الهجو شيأ قيل كان عمر التيمى أراد ان يهجو جريرا فخاطب جرير قبيلة تيم وقال لهم لا تتركوا عمرا أن يقول شعرا فى هجوى فيصيبكم شرى ومكرى بسبب عمر وفى البيت الثانى هجا نفسه أقبح هجو لانه شبه نفسه باست الخارئ

﴿أربا واحدا وألف رب * أدين اذا تقسمت الامور﴾

فى البقرة عند قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وقائله زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه قال تعالى أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وبعد البيت

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

﴿ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار﴾

قوم اذا كثر الصياح رأيتهم * وقرا غداة الروع والانفار

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذا أريد بالسورة المرتبة لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وحراب بالراء حراب بن زهير وقد بالذال المعجمة قد بن مالك وهما أسديان يصف الرهطين بالكثرة ودوام المجد لهم فان النبات والشجر اذا كثر قيل لا يطار غرابه وقوله فى المجد استعارة بأن مجدهم دائم ليس بقلع ثابت غير منقشع وأصل ذلك ان النبات والشجر اذا كثر قيل لا يطير غرابه أى اذا وقع فى هذا المكان الخصب لا ينتقل الى غيره وقوله اذا كثر الصياح أى فى الحروب وقوله وقرا من الوقار أى لا يستفزهم الصياح ووصف الصحابة رضى الله عنهم كأنهم على رؤسهم الطير لسكونهم من هيبته صلى الله عليه وسلم وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه الحلمة والحمنانة ولا يحرك رأسه لئلا ينفر منه الغراب

﴿ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا يعنى أهل الهدى كثيرا فى أنفسهم وحين يوصفون بالقلة وانما يوصفون بها بالنسبة الى أهل الضلال وأيضا فان القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا وأيضا فان الله تعالى قادر أن يجمع ما فى الناس من الفضائل فى واحد كما قال متى تخطى اليه الرجل سالمة * تستجمع الخلق فى تمثال انسان وقول أبى نواس

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

﴿فواسقا عن قصدها جوائرا * يذهبن فى نجد وغورا غائرا﴾

هو لرؤبة فى سورة البقرة عند قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين وصف نوقا تمشى فى المفاوز يخرجن عن استقامة الطريق ويذهبن طورا نجدا وطورا غورا وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الكهف عند قوله تعالى ففسق عن أمر ربه أى خرج عن طاعته وقد استشهد بالبيت

بالبيت المذكور فى سورة الحجرات عند قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ قال صاحب الصحاح قال ابن الاعرابى لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم فاسق قال وهذا عجيب وهو كلام عربى

﴿أو معبر الظهر ينبى عن وليته * ماحج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى مسلمة لاشية فيها أى سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله أو معبر الظهر الخ معبر الظهر الذى لا وبر عليه وينبى من نبا عنه اذا فارقه والولية البردعة لانه يلى الجلد والضمير للبعير والمعنى معبر الظهر ينفر عن البردعة لدبره ومن كثرة ما قاسى من شدائد لسفره ثم قال رب هذا البعير ماحج فى الدنيا ولا اعتمر هذا البعير بل سافر الى بلاد الاعداء وصحبهم بها وربه يقرأ باختلاس الحركة من الهاء للوزن كما فى قراءة قالون فألقه اليهم مكسورة الهاء من غير ياء قال أبو على وصل الهاء بياء فى ألقه ونحوه أقيس وأشبه وترك وصله بالياء انما يجرى فى الشعر كقوله * ماحج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا

﴿أكلت دما ان لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر﴾

هو من أبيات الحماسة فى سورة البقرة عند قوله تعالى أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار وقبل البيت

دمشق خذيها واعلمى أن ليلة * تمر بعودى نعشها ليلة القدر

هو دعاء على نفسه بأكل الدية ان لم يتزوج عليها يقال فلان يأكل الدم اذا أكل الدية التى هى بدل منه وأخذها عار عند العرب كما قال

فلا تأخذوا عقلا من القوم اننى * أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا * أى ثمنه ومنه قوله

انى رأيت عجبا مذ أمسا * عجائزا مثل السعالى خمسا

يأكلن ما فى رحلهن همسا * لاترك الله لهن ضرسا

وقد استشهد بالبيت المذكور فى السورة المذكورة عند قوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا لانه أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار روى أن قائل البيتين اعرابى وكان تزوج امرأة فلم يوافقها فقيل له ان حمى دمشق سريعة فى موت النساء فحملها الى دمشق وقال الابيات وقال أبو العلاء يجوز ان يريد بقوله أكلت دما ان لم أرعك بضرة أى شربت دما لان الدم لا يؤكل بل يشرب ولا يمتنع ان يعنى بقوله شربت دما ان يصيبه جدب وحاجة فيفتقر الى شرب الدم كما كانت العرب فى الجاهلية اذا اشتد عليهم الزمان فصدوا النوق وشربوا دماءها وخلطوها بغيرها فأكلوها وهذا المعنى كثير فى اشعار العرب وأنشد أبو اياس

امالك عمر انما أنت حية * اذا هى لم تقتل تعش آخر العمر

قالوا أقصر عمر الحية ثلثمائة سنة ويروى هكذا

ثلاثين حولا لا أرى منك راحة * لهنك فى الدنيا لباقية العمر

دمشق خذيها لا تفتك فليلة * تمر بعودى نعشها ليلة القدر

فان أنفلت من عمر صعبة سالما * تكن من نساء الناس لى بيضة العقر

هذه الهاء فى لهنك بدل من همزة أن فى قول البصريين وقال غيرهم هى معنى لله انك ﴿تتمة﴾ من المعلوم المقرر ان الشئ بالشئ يذكر وبضدها تتبين الاشياء ولذلك يقال الضد أقرب خطورا بالبال وعلى هذا فلا يخفى التقابل بين هذا وبين ما تقدم من قول القائل

وان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

حيث تضمن هذا البيت اظهار السآمة وتجافى الجنوب عن المضاجع مع ادخال صوت الروع فى ذهن السامع وتضمن ذلك البيت الخطاب بصيغة التعظيم والعطف على سبيل الترقى بما لا يخفى على ذى الذوق السليم

﴿فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر الخيط الابيض أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض واسود وجواب الشرط فى البيت الذى بعده

وما صيد الاعناق فيهم جبلة * ﴿ولكن اطراف الرماح تصورها﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فصرهن اليك من صاره يصوره صورا وصاره يصيره صيرا أى فأملهن وضمهن اليك بضم الصاد وكسرها ورجل أصيد لا يستطيع الالتفات من داء والرجل يصور عنقه الى الشئ اذا مال نحوه يقول صيد الاعناق واعوجاجها جبلة وطبيعة فيهم ولا هو من نخوة وكبر وانما أطراف الرماح صورتهم او أمالتهم اقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح قال فى الصحاح وصاره يصيره أى أماله وقرئ فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها قال الاخفش يعنى وجههن اليك يقال صر الى وصر وجهك الى أى اقبل على وصرت الشئ أيضا قطعته وفصلته انتهى أقول ومن الطف ما أنشد من هذا المعنى قوله

وغلام فى ساعة صار كلبا * ثم فى ساعتين صار غزالا

﴿وعلى لاحب لا يهتدى بمناره * اذا سافه العود النباطى جرجرا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا ولا يخفى أن نفى السؤال والالحاف جميعا ادخل فى التعفف وفى أن يحسبوا أغنياء اللاحب بالحاء المهملة الطريق الواضح وسافه من السوف وهو الشم والعود الجمل المسن من الابل وهو الذى جاوز فى السن البازل ويقال زاحم بعود أودع أى استنصر على حربك بأهل السن والمعرفة فان رأى الشيخ خير من مشهد الغلام والعود الطريق القديم قال عود على عود الاقوام أول أى بعير مسن على طريق قديم وربما قالوا سودد عود أى قديم قال الطرماح

هل المجد الا السودد العود والندى * ورب الثأى والصبر عند المواطن

جرجر أى صوّت والجرجرة صوت يردده البعير فى حنجرته قال * جرجر فى حنجرة كالحب * أى صوت يصف سببا لا منار فيه اذا ساف الجمل تربه عرفه وصوت لخبثه لوعورة ذلك السبب وسلوكه اليه مرارا وقوله لا يهتدى بمناره يريد نفى المنار والاهتداء ونحوه قوله

لا تفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر

وسيأتى وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة آل عمران عند قوله تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا قال فى الكشاف فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله تعالى فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن أن هناك حجة الا أنها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر *

﴿وشارب مربح بالكاس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسآر﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى سيدا وحصورا وهو الذى لا يقرب النساء منعا لنفسه عن الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل على القوم فى الميسر فاستعير لمن لا يدخل فى اللهو واللعب ولا فيها بسآر أى مبق من السؤر وهو البقية يقول رب شارب مشتر للخمر بالربح ليس بمانع نفسه من الشهوات ولا مبق فى الكاس شيأ نادمنى وعاشرنى ويروى ولا فيها بسوار من ساور اذا وثب أى ليس بعربد

﴿متى ما تلقنى فردين ترجف * روادف اليتيك وتستطارا﴾ فى آل عمران عند قوله تعالى الا رمزا حيث قرئ بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقنى الخ الروادف جمع رادفة وهى أسفل الالية وطرفها الذى يلى الارض من الانسان اذا كان قائما وتستطارا أصله تستطارن فقلبت النون ألفا للوقف وفردين حالان أحدهما من ضمير الفاعل فى تلقنى والآخر من النون والياء

﴿فلا اب وابنا مثل مروان وابنه * اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا﴾

هو للفرزدق فى سورة آل عمران والابن عبد الملك اذ هو كناية عن الاب الذى هو مروان لان مجد الابن مجد الاب لا بالعكس وقد جمع الشاعر سيرتين فى عطف الابن على الاب باعتبار اللفظ وجعله منصوبا ويجوز رفع الابن باعتبار العطف على المحل وهو موضع لا وما بعده لان موضعه رفع بالابتداء والنصب أشهر لان العطف على اللفظ أكثر وهو الاصل والبيت شاهد على قوله تعالى تلبسون الحق بالباطل على قراءته بفتح الباء من لبست الثوب فتكون الباء فى بالباطل بمعنى مع وأما على قراءة الكسر فهو من لبست الشئ بالشئ خلطته به واستشهد لاستعمال اللبس وما فى معناه للاتصاف بالشئ بقوله صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور وبقول الفرزدق فلا أب وابنا الخ حيث استعمل اللبس وما فى معناه للاتصاف بالشئ والتلبس به ولابس ثوبى زور هو الذى استعار ثوبا يتجمل به أو يتنسك لتقبل شهادته فهو يشهد زورا ويظهر انه له وليس له فيصير كانه لابس ثوبين من الزور واضافة ثوبين الى الزور على معنى اختصاصهما من جهة كونهما ملبوسين لاجله وقد كثر استعمال نحو اللباس والرداء والازار فى كثير من المنثورات والاشعار وأورد فى معان مختلفة شائعة كمال الشيوع وكفاك شاهدا على ذلك كلام رب العزة جل جلاله فاذاقها الله لباس الجوع وقد ورد عنهم كثيرا هذا الاداء ومن ذلك ما قيل لكثير الاحسان غمر الرداء حتى استعملوا ذلك فى التورية والايهام وما أحسن أن يورد لادنى ملابسة فى المتكبر المتكثر فى هذا المقام قوله

لى صاحب أحمق ذو فاقة * أهلكه الافلاس والفقر
لم يمتلك والله ملوطة * وعنده مع فقره كبر

وقد تجوزوا فى اللباس بحسب الاستعمال حتى جوزوا للنساء لبس عمائم الرجال وعلى كل حال فما أقبح المتشبع المتلبس بلباس الغير واللائق أن يلبس لكل حالة ملبوسها ولباس التقوى ذلك خير وبالجملة والتفصيل فيحسن أن ينشد من كلام المصنف فى استعمال اللباس ما قيل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

﴿ومن كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار﴾
يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن أوجههن بالاسحار

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار والمعنى اظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل كتب الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم والبيت من أبيات الحماسة لربيع بن زياد يرثى مالك بن زهير العبسى وكانت عادتهم أن لا يندبوا القتيل الا بعد أخذ الثار يقول للاعداء المنابذين من كان مسرورا ويظهر الشماتة بقتل مالك فليأت نساءنا فى أول النهار يجد ما كان محرما من الندبة والبكاء قد حل وان الحظر الواقع فى بكائهن قد ارتفع بدرك الثار والانتقام من العدو وكانت العرب اذا قتل منها قتيل شريف لا يبكى عليه ولا تندبه النساء الى أن يقتل قاتله فاذا فعل ذلك خرجت النساء وندبنه فيجدن مقتله قد صح وقال المرزوقى ورأيت ابن العميد يقول انى لا اتعجب من أبى تمام مع تكلفه الفحص عن جوانب ما اختاره من الابيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهى لفظة شنيعة جدا ونعم ما قال المرزوقى فليأت ساحتنا بوجه نهار وأول الابيات

انى أرقت فلم أغمض حار * من سيئ النبأ الجليل السارى

من مثله تمسى النساء حواسرا * وتقوم معولة مع الاسحار

أفبعد مقتل بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

ما ان أرى فى قتله لذوى النهى * الا المطى تشد بالاكوار

وبعده البيتان وبعدهما

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى * عف الشمائل طيب الاخبار

كان فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع من المتغور

f. Kitab al-Aghani X. 77 ﴿ولم يغلب الخصم الالد ويملا الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى كمثل ريح فيها صر الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن اتاويين تضربهم * نكباء صر باصحاب المحلات

وقالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد الخ الصر صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة كما تقول برد بارد على المبالغة أو الصر مصدر فى الاصل بمعنى البرد فجىء به على أصله أو أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعنى فلان ففى الله كاف وكافل * وفى الرحمن للضعفاء كاف * لم ينخ من أناخ البعير ولم يطلع من اطلع من انحدار الى اشراف والالد الشديد الخصومة والجفنة القصعة والسديف قطع السنام والنكباء الريح الشديدة والصرصر الباردة روى أن ليلى الاخيلية ترثى حبيبها وتعد مناقبه جفنة الطعام معروفة وعند العرب مبذولة مألوفة وتستعمل للرجل الكريم ووقع ذكرها فى كلامهم من قديم وجمعها جفنات وجفان وقد وقعت فى شعر حسان حيث يقول

Diwan Hassan b. Thabit IV. 33

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وفى بيت الاعشى

يلوح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

Lisan al-Arab XII. 126

وكثر استعمالها فى شعر الاقدمين وعند جهينة الخبر اليقين

Kitab al-Aghani XII. 126; Maidani, Proverbs I. 394-395

فلا وأبى الناس لا يعلمون * فلا الخير خير ولا الشر شر

﴿فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر﴾

هو من أبيات الكتاب فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولله در القائل

ومن عادة الايام أن صروفها * اذا ساء منها جانب سر جانب

وفى معنى ذلك بيت المقامات

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما أضحكت فى يومها * ابكت غدا بعدا لها من دار

ومن أمثالهم الحرب سجال ولقد أحسن كل الاحسان المرحوم المولى أبو السعود فى قوله

Maidani, Prov. I. 169

وكل ما فى الوجود من نعم * اما تزايلك أو تزاولها

سلطنة الدهر هكذا دول * فعز سلطان من يداولها

﴿لا يفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا من حيث ان المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * مراده أن ينفى الضب والانجحار جميعا ومثله قول ذى الرمة

Diw. Dhu 'r-Rummah I. 36

لا تشتكى سقطة منها وقد رقصت * بها المفاوز حتى ظهرها حدب

أى ليس منها سقطة فتشتكى وقد تقدم الكلام على معنى الآية عند قوله

على لاحب لايهتدى بمناره * اذا سافه العود النباطى جرجرا

﴿ وما مثله ممن يجاود حاتم * ولا البحر ذو الامواج ملتج زاخره ﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون وقد جنح الزمخشرى فى تفسير الآية الى ماهو دأبه فى ترويج مذهب الاعتزال وقد رد المولى سعد الدين ذلك عليه بأبلغ رد فتعين كتابة ذلك ليحذر مما جنح اليه قال ولا من هو أعلى قدرا منه وأعظم خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين هم حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم * فان قلت من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه * قلت من حيث ان علم المعانى لا يقتضى غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم فى رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون عن العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة كما فى البيت ولاشك أن الشاعر قصد بالبحر ذى الامواج ماهو فوق حاتم فى الجود انتهى قال المولى سعد الدين فى حواشيه لا كلام فى أن مقتضى علم المعانى والذوق الصحيح السليم هو هذا المعنى أعنى ولا من فوقه يقال لن يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ولكن ينبغى للمستدل أن ينظر أيضا ويعرف أنهما لا يفيدان الا الفوقية فى المعنى الذى هو مظنة الاستنكاف والترفع عن العبودية وذلك ههنا ماتزعم النصارى وهو التجرد والروحانية التى هى فى عيسى عليه السلام من جهة انه لا أب له وكمال القدرة والتأييد الذى به يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وهذا فى الملائكة أقوى لانهم لا أب لهم ولا أم ولهم باذن الله تعالى من قوة قلع الجبال ونحو ذلك ومصاعب الاعمال والتصرف على الاحوال والاهوال مايقل فى جنبه الاحياء والابراء وهم مع ذلك لا يستنكفون أن يكونوا عباد الله فكيف بعيسى عليه السلام ولا دلالة لهذا على الافضلية والاكملية بالمعنى المتنازع فيه ثم أجاب بوجوه أخر فتراجع

﴿ كاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا ﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ومن تعصبات الزمخشرى قوله هنا فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية أن يلفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة قال المولى سعد الدين فى هذا المحل سمعت بعض استاذينا يقول من حق هذه الآية أن يسحم بها وجوه المعتزلة حيث جنحوا الى الخبيث لكثرة الشاعر يخاطب أحدا ويقول كاثر بقبيلة سعد فان سعدا قبيلة فيهم كثرة ولكن لا ترج منهم وفاء ولا نصرة فانهم ليسوا من أهل الحفاظ والنصرة وقوله يروقك أى يعجبك من قبيلة سعد جسومهم ولكن ترغب عنهم حين تجربهم كما قيل أخبر تقله

﴿ لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان جلهم بل كلهم بقر ﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى ولو أعجبك كثرة الخبيث البيت لابى تمام وقبله

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوهم الا هذه الصور

دهمه غشيه يقول لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء ونصرة فان كلهم كالانعام والبهائم ولله در القائل

لا يدهمنك اللحاء والصور * تسعة أعشار من ترى بقر

فى شجر السرو منهم شبه * له رواء وماله ثمر

وكما قال

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم الجمال وأحلام العصافير

﴿ أحار بن عمرو كأنى خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر ﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم فى محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهى اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو أصله يا حارث بن فرخمه والترخيم لا يكون الا فى المضموم لان المفتوح مع الصفة بمنزلة اسم واحد كالمركب ولا ترخيم فى وسط الكلمة ولان فى ضم المفتوح اخلالا بالفتحة المجتلبة للتناسب والاتباع والخمر الذى أصابه الخمار وقيل الذى خامره داء ما يأتمر فاعل يعدو أى ائتماره وامتثاله على أن ما مصدرية أو ما يمتثل من أمر نفسه وهواه على أنها موصولة قال الشاعر

بخط كأن الله قال لحسنه * تشبه بمن قد خطك اليوم فائتمر

وقيل يأتمر من الائتمار والمؤامرة وهى الصلح قال الشاعر

فلما أن رأينا الناس صاروا * أعادى ليس بينهم ائتمار

أى حكم

﴿ تردت به ثم انفرى عن أديمها * تفرى ليل عن بياض نهار ﴾

في

فى سورة الانعام عند قوله تعالى فالق الاصباح ومعنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق عن الصبح كما قال * تفرى ليل عن بياض نهار * انه فلق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومقتضاه الذى يلى الصبح أو يراد فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره والشعر لابى نواس يصف الخمر وقبله

كأن بقايا ما عفا عن حبابها * تفاريق شيب فى سواد عذار

ثم البيت والتشبيه فى أن الحباب ستر الخمر لقوله تردت به فلما انشق الحباب عن وجه الخمر ظهرت كما انشق الليل عن بياض النهار واستبان

﴿لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم الجمال واحلام العصافير﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط فان سم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه فى المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم ويضرب المثل بالعصفور لاحلام الحمقى فيقال أخف حلما من العصفور كانه يقول لا يعجبنك من القوم المذموم عظم جسمهم وطول قامتهم لهم جسم الجمال واحلام العصافير اوغا المرء بالعقل والحلم لا باللحم والشحم ويعجبنى فى هذا المعنى قول ثوبان بن جهم المذحجى

ولا خير فى حسن الجسوم وطولها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقول
فان لا يكن جسمى طويلا فاننى * له بالخصال الصالحات وصول
وانى لأخزى اذا قيل مملق * سخى وأخزى أن يقال بخيل
اذا كنت فى القوم الطوال علوتهم * بعارفة حتى يقال طويل
وكم قد رأينا من فروع كثيرة * تموت اذا لم تحمهن أصول
ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

﴿أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم على تقدير كون أبلغكم صفة قال الزمخشرى ان قلت كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب بكسر الطاء فكانه فى معناه كما فى البيت قاله الامام على رضى الله عنه حين بارز مرحبا اليهودى يوم خيبر وكانت أمه فاطمة بنت أسد رضى الله عنها سمته باسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما رجع كره هذا الاسم وسماه عليا والسندرة مكيال كبير وقيل اسم امرأة كانت تبيع القمح وتوفى الكيل والمعنى أعطيهم كيلا واسعا ووجه الكلام أنا الذى سمته ليرجع الضمير من الصلة الى الموصول ولكن ذهب الى المعنى كانه قال أنا سمتنى

﴿نزلت بخيل لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر﴾

البيت لخراش بن زهير فى سورة الاعراف عند قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق فيه أربع قراآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهى قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهى قراءة أبى وفى المشهورة اشكال ولا يخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح يعنى فيكون بمعنى قراءة نافع أى قول الحق حقيق على فقلب اللفظ فصار أنا حقيق على قول الحق والثانى ان ما لزمك فقد لزمته أى قول الحق لما كان حقيقا على كان هو حقيقا على قول الحق أى لازما له والثالث أن معنى حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب يعنى قوله اذا تغنى الحمام الورق هيجنى * ولو تعربت عنها أم عمار كما سيأتى بعد هذا البيت والرابع أن يغرق موسى عليه السلام فى وصف نفسه بالصدق أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على أن أكون أنا قائله والقائم به وكل ذلك وجوه متعسفة وليس المعنى الا ما ذكر أولا وقبل البيت

كذبتم وبيت الله حين تعالجوا * قوادم قرب لا تليق ولا تمرى

مضارع أمرى يقال أمرت الناقة اذا در لبنها والهوادة الصلح والضيطار الرجل الضخم الذى لا غناء عنده وقياس جمعه الضياطير الا أنه عوض الهاء عن المدة كبطارة فى بيطار والحمر عندهم العجم وهو ذم وقوله أن يغرق موسى معناه أن يبالغ ولا يعنى به المبالغة المذمومة والمراد بالحمر فى البيت الرجال والهوادة البقية من القوم يرجى بها صلاحهم والعرب تصف بالخضرة كل شئ يستحسن وكل شئ مكروه بالحمرة تقول سنة حمراء أى القحط واحمر الباس أى اشتد والموت الاحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وذلك مما يقلب من الكلام لامن الالباس وأولوا قوله ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وانما العصبة التى هى تنوء بها قال عروة بن الورد

فديت بنفسه نفسى ومالى * ولا آلوك الا ما أطيق

والمعنى فديت بنفسى ومالى نفسه

﴿اذا تغنى الحمام الورق هيجنى * ولو تعربت عنها أم عمار﴾

ومن أبيات الكتاب فى سورة الاعراف عند قوله تعالى على أن لا أقول على الله الا الحق حيث ضمن هيجنى معنى ذكرنى وفاعل هيجنى

ضمير النوى وأم عمار مفعوله لتضمنه معنى ذكرني ﴿قالت له ريح الصبا قرقار * واختلط المعروف بالانكار﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى شهدنا هو من باب التمثيل والتخييل وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ورسوله وفى كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * ومنه قالت له ريح الصبا الخ ومعلوم أنه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى أى قالت ريح الصبا للسحاب قرقر بالرعد فالريح تأمر السحاب بالقرقرة ويجوز أن يقال بلفظ الماضى ويجوز أن يقال بلفظ الامر فاذا كان بلفظ الماضى يريد أن المطر أصاب كل مكان مما كان يبلغه المطر ويعرف ومما كان لا يبلغه وينكر بلوغه اياه واذا كان بلفظ الامر فيكون من تمام قول الريح أى قالت الريح للسحاب قرقر بارعد واختلط المعروف يعنى المطر بالانكار يعنى بالبرق والسيل والصواعق وفى الماضى يجوز هذا المعنى أيضا ﴿وما كنت أرجو أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا﴾

البيت للفرزدق فى سورة الانفال عند قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء بوزن الدعاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق ووجه هذا الكلام ما قيل فى معنى البيت وهو أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون عليه أى ما كنت أخشى أى ما كنت أعلم وأداهم جمع أدهم وهو الاسود من الحيات والعرب تذكر الادهم وتريد به القيد كما فى قصة القبعثرى وهى غنية عن الذكر مشهورة والمحدرجة السياط المفتولة ومعناه ما كنت أعلم أنه يضع القيود والسياط موضع العطاء

ولقد علمت على تجنبى الردى * ﴿أن الحصون الخيل لا مدر القرى﴾

البيت لاشعر الجعفى فى سورة الانفال عند قوله تعالى ومن رباط الخيل تخصيص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى بالحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر ان الحصون البيت قال

انى وجدت الخيل عزا ظاهرا * ينجى من الغمى ويكشفن الدجى

ويبتن بالثغر المخوف طوالعا * ويثبن للصعلوك همة ذى الغنى

﴿أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله ومعناه عرض الآخرة على التقابل يعنى ثوابها وانما جاز للمشاكلة لان العرض بالتحريك متاع الدنيا وحطامها والدار الآخرة هى الحيوان وثوابها دائم والشاعر يخاطب امرأة أو نفسه أنه رجل ذو سماحة وشجاعة وكل نار ترين بالليل تظنين أنها نار قرى وخير والاستفهام فى ذلك للانكار والتنكير فى امرئ ونار للتعظيم ونحوه فى المعنى قول الآخر

ما كل نار ترى للسفر نار قرى * حقا ولا كل انسان بانسان

والبيت من أبيات الكتاب وتقديره وكل نار فناب ذكره فى أول الكلام عن اعادته فى آخره وانما قال ذلك هربا من العطف على عاملين وهما كل وتحسبين ﴿خل السبيل لمن يبنى المنار به * وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى فخلوا سبيلهم معناه اترك سبيل الرشاد لمن يطلبه ويعبره فهو أولى به فمن يهده الله فلا مضل له وابرز منه الى طريق الغى والضلال اذا اضطرك له قضاء وقدر فان من يضلل الله فلا هادى له فلا ينفع الحذر مما قضاه الله وقدره والبيت لجرير يهجو به عمر بن لجأ التيمى ﴿وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * عشية قارعنا جذام وحميرا﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حيث قالوا الساعة والعشية واليوم يستعمل فى معنى الزمان المطلق كما استعملت العشية فى البيت قال الاصمعى فى الامثال ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة قال والمعنى ليس كل ما أشبه شيأ ذلك الشئ وجذام بضم الجيم أبو هذه القبيلة فسميت به وأصل الجذم القطع والمعنى قلت لما التقينا مع جذام وحميران سبيلهم سبيل سائر الناس وانا نستغلبهم ونقهرهم فوجدناهم بخلاف ذلك فقال بعد ذلك فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه * ببعض أبت عيدانه أن تكسرا وقيل يصفهم بكثرة القرى والكرم ﴿اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى * يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر﴾

يجد فرسا مثل العنان وصارما * حساما اذا ما هز لم يرض بالهبر

وأسمر

وأسمر خطيا كأن كعوبه * نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

لحاتم الطائي في سورة التوبة عند قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة يعني استعملت الساعة هنا في الزمان المطلق كما استعمل اليوم كذلك لمطلق اليوم في قوله اذا جاء يوما الخ قوله يجد جمع كف يقال أعطيت فلانا جمع الكف أي ملء الكف وضربته بجمع كفي اذا جمعت كفك ثم وجأته بها ومن ذلك قول الفرزدق

ولن يقدم نفسا قبل ميتتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

غير ملأى غير ملآن والصفر الخالي والواحد والجمع والذكر والانثى سواء قوله يجد فرسا مثل العنان أي عربيا ضامرا او سيفا صارما أي قاطعا وسمي السيف حساما لانه يحسم الدم أي يسبقه فكأنه كواه والهبر القطع من اللحم هبرته أي قطعته قطعا كبارا والسمرة لون بين البياض والادمة والخط سيف البحرين والرماح الخطية منسوبة اليه قوله نوى القسب هو نوع من التمر معروف قد أربى أي زاد والربا الزيادة يعني يزيد كل ذراع من هذا الخطي على عشر كعوب وأنبوب أراد وصفه بالصلابة يقول اذا جاء وارثي يبتغي الميراث بعدي يجد من تركتي ما هو غير كثير ولا قليل وهو فرس ضامر وسيف صارم ورمح خطي وقد جزم المضارع في جواب اذا وهو قليل

﴿الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر﴾

في سورة هود عند قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها من حيث ان الاسم مقحم ويراد بالله اجراؤها وارساؤها أي بقدرته وأمره والكلام على هذه الآية من جهة كون الحال مفردا أو جملة وتعلق بسم الله ومجراها ومرساها ومحله من الاعراب وغير ذلك من النكات طويل الذيل قال صاحب التقريب هذه المسئلة من أمهات مسائل النحو وغيرها قيل ان لبيد بن ربيعة العامري كان له بنتان أسماء ويسرة فلما حضرته الوفاة قال

تمنى ابنتاي ان يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر

وفي ابني نزار عبرة ان سألتما * وان تسألاهم تلقيا فيهما الخبر * وفيمن سواهم من ملوك وسوقة * دعائم عرش خانه الدهر فانعقر فان حان يوما أن يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر * وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أهان ولا خان الامين ولا غدر الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * كناعيتين تندبان لعاقل * أخا ثقة لا عين منه ولا أثر فلما مات بالكوفة كانت ابنتاه اذا أصبحتا خرجتا عليهما ثيابهما ثم خرجتا الى مجلس بني جعفر بالكوفة فتندباه في غير افراط من الثناء ولا هجر حتى اذا مضى الحول كفتا

﴿لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت * فانما هي اقبال وادبار﴾

في سورة هود عند قوله تعالى انه عمل غير صالح حيث جعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقول الخنساء * فانما هي اقبال وادبار * وأوله

فما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار * لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت

فانما هي اقبال وادبار * يوما باجود مني يوم فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار

قوله فما عجول أي ناقة عجل عليها وطرد عن رأس ولدها ويراد بالعجول ناقة فقدت ولدها بنحر أو موت ويقال لامثالها من النوق المعاجيل أيضا ووجدهن يزيد على كل وجد والبو ولد الناقة وأصله جلد فصيل يحشى تبنا لتدر الام عليه لها أي لهذه الناقة حنينان لفراق ولد صغير وكبير لا تسأم الدهر أي لا تمل من الحنين اليه والدهر اقبال وادبار أي اقبال النهار وادبار الليل وبعكسه وقيل فانما هي ذات اقبال وادبار أو يكون فانما هي مقبلة ومدبرة أو جعلها الاقبال والادبار اتساعا كما قال تعالى الحج أشهر معلومات وقال ولكن البر من آمن بالله فجعلهم برا وجعل الاشهر حجا لوقوعه فيها وقالوا ولكن ذا البر وقالوا ولكن البر بر من آمن

﴿أليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار﴾

في سورة هود عند قوله تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها أي أمركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه فالواجب كسد الثغور والقناطر المبنية على الانهر المهلكة والمسجد الجامع في المصر والمندوب كالمساجد والقناطر والمدارس والربط والمباح كالبيوت التي يسكن فيها والحرام كابنية الظلمة وغيرهم وكانت ملوك فارس قد أكثرت من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في احياء أرض في آخر أمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل

أليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار

﴿رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا﴾

في سورة يوسف عند قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون قال في الكشاف عبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون

عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قال وقد عثرت على بيت أنشده المبرد فى كتاب الكامل رأيت رؤيا الخ وعبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه ونحوه أوّلت الرؤيا اذا ذكرت مآلها

أين كسرى كسرى الملوك أبو سا * سان بل أين قبله سابور

﴿ثم بعد الفلاح والملك والامّـة وارتهم هناك القبور﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى وادّكر بعد امة على القراءة بكسر الهمزة قال عدى ثم بعد الفلاح الخ أى ما أنعم عليه بالنجاة وفلاح الدهر بقاؤه والامة بكسر الهمزة النعمة يقول أين عظماء الملوك الذين كانوا فى النعمة والحبور سترتهم القبور ولا يدرى حالهم فى التراب ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قوله

ألا لا أرى ذا نعمة أصبحت به * فتتركه الايام وهى كما هيا

﴿دعوت لما نابنى مسورا * فلبى فلبى يدى مسور﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أى يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرنى ودعوته ليأكل معى ومنه قول الطغرائى

فقالت أدعوك للجلى لتنصرنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل

Tograi Lamiyyat al ajam v.14

يقول دعوت مسورا لينصرنى لما نابنى من الشدائد فقال لبيك أى قربا منك وطاعة من قولك لبيت بالمكان اذا أقمت به ثم ثنى لتاكيد أى أقمت عندك اقامة بعد اقامة واجابة بعد اجابة وقيل لبى يديك أى سلمت يداك وصحتا من لب بالمكان لزمه والمعنى دعوته فأجابنى فكأنه دعا له بأن يكون مجابا كما كان مجيبا أى فأجاب الله دعاءه ونصره نصرا واقحام اليد للمبالغة وفى تثنيتها لطف وترشيح وكان حقه أن يقول يداك فأراد ازدواج الكلام كما قالوا حياك وبياك واغماهو بواك وقائل الشعر أعرابى من بنى أسد قالوا وفى البيت شذوذ هو اضافته الى ظاهر وهو نادر لانه من الاسماء التى تلزم الاضافة الى مضمر وفى شرح الكشاف كتب ابن حبيب الكاتب فلبا الاولى بالالف والثانية بالياء على اضافتها الى يدى اضافة المصدر الى المفعول وصححه الصغانى ليعلم أن الاول فعل والثانى مصدر منصوب وعلامة النصب فيه الياء

﴿لولا الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى﴾

فى سورة الحجر عند قوله تعالى وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين كان هولاء من قبل فى سورة الحجر ... هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبون اليه الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع ونحو فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم الرشيد والشاهد فى لو ركبت مع لا وما المبينين معنى امتناع الشئ لوجود غيره ومعنى التحضيض كما قال ابن مقبل أى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتى الامم المكذبة برسلها والشاعر يخاطب رجلين ويقول لهما لولا الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

﴿يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى فاليه تجأرون والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة كما قال الاعشى يراوح الخ والمراوحة عملان فى عمل ذا مرة وذا مرة والصلاة بمعنى الدعاء يقول يراوح دعاء الله طورا يدعو فى السجود خفية وتارة يدعو جهارا وجؤارا وقبل البيت

وما آبلى على هيكل * بناه وصلب فيه وصارا

بأعظم منك تقى فى الحساب * اذا النسمات نفضن الغبارا

يقول وما راهب منسوب الى آبل وهو قيم البيعة على بيت صنم بناه وصور الصليب فى ذلك الهيكل وصار اليه يتابع من صلوات الله أى من دعواته من تراوح على قدميه فى الصلاة اذا اعتمد على احدى القدمين مرة وعلى الاخرى أخرى تارة يسجد سجودا وتارة يجأر جؤارا بأعظم منك تقى فى حساب يوم القيامة اذا انفضت النفوس الغبار عنهن عند البعث

مالك عندى غير سهم وحجر * وغير كبداء شديدة الوتر

﴿جادت بكفى كان من أرمى البشر﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفى كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا كبد القوس مقبضها وقوس كبداء أى غليظة الكبد بحيث يملأ مقبضها الكف جادت الضمير المؤنث المستتر يرجع الى كبداء وجادت من الجودة أى صارت جيدة وقوله بكفى كان من أرمى البشر أى بكفى رجل وفيه تجريد اذ أراد به نفسه وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة والصافات عند قوله تعالى

وما

ومامنا الا له مقام معلوم حيث حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أى مامنا أحد ومن غيره

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

تقديره كأنك جمل ومنه * والله ماليلى بنام صاحبه * أى برجل نام صاحبه

﴿ينازعنى ردائى أم عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر﴾

﴿لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع حيث نظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف وأراد به قائم سيفه وأما فى قول كثير * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه نظر فيه الى المستعار له حيث استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له ومن المقرر فى محله أن اللفظ ان قرن بما يلائم المستعار له فجرده كما فى بيت كثير * غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * وسيأتى أو بما يلائم المستعار منه فرشحه كما فى البيت المذكور قال الجوهرى رويدك الكاف للخطاب لا موضع له من الاعراب وتفسير رويد مهلا وتفسير رويدك أمهل قوله ودونك معناه خذ ومفعوله محذوف أى دونك المتنازع واعتجر منه بشطره الآخر والاعتجار الاعتمام والمراد بالشطر الذى ملكته يمينه قائم السيف وبالشطر الآخر صدره والمعنى ينازعنى هذا الرجل سيفى الذى أصون به نفسى وعرضى فقلت له أمهل فى هذه المنازعة لانى أقاسمك فى هذا الطرف الذى فى يمينى وهو قائم السيف فخذه فاعتجر بطرفه الآخر وهو صدره واستر به رأسك واقطع المعارضة وهذا يشبه قول الحماسى

لهم صدر سيفى يوم بطحاء سحبل * ولى منه ماضمت عليه الانامل

وقوله أيضا

تقاسمهم أسيافنا شر قسمة * ففينا غواشيها وفيهم صدورها

﴿انى لها مطية لاتذعر * اذا الركاب نفرت لاتنفر﴾

﴿ماحملت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة شكا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال مافعلت قال حججت بها على عاتقى قال ماجزيتها ولو طلقة واحدة وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمه ويقول

انى لها مطية لاتذعر * اذا الركاب نفرت لاتنفر

ماحملت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو مرة واحدة قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروى أن صبيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى هذا له مال كثير وانه لاينفق على من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد أنشأ فى ابنه أبياتا ما قرعت سمعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت أبياتا لم تسمعها اذناك فهات فقال الرجل زادنا الله بك ايمانا يارسول الله وأنشد

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أجنى عليك وتنهل

اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا باكيا أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعيناى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك وانها * لتعلم ان الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك اذ لم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

وسميتنى باسم المفند فعله * وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل

تراه معدا للخلاف كأنه * برد على أهل الصواب موكل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لابيك

﴿كل قتيل فى كليب غره * حتى ينال القتل آل مره﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى فلا يسرف فى القتل الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل أو ولا يقتل اثنين والقاتل واحد وكانوا فى الجاهلية اذا قتل واحد قتلوا به جماعة قال كل قتيل فى كليب الخ وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء والغرة عبدا أو أمة

﴿عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا أى بعدك يقال عفت الديار تعفو والعفا الدروس وخلافهم أى بعدهم والشواطب النساء اللاتى يشققن السعف للحصر والشطب سعف النخل الاخضر يصف دروس ديار الاحباب بعدهم غير مكنوسة كأنها بسط فيها سعف النخل

﴿بأرض فضاء ما يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر﴾

هو لزهير فى سورة الكهف عند قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وهو الفناء وقيل العتبة وقيل الباب ومنه بأرض فضاء الخ يصف اقامته فى البدو وافاضته للمعروف هنالك أى نزلت بأرض لا يسد بابها على ومعروفى بها واحسانى معروف ومشهور غير منكر عندهم

﴿داهية دهياء اذا امرا * قد لقى الاقوام منى نكرا﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم الداهية شدائد الدهر والدهياء مبالغة فى الشدة واذا أى منكرا وأمرا عظيما

﴿فان يك ظنى صادقا وهو صادقى * بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا﴾

البيت لكنزة أم شملة بن برد المنقرى فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض يقول ان يك ظنى بشملة صادقا يحبسهم أى القوم الذين قتلوا أباشملة بتلك المعركة محبسا وعرا يدرك فيه ثار أبيه والمراد بالظن الفراسة وقبل البيت

لهفى على القوم الذين تجمعوا * بذى السيد لم يلقوا عليا ولا عمرا

﴿أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض كنى عن نهود الثدى وثقل الروادف بذلك الردف الكفل والروادف جمعه والقمص جمع القميص يصفها بانها ناهدة الثدى أنيقة الخصر لطيفة البطن عظيمة الكفل فالثدى منع القميص أن يلتصق ببطنها والردف منع القميص أن يلتصق بظهرها فبين بالتفسير فى عجز البيت ما لفه فى صدره لانه لف فى المصراع الاول الخبرين ثم رمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد الى كل ماله والبيت من أبيات الحماسة وبعده

واذا الرياح مع العشى تناوحت * نبهن حاسدة وهجن غيورا

﴿انى أتتنى لسان لا أسر به * من علو لا كذب فيه ولا سخر﴾

جاشت النفس لما جاء فلهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

فى سورة مريم عند قوله تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ولسان الصدق الثناء وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية وأراد الشاعر الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم والبيت لاعشى باهلة وكان قد أتاه خبره قتل أخيه المنتشر قال فى الصحاح التأنيث للكلمة وجاشت غلت وفلهم فئتهم الذين نجوا من الهزيمة وتثليث اسم موضع ويعنى بالراكب المعتمر الناعى الذى جاء بنعى المنتشر

﴿بلغنا السماء مجدنا وسناءنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا عن النابغة الجعدى أنه لما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال له الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة بك يا رسول الله فقال لا يفضض الله فاك فعاش مائة وعشرين سنة وكان اذا سقط له سن نبتت وكانت أسنانه كالبرد أو كالبرد ولا يفضض الله فاك أى اسنان فيك ومجدنا وسناءنا مفعولان * والبادرة الكلمة تصدر حالة الغضب أى من لم يقمع السفيه استضعف وقبل البيت

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

﴿انى اذا مضر على تحدثت * لاقيت مطلع الجبال وعورا﴾

هو لجرير فى سورة مريم عند قوله تعالى أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا من قولهم اطلع الجبل اذا اطلع الى أعلاه كما فى البيت قال فى الكشاف يقولون مطلع الذلك الامر أى عاليه مالكه ولاختيار هذه الكلمة شأن والوعر المكان الصعب والوعور جمعه وهو مفعول لاقيت ومطلع الجبال ظرف أى اذا تحدثت على مضر على سبيل الغضب أو تقولت على ما لا أرتضيه لاقيت رؤس الجبال التى هى بمثابة الحصون وعورا لا أقدر على الطلوع اليها والتحصن بها منهم أو لاقيت فى مطلع الجبال وعورا تمنعنى منهم أو تمنعهم منى فلا يقدرون على ويجوز أن يكون حالا من الجبال على أن المطالع مصدر بمعنى الاطلاع وقد يجعل حالا من المطالع وكانه جعل متعددا لاضافته الى متعدد ولا يبعد فان لكل جبل مطلعا ويروى وعورا بفتح الواو وكان هذا القائل من أجل ذلك الوعيد رأى الحزم فى العزم على الهرب الى المكان البعيد

البعيد ورأى من الرأى أن يقتحم عقابا ووجد لغيظ مضر كل الناس غضابا كما وقع لدعبل الخزاعى لما هجا ابن هرون الرشيد لم يربدا من الهرب من بغداد الى أسوان وهى بلدة فى أعلى الصعيد فانهزم من بغداد وتسحب وخرج منها خائفا يترقب وأنشد

وان امرأ أضحت مطارح همه * باسوان لم يترك من الحزم معلما
حللت محلا يحسر الطرف دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

وقد تذكر محرره عند كتابة هذا المحل والحال قول من قال

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

فتعجب من غلو هذا القائل وعلو همة هذا المتناول وبالجملة ففرق بين المقامين وشتان ما بين اليزيدين وقد دل ذلك على اختلاف المطالع وشرف الطالع وعلى كل حال فلا تتساوى فى الاكف الاصابع ولاجل ذلك قيل

ولم أر امثال الرجال تفاوتت * لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

﴿غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر﴾
﴿كأن الثريا علقت فوق نحره * وفى أنفه الشعرى وفى خده قمر﴾

فى سورة طه عند قوله تعالى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فان القذف يقال للالقاء وللوضع كقوله وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله الخ رماه الله أى جعل فيه الحسن لان الرمى يستعمل فى معنى الالقاء يقال غلام يافع أى شاب والسيمياء العلامة

﴿انى وأسطار سطرن سطرا * لقائل يا نصر نصر نصرا﴾

هو لرؤبة فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى ان هذا الا أساطير الاولين السطر الصف من الشئ والسطر الخط والكتابة والجمع اسطار مثل سبب وأسباب كما فى بيت رؤبة ثم يجمع على أساطير وجمع السطر اسطر وسطور مثل أفلس وفلوس وقوله يا نصر نصر نصرا كقوله يا زيد زيد يدا فالرفع على اللفظ والنصب على الموضع ويجوز أن يكون نصر الثالث منصوبا على المصدر كأنه قال انصر نصرا

﴿لهن نشيج بالنشيل كأنها * ضرائر حرمى تفاحش غارها﴾

فى سورة النور عند قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الضمير فى لهن للقدور ونشيج أى صوت يقال طعنة ناشجة يسمع صوتها عند خروج الدم منها ونشج الباكى ينشج والقدر تنشج عند الغليان والنشيل لحم يطبخ بلا توابل أى يخرج ويجذب فعيل بمعنى مفعول والضرتان امرأتان للرجل والجمع ضرائر وسميتا بذلك لان كل واحدة تريد ضر صاحبتها والحرمى منسوب الى حرم مكة وتفاحش غارها أى أفرطت غيرتها والفاحش ما أفرط قبحه

﴿ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعنى على أسرارها﴾

فى سورة النور عند قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لهوت فأنا ألهو به أى لعبت من اللهو واللعب والطفلة بفتح الطاء المرأة الناعمة وطفلة الانامل رخصتها وميالة أى مختالة ويقال غصن ميال وبلهاء من البله وهى التى لا مكر فيها ولا دهاء وكذلك البله من الرجال فى قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله

﴿ما زال مذ عقدت يداه ازاره * وسما فأدرك خمسة الاشبار﴾
﴿يدنى خوافق من خوافق تلتقى * فى ظل معتبط الغبار مثار﴾

هو للفرزدق فى سورة النور عند قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم أى الصبيان والسن التى يحكم فيها بالبلوغ قال أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبعة عشر سنة فى الجارية وعامة العلماء على خمسة عشر سنة فيهما وعن على رضى الله عنه أنه كان يعتبر القامة وقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق فى قوله يمدح يزيد بن المهلب فى مرثية له وسما من السمو أى بلغ الرفعة وأدرك أى لحق وخمسة الاشبار يحتمل أن يكون مراده ارتفاع قامته وأن يكون موضع قبره من الارض كما قيل

عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفه جبل أشم كبير

وفى معناه بيت التهامى

جاورت أعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى
فالشرق نحو الغرب أقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار

﴿قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر﴾

فى سورة الفرقان عند قوله تعالى ويقولون حجرا محجورا وهى كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم وكسر الحاء يعرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما فى قعدك وعمرك

وعليه الرجز المذكور والحيدة الصدود وذعر خوف والحجر العوذ من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل ربي أن يمنع ذلك ويحجره حجرا

﴿ألكنى اليه وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر﴾

وهذا البيت لم يذكر فى شرح الشواهد عند قوله تعالى فى سورة الشعراء فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين حيث أفرد الرسول لانه يكون بمعنى المرسل أو بمعنى الرسالة فجعل فى قوله انا رسولا رب بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل فى الصفة بالمصادر نحو صوم وزور وقال الكنى الخ المألكة والالوكة الرسالة وكذلك المألك والمألكة بضم اللام فيهما وقالوا ألكنى أى تحمل رسالتى اليه قال أبو زيد ألكته أليكة والاكة اذا أرسلته قال لبيد

وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سأل

أرسلته فأتاه رزقه * فاشتوى ليلة ريح واحتمل

﴿وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر﴾

﴿رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر﴾

هو من أبيات الحماسة فى سورة النمل عند قوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك أى لما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد يعنى قبل أن يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت الشئ بين يديك قال بعض الحكماء من أرسل طرفه استدعى حتفه والرائد الذى يتقدم القوم فيطلب الماء والكلأ لهم ولذلك فى المثل الرائد لا يكذب أهله لانه ان كذبهم هلك معهم والمعنى اذا جعلت عينك رائدا لقلبك تطلب له الهوى والبلوى أتعبتك نظرك وأوقعك موارده فى أشق المكاره وذلك أنها تهجم بالقلب فى ارتيادها على ما لا تصبر فى بعضه على مذاقه مع تهيؤ اشتياقه ولا تقدر على السلو عن جميعه فهو يمتحن الدهر ببلوى ما لا يقدر على كله ولا يصبر عن بعضه والجناية فى ذلك للعين لكونها قائدة الفؤاد وسائقته الى الردى وهادية له أوفى الحب اليه ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف وصف برد الطرف فى قوله قبل أن يرتد اليك طرفك

﴿ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر﴾

﴿وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون يبصر بعضكم بعضا انهماكا فى المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله فبح باسم من تهوى البوح ظهور الشئ يقال باح ما كتم أى ظهر وباح به صاحبه أى أظهره وقوله ودعنى من الكنى يقال كنى فلان عن أمر كذا يكنى اذا تكلم بغيره

﴿تنظرت نصرا والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره﴾

هو للفرزدق فى سورة القصص عند قوله تعالى أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على حيث قرئ أيما بسكون الياء كما فى البيت قالوا أكثر ما يجئ ذلك فى الشعر كقول الشاعر

وكأن ردد ناعنكم من مدجج * يجئ امام القوم يردى مقنعا

وكقوله

وكائن اليكم قاد من رأس فتنة * جنودا وأمثال الجبال كتائبا

وقول جرير

وكائن بالاباطح من صديق * يرانى لو أصبت هو المصابا

تنظرت أى انتظرت والمنظور الذى يرجى خيره والسماكان نجمان السماك الاعزل وهو الذى لا شئ بين يديه والسماك الرامح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل اذا انصب شديدا ونصر اسم الممدوح ومن للبيان يقول انتظرت نصرا ونوء السماكين أيهما استهلت مواطره على من الغيث لانى لم أفرق بين نصر وبين السماكين فى الجود والضمير فى مواطره راجع الى أى والمواطر جمع ماطرة وهو بمعنى المطر وأيهما أصله أيهما فسكن الياء لضرورة الشعر وفيه حذف تقديره لاعلم أيهما فان كانت ما استفهامية فهو فى محل المفعول الاول وما بعده المفعول الثانى وان كان موصولا فهو المفعول وما بعده صلة ويكون العلم بمعنى المعرفة

﴿باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر﴾

هو لابن مقبل عند قوله تعالى فى سورة القصص أو جذوة من النار باللغات الثلاث بفتح الجيم وكسرها وضمها وكلها بمعنى واحد وكذلك جمعها مثلث وهو العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن وهى بلغة جميع العرب وليس المراد هنا الاما فى رأسه نار وحواطب ليلى الجوارى اللاتى يطلبن الحطب والجزل الحطب اليابس وما عظم منه وأنشد أحمد بن يحيى

فويه التدرك ويها لها * اذا اختير فى المحل جزل الحطب

والخوار الضعيف الذى لابقاء له على الشئ وهو فى كل شئ عيب الافى قولهم ناقة خوارة كثيرة اللبن ونخل خوارة كثيرة الحمل ولادعر بالدال المهملة مصدر من قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود دعر والدعر الكثير الدخان ويكون أيضا السوس ومنه أخذت الدعار وهو الفسق والخبث .

﴿وى كأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء الى قوله وى كأنه لا يفلح الكافرون وى مفصولة عن كأن وهى كلمة تنبه عن الخطا وتندم ونشب أى مال ويحبب جواب كان والمعنى اعلم أن الغنى محبوب فى الناس والفقير يعيش فى الناس عيش ذل وضر والمصراع الاول الى قوله يح وهو من الخفيف وقبله * سألتانى الطلاق أن رأتانى * قل مالى قد جئتمانى بنكر

﴿أرقت وصحبتى بمضيق عمق * لبرق من تهامة مستطير﴾

﴿سقونى الخمر ثم تكنفونى * عداة الله من كذب وزور﴾

﴿وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذى أثير﴾

فى سورة الروم عند قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا فان الفعل اما يقدر بأن كما فى قوله

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أى ان أحضر أو ينزل منزلة المصدر أو هو على حاله صفة لمحذوف أى انه يريكم البرق كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى منهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أى من آياته شئ أو سحاب يريكم البرق ويقال فى المثل آثر ذى أثير أى أول كل شئ مؤثر اله ومعناه قالوا ما تشاء فقلت ان ألهو واللهو الى الصبح آثر كل شئ يؤثر فعله فى الهو اضمار وانزال الفعل منزلة المصدر وبه فسر المثل سماعك بالمعيدى خير من ان تراه

﴿وكل خليل غير هاضم نفسه﴾

هو للشماخ فى سورة الروم عند قوله تعالى من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون أى كل منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا فالظاهر أنه خبر كل حزب وجوز الزمخشرى أن يرتفع وصفا الكل كقوله وكل خليل الخ قال أبو حيان قدر أولا فرحين مجرورا صفة لحزب ثم قال ولكنه رفع على الوصف لكل لانك اذا قلت من قولك كل رجل صالح جاز فى صالح الخفض نعتا للرجل وهو الاكثر كقوله

جادت عليه كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

وجاز الرفع نعتا لكل كقوله

ولت عليه كل معصفة * هوجاء ليس للبها زبر

برفع هوجاء صفة لكل وعجز البيت على مانقل عن المصنف * فبالصدو الاعراض عنه جدير * وفى رواية * لوصل خليل صارم أو مصادر * والمصادرة المجانبة يعنى كل خليل لا يكسر نفسه لصاحبه ولا يحتمل منه الاذى فى نيل وصاله يؤدى به ذلك الى الصرم والمجانبة وهذا من الابيات التى ذكر صدرها ولم يذكر عجزها وفى معنى البيت قوله

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأما من قابل الاساءة بالاحسان وعفا عفو الذهلى وقال القوم اخوان اختار ما هو الاولى والاحرى فى الاولى والاخرى وأحسن وتجمل وأغضى وتحمل وعلم أن العذر عند كرام الناس مقبول وعمل بقول من يقول

اذا ما بدا من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وعلى كل حال فلله در من قال (هو النابغة الذبيانى)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

﴿وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر﴾

فى سورة لقمان عند قوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختر أشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر يريد المبالغة فى وصف غدر أبى عمير روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا عد بأصابع يده اليمنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبأصابع يده اليسرى اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى واجبرنى فقال له صلى الله عليه وسلم ملأت يديك خيرا فعلى القياس من عد معايب أحد بأصابع يده ملأ يديه شرا فكان القائل ينبه ان فى أبى عمير عشرا من الاخلاق الذميمة

﴿ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها﴾

هو من أبيات الحماسة وبعد البيت نقاسمهم أسيافنا شر قسمة * ففينا غواشيها وفيهم صدورها
فى سورة السجدة عند قوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها والمعنى أن الاعراض عن قبيل آيات الله فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل بعد التذكير بها مستبعد جدا كما فى البيت فانه استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها أى لا يكشف الخصلة الشديدة الا رجل كريم يرى فخم الموت ثم يتوسطها لا يعدل عنها وانما قال ابن حرة ليصير مهيجا لأنفته وفى ايثار لفظ الزيارة واشعاره بأنه يلاقيها القاء معظم لمحبوبه من المبالغة ما لا يخفى وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الجاثية عند قوله تعالى ثم يصر مستكبرا من حيث ان معنى ثم الايذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شئ مستبعد فى العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا فى العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها

﴿أيادى سبايا عز ما كنت بعدكم * فلم يحل للعينين بعدك منظر﴾

هو لكثير عزة فى سورة سبأ عند قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان الى آخر الآية فانهم لما عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة جعلناهم أحاديث ومزقناهم فى البلاد فصار يضرب بهم المثل فيقال تفرقوا أيدى سبأ وذهبوا أيدى سبأ قال الشاعر

ألموا بدار فرق الدهر أهلها * أيادى سبا فى شرق أرض ومغرب

يا عز أصله يا عزة وهى اسم معشوقته وما للدوام والحلو من الرجال والنساء ما تستحليه العين تقول حلى بعينى حلاوة والمراد بالايدى الاولاد لان الاولاد أعضاد الرجل لتقويه بهم وفى المفصل ان الايدى الانفس كناية أو مجاز واستشهد به على أنه أجرى مجرى المثل ولهذا استعمل فى المفرد

﴿تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الامور أمور﴾

فى سورة سبأ عند قوله تعالى وأنى لهم التناوش قوله نئيشا أى أخيرا من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت يقول ان صاحبى تمنى أخيرا أن يكون أطاعنى فيما نصحته وأشرت اليه أولا والحال أنه قد حدثت أمور بعد أمور دلت على رشادى وصدق رأيى

﴿ومشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا﴾

هو لجرير فى سورة الملائكة عند قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على تقدير أن يكون حسرات حالا على المبالغة كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها كقوله فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام وكونها حالا هو قول سيبويه ويجوز أن يكون حسرات مفعولا له أى لاجل الحسرات وعليهم صلة تذهب ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم على صلته يقال فرس ممشوق فيه طول وقلة لحم وجارية ممشوقة حسنة القوام قليلة اللحم حتى ذهبن أى رجعن والكلاكل الصدور يعنى أن كثرة السير فى الهواجر والسرى فى الدياجر برى لحم تلك الآبال بسرعة

دعوت الهى دعوة ما جهلتها * وربى بما تخفى الصدور بصير

﴿لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لافقر منى اننى لفقير﴾

فما أكثر الاخبار أن قد تزوجت * فهل يأتينى بالطلاق بشير

فى سورة يس عند قوله تعالى وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم أى بليغ فى بابه وفى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه لا صراط أقوم منه ونحو أفعل فيه ما فى قول كثير اننى لفقير أراد اننى لبليغ فى الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وقوله يهدى اما من الاهداء وهو الاتحاف أو من الهداء وهو الزفاف وقوله أنيابها العلى يريد بها الشريفة العالية الشأن ويجوز أن يراد بها الاعالى من الاسنان لانها موضع القبل وقوله اننى لفقير والمعنى ان كان يعطى برد أنيابها أو طيب رضابها لمن هو أفقر منى اليها فاننى لفقير مطلقا أى لا غاية وراء فقرى ومعنى البيت الاخير كثر فى أفواه الناس الاخبار بتزوجها واشتغالها ببعلها عن غيره فهل يأتينى بشير بتطليقها وهذا ليس باستفهام وانما هو تمن وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة الطارق عند قوله تعالى انه على رجعه لقادر

﴿أصبحت لا أملك السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا﴾

والذئب أخشاه ان مررت به * وحدى وأخشى الرياح والمطرا

قائله الربيع بن منيع قال أبو حاتم كان من أطول ممن كان قبل الاسلام عمرا عاش ثلثمائة وأربعين سنة ولم يسلم وقال حين بلغ مائة وأربعين سنة أصبح منى الشباب مبتكرا * ان ينأ عنى فقد ثوى عصرا فارقنا قبل أن نفارقه * لما قضى من جماعنا وطرا وبعده البيتان فى سورة يس عند قوله تعالى فهم لها مالكون اذ فسر قوله لها مالكون أى ضابطون قاهرون كقوله أصبحت لا أملك السلاح

السلاح الخ أي لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها سئل أبو المهزم كيف أصبحت فأنشد البيتين

لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

في سورة يس عند قوله تعالى فهم لها مالكون وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره والخسف الذل والجرير حبل يتخذ للبعير كالعذار للدابة وليس الزمام وبه سمي الرجل جريرا والهراوى جمع هراوة وهي العصا والمعنى ترى البعير مع عظمه وقوته مالم يصحب عظم اللب وقوة التمييز لم يستغن بما أعطى من ذلك بل تراه مسخرا للصبي على وجه التذلل وان الوليدة تضربه أوجع الضرب فلا انكار منه ولا ذهاب عنه ولا تغير اليه ولا نكير لديه حكي عن عبد الملك بن مروان أنه كان يحب النظر الى كثير عزة فلما ورد عليه اذا هو حقير قصير تزدريه العين فقال عبد الملك تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال مهلا يا أمير المؤمنين فانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان وأنا الذي أقول

وجربت الامور وجربتني * وقد أبدت عريكتي الامور * وما تخفى الرجال علي اني * بهم لأخو مثاقبة خبير
ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد مزئير * ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينها كرم وخير * بغاث الطير أطولها جسوما * ولم تطل البزاة ولا الصقور
* وقد عظم البعير بغير لب * الى آخر الابيات وبعدها

وعود النبع ينبت مستمرا * وليس يطول والقصباء خور
لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى أنتم آل أبجرا

هو للابيوردي في سورة الصافات عند قوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون يقال أنزف القوم اذا انقطع شرابهم أي صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح أي دخل في القشع ونزف منه الدم اذا خرج منه دم كثير حتى يضعف ونزف الرجل في الخصومة اذا انقطعت حجته يخاطب أهل أبجر ويقسم ويقول بئس الندامى أنتم سكرى أو صاحين

جذبا لوفاق لمشتاق الى سهره * (ان لم تجد لحديث تما على قصره)

في سورة ص عند قوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب من جهة ان ما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس

ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

في سورة ص عند قوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن الذي يقف على طرف سنبك يد أو رجل وأما الضافن بالضاد فالذي يجمع بين يديه أي كأنه من جنس ما يقوم على ثلاث قوائم حال كونه مكسور القائمة الاخرى قال ابن الحاجب في أماليه هذا البيت يوهم أن كسيرا اخبار لكان في المعنى أو يسبق الى الفهم أنه يشبهه لشدة رفعه احدى قوائمه بكسيرا وأن قوله مما يقوم على الثلاث بقرب سبب تشبيهه به فكأنه قال كسيرا من أجل دوام قيامه على الثلاث ويلزم على هذا أن يكون نصب كسيرا كذا فينبغي أن يطلب له وجه يصح في الاعراب ولا يخل المعنى فنقول ان أخبر بقوله مما يقوم وما بمعنى الذي فكأنه قال كأنه من الخيل الذي يقوم على الثلاث وكسيرا حال من الضمير وذكر يقوم اجراء له على لفظه أي يشبه بالخيل الذي يقوم على الثلاث في حال كونه مكسورا احدى قوائمها فاستقام المعنى المراد على هذا ووجب نصب كسيرا على الحال ولا يستقيم أن يكون خبر يزال وأطال الكلام في توجيه ذلك

ان العفاة غدوا ببابك عكفا * (لم يبرحوا ان العطاء يسار)

في سورة ص عند قوله تعالى وآخرين مقرنين في الاصفاد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك وقال المتنبي

وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ان العفاة بالسيوب قد غمر * (حتى احزألت زمر بعد زمر)

في سورة الزمر عند قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الزمر الافواج المتفرقة بعضها في أثر بعض ومنه قيل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة والسيوب جمع سيب وهو الركاز القليلة مثل فلس وفلوس والسيب العطاء ومنه قول أبي الطيب

ومن الخير بطء سيبك عني * أسرع السحب في المسير جهام واحزأل بالحاء المهملة ارتفع في السير
واذا ما أشاء أبعث منها * آخر الليل ناشطا مذعورا

فی سورة حمعسق عند قوله تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فی دخول اذا على المضارع كما تدخل على الماضی قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قدير وقوله واذا ما أشاء أبعث منها الخ والمذعور من الذعر وهو الفزع منها أی من المطية ومن تجريدية والناشط الثور الوحشی يخرج من أرض الى أرض يعنی لو أريد أبعث ناقتی للسير حتى تسرع كانها ناشط مذعور وانما قال مذعور لانه اذا خوف كان أسرع سيرا

Diwan d'El Khansa XXVI, 15,17

﴿وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار﴾

﴿أغر أبلج تأتم الهداة به * كأنه علم فی رأسه نار﴾

هو للخنساء فی أخيها صخر فی سورة الرحمن عند قوله تعالى وله الجوار المنشآت فی البحر كالاعلام كانها تقول انه اذا دخل فی الشتاء والشدة ينحر الابل كثير الاضياف والاغر الابيض والابلج الطلق الوجه المعروف والهادی من كل شیء أوله ولذلك قيل هوادی الخيل اذا بدت أعناقها لانها أول الشیء من أجيادها كانه علم أی رأس جبل أی كانه فی الظهور والوضوح جبل فی رأسه نار

﴿وأقرنت ما حملتنی ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر﴾

فی سورة الزخرف عند قوله تعالى سبحان الذی سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتنی الخ أقرن الشیء اذا أطاقه وحقيقته اقترنه وجده قرينه وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينه الضعيف وصد صدودا اذا أعرض والهجر ترك ما يلزمك تعاهده يقول قلما يطاق احتمال الصد والهجران معا وقد أطقت ذلك

Diwan de Hatim Tai LXIX

﴿ناری ونار الجار واحدة * واليه قبلی تنزل القدر﴾

﴿ما ضرنی جار أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر﴾

﴿اعشو اذا ما جارتی برزت * حتى يواری جارتی الخدر﴾

هو لحاتم الطائی فی سورة الزخرف عند قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن اذا صدرت عن الشیء الى غيره قلت عشوت عنه ومنه الآية وهذا أظهر من قول الحطيئة * متى تأته تعشو الى ضوء ناره * لانه قيد بالوقت وأتى بالغاية وما هو خاق لا يزول أخبر عن نفسه بحسن المجاورة وأن جاره آمن فی كل أسبابه فی نفسه وأهله وماله كما قال النبی صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن جاره بوائقه وقوله اعشو أی انظر نظر العشی وما زائدة * ومن عفة حاتم ما روى أبو عبيدة قال خرج رجل من بنی علی وكان مصاحبا لحاتم فأوصى حاتما بأهله وكان يتعاهدهم فاذا جزر بعث اليهم من أطايبها وغير ذلك فراودته امرأة الرجل فاستعصم فلما قدم زوجها أخبرته ان حاتما أرادها فبلغه ذلك من قبل امرأته فأنشأ يقول

Diwan de Hatim Tai, XXVI v.16,17 (XLII)

وما تشتكينی جارتی غير أننی * اذا غاب عنها زوجها لا أزورها سيبلغها خيری ويرجع بعلها * اليها ولم تسبل علی ستورها

فلما سمع الرجل ذلك عرف أن حاتما بریء فطلق امرأته * ومما يجری مجرى هذه الابيات ويقاربها فی المعنى قول بعضهم (هو حميد بن ثور الهلالی)

وانی لعف عن زيارة جارتی * وانی لمشنوء الى اغتيابها * اذا غاب عنها بعلها لم أكن لها * زؤورا ولم تنبح علی كلابها

وما أنا بالداری أحاديث بيتها * ولا عالم من أی حوك ثيابها * وان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ومما نحن فيه أيضا قول حاتم أيضا

Diwan de Hatim Tai LXII, 5,6

اذا ما صنعت الزاد فالتمسی له * أكيلا فانی لست آكله وحدی

وانی لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما فی الا تلك من شيمة العبد

ان يسئلوا الخير يعطوه وان جهدوا * فالجهد يخرج منه طيب أخبار

هينون لينون ايسار ذو وكرم * سواس مكرمة أبناء ايسار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون من ماری باكثار

﴿من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التی يسری بها الساری﴾

هی لعبيد بن العرندس فی سورة الزخرف عند قوله تعالى وما نريهم من آية الا هی أكبر من أختها أی بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فی شیء منها أولا وهی مختصة بضرب من الاعجاز وليس فی هذا الكلام تناقض من حيث يلزم أن تكون كل آية من الآيات فاضلة ومفضولة فی حالة واحدة لان الغرض من هذا الكلام أنهن موصوفات بالاكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعلى ذلك بنى الناس كلامهم فيقولون رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض * ومنه بيت الحماسة من تلق منهم الخ وهذا كما فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت

مراتبهم

مراتبهم متدانية قليلة التفاوت شكاتهم ان كنت اعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها وعلى العكس من هذا قوله

ولم أر امثال الرجال تفاوتت * لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

Diwan d. Djarir I. 141

﴿نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا﴾

﴿حملت أمرا عظيما فاصطبرت له * وقمت فيه بأمر الله يا عمرا﴾

﴿الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا﴾

فى سورة الدخان عند قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وفيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السماء والارض وكانت العرب اذا مات رجل خطير قالت فى تعظيم هلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير * تبكى عليه نجوم الليل والقمرا * وهو يرثى به عمر بن عبد العزيز وقوله والقمرا مفعول معه أى مع القمر وقيل نجوم الليل بالنصب أى ليست بكاسفة نجوم الليل وقدم تبكى عليك بين فعل الشمس ومفعولها ومعناه تبكى عليك لشمس

﴿أليس ورائى ان تراخت منيتى * أدب مع الولدان ازحف كالنسر﴾

هو لعبيد فى سورة الجاثية عند قوله تعالى من ورائهم جهنم أى أمامهم لانهم فى الدنيا والوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام وههنا بمعنى قدام وكذلك فى قوله تعالى من ورائهم جهنم وقوله وكان وراءهم ملك وتراخت تباعدت وأدب امشى على هينة وتؤدة والصبى يزحف على الارض قبل أن يمشى اذا حبا والنسر طائر قال شارح الابيات والمصراع الاول من قول لبيد بن ربيعة وقوله هكذا

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

اخبر اخبار القرون التى مضت * أدب كانى كلما قمت راكع

وهو من قصيدة طويلة أولها

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع * وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وآخرها

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

﴿وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا﴾

Kosegarten Aghani VII. 145

هو للاعشى عند قوله تعالى فى سورة القتال حتى تضع الحرب أوزارها أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وسميت أوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها كما قال

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

﴿قصيدة رائقة صوغتها * أنت لها أحمد من بين البشر﴾

فى سورة الحجرات عند قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى واللام هى التى فى قولك أنت لهذا الامر أى كائن له ومختص به ومنه قول الانبياء لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فى الموقف للشفاعة أنت لها ومنه قوله قصيدة أنت لها الخ وأحمد يجوز أن يكون اسم على أى يا أحمد ويجوز أن يكون الالف للتفضيل

﴿اقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر﴾

فى سورة ق عند قوله تعالى فنقبوا فى البلاد على تقدير القراءة بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينقب خف البعير والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم أو حفت أقدامهم ونقبت والنقب أول الجرب وجمعها نقب والدم يبس وحكة تظهر على الابل قيل شكا بعض الاعراب الى عمر رضى الله عنه نقب ابله وعجزه عن المشى الى الغزو فلم يصدقه وأعطاه شيئا من الدقيق ولم يعطه الظهر فولى وهو يرتجز به فأعطاه الظهر أيضا وبعده * اغفر له اللهم ان كان فجر

﴿تدلى عليها بين سب وخيطة * تدلى دلو المائح المتشمر﴾

فى سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى فتعلق عليه فى الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالى الثمر المعلق قال تدلى عليها الخ ويقال هو مثل القرلى ان يرخيرا تدلى وان لم يره تولى والسب الحبل والخيط السلك والماتح المستقى والمائح الذى يملأ الدلو من أسفل البئر يقول أرسل نفسه فى تلك المهواة بين الحبل والسلك كما يرسل المائح المتشمر دلوه فى البئر الشاعر يصف مشتارا والضمير فى عليها للعسل لانه يذكر ويؤنث والمشتار من شار العسل واشتارها اجتناها

﴿ومن كل أفنان اللذاذات والصبى * لهوت به والعيش أخضر ناضر﴾

فى سورة الرحمن عند قوله تعالى ذواتا أفنان ولهوت من اللهو وهو ما يشغلك من طرب وهوى يقال لها يلهو لهوا والعيش أخضر كل شئ طرى غض فهو أخضر وناضر من نضر الورق والشجر والوجه نضرة ونضور اونضارة فهو ناضر أى حسن والواو فى والعيش للحال

﴿انا أبو النجم وشعرى شعرى) * لله درى ما أجن صدرى

فى سورة الواقعة عند قوله تعالى والسابقون السابقون أى السابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم والتأويل الثانى والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة أو السابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمته وقائله أبو النجم يريد أنا المشهور بكمال الفصاحة ووفور البلاغة وان شعرى هو المعروف بالاعجاز فى حسن النظم والبراعة وما انتهى اليك من فصاحته و براعته

﴿اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا﴾ Hatim Tai Diwan XLIX.9

فى سورة ن عند قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أخو الحرب من يباشر الحرب كثيرا والعض التناول بالاسنان وفرس عضوض والتشمير مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب يعنى هو يباشر الحرب بمثل ما يباشره من الشدة والصعوبة ويمارسها بمثل ما يمارسه ولا يتركها بحال تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم يحتاج فيه الى جد وجهد ومعاناة ومقاساة للشدة شمر عن ساقك وهذا جائز فى اللغة وان لم يكن للامر ساق

﴿عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر﴾

فى سورة الحاقة عند قوله تعالى هلك عنى سلطانيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أغيظ الناس رجلا على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الاملاك ولا ملك الا الله عن كياخسر والملقب بالعضد أنه قال ان القائل لما قال هذا ما أفلح بعده وجن ومات لا ينطق لسانه الا بهذه الآية

﴿تقول مالاحك ياسافر * يابنت عمى لاحنى الهواجر﴾

فى سورة المدثر عند قوله تعالى لواحة للبشر من لوح الهجير قال تقول مالاحك الخ وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل لاح من لاح الهجير وهو تغييره وتسويده وهجر القوم تهجيرا اذا ساروا فى الهاجرة لانه يقطع فيه السير وأهجر القوم اذا ساروا فى ذلك الوقت قال الراجز فلا تلوموني ولوموا جابرا * فجابر كلفنى الهواجرا

﴿لا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى أفر﴾ Diwan D. Jurnass Qais XIX.1

فى سورة القيامة عند قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة حيث أدخل لا النافية على فعل القسم وهو مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس لا وأبيك الخ وفائدتها توكيد القسم كانهم أنكروا البعث فقال لا أدرى أى ليس الامر على ما ذكرتم ثم أقسم بيوم القيامة قوله ابنة العامرى بحذف حرف النداء يريد يا ابنة العامرى انى لا أفر من الحرب البتة واشتهرت بانى ملازم الحرب ولا أفر منها بحيث لا يقدر أحد أن يدعى أنى أفر من الحرب والحال ان كندة حولى

﴿فى بئر لاحور سرى وما شعر﴾

فى سورة القيامة عند قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة من حيث زيادة لا قبل فعل القسم الحور بالضم الهالكة ويقال حور فى محارة فلان مثل يضرب للرجل المتحير فى أمره أى ضل فى ضلاله قال أبو عبيد المعنى فى بئر حور ولا زائدة وقال فى الحواشى حور جمع حائر من حار اذا هلك ونظيره قيل فى جمع قائل قال الاعشى * انا لامثالكم يا قومنا قيل * وكذلك نزل فى نازل وقرح فى قارح وهو الفرس الذى طلع نابه والمعنى سرى فى بئر الهلاك والضلال وما علم واستشهد بان لا زائدة مثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب

﴿أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر﴾ Hatim Tai Diw. XXXI.3

هو لحاتم فى سورة القيامة عند قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى النفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم أماوى الخ وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء وماوى اسم المرأة وهى فى اللغة المرآة شبهت بالماء لصفائها والنسبة الى الماء ماوى ومائى كما يقال فى النسبة الى الكساء كسائى وكساوى والحشرجة تردد صوت النفس والثراء الغنى والثروة والضمير فى حشرجت للنفس وان لم يجر لها ذكر كالضمير فى قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى وروى عن عائشة رضى الله عنها انه لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه قالت * لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * البيت فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لا تقولى هذا يا بنية وقولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد

﴿وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر﴾

فى

فى سورة الانسان عند قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر اعتكر الليل اذا تراكم ظلامه واعتكرت الريح اذا جاءت بالغبار والزمهرير القمر فى لغة طئ يقول رب ليلة شديدة الظلمة قطعتها بالسرى والحال أن القمر ما طلع وما أضاء قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل هو القمر

VI, 103

﴿كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا﴾

هو للاعشى فى سورة الانسان عند قوله تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه كما قال الاعشى كان القرنفل الخ والارى العسل والمشور من شرت العسل شورا والشور موضع النحل الذى يعسل فيه ﴿وكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر﴾

قاله المسيب بن علس فى سورة الانسان عند قوله تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا قال الزمخشرى وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته فى العربية تكلف وابتداع انتهى يصف الشاعر طيب رضاب محبوبته وسلافة الخمر أول ما يخرج من عصرها ﴿جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر﴾

للحسن بن على الطوسى فى سورة عم عند قوله تعالى وجنات ألفافا أى ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخفاف وقيل الواحد لف كما قال جنة لف الخ ويقال حديقة لفاء وحدائق لف وافية يصف الشاعر طيب الزمان والمكان وكرم الاخوان والغدق الماء الكثير والندامى جمع الندمان يقال نادمنى فلان على الشراب فهو نديمى وندمانى وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى وبيض أى حسان ورجل أزهر أى أبيض مشرق الوجه ﴿أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار﴾

فى سورة والنازعات عند قوله تعالى ائنا لمردودون فى الحافرة قال فى الكشاف ان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى جاء منها فحفرها أى أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضى أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أى الى طريقته وحالته الاولى قال أحافرة الخ كان القائل يقول على سبيل الانكار أأرجع بعد الصلع والشيب الذى هو زمان الأناة والوقار الى ترف الصبا وجهله ثم قال على طريق الاستبعاد معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد

XI, 74

﴿تقضى البازى اذا البازى كسر * أبصر خربان فضاء فانكدر﴾

هو للعجاج يمدح عمر بن معمر التيمى فى سورة التكوير عند قوله تعالى واذا النجوم انكدرت انقضت ومنه البيت ويروى فى الشمس والنجوم أنها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم تقضى أصله تقضض وكذلك حكم التضعيف فانه يبدل منه حرف العلة نحو تظنيت فى تظننت وخربان جمع خرب وهو طائر ويقال له حبارى أيضا وانكدر البازى اذا انقض وكذلك النجم قال تعالى واذا النجوم انكدرت والباغ يستعمل فى الكرم يقول اذا الكرام ابتدر وافعل المكارم بدرهم أى أسرع كانقضاض البازى على الحبارى وقبل البيت

XI, 73, 75, 74

اذا الكرام ابتدروا الباغ بدر * تقضى البازى اذا البازى كسر
دانى جناحيه من الطود فمر * أبصر الخ

﴿ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر﴾

فى سورة المطففين عند قوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك أى جنيت لك ويجوز أن يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل والموزون أكمؤ جمع كمأة وعساقل جمع عسقل وهو نوع جيد من الكمأة وبنات الاوبر نوع ردئ منها ويضرب المثل بها فيقال ان بنى فلان بنات أوبر يظن أن فيهم خيرا ولا خير فيهم

﴿اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر﴾
﴿سيبقى له فى مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر﴾

فى سورة الطارق عند قوله تعالى يوم تبلى السرائر ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد * سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا * الخ فقال ما أغفله عما فى السماء والطارق قال أبو القاسم النوابادى المحبة مجانبة السلو على كل حال وقريب من معناه فاذا وجدت له وساوس سلوة * شفع الضمير لها الى فسلها أى سل وساوس السلوة من قلبى

﴿ثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر﴾

فى سورة والضحى عند قوله تعالى ماودعك ربك حيث قرئ ماودعك بالتخفيف يعنى ماتركك قال صاحب الصحاح ولا يقال منه ودعه كما لا يقال من المعسور والميسور عسره و يسره وقولهم دع ذا أى اتركه أصله ودع يدع وقد أميت ماضيه لا يقال ودع وانما يقال تركه ولا وادع ولكن تارك وربما جاء فى ضرورة الشعر ودعه فهو مودوع على أصله وقال ليت شعرى ياخليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه وقال خفاف بن ندبة اذا ما استحمت أرضه من سمائه * جرى وهو مودوع وواعد بصدق أى متروك لا ينصرف ولا ينزجر والوديعة واحدة الودائع انتهى قال فى المصباح المنير قال بعض المتقدمين وزعمت النحاة أن العرب أماتت ماضى يدع ومصدره واسم الفاعل منه وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبى عبلة و يزيد النحوى ماودعك ربك بالتخفيف وفى الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجماعات أى عن تركهم فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ونقلت من طريق القراء فكيف تكون اماتة وقد جاء الماضى فى بعض الاشعار وما هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ولا يجوز القول بالاماتة انتهى والفرائس جمع فريسة وهى صيد الاسد والمثقفة الرماح والسمر جمع أسمر وهو لون بين البياض والادمة يعنى فى ذلك العام تركنا الين فرائس الرماح أى مجروحين مغلوبين

﴿انى رأيت الضمد شيأ نكرا * لن يخلص العام خليل عشرا﴾
*ذات الضماد أو يزور القبرا

فى سورة التكاثر عند قوله تعالى حتى زرتم المقابر قيل أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وصرتم منفقين أعماركم فى طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لاهم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل لن يخلص العام الخ الضمد أن يكون للمرأة خليل والنكر المنكر وخليل أى زوج وعشرا أى عشر ليال وعشرا بكسر العين أى معاشرة والمعنى لن يخلص خليل ذاق طعم الضماد عشر ليال الى أن يموت و يزور القبر أى الى الممات لصعوبة ذلك على النفوس الابية لا سيما على رواية خليل بالمهملة عن الازهرى أى لا يدوم رجل على امرأة ولا امرأة على زوجها الا قدر عشر ليال للغدر فى الناس فى هذا العام لانه رأى الناس كذلك فى ذلك العام فوصف ما رأى

﴿وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا﴾

هو للكميت فى سورة الكوثر وهو فوعل من الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال الكميت وأنت كثير الخ والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير

﴿حرف الزاى﴾

﴿اذا لقيتك عن شحط تكاشرنى * وان تغيبت كنت الهامز اللمزه﴾

وقيل أوله * ترى لودى اذا لاقيتنى كذبا * وهو لزياد الاعجم فى سورة الهمزة و بناء فعلة بفتح العين يدل على أن ذلك عادة منه ونحوه الضحكة واللعنة وعن شحط أى بعد وتكاشر كشر عن أسنانه أبدى يكون فى الضحك وغيره والهمز الكسر واللمز الطعن وهو الذى يكيد الناس و يطعن فيهم وفى اعراضهم وقيل فى تفسير قوله ويل لكل همزة لمزة كل طعان عياب مغتاب للمرء اذا غاب وحكى بعض الرواة أن اعرابيا قيل له أتهمز الفأرة قال تهمزها الهرة فأوقع الهمز على الاكل قال تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ولكان الهمز أوقع على الاكل لما كان غيبة ولذلك قال * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *

﴿حرف السين﴾

﴿تنادوا بالرحيل غدا * وفى ترحالهم نفسى﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الم ذلك الكتاب برفع الرحيل على أنه مبتدأ خبره غدا كقولك القتال يوم الجمعة أى فيه فان الحكاية ان تجىء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى وروى نصب الرحيل على أنه مصدر أو مفعول به أى ارحلوا الرحيل أو الزموه فحكى الرفع والنصب بعد الباء وروى مجرورا فلا حكاية وفى ترحالهم نفسى أى هلاكها أو جعل نفسه وروحه فى ترحالهم فاذا ارتحلوا فارقوا فارقته وقيل أراد بنفسه محبوبه

﴿وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك

﴿اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه

﴿ومابال نفسك ترضى أن تدنسها * وثوب دنياك مغسول من الدنس﴾

﴿ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لاتجرى على اليبس﴾

فى سورة العنكبوت عند قوله تعالى ونعم أجر العاملين وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لاتجرى على اليبس

وفى كتاب أدب الدنيا والدين ان البيت لابى العتاهية وقبله

لا يأمن الموت لا لحظ ولا نفس * وان تترست بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت نافذة * لكل مدرع منا ومترس

مابال دينك ترضى أن تدنسه * وثوب دنياك مغسول من الدنس

﴿سوى أن العتاق من المطايا * أحسن به فهن اليه شوس﴾

هو لابى زبيد الطائى وقبله

فباتوا يدلجون وبات يسرى * بصير بالدجى هاد غموس

الى ان عرسوا وأغب منهم * قريبا مايحس له حسيس

فى سورة النساء عند قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا وقرأ ابن مسعود فان أحستم بمعنى أحسستم الادلاج بالتخفيف سير أول الليل وبالتشديد سير آخر الليل والغموس القوى الشديد والمراد به الاسد والعتاق النجيبات من الابل وشوس جمع أشوس وشوساء وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه وأحسن أصله أحسسن نقلت فتحة السين الى الحاء ثم حذفت أحسست بالخبر أيقنت به وقيل ظننت ووجدت وهو نظير قوله وعزنى فى الخطاب فى قراءة وعزنى بالتخفيف قال ابن جنى حذف الزاى الواحدة تخفيفا كما قال الشاعر أحسن به يريد أحسسن يصف قوما يسيرون والاسد يطلب فريسته وهو المراد بالبصير فى الدجى

﴿بقيت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس﴾

﴿ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس﴾

هو للاشتر النخعى فى سورة المائدة عند قوله تعالى غلت أيديهم قال الزمخشرى فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ماتقدم والاتنافر الكلام وزال عن سننه قلت يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم كما فى البيت فانه دعا على نفسه بالبخل وتبقية المال الكثير وعدم انفاقه فى وجوه المحامد ومعالى الامور ان لم يشن الغارة ولم يفرقها من كل أوب وصوب على معاوية بن صخر بن حرب ولم يقل على ابن صخر لكون حرب أشهر آبائه وأليق بالمقام بحسب معناه الاصلى حتى كانه كناية عن ملازمته للحرب كابى لهب عن الجهنمى

﴿وانحلبت عيناه من فرط الاسى * وكيف غربى دالج تبجسا﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى فكيف آسى على قوم كافرين والاسى شدة الحزن فانه عليه الصلاة والسلام اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ماينزل بهم انحلبت عيناه أى سال دمع عينيه والوكف القطر وغربى تثنية الغرب وهو الدلو العظيمة والدالج بالجيم الذى يأخذ الدلو من البئر فيفرغها فى الحوض وتبجسا أى انفجرا بسعة وكثرة يقول سال دمع عينيه من شدة الحزن ووكفتا وكيف دلوى دالج تفجرا وسال منهما الماء

﴿فلم أر مثل الحى حيا مصبحا * ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا﴾

﴿أكر وأحمى للحقيقة منهم * وأضرب منا بالسيوف القوانسا﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا والبيت للعباس بن مرداس السلمى والحى المصبح هو زبيد من اليمن جمع العباس من جميع بطون بنى سليم ثم خرج بهم حتى صبح على بنى زبيد بتليث من أراضى اليمن بعد تسع وعشرين ليلة فقتل منهم وغنم وصفهم بكمال الشجاعة ليكون أدل على شجاعة من غلبهم وهو من الكلام المنصف أيضا كقوله * فشركما لخيركما الفداء * والمصبح الذى يأتى صبحا للغارة وحقيقة الرجل مالزمه الدفاع عنه من أهل بيته والقوانس جمع قونس وهو أعلى البيضة والبيضة قلنسوة من حديث تلبس لدفع السيف يقول لم أر مغارا عليهم كالذين صبحناهم ولا مغيرا مثلنا يوم لقيناهم تداول المدح كلا الفريقين من أصحابهم وأصحابه وقوله القوانس جمع قونس وهو مابين أذنى الفرس قال

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

وسيأتى الكلام على هذا البيت بما فيه كفاية وقوله القوانس ليس منصوبا باضرب وهوانما هو منصوب بفعل مضمر وهو يضرب ولكن قال الزمخشرى ان أمد الايخلوا اما أن ينتصب بأفعل وأفعل لايعمل واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت الى نصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر فى * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى أقول ومن هذا الباب قوله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته فانه لايجوز أن يكون العامل فيه أعلم لان المعنى يصير أعلم فى هذا الموضع أو هذا الوقت واذا كان كذلك لم يجز أن يكون العامل أعلم بل فعلا يدل عليه ومن ذلك قوله تعالى أعلم من يضل عن سبيله لان أفعل لا يضاف الا الى ماهو بعض له وليس ربنا تعالى من المضلين عن سبيله فيضاف اليهم وبعد البيتين

اذا ماشددنا شدة نصبوا لنا * صدور المذاكى والرماح المداعسا

اذا الخيل جالت عن صريع نكرها * عليهم فما يرجعن الا عوابسا

﴿الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس﴾

هو لذى الرمة فى سورة الكهف عند قوله تعالى تقرضهم ذات اليمين وذات الشمال وتقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم يقال قرض المكان عدل عنه والظعينة المرأة الظاعنة ولا تسمى ظعينة حتى تكون فى الهودج والجمع ظعائن وظعن يقرضن يقطعن ويفرين والاقواز جمع قوز مثل ثوب وأثواب وهو أصغر من الجبل ومشرف أى أقواز جبل مشرف وعن أيمانهن الفوارس يعنى الفرسان ويمكن أن يريد موضعا بعينه يقول نظرت أو تشرفت الى ظعن يقطعن الارض فى السير بحيث كانت الاقواز عن شمالهن وعن أيمانهن الفوارس لحمايتهن وقبل البيت نظرت بجرعاء السبية نظرة * ضحى وسواد العين فى الماء شامس شامس فى الماء غامس يريد أنه نظر ضحى وطول نهاره كان باكيا من يوم شامس اذا كان نهاره كله ضحى

﴿البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها﴾

فى سورة الانبياء عند قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم الدروع وهو أصل اللباس والمراد هنا البس لكل حالة مايصلح لها وليس المراد لبس الثياب يعنى اعدد لكل زمان مايشاكله ويلائمه وقيل كانت صفائح فحلقها وزردها فجمعت الخفة والتحصين والجمهور على فتح اللام وقرئ لبوسها بضمها وحينئذ اما أن يكون جمع لبس المصدر الواقع موقع المفعول واما ان يكون واقعا موقعه والاول أقرب

﴿الواردون وتيم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين عند من يصرفه حيث جعله بمعنى الحى أو الاب الاكبر والذروة أعلى السنام وأعلى كل شئ ذروته حتى الحسب والجمع ذرى ومعناه الواردون هم وتيم فى ذرى أرض سبا مغلولين باغلال من جلد الجواميس بحيث يعض أعناقهم وأما من لم يصرفه فيجعله اسم القبيلة كقوله من سبا الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما وسيأتى شرح هذا البيت فى حرف الميم وهذا الخلاف جار بعينه فى سورة سبا وسبا فى الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس وسبا لقب له وانما لقب به لانه أول من سبا وولد له عشرة أولاد تيامن ستة أى سكنوا اليمن وهم حمير وكندة والازد واشعر وخثعم وبجيلة وتشاءم أربعة وهم لخم وجذام وعاملة وغسان

﴿اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسوط قونس الفرس﴾

فى سورة ص عند قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض على تقدير القراءة بفتح الياء ووجه بأن الاصل ليبغين بنون التوكيد الخفيفة والفعل جواب قسم مقدر تقديره وان كثيرا من الخلطاء والله ليبغين فحذف كما حذف فى قوله * اضرب عنك الهموم طارقها قوله اضرب على تقدير النون الخفيفة وحذفها أى اضربن وطارقها بدل من الهموم بدل البعض من الكل والقونس موضع ناصية الفرس يقول ادفع طوارق الهموم عن نفسك واضربها عند غشيانها كما تضرب قونس الفرس عند السوق وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الزخرف عند قوله تعالى أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وقال طرفة اضرب عنك الهموم الخ أراد اضربن فحذف النون الخفيفة وحرك الباء بالنصب والقونس عظم ناتئ بين أذنى الفرس والقونس أيضا أعلى البيضة وقيل الشعر بالعنق

﴿وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى﴾

فى سورة الزخرف عند قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون وقبله

يذكرنى

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأذكره بكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

يعني اذا رأى السوى وهو المبتلى بشدة ومن مني بذلك روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء

﴿يضيء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا﴾

هو للنابغة الجعدي في سورة الرحمن عند قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد يضيء كضوء سراج الخ السليط الزيت والسراج الذي يوقد من الضوء قال تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة

﴿حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا﴾

للعجاج في سورة التكوير عند قوله تعالى والليل اذا عسعس قيل اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له على المجاز قال الله تعالى والليل اذا عسعس وعسعس الليل اذا أقبل ظلامه وقيل اذا أدبر واستشهد بقول الشاعر بانه بمعنى الادبار لان طلوع الشمس لما كان متصلا بادبار الليل كان المناسب تفسير عسعس بادبر وأما من فسره باقبل فيكون القسم باقبال الليل واقبال النهار وكأن الكناية في لها وعنها وليلها راجعة الى الشمس لان تنفس الصبح عبارة عن ارتفاع ضوئه وانبساطه والمراد بتنفس الصبح للشمس هو انه اذا انبسط الضوء استطار الفجر بقرب طلوع الشمس فكانه تنفس لذلك

﴿وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس﴾

في سورة والليل عند قوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لاحد عنده من نعمة الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد الا حمار ابالنصب وهو الاختيار لانه ليس من جنس الاول قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن فهذا هو الجيد وقد جاء مرفوعا على قبح كقول الشاعر وبلدة الخ وكانه أراد ان الذي يقوم مقام الانيس اليعافير والعيس وكذلك لو رفع حمار أراد الذي يقوم مقام ما في الدار حمار وقرئ قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار رجل الا حمار والبيت لجران العود واسمه العامر بن الحرث من قصيدة مرجزة أولها

قد ندع المنزل ياليس * يعيش فيه السبع الجروس

ياليس نداء للمرأة يعيش أي يطلب ما يأكل والجروس من الجرس وهو الصوت الخفي

﴿حرف الشين﴾

﴿اجرش لها يا ابن أبي كباش * فما لها الليلة من انفاش﴾

في سورة طه عند قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان من حيث ان فعل الوسواس اذا عدى باللام وقلت وسوس له فمعناه لاجله واذا عدى بالى فمعناه الانهاء فمعنى وسوس اليه أنهى اليه الوسوسة كحدث اليه وأسر اليه وروى اجرش بالشين المعجمة موصولة الالف والذي عليه الرواة والصحيح احرس بالمهملة وبقطع الالف من قولك احرس البعير اذا تعدى ومعنى احرس لها أي احدلها تسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت وجرس الطير صوت مناقيرها على شيء تأكله ومنه يعيش فيه السبع الجروس وقوله لها أي لاجلها وقوله فما لها الليلة من انفاش أي لا تترك الليلة لترعى يقال نفشت بالليل اذا ترددت ترعى بلا راع ليلا ومنه قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم

﴿أذنت لكم لما سمعت هريركم * فاسمعتموني بالخنا والفواحش﴾

في الانشقاق عند قوله تعالى وأذنت لربها وحقت أي أذنت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطوع لامر المطاع الذي أنصت لامر أي سمعت وانقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطاوع اذا ورد عليه الامر المطاع

﴿وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا﴾

﴿تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك يوما لذي جناحين ريشا﴾

هو لتبع وقريش ولد النضر في سورة قريش سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث في السفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد البيتين وبعدهما

هكذا في الكتاب نالت قريش * يأكلون البلاد أكلا كشيشا * ولهم آخر الزمان نبي
يكثر القتل فيهم والخموشا * يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

حرف الصاد

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم حيث وحد السمع كما وحد الجلد فى قوله * قد عض أعناقهم جلد الجواميس * كما وحد البطن فى قوله كلوا فى بعض بطنكم الخ اذا أمن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر فى الاصل والمصادر لا تجمع يدل عليه جمع الاذن فى قوله وفى آذاننا وقر واو أن تقدر مضافا محذوفا أى على حواس سمعهم أقول تقدير المضاف أشبه من ان تحمله على الوجه الآخر الذى لا يكاد يجىء الا فى شعر ومن ذلك قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم حيث أفرده حمزة والكسائى وحفص حيث جعل المسكن مصدرا وحذف المضاف والتقدير فى مواضع سكناهم ومن ذلك قوله تعالى فى مقعد صدق أى مواضع قعود ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود

لاصبحن العاص وابن العاصى * سبعين الفا عاقدى النواصى

فى سورة التوبة عند قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الآية والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لاصبحن العاص الخ أى لاسقين الصبوح وقد شاع ذلك فى العبارات * صبحنا الخزرجية مرهفات * والعاص الوصف فى العصيان ان روى بالكسر وان روى على الفتح فكانه أريد القبيلة وهو عمرو بن العاص وسبعين ثانى مفعولى لاصبحن والمراد الفرسان عاقدى نواصى الخيل من عادة العرب وهذا العدد يستعمل للكثرة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال على عليه السلام لاغزين الرجل العاصى عمرا بسبعين ألفا من الخيل عاقدى نواصى خيولهم * (تتمة) * اعلم أن العرب تبالغ فى السبع والسبعين لان التعديل فى نصف العقد وهو خمسة فاذا زيد عليها واحد كان لادنى المبالغة واذا زيد اثنان كان لاقصاها ولذلك قيل للاسد سبع كانه ضوعفت قوته سبع مرات وقال القاضى قد شاع استعمال السبع والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكانه العدد باسره وقال صاحب الايجاز السبعة أكمل الاعداد لجمعها معانى الاعداد ولان الستة أول عدد تام لانها تعادل افرادها اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهى تسع الواحد فكانت كاملة اذ ليس بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الغاية اذ الآحاد غاياتها العشرات ثم ان الآية دلت على عدم المغفرة لا عن النهى عن الاستغفار والاستغفار وان لم يترتب عليه مغفرتهم تترتب عليه مصلحة أخرى كما جعل ابراهيم عليه السلام جزاء قوله ومن عصانى أى فى أمر ترك عبادة الاصنام قوله فانك غفور رحيم بدون أن يقول فانك شديد العقاب فجعل انه يرحمهم ويغفر لهم رأفة بهم وحثا على الاتباع والمراد انك تغفر لهم اذا استحدثوا التوبة والايمان نخيل انه يرحمهم مع العصيان رحمة لهم وحثا على الاتباع

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وعاد ضريعا بان عنه النحائص

فى سورة الغاشية عند قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الشبرق رطب الضريع وهو جنس من الشوك ترعاه الابل مادام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل والنحائص جمع نحوص وهى التى ليس فى بطنها ولد والضريع مرعى سوء غير ناجع فى راعيته ولا نافع وهو الضريع الذى ذكره الله تعالى

* (حرف الضاد) *

لنعم البيت بيت أبى دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا

فى سورة البقرة عند قوله تعالى مثلا ما بعوضة اشتقاق البعوض من البعض وهو القطع يقال بعضه البعوض معناه نعم البيت الكائن فى ليالى الصيف اذا خاف بعض القوم بعض البعوض أى قطعه

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ * ـم رجال يرضون بالاغماض

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الا أن تغمضوا فيه أى الا أن تتسامحوا فى أخذه من قولك أغمض بصره أى لا تستقص كانك لا تبصر فاتنى فلان بكذا أى سبقنى والوتر بالكسر الترة والجمع أوتار يقول لم يفتنا قوم عند الترة بل ندركهم وننتقم منهم والحال ان رجالا يرضون بالاغماض عن بعض حقهم لضعفهم وعجزهم

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وأدت بعضا

فى سورة البقرة عند قوله تعالى اذا تداينتم بدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا كما تقول بايعته اذا بعته أو باعك وأروى اسم محبوبته والمطل مدافعتك الدين والعدة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام مطل الغنى ظلم والوافى والديون للحال

قال

﴿قال لها هل لك يا تافي * قالت له ما أنت بالمرضى﴾

﴿ماض اذا ما هم بالمضى﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهد لها ببيت مجهول وهو قال لها الخ فكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاى فأما ما قبلها ياء فقوله يا تا أى يا هذه هل لك فى وانما زادوا ياء على ياء الاضافة اجراء لها على حكم الهاء والكاف حين طردوا على الهاء الواو فى ضربتموه وعلى الكاف الالف والياء فى أعطيتكاه وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه عن العرب

﴿وليس دين الله بالمعضى﴾

فى سورة الحجر عند قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين أى أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * ومعنى جعلهم القرآن كذلك ان بعضهم جعله شعرا و بعضهم كهانة نعوذ بالله من ذلك وجمع عضة على عضين كما جمع سنة على سنين و بعضهم يجرى النون بالحركات مع الياء وحينئذ تثبت نونه فى الاضافة يقال هذه عضينك

(وثناياك انها اغريض) * ولآل توم وبرق وميض

وأقاح منور فى بطاح * هزه فى الصباح روض أريض

فى سورة الزخرف عند قوله تعالى حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا حيث كان انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان البديعة الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبى تمام وثناياك الخ الثنايا من الاسنان أربع فى مقدم الثغر ثنتان من فوق وثنتان من تحت والاغريض البرد والطلع ويشبه الثغر بهما كما قيل

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب وروض أريض لين رطب

﴿حرف الطاء﴾

﴿أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا﴾

غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة وفى ذلك قال الشاعر فى هجو الحجاج

أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر هلا كررت على غزالة فى الوغى * اذ كان قلبك فى جناحى طائر

فى سورة البقرة عند قوله تعالى و يقيمون الصلاة لانها اذا فرط فيها كانت كالشئ النافق الذى تتوجه اليه الرغبات واذا عطلت كانت كالشئ الكاسد

﴿حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فان قوله لا تصيبن اما صفة للفتنة على ارادة القول أى فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره البيت أى بمذق مقول فيه هذا القول واما أن يكون جوابا للامر أى ان أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم واما أن يكون نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذر واذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة

﴿غلسته قبل القطا وفرطه﴾

أوله * ومنهل من الفيافى أوسطه * وبعده * فى ظل أجاج المقيظ مغبطه *

فى سورة النور عند قوله تعالى اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه * غلسته قبل القطا وفرطه * أراد قبل فرط القطا أورده على أن ظل المقيظ بمعنى شدة حره فرط القطا متقدماتها الى الوادى والماء

﴿وقد يحمل الوسمى ينبت بيننا * وبين بنى رومان نبعا وشوحطا﴾

فى سورة الشورى عند قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض من البغى وهو الظلم الوسمى أول المطر لانه يسم الارض بالنبات نسبة الى الوسم والنبع شجر يتخذ منه القسى والشوحط أيضا شجر يتخذ منه القسى يريد أنهم اذا كان الربيع اتخذوا قسى النبع والشوحط وذلك أنه اذا كان الربيع وأسكنت المياه تذكروا الذحول وطلبوا الاوتار لامكان البقل والماء كما قال الشاعر

وأطول فى دار الحفاظ اقامة * وأربط أقلاما اذا البقل أحملا

يريد أنهم لا يحملون اذا البقل حمل الناس أن يحملوا

﴿حرف العين﴾

﴿واستمطروا من قريش كل منخدع * ان الكريم اذا خادعته انخدعا﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى يخادعون الله حيث جاء بالانخداع ولم يأت بالخدع والمعنى استمطر القوم من بني قريش كل رجل غر كريم فان الكريم اذا خدعته رضي بالخداع قيل ان كعب الاحبار قال لامير المؤمنين عمر رضي الله عنه في زمان جدب ان بني اسرائيل كانوا اذا أصابهم أشباه ذلك استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم فصعد عمر المنبر وصعد معه العباس وقال اللهم انا كنا اذا قحطنا استسقينا بنبيك فسقينا كما قيل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وانا نستسقيك اليوم بعم نبيك فاسقنا فسقوا في الحال وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في ذلك

بعمي سقى الله البلاد وأهلها * عشية يستسقى بشيبته عمر

توجه بالعباس بالجدب راغبا * فما جاز حتى جاد بالديمة المطر

﴿وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى عذاب أليم على طريق قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد وأصل التحية أن يدعى لرجل بالحياة وضرب وجيع أي موجع أي رب جيش قد نسبت اليه بجيش وتحية بينهم الضرب بالسيف لا القول باللسان والعرب تقول تحيتك الضرب وعقابك السيف أي بدلا لك من التحية ومن ذلك قوله

صبحنا الخزرجية مرهفات * أباد ذوي أرومتها ذووها

وقول الآخر

نقريهم لهزميات نقدبها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة الكهف عند قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا الآية وفي سورة مريم عند قوله تعالى والباقيات الصالحات خير وفي سورة الشعراء عند قوله الا من أتى الله بقلب سليم أي ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم وهذا من قولهم تحية بينهم الخ وما ثوابه الا السيف وفي سورة الجاثية عند قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم سميت حجة على ضرب من التهكم أو بحسب حسبانهم أو لانه في أسلوب تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة

﴿أصم عما ساءه سميع﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمي معناه هو أصم عما لا يليق به معرض عما ساءه سميع لحاسده مصغ اليه ومن هذا الباب قوله

أصم عن الشيء الذي لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد

وكما قيل * أذن الكريم عن الفحشاء صماء * ومنه

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقوله

فاصممت عمرا وأعميته * عن الجود والفخر يوم الفخار

﴿ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع﴾

البيت لاسحق بن حسان الخزيمي من قصيدة يرثي بها أبا الهيذام عامر بن عمار أمير عرب الشام في سورة البقرة عند قوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم حيث حذف مفعول شاء لدلالة الجواب عليه والمعنى ولو شاء أن يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد ولا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب والقصيدة طويلة بديعة وأولها

قضى وطرا منك الحبيب المودع * وحل الذي لا يستطاع فيدفع

واني وان أظهرت في جلادة * وصانعت أعدائي عليه لموجع

ومنها

ملكت دموع العين حتى رددتها * الى ناظري والعين كالقلب تدمع

وبعده البيت والخزيمي المذكور يكنى بأبي يعقوب كان متصلا بمحمد بن زياد كاتب سر البرامكة وله فيه مدائح جيدة ثم رثاه بعد موته فقيل له يا أبا يعقوب مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك وأجود فقال كنا نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد وهذا بعكس ما يحكى عن البحتري فانه كان مختصا بأبي سعيد بن يوسف وكان مداحا له طول أيامه ولابنه من بعده ورثاهما بعد موتهما فأجاد ومراثيه فيهما أجود من مدائحه وربما قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء ان تفضل المراثي المدائح

﴿وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى آخر الآية حيث شبه حيرة المنافقين وشدة الامر عليهم بما يكابده من طفيت

طفيت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ألا ترى الى قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قوله وما الناس الخ لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خاوية وغد وكفلس أصل غد حذفت اللام وجعل الدال حرف اعراب كدم ويد قال الشاعر

لا تقلواها وادلوا ها دلوا * ان مع اليوم أخاه غدوا

﴿أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى بديع السموات والارض على القول بأن السميع بمعنى المسمع والبديع بمعنى المبدع قال فى الكشاف وفيه نظر أى لا نسلم أنه بمعنى المسمع لجواز أن يريد أنه سميع لخطابه فيكون بمعنى السامع لان داعى الشوق لما دعاه صار سامعا لقوله وان سلم فهو شاذ لان فعيلا بمعنى مفعول شاذ أى أمن ريحانة اسم مكان الداعى السميع يؤرقنى والحال ان أصحابى نيام غافلون قيل ان عمرا كان معدا فى الفرسان ثم عد فى الشعراء بهذا البيت وريحانة هى أخت دريد بن الصمة عشقها عمرو وأغار عليها ثم التمس من دريد أن يتزوجها فاجاب

﴿ان تك جلود بصر لا أؤبسه * أوقد عليه فأحميه فينصدع﴾

﴿السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة قاله العباس بن مرداس لخفاف بن ندبة وهو أبو خراشة وقبل قوله السلم تأخذ منها البيت المشهور من شواهد النحو وهو

أبا خراشة أما أنت ذا نفر * فان قومى لم تأكلهم الضبع

البصر الحجارة تضرب الى البياض فاذا جاؤا بالهاء قالوا بصرة والتأبيس التذليل يقول انى أقدر على كل وجه لو كنت حجر الا يذلل لا وقدت عليه حتى يتفتت يريد أن حيلته تنفذ فيه والسلم وان طالت لم ترفيها الا ما تحب ولا يضرك طولها والحرب اليسير منها يكفيك والسلم يذكر ويؤنث قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وجواب الشرط قوله أوقد وقوله أؤبسه فى موضع النعت لجلود كما تقول ان كنت صخرا لا تنكسر فان لى حيلة فى أمرك قال فى الصحاح الاصمعى أبست به تأبيسا أى ذللته وحقرته وكسرته قال عباس بن مرداس ان تك جلود بصر الخ وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الانفال عند قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها والسلم بكسر السين وفتحها الصلح ويذكر ويؤنث تأنيث نقيضها وهو الحرب لان الحرب المقاتلة والمنازلة ولفظها أنثى يقال قامت الحرب على ساق وقد يذكرها بالى معنى القتال يقال حرب شديد وتصغيرها حريب والقياس الهاء وانما سقطت لئلا يلتبس بصغر الحربة التى هى كالرمح

﴿ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع﴾

فاذا اصنعت صنيعة فاعمد بها * لله أو لذوى القرائب أودع

فى سورة البقرة عند قوله تعالى قل ما أنفقتم من خير فللوالدين يقول ان صنائع المعروف لا يعتد بها الا أن تقع موقعها قال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه فى أهل الحفاظ وقوله أو لذوى القرائب قال تعالى وآتى المال على حبه الى آخر الآية وما أحسن قول المتنبى

ووضع الندى فى موضع السيف للعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

﴿بنى أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الا أن تكون تجارة أى الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة وهو من أبيات الكتاب يخاطب بنى أسد ويقول لهم قد تعلمون مقاتلتنا يوم الحرب اذا كان الحرب مظلما ترى فيها الكواكب ظهورا لانسداد عين الشمس بغبار الحرب والتقدير اذا كان اليوم يوما أشنعا حال لا خبر لان فيما تقدم من صفة الاسم ما يدل على الخبر فيصير الخبر لا يفيد زيادة معنى فهو مما تنزلت فيه الصفة منزلة جزئه من الاسم

﴿وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن يقال استقبل الامر اذا أخذ بأوله وعنوانه ومنه المثل خذ الامر بقوابله أى بأوله قبل أن يدبر فيفوت وليس من الحزم أن تهمله حتى يفوت منك ثم تعدو خلفه وتتبعه بعد الفوت ولله در القائل

اذا فعلت جميلا وابتدأت به * فاجعل له حاجة المضطر ميقاتا * فالغيث وهو حياة الارض قاطبة * لا خير فيه اذا ما وقته فاتا

فلا هدين مع الرياح قصيدة * منى محبرة مع القعقاع

﴿ترد المياه فلا تزال جداولا * فى الناس بين تمثل وسماع﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس كقوله من أبيات الكتاب

فيوم علينا ويوم لنا * ويوما نساء ويوما نسر وفى أمثالهم الحرب سجال وعن أبى سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال ترد المياه الخ يقول لاهدين الى القعقاع قصيدة حسنة غراء متداولة بين الناس يتمثلون بها ويستمعونها وينشدونها يقال فى المثل أسير من شعر لانه يرد الاندية ويلج الاخبية

أقرين لو رأيت فوارسى * بعمايتين الى جوانب صلفع

﴿حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع﴾

هو للكلابى فى سورة المائدة عند قوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم يقال على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو على فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة كما فى البيت وقرين اسم ضيف نزل على القائل وطمع فى جارية للضيف فقال له لو رأيت فوارسى بعمايتين وهما جبلان لخفت وما غدرت وما طمعت فى جاريتى وصلفع اسم موضع ومعناه لو رأيت فوارسى بهذه المواضع لم تكن خائنة كالذى يغل الاصبع من الكف أى لم تكن تخون خيانة قليلة فكيف بالكثيرة

﴿ومنا الذى اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كما فى البيت وقد مدح الشاعر أهله وقبيلته بالسماحة والجود فى فصل الشتاء الذى يضن فيه أهل البوادى لان الميرة تنقطع عنهم فيه وتعز الاقوات ويعدم المرعى فمن كان جوادا فى ذلك الوقت فاظنك بجوده وكرمه فى غيره والزعازع بالزاى المعجمة والعين المهملة فيهما الرياح الشديدة والاصل فيه واختير من الرجال فحذف حرف الجر لفظا وتعدى الفعل بنفسه

﴿انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا﴾

لجرير فى سورة الانفال عند قوله تعالى فان حسبك الله وبعده فاذا تذوكرت المكارم مرة * فى مجلس أنتم به فتقنعوا حسبكم أى فحسبكم تقول حسبك ما أعطيت أى كفاك والحر من كل شئ أعتقه وتقنعوا أى غطوا وجوهكم من الحياء وجرير قد هجا قوما وقال كفاكم من المكارم لبس الثياب الناعمة وأكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم فى مجلس فغطوا وجوهكم من الحياء فلستم منها فى شئ فكأنه أخذ هذا المعنى من قول الحطيئة فى الزبرقان بن بدر لما استعدى عمر رضى الله عنه على الحطيئة فقال عمر أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا فقال والله لولا الاسلام لقتلته قال لا أعلم هجاء ولكن ادع ابن الفريعة يعنى حسان بن ثابت فلما جاءه قال له عمر رضى الله عنه أهجاه فقال لا يا أمير المؤمنين ولكنه سلح عليه فقال عمر لاحبسنك أو لتكفن عن اعراض المسلمين فقال يا أمير المؤمنين لكل مقام مقال قال وانك لتهددنى فلما حبسه كتب اليه ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فارحم عليك سلام الله يا عمر نفسى فداؤكم بينى وبينهم * من عرض أودية يعمى لها الخبر فلما قرأها عمر رضى الله عنه رق له وبكى وخلى سبيله

﴿ياليت شعرى والحوادث جمة * هل اغدون يوما وأمرى مجمع﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم من أجمع الامر وأزمعه اذا نواه وعزم عليه كما قال هل اغدون يوما وأمرى مجمع عليه فى انفاذه وامتثاله يقال اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وفى حديث من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له أى من لم يعزم عليه فينويه

﴿على حين عاتبت المشيب على الصبا * فقلت ألما أصح والشيب وازع﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى ومن خزى يومئذ حيث قرئ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * وهذه حالة كل ظرف لزم الاضافة اذا أضيف الى غير متمكن واما جرها فظاهر لانه اسم أضيف الى ما قبله فكان مجرورا وهو معطوف على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ

﴿وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا﴾

البيت للاعشى فى سورة هود عند قوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم يقال أنكرت الرجل اذا كنت من معرفته فى شك ونكرته اذا لم تعرفه يقول ان المحبوبة شكت فى معرفتى وما نكرت الا الشيب والصلع فانهما مبغوضان عندها* وفى نسبة هذا البيت للاعشى حكاية قال أبو عبيدة كنت حاضرا عند بشار بن برد وقد أنشد شعر الاعشى فلما سمع هذا البيت أنكره وقال هذا بيت مصنوع وما يشبه كلام الاعشى فعجبت من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر

﴿وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا أى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب اذا دخله الحب لم يخرج وفى معناه

يعلم الله أن حبك منى * فى سواء السواد وسط الشغاف ويرحم الله ابن الفارض حيث يقول

أنت فى أسود الفؤاد ولكن * اسود العين يشتهى أن يراكا وما أحسن قوله * ومن مقلتى سواء السواد *

والبيت للنابغة من احدى القصائد التى يعتذر بها الى النعمان مما قذفه به الواشون وبعده

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع وقوله تبتغيه الاصابع أى فلا تجده من شدة الكمون وفيه مبالغة حسنة حيث جعل غير المحسوس مثله يطلب ويدرك وقيل تبتغيه الاصابع أى تلمسه أصابع الاطباء ينظرون أنزل عن ذلك الموضع أم لا وانما ينزل عند البرء

﴿فلم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى يا أسفا على يوسف حيث تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الحادث أشد على النفس وأظهر أثرا والحكمة فى ذلك تمادى أسفه على يوسف وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا طريا عنده أخذ بجامع قلبه وأن الرزء فيه كان قاعدة مصيباته قائله هشام قد فجع بأخيه أوفى ثم أتى عليه زمان تناساه ثم أصيب بعده بأخ آخر يقال له غيلان يقال ان الجزع بأوفى لم يزله ما يعقبه من المصيبات ولكنه زاد اشتدادا ثم شبهه بالقرح وهو الجرح وقد صلب ويبس اذا نكئ ثانيا أى أدمى وقشرت جلبته أى أن القرح اذا فعل به ذلك كان ايجاعه أشد وأبلغ وبعد البيت

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع

﴿فما فتئت خيل تثوب وتدعى * ويلحق منها لاحق وتقطع﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف الفتء والفتور أخوان يقال ما فتئ يفعل كذا قال أوس فما فتئت خيل الخ والاصل فى التثويب أن الرجل اذا استصرخ لوح بثوبه وكان ذلك كالدعاء والانذار والتداعى فى الحرب أن يدعو القوم بعضهم بعضا والادعاء فى الحرب أن يقول يا آل فلان يقول ما زالت الخيل تستصرخ ويدعو بعضهم بعضا من المنهزمين والمنقطعين ويلحق منها فى الحرب اللاحقون والمنقطعون كأنه صور الحرب من أولها الى آخرها وزعم أنهم الكائدون أولا والا كثرون بعد لاحقهم ثانيا والمنفردون بالغنيمة وحيازة المقصود ثالثا

﴿وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية حيث كان الصبر مطلقا فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله تعالى لا ليقال ما أصبره وما أحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدى الخ ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا رد فيه للفائت كقوله

ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زيدا الضعضعة الخضوع يقول هذا التجلد الذى أريه من نفسى لدفع شماتة الشامتين أريهم أنى لا أتخضع لريب الزمان وصروفه والبيت لابى ذؤيب خويلد بن خالد المخزومى مات فى زمن عثمان رضى الله عنه فى طريق مصر من قصيدته المشهورة التى أولها

أمن المنون وريبه أتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها اما لجسمى أنه * أودى بنى من البلاد فودعوا
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب * واخال انى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم * فاذا المنية أقبلت لا تدفع
واذا المنية انشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
ومنها

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع   والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السراة له جدائد أربع
وهى طويلة وماذكرناه بعض منها   ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وجالت بنات الشوق يحنن نزعا

﴿تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا﴾

هو للخماسى عند قوله تعالى فى سورة الحجر ولا يلتفت منكم أحد ومعنى النهى عن الالتفات ان الله تعالى لما بعث الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد فى شكر الله تعالى وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم لئلا يفرط منهم التفاتة فى تلك الحالة المهولة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسير الهارب الذى تقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما نزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا أنفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا ملتفتين الى ماوراءهم كالذى يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه أخادعه كما قال تلفت نحو الحى الخ والليت صفحة العنق والاخدع عرق فيها يقول لما أخذت فى سيرى صرت ملتفتا الى ماخلفى من الحى والاحباب فيها تحسرا فى أثر الفائت من أحبابى وديارهم وتذكر الطيب أوقاتى معهم فيها وقيل اذا التفت المسافر لم يتم سفره وانما التفت لانه كان عاشقا فأحب أن لا يتم سفره ليرجع الى محبوبه وقيل النهى عن الالتفات فى الآية كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت لا بدله فى ذلك من أدنى وقفة

﴿أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع﴾
﴿وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع﴾
﴿وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا عن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ أتاه صبى فقال ان أبى يستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أبى يستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبى ونهب العبيد الى آخر الثلاثة أبيات فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل فنزلت وقوله فى الحديث من ساعة الى ساعة يظهر الظاهر تعلقه بيظهر وهو تركيب فاش فى عرف العرب والعجم وقيل هو متعلق بمحذوف أى أخر سؤالك من ساعة الى ساعة أى من ساعة ليس فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع والدرع هنا القميص

﴿كما لاذ الغريم من التبيع﴾ * يلوذ ثعالب الشرقين فيها

هو للشماخ فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف أى مطالبة يقال فلان على فلان تبيع بحقه أى مسيطر عليه ومطالب له بحقه وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها ومن هذا القبيل قول القائل

يلوذ من الشمس اطلاؤها * لياذ الغريم من الطالب   وقريب منه قوله
عدا وعدت غزلانهم فكأنها * ضوامن من غرم لهن تبيع   الشرقين اسم موضع ومنها أى من العقاب المذكورة فى الابيات السابقة

﴿فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسوا اذا نفس الجبان تطلع﴾

هو لابى ذؤيب فى سورة الكهف عند قوله تعالى واصبر نفسك أى احبسها معهم وثبتها أى فحبست نفسا عارفة بأحوال الحرب ترسو أى تثبت قيل نفس عروف أى صبور اذا أصابها ما تكره والعارف الصابر وتطلع أى تتطلع تنظر ساعة وتختفى ساعة كما هى عادة الجبان يصف صبره وتجلده عند الشدائد وان نفسه ثابتة صابرة على المكاره فى حال تكون نفس الجبان فيها مضطربة قلقة خبأة

﴿كأن مجر الرامسات ذيولها * عليه قضيم نمقته الصوانع﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس حيث قرئ بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس والمعنى كأن آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والرامسات الرياح المثيرات التراب فتدفن الآثار تحته لان الرمس تغييب تحت التراب والقضيم الجلد الابيض ولا بد من تقدير مكان ليحسن تشبيهه بالقضيم وذيولها مفعول مجر أى جرهن ذيولها وقضيم خبر كان وهو المشبه به أى كأن آثار مجر ذيولها جلد نمقته الكتاب

﴿رب من أنضجت غيظا قلبه * قد تمنى لى موتا لم يطع﴾
﴿ويرانى كالشجا فى حلقه * عسرا مخرجه ما ينتزع﴾
﴿لم يضرنى غير أن يحسدنى * فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع﴾

﴿ويحييني اذا لاقيته * واذا يخلو له لحمي رتع﴾

في سورة مريم عند قوله تعالى ان كل من في السموات والارض على تقديرها نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها وكذلك هي في البيت ويجوز أن تكون موصولة قال أبو حيان أي أن كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لانها تأتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به * وكل الذي حملتني أتحمل * يعني انه لابد من تأويل الموصول بالعموم حتى يصح اضافة كل اليه ومتى أريد به معهود أو شخص بعينه استحال اضافة كل اليه نضج اللحم والعنب ونحوه نضجا فهو نضيج وناضج أدرك والاسم النضج بضم النون والفتح لغة والشجا مقصور ما نشب في الحلق من غصة هم أو نحوه ويزقو أي يصيح والضوع ذكر البوم وجمعه ضيعان وقوله واذا يخلو له لحمي رتع أي اذا خلا يغتابني كقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ومن هذه الموصوفة والشعر لسويد بن كاهل اليشكري أخي بني كنانة من قصيدة مشهورة أولها بسطت رابعة الحبل لنا * فوصلنا الحبل منها ما اتسع

ومنها

كتب الرحمن والحمد له * سعة الاخلاق فينا والضلع

وبناء للمعالي انما * يرفع الله ومن شاء وضع

نعم الله فينا ربها * وصنيع الله والله صنع

* رب من أنضجت غيظا قلبه * الى آخر الاربعة أبيات وبعدها

قد كفاني الله ما في نفسه * ومتى ما يكف شيأ لا يضع

بئس ما يجمع أن يغتابني * مطعم وخم وداء يدرع

وهي طويلة وما كتبناه غررها

﴿راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لا هناك المرتع﴾

في سورة طه عند قوله تعالى طه اذا فسر بأنه أمر بالوطء وان الاصل طأ فقلبت الهمزة هاء كما في قوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر فيكون كما يكون الامر من يرى ثم ألحق هاء السكت فصار طه والبيت للفرزدق يهجو عمرو بن زهرة وقد ولي العراق بعد عبد الملك بن بشر بن مروان وكان على البصرة ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وكان على الكوفة وأوله

نزع ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

راحت بمسلمة البغال الخ يقال هنأني الطعام ومرأني فاذا لم تذكر هنأني قلت أمرأني بالالف أي انهضم وقد هنئت الطعام اهنؤه وهنأت فلانا بالمال هناءة وكان مسلمة المذكور يمنع فزارة من الرعي فلما سار الى الشام من العراق ناداهم الشاعر أي بني فزارة ليرعوا ابلهم وفي رواية فارعي يخاطب ناقته ويقول قد رحل مسلمة بالبغال عشية وقصد بني فزارة وعلى هذا ففزارة منصوب قال سيبويه في الكتاب ومن ذلك قولهم منساة وانما أصلها منسأة وقد يجوز في ذا كله البدل حتى يكون قياسا مستتبا اذا اضطر الشاعر كما قال الفرزدق راحت بمسلمة البغال عشية الخ فابدل الالف مكانها ولو جعلها بين بين لانكسر البيت وقال حسان سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب وقال القرشي زيد بن عمرو بن نفيل سالتاني الطلاق أن رأتا * مالي قليلا قد جئتماني بنكد فهؤلاء ليس لغتهم سلت ولا تسال وبلغنا ان سلت تسال لغة وقال عبد الرحمن بن حسان وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واج يريد واجئ

﴿كأن قتود رحلي حين ضمت * حوالب غرزا ومعا جياعا﴾

للقطامي من قصيدته المشهورة التي يمدح بها زفر بن الحرث الكلابي وأولها

قفي قبل التفرق يا ضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا

الى أن قال

ومن يكن استلام الى ثوى * فقد أحسنت يا زفر المتاعا

فلو بيدي سواك غداة زلت * بي القدمان لم أرج اطلاعا

اذا الهلكى لو كانت صغارا * من الاخلاق تبتدع ابتداعا

فلم أر منعمين أقل منا * وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا

من البيض الوجوه بني نفيل * أبت أخلاقهم الا اتساعا

في سورة طه عند قوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع القتود عيدان الرحل وهو جمع اقتاد وقيل جمع قتد والحالبان العرقان المكتنفان بالسرة والحالوبة الناقة ذات اللبن والحوالب جمعها والغرز جمع غرزة يقال غرزت الناقة والشاة تغرز غرازة بتقديم الزاي على الراء اذا كثر لبنها فهي غرزة وغرزت بتقديم الراء على الزاي فهي غارزة اذا قل لبنها واعلم أن غرزا في هذا البيت بتقديم الراء المهملة على الزاي والمعى ما يتردد في البطن من الحوايا وجياعا بمعنى جائعا كقوله تعالى يجد له شهابا رصدا أي راصدا وخبر كان في البيت بعده وهو

على وحشية خذلت خلوج * وكان لها طلا طفل فضاعا فكرت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا

خذلت أى تأخرت وخلوج اختلج ولدها والسباعا نصب بضمير دل عليه صادفته وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الجن عند قوله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أى راصدا كقوله ومعاجيا أى يجد شهابا راصدا له لاجله ويجوز أن يكون الرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعوهم من الاستراق

﴿عفا قسم من فرتنا فالفوارع * بجنبا أريك فالتلاع الدوافع﴾

﴿توسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع﴾

فى سورة الانبياء عند قوله تعالى ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أو على حذف مضاف أى ذوات القسط واللام فى ليوم القيامة مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة فعرفتها لستة أعوام الخ وقيل لاهل يوم القيامة أى لاجلهم وقسم اسم موضع وفرتنا اسم امرأة وأريك اسم موضع والتلاع مجارى الماء توسمت ويروى توهمت واللام فى لستة أعوام مثلها فى جئتك لخمس ليال خلون من الشهر يقول درس أثر ديار المحبوبة وتوسمتها فعرفتها بالوهم لشدة تبدلها وتغيرها بعد سبعة أعوام مضت عليها وقد كان القائل قادرا أن يقول لسبعة أعوام ويتم البيت بغير ذلك من الكلام فلما لم يفعل دل على أنه عجز عن اتمامه وأتمه بما لا معنى له

﴿أبعد بنى أمى الذين تتابعوا * أرجى حياة أم من الموت أجزع﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى قال أصحاب موسى انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم فى الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفى معناه أبعد بنى أمى الخ والمعنى انا لمتتابعون أى يتبع بعضنا بعضا فى الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد وقوله أبعد لفظه الاستفهام ومعناه التوجع فيقول أرجى الحياة أم أجزع من الموت بعد اخوانى الذين انقرضوا وذهبوا ومضى واحدا اثر واحد أى لا يحسن الطمع فى الحياة بعدهم ولا الجزع من الموت عقيب التفجع بهم والبيت من أبيات الحماسة وبعده

ثمانية كانوا ذؤابة قومهم * بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع أولئك اخوان الصفاء رزئتهم * وما الكف الا اصبع ثم اصبع

لعمرك انى بالخليل الذى له * على دلال واجب لمفجع

وانى للمولى الذى ليس نافعى * ولا ضائرى فقدانه لممتع

﴿وبلدة يرهب الجواب دلجتها * حتى تراه عليها يبتغى الشيعا﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى وجعل أهلها شيعا أى فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الاعشى وبلدة الخ ويشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدام ليستخدم صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده البلدة المفازة والجواب من جبت المفازة أى قطعتها ودلجتها من أدلج الرجل اذا سار من آخر الليل وادلج بالتشديد اذا قطع الليل كله سيرا وقيل بالتخفيف الليل كله وبالتثقيل من أوله والدلجة ساعة من الليل يقول رب بلدة يخاف الجواب أن يسير فيها آخر الليل يبتغى الشيعا أى يبتغى فرقا يشيعونه من خوفه فى تجوبها قطعتها بلا شيعة

﴿واستحكموا أمركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى فلما بلغ أشده واستوى تم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحكموا أمركم الخ لله درك أى خيرك وصالح عملك لان الدر أفضل ما يحتلب واذا شتموا قالوا لا در دره أى لا كثر خيره ولا زكا عمله والشزر القتل الشديد والمريرة من المرة وهى القوة والمرير الحبل المفتول أمررته امرارا ورجل ذو مرة اذا كان سليم الاعضاء صحيحا والقحم والقحمة الشيخ والشيخة الخرفان ورجل ضرع وهو من الرجال الضعيف وقوله أمركم يريد أمر الامامة والخلافة يقول لقيط قلدوا أمر الخلافة رجلا شزر المريرة أى القادر القوى غير الهرم الضعيف الرأى والعقل قال بعضهم يظهر انه ليس المراد حكموا أمر الخلافة بل أراد أمر الحرب قال بعض أرباب الحواشى وقع فى بيت لقيط تحريفات جمة بعض من بيت وبعض من بيت آخر وليس ذلك وفى كامل أبى العباس المبرد وغيره هكذا

فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا * لا يطعم النوم الا ريث يبعثه

هم يكاد حشاه يقصم الضلعا * لا مترفا ان رخى فى الحرب ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

ما

مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا
والرحب والرحيب الشئ الواسع ورحب الذراع كناية عن الجود وقوله مضطلعا يقال اضطلع فلان بهذا الحمل اذا قوى واحتمله أعضاؤه

﴿ تخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع ﴾

لابى الطيب فى سورة القصص عند قوله تعالى وكنا نحن الوارثين أى تركنا تلك المساكن على حال لا يسكنها أحد وخربناها وسويناها بالارض فالوراثة اما مجرد انتقالها من أصحابها واما الحاقها بما خلق الله فى البدء فكأنه رجع الى أصله ودخل فى عداد خالص ملك الله تعالى على ما كان أولا وهذا معنى الارث ألا الى الله تصير الامور

﴿ دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت به ابن الطود أو هو أسرع ﴾

فى سورة الروم عند قوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون المراد سرعة ذلك من غير توقف ولا تثبت كما يجيب الداعى المطاع مدعوه ومنه البيت يريد بابن الطود الصدى أو الحجر اذا تدهده وهذا من الاختصار كما تقول رأيت بزيد الاسد أى اذا رأيته رأيت الاسد

﴿ الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا ﴾

البيت لاوس بن حجر من قصيدته المشهورة التى قالها فى فضالة بن كلدة يمدحه فيها فى حياته ويرثيه بعد مماته وأولها

أيتها النفس اجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا
ان الذى جمع السماحة والنجـ * ـدة والبر والتقى جمعا

وبعده البيت فى سورة لقمان عند قوله تعالى هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أى أن الصفة كاشفة حكى عن الاصمعى أنه سئل عن الالمعى فأنشد البيت وهو منصوب على الوصف والخبر يأتى بعد ستة أبيات وهو قوله

أودى فلا تنفع الاشاحة من * أمر لمن يحاول البدعا

أى هلك فلا ينفع الحذر من أمر لمن يطلب البدع تلخيصه الحذر والجد لا يغنى عن نزول النوازل لطالبى عظائم الامور تنبيها على ان المرثى كان منهم

﴿ والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السراة له جدائد أربع ﴾

فى سورة الملائكة عند قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وقرأ الزهرى جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبى ذؤيب جون السراة الخ الجون الاسود والسراة الظهر وسراة كل شئ أعلاه والجدائد الاتن اللواتى قد جفت البانهن يقال جديدة وجدد يقال امرأة جداء لا ثدى لها يقول أهلك الدهر بنى وتواترت على المصائب فلى عزاء بأن الدهر لا يبقى على حدثانه شئ حتى الحمار مع الاتن يرعى فى القفار والجبال

﴿ اذا قال قدنى قال بالله حلفة * لتغنى عنى ذا انائك اجمعا ﴾

فى سورة الملائكة عند قوله تعالى انه عليم بذات الصدور وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية أى جنينها جارية كما فى البيت المعنى ما فى بطنها من الحمل وما فى انائك من الشراب لان الحمل والشراب يصحبان البطن والاناء ألا ترى الى قولهم معها حمل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها كما أن اللبن يصحب الضرع ومنه قوله

وان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

وقال الله تعالى رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع وذو موضوع لمعنى الصحبة وقدنى وقطنى بمعنى واحد وهو حسبى وذا انائك أى ما فى انائك من الشراب معناه أن الضيف لما نزل بالمضيف أكرم مثواه وبالغ فى تهيئة الشراب واللبن فقال له الضيف وهو يسقيه ما فى الاناء حسبى ما شربته فقال له الساقى أقسم بالله لتشربن جميع ما فى انائك من اللبن وحلفة منصوب على المصدر لا آليت لان تقديره أحلف بالله ولتغنى بفتح لام القسم ولتغنى على تقدير ثبوت النون الخفيفة فى النية وان كانت محذوفة من اللفظ وانما أضاف الاناء الى كاف الخطاب وليس الاناء للمخاطب وانما هو للمتكلم لما كان بين المخاطب وبين الاناء نوع ملابسة

﴿ برى لحمها سير الفيافى وحرها * وما بقيت الا الضلوع الجراشع ﴾

هو للبيد فى سورة يس عند قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة العامة على نصب الصيحة على أن كان ناقصة واسمها ضمير الآخذة لدلالة السياق وصيحة خبرها والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة فى حكم فاعل الفعل ومثلها فى قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت لبيد * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وقال الآخر

ماسلمت من ريبة وذم * فى حربنا الا بنات العم

والجرشع العظيم الصدر الواسع البطن وفى معناه قول الشاعر

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

وأين هذه من قوله

مجعا عجزتها الذميل تلوكه ＊ أصلا اذا راح المطى غراثا وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الاحقاف عند قوله تعالى فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم على تقدير القراءة بالتاء وترك تسمية الفاعل وهو ضعيف لانه اذا كان الفاعل لا يمنع لحوق علامة التأنيث فى الفعل الا فى ضرورة كقوله ＊ وما بقيت الا الضلوع الجراشع ＊ والقراءة بالياء أقوى لانه لا يقال ما جاءتنى الا امرأة بل يقال ما جاء فى الا امرأة أى أحد أو شىء الا امرأة واعلم أن جميع تراكيب القرآن لا يلزم أن تكون أفصح على الاطلاق بل بعضه أفصح وبعضه فصيح فيكون واردا على جميع طرق الكلام وفنونه وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله ＊ وألحق بالحجاز فاستريحا ＊ فليراجع

﴿وما المرء الا كالشهاب وضوءه ＊ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع﴾

Se Balawi Kitab ... 1,266; Diwan Labid VI.6

فى سورة يس عند قوله تعالى فاذا هم خامدون أى كما تخمد النار فتعود رمادا كما فى قول لبيد يحور رمادا الشهاب شعلة نار ساطع يحور أى يرجع وسطع النور سطوعا انتشر وانبسط يعنى ليس المرء فى حالة الشباب الا كمثل الشهاب الساطع وكما أن آخر النار الرماد كذلك عاقبة الانسان يرجع بالموت رمادا وفى معناه قول المعرى وكالنار الحياة فمن دخان ＊ أوائلها وآخرها رماد
وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الانشقاق عند قوله تعالى انه ظن أن لن يحور أى يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد ويقال لا يحور ولا يحول أى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور الخ وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيا يقول لبنت له حورى أى ارجعى وبعد البيت

Diwan Labid VI. 7-1, 12, 13

وما المال والاهلون الا ودیعة ＊ ولا بد يوما أن ترد الودائع والبيت للبيد من قصيدته المشهورة التى أولها
بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ＊ وتبقى الجبال بعدنا والمصانع أليس ورائى ان تراخت منيتى ＊ لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت ＊ أدب كأنى كلما قمت راكع
وآخرها لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ＊ ولا زاجرات الطير ما الله صانع

﴿ان عليك الله ان تبايعا ＊ تؤخذ كرها أو تجىء طائعا﴾

فى سورة ص عند قوله تعالى والحق أقول على تقدير نصب الحقين على أن الاول مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب كقوله ＊ فذاك أمانة الله الثريد ＊ وألا رب من قلبى له الله ناصح كالله فى ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول الا الحق قال أبو البقاء الا أن سيبويه يرفعه لانه لا يجوز حذف حرف القسم الا مع اسم الله ويجوز نصبه على الاغراء أى الزموا الحق ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة أى قوله لاملأن وبرواية أخرى ＊ ان على الله ان تبايعا ＊ نصب اسم الله بأن أى ان على يمين الله تعالى وتؤخذ منصوب بدل من تبايع أى ان على يمين الله أن تؤخذ وبدل الفعل من الفعل كبدل الاسم من الاسم

﴿قد أصبحت أم الخيار تدعى ＊ على ذنبا كله لم أصنع﴾ Kitab al-aghani XX, 82

لابى النجم العجلى فى سورة ص عند قوله تعالى فالحق والحق أقول أى أقوله كقوله تعالى فى قراءة ابن عامر وكل وعد الله الحسنى وقول أبى النجم قد أصبحت الخ وبعد البيت من ان رأت رأسى كرأس أصلع ＊ يا بنت عمى لا تلومى واهجعى أى ان هذه المرأة أصبحت تنسب الى ذنبا ما صنعته وتلومنى على الشيب وهو ذنب الايام لا ذنبى كما قال أشاب الصغير وأفنى الكبير ＊ كر الغداة ومر العشى وتقدم قريبا قوله وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ＊ من الحوادث الا الشيب والصلعا
والرفع على قراءة ابن عامر هو الرواية لان المعنى على السلب الكلى ولو نصب لكان سلبا جزئيا والعدول الى الرفع عن الفصيح مع استلزامه الحذف الذى هو خلاف الاصل دليل انى على ماذكر من الفائدة

﴿أما تتقين الله فى جنب وامق ＊ له كبد حرى عليك تقطع﴾

فى سورة الزمر عند قوله تعالى يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله الجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم يقال فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه كما فى البيت المذكور وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى ＊ فى قبة ضربت على ابن الحشرج والشعر لجميل بن معمر وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته بثينة وهما جميعا من عذرة والبيت المذكور من قصيدة عينية طويلة أولها قوله أهاجك أم لا بالمداخل مربع ＊ ودار بأجراع الغديرين بلقع
ديار لسلمى اذ نحل بها معا ＊ واذ نحن منها بالمودة نطمع

وان

وان يك قد شطت نواها ودارها * فان النوى مما تشت وتجمع الى الله أشكو لا الى الناس حبها * ولا بد من شكوى حبيب يروع
ألا تتقين الله فيمن قتلته * فامسى اليكم خاشعا يتضرع فان يك جثمانى بأرض سواكم * فان فؤادى عندك الدهر أجمع
اذا قلت هذا حين أسلو واجترى * على هجرها ظلت بها النفس تشفع ألا تتقين البيت وبعده
غريب مشوق مولع بادكاركم * وكل غريب الدار بالشوق مولع فأصبحت مما أوجع الدهر موجعا * وكنت لريب الدهر لا أتخشع
فيارب جنبنى اليها وأعطنى الـ * ـمودة منها أنت تعطى وتمنع

﴿كلفت مجهولها نفسى وشايعنى * همى عليها اذا ما آلها لمعا﴾

للاعشى وبعده بذات لوث عفرناة اذا عثرت * فالتعس أولى لها من أن يقال لعا فى سورة القتال عند قوله تعالى فتعسا لهم وأضل أعمالهم التعس الهلاك ضد الانتعاش ويقال للعاثر لعا لك دعاء بأنه ينتعش يريد الشاعر ان العثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت أى رب بلدة مجهولة الاعلام كلفت نفسى قطعها وشايعنى همى على قطعها اذا سراب لمع قوله بذات لوث اللوث من الاضداد وههنا بمعنى القوة أى بناقة قوية أى توانى همى على قطع هذه البلدة المجهولة التى لا اعلام لها بناقة ذات قوة غليظة

﴿ماشئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع﴾

فى سورة ق عند قوله تعالى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب والزهزهة من قول فارسى يقال عند الاستحسان زهازه قال الزمخشرى وقد لمح الامام عبد القاهر فى بعض من يأخذ عنه ولا يحضر ذهنه بذلك البيت يعنى أن قول التلميذ فى حال تعليمه اياه زه زه كثير ولكن قلبه غائب عنه وذاهب الى مصقلاباذ يسقى زرعه وقبله
يجىء فى فضلة وقت له * مجىء من شاب الهوى بالنزوع ثم يرى جبلة مشبوبة * قد شددت أحماله للنسوع
ماشئت الخ ومصقلاباذ محلة بجرجان ذكر فى الآية ما يفيد أن الاول أعنى لمن كان له قلب تمثيل وأن قوله وهو شهيد امامن الشهود بمعنى الحضور والمراد التفطن لان غير المتفطن منزل منزلة الغائب فجاز أن يكون استعارة وجاز أن يكون مجازا مرسلا والاول أولى واما من الشهادة وصفا للمؤمن لانه شهد على صحة المنزل وكونه وحيا من الله تعالى فيبعثه على حسن الاصغاء أو وصفا له من قوله لتكونوا شهداء على الناس كأنه قيل هو من جملة الشهداء أى من المؤمنين من هذه الامة فهو كناية عن الوجهين وجاز أن يقال على الاول من هذين الوصف مقصود

﴿قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع﴾
﴿أسعى على جل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى﴾

هو لابى القيس بن الاسلت فى سورة والذاريات عند قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون حص شعره اذا حلقه والبيضة المغفر والهجوع الفرار من النوم والمراد انحسار الشعر عن الرأس باعتبار لبس المغفر وادمانه اياه

﴿أمن المنون وريبه أتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع﴾

فى سورة الطور عند قوله تعالى نتربص به ريب المنون وريب المنون ما يقلق النفس ويشخص بها من حوادث الدهر والدهر ليس بمعتب من يجزع أى لا يعتب الجازع ولا يزيل عتبه كما قيل عن الدهر فاصفح انه غير معتب * وفى غير من قد وارت الارض فاعتب ومن ذلك قول القائل ولو أن غير الموت شيأ أصابهم * عتبت ولكن ما على الموت معتب والبيت لابى ذؤيب الهذلى من قصيدة طويلة يرثى بها ابنيه قيل وهى أجود مرثية قالتها العرب وأولها

قالت امامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت وقل مالك ينفع أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فاجبتها ارثى لجسمى انه * أودى بنى من البلاد فودعوا أودى بنى وأعقبونى حسرة * بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
فالعين بعدهم كان حداقها * كحلت بشوك فهى عور تدمع فغبرت بعدهم بعيش ناصب * واخال أنى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم * فاذا المنية أقبلت لا تدفع واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع
والدهر لا يبقى على حدثانه * جون السراة له جدائد أربع الجدائد الاتن التى جفت ألبانها وقد تقدم الكلام على معنى بعض الابيات

﴿ومن يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع﴾

فى سورة النجم عند قوله تعالى والنجم اذا هوى عن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبى لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشأم فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله فقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

﴿فأدرك ابقاء العرادة ظلعها * وقد جعلتنى من خزيمة أصبعا﴾

فى سورة النجم عند قوله تعالى قاب قوسين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطو والشبر والفتر والاصبع قال * وقد جعلتنى من خزيمة اصبعا * وابقاء الفرس ما تبقيه من العدو الى أن تقرب من المقصود ومن عادة الخيل أن تبقى من عدوها بقية لوقت الحاجة اليها فتى ما استمشت بعد الكر والعمل أعطتها والعرادة اسم فرس القائل والظلع بالتسكين الغمز فى المشى لوجع فى الرجل يقال ظلع البعير فهو ظالع يقول انها ما وصلتنى الى العدو الذى هو خزيمة وبقى بينى وبينه قدر مسافة اصبع عرض لها ظالع وهو داء يكون فى الرجل ففات منى وهرب وقوله اصبعا أى مقدار مسافة أصبع وقائل الشعر الاسدى يصف فرسا وهو من قصيدة من الطويل أولها

فان تنج منها يا خزيم بن طارق * فقد تركت ما خلف ظهرك بلقعا ونادى منادى الحى أن قد أتيتم * وقد شربت ماء المزادة أجمعا أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى * ولا أمر للمعصى الا مضيعا اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

﴿تعبدنى نمر بن سعد وقد أرى * ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع﴾

فى سورة القمر عند قوله مهطعين الى الداع أى مسرعين مادى أعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم والتعبد اتخاذ الناس عبيدا يقول تعبدنى هذا الرجل وكان قبل هذا مطيعا لى وناظرا الى لا يقلع بصره عنى ينتظر مراسمى وقوله تعبدنى اخبار فى صورة الانكار كقوله أفرح أن أرزأ الكرام وقد تقدم ﴿وانى لاستوفى حقوقى جاهدا * ولو فى عيون النازيات باكرع﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها ونحوه * ولو فى عيون النازيات بأكرع * أراد ولو فى عيون الجراد النازيات الواثبات بأكرع بسوق دقيقة أراد ولو فى عيون الجراد سماهن بذلك لانهن ينزين بالاكرع وهى أرجلهن والنزو الوثب يصف الشاعر هزال الابل وانها الضمور هاترى أشخاصها فى عين ما يقابلها حتى فى عين الجراد لان النزو بالاكرع يختص بها

﴿وقفت اليه باللجام ميسرا * هنالك يجزينى الذى كنت أصنع﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وقيل المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسير اذا أرسلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا الخ يقول وقمت الى فرسى مهيئا له باللجام للدفاع والقتال ثم قال فى ذلك الوقت يجزينى ما أعايشه وأعامله به من ايثار اللبن والتضمير والتعليف وهو من أبيات الحماسة قال كان البدوى يقف على فرسه ناقة أو ناقتين فكان يسقيه لبنها يقول ساعة يفرح يجزى هذا الفرس ما كنت أصنع فى شأنه من اعطاء اللبن فقوله هنالك اشارة الى ذلك الوقت على سبيل الاستعارة أو اشارة الى مكان القتال لقوله فقمت اليه باللجام الخ ﴿مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى نسب فى قومه غير واضع﴾

فى سورة الجن عند قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اللمس المس استعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسسنا الخ وهو من أبيات الحماسة يخاطب الشاعر بنى عمه ويفتخر بأنه مخول أيضا دونهم فيقول طلبنا من قبل الآباء بالتفاخر فكنا فرسى رهان ثم طلبنا من قبل الامهات فكان بنو عمكم يعنى آباء الشاعر كرام المضاجع كناية عن الازواج وما أحسنها وهذا من أحسن المعاريض لان المراد كنا من طرف الآباء سواء وكانت أمهاتنا أشرف من أمهاتكم ومن هذا الباب قوله

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولن تجدى من أن تقرى به بدا

وعلى عكس ذلك قوله لا تزدرين فتى من أن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء

فانما

فانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء   وقد تقدم الكلام على البيتين فى محلهما على سبيل البسط والاطناب بما يستحسنه ذوق أولى الالباب

﴿جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب به والمكرع﴾

فى سورة عبس عند قوله تعالى وفاكهة وأبا الجذم بالكسر والفتح الاصل وجذم القوم أصلهم والاب المرعى لانه يؤب وينتجع والاب والام اخوان قيل ان بعضهم خاطب مخدوما وقال له أنت عندنا مثل الاب بتشديد الباء فقال له املك ترعانى والمكرع المنهل يقال كرع الماء أى تناوله بفيه يقول أصلنا من قبيلة قيس ومرعانا ومصلنا نجد

﴿قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أوسافع﴾

فى سورة العلق عند قوله تعالى لنسفعا بالناصية السفع القبض على الشئ وجذبه بشدة نقع الصوت اذا ارتفع الشاعر يصفهم بالسرعة الى الحرب والنصرة حتى أن بعضهم يأخذ بناصية مهره ولا يلجمه تعجيلا من الاجابة ولهذا خص المهر لانه حاضر يرى فى البيت والاسفع الذى أصاب خده لون يخالف سائر لونه من سواد وقيل فى قوله لنسفعا بالناصية أى لنعلمنه علامة أهل النار فيسود وجهه وتزرق عينه فاكتفى بالناصية من سائر الوجه لانها فى مقدم الوجه

﴿حرف الفاء﴾

﴿وغيضة الموت أعنى البذ قدت لها * عرمرما تخرق الارض معتسفا﴾

﴿كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الغيضة فى الاصل مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر وههنا المعسكر والبذ اسم موضع وعرمرما أى جيشا وخروق الارض طرائقها والعسف ركوب الامر من غير تدبير وعسف عن الطريق أى حاد عنه والوسط المحمى يقال للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط محمية محفوظة ومعناه مجتمع المعسكر قدت لها عسكرا كثيرا من كثرتهم لا يقدرون أن يسيروا سواء السبيل بل يعتسفون عنه وكانت تلك المعركة وسطا محميا لا يتطرق اليه الفساد فأصبحت بتلك الوقعة طرفا يتسارع اليه الفساد والشعر لابى تمام يصف فيه البذ وهى قلعة بابك الخرمى ظهر فى أيام المعتصم وبعده

وظل بالظفر الافشين مرتديا * وبات بابكها بالذل ملتحفا   والافشين كان صاحب جيش المعتصم والقصيدة فى مدحه

(تتمة) قولهم العشر الاوسط عامى ولا عبرة بما فشا على ألسنة العوام مخالفا لما نقله أئمة اللغة لان العشر جمع والاوسط مفرد ولا يتبع الجمع بمفرد على انه يحمل على غلط الكتاب باسقاط الالف من الاواسط والهاء من العشرة

﴿ان لنا أحمرة عجافا * يأكلن كل ليلة اكافا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ما يأكلون فى بطونهم الا النار يعنى فعلفها كل ليلة ثمن اكاف وفى المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أى لا تأكل أجرة الرضاع وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة التوبة عند قوله تعالى ليأكلون أموال الناس بالباطل من حيث ان الاموال يؤكل بها فهى سبب الاكل

﴿اليك أمير المؤمنين رمت بنا * شعوب النوى والهوجل المتعسف﴾

﴿وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحت أو مجلف﴾

هو للفرزدق فى سورة البقرة عند قوله تعالى فشربوا منه الا قليل منهم حيث رفع مسحت مع كونه استثناء مفرغا فى موضع المفعول به وهذا من ميلهم مع المعنى لانه فى موضع الفاعل والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قال فلم يطيعوا الا قليل منهم وأتى الزمخشرى فى سورة طه الا مسحت أو مجلف وقال بيت لم تزل الركب تصطك فى تسوية اعرابه فمن روى الا مسحت أو مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت أو مجلف ومن روى الا مسحتا أو مجلف فانه رفع مجلف بالعطف على المعنى لان المعنى فى قوله لم يدع الا مسحتا بقى مسحت فكانه قال وبقى مجلف وقال بعض النحاة لم يدع أى لم يستقر فعلى هذا المعنى لم يدع من المال الا مسحت أو مجلف أى لم يستقر من المال ويرتفع مسحت بفعله قيل سئل الفرزدق ان كان من الموجب فهلا قلت مجلفا وان كان من غيره فهلا قلت مسحتا فقال قلت ذلك لتشقى به النحويون

﴿هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم * ماضى العزيمة ما فى حكمه جنف﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وذروا ما بقى من الربا حيث قرئ بسكون الياء كما فى قوله ما رضى لكم

لقد زاد البنات الى حبا * بناتى أنهن من الضعاف
مخافة أن يذقن الموت بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صاف
وان يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا هن قد سومت مهرى * وفى الرحمن للضعفاء كاف

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى ما ينفقون حيث شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به الاوجه الله بالزرع الذى حسبه البرد فذهب حطاما على تقدير أن يكون من قولك ان ضيعنى فلان ففى الله كاف قائل هذا رجل من تميم وكان قد تلوم فى الخروج الى الغزو ومنعته الشفقة على بنيات له وفقد من يعولهن بعده الرنق كدر الماء ونبا عنه اذا فارقه والعجاف جمع أعجف وهو الذى لا سمن له * وسومت مهرى أى جعلت له علامة والسيماء العلامة يقول ان جبنى وتخلفى عن الغزو لهؤلاء البنات فانى ان قتلت لم يبق من يكسب لهن فعرين وجعن ونبت عين من يتزوجهن عنهن ولولا هن سومت مهرى للغزو

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

البيتان للزمخشرى عند قوله تعالى لن ترانى ولكن انظر الى الجبل الى آخر الآية موكفة من الاكاف وهو البردعة والبلكفة قولك بلا كيف يقرر مذهبه فى نفى الرؤية و يقدح فى أهل السنة والجماعة الذين يصدقون بان رؤية الله تعالى حق و يقولون نرى ربنا يوم القيامة بلا كيف كما قال النبى صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته وكان الشافعى رضى الله عنه يتمسك فى اثبات الرؤية بقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال لما حجب الكفار بالسخط دل على أن الاولياء يرونه فى الرضا وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤية العباد ربهم يوم القيامة فقال منهم من ينظر الى ربه فى السنة مرة ومنهم من ينظر الى ربه فى الشهر مرة ومنهم من ينظر الى ربه فى الجمعة مرة ومنهم من ينظر الى ربه بكرة وعشية رزقنا الله تعالى رؤيته فى الآخرة كما رزقنا فى الدنيا بكرمه معرفته ولقد عورض ما أنشده وأنشأه من الهذيان بأبيات ذكرها السكونى فى التمييز وهى

سميت جهلا صدر أمة أحمد * وذوى البصائر بالحمير الموكفه * ورميتهم عن نبعة سميتها
رمى الوليد غدا يمزق مصحفه * وزعمت أن قد شبهوه بخلقه * وتخوفوا وتستروا بالبلكفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى * فهوى الهوى بك فى المهاوى المتلفه * وجب الخسار عليك فانظر منصفا
فى آية الاعراف فهى المنصفه * أترى الكريم أتى بجهل ما أتى * وأتوا شيوخك ما أتوا عن معرفه

أنى ألم به الخيال يطيف * ومطافه بك ذكرة وشغوف

هو لكعب بن زهير عند قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون طيف من الشيطان لمسة منه من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وأنى معناه فكيف وأين وألم أى نزل والالمام الزيارة والشغوف امتلاء القلب من الحب

للبس عباءة وتقر عينى * أحب الى من لبس الشفوف

فى سورة هود عند قوله تعالى لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد بالنصب باضمار أن كانه قال لو أن لى قوة أو آو يا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم العباءة نوع من الاكسية فيه خطوط سود والشفوف الرقاق من الثياب والشف من الستور الذى يرى ما خلفه تقول لبس ثياب خشنة من حلال بلا رعونة و بعده تقر عينى أحب الى من لبس ثياب تنعم وتكلف فيها سخنة عينى فى المآل قال سيبويه التقدير للبس عباءة وان تقر عينى فهو كقوله أو يرسل رسولا فى تقدير وان يرسل رسولا والبيت قالته ميسون بنت بحدل الكلبية زوجة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وأم ابنه يزيد وكانت بدوية الاصل فضاقت نفسها لما تسرى عليها فعذلها عن ذلك معاوية وقال لها أنت فى ملك عظيم وما تدرين قدره وكنت قبل اليوم فى العباءة فقالت للبس عباءة الخ ومنها

وبيت تخفق الارياح فيه * أحب الى من قصر منيف
وبكر تتبع الاظعان سقبا * أحب الى من بغل زفوف
وكلب ينبح الطراق عنى * أحب الى من قط ألوف
وخرق من بنى عمى نحيف * أحب الى من جلف عليف
ولبس عباءة وتقر عينى الخ

فما أبغى سوى وطنى بديلا * فحسبى ذاك من وطن شريف

قولها جلف عليف أرادت به معاوف و يروى من علج عليف قال أبو الحجاج تعنى بذلك معاوية لقوته وشدته مع سمنه ونعمته

انى

﴿انى على ماترين من كبرى * أعرف من أين تؤكل الكتف﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر يعنى مع كما فى البيت وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير فى حال الكبر يقول انى مع ماترين بامحبوبة من كبرى اعرف الاشياء حق معرفتها لانى مارستها طول الزمان وما أصابنى خرف يضرب هذا المثل للرجل الداهى قال بعضهم تؤكل الكتف من أسفلها ومن أعلى يشق عليك و يقولون تجرى المرقة من لحم الكتف والعظم فاذا أخذتها من أعلى جرت عليك المرقة وانصبت واذا أخذتها من أسفلها انقشرت عن عظمها وبقيت المرقة كانها ثابتة

﴿أزهير هل عن شيبة من مصرف * أم لا خلود لباذل متكلف﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى ولم يجدوا عنها مصرفا أى معدلا وزهير ترخيم زهيرة اسم امرأة والبيت لابى كبير الهذلى أى يازهيرة هل انصراف عن الشيب والاستفهام للانكار أى لا يقدر أحد أن ينصرف عنه فيأخذ غير طريقه أم لا خلود لاحد يبذل ماعنده و يتكلف بذله على مشقة وأراد بقوله أم لا خلود أنه لا مصرف عن الشيب لانه لو كان عنه مصرف لامكن الخلود

﴿وقال حنان ماأتى بك ههنا * أذونسب أم أنت بالحى عارف﴾

أنشد سيبويه هذا البيت فى كتابه ولم يعزه الى أحد واستشهد به فى سورة مريم عند قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة وقال ابن عباس كل القرآن أعلمه الا أربعا غسلين وحنان والاواه والرقيم كأن الشاعر أنكر مجيئه الى الحى فقال له قل رحمة منك ماأتى بك الى ههنا أقريب ذونسب أتى بك والبيت لمنذر بن درهم الكلبى وقبله

أحدث عهد من أمينة نظرة * على جانب العلياء اذ أنا واقف

و بعده البيت وهو خبر مبتدا محذوف أى الذى أتى بك عندنا أو أمرنا حنان ومنه قوله

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

﴿وذبيانية وصت بنيها * بأن كذب القراطق والقروف﴾

فى سورة العنكبوت عند قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصى حكمه حكم أمر كما تقول وصيت زيدا أن يفعل كذا أى أمرته ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها أى امرأة ذبيانية وذبيان اسم قبيلة وكذب معناه الاغراء أى عليكم به قال فى الصحاح وكذب قد تكون بمعنى وجب وفى الحديث ثلاثة اسفار كذبن عليكم قال ابن السكيت كان كذب ههنا اغراء أى عليكم به وهى كلمة نادرة جاءت على غير قياس وجاء عن عمر رضى الله عنه كذب عليكم الحج أى وجب قال الاخفش فالحج مرفوع بكذب ومعناه نصب لانه يريد ان يأمر بالحج كما يقال أمكنك الصيد أى ارمه قال الشاعر

كذب العقيق وماء شن بارد * ان كنت سائلتى غبوقا فاذهبى

والقراطق جمع القرطق وهى القطيفة المخملة والقروف أوعية من أدم وقيل القروف شئ من جلود يجعل فيه اللحم المطبوخ بالتوابل يصف امرأة ذبيانية وصت بنيها بحفظ القراطق والقروف

﴿أخوك الذى لاتملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف﴾

فى سورة الاحزاب عند قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال المراد بالامانة الطاعة وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز وأما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل الامانة ومحتمل لها يريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا ترى انهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق ونحوه قولهم لايملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصرة و يسامحه بها ولا يمسكها كما لا يمسك الباذل ومنه قول القائل أخوك الذى الخ أى لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين مافى يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه والحس مصدر قولك حس له أى رق له والبيت لذى الرمة وأحفظه اذا أغضبه ومنه بيت الحماسة

اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا وارفضاض الدمع ترششه والكتيفة الضغينة والحقد أى لايمسك والمعنى أخوك الذى ان أصابك من أحد ما يسوءك يغضب لك وترتعد كتائفه منه ولا تملك نفسه الحس والعقل والنظر فى العواقب فى تأخير الانتقام والمحفظات من أحفظه اذا أغضبه والكتيفة الضغينة أى هو الذى اذا رآك مظلوما رق لك وذهب حقده

﴿ما انس سلمى غداة تنصرف * تمشى رويدا تكاد تنغرف﴾

فى سورة ص عند قوله تعالى ولى نعجة واحدة فى قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى كانه وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها والغرف

غرفك الماء باليدو بالمغرفة فرس غراف كثير الاخذ من الارض بقوائمه وصفها بالاناة والتؤدة وانها تكاد تنغرف من الارض بوطئها اياها أى قريب من ذلك وسيأتى لهذا زيادة ايضاح عند شرح قوله فتور القيام قطيع الكلام * لعوب العشاء اذا لم تنم

أودى جميع العلم مذ أودى خلف * من لا يعد العلم الا ما عرف

راوية لا يجتنى من الصحف * قليذم من العياليم الخسف

فى سورة المؤمن عند قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت أى القوام بتعذيب أهلها قال فى الكشاف ان قلت هلا قيل الذين فى النار لخزنتها قلت لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر كما قال أبو نواس فى خلف الاحمر قليذم والشعر لابى نواس فى خلف بن أحمد الاحمر الذى قيل فيه خلف بن أحمد أحمد الاخلاف * أربى بسودده على الاسلاف قوله راوية أى كثير الرواية لا يجتنى العلم من الصحف لانه محفوظ فى صدره قليذم أى بئر غزيرة الماء والعيلم الركية الكثيرة الماء والخسف البعيدة الغور

يحيى رفات العظام بالية * والحق يا مال غير ما تصف

فى سورة الزمر عند قوله تعالى ونادوا يا مال بحذف الكاف للترخيم كقوله والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم لانهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقريب من هذا ما قالوه فى تعريف المسند اليه للاختصار كما فى قوله هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق حيث عدل عن قوله الذى أهواه الى قوله هواى لانه أخصر منه وسبب الاختصار ضيق المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن والحبيبة على الرحيل

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فى سورة الدخان عند قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض والبيت لليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد وبعد البيت

فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بحليف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا * فديناه من ساداتنا بألوف

الى أن قالت عليك سلام الله وقفا فاننى * أرى الموت وقاعا بكل شريف والخابور موضع كثير الشجر قالت الخارجية ذلك على سبيل التمثيل فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض بل مقاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل

دعاك الله من رجل بأفعى * ضئيل ينفث السم الذعافا

فى سورة المعارج عند قوله تعالى تدعو من أدبر وتولى تقول العرب دعاك الله أى أهلكك الله تعالى يقال دعافلانا بما يكره أى أنزل به وسم ذعاف قاتل

الموقدى نار القوى الآصال والاسحار بالاهضام والاشعاف

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى * ترمى بكل شرارة كطراف

هو لابى العلاء فى سورة المرسلات عند قوله تعالى كانه جمالات صفر الاهضام الارض المطمئنة والاشعاف جمع شعف وشعف كل شئ أعاليه والعرب تفتخر بأنها توقد النار فى الاودية والاماكن المرتفعة كما قال أبو العلاء أيضا

الموقدون بنجد نار أودية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

شبهها بالطراف وهو بيت الادم فى العظم والحمرة والمعنى أن نيرانهم عظيمة فشرارها على مقدار عظمها ونعى عليه الزمخشرى وقال كانه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن حيث قال ترمى بشرر كالقصر ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر البيت بقوله حمراء توطئة لها زيادات عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وجل كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله أحمر وعلى أن فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوص من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه فى طرافه وما نفخ بشدقيه باستطرافه

أضحت خلاء يا قفار الا أنيس بها * الا الجآذر والظلمان تختلف

وقفت فيها قلوصى كى تجاوبنى * أو يخبر الرسم عنهم أية صرفوا

فى سورة الليل عند قوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أى ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار أحد الا حمار وأنشد بشر بن أبى حازم فى اللغتين أضحت خلاء الخ أية أى أى وجه صرفوا نيتهم الجآذر

جمع

جمع جؤذر وهو ولد المها والظلمان جمع ظليم وهو النعام تختلف أى تتردد وبرواية الاالجوازئ وهى الظباء التى اجتزأت بالرطب عن شرب الماء واحدها جازئة

﴿زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف﴾

أولئك أومنوا جوعا وخوفا * وقد جاعت بنو أسد وخافوا

البيتان لمساور بن هند بن قيس فى سورة قريش ألفته الافا ككتاب وألفته الفا وقد جمع الشاعر بينهما فى قوله لهم الف الخ أى أهلكت أصحاب الفيل لالف قريش مكة ولتألف قريش رحلة الشتاء والصيف أى تجمع بينهما اذا فرغوا من ذه أخذوا فى ذه والشاعر يهجو بنى أسد ويقول انكم لستم من قريش ولا قريش منكم فدعواكم اخوتهم باطل لانهم أطعموا من جوع وأومنوا من خوف ولستم كذلك وقوله لهم الف استئناف ثان والتعليل أقيم مقامه لدلالته عليه ومن طريق هذا البيت قوله

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

﴿وقول الآخر﴾

أيها المدعى سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر انما أنت من سليم كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿حرف القاف﴾

﴿يا نفس مالك دون الله من واق * ولا للسع بنات الدهر من راق﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا أى خذه من أدنى مكان ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أى فى الشرف ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد ومنه يا نفس الخ ﴿تريك القذى من دونها وهى دونه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ومعنى دون أدنى مكان من الشئ وجاء ههنا بمعنى القدام وقال يصف زجاجة فيها خمر أى قدامها وزاد القائل فى وصف رقة الزجاجة صفاء الخمر كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر وفى معناه

تخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكف قائمة بغير اناء

﴿كأن عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ان لهم جنات وسمى الشجر المظلل بالجنة لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة والبيت لزهير شبه عينه فى تذراف الدموع بالغرب وهى الدلو العظيمة والمقتل من الدواب الذى ذل ومرن على العمل والناضح الجمل الذى يسقى عليه وتسقى جنة سحقا أى نخلا طوالا وانما خص النواضح المذللة لانها تخرج الغرب وتنزعها من البئر ملأى بخلاف الصعبة لانها تنفر فيسيل الماء من نواحى الغرب وزيادة سحقا أى طوالا فى السماء وبعادا عن محل الاستقاء فتحتاج الى ماء أكثر وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الشعراء عند قوله تعالى فى جنات وعيون ونخل قال الزمخشرى ان قلت لم قال ونخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل أول شئ كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم يذكرون الجنة فلا يريدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل كما فى قول زهير تسقى جنة سحقا قلت فيه وجهان أن يخص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده منها بفضله عليها او ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل

﴿فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق﴾

هو لرؤبة فى سورة البقرة عند قوله تعالى عوان بين ذلك فان بين يقتضى شيئين فصاعدا وانما جاء ذلك لان أسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك جاء الذى بمعنى الجمع قال أبو عبيدة قلت لرؤبة ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كان ذلك وقد أجرى الضمير مجرى أسماء الاشارة وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة النساء عند قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا حيث كان الضمير فى منه جاريا مجرى اسم الاشارة كأنه قيل عن شئ من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات أو يرجع الضمير الى ما فى معنى الصدقات وهو الصداق وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة يس عند قوله تعالى ليأكلوا من ثمره على تقدير رجوع الضمير الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها فى حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما فى قول رؤبة فيها خطوط

الخ فقيل له فقال أردت كأن ذلك ويجوز أن يرجع الضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة عن طريقة الالتفات

﴿اذا قالت الانساع للبطن الحق﴾ تمامه * قدوما فأضحت كالفنيق المحنق *

فى سورة يس عند قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون أى ان ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف النسع الذى ينسج عريضا يشد على وسط الدابة والقدوم المضى فى الامر والفنيق الفحل المكرم والمحنق الضامر من أحنق سنام البعير أى ضمر أى اذا قالت الحزم للبطن أضمر حتى تلحق بالظهر وتلتصق به والقول منه تمثيل ومجاز اذ لا قول له يصفها بالضمور وان بطنها الصق بالقاب من الهزال وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الكهف عند قوله جدارا يريد أن ينقض حيث أسند الارادة الى الجدار ونحوه قوله تقول سنى للنواة طنى يصف شدة أكله ونحوه قول أبى نواس

فاستنطق العود قد طال السكوت به * لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

أى لا يحصل اللهو والفرح حتى يضرب العود فينطق أى يصوت واسناد النطق الى اللهو على سبيل المجاز ومثله ولما سكت عن موسى الغضب

﴿لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى والفتنة أشد من القتل يقول القتل بالسيف أهون على النفس من فراق الحبيب ومن هذا قيل أشد العذاب مفارقة الاحباب وقيل

وكل مصيبات الزمان وجدتها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

ولله در المتنبى حيث يقول

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

﴿أحب أبا ثروان من حب تمره * وأعلم أن الرفق بالجار أرفق﴾

﴿ووالله لولا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عبيد ومشرق﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه وعبيد ومشرق ابنا القائل يقر أن حبه اياه لاجل فائدة تنال منه وان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وهذا شاذ نادر لا يجىء من باب فعل يفعل بكسر العين فى المستقبل من المضاعف فعل يتعدى الا أن يشركه يفعل بضم العين نحو نم الحديث ينمه وشد الشئ يشده وكذا أخواتهما وحبه يحبه جاءت وحدها شاذا لا يشاركها يفعل بضم العين

﴿وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم يعنى من اللاتى سبين ولهن أزواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات والبيت للفرزدق روى انه قيل للحسن وعنده الفرزدق ما تقول فيمن يقول لا والله بلى والله فقال أما سمعت قولى فى ذلك قال الحسن ما قلت قال قلت فلست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

فقال الحسن أحسنت ثم قيل ما تقول فيمن سبى امرأة ولها حليل فقال أما سمعت قولى وأنشد وذات حليل أنكحتها رماحنا الخ فقال الحسن أحسنت كنت أراك اشعر فاذا أنت أشعر وأفقه أيضا

﴿هل هى الا حظة أو تطليق * أو صلف أو بين ذاك تعليق﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى فتذروها كالمعلقة وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة اذا لم تحظ المرأة عند زوجها قيل صلفت صلفا ونساء صالفات وصلائف

﴿اذا جزت نواصى آل بدر * فأدوها واسرى فى الوثاق﴾

﴿والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا فى شقاق﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فالصابئون مرفوع للتأخير عما فى خبر ان كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وأنشد سيبويه شاهدا له والا فاعلموا أنا وأنتم الخ أى فاعلموا انا بغاة وأنتم كذلك والبيت لبشر بن أبى حازم وقبله اذا جزت الخ وسبب هذا الشعر ان قوما من آل بدر جاؤا الى بنى طى فعمد بنو طى فجزوا نواصيهم وقالوا اقد مننا عليكم ولم نقتلكم وآل بدر حلفاء بنى أسد فغضب بنو أسد لاجل ما صنع بالبدريين فقال بشر بن أبى حازم هذه القصيدة يذكر فيها ما صنع بآل بدر ويقول للطائيين اذا جززتم نواصيهم فاحملوا الينا وأطلقوا من أسرتم منهم فان لم تفعلوا فاعلموا انا نبغيكم ونبقى أبدا معاندين يبغى بعضنا على بعض

﴿وابسالى بنى بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق﴾

فى سورة الانعام عند قوله تعالى وذكر به أى بالقرآن أن تبسل نفس بما كسبت أى مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وأصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه يقال بسل الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا ابسل والبيت لعوف بن الاحوص يتحسر على تسليم أبنائه الى الهلكة بغير جرم جرموه ولا دم أراقوه وكان رهن بنيه وحمل لبنى قشير دم أبى الصحيفة فقالوا لا نرضى بك فدفعهم رهنا

﴿وفارس فى غمار الموت منغمس * اذا تألى على مكروهة صدقا﴾
﴿غشيته وهو فى جأواء باسلة * عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين معا والغمر الماء المغرق والغمس هو ارسال الشئ فى ماء تألى أى حلف والتغشى أصله الاتيان والملابسة ومنه الغشاوة والغطاء والجأواء الكتيبة العظيمة التى اسودت أو اخضرت من كثرة السلاح وهو من الجؤة يعنى أحضروا بالسلاح والبسالة الشجاعة يقال رجل باسل وأسد باسل والعضب السيف القاطع وأصاب بمعنى طلب وبمعنى نال ويقال فى المثل أصاب الصواب فأخطأ الجواب أى طلب الصواب والسواء الوسط ومنه قوله تعالى سواء الجحيم ومعنى البيت رب فارس فى غمار الموت منغمس اذا حلف على مكروهة من المكاره صدق فى يمينه ولا يحنث ثم قال غشيته أى رب فارس صفته كذا أنا ضربته وهو فى جيش تام السلاح بعضب قاطع وسط رأسه فشقه ﴿كما جوز السكى فى الباب فيتق﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وقرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذى فى بيت الاعشى واذا تجوزنا حبال قبيلة * أخذت من الاخرى اليك حبالها

[illegible] XIII, 143

لانه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر كما قال كما جوز السكى فى الباب فيتق والسكى بفتح السين المسمار والياء للمبالغة والفيتق النجار قيل خطب على عليه السلام على منبر الكوفة وهو يومئذ غير مسكوك أى غير مسمر من السك وهو تضبيب الباب ﴿خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه على تقدير أن يكون أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت وهاء السكت قد تحرك بحركة الضمير اجراء لها مجراها وقد قالوا ذلك فى قول المتنبى * واحر قلباه ممن قلبه شبم * يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ المعنى من التفسير يقول استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك فانك ان ظهرت حاضت الشواب فى خدورهن عشقة لك وصبابة وذلك أن المرأة اذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال دم حيضها ويروى ذابت وهو أولى لبشاعة لفظ الحيض

﴿فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع فى الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن فى خزينته التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع الجون الاسود ههنا ورواه ابن جنى بضم الجيم والسحاب جمع سحابة

﴿وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق﴾

البيت لسلامة بن جندل فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد وهى القيود وقيل الاغلال وزيد الخيل اسم علم لرجل وقوله يعض صفة لصفاد وحمل الشاعر على المعنيين جميعا فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل

﴿وقد قالت الزباء حصن سموأل * تمرد مارد وعز الابلق﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض مارد حصن دومة الجندل والابلق حصن السموأل بن عادياء وصف بالابلق لانه بنى من حجارة مختلفة الالوان بأرض تيماء ويدل على هذا قول الاعشى

[illegible] IV, 269

بالابلق الفرد من تيماء منزلة * حصن حصين وجار غير غدار

قيل انهما حصنان قصدتهما الزباء ملكة الجزيرة فلم تقدر عليهما واستصعبا عليها فقالت تمرد مارد وعز الابلق فصار مثلا لكل ما يعز ويمتنع على طالبه ومعنى عز غلب من عز يعز بالضم ويجوز أن يكون من عز يعز بمعنى امتنع بكسر العين

[illegible] p. 226

﴿لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار فى يفاع تحرق﴾

﴿تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق﴾

﴿رضيعى لبان ثدى أم تراضعا * بأسحم داج عوض لانتفرق﴾

قائله الاعشى فى سورة طه عند قوله تعالى أو أجد على النار هدى فان معنى الاستعلاء على النار ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد أو لان المصطلين بها المستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها فهو استعلاء مجازى ومنه * وبات على النار الندى والمحلق * وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة ص عند قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق قال فى الكشاف ان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شىء وحالا بعد حال ومثله قول الاعشى

* الى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيأ وقوله محشورة فى مقابل يسبحن لانه لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيأ بعد شىء وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة البروج عند قوله تعالى اذهم عليها قعود أى على مكان يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه والمحلق بكسر اللام سمى بذلك لان بعيره عضه فى وجهه فبقى أثر العضة مثل الحلقة وهو رجل فقير من بنى عكاظ خامل الذكر كان له عشر بنات لا يرغب فيهن أحد لفقرهن ففارق حى عكاظ وانعزل عنهم الى بعض المهامه والبرارى لانفة نفسه فنزل به الاعشى ذات ليلة فأحسن قراه وأكرم مثواه ونحر له ناقة لم يكن عنده غيرها فوقع سخاؤه من الاعشى موقعا جليلا فلما أصبح الاعشى واستوى على راحلته قال له ألك حاجة قال نعم قال فما هى قال انى أريد أن تسير بذكرى فى بنى عكاظ وبين العرب لعلى أشتهر ويرغب فى بناتى أحد فقدمهن العنس فتوجه الاعشى الى عكاظ ومدحه بقصيدة طويلة ذكر فيها مكارم أخلاق المحلق ومحاسن شيمه واستمال قلوب أهل عكاظ الى مواصلته واخائه فلم يمض الا قليل حتى خطب اليه جميع بناته ومطلع القصيدة المذكورة

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وما بى من سقم وما بى تعشق
ولكن أرانى لا أزال بحادث * أغادى بما لم أمس عندى واطرق

ومنها البيت المشهور

تريك القذى من دونها وهى دونه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ومنها

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

ومنها

يداك يدا صدق فكف مفيدة * وكف اذا ماضن بالمال تنفق

قوله أرقت الارق هو السهر وقيل هو سهر أول الليل خاصة ولاحت نظرت وتشوقت واليفاع من الارض المشرف وتشب بضم التاء وفتح الشين توقد وتشعل والمقرور الذى أصابه القر بكسر القاف وهو البرد يصطليانها أى يسخنان بها والندى الكرم والمحلق اسم الممدوح وما أحسن عطفه على الندى ايماء الى أنهما متصاحبان متشاركان فى الالفة حتى كانهما من جنس واحد وأثبت فى البيت الثالث لهما الاخوة المقتضية للالتئام والانضمام حيث قال رضيعى لبان وهو حال منهما أى رضيعى ثدى أم واحدة واللبان بكسر اللام لبن المرأة خاصة ويقال فى لبن غيرها اللبن وعنى باسحم داج الليل أى تحالفا فى ليل شديد السواد وقيل هو الرحم أى تحالفا فى ظلمة الاحشاء وقيل غير ذلك وقوله عوض لانتفرق أى أبدا وهو ظرف للمستقبل تقول لا أفعله عوض العائضين كما أن قط ظرف لاستغراق الزمان الماضى فى قولك ما فعلته قط *(فائدة)* قال العسكرى نيران العرب بضع عشرة * نار القرى توقد للاضياف ليهتدى الطارقون الى المنزل ونار الاستمطار كانوا اذا احتبس المطر عنهم يجمعون البقر ويعقدون فى أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها فى الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر قال أمية بن أبى الصلت سلع ما ومثله عشر ما * عائل ما وعالت البيقورا وقال آخر لادر در رجال خاب سعيهم * يستمطرون لدى الازمات بالعشر أجاعل أنت بيقورا مسلعة * ذريعة لك بين الله والمطر ونار التحالف كانوا يعقدون حلفهم عندها ويذكرون منافعها ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها عن من ينقض العهد وخصوا النار بذلك دون غيرها من المنافع لان منفعتها تختص بالانسان لا يشركه فيها شئ من الحيوان قال أوس بن حجر

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه * كما صد عن نار المهول حالف

ونار الطرد كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه كما قال الشاعر وجمة أقوام حملت ولم تكن * لتوقد نارا خلفهم للتندم ونار الاهبة للحرب كانوا اذا أرادوا حربا أوقدوا نارا على جبل ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتون فاذا جد الامر أوقدوا نارين قال الفرزدق

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * نزل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

ونار الصيد توقد للظباء لتعشى اذا نظرت اليها ويطلب بها بيض النعام قال طفيل

غوارب لم تسمع بنوح مقامة * ولم تر نارا ثم حول محرّم سوى نار بيض أو غزال بقفرة * أغنّ من الخنس المناخر توأم

ونار الأسد كانوا يوقدونها اذا خافوه وهو اذا رأى النار استهالها فشغلته عن السابلة ونار السليم توقد للملسوع والمجروح اذا برد وللمضروب بالسياط ولمن عضه الكلب الكلب لئلا يناموا فيشتد بهم الامر حتى يؤديهم الى الهلكة قال الأعشى فى نار المجروح

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 106

أبا ثابت انا اذا يسبقوننا * سيركب سدا أو ينبه نائم مدامته يغنى الفراش رشاشها * يبيت لها ضوء من النار جاحم

ونار الفدى كان الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة للفداء والاستيهاب فكرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحوا وفى الظلمة فيخفى قدر ما يحبسون لانفسهم من الصفى فيوقدون النار لعرضهن قال الأعشى

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 106

ومنا الذى أعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها نساء بنى شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى له فتياتها

ونار الوسم يقال للرجل ما نارك أى ما سمة ابلك قال يشفون آبالهم بالنار * والنار قد تشفى من الاوار

ونار الحرب مثل لا حقيقة لها ونار الحباحب كل نار لا أصل لها مثل ما ينقدح بين نعال الدواب وغيرها قال أبو حية

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 107

وأوقدت نيران الحباحب والتقى * غضا تتراقى بينهن ولاوله

ونار البراعة وهو طائر صغير اذا طار بالليل حسبته شهابا وضرب من الفراش اذا طار بالليل حسبته شرارة ونار البرق العرب يسمون البرق نارا ونارا الحرتين كانت فى بلاد عبس تخرج من الارض فتؤذى من مرّ بها وهى التى دفنها خالد بن سنان قال

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 107

كنار الحرتين لها زفير * تصم مسامع الرجل السميع

ونار السعالى شئ يقع للمتغرب أو المتقفر قال ولله در الغول أى رفيقة * لصاحب دق خائف متقفر

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 107

أربت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تبوخ وتزهر

Diwan ?? ?? ?? ??

والنار التى توقد بمزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة فهى توقد الى الآن وأول من أوقدها قصى انتهى كلام العسكرى ملخصا (حكى) أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن قوله تعالى عجل لنا قطنا قال القط الجزاء قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت قول الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطى القطوط ويطلق

In Suyuti's Sharh shawahid al-Mughni p. 107

Diwan ?? Ru'bah XL 103, 104

﴿وسوس يدعو مخلصا رب الفلق * سرا وقد أوّن تأوين العقق﴾

﴿فى الزرب لو يمضغ شريا ما بصق﴾

البيت لرؤبة من قصيدته الارجوزة المشهورة فى سورة طه عند قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان يصف رؤبة قانصا قاعدا عند الشريعة للحمير ليرميها اذا وردت الماء وسوس أى الصائد يدعو مخلصا بالكلام خطر سرا وقد أوّن يعنى الحمير امتلأت بطونها من الماء فصارت كالحوامل من كثرة الشرب والعقق الحوامل والواحدة عقوق وفى المثل أعز من بيض الانوق والابلق العقوق الانوق على فعول طائر وهو الرخمة لانها تحرزه فلا يكاد يظفر بها لان أوكارها فى رؤس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة وهى تحمق مع ذلك قال الكميت وذات اسمين والالوان شتى * تحمق وهى كيسة الحويل

مأخوذ من حاولت الشئ أردته والاسم الحويل وانما قال ذات اسمين لانها تسمى الرخمة والانوق وأما الابلق العقوق فلأن الابلق لا يكون الا ذكرا ﴿قالت سليمى اشتر لنا سويقا * وهات خبز البر أو دقيقا﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى فانهم عدو لى فان العدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجماعة بشهادة المصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل ﴿هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عوف بن مخراق﴾

هو لتأبط شرا وقيل انه لجرير الخطفى فى سورة الشعراء عند قوله تعالى هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحركه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت الخ ودينار اسم رجل وكذا عبد رب ويجوز أن يكون أخا عوف نصبا على الصفة لعبد رب لانه اسم علم كعبد الله ودينار مجرور فى اللفظ ومنصوب فى المعنى فلذلك عطف عليه عبد رب وأخا عوف منادى أى يا أخا عوف يريد أن يعينه سريعا ولا يبطى تهييجا للمخاطب

﴿وقوم على ذوى مرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجماعة قال وقوم على ذوى مرة الخ ومنه وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والوقود والحنين والصهيل وذوى مرة أى مجادلة ومخاصمة وذلك من سنن

العرب ومنه لانفرق بين أحد منهم والتفريق لا يكون الا بين اثنين والتقدير لا نفرق بينهم ومنه وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير وغير ذلك

﴿يلوح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق﴾

فى سورة سبأ عند قوله تعالى وجفان كالجواب وهى الحياض الكبار لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة وتفوق من فهق الاناء كفرح امتلاء ومنه الحديث انه قام الى باب الجنة فانفهقت له يريد انفتحت واتسعت ومنه المتفيهق المكثر من الكلام قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل والبيت للاعشى من قصيدته القافية المشهورة التى مدح بها المحلق وتسير بذكره فى بنى عكاظ كما تقدم ذكر ذلك مفصلا وهذه الجفنة هى احدى الجفنات التى وقعت فى شعر حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

﴿فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى ردف لكم حيث زيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وردف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم يقال ردفته أردفه أركبته خلفى وهى دابة لا ترادف ولا تقل لا تردف وقد عدى بمن قال فلما ردفنا من عمير الخ يعنى دنونا من عمير وتعنق من العنق وهو السير السريع السهل يقال دابة معناق ومعنق يقول لما دنونا من عمير وصحبه للمحاربة أدبروا مسرعين منهزمين والمنية تسرع خلفهم

﴿وليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما الليث كذب عن اقرانه صدقا﴾

فى سورة الواقعة عند قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وهى مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا أى اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد الشاعر يمدح رجلا بالشجاعة وعثر اسم موضع يعنى اذا جبن شجاع عن قرنه أقدم هو غير مبال ولا مكترث وعلى كل حال فما أحرى النفس بأن تكذب فى التقى

وان أصدق بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ومثله قوله:

واكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

غير ان لا تكذبنها فى التقى * واجزها بالبر لله الاجل

﴿ان لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا﴾

فى سورة الانشقاق عند قوله تعالى والليل وما وسق أى وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق وكما فى البيت مستوسقات الخ ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمع وسيره وآوى اليه من الدواب وغيرها

﴿خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق﴾

فى سورة الزلزلة عند قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روى أن اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال خذا بطن هرشى الخ وهرشى ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها الشجر ولها طريقان فكل من سلكهما كان مصيبا وهذا المثل يضرب فيما سهل اليه الطريق من جهتين

﴿فتى ينقع صراخ صادق﴾

فى سورة والعاديات عند قوله تعالى فأثرن به نقعا أى فهيجن بذلك الوقت غبارا ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام مالم يكن نقع ولا لقلقة ومنه قول لبيد فتى ينقع صراخ صادق أى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة

﴿ان سرك الارواء غير سابق * فاعجل بغرب مثل غرب طارق﴾

(ومسد أمر من أيانق) * ليس بأنياب ولا حقائق

فى سورة تبت المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد وغيرهما قال ومسد أمر من أيانق

﴿حرف الكاف﴾

﴿أفى كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا﴾

﴿مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ثلاثة قروء والقرء هنا الطهر لان الحيض لا يوصف بالضياع لانهن لا يجامعن فى الحيض فيكون المراد بالقرء الطهر الشاعر وهو الاعشى يخاطب جاراله غازيا ويقول له تجشم لتكلف نفسك كل عام غزوة وتوثق عليها عزيمة الصبر لتكثر فيها مال الغنيمة وتريد الرفعة فى الحى لما ضاع فى تلك الاعوام من عدة نسائك أراد أنه يخرج فى كل سنة الى الغزو ولا يغشى نساءه فتضيع اقراؤهن واللام فى لما كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وتوجيه الاستدلال أن المراد بالقروء الاطهار لانها هى الضائعة على الزوج اذ الزوجة فى محل الاستمتاع بخلاف الحيض والحق فى الجواب أنه لا يلزم من استعمال القرء بمعنى الطهر فى شعر استعماله فى كلامه تعالى بمعنى الطهر

﴿اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى للذى ببكة الشريب الذى يشرب معك ويسقى ابله معك الاكة سوء الخلق والبكة الازدحام والمعنى اذا الشريب أخذه سوء الخلق فدعه يبك ابله يخلها الى الماء فتزدحم كيلا تتأذى ابله من شدة العطش

﴿قليل التشكى للهم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا أى ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى الخ أى عديم التشكى قليلا منهم قد آمنوا أو الا قليلا منهم قد آمنوا والمعنى أنه صبور على النوائب والعلات لا يكاد يشتكى منها أراد بالقلة العدم أى عدم التشكى

﴿وقد كان منهم حاجب وابن أمه * أبو جندل والزيد زيد المعارك﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى بالغداة والعشى من حيث أن غدوة علم فى أكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل فى كلامهم وحاجب هو ابن لقيط بن زرارة ومعنى زيد المعارك زيد الحروب أراد أنه مقدام شجاع

﴿فان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قد أفكوا﴾

هو لعروة بن أدية فى سورة حم السجدة عند قوله تعالى وحق عليهم القول فى أمم يعنى كلمة العذاب يريد فى جملة أمم ومثل فى هذه ما فى قوله ففى آخرين يريد فأنت فى جملة آخرين أى فى عداد آخرين لست فى ذلك بأوحد ومثل ذلك قول الامام الشافعى رضى الله عنه

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تأهب لاخرى مثلها فكأن قد

ومعنى البيت ان لم توفق للاحسان فأنت فى قوم قد صرفوا عن ذلك أيضا والمؤتفكات المدن التى قلبها الله تعالى على قوم لوط والمؤتفكات الرياح تختلف مهابها وتقول العرب اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض

Diwan d. Zohair X. 22 f 21

﴿مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحى مائه حبك﴾

﴿حتى استغاثت بماء لا رشاء له * من الاباطح فى حافاته البرك﴾

فى سورة والذاريات عند قوله تعالى والسماء ذات الحبك وهى الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره كما قال زهير مكلل الخ يصف غديرا وهو مجرور على الوصف فى قوله سابقا ثم استغاثت بماء مكلل ذلك الماء بأصول النبات وصارت حوله كالاكليل يقال روضة مكللة محفوفة بالانوار والخريق الريح الباردة الشديدة الهبوب والضاحى الظاهر وحبك الماء طرائقه

﴿لئن هجرت أخا صدق ومكرمة * فقد مريت أخا ما كان يمريكا﴾

فى سورة والنجم عند قوله تعالى أفتمارونه على ما يرى من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا لئن هجرت أخا صدق الخ يقول لئن هجرتنى وأنا أخو صدق ومكرمة لقد هجرت حق أخ وفى ما كان يجحد حقك وقريب من هذا المعنى قوله * أضاعونى وأى فتى أضاعوا الخ وما أحرى هذا المهجور أن ينشد قول الشاعر

ان كنت أزمعت على هجرنا * من غير ما جرم فصبر جميل وان تبدلت بنا غيرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿لاهم أن المرء يمـ * ـنع أهله فامنع حلالك﴾

﴿لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك﴾

﴿جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك﴾

﴿عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك﴾

﴿ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر مابدالك﴾

فى سورة قريش لاهم أصله اللهم يعنى المرءيمنع الاعداء من اغارة أهله فامنع الاعداء عن حرمك يقال قوم حل وحلال اذا كانوا مقيمين مجاورين يريد سكان الحرم والصليب الصنم والعدو الظلم وقيل غدوا بالغين المعجمة وأصل الغد اليوم الذى بعد يومك ولكنه لم يرد اليوم الذى بعد يومه وانما أراد ماقرب من الاوقات المستقبلة وقد يجرى مثل هذا النحو فى الامس واليوم والمحال من المكيدة والماحلة المماكرة أى لاينبغى أن يغلب صليبهم ومكرهم ظلما محالك وقيل المحال القوة وقوله جر واجموع بلادهم والفيل كان معهم فيل عظيم جسيم اسمه محمود لم ير مثله فى الارض وقيل كان معهم اثناعشر فيلا قيل ان ابرهة جد النجاشى أخذ لعبد المطلب مائة بعير فخرج اليه فيها فجهزه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى الجماعة والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه طلب المال فقال انارب الابل وللبيت رب يحفظه ثم رجع وأتى باب البيت وأخذ بحلقته وقال الابيات

﴿يارب لا أرجولهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا﴾

﴿ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا فناكا﴾

فى سورة قريش الحمى الذى فيه كلا يحمى من الناس وقال عليه السلام حمى الله محارمه أى يارب لا أرجو لمنع أبرهة وجنوده عن الكعبة سواك فامنع منهم حرمك وامنعهم منه فلا زال يدعو ذلك حتى التفت فاذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ماهى نجدية ولا هى تهامية وكان مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا

﴿شددت اليك الرحل فوق شملة * من المؤلفات الزهو غير الاوارك﴾

فى سورة قريش يقال آلفت المكان أولفه ايلافا اذا ألفته فأنا مؤلفه وبعضهم يروى الزهو فى البيت بالزاى المعجمة يقال زهت الابل زهوا اذا سارت بعد الورد ليلة وأكثر بعضهم يرويه بالراء غير المعجمة وهو السير السهل المستقيم قال القطامى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

والاوارك واحدها اركة وهى التى قد لزمت موضعها بالاراك أوترعى الحمض قال الشاعر

وقفت بها أبكى بكاء حمامة * أراكية تدعو الحمام الاواركا

وقد أحسن سيدى عمر بن الفارض فى قوله

أيارا كباحمر الاوارك تارك الـ * ـموارك من أكوارها كالاريكة

﴿حرف اللام﴾

﴿سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الم أى برفع الناس على الحكاية قائله ذوالرمة النجعة طلب الكلأ والخير والغيث المطر والغيث الكلأ ينبت من ماء السماء وصيدح اسم ناقة ذى الرمة و بلال بن أبى بردة اسم ممدوحه والمعنى سمعت ذلك القول وهو الناس ينتجعون غيثا فقلت لناقتى لاتنتجعى الغيث وانتجعى بلالا فانه أجود من الغيث وأنفع منه قيل لما قصد ذوالرمة بلال بن أبى بردة وأنشد ذلك قال بلال ياغلام اعلف صيدح قتاونوى ونظير البيت فى الرفع على الحكاية قوله تنادوا بالرحيل غدا برفع الرحيل كماسيأتى

﴿لاتحسبوا أن فى سرباله رجلا * ففيه غيث وليث مسبل مشبل﴾

البيت لجار الله فى سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمى حيث سمى المنافقون البلغاء نحو ذلك من قولهم زيد اسد تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون فان من دأبهم ان يتناسوا عن التشبيه ويضربوا عن توهمه صفحا كما قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء

حيث استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء فى مدارج الكمال ثم بنى عليه مابنى على علو المكان والارتقاء الى السماء من ظن الجهول بان له حاجة فى السماء وهنا استعار للممدوح وصف الكرم والشجاعة وتناسى التشبيه وبنى عليه ماللغيث وهو الاسبال وماللاسد وهو الاشبال يقال أسبل المطر اذا هطل وأشبل الاسد اذا وجد له شبل

﴿كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى﴾

من

من قصيدة امرئ القيس اللامية المشهورة التى أولها * ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * فى البقرة عند قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الى آخر الآية من حيث ان هذا تشبيه أشياء بأشياء وانما لم يصرح بذكر المشبهات كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ وفى قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لانه كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا والصحيح الذى عليه علماء البيان أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به ثم ان فى هذه الآيات لو قلنا مثلهم كمثل ومن ذى حق يتعلق به شبهات وفيه وعد ووعيد لم يكن له معنى وكذا فى قوله وما يستوى البحران الآية لان فى قوله هذا عذب فرات سائغ الى قوله وترى الفلك فيه مواخر الآية ظاهرة على أن المراد بهما معناهما الحقيقى فيكون تشبيها أى لا يستوى الاسلام والكفر اللذان هما كالبحرين يصف امرؤ القيس العقاب وهو مخصوص بأكل قلب الطير وقد استشهد بالبيت فى سورة هود عند قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق بشيئين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف البالى والعناب وأن يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب كما تقدم فى قوله كمثل الذى استوقد نارا والتشبيه الثانى يحتمل أن يكون مركبا وهميا بأن يمثل حال فريق الكفار فى تعاميهم عن الآيات المنصوبة بين أيديهم وتصامهم عن الآيات المتلوة بحال من اجتمع فيه الصفتان العمى والصمم فهو أبدا فى خبط وضلال لان الاعمى اذا سمع شيأ ربما يهتدى الى الطريق اذا نعق له والاصم يسمع بالاشارة ومن جمع بينهما فلا حيلة فيه وان يكون مركبا عقليا بأن تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع والوجه تمكن الضلال وعدم الانتفاع والفرق بين الشيئين هو أن الاول تفاوت فيه حال بعض من الفريق فان الاصم أدون حالا من الاعمى وعلى الثانى لا تفاوت البتة

﴿يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل﴾

لحسان بن ثابت رضى الله عنه يذكر فيه أزمانا كانت موارد اللذات له والمؤانسة مع الملوك الغسانيين وهى قصيدة مشهورة أولها

* أسألت رسم الدار أم لم تسأل * وقبل البيت لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول

(ومنها) اولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

والبيت شاهد عند قوله تعالى فى سورة البقرة يجعلون أصابعهم فى آذانهم حيث ارجع الضمير الى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقام الصيب لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه وكذلك يصفق لان المعنى ماء بردى وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الفرقان عند قوله تعالى وجعل فيها سراجا وقرا منيرا فى قراءة الحسن والاعمش وقرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وقال يصفق بالتذكير باعتبار الماء ويصفق يمتزج

﴿ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى﴾

﴿وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال﴾

هذا مطلع قصيدة امرئ القيس اللامية المشهورة وسيأتى ذكر غالب أبياتها فى سورة الاعراف حيث اقتضى الحال ذكرها هنالك والبيت شاهد على قوله تعالى فى سورة البقرة وهم فيها خالدون من حيث ان الخلد هو الثبات الدائم والبقاء اللازم والعصر والعصر واحد قال الشاعر على العصر الخالى كان رسومها * بتنهية الركنين وشى مرجج

حيى الطلل البالى من ديار المحبوبة بالنعم والطيب ثم قال وكيف ينعم من كان فى زمن الفراق والخلو من الاهل والاحباب وهل ينعمن الا من يكون سعيدا مخلدا وهذا لا يكون الا لاهل الجنة الخلد فى الآخرة جعلنا الله منهم وانما خص الصباح بهذا الدعاء لان الغارات والمكاره تقع صباحا قال ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق * وحدث حديث الحى ان شئت واصدق

وانعم صباحا كلمة تحية من نعم عيشه طاب ويخفف فيقال عم صباحا

﴿ومن مبلغ أفناء يعرب كلها * انى بنيت الجار قبل المنزل﴾

هو لابى تمام فى سورة البقرة عند قوله تعالى ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا واطباق الجواب على السؤال فن من كلامهم بديع وطرز

غريب شهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عنى فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة مراعاة المشاكلة وفى الحديث الجار ثم الدار والرفيق ثم الطريق أى ان الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحى أن يمثل بها لحقارتها قال الزمخشرى ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المطابقة واطباق الجواب على السؤال من بديع كلامهم كما مر آنفا ومنه صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا * الا أن هذا من باب المشاكلة المحضة وفى قول شريح شائبة الاستعارة وقول شريح انك لسبط الشهادة أى ترسلها ارسالا من غير تأمل وروية كالشعر السبط المسترسل فأجاب بأنها لم تنقبض عنى بل أنا واثق من نفسى بحفظ ماشهدت فاسترسالى لقوة تحقق اياها واستحضارى أولاها وأخراها فشبه انقباض الشهادة عن الحفظ وتأبيها على القوة الذاكرة بتجعيد الشعر واستعمل التجعيد فى مقابلة السبوطة ولولا تقديم السبوطة أولا لم يجز أن يقال لم تجعد لعدم ظهوره قبل المقابلة وقول شريح لله بلادك تعجب من بلاده وانه خرج منها فاضل مثله وهذه العبارة عادة فيما يعظمونه أن ينسبوه اليه تعالى لا لغيره وهو أبلغ من ان يقال لله أنت لانه من باب الكناية وكذا قولهم لله درك أولله أبوك ولهذا كثر مالم يكثر الاصل

﴿ يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل ﴾
﴿ ويرى عروق نياطها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل ﴾
﴿ اغفر لعبد تاب من فرطاته * ماكان منه فى الزمان الاول ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة قال الزمخشرى وأنشدت لبعضهم يعنى نفسه كما هو دأبه فى كل مايقوله فى تفسيره ولبعضهم أو وأنشدت لبعضهم وذكر الابيات قال ولعل فى خلقها ماهو أصغر منها وأصغر سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون انتهى كانه يقول يامن يرى ماهو أدون الاشياء ومايخفى عن حواس الانسان اغفر لعبد تاب من ذنوبه ما أبصرت منه فى الزمان الاول السابق حين كان فى ميعة الشباب وغبطة العيش وكذا يكون حال من تنبه من غفلته ورقاده وعمل ماينفعه فى يوم معاده وندم على ما ارتكبه فى شبابه وتحسر على ما فرط فى جنب الله وخاف أليم عقابه وكان راجيا عظيم ثوابه وتذكر قول القائل

كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستأنفت سيرة مجمل
وقعدت أرتقب الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل

وعمل بقول الآخر

بقية العمر عندى مالها ثمن * وان غدا غير محسوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ * ـيى ما أمات ويمحو السوء بالحسن

﴿ فان تزعمينى كنت أجهل فيكم * فانى شريت الحلم بعدك بالجهل ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا اتباعا لمحمد فاستبدلوها وهى بدل قليل بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقد توهم بعضهم ان أجهل فى البيت افعل تفضيل فيروى بالنصب كما توهم أن الزعم ههنا بمعنى القول فذكر بعده الجملة ولا يكون زعمت الا من أفعال القلوب أو بمعنى كفلت ومصدره الزعامة أو بمعنى يكذب ويطمع كانه يقول لها ان تقولى كنت أجهل الناس فيكم فانى بدلت حالى بعدك واستبدلت الحلم بالجهل والاناة بالطيش والرفق بالخرق والبيت لابى ذؤيب الهذلى من قصيدة مطلعها

ألا زعمت أسماء أن لا أحبها * فقلت بلى لولا ينازعنى شغلى

وبعده

جزيتك ضعف الود لو لا شكيته * وما ان جزاك الضعف من أحد قبلى

وبعده البيت وبعده

وقال صحابى قد غبنت وخلتنى * غبنت فما أدرى أشكلهم شكلى
على أنها قالت رأيت خويلدا * تنكر حتى عاد أسود كالجذل
فقلت خطوب قد علمت شبابنا * قديما فتبلينا المنون وما تبلى
وتبلى الالى يستلئمون على الالى * تراهن يوم الروع كالحدإ القبل

﴿ تروحى أجدر أن تقيلى * غدا بجنبى بارد ظليل ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يوم لا تجزى نفس عن نفس شيأ وقبله تروحى ياخيرة الفسيل البيت لابى على يقول لناقته بكرى بالرواح وجدى فى السير تأتين الذى أجدر أن تقيلى فيه غدا الفسيل المختار من صنو النخل شبه ناقته فى المرافقة فى الكرم بها أراد أن تقيلى فيه بحذف الجار والمجرور وفيه مبالغة من حيث انه حث على الرواح وجدارة الرواح أنسب من جدارة المكان فى هذا المقام واستشهد به على

حذف

حذف الجار والمجرور فى قوله تعالى لاتجزى نفس عن نفس شيأ تقديره لاتجزى فيه

﴿ وشكا الى جملى طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وقولوا حطة أى مسئلتنا حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله صبر جميل والاصل النصب وقوله صبر جميل أى أقل من غيره

﴿ لعمرى لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ماتقوم على رجل ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى لا فارض ولا بكر الفارض المسنة القائل وهو خفاف بن ندبة اسم أمه كانت بينه وبين العباس بن مرداس مهاجاة ومعارضة وفيه يقول ذلك

﴿ فانعق بضأنك ياجرير فانما * منتك نفس فى الخلاء ضلالا ﴾

البيت للاخطل فى سورة البقرة عند قوله تعالى كمثل الذى ينعق يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن وأما نعق الغراب فبالغين والاخطل يهجو جريرا ويقول له انك من رعاء النعم لامن الاشراف وأهل النعم ومامنتك نفسك فى الخلاء انك من العظماء فضلال وباطل وقال جرير فى جوابه

لاتطلبن خؤولة من تغلب * فالزنج أكرم منهم اخوالا

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

﴿ وما هجر ليلى ان تكون تباعدت * عليك ولا أن أحصرتك شغول ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فان أحصرتم يقول ليس الهجر صدود الحبيب وتباعده لحاجته من جانبه وحبس من جانبك انما الهجر صدوده عن اختيار منه

﴿ قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى وتعجل واستعجل يجيآن مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ويتعدى يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هى كذلك فى قوله قد يدرك المتأنى وبعده والناس من يلق خيرا قائلون له * مايشتهى ولأم المخطئ الهبل

وقيل مادخل الرفق فى شئ الا زانه ولا الخرق فى شئ الا استهانه ويقال لأم المخطئ الهبل والهبل الثكل هبلته أمه فهى هابلة

﴿ كل حى مستكمل مدة العمر * ومود اذا انتهى أجله ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فبلغن أجلهن ومود أى هالك من أودى اذا هلك ويقال أودى به الموت ذهب والودى كفتى الهلاك ويقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى ينتهى اليه الاجل وكذلك الغاية والامد يقول كل حى مستكمل مدة عمره ويهلك اذا انتهى عمره ويروى أمده

﴿ وان امرأ أسدى اليك صنيعة * وذكرفيها مرة لبخيل ﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولا اذى وقريب من معنى ذلك قول الساجع صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن صنوان أى مثلان ونحوه قول العلامة الزمخشرى

الآلاء من الله أحلى من المن * وهى أمر من الالاء عند المن

الآلاء الاولى الفضل والنعم والمن الترنجبين قال الله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى والثانية اسم شجرة مرة والمن المنة يقال مننت عليه منا أى عددت له مافعلت له من الصنائع وهو تكدير وتعبير تنكسر منه القلوب فلهذا نهى الله عنه بقوله لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ومن هنا يقول المن أخو المن أى الامتنان بتعديد الصنائع أخو القطع والهدم

﴿ ويأوى الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى ﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى قائما بالقسط على تقدير نصبه على المدح قال الزمخشرى فان قلت من حق المنصوب على المدح أن يكون معرفة كقولهم الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لانورث انا بنى نهشل لاندعى لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلى ويأوى الى نسوة عطل الخ يصف رجلا صائدا يصيد ويدخل على امرأته وبناته الفقيرات العاريات التى تغيرت وجوههن من شدة الجوع مثل السعالى جمع السعلاة وهو الغول وادخال الواو بين الصفة والموصوف لتأكيد الحاق الصفة بالموصوف نظيره قول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

﴿لا كبت حاسدا وأرى عدوّا * كأنهما وداعك والرحيل﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أى يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و يقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل فى قول أبى الطيب لا كبت حاسدا وأرى عدوا أى أضرب رئته هو من الكبد والرئة وأوله

رويدك أيها الملك الجليل * تأن وعده مما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلا * فما فيما تجود به قليل

أى تأن فى سفرك وأخره واجعل ذلك من عرفانك وجودك بالاقامة ولو زمانا قليلا فليس ما تجود به قليلا بل كثيرا وان قل شبه الحاسد والعدو بوداعه ورحيله لانهما ينكبان قلب الشاعر و يوجعانه

﴿وانصب للمنية تعتريهم * رجالى أم هم درج السيول﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى هم درجات عند الله أى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب الخ النصب رفعك الشئ تنصبه قائما مثل الغرض للسهم قال الله تعالى كأنهم الى نصب يوفضون وتعتريهم أى تصيبهم وتلحقهم يقال اعتراه أمر كذا اذا أصابه والدرج السبيل معناه كأن رجالى لكثرة ما أصابهم غرض للموت أو طريق سيول الموت

﴿فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت قرأ اليزيدى ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا استشهد بالبيت المذكور على حذف التنوين من ذاكر لالتقاء الساكنين ونصب ما بعده قال الاعلم وفيه وجهان اما التشبيه بحذف النون الخفيفة لملاقاة ساكن نحو اضرب الرجل واما التشبيه بما حذف تنوينه من الاعلام الموصوفة بابن مضاف الى علم وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة والصافات عند قوله تعالى انكم لذائقوا العذاب على قراءة النصب على تقدير النون وقرئ على الاصل لذائقون العذاب واستشهد بالبيت المذكور فى سورة الاخلاص حيث قرئ احد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والبيت لابى الاسود الدؤلى * أخرج أبو الفرج فى الاغانى قال كان أبو الاسود يجلس الى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث اليها وكانت برزة جميلة فقالت له يا أبا الاسود هل لك أن أتزوجك فانى صناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور فقال نعم فجمعت أهلها وتزوجته فوجد عندها خلاف ما قدر وأسرعت فى اتلاف ماله ومدت يدها الى خيانته وأفشت سره وشكته الى من كان حضر تزويجه اياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا فقال لهم

رأيت امرأ كنت لم أبله * أتانى فقال اتخذنى خليلا
فخاللته ثم أكرمته * فلم أستفد من لدنه فتيلا
فألفيته حين جربته * كذوب الحديث سروقا بخيلا
فذكرته ثم عاتبته * عتابا رقيقا وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا
ألست حقيقا بتوديعه * واتباع ذلك صرفا طويلا

فقالوا بلى والله يا أبا الاسود قال تلك صاحبتكم وقد طلقتها

﴿وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا﴾

هو لابى الشعراء الضبى فى آل عمران عند قوله تعالى و بئس المهاد أى ساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل الجبار الملك المسلط أو الذى لا يقبل موعظة أحد والعظيم فى نفسه والعاتى على ربه أيضا وضافنا نزل بنا ضيفا وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب أليم وكقول الضبى والنزل ما يهيأ للنازل وهذا من قبيل

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وقوله

صبحنا الخزرجية مرهفات * أباد ذوى أرومتها ذووها

والمرهفات السيوف البواتر وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الواقعة عند قوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين حيث تهكم بهم كما سبق

﴿فيا كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب من حيث ان صيغة التفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار والبيت لذى الرمة أراد يا كرم سكان الدار الذين تحملوا عنها و يا كرم من استخلف الدار واستبدلته والمراد به الوحش من البقر والظباء وقيل هو ان يعطى والسكن بالسكون العيال وأهل الدار والسكان

﴿فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل﴾

فى

فى سورة النساء عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح حيث جعل ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم غاية للابتداء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل تمج أى تلقى والاشكل الذى خالط بياضه حمرة والبيت من قصيدة لجرير يهجو بها الاخطل أولها

أجدك لا يصحو الفؤاد المعلل * وقد لاح من شيب عذار ومسحل

ألا ليت ان الظاعنين بذى الغضى * أقاموا وبعض الآخرين تحملوا

لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضل — ومنها البيت ومنها

﴿لقد زادنى حبا لنفسى اننى * بغيض الى كل امرئ غير طائل﴾

﴿اذا ما رآنى قطع الطرف بينه * وبينى فعل العارف المتجاهل﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا يقال لفلان على فلان طول أى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل والبيت من هذا القبيل ومنه الطول فى الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه والبيت للطرماح بن حكيم والمعنى زادنى تباغضى الى كل رجل لا فضل له ولا خير عنده حبا لنفسى لان التباين بينى وبينه هو الذى دعاه الى بغضى ومن ثم قيل والجاهلون لاهل العلم أعداء وقال المتنبي

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

﴿وان امرءا ضنت يداه على امرئ * بنيل يد من غيره لبخيل﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء وفى أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قيل أبخل الناس من بخل بما فى يد غيره قال الزمخشرى ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وعلا صوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك والبيت لابى تمام وقبله

سأقطع أرسان القباب بمنطق * قصير عناء الفكر فيه طويل

﴿أقول وقد ناحت بقربى حمامة * أيا جارتى هل بات حالك حالى﴾

﴿معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * وما خطرت منك الهموم ببال﴾

﴿أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا * تعالى أقاسمك الهموم تعالى﴾

﴿تعالى ترى روحا لدى ضعيفة * تردد فى جسم يعذب بالى﴾

﴿أيضحك مأسور وتبكى طليقة * ويسكت محزون ويندب سالى﴾

﴿لقد كنت أولى منك بالدمع والبكا * ولكن دمعى فى الشدائد غالى﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله على قراءة الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية قال الكسائى فى آية أصلها أيية فاعلة فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصارته لوانحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة كما وقع فى شعر الحمدانى والوجه فتح اللام لانها عين الفعل كالعين فى تصادى ولام الفعل التى كان حقها أن تكسر قد سقطت لان الاصل تعاليى وتقول فى النداء يا رجل تعاله فاذا وصلت طرحت الهاء كقولك تعال يا رجل تعاليا تعالوا فلذا قال الشاعر

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا * كلانا على ذاك الجفاء ملوم

ويقال للمرأتين تعاليا وللنسوة تعالين قال الله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا

Diw. d. Zohair XV. 46-47

﴿وأهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل أنا آجله﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أى بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا اذا جناه أو أثاره يأجله أجلا ومنه قوله وأهل خباء الخ يصف نفسه بأنه مهياج للفتنة ويقول رب أهل خباء كانوا ذا صلح وافر قد وقعوا فى الحرب عاجلا وأنا جالب الحرب عليهم وجانيه وبعده

فأقبلت فى الباغين أسأل عنهم * سؤالك بالامر الذى أنت جاهله

﴿أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * الا كل ذى لب الى الله واسل﴾

فى سورة المائدة عند قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وهى كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل

به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصى واسل أى يتوسل و يطلب القرب منه ومعناه ان الناس لا يدرون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة فنائها وكل ذى عقل يتوسل الى الله بطاعته وعمل صالح والبيت للبيد بن ربيعة العامرى من قصيدته المشهورة التى مدح بها النعمان وهى أكثر من خمسين بيتا أولها

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذى لب الى الله واسل
ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه * اذا حصلت عند الاله المحاصل
اذا المرء أسرى ليلة خال انه * قضى عملا والمرء مادام عامل
فقولا له ان كان يقسم أمره * ألما يعظك الدهر انك غافل
فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب * لعلك تهديك القرون الاوائل
فتعلم ان لا أنت مدرك ما مضى * ولا أنت مما تحذر النفس وائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا * ودون معد فلترعك العواذل

Diwan Zohair XV. 34, 35, 42

۞﴿أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله﴾۞
۞﴿تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله﴾۞
۞﴿فمن مثل حصن فى الحروب ومثله * لانكار ضيم أو لخصم يحاوله﴾۞

هو لزهير فى سورة الانعام عند قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك من جهة أن قد بمعنى رب التى تجئ لزيادة الفعل وكثرته فى نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

يقول ان جوده جود ذاتى لا يزيد بالسكر ولا ينقص بالصحو بل سواء فى الحالتين وقوله متهللا أى ضاحكا وقد يهلك أى كثيرا وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة النور عند قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه فان قد لتوكيد العلم ورجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد

۞﴿على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا﴾۞

فى سورة الانعام عند قوله تعالى انه من عمل منكم سوأ بجهالة قال الزمخشرى وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قوله على أنها قالت الخ أى جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شئ حتى يعلم كيفيته وحاله ولا يشترى الحلم بالجهل ولا الاناة بالطيش ولا الرفق بالخرق كما قال

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم * فانى شريت الحلم بعدك بالجهل

وان لم يكن كذلك يصدق عليه أنه من أكبر الجهال والحمار أفضل منه كما قال

ان الحمار اذا توهم لم يسر * وتماود الجهال ما يؤذيها
فضل الحمار على الجهول بخلة * معروفة عند الذى يدريها

وما أحسن ما قيل

فمالك والتردد حول نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

۞﴿حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولا صالى﴾۞

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى ولقد أرسلنا من جهة أنهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم حذفها نحو قوله حلفت لها الخ وانما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكان مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم وقوله لناموا جواب حلفت والصالى الذى يصطلى بالنار يقول طرقت المحبوبة تخافت من الرقباء وأنكرت طروقى اليها فخافت لها حلفة فاجر ان القوم نيام وان ليس فيهم يقظان محدث أو مصطل بالنار والبيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة اللامية التى سبق ذكرها ولها قصة مشهورة وفى شروح الشواهد مسطورة قيل ان امرأ القيس سرى الى ابنة قيصر الروم ليلا فقالت له أتريد أن تفضحنى ألست ترى السمار والرقباء حولى راقدين ومنعته من الاقامة عندها فقال امرؤ القيس مجيبا لها والله لا أبرح حتى أنال حاجتى منك ولو قتلت وقطعت اربا اربا والقصيدة مشهورة وأولها كما تقدم

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان آخر عهده * ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال
ألا زعمت بسباسة اليوم اننى * كبرت وان لا يشهد اللهو امثالى
بلى رب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال
تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى
نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال
سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالا على حال * فقالت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال * وصرت الى الحسنى ورق كلامها
ورضت فذلت صعبة أي اذلال * حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولا صالي
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها * عليه قتام كاسف الظن والبال * يغط غطيط البكر شد خناقه
ليقتلني والمرء ليس بقتال * أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وليس بذي سيف فيقتلني به * وليس بذي رمح وليس بنبال   وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وهي طويلة ولم أورد هذه الابيات الا لحلاوة ألفاظها ولطافة فحواها الا لما تضمنتها والله من مفهومها ومعناها على أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سمع مثل هذا الشعر واستحسنه واستملحه وما استهجنه وقد أشبهت قصيدة امرئ القيس هذه بمعناها قصيدة عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ولم يكن في قريش أفصح منه ولا أشعر قصد الفقير اثباتها في هذا المحل بحكم ان الشيء بالشيء يذكر اذ هي مشابهة لها مشابهة اليوم للامس ومطابقة لها مطابقة الخمس بالخمس (ذكر) المبرد في الكامل أن ابن عباس رضي الله عنهما أتى اليه الحرث عم عمر المذكور ومعه ابن أخيه فقال له ان ابن أخي هذا قال شعرا فاستنشده ابن عباس اياه فأنشده القصيدة الآتية الى آخرها فقال ابن عباس للحرث ان بقي ابن أخيك هذا ليخرجن المخبآت من خدورهن وهي هذه

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر * لحاجة نفس لم تقل بجوابها
فتبلغ عذرا والمقالة تعذر * أهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر * وأخرى أتت من دون نعم ومثلها
نهى ذا النهى لو يرعوى أو يفكر * اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيتها يتنمر
عزيز عليه ان ألم ببيتها * يسر لي الشحناء والبغض يظهر * ألكني اليها بالسلام فانه
يشهر المامي بها وينكر * بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفي فانظري أسماء هل تعرفينه * أهذا المغيري الذي كان يذكر * أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكن
وعيشك أنساه الى يوم أقبر * فقالت نعم لاشك غير لونه * سرى الليل يحيي نصفه والتهجر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير * رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشي فيخصر * أخا سفر جواب أرض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر
قليل على ظهر المطية ظله * سوى ما نفى عنه الرداء المحبر * وأعجبها من عيشها ظل غرفة
وريان ملتف الحدائق أخضر * ووال كفاها كل شيء يهمها * فليست بشيء آخر الليل تسهر
وليلة ذي دوران جشمني السرى * وقد يجشم الهول المحب المغرر * فبت رقيبا للرفاق على شفا
أحاذر منهم من يطوف وأنظر * اليهم متى يستمكن النوم منهم * ولي مجلس لولا اللبانة أوعر
وباتت قلوصي بالعراء ورحلها * لطارق ليل أو لمن جاء معور * وبت أناجي النفس أين خباؤها
وكيف لما آتي من الامر مصدر * فدل عليها القلب ريا عرفتها * لها وهوى النفس الذي كان يضمر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور * وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر * وخفض عني الصوت أقبلت مشية الـ * حباب وشخصي خشية الحي أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمخفوض التحية تجهر * وقالت وعضت بالبنان فضحتني
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر * أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة * سرت بك أم قد نام من كنت تحذر * فقلت لها بل قادني الشوق والهوى
اليك وما نفس من الناس تشعر * فقالت وقد لانت وأفرخ روعها * كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير منازع * علي أمير ما مكثت مؤمر * فيالك من ليل تقاصر طوله
وما كان ليلي قبل ذلك يقصر * ويالك من ملهى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مقبل * نقي الثنايا ذو غروب مؤشر * تراه اذا ما افتر عنه كأنه

سقى بردا أو اقحوان منوّر * وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ظبيـة وسط الخميلة جؤذر
فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغوّر * أشارت بأن الحى قد كان منهم
هبوب ولكن موعد منك عذور * فما راعنى الا مناد ترحلوا * وقد لاح معروف من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنبه منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر * فقلت أباديهم فاما أفوتهم
واما ينال السيف ثارا فيثأر * فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فان كان ما لا بد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء وأستر * أقص على أختى بدء حديثنا
ومالى من أن يعلما متأخر * لعلهما أن يطلبا لك مخرجا * وأن يرحبا سربا بما كنت أحصر
فقامت كئيبا ليس فى وجهها دم * من الحزن تذرى عبرة تتحدر * فقالت لاختيها أعينا على فتى
أتى زائرا والامر للامر يقدر * فقامت اليها حرتان عليهما * كساآن من خز دمقس واخضر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر * يقوم فيمشى بيننا متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر * فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى * ألم تتق الاعداء والليل مقمر * وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا
أما تستحى أو ترعوى أو تفكر * اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا * لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
فآخر عهد لى بها حين أعرضت * ولاح لها خد نقى ومحجر * سوى اننى قد قلت يا نعم قولة
لها والعتاق الارحبيات تزجر * هنيئا لاهل العامرية نشرها الـ * ـلذيذ ورياها الذى أتذكر
وقمت الى عنس تخوّف نيها * سرى الليل حتى لحمها متحسر * وحبسى على الحاجات حتى كأنها
بقيـة لوح أو شجار مؤسر * وماء بموماة قليل أنيسه * بسابس لم يحدث له الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوت كأنه * على طرف الارجاء خام منشر * وردت وما أدرى أما بعد موردى
من الليل أوما قد مضى منه أكثر * فقمت الى مقلات أرض كأنها * اذا التفتت مجنونة حين تنظر
محاولة للماء لولا زمامها * وجذبى لها كادت مرارا تكسر * فلما رأيت الضر منها واننى
ببلدة أرض ليس فيها معصر * قصرت لها من موضع الحوض ناشبا * جديدا كقاب الشبر أو هو أصغر
اذا شرعت فيه فليس لملتقى * مشافرها منه قدى الكف مسأر * ولا دلو الا القعب كان رشاءه
الى الماء نسع والجديل المضفر * فسافت وما عافت وما رد شربها * عن الرى مطروق من الماء أكدر

وقد أورد العلامة العينى هذه القصيدة بتمامها فى شرح شواهده الكبرى وقال وانما سقتها بتمامها وان كان قد طال بها الكتاب من وجوه الاول فيها أبيات كثيرة يستشهد بها فى كتب النحو الثانى لحسنها ورقتها ما أردت اخلالها والثالث قل من يقف عليها وهى صحيحة سالمة من التصحيفات والتحريفات الرابع طلبا لزيادة الفائدة الخامس حتى ينصف الجاهل من جهلة الاقران ويرى ما فيه من قوة اجتهاد من ساق هذه وأمثالها فى هذا الكتاب على نهج الصحة والصواب الخ

تبقلت فى أول التبقل * بين رماحى مالك ونهشل

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا والاسباط أولاد الاولاد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام قال الزمخشرى ان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره * بين رماحى مالك ونهشل * يقال تبقلت الغنم وغيرها اذا رعت النبات أول ما ينبت ومالك بن ضبيعة ونهشل بن دارم أميران من أمراء العرب يصف رمكة مرتاضة اعتادت ممارسة الحرب وثنى رماحا وهو جمع على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثى وعجل
أحمد الله فلا ند له * بيده الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

فى سورة الانفال النفل ما يعطاه الغازى زائدا على سهمه من الغنيمة وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا

فله

فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وقوله خير نفل أى خير غنيمة والند ما يضاد الشئ فى أموره وهو ضده والند المثل أيضا

﴿جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم * وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو﴾

فى سورة الانفال عند قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى عطاء جميلا والمعنى والاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك فان الله تعالى يبلى العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا ويبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة وأبليته أعطيته يقول جزى الله الممدوحين بالاحسان جزاء ما فعلا بكم وأعطاهما خير العطاء الذى لا يعطيه لأحد وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة حيث كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم على أن الاشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا كما قال *وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو*

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

فى فتية كسيوف الهند قد علموا * ﴿أن هالك كل من يحفى وينتعل﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضا بالسلام وقيل تحية الله لهم وان هى المخففة من الثقيلة وأصله وانه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل شاو أى غلام يطبخ الشواء وشلول أى خفيف فى العمل مشل أى مسرع شلشل أى ماض فى الحوائج شول أى مخرج اللحم من القدر وقوله فى فتية أى فى فئة كالسيوف فى مضائهم فى الامور أو صباح الوجوه تبرق وجوههم كالسيوف قد علموا أن هالك يريد انه هالك كل انسان من يحفى وينتعل أى كل حاف وناعل كناية عن الفقير والغنى أى علم هؤلاء الفتيان أن الهلاك يعم الناس غنيهم وفقيرهم فهم يبادرون الى اللذات قبل فواتها وما ألطف مطلع قصيدة الشيخ صفى الدين الحلى فى قريب من هذا المعنى فى قوله

خذ فرصة اللذات قبل فواتها * واذا دعتك الى المدام فواتها

والبيت للاعشى ميمون بن قيس من قصيدته المشهورة التى أولها

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

الى ان قال تغرى بنا رهط مسعود واخوته * يوم اللقاء فتردى ثم تعتزل * ألست منتهيا عن نحت أثلتنا * ألست ضائرها ما أطت الابل

الى ان قال كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل ومنها ما استشهد به أهل البديع وهو

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

فكلنا مغرم يهذى بصاحبه * ناء ودان ومخبول ومختبل قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يا رجل

(ومنها) أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل (ومنها)

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل (ومنها)

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل أخرج أبو الفرج فى الاغانى قال الاعشى أغزل الناس فى بيت وأخنث الناس فى بيت وأشجع الناس فى بيت أغزل بيت قوله غراء فرعاء مصقول عوارضها الخ وأخنث بيت قوله قالت هريرة لما جئت زائرها الخ وأشجع بيت قوله قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا الخ

﴿يا صاحب البغى ان البغى مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله﴾

﴿فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين فى أخيه وذلك الاخ هو الامين حين ابتدأ بالبغى عليه وقصد قتله والبغى الظلم والفساد ومصرعة أى كثير المصارعة شديدها فاربع يقال اربع على نفسك أى لا تجاوز قدرك والفعال بفتح الفاء غالب فى المكارم لكنه استعمل هنا لمجرد الفعل يقول يا من يظلم الناس يبغى فى الارض الظلم مصرعة لاهله فلا تتجاوز قدرك واعدل فان خير فعال المرء أعدله فلو بغى جبل يوما على

جبل لا نداك من الباغى أعاليه وأسفله قال الشاعر والبغى يصرع أهله * والظلم مرتعه وخيم

*(واذا تجوزنا حبال قبيلة) * أخذت من الاخرى اليك حبالا

للاعشى فى سورة يونس عند قوله تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذى فى بيت الاعشى واذ تجوزنا الخ لانه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر كما قال كما جوز السكى فى الباب فيتق يقول اذا أخذت لناقتى أمان قوم فجزتهم بها أخذت أمان قوم آخرين لا جوزها اليك أى لا أزال راكبا عليها أقتحم المخاوف وأومنها بالامان الى أن أصل اليك وعادة العرب انهم يستجيرون من قوم الى قوم ليأمنوا من جاريهم وشرهم

﴿وما يقسم الله أقبل غير مبتئس * منه وأقعد كريما ناعم البال﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أى فلا تحزن حزن بائس مستكين والمعنى فلا تحزن بما فعلوا من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم غير مبتئس أو غير حزين يقول ارض بما قسم الله ولا تحزن على ما فات واقعد ناعم البال طيب القلب كريما واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك كما قيل

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون * سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة متعب محزون

﴿ويوم شهدناه سليما وعامرا * قليل سوى الطعن النهال نوافله﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى وعد غير مكذوب أى مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقولهم يوم مشهود وقوله ويوم شهدناه الخ أى على المجاز كأنه قيل للموعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير مكذوب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعسور وكالمصدوقة على الصدق يصف قتالا ومعركة والرواية ويوم بواو رب ويجوز النصب أى اذكر يوما والرفع على انه خبر مبتدا محذوف وشهد لا يتعدى الا الى مفعول واحد وهنا تعدى الى مفعولين لان الاول ظرف متسع فيه وسليما هو المفعول الثانى وأسقط فى من اللفظ ولو كانت الحكاية ظرفا لوجب اظهارفيه فقيل شهد نافيه وعامرا عطف عليه وقليل صفة يوم والنهال صفة الطعن وهو جمع ناهل مثل جبل وجبال وناهل جمع ناهل كطالب جمع طالب والناهل الريان أو العطشان ضد والنهل أيضا الشرب الاول ونوافله فاعل قليل وهى عطية التطوع ومنه البيت أى رب يوم حضرناها بين القبيلتين فيه قل عطاء ذلك اليوم سوى الطعن بالرماح العطاش الى دمائكم يعنى رب يوم قاتلناهم فيه وقد استشهد بالبيت المذكور فى السورة المذكورة عند قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود أى تشهده جميع الخلائق وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الحج عند قوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن أجله واستشهد بالبيت المذكور فى سورة الاحزاب عند قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها حيث قرئ تعتدونها بالتخفيف أى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه الخ والمراد من الاعتداء ما فى قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا

﴿ضعيف النكاية أعداءه * يخال الفرار يراخى الاجل﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ظرف أى مدة استطاعتى الاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلوه جهدا أو بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أى الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله ضعيف النكاية أعداءه أى ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم ومعناه انه لا ينكأ العدو خوفا من نفسه ويفر من المحاربة ويخال ان الفرار يؤخر الاجل قال تعالى ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ونصب الاعداء بالنكاية

﴿لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت) * حمامة فى غصون ذات أوقال

فى سورة هود عند قوله تعالى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد بالفتح وهى فتحة بناء وذلك انه فاعل كحاله فى القراءة المشهورة وانما بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله تعالى انه لحق مثل ما أنكم أو نعت لمصدر محذوف فالفتحة للاعراب والفاعل على هذا ضمير يفسره سياق الكلام أى يصيبكم العذاب اصابة مثل ما أصاب والعامة على ضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم والبيت لابى قيس بن رفاعة يصف الابل اما بحدة الفؤاد وذلك محمود فيها وأما بالحنين الى الوطن وفى الكلام قلب أى لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت حمامة فنفرت يريد انها حديدة الحس فيما قرع فراغ ويجوز أن يريد ان الحمامة لما نطقت اشتاقت الناقة الى وطنها وحنت الى عطنها فامتنعت من الشرب والشرب بالكسر النصيب لا بالضم المصدر فى غصون أراد ان الحمامة فى غصون والاوقال جمع وقل وهو الحجارة وتقديره فى غصون نابتة فى أرض ذات أوقال وقيل الوقل شجر المقل أى فى غصون نابتة

في

فى أرض فيها قل وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الفرقان عند قوله تعالى وكان بين ذلك قواما حيث كان قواما خبرا ثانيا أو حالا مؤكدة أو هو الخبر وما بين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على انه بنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف كقوله لم يمنع الشرب منها الخ قال الزمخشرى وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة أقول هذه العبارة من باب كان الذاهب جاريته صاحبها وهو غير مفيد على ما نصوا عليه

﴿وان أنا يوما غيبتنى غيابتى * فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى وألقوه فى غيابة الجب وهى غوره وما غاب عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال وان أنا يوما الخ أراد مقبرته التى يدفن فيها وقوله فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل كانت العادة اذا مات رئيس عظيم الشأن والمحل يطوف أحد منهم على القبائل ويصعد الروابى المطلة عليهم والاكام المرتفعة بعالهم ويقول أنعى فلانا يريدون تشهير أمره وتعظيم الفجع به يقول الشاعر اذا مت فسيروا وانعونى فى القبائل والعشائر كما قال طرفة بن العبد

Muallaqa of Tarafa v. 91

اذا مت فانعينى بما أنا أهله * وشقى على الجيب يا ابنة معبد

﴿هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم أفعل الخ ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أى ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم هما ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بامر أمضاه ولم ينكل عنه (قيل) ان عمير بن ضابئ البرجمى أتى الحجاج وهو شيخ يرعد فقال أيها الامير انى من الضعفة وان لى ابنا هو أقوى منى على الاسفار واحتمال مشاق السهول والاوعار وقد خرج اسمى فى هذا البعث فان رأى الامير أن يقبله منى بدلا فعل فقال الحجاج نفعل فلما ولى قال قائل له أيها الامير هذا عمير الذى يقول هممت ولم أفعل وكدت وليتنى الخ ودخل هذا الشيخ على عثمان وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعا من أضلاعه قال ردوه فرد فقال هلا بعثت أيها الشيخ الى أمير المؤمنين عثمان يوم الدار بديلا ان فى قتلك صلاحا يا حرسى اضرب عنقه

﴿أتقتلنى وقد شغفت فؤادها * كما شغف المهنوءة الرجل الطالى﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى قد شغفها حبا وشغف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران كما قال شعف المهنوءة الخ والشغف غلبة الحب على القلب وهو مأخوذ من الشغاف وهو حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب وقيل سويداء القلب وعلى ذكر الشغف تذكرت حال كتابة هذا المحل عبارة فى مكاتبة وردت على من قطب دائرة الوجود المرحوم سيدى محمد البكرى وهى هذه المحب الذى شغف به القلب وأجله فأحله خلال الشراسيف والضلوع بل سواء السويداء والشغاف وهاتيك لا يوع الى آخرها يقول الشاعر تقتلنى المحبوبة والحال انى قد شغفت فؤادها أى غلوت كما يغلو الرجل الطالى المهنوءة اذا هنأها بالقطران أو كما ذهب الطالى للابل بالقطران بقلوبها والابل تخاف من ذلك ثم تستروح اليه

﴿فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ أى طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها كقول جميل فظللنا بنعمة الخ يقال لكل فاعل بالنهار ظل يفعل كذا واتكأنا أى أخذنا متكأ يتكأ عليه وأصله وكاء لانه مفتعل قال فى الصحاح وأصل التاء فى جميع ذلك واو ولم يذكر مادة تكا يقول اشتغلنا طول النهار بالتنعم وأكل الطعام وشرب الشراب وأراد بالحلال النبيذ والقلل جمع قلة وهى اناء للعرب كالجرة الكبيرة والجمع قلال مثل برمة وبرام وربما قيل قلل مثل غرفة وغرف وسميت قلة لان الرجل يقلها أى يحملها وكل شئ حملته فقد أقللته

LII, 23

﴿فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو ضربوا رأسى لديك وأوصالى﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف أراد لا تفتؤ بحذف حرف النفى لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان للاثبات لم يكن بد من اللام والنون معا عند البصريين أو احداهما عند الكوفيين يقول والله أحبك يريد والله لا أحبك وهو من التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنه الى اثبات المحبة والاوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل والبيت لامرئ القيس من قصيدته اللامية المشهورة التى مطلعها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وقد تقدم عدة من أبياتها

﴿فرع نبيع يهش فى غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى وهو شديد المحال أى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة

واجتهد فيه والفرع من كل شئ أعلاه والنبع شجر يتخذ منه القسى والهش من كل شئ مافيه رخاوة وهش اليه هشا أى ضحك اليه غزير الندى أى كثير العطاء وشديد المحال أى شديد الكيد أى هذا الممدوح فى الصلابة فرع له نضارة فى غصن المجد كثير الندى شديد العقوبة على الاعداء جعله فرع نبع تنبيها على أنه مع صلابة عداه سيد قومه وأعلاهم نسبا وحسبا وقوله فى غصن المجد أى هو فرع النبع من بين أغصان المجد كما تقول هو علم فى تميم وسيد فى قومه وهذا أبلغ من جعله داخلا فى عدادها كقوله تعالى فى أصحاب الجنة

﴿واذا رميت به الفجاج رأيته * يهوى مخارمها هوى الاجدل﴾

هو من أبيات الحماسة فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوى مخارمها الخ وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع والبيت لتأبط شرا أى اذا رميت به الفجاج رأيته يصعد مسرعا أنوف الجبال والمخارم جمع المخرم وهو منقطع أنف الجبل والهوى بضم الهاء هو القصد الى الاعلى يصف رجلا بالتشمير والشهامة ويقول له اذا رميت به الى وعور الجبال رأيته يسرع اليها ويطير نحوها شوقا ونزاعا كما يطير الاجدل وهو الصقر

﴿وان تعتذر للضيف عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى﴾

فى سورة الحجر عند قوله تعالى لأزينن لهم فى الارض حيث أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولأوقعن تزيينى فيها أى لأزيننها فى أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة فى الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى الضمير فى تعتذر يعود الى الناقة والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والباء للسببية لا للظرف وقوله من ذى ضروعها يريد اللبن الذى يكون فى الضرع ويجرح جواب الشرط وفاعله نصلى والنصل ههنا السهم وايثار ذى ضروعها على اللبن دلالة على أن اعتذارها انما يكون عند الجفاف الكلى وهو كناية على أسلوب جبان الكلب مهزول الفصيل كثير الرماد ومن ذلك قول الاعشى

واياك والميتات لا تقربنها * ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ الموتر فوق عقب الانسان وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة لبنها بسبب المحل يجرح نصلى فى عراقيبها أى أفصدها للضيف وكان من عادة عرب البادية فى الجاهلية اذا نزل بهم ضيف ولم يجدوا طعاما ولا لبنا فى رحالهم أن يفصدوا الابل فراه ناقة أو جملا ويخرجوا من الدم ما يكفيه ويرفعوا ذلك الدم على النار حتى يشتد ويصير قطعا مثل قطع الكبد ويطعمونه فحرم الله تعالى ذلك بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ويحتمل أن يكون المراد من قوله يجرح فى عراقيبها نصلى ذبح الناقة ونحرها لان الناقة ربما تعقر عند النحر كيلا تحتاج الى احكام وابرام والنصل هو السيف ودل البيت على أنه مضياف نحار فى أزمان الازمة الشديدة وهو لذى الرمة والضمير عائد الى الابل فى قوله قبل هذا البيت

وما لام من يوم أخ وهو صادق * اخالى ولا اعتلت على ضيفها ابلى

اذا كان فيها الرسل لم تأت دونه * فصالى ولو كانت عجافا ولا أهلى

وان تعتذر البيت

﴿حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد أى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الاولاد وقيل البنات حفد الولائد جمع الوليدة وهى الأمة يقول ان الاماء يسرعن بينهن وأزمة الجمال بأكفهن يريد أنهن منعمات مخدومات ذوات الاماء والاجمال

﴿غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال﴾

فى سورة النحل عند قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الرداء للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصفه بالغمر الذى يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام وهو قوله اذا تبسم ضاحكا أى شارعا فى الضحك آخذا فيه غلقت لضحكته رقاب المال يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر على فكاكه وغلق الرجل غلقا مثل غضب وضجر لفظا ومعنى وهو مشتق من غلق الباب فانه يمنع الداخل من الخروج والخارج من الدخول فلا يفتح الا بمفتاح قال الشاعر

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

يعنى اذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى يد السائلين وعليه قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع حيث لم يقل فكساها لان الترشيح وان كان أبلغ لكن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس فكان فى الاذاقة اشعار بشدة الاصابة بخلاف الكسوة وانما لم يقل طعم الجوع لانه وان لايم الاذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس

واعلم

* واعلم أنه ان قرن اللفظ بما يلائم المستعار له فتسمى الاستعارة مجردة كما فى الآية والبيت وان قرن بما يلائم المستعار منه فرشحة نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وكقوله

ينازعنى ردائى أم عمـــرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساها لباس الجوع والخوف وقال كثير ضافى الرداء اذا تبسم ضاحكا وقد يجتمعان كما فى قوله

Moallaqah Zohair v. 38

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فشاكى السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له أى الرجل الشجاع وقوله له لبد أظفاره لم تقلم ترشيح لان هذا الوصف يلائم المستعار منه وهو الاسد الحقيقى ﴿وترميننى بالطرف أى أنت مذنب * وتقليننى لكن اياك لا أقلى﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى لكنا هو الله ربى أصله لكن أنا وقرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان ثم أسكنت الاولى وأدغمت فى الثانية فصار لكن ثم الحق الالف اجراء للوصل مجرى الوقف لان الوقف على أنا بالالف ولان الالف تدل على أن الاصل لكن أنا وبغيرها يلزم الالباس بينه وبين لكن المشددة ولما كان الضمير فى ربى راجعا الى أنا الذى هو المبتدا جاز هذا التقدير تقول انما هو صاحبى ولا تقول انما هو الصاحب والفرق بين الآية والبيت أنه لم يجر الوصل مجرى الوقف فى البيت فلم يلحق الالف أى وتشيرين الىّ بالعين تقولين أنت مجرم وتبغضيننى أشد البغض لكن أنا لا أبغضك كذلك يقال قلاه يقليه وقليه يقلاه اذا أبغضه وربما فتح لامه فقيل قلاه وقد استشهد ابن هشام بالبيت المذكور على وقوع أى تفسير الجمل وقريب من هذا البيت قوله

ولو كنت ضبيا عرفت قرابتى * ولكن زنجيا عظيم المشافر

أى ولكنك ﴿فى مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤوس اذا أردن نصولا﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض حيث استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعى فى مهمه الخ المهمه المفازة والهامة وسط الرأس والفؤوس جمع فأس وهو الحديد الذى يفلق به الحطب والنصول الخروج يقال نصل نصولا أى خرج من موضعه وكل شئ أخرجته من شئ فقد أنصلته يصف شدة تلك المفازة وأن هامات النوق فيها مقلقة قلق الفؤوس اذا أرادت ان تخرج من نصابها

﴿وضاقت الارض حتى كان هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى ولم تك شيأ لان المعدوم ليس بشئ أو شيأ يعتد به كقولهم عجبت من لا شئ كأنه مأخوذ من قوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو والشئ فى اللغة عبارة عن كل موجود اما حسا كالاجسام واما حكما كالاقوال نحو قلت شيأ وجمع الشئ أشياء غير منصرف واختلف فى علته اختلافا كثيرا والاقرب ما حكى عن الخليل أن وزنه شيآء بوزان حمراء فاستثقل وجود همزتين فى تقدير الاجتماع فنقلت الاولى الى أول الكلمة فبقيت لفعاء كما قلبوا أدؤر فقالوا آدر وشبهه ويجمع الاشياء على أشاوا والشيئة اسم منه بالهمز والادغام غير سائغ الا على قياس من يحمل الاصلى على الزائد لكنه غير منقول

﴿وحلت لى الخمر وكنت امرأ * من شربها فى شغل شاغل﴾
﴿فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل﴾

هو لامرئ القيس فى سورة طه عند قوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا يخاطب بذلك نفسه ويقول أشرب اليوم غير واغل وهو شراب السفلة وغير آثم بشربى أى غير حانث لانه كان آلى أن لا يشرب الخمر حتى يقتل بنى أسد بأبيه حجر وكانوا قتلوه فوقع ببعضهم وقتل جماعة منهم فقال عند ذلك وحلت لى الخمر الخ والمستحقب للشئ الحامل له وهو مأخوذ من الحقيبة ووغل يغل اذا دخل على القوم فى شربهم فيشرب من غير أن يدعى اليه اظهارا لادراك الثار والواغل فى الشراب مثل الوارش فى الطعام والبيت شاهد على قراءة الجزم فى قوله لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا على تقدير تسكين الثاء للتخفيف كقول امرئ القيس فاليوم أشرب وحركة أشرب الاعرابية تشبه حركة البناء كما فى عضد

﴿النبع فى الصخرة الصماء منبته * والنخل ينبت بين الماء والعجل﴾

فى سورة الانبياء عند قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل العجل الطين بلغة حمير كما قال والنخل ينبت الخ النبع شجر يتخذ منه القسى قال

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوّف عود النبعة السفن

عند قوله تعالى أو يأخذهم على تخوّف أى تنقص

﴿ تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل ﴾

فى سورة الحج عند قوله تعالى اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته ومنه قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أمانى" قال الازهرى الا تلاوة من غير كتاب وقال ابن عرفة الا كذبا من قولهم مان فى حديثه مينا وتمنى تمنيا ومنه قول عثمان ما تمنيت مذ أسلمت أى ما كذبت وقال ابن الانبارى الامانى تنقسم على ثلاثة أقسام تكون من التمنى وتكون من التلاوة وتكون من الكذب وأنشد الشاعر فى عثمان بن عفان تمنى كتاب الله أوّل ليلة البيت على رسل أى على الاتئاد والسكينة وهو ضد السرعة

Dīw. d. Zohair XIV. 33

﴿ رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطينا بها حتى اذا أنبت البقل ﴾

Zohair Dīw. XIV. 1. 32. 34

هو من قصيدة لزهير بن أبى سلمى يمدح بها سنان بن أبى حارثة وأوّلها

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو * وأقفر من سلمى التعانيق والثقل

وقبل البيت اذا السنة الشهباء بالناس أجحفت * ونال كرام الناس فى الحجرة الأكل

وبعده هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * وان يسئلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

وفيهم مقامات حسان وجوهها * وأندية ينتابها القول والفعل * على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل وما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل * وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى تنبت بالدهن حيث قرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت فانه يجئ لازما ومتعديا وأنشد لزهير رأيت ذوى الحاجات الخ والثانى أن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الزيت المراد بذوى الحاجات أولو المسكنة والفقر قطينا أى مقيما يقول رأيت ذوى الحاجات والمسكنة مقيمين حول بيوتهم يسألون منهم قضاء حوائجهم حتى أذا أنبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينتجعون وينفضون من حولهم

﴿ كأن ذرى رأس المخيم غدوة * من السيل والغثاء فلكة مغزل ﴾

هو لامرئ القيس من قصيدته المشهورة التى يضرب بشهرتها المثل فيقال أشهر من قفا نبك فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى فجعلناهم غثاء شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان وقد جاء مشددا كما فى البيت ومعناه انه يصف أن السيل والغثاء قد أحاط بهذا الجبل فهو كأنه يدور فلهذا شبهه بفلكة المغزل الذرى الاعالى الواحدة ذروة ومن روى من السيل والاغثاء فقد أخطأ لان غثاء لا يجمع على أغثاء وانما يجمع على اغثية والمخيم أكمة بعينها والمغزل معروف والجمع مغازل وفلكة مفتوحة الفاء

﴿ ألا فارحمونى يا اله محمد * فان لم أكن أهلا فأنت له أهل ﴾

فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى رب ارجعونى وفى خطاب الجمع ثلاثة أوجه أجودها أنه على سبيل التعظيم الثانى انه نادى ربه ثم خاطب الملائكة بقوله ارجعون ويجوز فى هذا الوجه أن يكون على حذف المضاف أى يا ملائكة ربى فحذف المضاف ثم التفت اليه فى عود الضمير كقوله وكم من قرية أهلكناها ثم قال أو هم قائلون التفاتا لاجل المحذوف الثالث أن ذلك يدل على تكرر الفعل كأنه قال ارجعون ارجعون ارجعون قاله أبو البقاء ومنه ألقيا فى جهنم وأنشدوا * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ومن سنة العرب أن يقولوا للرجل العظيم والملك الكبير انظروا فى أمرى لان السادة والملوك يقولون نحن فعلنا وانا أمرنا فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون فى الجواب كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون وقال تعالى ثم نخرجكم طفلا أى أطفالا ومن سنن العرب الاتيان بالجمع يراد به الواحد كقوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وانما أراد المسجد الحرام وقال واذ قتلتم نفسا وكان القاتل واحدا ومنه قوله تعالى ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا على احتمال أن يراد بالانسان الجنس بأسره قال فى الكشاف ان قلت لم جازت ارادة الاناسى كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم ومنه قولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم كما قال الفرزدق فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

فأسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى

﴿ أأفرح ان أرزأ الكرام وان * أورث ذودا شصائصا نبلا ﴾

فى سورة الفرقان عند قوله تعالى وقالوا أساطير الاوّلين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا الظاهر أن الجملة من قوله اكتتبها فهى تملى من

تتمة

تتمة قول الكفار وعن الحسن أنها من كلام البارى تعالى وكان حق الكلام على هذا أن يقرأ أكتتبها بهمزة مقطوعة مفتوحة على الاستفهام كقوله أفترى على الله كذبا أم به جنة ويمكن أن يعتذر عنه بأن حذف الهمزة للعلم بها وعليه قول الشاعر أفرح أن أرزأ الكرام الخ يريد ويلك أفرح فحذف لدلالة الحال قال الزمخشرى فان قلت كيف قال اكتتبها فهى تملى عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أوطلبه فهى تملى عليه أوكتبت له وهو أمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابة يحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب والالف فى أفرح للاستفهام الانكارى الابطالى وهذه تقتضى أن مابعدها غير واقع وان مدعيه كاذب ووجهه افادة هذه الهمزة نفى مابعدها ولزوم ثبوته ان كان منفيا لان نفى النفى اثبات ومنه أليس الله بكاف عبده ولهذا عطف ووضعنا على ألم نشرح لك صدرك لما كان معناه شرحنا ومثله ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ولهذا كان قول جرير فى عبد الملك

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

مدحا بل قيل انه أمدح بيت قالته العرب ولو كان على الاستفهام الحقيقى لم يكن مدحا وقبل البيت

ان كنت أزننتنى بها كذبا * جزء فلاقيت بعدها عجلا

أى يا جزء قتل لهذا الشاعر أخوه فاتهم بأنه سر بأخذ الدية فقال فيه يقال أزننته أى اتهمته به والرزء النقصان والشصائص جمع شصوص وهى الناقة القليلة اللبن والنبل الصغار وهو من الاضداد وأنه جمع نبيل ككريم وكرم وروى فى الشعر نبل بضم النون جمع نبلة قوله أفرح هو كلام منكر الفرحة برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذى طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أرزئ فيه فكأنه قال نعم مثلى يفرح برزء الكرام وبأن يستبدل بهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذى تحته كل الانكار وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة القتال عند قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار الى قوله كمن هو خالد فى النار حيث عرى من حرف الانكار فهازيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى فيها تلك الانهار وبين النار التى يلقى أهلها الحميم

﴿ان يعاقب يكن غراما وان * يعط جزيلا فانه لا يبالى﴾

فى سورة الفرقان عند قوله تعالى ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما والجزيل العطاء الكثير وأجزل العطاء ولا يبالى من المبالاة وهو الاكتراث يقول ان يعاقب الاعداء يكن غرامالهم وان يعط الاولياء فانه لا يبالى من اعطاء الكثير

﴿لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين حيث أفرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أولا تفاقهما على شريعة واحدة أو أريد ان كل واحد منا وقبل البيت

حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملا يعددن كل جديل

وبعده

فلا تعجلى يا عز أن تتفهمى * بنصح أتى الواشون أم بحبول

خلال الملا وسط من الناس والجديل الحبل المفتول والحبول جمع حبل

﴿تداركتما عبسا وقد ثل عرشها * وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى وأزلفنا ثم الآخرين يعنى فرعون وقومه أى قربناهم من بنى اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزلقنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا الخ يقال ثل عرش فلان اذا زال قوام أمره وتضعضعت حاله وثله الله وثللت الشئ اذا هدمته وعبس وذبيان قبيلتان ويقال زلت قدمه اذا ذهب عزه وفى المثل زلت نعله يضرب لمن نكب وزالت نعمته يقول تداركتما حال القبيلتين بعد انفصامهما وتضعضعهما

﴿فى الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى أتبنون بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس فى الآل يخفضها ويرفعها الخ ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم والسحل الابيض من ثياب اليمن قال فى الصحاح الريع المرتفع من الارض ومنه قوله تعالى أتبنون بكل ريع والريع أيضا الطريق وأنشد البيت والمصنف استشهد به على الاول لانه البياضها وانارتها يتخيل فيها ارتفاع من البعد شبه الطريق بثوب أبيض والآل مايلوح طرفى النهار والسراب وسطه

﴿وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك فى رفعه أجدلا﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين أى أنت الشهير أى المشهور بخفض الجناح أى بالتواضع والاجدل طير من الجوارح ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع يخفض جناحه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض الجناح عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب

﴿فما عقبوا ان قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار كما قال فما عقبوا يوم الكريهة يوم الحرب قال الشاعر ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
يصف فرار قوم من المحاربة وهزيمتهم بحيث لا يرجعون بعد الفرار ولا ينزلون منزلا من الخوف كما قيل

فنى الهيجاء ما جربت نفسى * ولكن فى الهزيمة كالغزال

﴿ألا ان خير الناس حيا وميتا * أسير ثقيف عندهم فى السلاسل﴾

فى سورة القصص عند قوله تعالى ان خير من استأجرت القوى الامين من حيث ان خبر ان فى الآية أعرف من اسمها فان المعرف باللام أقوى فى التعريف من المضاف فانهم قالوا المضمر أعرف المعارف لان الشئ لا يضمر الا وقد عرف فلذا لا يوصف كسائر المعارف ثم العلم لانه موضوع على شئ بعينه لا يقع على غيره ثم المبهم لانه يعرف بالعين والقلب كقولك هذا الحاضر بين يديك ثم المحلى باللام لانه يعرف بالقلب لا غير ثم المضاف لان تعرفه من غيره والسبب فى جعل الاعرف خبرا هنا شدة الاهتمام والعناية بما جعل اسما وتوجيه ذلك أن خير مضاف الى من وهو نكرة أى خير شخص ولو جعلته موصولا بمعنى الذى انتفى التعدد الذى تقتضيه من ظاهرا قال صاحب الكشف كيف ينتفى ومن يصلح للواحد والجمع على أنه اذا أريد بالواحد الجنس جاء التعدد أيضا بل السبب فى ذلك أن القوى الامين أعرف من خير فان اضافة أفعل التفضيل غير محضة على رأى ألا ترى كيف يقول الشاعر ألا ان خير الناس الخ ولا يجئ فيه أنه مضاف الى نكرة وان سلم له اذ القوى الامين لما كان مرادا به موسى كما كان المراد بأسير ثقيف خالد بن عبد الله القسرى صح أنه أعرف وما ذكرناه أظهر لانه من باب ارسال المثل والمتناول الاول فليس كالبيت فى التعيين والبيت لابى الشغب العبسى فى خالد بن عبد الله القسرى وهو أسير فى يد يوسف بن عمر وبعده

لعمرى ان عمرتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضا بكل ملمة * ومعطى اللهى غمرا كثير النوافل

﴿وردئ كل أبيض مشرفى * شحيذ الحد عضب ذى فلول﴾

هو لسلامة بن جندل فى سورة القصص عند قوله تعالى ردأ يصدقنى والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ الخب يقال ردأته أعنته كل أبيض كل سيف والمشرفى صفته وقوله شحيذ الحد تقول شحذت السيف حددته وسيف عضب اذا كان صارما وذى فلول من قراع الاعداء يقول كل سيف صفته كيت وكيت

﴿أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا﴾

هو لابى الطيب فى سورة القصص عند قوله تعالى لا تفرح يقول السرور الذى تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم لانه يراعى وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور

﴿اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عوامل﴾

فى سورة العنكبوت عند قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله على القول بأن يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها والدبر النحل بفتح الدال ويكسر والهاء فى لسعته يعود الى العسال وهو الذى يشور العسل والنوب ضرب من النحل واحده نائب

﴿أحمل أمى وهى الحماله * ترضعنى الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله﴾

فى سورة لقمان عند قوله تعالى حملته أمه وهذا على وهن قاله بعض العرب فى حداثه وهو يحمل أمه الى الحج على ظهره كأنه جعل نفسه كالبعير الحامل لها فيحدو لنفسه والآية توصية بالوالدة خصوصا وتذكير بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك أباك والدرة كثرة اللبن وسيلانه والعلالة بقية اللبن والحلبة بين الحلبتين وبقية جرى الفرس والعلل الشرب الثانى يقال علل بعد نهل والتعليل سقى بعد سقى وجنى الثمرة مرة بعد أخرى وأما النهل فهو الشرب الاول لان الابل تسقى فى أول الورد فترد الى العطن ثم تسقى فى الثانية وهى العلل فترد الى المرعى

﴿وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل﴾

من قصيدة امرئ القيس المشهورة في سورة لقمان عند قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر على تقدير رفع البحر وكون البحر حالا وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال وهو من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وقد يجرى الحال مجرى الظروف لانها في تقدير الحال فقولك جاء زيد راكبا معناه في حال ركوبه فلذا يستغني عن الضمير ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للارض والوكنة موضع الطير حيثما وضعت والجمع وكنات ووكن وفرس أجرد اذا دق شعره وقصرت والاوابد الوحوش يقول أغتدي في السحر للصيد والحال أن الطير بعد في أوكارها بفرس منجرد أي قصير الشعر قيد الوحوش بحيث لا تقدر أن تفر منه عظيم الجسم

﴿قصدت الى عنسي لاجدح رحلها * وقد حان من تلك الديار رحيلها﴾

﴿فأنت كأن الاسير وصرخت * كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها﴾

هو للاعشى في سورة الملائكة عند قوله تعالى وهم يصطرخون فيها أي يتصارخون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها أي كصراخ المرأة الحامل التي قد ضربها المخاض فهي تصيح لما يؤلمها من ذلك وأسلمتها قبيلها يريد أن القابلة أبت ومارأفت بها واستعمل في الاستغاثة بجهد وفي معناه

اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

والقبيل والقبول القابلة

﴿وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سال﴾

﴿أرسلته فأتاه رزقه * فاشتوى ليلة ريح واحتمل﴾

في سورة يس عند قوله تعالى ولهم فيها ما يدعون أي يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واحتمل اذا شوى وحمل لنفسه كما قال لبيد فاشتوى وقيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم رموا وتراموا

﴿ألا زعمت هوازن قل مالي﴾ * وهل لي غير ما أنفقت مال

أسر به نعم ونعم قديما * على ما كان من مال وبال

في سورة والصافات عند قوله تعالى فحق علينا قول ربنا انا لذائقون ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم يتكلمون بذلك عن أنفسهم كما في البيت ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المخاطب على المحلف وهوازن اسم امرأة أي ونعم وبال على المال أي يؤدي الى هلاكه فلو حكى قولها لقال قل مالك

﴿غمر الجراء اذا قصرت عنانه * بيدي استناص ورام جري المسحل﴾

هو لحارثة بن بدر في سورة ص عند قوله تعالى ولات حين مناص والمناص مفعل من ناص ينوص أي تأخر ومنه قول امرئ القيس

أمن ذكر سلمى أن نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

وقال أبو جعفر النحاس ناص ينوص أي تقدم فيكون من الاضداد واستناص طلب المناص كما في بيت حارثة المذكور ويقال ناص الى كذا ينوص نوصا أي التجأ اليه يصف فرسا وقوله غمر الجراء أي كثير الجري استناص طلب المنجى والمسحل حمار الوحش سمي مسحلا لكثرة سحاله أي شهيقه والمعنى أنه اذا قصر عنانه ليقف طلب الخلاص ورام كعدو المسحل

قد كنت رائدها وشاة محاذر * حذر يقل بعينه اغفالها

وظللت أرعاها وظل يحوطها * حتى دنوت اذا الظلام دنا لها

﴿فرميت غفلة عينه عن شاته﴾ * فأصبت حبة قلبها وطحالها

هي للاعشى وقيل لعمر بن أبي ربيعة في سورة ص عند قوله تعالى ولي نعجة واحدة من حيث جعل الشاة استعارة عن المرأة في قوله فرميت غفلة عينه عن شاته وشاة محاذر أي رأى امرأة رجل محاذر حذر لا يغفل عنها لشغفه بها وعزتها عنده قوله وظللت أرعاها أي أحفظها وأراقبها وأنظر اليها ويحوطها أيضا يحفظها حتى اذا جاء الليل ودنوت اليها نظرت نظرة كأنها رمية وقعت بحبة القلب والتقدير فأصبت حبة قلبها وأصبت طحالها ولا يجوز خفضه لان الطحال لا حبة له ولا يخفى ما في الرمي والاصابة من الجزالة والدلالة على كمال المحاماة والالم يقصد غفلته فان من لا يحافظ على الشئ لا يحتاج في الظفر به الى اعتراض غفلة وعلى كمال تهديه الى ما قصد حيث أصاب سواء القرطاس في تلك اللمحة اليسيرة أعني زمن غفلة عينه وهذا وجه ايثاره على غفلته

﴿أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول﴾

في سورة الزمر عند قوله تعالى ثم اذا خوله نعمة أي أعطاه ناقة كوماء عظيمة السنام الخول ما أعطاه الله الانسان من العبيد والنعم

ولا واحد له من لفظه والمخوّل هو الله تعالى الذى خوّله أى أعطاه وفى حقيقته وجهان أحدهما من قوله هو خائل مال وخال مال اذا كان معتداً له حسن القيام به ومنه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتخوّل أصحابه أحياناً بالموعظة والثانى جعله من خال يخول اذا اختال وافتخر وفى معناه قول العرب * ان الغنى الطويل الذيل مياس * يقول أعطى ناقة كوماء من عطاء الله ولم يبخل بها وقوله ولم يبخل للتأكيد

﴿بالامس كانت فى رجاء مأمول * فأصبحت مثل كعصف مأكول﴾

فى سورة حمعسق عند قوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير من حيث ان تكرير كلمة التشبيه للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين وسيأتى والعصف ما على الحب من التبن وما على ساق الزرع من الورق الذى يبس

﴿وأوحى الىّ الله أن قد تآمروا * بابل أبى أوفى فقمت على رجلى﴾

فى الشورى عند قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا أى ألهمنى الله وقذف فى قلبى أن قوما نادوا بابل أبى أوفى أى أخذوها وغصبوها وصاروا امراءها فقمت فى مددهم وتعصبهم لا ردها وقوله على رجلى بالجيم وبالحاء

﴿زوّجتها من بنات الاوس مجزئة * للعوسج اللدن فى أبياتها زجل﴾

فى سورة الزخرف عند قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ المجزئة المرأة التى تلد البنات والجزء البنت قال تعالى وجعلوا له من عباده جزأ وعنى بالعوسج المغزل اللين عوده ومثانيه لغزل الصوف وزجل صوت دور المغزل وكان هذا الشاعر تزوج امرأة لها بنات يجتمعن عندها ويغزلن

﴿يمشين رهواً فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل﴾
فهن معترضات والحصى رمض * والريح ساكنة والظل معتدل
يتبعن سامية العينين تحسبها * مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل

فى سورة الدخان عند قوله تعالى واترك البحر رهواً منفرجاً متوسعاً وفى الرهو وجهان أحدهما أنه الساكن قال الشاعر يمشين رهوا الخ أى مشياً ساكناً على هينة والثانى أنه الفجوة الواسعة يصف نوق الركاب عرض الفلاة والحال أن الحصى رمض حار مثل الرمضاء أى تمشى مشياً ساكناً على هينة فلا الاعجاز تخذل قوائمها فلا تنصرها ولا الصدور تتكل على أعجازها أى والخذلان ترك نصرة أخيك أى تمشى مشياً ساكناً على هينة فلا الاعجاز تخذل قوائمها فلا تنصرها ولا الصدور تتكل على أعجازها أى لسن مكسرات اللحم ثم قال يتبعن فرساً سامية العينين حديدة الحس كأن به جنوناً والشعر للقطامى من قصيدة طويلة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان أولها

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بكيت وان طالت بك الطيل * أما اهتديت لتسليم على دمن
بالغمر غيرهن الاعصر الاول * والناس من يلق خيراً قائلون له * ما تشتهى ولام المخطئ الهبل
قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل * وربما فات قوماً جل أمرهم
من التأنى وكان الرأى لو عجلوا * يمشين رهواً فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل
تهدى لنا كلما كانت علاوتنا * ريح الخزامى جرى فيها الندى الخضل * اما قريش فلن تلقاهم أبداً
الا وهم خير من يحفى وينتعل * قوم هم أمراء المؤمنين وهم * رهط الرسول فما من بعده رسل
ألا وهو جبل الله الذى قصرت * عنه الجبال فما ساوى به جبل * قوم هم بنوا الاسلام واتبعوا
قوم الرسول الذى ما بعده رسل * من سالموه رأى فى عيشه سعة * ولا يرى من أرادوا حربه سبل
كم نالنى منهم فضل على عدم * اذ لا أكاد من الاقتار احتمل * فلاهم وصالحوا من يبتغى عنتى
ولاهم وكدر والخير الذى فعلوا * هم الملوك وأبناء الملوك لهم * والآخذون به والساسة الاول

(أعداء من لليعملات على الوجى * أضياف بيت بيتوا النزول)

فى سورة الحجرات عند قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من جهة أن اللام هى التى فى قولك أنت لهذا الامر ومنه فى يوم الشفاعة أنت لها وعليه * أنت لها أحمد من بين البشر * والهمزة للنداء وعداء اسم رجل يرثيه ويقول على طريق التحسر والتوجع من يؤوى الاضياف ويتفقد اليعملات وهى النوق السراع والوجى الحفاء كانت داره وفناؤه عامرة للعفاة ومجمعاً للاضياف فقال تحسراً من يؤويهم وقد بهرهم السعى ومن ينزل الضيفان وقد أملهم الدأب حتى خفت رواحلهم وحتى بيتوا النزول ميلا الى راحتهم

﴿أتت رذايا بادياً كلالها * قد محنت واضطربت آطالها﴾

فى سورة الحجرات عند قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها والامتحان

والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد وأنشد أنت رذايا الخ أى أنت النوق الرذية المهزولة من السير جمع رذية والاطل الخاصرة وجمعها آطال ﴿وا كذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

غير ان لا تكذبنها فى التقى * واجزها بالبر لله الاجل

فى سورة ق عند قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس قال الاصمعى هو مأخوذ من قول لبيد

واذا همت بأمر شر فاتئد * واذا هممت بأمر خير فافعل

وسئل بشار أى بيت قالته العرب أشعر قال أن يفضل بيت واحد على الشعر كله ليس بسديد ولكنه أحسن لبيد فى قوله * وا كذب النفس اذا حدثتها * أى لا تحدث نفسك بأنك لا تظفر فان ذلك يثبطك عن العزو ينيل الامل فى أمر الآخرة وهو من أقوى الاسباب فى الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها والآمال فى الدنيا رحمة من الله تعالى حتى عمر بها الدنيا وتم صلاحها قال عليه السلام الامل رحمة من الله تعالى لامتى ولولا ذلك ما غرس غارس شجرة ولا أرضعت أم ولدا قال الشاعر

وللنفوس وان كانت على وجل * من المنية آمال تقويها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها * والنفس تنشرها والموت يطويها

﴿نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال﴾

للحرث بن كلدة فى سورة ق عند قوله تعالى فنقبوا فى البلاد أى خرقوا فى البلاد ودوخوا والنقب التنقير عن الامر والبحث والتطلب قال امرؤ القيس وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

قال تعالى فنقبوا فى البلاد هل من محيص

﴿ياسائلى ان كنت عنها تسأل * مرت بأعلى السحر تذأل﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر أى بقطع من الليل وهو السدس الاخير من الليل وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحر الخ تذأل أى تمشى سريعا يصف حمار الوحش من ذأل يذأل كمنع يمنع مشى فى خفة وذؤالة بالضم ابن آوى أو الذئب

﴿اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مربوع الصريمة معبل﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى ذوقوا مس سقر وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة * اذا ذابت الشمس الخ وعدم صرفه للتعريف والتأنيث يصف بقر الوحش ويقول اذا اشتد الحر عليه اتقى منه بأفنان الشجر واستظل ليقيه من الشمس وذابت الشمس اشتد حرها والمعبل الذى له عبل بالتحريك وهو ورق الارطى وكل ورق مفتول فهو عبل يقال ذاب لعاب الشمس وذلك فى أشد ما يكون من الحر ويكون فى شعاع الشمس مثل اللعاب والافنان الغصون واحدها فنن والصقرة شدة الحر والمراد بالمربوع الشجر الذى أصابه المطر وأضافه الى الصريمة لانه نابت عليها وأسند الذوب الى الشمس مجازا كقولك نهاره صائم والمربوع الذى أتى عليه مطر الربيع والصريمة الرملة المتصرمة من الرمال

﴿اذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا أضيافهم شبما زلالا﴾

هو لابى العلاء فى سورة الواقعة عند قوله تعالى أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون وقال بعد ذلك أفرأيتم الماء الذى تشربون وقال بعد ذلك لو نشاء جعلناه أجاجا حيث دخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا فقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فلذا دخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد أشد وأصعب من قبيل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ألا ترى انك انما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبى العلاء اذا سقيت الخ وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب وفى اثبات اللام فى الاول وحذفها من الثانى وجه آخر تقدم الكلام عليه عند الكلام على قوله

حتى اذا الكلاب قال لها * كاليوم مطلوبا ولا طلبا

فليراجع ثمة والبيت كما ذكرنا لابى العلاء من قصيدته التى وقعت أول الديوان التى مدح بها سعيد الدولة أبا الفضائل ومطلعها

أعن وخد القلاص كشفت حالا * ومن عند الظلام طلبت مالا

وقريب من معنى الشاهد قوله في وصف الممدوح

اذا سقت السماء الارض سجلا * سقاها من صوارمه سجالا

(ومنها) ومن صحب الليالي علمته * خداع الالف والقيل المحالا
وغيرت الخطوب عليه حتى * تريه الذر يحملن الجبالا

(ومنها) اذا ما الغيم لم يمطر بلادا * فان له على يديك اتكالا
ولو أن الرياح تهب غربا * وقلت لها هلا هبت شمالا

وأقسم لو غضبت على ثبير * لأزمع عن محلته ارتحالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

وهي طويلة

﴿أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل﴾

في سورة الحديد عند قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء عن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء رواه قطرب بكسر اللام وقيل في توجيهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها في لام لا فصار للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد أريد لانسى ذكرها الخ وحذفت الهمزة اعتباطا وأدغمت النون في اللام فاجتمع ثلاثة أمثال فثقل النطق بها فأبدل الوسط ياء تخفيفا فصار اللفظ لئلا كما ترى ورفع الفعل لان أن هي المخففة لا الناصبة واسمها على ما تقرر ضمير الشأن وفصل بينها وبين الفعل الذي هو خبرها بحرف النفي

﴿يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا﴾

في سورة الحشر عند قوله تعالى ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا الخ وأضيف الى النفس لانه غريزة فيها الكزازة اليبس والانقباض ورجل كز اليدين اذا كان بخيلا الشاعر يصف رجلا بالبخل والشح المطاع وانه اذا هم يوما أن يسمح بمعروف قالت له نفسه مهلا فيطيعها ويمتنع عن الخير وأين هذا من قول المتنبي

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

﴿محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا﴾

في سورة الصف عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون في قراءة زيد على حذف لام الامر أي لتؤمنوا وتجاهدوا كقوله محمد تفد نفسك والتقدير لتفد نفسك ولهذا كان الفعل مجزوما وانما حذفوها لكثرة الاستعمال والتبال الهلاك وفي بعض الروايات من أمر تبال وعن بعضهم يحتمل أن يكون خبرا في معنى الامر وحذفت الياء كما في والليل اذا يسر والجواب أنه في غير الفواصل والقوافي غير ثبت

﴿مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا﴾

في سورة المنافقين عند قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو أي واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ومنه أخذ الاخطل قوله مازلت تحسب الخ وكما قيل

* اذا رأى غير شيء ظنه رجلا *

﴿وان الذي قد عاش يا أم مالك * يموت ولم أزعمك عن ذاك معزلا﴾

في سورة التغابن عند قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال * ولم أزعمك عن ذاك معزلا * والبيت لجرير من قصيدته التي مطلعها

حيوا الغداة برامة الاطلالا * رسما تقادم عهده وأحالا

والمخاطب هو الاخطل يقال فلان في معزل عن أصحابه أي في ناحية عنهم معتزلا مذمومة مبغوضة

﴿أقبل سيل جاء من عند الله * يحرد حرد الجنة المغلة﴾

في سورة ن عند قوله تعالى وغدوا على حرد قادرين أي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم وقيل الحرد العدو والسرعة قال أقبل سيل الخ وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط والجنة البستان والمغلة التي لها دخل وغمار تقول كم غلة أرضك أي كم دخلها وحذفت الالف التي قبل الهاء من اسم الله تعالى وانما تحذف في الوقف

﴿اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى يستقل مراجله﴾

في سورة الحاقة عند قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين قال الزمخشري دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينه والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة وما أحسن قول الشاعر اذا نزل الاضياف الخ والعذور بالعين المهملة السيء الخلق قليل الصبر فيما يطلبه ويهتم به والمراجل جمع المرجل وهي القدر العظيمة واستقلالها انتصابها

انتصابها على الاثافى" واذا طرف لقوله عذور اوصفه بأنه يجمع الحى" بأمره فقطاع سيادته وجلالة محله فاذا نزل به الاضياف قام بنفسه فى اقامة القرى غير معتمد على أحد فيه وانه يعرض له فى خلقه عجلة يرتكبها و يشدد فى الامر والنهى على جماعة الحى" حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم فاذا ارتفع ذلك على مراده عاد الى خلقه الاول

مستأسد ذبانه فى غيطل * ﴿يقلن للرائد أعشبت انزل﴾

فى سورة المعارج عند قوله تعالى تدعو من أدبر وتولى أى تقول لهم بلسان فصيح الى" الى يا كافر يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب المستأسد النبات الطويل الغليظ يقال استأسد الزرع اذا قوى والذبان جمع الذباب ويقال للاصوات المختلطة غيطلة والكلأ اذا التف وكثر وأزهر كثر ذبانه وصوتن يقلن للرائد أى الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ أعشبت انزل أى أصبت مناك فاقنع ولا تتجاوز يقال أعشب الرجل اذا وجد عشبا وفى معناه

واذا وصلت الى السلا * مة فى مداك فلا تجاوز

Diw. de Dzou r Rummah LXXVII 69

كأن تخطت ناقتى من مفازة * ﴿ومن نائم عن ليلها متزمل﴾

هو لذى الرمة فى سورة المزمل عند قوله تعالى يا أيها المزمل كأن معناها كم الخبرية والاكثر أن تستعمل مع من ويقال كأن بتخفيف الياء والمتزمل المتلفف فى قطيفته وثيابه للاستثقال فى النوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن و يريد بذلك الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض الى معاظم الامور وتقديره كأن من مفازة تخطت ناقتى فيها وكأن من نائم عن ليل تلك المفازة وغافل عنها غير عارف بها

Hamâsa d'Abou Tammâm p. 37, 38-39

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معضل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

﴿فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل﴾

هو لابى كبير الهذلى من أبيات الحماسة فى سورة المزمل عند قوله تعالى يا أيها المزمل غبر الحيض باقيه قبل الطهر وفساد مرضعة أراد الفساد الذى من قبلها والغيلة هى أن يمس الرجل امرأته وهى ترضع وروى وداء معضل وهو الذى لا دواء له والمعنى أن الام حملت به وهى طاهرة ليس بها بقية حيض ولم ترضعه أمه غيلا وهو ان تسقيه وهى حبلى بعد قوله فى ليلة مزؤودة الزأد الذعر والمعنى حملت الام و يروى مزؤودة بالنصب حال عن المرأة و يروى مزؤودة بالجر بان تجعله صفة لليلة كأنه لما وقع الزأد والذعر فيها جعله لها كما قيل نهارك صائم وليلك قائم قوله وعقد نطاقها لم يحلل النطاق ما تنتطق به المرأة وتشد به وسطها للعمل وحكى عن أم تأبط شرا أنها قالت فيه انه والله لشيطان ما رأيته قط ضاحكا ولا هم بشئ مذ كان صبيا الا فعله ولقد حملت به فى ليلة ظلماء وان نطاقى لمشدود قوله حوش الفؤاد أى وحشيه لحدته وتوقده ورجل حوشى لا يخالط الناس مبطنا خميص البطن والهوجل الثقيل الكسلان ذو الغفلة يقول أتت الام بهذا الولد متيقظا حذرا حديد الفؤاد ذكيا ساهرا اذا نام ليل البليد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كنت قاعدة أغزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخصف نعلا فجعل لا يتحدر من عرقه شئ الا يولد فى عينى نورا فبقيت أنظر اليه فالتفت الى" وقال ما تنظرين فقلت ما يتحدر من عرقك شئ الا يولد فى عينى نورا أما والله لو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره من غيرك فقال وما قال أبو كبير قلت له ومبرأ من كل غبر حيضة وقوله واذا نظرت الى أسرة وجهه البيتين فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده ثم قام فقبل ما بين عينى وقال جزاك الله خيرا ما سررت كسرورى بكلامك

﴿أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا توردها يا سعد الابل﴾

فى سورة المزمل عند قوله تعالى يا أيها المزمل أى المتزمل بثيابه من تزمل اذا التف هذا سعد بن زيد مناة أخو مالك بن زيد مناة الذى يقال له آبل من مالك لانه كان آبل أهل زمانه ثم انه خرج و بنى بامرأته فأورد الابل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك أوردها سعد الخ أى أتى بها الورد والحال انه مشتمل ليس متشمرا فذمه بالاشتمال وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وهذا البيت صار مثلا فيمن يشتغل بأمر لا على وجه تيقظ وتشمر فلذا ذم الشاعر سعدا بالاشتمال

Hamâsa d'Abou Tammâm p. 236

﴿أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل﴾

﴿أذكر بالبقيا على من أصابنى * وبقياى أنى جاهد غير مؤتلى﴾

فى سورة المدثر عند قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل

كل نفس بما كسبت رهين ومنه بيت الحماسة أبعد الذى الخ والشعر لعبد الرحمن بن زيد قتل أبوه وعرض عليه سبع ديات بأبيه فأبى أن يأخذها وقال هذا والنعف اسم جبل وقيل المكان المرتفع والرهينة بمعنى الرهن والرمس القبر والاصل فى الرمس التغطية يقال رمسته فى التراب وألف الاستفهام داخل ههنا على معنى الانكار ويتناول الفعل الذى فى صدر البيت الثانى لان ألف الاستفهام تطلب الافعال والمعنى أأذكر بالبقاء بعد المدفون بنعف هذا الجبل يقول أأسام الابقاء على من وترنى أى أجهد فى قتله ولا أقصر أى يكون هذا منى عوضا من ذلك والبقيا من الابقاء وهو غير مؤتلى أى غير مقصر وابدال نعف كويكب من الاول على حد قول امرئ القيس * ولما بلغنا الخدر خدر عنيزة * وفى هذا الابدال ترشيح لابدال رهينة رمس من الموصول لانه انما فخم المكان تفخيما للمرمى المقتول هنالك

﴿واذا نادت امامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى﴾

هو لغوثة بن سلمى فى سورة القيامة عند قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة من حيث زيادة لا قبل فعل القسم وقد تقدم مثلها فى لئلا يعلم وامامة اسم امرأة والاحتمال الارتحال وما أبالى معناه ما أكترث وأحتفل والتقدير فبك ما أبالى ولا زائدة يعنى أظهرت هذه المرأة نفسها ارتحالا عنى لتجلب على حزنا قيل يخاطبها ويقول لا وأبيك ما أبالى وهذه اليمين فيها تهكم وقوله لا بك كقولك لا بالله وما أبالى جواب القسم وقيل لا صلة مثلها فى لئلا يعلم

﴿سل سبيلا فيها الى راحة النفـ * ـس براح كأنها سلسبيل﴾

فى سورة الانسان فى آية عينا فيها تسمى سلسبيلا الراح الخمر ويقال سلسل وسلسال وسلسبيل لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها وزيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة

﴿يمشى بها غلب الرقاب كأنها * بزل كسين من الكحيل جلالا﴾

هو لعمرو بن معديكرب فى سورة عبس عند قوله تعالى وحدائق غلبا يقال أسد أغلب أى غليظ العنق والبزل جمع بازل وناقة بازل فى الذكور والاناث اذا فطر نابه فى تاسع سنة والكحيل القطران يصف الشاعر أرضا مأسدة أى يمشى بهذه الارض أسود غلاظ العنق كأنها نوق كسين جلالا من قطران والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب ثم استعير فى غيرها كما فى الآية أى شجرها غلب غلاظ

﴿ورباء شماء لا يأوى لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل﴾

هو للمتنخل الهذلى فى سورة الطارق عند قوله تعالى والسماء ذات الرجع سمى المطر رجعا كما سمى أوبا تسمية بمصدرى رجع وآب وذلك لان العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجع الى الارض الشاعر يرثى ابنه وقيل يصف رجلا يصعد المرقاب الشاقة ورباء فعال من ربأ اذا طلع وهو مضاف الى شماء أى طلاع قلعة شماء من الشمم وهو الارتفاع ويقال ربأ فلان وارتبأ اذا اعتان والربيئة الطليعة ويقال له العين والديدبان والجاسوس وهو من معانى العين معنى مأنوس وقوله لا يأوى لقلتها يقال أوى الانسان يأوى رجع وقلة الجبل رأسه وأعلاه والاوب النحل سمى به لانه يذهب ثم يعود الى بيته وقيل المطر سمى به كما سمى رجعا تسمية بمصدرى آب ورجع وذلك ان العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجع الى الارض وأرادوا التفاؤل فسموا رجعا ليرجع ويؤوب والسبل بالتحريك هو المطر وأصله من اسبلت الستر اذا أرخيته والمعنى هذا الرجل رقى قلعة شماء لا يأوى لقلتها من ارتفاعها الا السحاب والمطر والنحل

﴿ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين رأس المصطلى﴾

هو لجرير فى سورة القارعة عند قوله تعالى كالفراش المبثوث شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وفى أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره غشين أى حضرن فى غشوة الليل جرير يهجو الفرزدق وقومه وما علمت ما للدوام يقول ان الفرزدق وقومه دوام علمى بهم ضعفاء اذلاء جهلاء أمثال الفراش فى الضعف والذلة

﴿ورجلة يضربون البيض عن عرض * ضربا تواصت به الابطال سجيلا﴾

الرجلة جماعة الراجل والبيض السيوف وعرض كل شئ وسطه وقيل ناحيته والابطال جمع بطل وهو الشجاع وسجيلا أى شديدا معناه رب رجلة يضربون السيوف فى المعركة عن جوانب مختلفة ضربا شديدا كما تواصت الابطال وبرواية أخرى

ورفقة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصت به الابطال سجينا

وانما هو سجين بالنون والقصيدة نونية مشهورة فى ديوان ابن مقبل أولها

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا * ودون ليلى عواد لو تعدينا

وان فينا صبوحا ان رأيت به * ركبا مهيبا والاما ما فينا

ورجلة

*ورجلة يضربون البيض عن عرض * البيت أى وان فيناصبوحا ان اصحبت اليه وقوله ركبا بدل من قوله صبوحا ورجلة عطف على ركبا وقيل ركبا وما بعده منصوب على الاختصاص والتنكير للتفخيم والبيض المغفر وعن عرض أى الى أى ناحية اتفق لا يبالون من ضربوا وكيف ضربوا

﴿قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويهملوا التهليلا﴾

فى سورة الماعون الماعون الزكاة وقيل ما يستعار فى العادة من الفاس والقدر والدلو ونحوها وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة والتهليل الصلاة ههنا يقول هم قوم على الاسلام لم يمنعوا الزكاة ولم يضيعوا الصلاة

﴿جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل﴾

فى سورة تبت التباب الهلاك والمعنى هلكت يداه لانه فيما روى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب هلك كله أوجعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تربت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزانى الخ وقوله جزاه الله شر جزائه دعاء عليه وما أحسن ما قيل فى عكس هذا المعنى قوله

نعمة الله فيك لا أسأل الله الها نعمى سوى أن تدوما
فلوانى فعلت كنت كمن يسأله وهو قائم أن يقوما

وقوله أيضا

ماذا أقول وقولى فيك ذو قصر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أوقلت زانك ربى فهو قد فعلا

وقد أحببنا أن يكون هذان البيتان حسن الختام لشواهد حرف اللام والحمد لله على الدوام

﴿حرف الميم﴾

﴿فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق نحسد الانس الطعاما﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم حيث يعلقون الباء بحروف تناسب المقام نحو اتل بسم الله الرحمن الرحيم وأدعوكم الى الطعام ومنه قوله تعالى فى سورة النمل فى تسع آيات الى فرعون وقومه فحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات الى فرعون وقول العرب فى الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين أى أعرست أو نكحت والشعر للفرزدق وقيل لسمير بن الحارث الضبى يصف جماعة من الجن أتوا ناره ليلا فسأل عنهم من أنتم فقالوا الجن فحياهم بالظلام وعموا ظلاما كلمة تحية من وعم يعم معناه طاب عيشكم فى الظلام وكذلك عموا صباحا ثم دعاهم الى الطعام وقال أدعوكم الى الطعام فقال فريق منهم نحن لا نأكل الطعام الذى تأكلونه ونحسد الانس فى أكلهم الطعام قال ابن هشام فى شرح الشواهد الكبرى قائله جذع بن سنان على رواية من روى عموا صباحا وأما على رواية من رواه عموا ظلاما فانه ينسب الى سمير بن الحرث الضبى وكذا وقع فى رواية الجوهرى لانه رواه عموا ظلاما وقال أبو القاسم ان الناس يغلطون فى هذا الشعر فيروونه عموا صباحا وجعل دليله على ذلك ما رواه عن ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى زيد ثم أنشد

ونار قد حضأت بعيد وهن * بدار ما أريد بها مقاما
سوى ترحيل راحلة وعين * أكالئها مخافة أن تناما
أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم * زعيم نحسد الانس الطعاما
لقد فضلتم فى الاكل فينا * ولكن ذاك يعقبكم سقاما

وقال ابن السيد لقد صدق أبو القاسم فيما حكاه عن ابن دريد لكنه أخطأ فى تخطئة رواية من روى عموا صباحا لان هذا الشعر الذى أنكره وقع فى سد مأرب ونسبه واضع الكتاب الى جذع بن سنان الغسانى فى حكاية طويلة زعم انها جرت له مع الجن وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قط فمنهم من يرويه على الصفة التى ذكرها ابن دريد ومنهم من يرويها على ما وقع فى الكتاب والشعر الذى على قافية الميم ينسب الى سمير بن الحرث الضبى وينسب الى تأبط شرا وأما الشعر الذى على قافية الحاء فلا أعلم خلافا فى أنه ينسب الى جذع بن سنان الغسانى وهو

أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا صباحا
نزلت بشعب وادى الجن لما * رأيت الليل قد نشر الجناحا
أقائم هالك والاقد ارحتم * تلاقى الجن صبحا أوررواحا
أتيتهم غريبا مستضيفا * رأوا قتلى اذا فعلوا جناحا
أتونى سافرين فقلت أهلا * رأيت وجوههم وسما صباحا
نحرت لهم وقلت ألا هلموا * كلوا مما طهيت لكم سماحا
أتانى ناشر وبنو أبيه * وقد جن الدجى والنجم لاحا
فنازعنى الزجاجة بعد وهن * مزجت لهم بها عسلا وراحا

وحذرني أمورا سوف تأتي * أهزّ لها الصوارم والرماحا
سأمضي للذي قالوا بعزم * ولا أبغي لذلكم قداحا
أسأت الظن فيه ومن أساء * بكل الناس قدلاقى جناحا
وقد تأتي الى المرء المنايا * بأبواب الأمان سدى جراحا
سيبقى حكم هذا الدهر قوما * ويهلك آخرون به رياحا
أثعلبة بن عمر اليس هذا * أوان السير فاعتد السلاحا
ألم تعلم بأن الذل موت * يتيح لمن ألم به اجتياحا
ولا يبقى نعيم الدهر الا * لقوم ماجد صدق الكفاحا

﴿ يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم ﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى الم حيث جعل حم اسما للسورة فأعرب ومنع من الصرف لانه علم ومؤنث وقائل الشعر شريح بن أوفى العبسي قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل وقد كان من قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أبوه طلحة أن يتقدم للقتال فنشر درعه بين رجليه وكان كلما حمل عليه الرجل في ذلك اليوم قال نشدتك بحم يعني بذلك حمعسق لما فيها من قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى حتى حمل عليه العبسي فقتله وأنشأ يقول مفتخرا

وأشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فلما رآه علي رضي الله عنه استرجع وقال ان كان لشابا صالحا ثم قعد كئيبا فقوله على غير شيء متعلق بشككت أي خرقت يعني بلا سبب من الاسباب وغير أن استثناء من شيء لعمومه بالنفي أو بدل والفتح للبناء والرمح شاجر أي طاعن وقيل أي مختلف فعلى الاول لوذكرني حاميم قبل أن أطعنه بالرمح لسلم وعلى الثاني قبل قيام الحرب وتردد الرماح قيل ان حم من أسماء الله تعالى وان المعنى اللهم لا ينصرون ثم ان القاتل لما غلب قرنه في المبارزة والتجأ هو الى تلك الكلمة ما التفت الى قوله وقتله وقال هلا تلا حاميم قبل المبارزة والتقدم

﴿ الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم ﴾

عند قوله تعالى في سورة البقرة والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك حيث وسط حرف العطف بين النعوت القرم الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه ولذلك سمي السيد من الناس القرم والهمام من أسماء الملوك لعظم هممهم وقيل انما سمي هماما لانه اذا هم بأمر فعله والكتيبة الجيش تقول كتبت الكتيبة اذا هيأتها وضممت بعضها الى بعض وازدحم المعركة أي دفع بعضهم بعضا والمزدحم المعركة لانها موضع المزاحمة والمدافعة

﴿ فذلك ان يهلك فحسني ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ﴾ Diwan d. Hudhail. Taf. XLII

في سورة البقرة عند قوله تعالى أولئك على هدى حيث كان فيه ايذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكور من قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم والمعنى بلى الله فقيرا مناه وهمه من الدهر أن يلبس لباسا ويطعم طعاما فقد قيل من كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه والشعر لحاتم وقبله

ولله صعلوك يساور همه * ويمضي على الاحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة * ولا شبعة ان نالها عد مغنما
اذا ما رأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمت صمما
يرى رمحه أونبله أو مجنه * وذا شطب عضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج قاتد ولجامه * عتاد أخي هيجا وطرفا مسوما
ويغشى اذا ما كان يوم كريهة * صدور العوالي وهو مختضب دما
اذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت * وولى هدان القوم أقدم معلما
فذلك ان يهلك فحسني ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

﴿ فلا وأبي الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم ﴾

هو للهذلي يرثي خالد بن زهير في سورة البقرة عند قوله تعالى على هدى حيث نكر ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على هدى أي هدى وتنكير لحم للتعظيم أي لحم شريف عظيم كان خالد قد قتل والطير قد قامت عليه تأكله فاستعظم لحمه حيث نكره والتفت الى الخطاب وبسبب تعظيم اللحم استعظم الطير الواقعة عليه ثم ما اكتفى بل استعظم أبا الطير حيث أقسم بها كأنه قال لا أقسم كما يكنى الرجل بأبي فلان تعظيما له كنى الطير بأبي الطير وأبي أي أبين جمع أب سقطت نونه بالاضافة وأرب بالمكان اذا أقام ولزم وبعد البيت

فلا وأبي لا يأكل الطير مثله * عشية أمسى لا يبين من السلم

﴿ أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ويحيي العظام البيض وهي رميم ﴾
لقد كنت أختار الجوى طاوي الحشا * محاذرة من أن يقال لئيم

في

فى سورة البقرة عند قوله تعالى ألا انهم هم المفسدون فان الاستفهام اذا دخل على حرف النفى أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر على
أن يحيي الموتى ونحوه قول الآخر أما والذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أمره الامر
لقد تركتنى أحسد الوحش ان أرى * أليفين منها لا يروعهما الذعر
﴿فما أم الردين وان أدلت * بعالمة بأخلاق الكرام﴾
﴿اذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام﴾
فى سورة البقرة عند قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم أى اذا دخل الشيطان فى قفا هذه المرأة وحردت
وأساءت الخلق استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم واجتهدنا فى ازالة غيظها وغضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع
أولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا
لخسارهم وتصويرا لحقيقته وقصع من التقصيع يقال قصع اليربوع اذا اتخذ القاصعاء وهو الطريق المستوى أحد جحرى اليربوع
والنافقاء موضع ترققه ولا يتعداه مخافة أن يقف الصائد عليه فاذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء برأسه وانما فرض الاستعارة
فى التقصع ليعلم ان الاستعارة فيه تبعية ثم رشحها بأن ضم التنفق والحبل التؤام اليها وأما ذكر القفا فهو أن سوء الخلق من الحمق
وهو ينسب الى القفا كما يقال عريض القفا
Mu'allaqat d. 'Antarah 50 ﴿فتركته جزر السباع ينشنه * يقضمن حسن بنانه والمعصم﴾
فى سورة البقرة عند قوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون من جهة ان ترك يكون بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركته
ترك ظبى ظله وهو مثل يضرب فى هجر الرجل صاحبه فاذا علق بشيئين كان بمعنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب كما فى الآية والبيت
والشعر لعنترة والضمائر الثلاثة فى البيت ترجع الى مدجج فى البيت السابق أى شاكى السلاح والبيت من معلقة عنترة بن شداد العبسى
التى أولها هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم دار لآنسة غضيض طرفها * طوع العناق لذيذة المتبسم
ومنها ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم Mu'allaqat d. 'Antarah v. 6
الى أن قال عند التحمس
Mu'allaqat d. 'Antarah v. 47–50
ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعن هربا ولا مستسلم * جادت يداى له بعاجل طعنة * بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الطويل اهابه * ليس الكريم على القنا بمحرم * فتركته جزر السباع ينشنه * ما بين قلة رأسه والمعصم
أى رب قرن حاربته فقتلته وتركته طعم السباع كما يكون الجزر طعمة البائس ثم قال تتناوله السباع وتأكل بمقدم أسنانها بنانه الحسن
ومعصمه الحسن يريد أنه قتله فجعله عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته النوش التناول والقضم الاكل باطراف الاسنان والخضم
الاكل بجميع الفم وقولهم يتبع الخضم بالقضم ومعناه أن الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق وقد استشهد بالبيت المذكور فى أوائل
العنكبوت عند قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون حيث استعمل الترك بمعنى التصيير
Zuhair Mu'all. 34 ﴿لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم﴾
هو لزهير فى سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمى فهم لا يرجعون حيث كان البلغاء من علماء البيان يسمون ما فى الآية تشبيها بليغا
لا استعارة وقد مضى فى شرح قوله ويصمد حتى يظن الجهول * ما فيه غنية عن ايضاح معنى هذا البيت
Hatim Tai, Diw. XLII. 29 ﴿وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما﴾
فى سورة البقرة عند قوله تعالى حذر الموت وانه نصب على المفعول وان كان معرفا بالاضافة ولا ضير فى تعدد المفعول له فان الفعل يعلل
بعلل شتى وادخاره معرفة وتكرما نكرة والعوراء الكلمة القبيحة التى يغضب منها والبيت لحاتم الطائى وقبله
وعذراء قد أعرضت عنها فلم تضر * وذى أود قومته فتقوما * ولا أخذل المولى وان كان خاذلا * ولا أشتم ابن العم ان كان مفحما
وأول القصيدة أتعرف أطلالا ونؤيا مهدما * كخطك فى رق كتابا منمنما
Diwan d. Hatim Tai XLII
تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما * ونفسك أكرمها فانك ان تهن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما * أهن فى الذى تهوى التلاد فانه * اذا مت صار المال نهبا مقسما
ولا تشقين فيه فيسعد وارث * به حين تخشى أغبر الجوف مظلما * وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر
وذى أود قومته فتقوما * وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

ولا أخذل المولى وان كان خاذلا * ولا أشتم ابن العم ان كان مفحما
ولا زادنى عنه غنائى تباعدا * وان كان ذا نقص من المال معدما
نعمة الله فيك لا أسأل الا * ه اليها نعمى سوى أن تدوما
﴿فلو انى فعلت كنت كمن تسـ * ـأله وهو قائم أن يقوما﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم فالامر لا يخلو من أن يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا أو الى كفار مكة خاصة فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو انى الخ والجواب أن المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وثباتهم عليها

﴿وسائل تميما فى الحروب وعامرا * وهل المجرب مثل من لم يعلم﴾ Cited from al-Khafājī ... f. 32
﴿غضبت تميم أن نقتل عامرا * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم﴾

هو لبشر بن أبى خازم الاسدى فى سورة التوبة عند قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وهو من العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزئ به والنسار ماء لبنى عامر الصيلم الداهية المستأصلة ويسمى بها السيف المعنى أن تميما عتبوا بمقاتلة عامر فاعتبناهم أى أزلنا عتابهم بالسيف والقتل فالهمزة للسلب كقولك أشكيته أى أزلت شكايته وهذا من قبيل * تحية بينهم ضرب وجيع

وقوله
صبحنا الخزرجية مرهفات * أباد ذوى أرومتها ذووها

وقول الآخر
نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الكهف عند قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وفى سورة مريم عند قوله تعالى والباقيات الصالحات خير من حيث انه لا ثواب لهم حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه فهو على ضرب من التهكم وفى سورة الروم عند قوله تعالى لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون والبيت من قصيدة أولها

لمن الديار غشيتها بالانعم * تبدو معارفها كلون الارقم Cf. Khafājī ... f. 32
لعبت بها ريح الصبا فتنكرت * الا بقية نؤيها المتهدم
دار لبيضاء العوارض طفلة * مهضومة الكشحين ريا المعصم
ومنها وبنو غير قد لقينا منهم * خيلا تضب لثاتها للمغنم
قل للمثلم وابن هند بعده * ان كنت رائم عزنا فاستقدم
تلق الذى لاقى العدو وتصطبح * كأسا صبابتها كطعم العلقم
تحبو الكتيبة حين تفترش القنا * طعنا كالهاب الحريق المضرم

وهى طويلة
﴿قد جاء موسى الكلوم فزاد فى * أقصى تفرعنه وفرط عرامه﴾

فى سورة البقرة عند قوله تعالى واذ أنجيناكم من آل فرعون قال فى الكشاف وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا منه تفرعن فلان اذا عتا وتجبر والموسى ما يحلق به من أوس رأسه حلقه وقال الفراء هى فعلى ويؤنث يقال رجل ماس مثل مال أى خفيف طياش والكلوم فعول من الكلم وهو الجرح والعرام الشرة والخبث وضمير جاء راجع الى ذكر الصبى وهذا كناية عن الختان وبه النمو والفتوة لا عن حلق العانة كما قيل قال المولى سعد الدين وهذا مع وضوحه وشهرته فقد خفى حتى قيل انه كناية عن حلق العانة

﴿قلت لزير لم تصله مريمه * ضليل أهواء الصبى تندمه﴾ Dīw. d. Ruʾbah LV, 1

فى سورة البقرة عند قوله تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات ومريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير الخ وهو من قصيدة طويلة أول ديوانه قالها فى أبى جعفر الدوانيقى كان يعاتبه على البطالة ومغازلة النساء كما قال

الام قتاكم للخمر اندزير * وقد حل حولى عارضيه قتير
فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
﴿ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام﴾ Dīw. d. Nābighah Dhubyānī XXVIII, 4

للنابغة الذبيانى فى سورة البقرة عند قوله تعالى الا من سفه نفسه أراد بالربيع طيب العيش وبالشهر الحرام الأمن أى يبقى بعد الممدوح فى طرف عيش قد مضى صدره ومعظمه وخيره وبقى منه ذنبه ويكنى بالخيار عن الرأس وبالشرار عن الاذناب كما قال الحطيئة

قوم هم الانف والاذناب غيرهمو * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا Dīwān d. Ḥuṭayʾah I, 22

والاجب من الابل المقطوع السنام ويجوز أن ينشد أجب الظهر باضافة أجب الى الظهر ويجوز أن ينشد بنصب الظهر ويكون التنوين قد سقط من أجب استشهد بأنه نصب الظهر بالاجب تشبيها بضارب عمرا والبيت من قصيدة ميمية يرثى بها النعمان بن الحارث الاصغر

Diwan ... XXVIII, 1

الاصغر أولها

ألم أقسم عليك لتخبرني * أمحمول على النعش الهمام

وهي طويلة

فكيف اذا مررت بدار قوم * ﴿وجيران لنا كانوا كرام﴾

البيت للفرزدق في سورة البقرة عند قوله تعالى وان كانت لكبيرة على قراءة الرفع أي وان هي لكبيرة ووجهها أن تكون كان مزيدة كما في البيت

﴿فهل لكمو فيما الى فانني * بصير بما أعيا النطاسي حذيما﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من حيث انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر قال في الكشاف فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لا من اللبس كما قال بما أعيا النطاسي حذيما أراد ابن حذيم ومعنى فهل لكم فيما الى هل لكم علم وبصيرة فيما يرجع نفعه وفائدته الى ثم أعرض عن مشاورتهم وقال انى أعلم وأعرف بحالى منكم فانني بصير بما يعيي النطاسي بن حذيم والنطاسي الطبيب وأراد ابن حذيم وهو من باب الحذف لا من الالباس كما تقدم وفي النسخ كما أعيا والصواب ما نقله الميداني في مجمع الامثال بما بالباء وحذيم بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الياء

Diwan Dhu'r-Rummah LXXXVII

﴿تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله والبيت لذي الرمة والخرقاء اسم محبوبته ونقل عن بعض السلف الصالحين أنه حج فلما قضى نسكه قال لصاحب له هل تم حجنا ألم تسمع قول ذي الرمة وأنشد البيت وحقيقة ما قال هو أنه كما قطع البراري والقفار حتى وصل الى بيته وحرمه فينبغي أن يقطع أهواء النفس ويخرق حجب القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع الى حرمه

﴿أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني﴾ * ألم تيئسوا أني ابن فارس زهدم

في سورة البقرة عند قوله تعالى ويسألونك عن الخمر والميسر وهو قمار العرب بالازلام واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي كان وقع عليه الميسر فضربوه بسهام ييسرونني يقطعونني وزهدم اسم فرس سمي به لسرعته وهو في الاصل فرخ البازي وأنشده المصنف في سورة الرعد شاهدا على أن اليأس بمعنى العلم حيث قال أفلم ييأس الذين آمنوا والمعنى قلت لهم بذلك الموضع حين يغلبونني بالميسر ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم وأنه لا يغلب على أحد وفي رواية اذ يأسرونني أي حين أرادوا أن يأخذوني بالاسر

دعوني أنح وجدا النوح الحمائم * ﴿ولا تجعلوني عرضة للوائم﴾

في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم العرضة هنا بمعنى المتعرض للامر قيل البيت لابي تمام وفي ديوان أبي تمام

متى كان سمعي عرضة للوائم * وكيف صغت للعاذلين عزائمي

Kitab al-Aghani VIII ...

﴿وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم﴾

لعدي بن الرقاع من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك في سورة البقرة عند قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس وقدم السنة على النوم وقياس المبالغة عكسه لمراعاة ترتيب الوجود وأيضا هو من باب التتميم فانه لما انتفى السنة انتفى النوم بالاولى فجيء بقوله ولا نوم تأكيدا والبيت لابن الرقاع وأقصده النعاس من أقصدت الرجل اذا طعنته فلم تخطئ مقاتله ومنه قوله

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

﴿تتمة﴾ النوم ريح يقوم في أغشية الدماغ فاذا وصل الى العين نامت واذا وصل الى القلب نام وهو النوم

﴿مولي الريح قرنيه وجبهته * كالحرقي تنحى ينفخ الفحما﴾

في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله يقال لم يكن في هذه الامة أكمه غير قتادة صاحب التفسير روي انه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده والحرقي بفتح الحاء المهملة هو الحداد يصف بقر وحش يستقبل الريح بقرنيه وجبهته وينفخ ويتنفس في مقابل الريح كالحداد الذي ينفخ الفحم بالمنفاخ

﴿وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم﴾

في سورة آل عمران عند قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها والضمير عائد للحفرة أو للنار أو للشفا وانما أنث لاضافته الى الحفرة وهو منها وانما أنث شرقت لاضافة الصدر الى القناة وكثيرا ما يكتسب المضاف من المضاف اليه صفة الكمال أو النقص فن

الاول قوله عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك ان ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يبين قولى مغريا ومحذرا
وما أحسن ما قيل فى تضمين هذا البيت قوله

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذى * يكون كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزرى وشاهدى * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة يوسف عند قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة لقمان عند قوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله حيث أنث المثقال لاضافته الى الحبة فان الله تعالى يعلم أصغر الاشياء فى أخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء الشرق الشجا كما قال ويرانى كالشجا فى حلقه * عسرا مخرجه ما ينتزع
وقد شرق بريقه أى غص وذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا انتشر وأذاعه غيره كما قال الشاعر فيمن لا يكتم السر
أمنت على السر امرأ غير حازم * ولكنه فى النصح غير مريب
أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب
وما أحسن ما قيل فى هذا الباب قوله لى صديق غدا وان كان لا ينـ * ـطق الا بغيبة أو محال
أشبه الناس بالصدى ان تحدثـ * ـه حديثا أشاعه فى الحال

والبيت للاعشى ميمون بن قيس من قصيدته المشهورة التى أولها
ألا قل لتياقبل نبهتها اسلمى * تحية مشتاق اليها متيم ومنها لئن كنت فى جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم انى عنكم غير مفحم وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم
والتيا تصغير تا التى من أسماء الاشارة ﴿فقتل أقواما لئاما أذلة * يعضون من غيظ رؤس الاباهم﴾
فى سورة آل عمران عند قوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ هو للحرث بن ظالم المرى الاباهم جمع الابهام ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام يقول أقتل الاعداء اللئام الاذلة الذين يعضون أناملهم من الغيظ

﴿على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا فى اعراب الذين أوجه أحدها أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين نافقوا أو على الابدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى أفواههم وقلوبهم كقوله على حالة الخ وليس لاحد أن يرفع حاتما الواقع فى القافية لان القافية مجرورة وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة مريم عند قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا الى قوله أن دعوا للرحمن ولدا على تقدير أن يكون جملة أن دعوا للرحمن ولدا بدلا من الضمير المجرور فى منه والبيت على ما رواه المبرد فى الكامل للفرزدق وقبله
فلما تصافنا الاداوة أجهشت * الى عيون العنبرى الجراضم
فجاء بجلمود له مثل رأسه * ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على حالة البيت هذا العنبرى اسمه عاصم وكان دليل الفرزدق فضل به الطريق والتصافن اقتسام الماء بالحصص ويكون بنحو مقلة يسقى الرجل قدر ما يغمرها وانما يفعل عند ضيق الماء وأراد العنبرى أن يزيد على حقه لعطشه فمنعه الفرزدق وكان من الاجواد فكانه وجد من نفسه وعذرها بهذه الابيات والاداوة الآلة جمعها أداوى على وزن مطايا وهى الآلة والمراد بها هنا المقل وفى قوله وجاء بجلمود بدل مقلة ما يدل على طلب الزيادة المفرطة على الحق وجعله واسع البطن أكولا فى قوله الجراضم تأكيد له والصرائم جمع صريمة وهى منقطع الرمل وأراد أن الموضع كان ضيقا باعواز الماء وقيل هى جمع صريمة وهى القطيع من الابل والجهش والاجهاش تضرع الانسان الى غيره مع تهيئته للبكاء كالصبى الى الام وغضون الجلد مكاسره كالجبين وفى اسناده اليها تصوير لان مخايل الاجهاش تظهر من مكاسر الجبين والعين

٣ ﴿وشربت بردا ليتنى * من بعد برد كنت هامه﴾

﴿وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم﴾
فى سورة النساء عند قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت على تقدير قراءة الرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالى ولا حرم ففى الآية حمل على
٣ هذا البيت ترك له بياض فى الاصل للتكلم عليه فلينظر

على ما يقع موقع أيما تكونوا وهو أينما كنتم كالحل ولا ناعب الا ببين غرابها على ما يقع موقع ليسوا مصلحين عشيرة وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما في البيت والخليل الفقير من الخلة بالفتح أى الحاجة قال الشاعر وانى الى أن تشفعا لى لحاجة لان الخليل بمعنى الحبيب من الخلة بالضم والحرم بكسر الراء الحرمان والمعنى ان سأله سائل لم يتعلل بل أعطاه وأغناه والمناسب أن يحمل المصدر بمعنى المفعول أى لا غائب مالى ولا محروم من حرمته المال اذا جعلته ممنوعا عنه والبيت لزهير يمدح به هرم بن سنان وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة هود عند قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها على تقدير رفع الجواب لان الشرط ماض وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الاسراء عند قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فانه وقع جوابا القسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالى ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الفرقان عند قوله تعالى تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا حيث قرئ ويجعل بالرفع عطفا على لفظ جزاء الشرط اذا كان ماضيا والبيت لزهير بن أبى سلمى من

Zohair Diw. XVII. 1.

قصيدته المشهورة التى يمدح بها هرم بن سنان أولها

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم
لا الدار غيرها بعد الانيس ولا * بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم

الى أن قال

هو الجواد الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

وان أتاه البيت

﴿آلآن لما ابيض مسربتى * وعضضت من نابى على جذم﴾

هو لابى العلاء وبعده

حلبت هذا الدهر أشطره * وأتيت ما آتى على علم

فى سورة المائدة عند قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم حيث لم يرد به يوما بعينه وانما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن الواقع فى الشعر فان المراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية والمسربة الشعرات التى تنبت فى وسط الصدر الى أسفل السرة اذا كان دقيقا وكان صلى الله عليه وسلم طويل المسربة والعض التناول بالاسنان يقال فى المثل عض من نابه على جذم للمضطر والجذم بالكسر هو أصل الشئ يريد تحاتت أسنانى وسقطت فبقى أصولها كأنه قال عضضت من نابى حال كونها باقية على جذم ذاهبا سائرها وأشطره أراد حواليه وجوانبه يريد أنواع الخير والشر فاذا قيل شطريه أريد الجنسان

﴿تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها﴾

هو للبيد فى سورة المائدة عند قوله تعالى فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع بعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولى ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه كما قال

فلئن بقيت لارجعن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

يعنى نفسه يقول الشاعر انى لاترك أرضا اجتويها وأقليها الا أن أموت ولا أقدر على تركها وانما قصد تفخيم شأنها بهذا الابهام كأنه قال نفسا كبيرة أو نفسا أى نفس فكما أن التنكير يعطى معنى التكثير وهو فى معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة المؤمن عند قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم حيث قال بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه وقد ذكر الجواب عن ذلك فى الكشاف بقوله قلت لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى الى ملاوتهم ومداراتهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل قال فى الكشاف ان قلت فعن أبى عبيدة فسر البعض بالكل قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له انتهى وأما حديث مسئلة العلقى فانقل أن أبا عثمان المازنى قال للمبرد سمعت أبا عبيدة يقول ما أكذب النحويين يقولون تاء التأنيث لا تدخل على ألف التأنيث وسمعت رؤبة ينشد قول العجاج يصف ثورا يستن فى علقى وفى مكور جمع مكر ضرب من الشجر فقلت ما واحد علقى فقال علقاة فقال المبرد فهلا قاولته فقال كان أبو عبيدة أجفى من أن يفهم هذا وأشار الى مانقل عن سيبويه منهم من يقول علقاة بألف الالحاق ولو كانت للتأنيث لم تدخل عليها التاء ومنهم من لا ينون ويجعلها ألف التأنيث وعلقى نبت والمكور ضرب من الشجر واستن الفرس وغيره أى قمص وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجن برجليه

﴿وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها﴾

هو للبيد فى سورة المائدة عند قوله تعالى بل يداه مبسوطتان حيث جعل للشمال يدا ويقال بسط اليأس كفيه فى صدرى كما قال الشاعر

وقد رابنى وهن المنى وانقباضها * وبسط جديد اليأس كفيه فى صدرى

فجعل لليأس الذى هو من المعانى لا من الاعيان كفين قال الزمخشرى ومن لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به يقول كم من غداة تهب فيها الشمال وهى أبرد الرياح أى وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كشفت عادية البرد والجوع عن الناس بنحر الجزر لهم وقد جعل للشمال يدا لان المقاد فى تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر المصرف لمازمه ومقاده فى كفه وحكم الزمام فى الاستعارة للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال اذ ليس هناك مشار اليه يكون الزمام قائما مقامه ولكنه وفى المبالغة شرطها فى الطرفين فجعل للغداة زماما كما جعل للشمال يدا مبالغة فى اثبات التصرف

﴿ لقد ولد الاخيطل أم سوء * على باب استه صلب وشام ﴾

فى سورة الانعام عند قوله تعالى بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة على تقدير قراءته بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل أم سوء ومثله حضر القاضى امرأة كان الاخطل من نصارى العرب واسمه غياث بن غوث وصلب جمع صليب وهو صليب النصارى والشام جمع شامة وهى الخال والعلامة والمراد منهما النقوش كما تفعل الموشمة والقياس أن يقول ولدت لان الفاعل مؤنث حقيقى الا أنه لما توسط الفاصل بين الفعل وفاعله تأخر الفاعل عن المرتبة المستحقة له

﴿ عوجوا على الطلل المحيل لاننا * نبكى الديار كما بكى ابن خذام ﴾

فى سورة الانعام عند قوله تعالى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون من جهة أن أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشترى لنا لحما كما قال امرؤ القيس عوجوا الخ ذل فى الصحاح وأن المفتوحة قد تكون بمعنى لعل كقوله تعالى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وقراءة أبى لعلها والعوج عطف رأس البعير بالزمام والطلل المحيل الذى حال عن صفته لصوب الامطار وهبوب الرياح لاننا بمعنى لعلنا وفيه الشاهد وابن خذام بالخاء والذال المعجمتين أول من بكى الديار من شعراء العرب وقيل انه كان طبيبا حاذقا وفى المثل أطب بالكى من ابن خذام

﴿ ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما ﴾
﴿ فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما ﴾

من العطش الشديد فليس يرجو * لها الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا تختشى لعادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى فى أسماء سميتموها وقوله هينم أى ادع الله خفية والهينمة كلام لا يفهم أو قراءة غير مبينة وقالت فاطمة رضى الله عنها ومالت الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم

قد كان بعدك أنباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

وقوله فليس يرجو لها الشيخ الكبير ولا الغلاما أى ليس يرجو لها أحد وقوله عيامى العيمة شهوة اللبن حتى لا يصبر عنه وقصة ذلك ان عادا لما كذبوا هودا عليه السلام وكانت لهم أصنام يعبدونها يقال لاحدهم صدا والآخر صمود والآخر الهباء فدعاهم هود الى توحيد الله تعالى فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فوعظهم بما ذكر الله تعالى فى كتابه أتبنون بكل ريع آية تعبثون الى آخر الآية فكان من قولهم له كما ذكر الله تعالى سواء علينا أوعظت الى قوله وما نحن بمعذبين فأصابهم عند تكذيبه ما ذكر الله فى كتابه وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية وذلك ان الله تعالى حبس عنهم القطر ثلاث سنين ولم ير وافيها مطرا حتى جهدهم ذلك فبعثوا من قومهم وفدا الى مكة ليستسقوا لهم ورأسوا عليهم قيل بن عنز ونعيم بن هزالة ومرثد بن سعد بن عفير وكان مؤمنا يكتم ايمانه وجاهمة بن الخلس بن خالة معاوية بن بكر ولقمان بن عاد صاحب النسور فانطلق كل رجل منهم مع قوم من رهطه حتى بلغ عددهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وكانوا اخواله واصهاره فانزلهم وأكرمهم وأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ويقال انهما أول من غنى فى العرب والخبر يذكر بالخبر اذا كان من جنسه وأول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو يضرب المثل بشؤمه فيقال اشأم من طويس والصوت الذى غنى به هو هذا

قد برانى الشوق حتى * كدت من شوقى أذوب

فنسوا

فنسوا قومهم شهرا وقال معاوية هلك اخوالى ولو قلت لهؤلاء شيأ ظنوا بى بخلا فقال هذا الشعر وألقاه الى الجرادتين فلما غنتهم
الجرادتان قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم فادخلوا الحرم نستسقى لقومنا فقال
مرثد بن سعد وهو المؤمن منهم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم وأظهر ايمانه فقال معاوية حين سمع كلامه يخاطبه

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمل بالتنزل دين وفد * وزمل وآل صدى والعبود
أتترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتتبع دين هود

ثم قالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد ترك ديننا وتبع دين هود وخرجوا لمكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا خرج
مرثد حتى أدركهم قبل أن يصلوا فلما انتهى اليهم قال اللهم اعطنى سؤلى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد اللهم ان كان هود صادقا
فاسقنا فقد هلكنا فأنشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من
هذه السحائب فقال أما البيضاء فجفل وأما الحمراء فعارض وأما السوداء فهطل وهى أكثرها ماء فاختارها فنادى مناد قد اخترت
لقومك رمادا رمددا لا يبقى من عاد أحدا لا والدا ولا ولدا قال وسير الله السحابة التى اختار قيل الى عاد فنودى لقمان سل فسأل عمر
سبعة انسر فاعطى ذلك وكان يأخذ النسر من وكره فلا يزال عنده حتى يموت وكان آخرها لبد وهو الذى يقول فيه النابغة Dîw. d. Nâbigha v. 6

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

﴿ينباع من ذفرى أسيل حرة * زيافة مثل الفنيق المكدم﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا وقرأ الحسن وتنحاتون باشباع الفتحة كما فى البيت واشباع الفتحة لاقامة
الوزن فتولدت ألف من اشباعها والذفريان بالمعجمة أصول الاذنين والاسيل صفة الناقة ويقال خد أسيل وكف أسيل والحر من كل شئ
خالصه ومنه أرض حرة لا خراج عليها والزيف التبختر يصف الشاعر ناقة يسيل العرق من خلف أذنيها موثقة الخلق شديدة التبختر
مثل فحل الابل قد كدمته الفحول

اذا ما درها لم يقر ضيفا * ضمن له قراه من الشحوم
فلا تتجاوز العضلات منه * الى البكر المغارب والكزوم
﴿ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات اللحم كوم﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا العضلة الناقة الحسنة السمينة والعضلات جمعها والمغارب
الذى ليس بسمين والكزوم الناب المسنة وأسوق جمع ساق وعافيات اللحم كثيرات اللحم وفيه الشاهد يقال عفت الناقة سنة أو سنتين
اذا تركت من الركوب والسفر والكوم جمع كوماء وهى العظيمة السنام والمعنى اذا كان در النوق قليلا بحيث لم يقر ضيفا القائه ضمنت
النوق قرى الضيف من شحومها ثم يقول ولا يتجاوز فى النحر للاضياف من النوق الحسنة السمان الى الهزال منها والهرمى منها بل
ينحر منها الكثيرات اللحم العظام السنام السمان كما فى قوله

فلما ان علا سمن عليها * كما طينت بالفدن السياعا
أمرت بها الرجال ليأخذوها * ونحن نظن أن لن تستطاعا

ومنه قوله
وان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

يعنى اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من المحل والجدب من ذى ضروعها يعنى اللبن الذى يكون فى الضرع يجرح فى عراقيبها نصلى أى
تذبح الناقة وتنحر لاجل الضيف والنصل هو السيف وهذا كناية عن أنه مضياف يحب اكرام الضيف ولله در القائل

بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف اذا جاء القرى وهو ضاحك

Mo'allaka Zohair v. 63
﴿ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين من جهة أن الضمير فى به وبها راجعان الى
مهما الا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لانه فى معنى الآية ونظيره قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة
يقول مهما كان للانسان من خلق حسن أم سئ ظن أنه يخفى على الناس علم ولم يخف والخلق والخليقة واحد وذكر الضمير فى يكن على
المعنى لانه بمعنى الخلق وأنث الباقية على اللفظ والبيت من معلقة زهير المشهورة وقد تقدم ذكر أبياتها

﴿فلو كنت فى جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم﴾
﴿ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم انى عندكم غير مفحم﴾

البيت للاعشى عند قوله تعالى فى سورة الاعراف والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون والجب البئر ورقيت أى صعدت والواو بمعنى أو وأسباب السماء أى أبوابها او السلم المرقاة وقيل سمى سلما لانه يسلك الى المرتقى اليه والاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة كما فى البيت ومنه درج الصبى اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيأ بعد شىء ودرج القوم مات بعضهم فى أثر بعض وهر الشىء اذا كرهه وأنخمت فلانا اذا لم يطق جوابك والمعنى أنه يخاطب أحدا ويقول له لو كنت مثلا فى جب أو صعدت السماء ما تخلصت منى وأستصعدك من الجب وأستنزلك من السما حتى تعلم انى غير مفحم من جوابك

﴿قوم اذا الخيل جالوا فى كواثبها * فوارس الخيل لا ميل ولا قزم﴾

فى سورة الاعراف عند قوله تعالى يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل الخ فى أن الخبر جار على ما هو له الخيل الفرسان والخيل أيضا الفرس والكاثبة من الفرس ما تقدم من قربوس السرج وهو من البعير الغارب ومن الرجال الكاهل ومن الحمار السيساء والميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على ظهر الدابة ولا قزم أى ولا لئام أى هم فوارس الخيل لا يميلون عن وجوه الاعداء ولا لئام ضعاف صغار الجسام اذا ركب الفرسان الخيل وثبوا فى كواثبها يريد أن اخوانهم مبتدا ويمدونهم خبر له مسند الى الشياطين والعائد اليه ضمير المحذوف كما تقول جارية تقز يديضربها ومثل هذا يحتاج الى ابراز الضمير فى الصفة دون الفعل وكذا فى البيت الخيل مبتدا وجالوا مسند الى ضمير القوم والخيل على حقيقتها لا جعلها بمعنى الفرسان وجعل ضمير جالوا لها وضمير كواثبها للافراس المدلول عليها بذكر الخيل واعترض بأن اذا انما تضاف الى الجملة الفعلية فالخيل هنا فاعل فعل محذوف كما فى اذا السماء انشقت فلا يكون مما جرى فيه الخبر على غير ما هو له وأجيب بأن ذلك فى اذا الشرطية وهذه لمجرد الظرفية أى قوم هم فوارس الخيل زمان جولهم فى كواثبها ولم يعرف فى النحو هذا التفصيل بل الجواب انه قد علم فى باب الاضمار على شريطة التفسير أن النصب بعد اذا أرجح لا واجب بناء على جواز اضافتها الى الجملة الاسمية وههنا يمتنع أو يبعد جعل الخيل فاعل فعل محذوف لان الظاهر لا يصلح تفسيرا له لكونه مسندا الى ضمير القوم اللهم الا أن يجعل الخيل بمعنى الفرسان وضمير كواثبها للافراس وفيه بعد

﴿لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يراعون حلفا وقيل قرابة وأنشد البيت لحسان لعمرك ان الك من قريش الخ الال القرابة والسقب حوار الناقة والرأل ولد النعام أراد أنه لا قرابة بينك وبينهم كما أنه لا قرابة بين السقب وولد النعام وانما أقسم بعمره على سبيل التهكم وفى طريق البيت قوله

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

ونحو ذلك قوله

أيها المدعى سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليم كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعاجت صدور الخيل شطر تميم﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم كما قال غداة طفت الخ فى كتب النحو طغت بالغين المعجمة وهو تصحيف و الصحيح طفت والمعنى انهم علوا فى المنزلة والعز بحيث لا يعلوهم أحد كما أن الميتة تطفو الماء وتعلو عليه وخصومهم رسبوا وعاج أى مال وعدل والعوج عطف رأس البعير بالزمام تقول عجته فانعاج قال

عوجوا لخيو النعم دمنة الدار * بما تحيون من نؤى واحجار * نبئت نعم على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى

وعاجت معناه أقبلت وبكر بن وائل قبيلة وشطر تميم نحوهم ويجوز فى صدور الرفع والنصب لان عاج قد جاء لازما ومتعديا وعلماء أصله على الماء يقال علماء بنو فلان أى على الماء

﴿ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامى﴾
﴿بأنا صابرون فمنظروكم * الى يوم التغابن والخصام﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين أراد معاوية بن أبى سفيان بن حرب وقد نسبه الى جده النثا الخبر والشر يخبر به عن الرجل وروى أن أبا قتادة تخلف عن ملاقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له مالك لم تلقنا فقال لم يكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار

الانصار انكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر وا قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان البيتين

أفى كل اسواق العراق اتاوة * ﴿وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم﴾

البيت لزهير وعزاه فى المفضليات لجابر بن حنى الثعلبى وهو من قصيدة أولها

ألا يالقوم للجديد المصرم * وللحلم بعد الزلة المتوهم
وللمرء يعتاد الصبابة بعدما * أتى دونها ما فرط حول مجرم
فيا دار سلمى بالصريمة فاللوى * الى مدفع القيناء فالمتثلم

(ومنها)

وكانوا هم البانين قبل اختلافهم * ومن لا يشد بنيانه يتهدم

(ومنها) البيت ثم

ألا تستحى منا ملوك وتتقى * محارمنا لا تنتقى الدم بالدم

cf. Mufaddaliyyat XXXV

ومنها البيت الآتى وهو * تناوله بالرمح ثم انثنى له * الخ فى سورة هود عند قوله تعالى وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين نهوا أولا عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجىء مقيدا بالقسط أى من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه أعم من أن يكون فى المقدار أو فى غيره والبخس الهضم والنقصان يريد أخذ الخراج وماهو اليوم فى الاسواق من رسوم وظلم قال زهير وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم وروى بخس درهم وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيأ كما يفعل السماسرة وكانوا يمكسون الناس أو ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك الاتاوة الرشوة

﴿حاشا أبى ثوبان ان أبا * ثوبان ليس ببكمة فدم﴾
﴿عمرو بن عبد الله ان به * ضنا عن الملحاة والشتم﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى حاشا لله هى كلمة تفيد معنى التبرئة فى باب الاستثناء تقول جاء القوم حاشا زيد قال بكم فلان اذا امتنع عن الكلام جهلا ومن لطيف هذه المادة ما أنشد للصغانى وقد وصل فى كتابه الذى وضعه فى اللغة الى مادة بكم قول بعضهم

ان الصغانى الذى * حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره * أن انتهى الى بكم

والفدم العى عن الحجة وعمرو بدل من أبى ثوبان وان به ضنا بكسر الضاد أى يضن بنفسه عن الملحاة وهى مفعلة من لحيت الرجل اذا لمته واللحاء مكسور ممدود اللعن والعذل واللواحى العواذل مشتق من لحوت العود اذا قشرته ومنه قولهم للمعترض فى غير محل اعترض بين العصا ولحائها وفى طريق ذلك قولهم اعترض بين السيف وغمده * ومن لطيف ذلك ما ضمنه بعضهم فى بعضهم حيث قال

يقولون سيف الدين من أجل علقه * جفاك فلا تأمن غوائل حقده
فقلت لهم ياقوم ما أنا جاهل * فأدخل بين السيف عمدا وغمده

يقول الشاعر امتنع أبو ثوبان عن السوء كله وانه ليس بأبكم ولا فدم ثم كأنه سئل ثانيا لم استثنيته فقال لانه يضن بنفسه عن الملحاة والشتم وذلك لانه لا يفعل ما يصيره مستحقا لهما

﴿فحصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوأة ثم صمما﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى الآن حصحص الحق وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة والثفنات جمع ثفنة وهى ما ولى الارض من كل ذى أربع اذا برك كالركبتين والفخذين وناء أى قام بثقل حمله والتصميم المضى فى الامر يقول هذا البعير ألقى ثفناته للاناخة ثم قام بسلمى وقصد السفر وبغى فى السير وفى الحديث ان سمرة بن جندب أتى برجل عنين فاشترى له جارية من بيت المال وأدخلها معه ليلة فلما أصبح قال له ما صنعت قال فعلت حتى حصحصت فيه فسأل الجارية فقالت لم يصنع شيأ فقال خل سبيلها الحصحص والبيت لحميد بن ثور يصف بعيرا

﴿حتى تهجر فى الرواح وهاجها * طلب المعقب حقه المظلوم﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقتفى غريمه بالاقتضاء والطلب كما قال لبيد يصف حمارا وأتانا خرج فى الهاجرة وهاجها أى الاتان والمعقب الذى يطالب حقه مرة بعد مرة يقول تردد الحمار خلف الاتان يطلبها طلبا كطلب المعقب المظلوم حقه ثم جعل المظلوم فى آخر القافية فرفعه على المعنى لانه هو الفاعل والتقدير كما طلب المعقب المظلوم حقه

﴿أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السوافى فى أنوف الحوائم﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله قرأ الحسن ويصدون بضم الياء
وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده والصدد القرب يقال دارى صدد داره أى مقابلتها انتصب على الظرفية يقول صرفوا الناس
بالسيف عن أنفسهم يعنى أنهم هزموهم كما تطرد السوافى بالفاء وهى الرياح التى تسفو التراب أى كما تصد الرياح عن أنوف الجبال وقيل
صدود الولائد السواقى للابل عن أنوف العطاش بالماء وهى منها والسواقى الذين يسقون الماشية أو السواقى واحدة الساقية وهى
فوق الجدول ودون النهر غرائب الابل عن ابلهم وكما تصد السقاة عن الحوض غيرها او الحوائم الابل الغرائب وقيل العطاش وقد
استشهد بالبيت المذكور فى سورة القصص عند قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله حيث قرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهى لغة
كلب ﴿تتمة﴾ قال فى الصحاح فى مادة صدد بعد أن أنشد هذا البيت وصداء اسم ركية عذبة الماء وفى المثل ماء ولا كصداء وقلت لابى على
النحوى هو فعلاء من المضاعف فقال نعم وأنشدنى اضرار بن عتبة العبشمى

كأنى من وجد بزينب هائم * يخالس من أحواض صداء مشربا
يرى دون برد الماء هولا وذادة * اذا شد صاحوا قبل أن يتحببا

﴿وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعلم﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * اختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها
فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وأنشدوا وما الناس بالناس الخ وتبدل السماء بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا يعنى تغيرت البلاد والعباد والديار والمكان عما عهدت فلا الناس
كما عهدتهم ولا الديار كما أبصرتها كما قال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

وفى التبديل قولان هل يتعلق بالذات أو بالصفة والى الثانى مال ابن عباس وأنشد * وما الناس بالناس الذين عهدتهم * الى آخره

﴿افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم﴾

فى سورة الحجر عند قوله تعالى فأسر بأهلك بقطع من الليل بظلم القطع قال فى الصحاح ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى فأسر بأهلك بقطع
من الليل وأنشد البيت كأن القائل طال عليه الليل فخاطب ظعينته بذلك وأنه يحب طوله للوصال فقال لها افتحى الباب وانظرى فى
النجوم كم بقى علينا من آخر الليل

﴿ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا حيث كان أولاء يقع على جمع أو جماعة وكان الجمع
والجماعة يقع على الرجال والنساء والحيوان والجماد والمذكر والمؤنث والاجسام والاعراض لكنه فى الاستعمال شائع فى أولى العلم
واللوى موضع بعينه يعنى أن المنزلة الطيبة والعيش الطيب ما مضى بمنزلة اللوى وما سوى ذلك مذموم فى جنبه واعتذر ابن عطية عن
الاشارة به لغير العقلاء بأنها حواس لها ادراك وجعلها فى الآية مسؤلة فهى حالة من يعقل وقال سيبويه فى قوله رأيتهم لى ساجدين انما
قال رأيتهم فى نجوم لانه لما وصفها بالسجود وهو فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل والبيت لجرير بن عطية من قصيدة ميمية أولها
قوله سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
واذا وقفت على المنازل باللوى * فاضت دموعى غير ذات نظام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام
لولا مراقبة العيون أريننا * مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
تجرى السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام
ذم المنازل الخ وبعده

﴿ولو غير اخوانى أرادوا نقيصتى * جعلت لهم فوق العرانين ميسما﴾

﴿وهل كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى عليه تقدما﴾

هو للمتلمس فى سورة الاسراء عند قوله تعالى لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى من جهة ان أنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم
لو ذات سوار لطمتنى وقول المتلمس ولو غير اخوانى الى آخره وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا
والخبر ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم حيث ذكر لو أنهم ملكوا خزائن رحمة الله التى لا تتناهى وانفردوا بتملكها
من غير مزاحم أمسكوها من غير مقتض الا خشية الانفاق وان شئت فوازن بقول الشاعر

لو أن دارك أنبتت لك أرضها * ابرا يضيق بها فضاء المنزل   وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

العرانين الانوف والميسم العلامة يقول لو كان الظلم والنقيصة جاءتني من غير اخواني لوسمتهم بسمة من الذل اشتهروا بها ولم يمكنهم اخفاؤها ولكن الجفاء يأتي منهم فلو اني آقابلهم بمثل صنيعهم كنت كمن قطع بيده يده الاخرى كقاطع مارن أنفه بكفه وقد أخذ هذا المعنى من قال قومي هم قتلوا أميم أخي * فلئن رميت يصيبني سهمي   ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن جنيت لاوهنن عظمي

والتقدير لو أراد غير اخواني فلما اسقط الفعل بالاول لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر

﴿تناوله بالرمح ثم اتنى له * فخر صريعا لليدين وللفم﴾

هو لشريح بن أوفى العبسي في سورة الاسراء عند قوله تعالى ويخرون للاذقان قال الزمخشري ان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص تناوله بالرمح أي طعنه به وقوله اتنى له أراد انثنى فأدغم النون في الثاء ثم أبدلها تاء أي جعل يديه وفمه للخرور والمعنى طعنه بالرمح أولا ثم انثنى له في الطعن فخر المطعون المنثني عليه الطعن لليدين وللفم وبرواية * دلفت له بالرمح من تحت بزه * وفي رواية

شققت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم

﴿وما الحرب الا ما علمت وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم﴾   وقد تقدم في سورة البقرة

في سورة الكهف عند قوله تعالى رجما بالغيب أي رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم يقولون كثيرا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والرجم في الاصل الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار ثم عبر به عن الظن ألا ترى الى قول زهير وما هو عنها الخ أي المظنون الذوق التجربة والمرجم المظنون الذي يرجم فيه بالظنون يقول ليست الحرب الا ما عهدتموها وجربتموها وما هذا الذي أقول بحديث مرجم أي محكوم عليه بالظن والبيت من معلقة زهير بن أبي سلمى المشهورة وأولها

أمن ام أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن * تحملن بالعلياء من فوق جرثم   فمن مبلغ الاحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم * ليخفى ومهما يكتم الله يعلم   يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم حساب أو يعجل فينقم

وما الحرب الخ   متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * وتضر اذا ضريتموها فتضرم

(ومنها)   لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم   جريء متى يظلم يعاقب بظلمه

سريعا والا يبد بالظلم يظلم   سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم   وأعلم علم اليوم والامس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عمي   ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم   ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتق الشتم يشتم   ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم   ومن يعص أسباب الرماح فانه

يطيع العوالي ركبت كل لهذم   ومن يوف لا يذمم ومن يعص قلبه * الى مطمئن القلب لا يتجمجم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم   ومهما يكن عند امرئ من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم   ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه * ولا يغنها يوما من الدهر يسأم

﴿فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الي بعبرة وتحمحم﴾

في سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض حيث أسند الشكاية الى ما لا يعقل كما أسندت الارادة واستعيرت للجماد والازورار الميل ولبان الفرس موضع اللبب والتحمحم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له يقول فمال فرسي مما أصابت رماح الاعداء صدره ووقوعها به وشكا الي بعبرة وحمحمة أي نظر الي وحمحم لأرق له

﴿فتوسطا عرض السري فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها﴾

في سورة مريم عند قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وقيل هو من السرور

والمراد عينى والعرض الناحية والسرى النهر الصغير والصدع الشق والسجر الملء أى عينا مسجورة فحذف الموصوف لما دلت عليه الصفة والقلام كرمان ضرب من النبت يقول فتوسط العير والاتان جانب النهر الصغير وشقا عينا مملوءة ماء تجاوز قلامها أى قد كثر هذا الضرب من النبت عليها وخلاصة المعنى انهما قد وردا عينا ممتلئة ماء قد خلا فيها من عرض نهرها وقد تجاوز نبتها

﴿أمن حلم أصبحت تنكت واجما * وقد تعترى الاحلام من كان نائما﴾

﴿فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما﴾

فى سورة مريم عند قوله تعالى فسوف يلقون غيا فان كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد أى من يفعل خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو ويفعل الشر لا يعدم اللوائم على فعله ونكت فى الارض جعل يخطط وينقر باصبعه وكذلك يفعل المهتم والواجم الحزين يقول أمن أجل أضغاث أحلام تصبح حزينا تنكت فى الارض ومن يكون نائما تعتريه الاحلام وأراد بالغى الفقر أى ومن يفتقر وبالخير المال وقبل البيت

وآلى جناب حلفة فأطعته * فنفسك ولى اللوم ان كنت لائما

والشعر للمرقش الاصغر وهو أشعر من الاكبر وأطول عمرا وهو عم طرفة والاكبر عم الاصغر والاكبر صاحب أسماء والاصغر صاحب فاطمة بنت المنذر من قصيدة أولها

ألا يا اسلمى لا أصرم اليوم فاطما * ولا أبدا ما دام وصلك دائما

(ومنها)

أرتك بذات الضال منها معاصما * وخدا أسيلا كالوذيلة ناعما

وانى لاستحيى فطيمة طاويا * خميصا وأستحيى فطيمة طاعما

وهى طويلة ومنه أخذ القائل

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما تشتهى ولام المخطئ الهبل

أى الثكل

﴿ان الخليفة ان الله سربله * لباس ملك به ترجى الخواتيم﴾

البيت لجرير فى سورة الحج عند قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد خاتم الشئ عاقبته وأدخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد قال أبو حيان ظاهر هذا انه شبه البيت بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية لان البيت يحتمل أن يكون اسم ان الخليفة خبره به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله جملة اعتراض بين اسم ان وخبرها بخلاف الآية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا طول الفصل بينهما بالمعاطيف وقوله ترجى أى تساق خواتيم الامارة وهو عبارة عن الملك فى الصحاح الخاتم بفتح التاء وكسرها يقال أزجيت الابل أى سقتها قال ابن الرقاع

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

﴿ألا خيلت مى وقد نام صحبتى * فما نفر التهويم الا سلامها﴾

﴿طروقا وجلب الرحل مشدودة به * سفينة بر تحت خدى زمامها﴾

فى سورة المؤمنين عند قوله تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر كما فى بيت ذى الرمة * سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد صيدحه وهى ناقة ذى الرمة كما قال

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

قوله خيلت أى أرسلت خيالها أو جاءت فى الخيال على معنى ادراكها خيالا والتهويم أول النوم طروقا نصب على المصدر لان التخييل فى الليل طروق أو بمعنى طارقة وجلب الرحل ضما وكسرا عيدانه والبيت لذى الرمة من قصيدته التى مطلعها

مررنا على دار لمية غدوة * وجاراتها قد يعتمدن مقامها * فلم يدر الا الله ما هيجت لنا

عشية آناء الديار وشامها * وقد زودت مى على النأى قبلة * علاقات حاجات طويل سقامها

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرئ * صداها ولا يقضى على هيامها * خليلى لما خفت أن يستفزنى

أحاديث نفسى بالمنى واهتمامها * تداويت من مى بتكليم ساعة * فما زاد الا ضعف ما بى كلامها

ومنها البيتان ومنها البيت المشهور فى شواهد الاستثناء فى وصف ناقته

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة * قليل بها الاصوات الا بغامها

﴿أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * طبا فقيها بذوات الابلام﴾

في سورة المؤمنين عند قوله تعالى فأرسلنا فيهم رسولا منهم انما جعل القرية موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما أوحي اليه من بين أظهرهم فان حق أرسل أن يعدى بالى كأخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث ولكنه عدي في القرآن بالى تارة وبفي أخرى كقوله وكذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير فأرسلنا فيهم رسولا أي في عاد وفي موضع آخر الى عاد أخاهم هودا فقد جعل القرية موضعا للارسال كما في البيت وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا يقال أصعب الجمل اذا لم يركب ولم يذلل فهو مصعب وبه سمي الرجل المسود مصعبا وقوله ذا اقحام أي يقحم في الامور ويدخل فيها بغير تلبث ولا روية واعرابي مقحم نشأ في المفازة لم يخرج منها والطب الحاذق يقال اجمل هذا عمل من طب لمن حب يقول أرسلت في هذه القضية رجلا مسودا مقحما في الامور حاذقا بعلاج ذي الايلام وهي جراحة الرحم وانما خص علاج هذا لان من كان حاذقا أن يأسو جراحة الرحم ذات الخطر المستترة عن العيون كان في غاية الحذاقة

﴿فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى فيكم أتأيم﴾

في سورة النور عند قوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم وأيامى مقلوب أيائم الايامى واليتامى أصلها أيايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين وأتأيم جزاء لان تتأيمي وقوله وان كنت أفتى فيكم اعتراض يخاطب محبوبته ويقول لها أوافقك على حالتي التزويج والتأيم

﴿يوم النسار ويوم الجفار * كانا عذابا وكانا غراما﴾

في سورة الفرقان عند قوله تعالى ان عذابها كان غراما أي هلاكا وخسرانا ملحا لازما يوم النسار يوم وقعة من وقعات العرب قال الشاعر

غضبت تميم ان نقتل عامرا * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

ويوم الجفار كذلك وقوله كان غراما أي هلاكا وقيل الغرام الشر الدائم اللازم

﴿جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام﴾

في سورة الفرقان عند قوله تعالى يلق أثاما والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما كما في البيت وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء أثام فاطلق اسم الشئ على جزائه والعقوق مصدر وهو ترك بر الوالد ومعناه جزى الله ابن عروة شر جزاء عاقا والعقوق له جزاء سيئ

﴿ولا يجيم اللقاء فارسهم * حتى يشق الصفوف من كرمه﴾

في سورة الشعراء عند قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي من حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده كما في البيت أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع أي لا يجبن واللقاء ينتصب على المفعول معه والاصل عن اللقاء وقوله حتى يشق الصفوف من كرمه يريد الى أن يشقها كرما منه وانه لا يرضى بأدون المنزلتين واللقاء لنفسه بل يأبى الا النهاية والعلو أي من كونه وصفا في شجاعته وبأسه والبيت من أبيات الحماسة وقبله لا يسلمون الغداة جارهم * حتى يزل الشراك عن قدمه

لا يسلمون أي لا يخذلون ولا يتركون غداة الحرب جارهم ليؤدي خذلانهم الى أن يزل قدم جارهم فيزل شراك نعله عن قدمه بل يعينونه وينصرونه حتى يثبت في مظان زلل الاقدام ولا يخيم أي لا يجبن عن اللقاء وهو الحرب الى أن يشق صفوف الحرب من جهة كرم يعني لا يرضى بأدون المنزلتين بل يأبى الا النهاية في باب الحرب والعلو في شأنه من جهة كونه مرضيا في شجاعته محمودا في بأسه ونجدته

﴿فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عردت اقدامها﴾

هو للبيد في سورة الشعراء عند قوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل حيث قرئ بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وأن يعلم هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسمها وأن يعلم خبرها وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قال بعضهم انه ضرورة كقوله * ولا يك موقف منك الوداعا * وقوله * يكون مزاجها عسل وماء * وقد اعتذر بعضهم بان آية قد خصصت بقوله لهم فانه حال منها والحال صفة وبأن تعريف الخبر ضعيف لعمومه ولا ضرورة تدعو الى هذا التخريج وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشان وأن يعلم بدلا من آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ومنه البيت فمضى وقدمها الخ أي مضى العير وقدم الاتان وكانت اقدامها أي اقدام الاتان عادة من العير اذا هي عردت أي تأخرت والتعريد التأخير والجبن والاقدام ههنا بمعنى التقدمة ولذلك أنث فعلها فقال وكانت عادة أي وكانت تقدمة الاتان عادة من العير والمعنى فمضى العير نحو الماء وقدم الاتان لئلا

تتأخر وكان تقديمه الاتان عادة من العير اذا تأخرت هى أى اذا خاف العير تأخرها وقيل وان كانت عادة اليه بتأويل من كانت أملك

وماهاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وتندما
فغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة فى نومها متندما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
ولم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ﴿ولا عربيا شاقه صوت أعجما﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين الاعجم الذى لا يفصح وفى لسانه عجمة واستعجام والاعجمى مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة التأكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجمى وأعجم شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذى صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد * ولا عربيا شاقه صوت أعجما * يصف حمامة دعت حماما بغناء وترنم وانما قال لم تفغر لان تغنيها يكون فى صدرها من غير فتح الفم والترح ضد الفرح

﴿سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين حيث دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام لكن الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل كما فى البيت فاذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الانسان عند قوله تعالى هل أتى على الانسان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله أهل رأونا الخ فالمعنى قد أتى على التقرير والتقريب جميعا ويربوع أبو حى من اليمن والشدة بفتح الشين ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل أسفله والقاع المستوى من الارض والاكم تل من القف والجمع آكام وأكم وقوله أهل رأونا أى قد رأونا ولا يجوز أن يحمل هل استفهاما لان الهمزة للاستفهام وحرف الاستفهام لا يدخل على مثله

خرجن الى لم يطمثن قبلى * وهن أصح من بيض النعام
﴿فبتن بجانبى مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وان يبهتوا البرى ويفسقوا التقى وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون

﴿فلشد ما جاوزت قدرك صاعدا * ولشد ما قربت عليك الانجم﴾

هو للمتنبى فى سورة النمل عند قوله تعالى حتى اذا أتوا على وادى النمل حيث عدى أتوا بعلى لوجهين الاول أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق الثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادى لانه ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم وأبو الطيب يهجو أحدا طلب منه أن يمدحه وعنى بالانجم شعره وأتى بحرف الاستعلاء لما كان قربا من فوق يقول ما أشد تجاوزك قدرك حتى تطلب منى المديح

﴿من سبا الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما﴾

فى سورة النمل عند قوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين سبأ اسم قبيلة وسميت مدينة مأرب سبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ومأرب مفعول الحاضرين والعرم السكر يصنع فى الوادى ليحبس الماء ويقال ذهبوا أيادى سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى أو الاب الاكبر صرف وهو فى البيت بمعنى القبيلة يمدح أحدا ويقول هو من قبيلة سبأ الحاضرين مدينة مارب الذين بنوا السد دون السيل وأما من جعله اسما للحى أو الاب الاكبر فهو يصرفه كقولهم

الواردون وتيم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

وقيل ان مارب اسم لقصر ذلك الملك وفى ذلك يقول أبو الطمحان

ألم تروا مأربا ما كان أحصنه * وما حواليه من سور وبنيان

عشية

﴿عشية ماتغني الرماح مكانها * ولا النبل الا المشرفي المصمم﴾

في سورة النمل عند قوله تعالى قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله حيث رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والارض فنقول جاء على لغة بني تميم حيث يقولون مافي الدار أحد الاحمار يريدون مافيها الاحمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله عشية ماتغني الرماح الخ وقولهم ماأتاني زيد الا عمرو والداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قال في الكشاف دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى مافي البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس اثباتا للقول بخلوها عن الانيس النبل اسم للسهام العربية وصاحبها نابل والمشرفي السيف القاطع والمصمم من التصميم وهو المضي في الامر أي الجد وعادة المتحاربين أن يتناضلوا أولا فاذا تقاربوا تحاربوا بالرماح فاذا التقوا تحاربوا بالمصاع وهو الضرب بالسيوف الشاعر يصف شدة المحاربة والتقاء الصفين بحيث لاتغني الرماح ولا النبل ولم يبق الا الضرب بالسيوف القواطع وتقديره عشية محاربة ماتغني الرماح ولا النبل الا المشرفي المصمم مكانها وجاء في لغة بني تميم مافي الدار أحد الاحمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قول الشاعر عشية ماتغني الخ وقولهم ماأتاني زيد الا عمرو وماأعاندا حوانكم الا اخوانه

﴿ولقد شفى نفسي وأذهب غمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم﴾

في سورة القصص عند قوله تعالى ويك أنه لايفلح الكافرون على تقدير أن تكون الكاف حرف خطاب مفتوحة مضمومة الى وى التي هي كلمة تنبيه أي قولهم ياعنترة أقدم نحو العدو واحمل عليهم يريد أن تعويلهم عليه والتجاءهم اليه شفى نفسه ونفى غمه وفي رواية وأبرأ سقمها والبيت من معلقة عنترة بن شداد التي أولها

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

(ومنها) جادت عليه كل بكر حرة * فتركن كل قرارة كالدرهم
أثني علي بما علمت فانني * سمح مخالطتي اذا لم أظلم

فاذا ظلمت فان ظلمي باسل * مر مذاقته كطعم العلقم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك * ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

(ومنها) ومدجج كره الكماة نزاله * لاممعن هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة * بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الطويل اهابه * ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه * مابين قلة رأسه والمعصم
ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت علي وليتها لم تحرم
واقد شفى نفسي وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى * ولكان لو علم الكلام مكلمي
فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الي بعبرة وتحمحم

وانما أوردت هذه الابيات منها وهي طويلة لورود أكثرها في الكشاف وفي كتب النحو فلا يحصل في كتابتها ملل ولا تسأم الاسماع من ايرادها في هذا المحل

﴿فعلى أثرهم تساقط نفسي * حسرات وذكرهم لي سقام﴾

في سورة الملائكة عند قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على تقدير أن يكون حسرات حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كقول جرير * حتى ذهبن كلا كلا وصدورا * وقد تقدم ومنه قوله * فعلى أثرهم الخ ويجوز أن يكون قوله حسرات مفعولا له يعني للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم على صلته يقول ان الاحبة رحلوا ونفسي تتساقط حسرات في أثرهم وذكرهم لي سقام بعدهم

﴿أومذهب جدد على ألواحه * ألناطق المبروز والمختوم﴾

هو للبيد في سورة الملائكة عند قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض والجدد الخطط والطرائق وقوله أومذهب أي مطلي بماء الذهب أراد لوحا مذهبا وجدد طرائق قال تعالى ومن الجبال جدد بيض ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره تخالف لونه والجمع جدد قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر أي طرائق تخالف لون الجبل والجدد الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد أمن العثار والمبروز الظاهر والمختوم الدارس يصف دروس آثار ديار المحبوبة ويشبهه بالكتاب قال صاحب الصحاح وكتاب مبروز أي منشور على غير قياس والناطق بقطع الالف وان كان وصلا وذلك جائز في ابتداء الانصاف لان التقدير الوقف على النصف من الصدر وأنكر أبو حاتم المبروز قال

لعله المزبور أى المكتوب وقال لبيد أيضا فى كلمة أخرى كالاح عنوان مبروزة * يلوح مع الكف عنوانها

هذا يدل على أنه لغة ورواة كلهم على هذا فلا معنى لانكار من أنكره وبعد البيت

دمن تلاعبت الرياح برسمها * حتى تنكر نؤيها المهدوم

والنؤى حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر والجمع نؤى على فعول قال

عوجوا فحيوا النعم دمنة الدار * بما تحيون من نؤى وأحجار
بنت نعم على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى

﴿ولم أسلم لكى أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام﴾

هو لأبى الطيب فى سورة يس عند قوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين أى ولا ينجون من الموت بالغرق الا لرحمة منا والتمتيع بالحياة الى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق وقد أخذ أبو الطيب ذلك من الآية أى سلمت من أحد أسبابه الى أسبابه الاخر

﴿زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم﴾

فى سورة والصافات عند قوله تعالى فانما هى زجرة واحدة والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الغنم اذا صاح عليها فرجعت لصوته والبيت للنابغة الجعدى والعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو عروة كنيته وكنيته المعروفة فى الاسلام أبو الفضل وكان ممن يضرب به المثل فى شدة الصوت أبو عروة السباع وهم يزعمون أنه كان يصيح بالسباع فيفتق مرارة السبع فى جوفه يروى أن غارة أتتهم يوم حنين فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بنى جعدة زجر أبى عروة الخ وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الحجرات عند قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه

﴿وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام﴾

فى سورة والصافات عند قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب على عادة الشرب وفيه لذتهم ولقد أحسن القائل فى هذا المعنى حيث قال

ألا رب يوم قد تقضى بصاحب * يوازن حفظى للقريض بحفظه
اذا لم تدر كأس المدامة بيننا * ادرت كؤس بين لفظى ولفظه

ويعجبنى فى هذا الباب قوله (هو كثير عزة)

ولما أخذنا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

ومن أحسن الشواهد وان كان من قياس الغائب على الشاهد قوله

مافى البلاد أخو وجد نطارحه * حديث نجد ولا خل نجاريه

﴿هم الفاعلون الخير والآمرونه * اذا ما خشوا من حادث الدهر معظما﴾

فى سورة والصافات عند قوله تعالى هل أنتم مطلعون على تقدير القراءة بكسر النون أى مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه ووجه بتوجيهين أحدهما أضعف من الآخر اثبات نون الجمع مع الضمير المتصل على نحو الآمرون الخير والفاعلون والبيت أشد موقعا لوجود اللام وان كان لا اعتداد به والثانى على ادخال نون الوقاية على اسم الفاعل قياسا على المضارع نظيره

وما أدرى وظنى كل ظن * أمسلمنى الى قومى شراحى

أراد شراحيل فرخم

﴿فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم﴾

فى سورة والصافات عند قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فانهم جوزوا أن تكون الواو فيه بمعنى مع كما فى كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون سادا مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على الله بفاتنين الا من هو صال الجحيم ومعنى فاتنين على الله مغروهم عليه باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وضعف هذا أبو البقاء ويجوز أن تكون الواو للعطف على اسم ان والاصل فانكم ومعبوديكم ما أنتم عليه وهو تغليب الخطاب وعلى هذا فيكون من أسلوب قول الوليد بن عقبة بن أبى معيط يحض معاوية على حرب على بن أبى طالب عليه السلام فانك والكتاب الخ أى فانك مع كتابتك اليه كدابغة حال حلم الاديم فلا يمكن الانتفاع به والحلم بالتحريك

بالتحريك أن يفسد الاهاب فى العمل و يقع فيه دود فيتنقب تقول منه حلم الاديم بالكسر

﴿ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم﴾

هو لعنترة بن شداد فى سورة ص عند قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة من حيث جعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة فى قوله ياشاة ماقنص لمن حلت له وما زائدة والاضافة بمعنى من و يجوز أن يكون التقدير شاة رجل ذى قنص فتكون صفة لمحذوف كقوله تعالى فبما نقضهم وفبما رحمة من الله يقول ياهؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فانها قد حازت أتم الجمال ولكنها حرمت على وليتها حلت لى قيل أراد بها زوجة أبيه وقيل أراد بذلك أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح بينهما

﴿فتور القيام قطيع الكلام﴾ * لعوب العشاء اذا لم تنم

تبذ النساء بحسن الحديث * ودل رخيم وخلق عمم

فى سورة ص عند قوله تعالى ولى نعجة واحدة قال فى الكشاف فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى قلت يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالمراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام الخ (قوله) تبذ أى تسبق والدل دلال المرأة فى تغنج وتشكل وقيل حسن رخيم الرخامة لين فى النطق حسن وخلق عمم أى تام

﴿أستغفر الرحمن ذا التعظم * من اللغا ورفث التكلم﴾

فى سورة السجدة عند قوله تعالى وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى فى قوله كسعى ودعا ورضى واللغو الساقط من الكلام الذى لاطائل تحته كما قال العجاج من اللغا ورفث التكلم والرفث الجماع والفحش من القول وكلام النساء فى الجماع تقول منه رفث الرجل وأرفث وقيل لابن عباس حين أنشد * ان تصدق الطير ننك لميسا * أترفث وأنت محرم فقال انما الرفث ما ووجه به النساء

﴿ويوما توافينا بوجه مقسم * كأن ظبية تعطو الى وارق السلم﴾

فى سورة الجاثية عند قوله تعالى كأن لم يسمعها من جهة ان كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير للشأن وقوله توافينا أى تأتينا والمقسم المحسن كأنه قسم فيه الحسن فلم يخل جزء من جزء وتعطو أى تتناول وضمن معنى المد ونحوه يعدى بالى والسلم نوع من الشجر الواحدة سلمة وقوله و يوما بالنصب ظرف و يروى بالجر على أن الواو واو رب والموافاة المجازاة بالحسنة وكأن مخففة واسمها محذوف والتقدير كأنها ظبية هذا على رواية من رفع الظبية وعلى رواية من نصبها فهى الاسم والخبر تعطو أى تتناول أطراف الشجر فى الرعى ووارق المورق وهو من النوادر لان فعله أورق ومثله أينع فهو يانع ومعنى البيت أنه يتمتع بحسنها يوما وتشغله يوما آخر بطلب ماله فان منعها آذته وكلمته بكلام يمنعه من النوم والبيت للباغث بن صريم اليشكرى يذكر امرأته وحاله معها وهو من قصيدة أولها

ألا تلكم عرسى تصد بوجهها * وتزعم فى جاراتها ان من ظلم
أبونا ولم أظلم بشئ علمته * سوى ما أبانت فى القتال من القدم
فيوما توافينا بوجه مقسم * كأن ظبية تعطو الى وراق السلم
ويوما تريد مالنا مع مالها * فان لم ننلها لم تنمنا ولم تنم
نظل كأنا فى خصوم غرامة * تسمع جيرانى التألى والقسم

ومنها وهو اشارة الى قصة بينهما معروفة

أمن أجل كبش لم أهبها بعنزل * ولا بين اذ وادر تاع ولا غنم
أخوف بالجبار حتى كأننى * قتلت له خالا كريما أو ابن عم
فان يد الجبار ليست بضعفة * ولكن سماء تقطر الوبل والديم

﴿ووطئتنا وطئا على حنق * وطء المقيد ثابت الهرم﴾

فى سورة الفتح عند قوله تعالى لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة وقولهم وطئهم العدو وطأة منكرة عبارة عن الاهلاك وأصله فى البعير المقيد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف عليه السلام أى خذهم أخذا شديدا والضمير فى واجعلها للوطأة

﴿لقد فعلت هذى النوى بى فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها﴾

فى سورة الحجرات عند قوله تعالى ان بعض الظن اثم والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبة الآثام فعال منه كالنكال والعذاب والدمام أى فعلت النوى بى فعلة سيئة ثم قال على سبيل الدعاء أصاب النوى جزاؤها يقال للعقوبة الاثم كما تسمى الخمر اثما فى قوله شربت الاثم ومثل هذا التذييل بالجملة الدعائية التكميل بالجملة التعجبية فى قوله غلت ناب كليب بواؤها

﴿ولقاء أخلاء الصفاء لمام * وكل وصال الغانيات ذمام﴾

وهذا من الابيات التى لم تذكر فى الشرح وأغفلت فى سورة النجم عند قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهو صغائر الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر قال

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

واللمم القليل من ألم بالمكان اذا قل فيه لبثه قال

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا * زمانا وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قل ضوءه * أغب وان زاد الضياء أقاما

وبالجملة فالاقلال من الزيارة مطلوب وهو أمر محبوب لبعض الناس ومرغوب ولذلك قيل

لا تزر من تحب فى كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون اليه

﴿وما أحسن ما قيل﴾

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويطلب بالايدى اذا هو أمسكا

والمعنى أن لقاء أخلاء الصفاء وان تواتر لمام أى قليل والالمام زيارة لا لبث فيها ووصال الغانيات وان دام شرب غير مرى ولان أيام السرور قصار وان طالت كما قال ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

ولهذا قيل سنة الهجر سنه وسنة الوصل سنه ويرحم الله المولى أبا السعود حيث يقول

زمان تقضى بالمسرة ساعة * وآن تقضى بالمساءة عام

ولم يزل المتقدمون والمتأخرون يولعون فى هذا المعنى ومن أبيات الكتاب

رياشى منكم وهواى معكم * وان كانت زيارتكم لماما

ومنه قول جرير فى قصيدته المشهورة فى معرض العتاب

تمرون الديار ولم تعوجوا * كلامكم على اذن حرام
أقيموا انما يوم كيوم * ولكن الرفيق له ذمام
بنفسى من تجنبه عزيز * على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام

وهى طويلة ﴿ان الذى كنت أرجو فضل نائله * وجدته حاضراه الجود والكرم﴾

فى سورة القمر عند قوله تعالى يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم حيث قرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله * وجدته حاضراه الخ وحسن وقوعها حالا اجابة مقبها من الاحوال أعنى كأنهم جراد مهطعين يقول الكافرون

﴿فلئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم﴾

فى سورة الرحمن عند قوله تعالى وردة كالدهان على قراءة عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من باب التجريد كقول قتادة بن مسلم فلئن بقيت الخ اللام موطئة للقسم ولارحلن بغزوة جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لارحلن ورواه بعضهم نحوى الغنائم بالنون وبعضهم تحوى بالتاء والجملة صفة غزوة وقوله أو يموت كريم أو بدل عن الا ويموت منصوب بأن مضمرة كأنه قال الا ان يموت كريم به يعنى نفسه ﴿فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى على هيامها﴾

فى سورة الواقعة عند قوله تعالى فشاربون شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى والجمل اذا أصابه ذلك هام على وجهه جمع أهيم وهيماء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم والبيت لذى الرمة من قصيدته المشهورة التى أولها

مررنا على دار لمية غدوة * وجاراتها قد يعتمدن قيامها

﴿فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها﴾

هو للبيد فى سورة الحديد عند قوله تعالى مأواكم النار هى مولاكم هى أولى بكم وأنشد قول لبيد فغدت الخ وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ونحوه فأعتبوا بالصيلم الشاعر يصف بقرة وحشية فغدت فزعة لا تدرى أقدامها الصائد أم خلفها فغدت مذعورة لا تعرف منجاها من مهالكها والضمير فى أنه راجع الى

الى كلا باعتبار اللفظ وان تضمن معنى التثنية ويجوز حمل الكلام بعده على لفظه مرة وعلى معناه أخرى والحمل على اللفظ أكثر قال الله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها ومولى المخافة فى موضع الرفع لانه خبر أن وخلفها وامامها خبر مبتدا محذوف أى هما خلفها وأمامها فيكون تفسير كلا الفرجين ويجوز أن يكون بدلا من كلا الفرجين وتقديره فغدت كلا الفرجين خلفها وامامها تحسب أنه مولى المخافة

﴿يتقارضون اذا التقوا فى مجلس * نظرا يزل مواطن الاقدام﴾

فى سورة ن والقلم عند قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم يعنى انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك ويهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله كما قال يتقارضون وكل امرئ يجازى الناس فهو قرض وهما يتقارضان الثناء أى كل واحد منهما يثنى على صاحبه يقول اذا التقوا فى مواطن ينظر كل واحد منهم الى الآخر نظر حسد وحنق حتى يكاد يصرعه وهو الاصابة بالعين يقال صرعنى بطرفه وقتلنى بعينه وقال صلى الله عليه وسلم العين حق ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية وان يكاد الذين كفروا

﴿ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم﴾

فى سورة الحاقة عند قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى ففرق بين بينهم الخ وقيل هى أيام العجوز وهى آخر الشتاء

﴿يردعلينا العير من دون الفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم﴾

فى سورة الجن عند قوله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا استشهد بهذا البيت على أن الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى شعر الجاهلية قال عوف بن الخرع يرد علينا الخ وقال بشر بن أبى خازم

والعير يرهقها الخبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقد تقدم شرح البيتين فى محلهما وأما عوف بن الخرع القائل يرد علينا الخ فانه يصف شدة عدو فرس ويقول يرد علينا العير وهو الحمار الوحشى من قرب الفه وزوجه مع أنه اذا كان مع الفرس أشد نفارا وأجد عدوا ويرد أيضا الثور الوحشى وهو ينقض فى عدوه كالكوكب الدرى الثاقب الذى يرجم ويتبعه ثقوب وحمرة كالدم وكالدرى يجوز أن يكون صفة للفرس وأن يكون صفة للثور

﴿والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم﴾

فى سورة المزمل عند قوله تعالى يجعل الولدان شيبا مثل فى الشدة يقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب والهم يخترم الجسيم الخ وكما قيل

وما ان شبت من كبر ولكن * لقيت من الحوادث ما أشابا

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الهم نصف الهرم وحكى أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال رأيت القيامة والجنة والنار فى المنام ورأيت الناس يقادون بسلاسل الى النار فمن ذلك أصبحت كما ترون

﴿ولا غرو الا ما يخبر سالم * بأن بنى استاهها نذروا دمى﴾

﴿ومالى من ذنب اليهم علمته * سوى اننى قد قلت يا سرحة اسلمى﴾

﴿نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى * ثلاث تحيات وان لم تكلمى﴾

فى سورة المدثر عند قوله تعالى ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر قال فى الكشاف ان قلت ما معنى ثم الداخلة فى تكرير الدعاء قلت الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الاولى كما قال ألا يا اسلمى الخ فان قلت فما معنى المتوسطة بين الافعال التى بعدها قلت الدلالة على أنه قد تأنى فى تأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطاب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم يتوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى أجريت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد * قوله لا غرو أى لا عجب وخبر لا محذوف كأنه قال لا غرو موجود أو حاصل وانما قال بنى استاهها لانه يريد انهم مخروثون لا مولودون يقول لا عجب الا ما يخبر به سالم بأن بنى استاهها من الذين لا عقول لهم قالوا الله علينا

سفك دمه ثم قال هذا اعتقادهم وأقوالهم ولا جناية لي عليهم ولا ذنب مني أهتدي اليه فيهم سوى قولي ياسرحة أدام الله أيامك وسلامتك وكأنه جعل سرحة كناية عن امرأة فيهم وتسمي المرأة بسرحة وقوله نعم مكررا اسلمي اسلمي يغايظهم ويناكدهم بهذا المقال وقوله ثلاث تحيات انتصب على المصدر من فعل دل عليه قوله اسلمي كأنه قال أحيي ثلاث تحيات وان لم يرجع الجواب الى

﴿واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما﴾

في سورة القيامة عند قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أي لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول وقوله البحر دونك أي أقل منك في الجود والمعنى اذا رجوت عطاءك وأنت من الملوك والحال أن البحر أقل جودا منك زدتني نعما وهذا من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والدعاء

﴿العاكفين على منيف جنابه * الفارجي باب الامير المبهم﴾

في سورة المرسلات عند قوله تعالى واذا السماء فرجت الفارجي مثل قوله تعالى والمقيمي الصلاة ووقعت النون للاضافة وفرجت أي فتحت في قوله واذا السماء فرجت ويقال باب مبهم اذا أغلق فلا يهتدى لفتحه يصف القوم بالحظ والجاه وانهم اذا أتوا باب الامير يفتح لهم

﴿وساهرة يضحي النهار مجللا * لاقطارها قد جئتها متلثما﴾

في سورة والنازعات عند قوله تعالى فاذا هم بالساهرة الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري بها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها ناعسة قال الاشعث بن قيس وساهرة الخ أو لان ساهرها لا ينام خوف الهلكة مجللا أي مغطيا ومنه جل الدابة لاقطارها أي جوانبها يقول رب ساهرة قد جلل السراب جوانبها قد قطعتها متلثما من خوف هبوب السموم والحر القاتل

﴿في صلب مثل العنان المؤدم﴾

في سورة الطارق عند قوله تعالى من بين الصلب والترائب حيث قرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين قال العجاج في صلب الخ وقبله * ريا العظام فخمة المخدم * يقال فلان مؤدم مبشر أي جمع بين لين الادمة وخشونة البشرة والمخدم موضع الخدام أي الخلخال من الساق يصف لين جلدها

﴿مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبله ارما﴾

في سورة الفجر عند قوله تعالى بعاد ارم ذات العماد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا الخ أي حاز مجدا تليدا قديما والتالد والتلاد ما ورث الرجل من آبائه قوله بناه أوله أي أبوه أدرك عادا والمراد قدم مجده

﴿لهم مجلس صهب السبال أذلة * على من يعاديهم أشداء فاعلم﴾

في سورة العلق عند قوله تعالى فليدع ناديه النادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي على حد واسئل القرية قال في المصباح المنير ولا يقال فيه ذلك الا والقوم مجتمعون فيه فاذا تفرقوا زال عنه قال ابن عباس لما نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرني والله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وأراد الشاعر بصهب السبال انهم ليسوا من صميم العرب وقال الجوهري أصله في الروم لان الصهوبة فيهم وهم أعداء العرب

﴿حرف النون﴾

﴿ان المنايا يطلعـ * ـن على الاناس الآمنينا﴾

في سورة الفاتحة عند الكلام على اسم الله حيث حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ونظيره الناس أصله الاناس سموا به لانهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم يعني ان الموت يطلع ويشرف على الاناس الغافلين الذين ليس الموت في حسابهم

﴿وأنت غيث الورى لازلت رحمانا﴾

أوله * سموت بالمجد يا ابن الاكرمين أبا * قاله شاعر في مسيلمة الكذاب الذي تنبأ والشاهد في الرحمن فانه لا يستعمل في غير اسم الله تعالى وقول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة من باب تعنتهم في كفرهم ويضرب في كذب مسيلمة الامثال فيقال أكذب من مسيلمة ولله من قال فيمن وعد ولم ينجز ما وعد

ووعدتني وعدا حسبتك صادقا * فغدوت من طمعي أجيء وأذهب
واذا جلست أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب
فلما صرح الشر * فأمسى وهو عريان

﴿ولم

﴿ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا﴾

هو من أبيات الحماسة عند قوله تعالى مالك يوم الدين أي يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان ومعنى دناهم فعلنابهم مثل فعلهم بنا والدين لفظه مشترك في عدة معان الجزاء والطاعة والحساب وهو ههنا الجزاء فالاول ليس بجزاء ولكنه سمى جزاء لمجاورته لفظ الجزاء والناس يقولون الجزاء بالجزاء والبادى أظلم والدين أيضا الملة والعادة وقيل من دان نفسه ربح أي من حاسب نفسه وقيل يوم الدين يوم الحساب ومعناه أنه يقول صفحنا عنهم وقعدنا عن حربهم وذكرنا القرابة بيننا وظننا ان جاهاهم يرجع الى الحسنى فلما أبوا الا الشر ركبناه فيهم والشعر لشهل بن ربيعة وليس في العرب شهل بالمعجمة غيره وأول الشعر

صفحنا عن بنى ذهل * وقلنا القوم اخوان عسى الايام أن يرجعـ * ن قوما كالذى كانوا وبعده البيتان وبعدهما

مشينا مشية الليث * غدا والليث غضبان بضرب فيه تفجيع * وتخضيع واقران وطعن كفم الزق * غدا والزق ملآن

وبعض الحلم عند الجهـ * ـل للذلة اذعان وفى الشر نجاة حيـ * ـن لا ينجيك احسان

﴿ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمت قلت لا يعنينى﴾

فى سورة الفاتحة عند قوله تعالى غير المغضوب عليهم حيث كان صفة للمعرفة فهو كتعريف اللئيم فى البيت فانه لم يرد به لئيما بعينه بل لئيما من اللئام وكذلك الذين هنا فانه قريب من النكرة لانه لم يقصد به قوم باعيانهم وغير المغضوب قريبة من المعرفة بالتخصيص الحاصل لها بالاضافة فكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه وقد يجاب عن ذلك أيضا بأن غيرا اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين تعرفت بالاضافة كقولك عجبت من الحركة غير السكون وكذلك الامر هنا لان المنعم عليه والمغضوب عليه متضادان والبيت لرجل من بنى سلول وبعده

غضبان ممتلئ على اهابه * انى وربك سخطه يرضينى

والمجىء بلفظ الماضى تحقيقا لمعنى الاغضاء والاعراض وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة النساء عند قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا حيث كان قوله لا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشئ بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم الخ وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة يس عند قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها على أن الجملة صفة الارض حيث أريد بها الجنس وجاز أن يوصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفها بالافعال كما فى البيت والنحاة يحمل على الحال لان المعنى على استمرار مروره على من يسبه واغماضه عنه ولهذا قال أمر وعطف عليه فمضيت والتقييد بالحال لا يؤدى هذا المؤدى وقد اعتبر ذلك فى مواضع فاعتبروا المعرف بأل الجنسية دون لفظه موصوفا بالنكرة الصريحة نحو الرجل خير منك على أحد الاوجه وقوله الا الذين بعد قوله ان الانسان وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا وأهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض لان كلا منهما اعتبار وحى فيه المعنى دون اللفظ والميل الى المعنى والاعراض عن جانب اللفظ باب مشهور فى علم العربية وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الجمعة عند قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار قال فى الكشاف ان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى الخ

﴿يارب لا تسلبنى حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا﴾

الشاهد فى مد ألف آمين فى هذا البيت وقائله قيس المجنون فانه لما اشتد أمره فى حب ليلى أشار الناس على أبيه ببيت الله الحرام واخراجه اليه والدعاء له عسى الله أن يسليه عنها أو يعافيه فذهب به أبوه الى مكة وأراه المناسك فأنشأ يقول فى تلك المواسم

ذكرتك والحجيج له ضجيج * بمكة والقلوب لها وجيب فقلت ونحن فى بلد حرام * به لله أخلصت القلوب

أتوب اليك يارحمن مما * عملت فقد تضافرت الذنوب فأما من هوى ليلى وحبى * زيارتها فانى لا أتوب

وكيف وعندها قلبى رهين * أتوب اليك منها أو أنيب ثم ذهب به الى باب الكعبة ليدعو الله تعالى لعله يخفف عنه حب ليلى

فأخذ بحلقة الباب وقال * يارب لا تسلبنى حبها أبدا * وقبل البيت يارب انك ذو من ومغفرة * بيت بعافية ليل المحبينا

الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا * والساقطين على الايدى المكبينا

﴿ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا﴾

﴿صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا﴾

جهلا علي وجبنا عن عدوهم * لبئست الخلتان الجهل والجبن

من أبيات الحماسة في سورة البقرة عند قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون والريبة الشك والتهمة أيضا ودفنوا أي ستروا وأذنوا من أذنت للشيء اذا أنا اذا سمعته وأصغيت اليه والمعنى ان يسمعوا في حق من المساوي ما يكون عندهم ريبة لا يقينا فرحوا به وما سمعوا من أفعالي الجيدة ستروها عن الناس حسدا وقد أغفل هذا القائل قسما ثالثا وهو سلوك طريق البهتان وكان ذلك بحسب أهل هذا الزمان وقد أحسن كل الاحسان من قال

مستنجد بجميل الصبر مكتئب * على بني زمن أفعالهم عجب
ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا * شرا أشاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

واللائق بمن ابتلي بهذه الافعال أن يتمثل بقول من قال * ولي أذن عن الفحشاء صماء * ولله القائل * اذن الكرام عن الفحشاء صماء

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتيني

في سورة البقرة عند قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة والبيت للحطيئة لما سئل أن يهجو حارثة بن لام الطائي المعروف بابن سعدى وكان من سببه أن وفود العرب حضروا بين يدي النعمان ابن المنذر فاحضر حللا من حلل الملوك قال اني ملبسها غدا لمن أردت فلما كان الغد لم يرتحل ابن سعدى من رحله اليه فقيل له في ذلك فأجاب باني ان كنت المراد فسأطلب وان كان غيري فأجمل الاحوال أن لا أكون حاضرا فبعث اليه النعمان ائتنا آمنا مما تخاف والبسه الحلل وأكرمه فحسده سادات العرب من قومه وغيرهم وبعثوا الى الحطيئة يضمنون له مائة بعير لو هجاه فقال كيف أهجو فتى شسع نعلي منه أو نحو من هذا وأنشد البيت جعل ظهر الغيب مركبا وأضاف اليه الظهر وجعل الظهر مقحما أي ملتبسا بالغيب ثم أدخل الظهر كناية لهذه الغيبة لان الغائب كأنه وراء الظهر

نواعم بين أبكار وعون

في سورة البقرة عند قوله تعالى عوان بين ذلك والبكر الفتية والعوان النصف بفتحتين أي كهلة ونساء انصاف وهو للطرماح وقبله

ضغائن كنت أعهدهن قدما * وهن لدى الاقامة غير جون
حصان مواضع النقب الاعالي * نواعم بين أبكار وعون

قال في المصباح المنير العوان النصف من النساء والبهائم والجمع عون والاصل بضم الواو لكن سكن تخفيفا

انا بني نهشل لا ندعي لأب * عنه ولا هو بالابناء يشرينا

في سورة آل عمران عند قوله تعالى قائما بالقسط على تقدير انتصابه على المدح ومن حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقوله الحمد لله الحميد وانا معاشر الانبياء وانا بني نهشل الخ يقال ادعى فلان في بني هاشم اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبه عنهم كما يقال رغب فيه ورغب عنه والمعنى انا لا ننتسب الى أب غير أبينا رغبة عنه ولا هو يستبدل غيرنا رغبة عنا وقد استشهد بالبيت المذكور في سورة مريم عند قوله تعالى أن دعوا للرحمن ولدا وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين ويجوز جر ثانيهما بالباء كما في قوله

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعدما كان بيننا * من الفعل ما لا يفعل الاخوان

وأولهما في الآية محذوف طلبا للعموم والاحاطة بكل ما يدعى له ولدا ويجوز أن يكون من ادعى بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه الصلاة والسلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل الخ والبيت لبشامة بن حزن النهشلي من أبيات أولها

انا محيوك يا سلمى فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما سراة كرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لا ندعي لأب * عنه ولا هو بالابناء يشرينا
يكفيه ان نحن متنا ان يسب بنا * وهو اذا ذكر الآباء يكفينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة * تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا * ولو نسام بها في الامن أغلينا
بيض مفارقنا تغلي مراجلنا * نأسو بأموالنا آثار أيدينا
انا لمن معشر أفنى أوائلهم * قول الكماة ألا أين المحامونا
لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا
اذا الكماة تنحوا أن يصيبهم * حد الظبات وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وان جلت مصيبتهم * مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره أحيانا فيفرجه * عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

في سورة النساء عند قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت كما في البيت والمعنى

والمعنى انه من يفعل خيرا يشكره الله ويجازيه ويضاعفه له ومن يفعل شرا فعل به مثله كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والبيت لكعب ابن مالك الانصارى رضى الله عنه وقبله فانما هذه الدنيا وزينتها * كالزاد لا بد يوما انه فانى

﴿فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا﴾

﴿والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا﴾

﴿ودعوتنى وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا﴾

﴿لولا الملامة أوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا﴾

فى سورة الانعام عند قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه قائله أبو طالب كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به روى أنهم اجتمعوا الى أبى طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال والله لن يصلوا اليك الخ فنزلت وسدته الشئ جعلته وسادة والمعنى أوسد عينى فى رمسى وقوله سمحا بذاك أى بذاك الدين مبينا وصدع بالامر أظهره وتكلم به جهارا لفصاحته عيونا تمييز من اطلاق الجمع على الاثنين مبالغة أو المراد عيون الكل أى كانه قيل من جهة عينك وعين كل مسلم كما تقول لتقر عينك وعين من معك

﴿رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى﴾

هو للفرزدق فى سورة الانعام عند قوله تعالى والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يقال اشتبه الشيآن وتشابها كقولك استويا وتساويا فان الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا ومنه قوله (هو أبو اسحق الصابى)

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب

فوالله ما أدرى أبالكاس أسبلت * دموعى أم من عبرتى كنت أشرب

والتقدير والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك والطوى البئر والجول بضم الجيم جدار البئر قال أبو عبيدة وهو كل ناحية من نواحى البئر من أعلاها الى أسفلها وفى المثل رمانى من جول الطوى أى رمانى بما هو راجع اليه وقريب منه قوله

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى   فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة الاسراء عند قوله تعالى أو تأتى بالله والملائكة قبيلا والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذا عليها أى والملائكة قبيلا كما حذف الخبر فى قوله رمانى بامر كنت منه الخ هذا اذا جعلناه قبيلا بمعنى كفيلا أما اذا جعلناه بمعنى جماعة كان حالا من الملائكة

﴿أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى ومن أهل المدينة مردوا على النفاق على أن مردوا صفة محذوف كقوله أنا ابن جلا أى أنا ابن الواضح الامر المشهور وقيل يريد انحسر الشعر عن رأسه فى الحروب وطلاع الثنايا يقال طلاع الثنايا وطلاع أنجد أى يقصد عظائم الامور والتقدير أنا ابن الذى يقال له جلا وقد استشهد بالبيت المذكور فى أواخر سورة والصافات عند قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أى أحد حيث حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وقائل البيت سحيم بن وثيل الرياحى كان عبدا حبشيا فصيحا بليغا وكان قد اتهم ببنت مولاه فقتله والبيت من قصيدة طويلة أولها قوله

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألت كأن تبينى

فلا تعدى مواعد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دونى   فانى لو تخالفنى شمالى * خلافك ما وصلت بها يمينى

اذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك اجتوى من يجتوينى

(ومنها فى ذكر الناقة)   اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

تقول اذا درأت لها وضينى * أهذا دينه أبدا ودينى   (ومنها فى ذكر الحكم) أكل الدهر حل وارتحال * أما يبقى على ولا يقينى

فاما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من سمينى   والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى

وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى   أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

فلو أنا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين   دعى ماذا علمت سأتقيه * ولكن بالمغيب نبئينى

(ومنها) البيتان المشهوران وهما   أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وماذا يبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

﴿ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان﴾

فى سورة يونس عند قوله تعالى مر كان لم يدعنا أى كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كقوله كان ثدياه حقان وانما اعتبر واضمير الشأن لأن حق الحروف المشبهة الدخول على المبتدأ والخبر ولو بعد التخفيف فانه لا يبطل الا العمل وعلى هذا لا حاجة الى ضمير الشأن فى قوله كان ثدياه حقان وانما التمثيل لمجرد بطلان العمل بالتخفيف والنحر موضع القلادة من الصدر ومنه اشتقاق نحر البعير لانه يطعن فى نحره والثدى معروف والضمير فى ثدياه يعود الى النحر لملزومه عليه وحقان تثنية حقة والاصل أن يقال حقتان لان التاء الثابتة فى الواحد تكون ثابتة فى التثنية ولو شدد كان قال كان ثدييه بالنصب فلما خفف الشاعر أبطل عملها وقال ثدياه حقان

﴿وكنت امرأ زمنا بالعراق * طويل الثواء طويل التغن﴾

﴿فأنبئت قيسا ولم آته * على نأيه ساد أهل اليمن﴾

﴿فجئتك مرتاد الما أخبروا * ولولا الذى خبروا لم ترن﴾

هو للاعشى يمدح قيس بن معديكرب وأوله

وهذا الثناء وانى امرؤ * اليك بعمد قطعت العرن
وحولى بكر وأشياعها * ولست خلا فالمن أوعدن

فى سورة يونس عند قوله تعالى كأن لم تغن بالامس وعن مروان أنه قرأ على المنبر كان لم تغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغن والامس مثل فى الوقت القريب كانه قيل لم تغن آنفا قطعت العرن أى جور كل أحد الثواء الاقامة والتغن التلبث كان لم تغن بالامس أى كان لم تلبث يقول الاعشى لممدوحه كنت رجلا زمنا بالعراق طويل الاقامة والتلبث فيه فأخبرت أن قيسا ممدوحه والجال انى لم آته قط على نأيه وبعد داره ساد أهل اليمن وجاد أهل الارض فجئتك مع الزمانة مرتادا طالبا لما أخبرونى ولولا ذلك لم ترنى ببابك وأرضك

﴿ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا﴾

فى سورة هود عند قوله تعالى ولكنى أراكم قوما تجهلون أى تتسافهون على المؤمنين وتدعوهم أراذل يقول ألا لا يسفه أحد علينا فنسفه فوق سفه السفهاء أى فنجازيه على سفهه جزاء يزيد عليه فسمى جزاء الجهل جهلا للمشاكلة أو لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله ونظيره قوله تعالى فى هذه السورة فانا نسخر منكم يعنى فى المستقبل كما تسخرون منا الساعة قيل معناه ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر فأنتم أولى بالاستجهال مناسمى سخريتهم استجهالا لان السخرية فى مثل هذا المقام من باب السفه والجهل لانها تعرض لسخط الله تعالى وعذابه وهو من اطلاق اسم المسبب على السبب وفى التنزيل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثانى قصاص وليس بعدوان وكذلك جزاء سيئة سيئة مثلها وقد استشهد بالبيت المذكور أيضا فى سورة الفرقان عند قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أى نتسلم منكم تسلما فأوقع السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب ومنه قوله

* ألا لا يجهلن أحد علينا

﴿فما سمعت بأنثى قط أرسلها * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا﴾

هو لقيس بن عاصم وبعده

فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك أغرانا

وفى رواية عوض المصراع الاول * أضحت نبيتنا أنثى نساء بها * فى سورة يوسف عند قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل فى سجاح المتنبئة * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا * وقصتها مع مسيلمة مشهورة وقد تقدمت عند قوله

أمت سجاح ووافاها مسيلمة * كذابة من بنى الدنيا وكذاب

ومن أحسن ما قيل فى تشبيه من يخلف الوعد بمسيلمة قول بعضهم

ووعدتنى وعدا حسبتك صادقا * فبقيت من طمعى أجىء وأذهب
فاذا جلست أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

﴿فقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفى من يدى بمكان﴾

﴿تعال فان عاهدتنى لا تخوننى * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فان سارب اما معطوف على مستخف وحده الا أن من فى معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والموصول محذوف وصلته باقية أى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف مع بقاء صلته

سائغ

سائغ ومنه قوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم لان الثانية لو عطفت على صلة الاولى لم يكن لدخول حرف النفى معنى ومنه قول حسان

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أى ومن يمدحه وينصره وقوله مثل من يشير الى البيت المذكور وتكشر أبدى أنيابه ولله در أبى الطيب حيث يقول

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن ان الليث يبتسم

وصف الفرزدق ذئبا أتاه وهو فى القفر ووصف حاله معه وأنه أطعمه وألقى اليه ما يأكله وقوله وقائم سيفى من يدى بمكان أى مكان وأى مكان أراد يظهر تجلده وشجاعته وتصلبه وحماسته ولكن اتفق له كثيرا عدم مساعدة القدر وربما نبا سيفه ولم يفده جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر وفى رواية تعش خطاب للذئب أى كل العشاء وهو طعام الليل فان عاهدتنى بعد أن تتعشى على أن لا تخوننى كنا مثل رجلين يصطحبان وهو صلة من ويا ذئب نداء اعترض بين الصلة والموصول وذئب اسم علم ههنا وثنى يصطحبان على معنى من لان معناه التثنية والبيتان للفرزدق من قصيدة مطلعها

وأطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت لنارى موهنا فأتانى

فلما أتانى قلت دونك اننى * واياك فى زادى لمشتركان * فبت أقد الزاد بينى وبينه * على ضوء نار مرة ودخان

وبعده البيتان وبعدهما

أأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان

وكل رفيقى كل رحل وان هما * تعاطى القنا قوما هما أخوان * ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم أو شباة سنان

(أقول) وقريب من أبيات هذا الذئب أبيات النجاشى حين عرض له ذئب فى سفره فأنشده

وماء قديم العهد بالود آجن * بحال رطابا أو ملثام من العل * لقيت عليه الذئب يعوى كأنه * خليع خلا من كل مال ومن أهل

فقلت له يا ذئب هل لك فى أخ * يواسى بلا من عليك ولا بخل * فقال هداك الله للرشد انما * دعوت لما لم يأته سبع قبلى

فلست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

﴿أرى الوحش ترعى اليوم فى ساحة الحمى * بما قدر أى فيها أوانس بدنا﴾

فى سورة الرعد عند قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار أى هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم والمعنى ان تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كما فى البيت والباء اما سببية واما بمعنى بدل أى بدل صبركم والاوانس جمع آنسة وبدن جمع بادنة وهى السمينة أى أرى الوحش ترعى اليوم فى عرصة الحى بدل ما كنت أرى فيها النساء الآنسات السمان وقوله بما قدر أى حكاية حال ماضية

﴿تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن﴾

هو لابى كبير الهذلى فى سورة النحل عند قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أى مخافة شيئا فشيئا فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وهو من تخوفته اذا تنقصته وتامكا أى سناما مشرفا وقردا القرد الذى أكله القراد والسفن الحديد الذى ينحت به وهو المبرد يصف ناقة أثر الرحل فى سنامها وتنقص منها كما ينقص السفن من العود روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون فى قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف فسكتوا فقام شيخ من هذيل وقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب هذا فى أشعارهم قال نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلى وأنشد البيت فقال عمر رضى الله عنه أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم

﴿فى كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه﴾

﴿هيهات هيهات لما ترجونه * أربابه نوكى فلا يحمونه﴾

﴿ولا يلاقون طعانا دونه﴾

قائله صبى من بنى سعد اسمه قيس بن الحصين الحارثى فى سورة النحل عند قوله تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه والتذكير هنا للمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كأخلاق كما أن تأنيثه فى سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى فى قوله فى بطونها لان معناه جمع ويجوز أن يقال فى الانعام وجهان أحدهما أن يكون مكسر نعم كالجبال فى جبل وأن يكون مفردا مقتضيا لمعنى الجمع فاذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله فى كل عام نعم تحوونه واذا أنث ففيه وجهان أنه مكسر نعم وأنه فى معنى الجمع الشاعر يخاطب قوما من اللصوص والمغيرين ويقول لهم تحوون كل عام نعما القوم ألقحوه وأنتم تنتجونه فى حيكم ثم يقول على طريق التحسر والتحزن أرباب هذه النعم حمقى لا يحمونه من غارتكم ولا يحاربون بالطعان دونه فلهذا أنتم تأخذون منهم بالغارة

﴿ولا أرمى البرىء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الحواصن اما العفائف أى لا أقذف المحصنات وان قذفن كما قال حسان فى

عائشة رضى الله تعالى عنهما حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

يقول لا أتهم البرىء من الذنب به ولا أنسبه اليه ولا اتبع العفائف اذا اتبعن والحواصن جمع حصان وهى العفيفة

﴿وان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان﴾

هو لحسان فى سورة الكهف عند قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض حيث أسند الهم الى الدهر مجازا يقال لففت الشىء اذا طويته

وأدرجته والشمل تألف الامور واستواؤها وجمل اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بينى وبين محبوبتى دهر همه الاحسان لا الغدر

والاساءة ﴿تقول سنى للنواة طنى﴾

فى سورة الكهف عند قوله تعالى يريد أن ينقض حيث أسند القول الى السن مجازا وأكلت التمرة فنويت النوى وأنويته اذا رميت به

وجمع نوى التمر أنواء وهو يذكر ويؤنث وأما النوى الذى ينويه المسافر من قرب أو بعد فهى مؤنثة لا غير وطن الذباب وغيره يطن

من باب ضرب طنينا صوت قال فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى * أطنين أجنحة الذباب يطير

﴿ان السفاهة طه فى خلائقكم * لا قدس الله أرواح الملاعين﴾

عند قوله تعالى طه اعلم ان طا فى لغة عك فى معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا فى يا هذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى يا طا

واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصيغة ظاهر لا يخفى فى البيت أى ان السفاهة يا هذا أو يا رجل فى خلائقكم لا طهر الله أرواحكم

فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع المضمر والسفه ضد الحلم والخلق السجية يقال خالق المؤمن وخالق الفاجر وفلان يتخلق غير خلقه

أى يتكلفه قال يا أيها المتحلى غير شيمته * ان التخلق يأتى دونه الخلق

﴿ومهمهين قذفين مرتين * ظهراهما مثل ظهور الترسين﴾

﴿جبتهما بالنعت لا بالنعتين﴾

فى سورة طه عند قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار من حيث مجيئه بلفظ الجمع وانما هو طرفان كما قال أقم الصلاة طرفى

النهار لا من اللبس وفى التثنية زيادة بيان ونظير مجىء الامرين فى الآيتين مجيئهما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين والمهمه

المفازة البعيدة ونية قذف أى بعيدة تقاذف من سلكها والمرت مفازة لا نبت فيها ولا ماء وقذفين ومرتين صفة مهمهين والواو واو رب

ظهراهما مثل ظهور الترسين يريد صلابتهما لان ظهر الترس ناتئ وجواب رب جبتهما والمعنى قطعتهما ولم ينعت الامرة واحدة يصف

نفسه بالفطانة والخبرة بسلوك المفاوز وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين تثنيتين احداهما فى المضاف والاخرى فى المضاف اليه

ومثله قوله فقد صغت قلوبكما ﴿فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا﴾

هو لذى الاصبع العدوانى وقيل هو لعروة بن مسيك المرادى صحابى مخضرم فى سورة الانبياء عند قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك

الخلد أفائن مت فهم الخالدون وقبل البيت

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله اناخ بآخرينا

كذاك الدهر دولته سجال * تكر صروفه حينا فحينا
فبيناه يسر به ويرضى * ولو مكثت غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر * فألفى بعد غبطته منونا
ومن يغبط بريب الدهر يوما * يجد ريب الزمان أحردونا
فأفنى عترتى سروات قومى * كما أفنى القرون الاولينا
فلو خلد الكرام اذن خلدنا * ولو بقى الكرام اذن بقينا
فان نهزم فهزامون قدما * وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا

﴿قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا﴾

فى سورة الفرقان عند قوله تعالى وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين

عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد

كذبكم المعبودون أيها الكفرة فى قولكم انهم آلهة أو فى قولكم هؤلاء أضلونا وفى البيت التفاوت وحذف القول أى فقولوا لهم قد جئنا

خراسانا وآن لنا أن نتخلص وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الروم عند قوله تعالى لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم

البعث أى ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان قولكم

﴿علام يعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا والتعبيد اتخاذ الناس عبيدا والاباعر والابعرة جمع بعير والبعير من الابل بمنزلة الانسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير وحكى عن بعض العرب صرعتنى بعيرى أى ناقتى والعبد معروف وجمعه أعبد وعبيد وعباد وعبدان وعبدى عبد وبقصر ومعبوداء بالمد وحكى الاخفش عبد مثل سقف وسقف وأنشد

أنسب العبد الى آبائه * أسود الجلدة من قوم عبد

وماشاؤا بدل البعض من الاباعر وهو تقدير معنى فى المعطوف أيضا يقول بطريق التهكم انهم ليسوا بمحتاجين الى أن يتخذونى عبدا لان لهم أموالا كثيرة من الاباعر والعبيد فلم اتخذونى عبدا مع استغنائهم عن ذلك وفى ذلك اشارة الى أنه انما يصلح لاعبادهم الاباعر والعبدان لانحن ويجوز أن يكون المعنى انهم بطروا وتجبروا وطغوا بسبب كثرة أموالهم وظلموا على واتخذونى عبدا فنكر ذلك الفعل عليهم فى تلك الحال وهى كثرة الاموال لان تلك الحال حملتهم على تعبيدهم اياه فكأنه قال لان كثرت أموالهم ثم اعلم أن عبدت فيه أوجه أحدها فى أنها محل رفع عطف بيان لتلك والثانى أنها فى محل نصب مفعولا من أجله الثالث أنها بدل من نعمة الرابع أنها بدل من الهاء فى تمنها الخامس أنها مجرورة بباء مقدرة أى بأن عبدت السادس أنها خبر مبتدا مضمر أى هى السابع أنها منصوبة باضمار أعنى والجملة فى تمنها صفة لنعمة

﴿وسعى عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو عقالين﴾

﴿لاصبح الناس أوبادا ولم يجدوا * عند التفرق فى الهيجا جمالين﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين حيث ذكر بلفظ التثنية والمرجوع اليه مجموع السموات والارض وحاصل هذه المسئلة أنه يجوز تثنية الجمع على تأويل الجماعتين والسبد الشئ القليل يقال ماله سبد ولا لبد أى قليل ولا كثير قال الاصمعى السبد من الشعر واللبد من الصوف والعقال صدقة العام وانتصابه على الظرف وأوبادا جمع وبد أى هلكى والوبد بالتحريك شدة العيش وسوء الحال وهو مصدر يوصف به فيقال رجل وبد أى سيئ الحال يستوى فيه الواحد والجمع كقولك عدل ثم يجمع فيقال أوباد كما يقال عدول على توهم النعت الصحيح يقول صار عمرو ساعيا أى عاملا للزكاة فى سنة واحدة فظلم وأخذ أموالنا حتى لم يبق لنا شئ قليل من المال فكيف يكون حالنا أو كيف يبقى لاحد مال لو صار عمرو عاملا فى زكاة عامين ثم أقسم فقال والله لو صار عاملا سنتين لصارت القبيلة هلكى فلا يكون لهم عند التفرق فى الحرب جمالان فيحتل أمر الغزوات

﴿لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا﴾

فى سورة الشعراء عند قوله تعالى اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون وكان أمينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش وانما قال أخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا أخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون أخاهم حين يندبهم الخ وقبله

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا

﴿وبعده﴾

لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا

وقد تقدمت قصة هذا الشعر مستوفاة فى حرف الباء فى سورة الزمر فلتراجع

فمن ينكر وجود الغول انى * أخبر عن يقين بل عيان

﴿بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان﴾

﴿فأضربها بلادهش فخرت * صريعا لليدين وللجران﴾

فى سورة الملائكة عند قوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه حيث قال فتثير بلفظ المضارع دون ما قبله وما بعده ليحكى الحال التى يقع فيها اثارة الرياح السحاب ويستحضر الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما فى قول تأبط شرا بأنى قد لقيت الغول تهوى الخ لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه فأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه والغول السعالى والعرب تسمى كل داهية غولا واختلف فى وجوده فمنهم من ينكر وجوده أصلا والقائل يثبت وجوده ويقول لقيت الغول تهوى أى تهبط بسهب أى فضاء بعيد من الارض والصحيفة الكتاب والتصحيف الخطأ فى الصحيفة وقاع صحصحان وصحصحان أى مستو كأنه بلغ من السهب لما فيه من مبالغة الصحة وهى استواء واعتدال والجران مقدم العنق من مذبحه الى منحره

﴿ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان﴾

فى سورة والصافات عند قوله تعالى يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين وصفت الكأس باللذة وهى نفس اللذة وعينها أوهى تأنيث اللذ يقال لذ الشئ فهو لذو المراد به فى البيت النوم قال

كان الكرى أسقاهم صرخدية * تدب دبيبا فى الشوى والحيازم

يقال لذ الشئ يلذ فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب والصرخدى موضع من الشام ينسب اليه الشراب

﴿وماء قد وردت لاجل أروى * عليه الطير كالورق اللجين﴾

﴿ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين﴾

فى سورة السجدة عند قوله تعالى أعرض ونأى بجانبه أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وفى معناه وجهان الاول أن يوضع جانبه موضع نفسه كما فى قوله تعالى على مافرطت فى جنب الله فان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة الشئ نفسه كما فى قوله نفيت عنه مقام الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان وكقولهم فى التكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب والمعنى الثانى أن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما يقال ثنى عطفه وتولى بركنه واللجين بفتح اللام وكسر الجيم مايسقط من الورق عند الخبط يشبه اللجين بالضم الفضة وهو مما جاء مصغرا كالثريا والكميت والرجل اللعين شئ ينصب وسط الزرع يستطرد به الوحوش وخص القطا لانه أهدى الطير وأسبقه الى الماء وكذلك الذئب من السباع وأروى اسم امرأة قال ،

داينت أروى والديون تقضى * فطلت بعضا وأدت بعضا

يقول رب ماء هذه صفته قد وردته لاجل أن أرى محبوبتى أروى عليه فأروى وقوله نفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب كما تقدم وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الرحمن عند قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أى موقفه الذى يقف به العباد للحساب أوهو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وأنشد ونفيت عنه مقام الذئب الخ

﴿وصاليات ككما يؤثفين * لا تشتكين عملا ما ألفين﴾

فى سورة حمعسق عند قوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير على تقدير أن تكون كلمة التشبيه كررت كما كررها من قال وصاليات الخ ومن قال فأصبحت مثل كعصف مأكول أى ونساء صاليات بالنار كالاثفية والاثفية الحجر الذى ينصب عليه القدر ثفيت القدر اذا وضعتها على الاثافى وأثفيتها اذا جعلت لها أثافى وقوله يؤثفين أخرج على الاصل مثل قوله فانه أهل لان يؤكرما وشبههن بالاثفية لدوامهن على الكانون وسواد ثيابهن بالدخان وكلمة التشبيه كررت للتأكيد والكاف الاولى حرف الجر والثانية اسم لانه لا يجوز أن يدخل حرف الجر على مثله وأول الشعر

لم يبق من آى بها يحلين * غير رماد وعظام كثفين
وغير ود جاذل أودين * وصاليات ككما يؤثفين

﴿ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا﴾

فى سورة الزخرف عند قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ بأن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزئية فى لغة العرب اسم الاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا أولهما ان أجزأت حرة الخ الثانى

زوجتها من بنات الاوس مجزئة * للعوسج اللدن فى أبياتها زجل

مالابى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا

﴿غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ماشينا﴾

وانما نأخذ ما أعطينا

فى سورة الزخرف عند قوله تعالى واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وكان أحدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسف وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأة وضعت أنثى فهجر البيت الذى فيه المرأة فقالت مالابى حمزة لا يأتينا الخ والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الافعال الناقصة بمعناها وأجزأت المرأة اذا ولدت بنتا وبرواية ان أجزأت حرة وهى اسم امرأة

﴿كأنهم مامزادتا متعجل * فريان لما تدهنا بدهان﴾

فى سورة الرحمن عند قوله تعالى فكانت وردة كالدهان أى كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن

به كالحزام والادام كما قال كانهما مزادتا متعجل الخ والغرى الشق من فريت الاديم شبه عينه من كثرة البكاء بفريتين غير مدهونتين صررهما متعجل فلم يحكم صررهما فهما يذرفان ماء

﴿ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا﴾

فى سورة المعارج عند قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال عزين أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل الخ قال عنترة

وقرن قد تركت لدى ملتقى * عليه الطير كالعصب العزين

وتقديره ونحن تركنا كتائب جندل متعزين شتى والحال أن جندلا باغ

﴿طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين﴾

هو للشماخ فى سورة الانسان عند قوله تعالى أمشاج نبتليه وهو كبرمة أعشار وبرد أكياس وهى ألفاظ مفردة ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج كما قال الشماخ ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد بوصف المفرد بهما وهو ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن طوت من الطى ومرتجة من رتجت الباب وأرتجته أغلقته والرتاج الباب والمشج المختلط حمرة فى البياض وكل لون من ذلك مشج والجمع أمشاج وهو شبه ماء الرجل فى بياضه وماء المرأة فى رقته واصفراره والسلاسل ما ينسل من بين الاصابع من الطين والنطفة ما ينسل ويندفق منها ومهين حقير يصف أنثى قلبت ماء الفحل وحملت منه وقال طوت وأحشاء أمعاء كابواب مرتجة لوقت الولادة على نطفة مختلفة حقيرة

﴿اذا كان لما يتبع الذم أهله * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا﴾

فى سورة الفجر عند قوله تعالى أكلا لما أى ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما الخ يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم أى اذا كان الاكل ذا لم وجمع بين ما يحمد وما لا يحمد ولا ينفك الذم من صاحب الاكل يتبعه كالطفل فلا قدس الرحمن تلك الاسنان التى طحنت المأكول والطواحن الاضراس التى تسمى الارحاء من الاسنان

﴿حرف الهاء﴾

﴿ومهمه أطرافه فى مهمه * أعمى الهدى بالجاهلين العمه﴾

لرؤبة فى سورة البقرة عند قوله تعالى يعمهون العمه جمع عمه بكسر الميم يقال رجل عمه وعامه والعمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى أين يتوجه وأرض عمهاء لا اعلام بها وذهبت ابله العمهى اذا لم يدر أين ذهبت

﴿كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها﴾

هو لجرير فى سورة آل عمران عند قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا حيث ذكر من الآيات اثنان وطوى ذكر غيرها دلالة على تكاثر الآيات ومثله قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة لم يعطف قرة عينى على المذكورات لان الكل ينبغى أن يكون من حظوظ الدنيا وقرة العين فى الصلاة ليست من الدنيا فى شئ كأنه لما ذكر الاولين فكر فى نفسه وقال ما لى وللدنيا فأعرض عن الثالثة وذكر شيأ من الدين وحنيفة اسم قبيلة يقول هذه القبيلة أثلاث ثلث من العبيد وثلث من الموالى ولم يذكر الثلث الآخر

﴿وشريت بردا ليتنى * من بعد برد كنت هامه﴾

فى سورة النساء عند قوله تعالى فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أى يبيعونها فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا أن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلون بها والبيت لابن مفرغ بالغين المعجمة وكسر الراء قاله حين باع غلامه بردا عند منصرفه من سجستان الى البصرة وندم وبعده

ياهامة تدعو صدى * بين المشقر فاليمامه

والشراء وان كان فى عرف الفقهاء فى البيع أشهر لكنه فى الابتياع أظهر فى استعمالات العرب ولم يأت بشاهد للثانى ويقال أصبح فلان هامة اذا مات وهذا من خرافاتهم وتوهمهم أن عظام دماغ القتيل تصير هامة تزقو أدركونى أدركونى الى أن يؤخذ ثاره قال

فان تك هامة بهراة تزقو * فقد أزقيت بالمروين هاما

والصدى ذكر البوم والمراد هامة نظير مع الهامات ولا يريد تذكيرا ولا تأنيثا

﴿انى اذا ما القوم كانوا أنجيه ✽ واضطرب القوم اضطراب الارشيه

وشد فوق بعضهم بالارويه ✽ هناك أوصيني ولا توصي بيه﴾

فى سورة يوسف عند قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا حيث أفرد الحال وصاحبها جمع فان النجى على تفسيره بمعنى الناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا أى مناجيا وهذا فى الاستعمال مفرد مطلقا وبمعنى المصدر الذى بمعنى التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل يوم نجى كما قيل واذهم نجوى بتنزيل المصدر منزلة الاوصاف وحينئذ يكون فيه التوجيهات المذكورة فى رجل عدل ويجوز أن يقال هم قوم نجى كما قيل هم صديق لانه يريد المصادق كالعميد والوخيد والذميل وجمع أنجية كما قال اذا ما القوم كانوا أنجيه ومعناه صار وافر قا لما ضربهم من الشر يتناجون ويتشاورون وقوله اضطرب القوم أى أخذهم القيام والقعود وفارقهم القرار من شدة الخوف حتى يضطربون اضطراب الارشية عند الاستقاء وقوله وشد فوق بعضهم بالاروية جمع الرواء وهو الحبل الذى يروى به أى يستقى هناك أشار به الى المكان والزمان معا والمعنى فى ذلك الوقت يوجد الغناء والكفاية عندى ويحصل الصبر والموادة فاجعلنى وصايتك بى لا فى واعتمدى على لا على غيرى

﴿وجارة جساس أبأنا بنابها ✽ كليبا غلت ناب كليب بواؤها﴾

فى سورة الفرقان عند قوله تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا أى بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل رتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يجسروا على هذا القول العظيم الا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو هذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى أسلوبها قول القائل وجارة جساس أبأنا بنابها الخ وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب جساس قاتل كليب وجارته بسوس امرأة يقال انها خالته وقتل للبسوس الناقة التى بها هاجت الحرب بين بكر وتغلب رماها كليب فقتلها ويقال فى المثل أشأم من البسوس قيل لما عقر كليب ناقة جارة جساس قال جساس ليقتلن فحل هو أعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبا فظن انه فحله الذى يسمى عليان فقال دون عليان خرط القتاد وكان جساس يعنى بالفحل نفس كليب فقتله فقوله أبأنا أى قابلنا من البواء وهو التساوى فى القصاص والبواء مهموز تقول اقتل هذا بقتيلك فانه بواء به أى يعادله قال الشاعر

باءت عرار بكحل فيما بيننا ✽ والحق يعرفه أولو الالباب

فقوله غلت ناب الناب الناقة ومعناه ما أغلى نابا بواؤها كليب وقد استشهد بالبيت المذكور فى سورة الصف عند قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وفعل من صيغ التعجب كظرف قال الزمخشرى وهذا أفصح كلام وأبلغه فى معناه قصد فى كبر التعجب من غير لفظه ومعنى التعجب تعظيم الامر لانه من الله محال

﴿وكاس شربت على لذة ✽ وأخرى تداويت منها بها

لكى يعلم الناس انى امرؤ ✽ أتيت المعيشة من بابها﴾

هو للاعشى فى سورة والصافات عند قوله تعالى يطاف عليهم بكأس من معين يقال للزجاجة التى فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كاسا وهى مؤنثة ولهذا وصفت ببيضاء وفى البيت باخرى وأنشد الاصمعى

يوشك من فر من منيته ✽ يوما على غرة يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما ✽ للموت كأس والمرء ذائقها

يقول رب كاس شربت لطلب اللذة وكأس شربت للتداوى من خمارها كما قيل ذهب الخمار بلذة الخمر ✽ ليعلم الناس اننى رجل ذو رأى آتى أبواب المعيشة من حيث ينبغى أن تؤتى وفى معنى البيت قوله

تداويت من ليلى بليلى من الهوى ✽ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

قال الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس وهو مجاز شائع

﴿نفسى بشئ من الدنيا معلقة ✽ الله والقائم المهدى يكفيها﴾

فى سورة الجاثية عند قوله تعالى واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا من جهة أن الضمير المؤنث فيه وجهان أحدهما انه عائد على آياتنا والثانى أنه يعود على شئ وان كان مذكرا لانه بمعنى الآية كقول أبى العتاهية ✽ نفسى بشئ من الدنيا معلقة ✽ الخ لانه أراد بشئ جارية يقال لها عتبة كانت للمهدى من حظاياه وكان أبو العتاهية يهواها أهدى الى المهدى فى النيروز برنية فيها ثوب فى حواشيه البيتان فهم المهدى

يدفعها اليه فقالت أتدفعني الى رجل جرار قبيح الوجه والمنظر متكسب بالتعشق والشعر فانصرف عن ذلك وأمر أن تملأ البرنية مالا وتدفع اليه فقال أبو العتاهية للخزان انما أمر لى بدنانير فقالوا نعطيك دراهم ونراجع فان كان دنانير قاصصناك فاختلفوا فى ذلك سنة فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يصف لما فرق بينهما ولما صرف همته اليها وبعد البيت

انى لآيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

﴿تشبى تشبب النميمه * تمشى بها زهرا الى تميمه﴾

فى سورة ن عند قوله تعالى مشاء بنميم والنميمة السعاية والشاعر يخاطب امرأة ويقول انها تشبى كما تشبب النميمة فانها خصلة مذمومة قديمة قال الجيدى فقد ما وقدت النميمة خير البشر * حتى انتشر عن جمالة الحطب ما انتشر

ثم قال من قدمها تمشى بها زهرا وهى اسم غمامة الى تميمه وهى قبيلة تميم

﴿حرف الياء﴾

﴿وكم موطن لولاى طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى﴾

فى سورة التوبة عند قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها والمراد وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وامتناعه من الصرف لانه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد طاح أى هلك قال

لبيك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

هوى من جبل عال يهوى هو يا وقلة النيق رأس الجبل ومعناه رب موطن لولاى هلكت فيه كما هلك المنهوى من رأس جبل عال وأما عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ومراعاة المناسبة وان لم تجب عند النحويين تجب عند علماء البيان قال صاحب التقريب لا يعطف زمان على مكان وانه لابد من تقدير عامل آخر اما عند يوم حنين على أن اذ أعجبتكم بدل من يوم حنين واما عند اذ أعجبتكم لانه لو لم يقدر لزم أن يكون اذ أعجبتكم قيد النصر المذكور فيلزم الاعجاب فى جميع المواطن والواقع بخلافه والبيت من قصيدة ليزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى أولها

تكاشرنى كرها كأنك ناصح * وعينك تبدى ان صدرك لى دوى لسانك ماذى وعينك علقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوى

فليت كفافا كان خيرك كله * وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

وكم موطن البيت وبعده جمعت وفحشا غيبة ونميمة * ثلاث خصال لست عنها بمرعوى

﴿لاهيثم الليلة فى المطى * ولا فتى الا ابن خيبرى﴾

فى سورة آل عمران عند قوله تعالى ولو افتدى به أى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف فى كلامهم كثيرا كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة يريد مثله أى ولا مثل هيثم والهيثم جمال يحسن مراعاة الجمال يقول لا مثل هيثم لمراعاة المطى ومثله قضية ولا أبا حسن لها يريد به عليا رضى الله عنه

﴿قال لها هل لك يا تافى * قالت له ما أنت بالمرضى * ماض اذا ماهم بالمضى﴾

فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهد لها بهذا البيت المجهول وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركت بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء وقد انتدب لنصرة هذه القراءة أبو على الفارسى فى كتاب الحجة وذكر وجهه مفصلا

﴿ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا﴾

فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع والمراد النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا أو رأيته يفعل كذا أو سمعته ولم تروله تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج ومعنى العضيهة الافك والبهتان ومعنى ردغة الخبال أى عصارة أهل النار وفى الصحاح الردغة مسكنا ومخففا الماء والطين الوحل الشديد وقوله حتى يأتى بالمخرج أى يحمل عليه من ذنوب المغتاب فيعذب فى النار على مقداره ثم يخرج منها والدمى جمع دمية وهى الصنم والصورة المنقوشة والشمم ارتفاع الانف وشم العرانين كناية عن التكبر لا يشعن أى لا يظهرن التقافيا أى التقاذف يصف جماعة من النساء بالجمال والتكبر والحياء وصون اللسان من القذف وقوله لا يشعن التقافيا أى لا تقافى بمعنى لا تقاذف ولا شيوع اذ لا بد له

من الشيوع لكونه بين اثنين

﴿وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وأكرومة الحيين خلو كما هيا﴾

قال العيني قائله مجهول لا يعرف في سورة مريم عند قوله تعالى رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله في سورة الفرقان الرحمن فاسئل به خبيرا على تقدير أن يكون مبتدأ وخبره الجملة من قوله فاسئل على رأي الاخفش وقوله وقائلة الخ وعلى هذا الوجه يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة وخولان اسم قبيلة يقول رب قبيلة قالت هؤلاء خولان فانكح فتاتهم وكأنه أجابها فقال وكيف أنكح فتاتهم والحال أن أكرومة الحيين خلو من الازواج وهي أولى أن أتزوجها والمراد بالحيين حي أبيها وحي أمها والاكرومة حسن الكرم كالاعجوبة من العجب جعل هذه القبيلة لشرفها وحسن نسائها موجبة لنكاح فتاتهم وزاد ترغيب المخاطب بأن كريمة الطرفين من هذه القبيلة بعد على حالها فالموجب كله موجود وقيل انه ذكر المانع بأن كريمة حي أبيه وأمه لم تتزوج وهي أولى من ان يتزوج من الاجانب وفي هذا البيت عشرة أمور مذكورة في شرح الشواهد

﴿تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا﴾

في سورة مريم عند قوله تعالى أحسن أثاثا ورئيا أثاث البيت ماوجد من الفرش والخرثي بضم الخاء أثاث البيت وأسقاطه أي قدم العهد من هذه المرأة حتى صار الاثاث والجهاز الذي كان معها ملبوسا عتيقا

﴿وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا﴾

في سورة طه عند قوله تعالى لاتخاف دركا ولا تخشى وقرئ لاتخف على الجواب وفي ولا تخشى على هذا ثلاثة أوجه الاستئناف كأنه قيل وأنت لاتخشى أي من شأنك انك آمن وان لاتكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن تكون مثل قوله كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا القائل كان أسيرا محبوسا في يوم فرحت به عجوز عبشمية كانها لم ترقط أسيرا محبوسا قبله والعرب سمت عبد شمس والنسبة اليه عبشمي وانه أثبت الالف مع الجازم في لم ترا لضرورة الشعر ونظيره قوله ولا ترضاها ولا تملق وقوله * ألم يأتيك والانباء تنمي * وقوله لم تهجو ولم تدع والبيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي وكان أسر يوم الكلاب وأول القصيدة هذه الابيات

ألا لاتلوماني كفى اللوم مابيا * فمالكما في اللوم خير ولاليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها * قليل ومالومي أخي من سمائيا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * نداماي من نجران أن لاتلاقيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين المواليا
أبا كرب والايهمين كليهما * وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا * فان أخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلوني سيدا * وان تطلقوني تحربوني ماليا
أحقا عباد الله أن لست سامعا * نشيد الرماة المغربين التاليا
وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا
وظل نساء الحي حولي ركدا * يراودن مني ماتريد نسائيا
وقد علمت عرسي مليكة أنني * أنا الليث معدوا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل * لسمطي وأمضي حيث لاحي ماضيا
وأنحر للشرب الكرام مطيتي * وأصدع بين القينتين ركابيا
وكنت اذا ما الخيل سمها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها * بكفي وقد أنحوا الي العواليا
كأني لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبا الزق الروي ولم أقل * لايسار صدق أعظموا ضوء ناريا

﴿أخشى رجيلا أو ركيبا غاديا * والذئب أخشاه وكلبا عاريا﴾

في سورة الجن عند قوله تعالى ملئت حرسا شديدا وشهبا الحرس اسم مفرد بمعنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه أخشى رجيلا الخ وقال غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركبان كما أن الحرس اسم مفرد في معنى الحراس

﴿دعتهم بأعلى صوتها ورمتهمو * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى﴾

في

فى سورة المرسلات عند قوله تعالى نزاعة للشوى يصف عمرو بن حطان جهنم ودعاءها الكفار الى نفسها قال تعالى كلا انها لظى نزاعة للشوى وقوله دعتهم بأعلى صوتها قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح وتقول الى الى تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقوله ورمتهم بمثل الجمال الصفر كما قال تعالى انها ترمى بشرر كالقصر كانه جمالات صفر والجمال جمع جمل وقال صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وقوله نزاعة للشوى أى للاطراف وهى القوائم والجلود وقيل الشوى جمع شواة وهى من جوارح الانسان مالم يكن مقتلا يقال رماه فأشواه اذا لم يصب مقتلا

﴿ورواقم رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى﴾

﴿سود القوائم مايجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى﴾

هما للمصنف فى سورة القلم حيث قال ولبعضهم فى صفة القلم وأنشد البيتين الرقم الكتابة والرواقم جمع راقم وهو صفة لموصوف محذوف أى رب أقلام رواقم وهو مبتدأ والرقش كالنقش يقال حية رقشاء الترقيش فى ظهرها وكمثل أراقم خبر المبتدا جمع أرقم وهو الحية التى فيها بياض وسواد ومثل تستعمل بمعنى الشبه وبمعنى نفس الشئ وزائدة وعلى تقدير الزيادة يكون التقدير كأراقم ويحتمل أن تكون الكاف مؤكدة لمثل كما عكس ذلك من قال فصيروا مثل كعصف مأكول والتقدير مثل مثل وحسن الجمع بين مثل والكاف اختلاف لفظيهما مع قصد المبالغة فى التشبيه ولو كررت المثل لم يجز قطف الخطا القطوف من الدواب البطئ المشى والخطا جمع خطوة بضم الخاء مابين القدمين وبالفتح المرة الواحدة وجمع القلة خطوات والكثرة خطا ونيالة اسم فاعل من بناء المبالغة من نال ينال أصاب وأصله نيل ينيل كتعب يتعب وأقصى مفعوله يقال أرض قاصية وقصية أى بعيدة والمدى آخر البيت الاول بالفتح الغاية وآخر البيت الثانى بالضم جمع مدية وهى الشفرة سود القوائم هو كطويل النجاد من باب جرد قطيفة والقوائم للدواب واحدتها قائمة والجد فى الامر الاجتهاد يقال جد جدا من باب ضرب وقتل والاسم الجد بالكسر ومنه يقال فلان محسن جدا أى نهاية ومبالغة وجد فى كلامه من باب ضرب خلاف هزل والجد هنا يحتمل المعنيين والمعنى الثانى مع كونه أبلغ لايخلو من الموافقة لقصد رعاية المطابقة واسناد الجد الى المسير من باب جد جده أى ماتجد هى فى مسيرها واللعب معروف واسناده الى بيض المدى من باب جدارا يريد أن ينقض والبيض جمع بيضاء وهو من باب جرد قطيفة واصله بيض بضم الباء وانما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء ويقال ملاعب الاسنة وملاعب الرماح ﴿فان قلت﴾ الجرى على القاعدة كما هو مقتضى الظاهر ارجاع ضمير مسيرها الى سود القوائم وذوات الحوافر وهل يجوز أيضا أن يرجع الضمير الى المضاف اليه وهو نفس القوائم ﴿قلت﴾ ليس فى ذلك أصل من جناح فهو من قبيل الكاتب باليد والطائر بالجناح ثم لايخفى أن تشبيه الاقلام بدواب فى النفس استعارة بالكناية واثبات الخطو لها استعارة تخييلية وذكر القطف ترشيح كما ان تشبيهها بسود القوائم فى النفس أيضا استعارة بالكناية واثبات السير لها تخييلية وذكر الجد ترشيح ﴿فان قلت﴾ كيف شبه العلامة الناظم الاقلام أولا برقش الاراقم وثانيا بسود القوائم وكيف وصفها أولا بقطف الخطا وهو المشى على مهل بحيث هو مضمون وقد يكون مع المستعجل الزلل وثانيا بكونها نيالة أقصى المدى والسير على عجل كما يدل على ذلك صيغة المبالغة فى الفعل والانفعال المعرب ذلك عن طول المضمار وبعد المنال بحيث ان كادت ولم تكد غارت ولو طار ذو حافر قبلها الطارت ﴿قلت﴾ أولا لامنافاة بين الحالتين بالنظر الى اختلاف الاوقات ولاتباين بين الهيئتين بملاحظة بعض الجهات ولامنع من ذلك ولا امتناع اذ مبنى الظروف المكانية والزمانية على الاتساع فربما طال المضمار واتسع الميدان وتفاوت فيه السيران وتباين الجريان وتبين هنالك المصلى من المبرز وتميز السابق الذى هو لقصب السبق محرز على أنه كم من ماش على مهل وهو سابق من يجد فى المسير على عجل ويرحم الله الطغرائى حيث يقول

تقدمتنى أناس كان شوطهمو * وراء خطوى لو أمشى على مهل

وثانيا أن القائل العلامة مالك أزمة البلاغة وحائز قصب السبق الذى لايبلغ فصيح بلاغه ومن المقرر عند أرباب الفن أن من فضائل التشبيه أن يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة نحو أن يعطيك من الزند بإيرائه شبه الجود والزكاء والنجح فى الامور وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ومن الكمال عن النقصان كما قال أبو تمام

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

ومن النقصان الى الكمال كما قال أبو العلاء

توفى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

هذا ثم لايخفاك أن التشبيه المذكور من قبيل تشبيه المركب المحسوس بالمركب المحسوس بلاخلاف فهو كبيت بشار المتضمن تشبيه

مثار النقع فوق الرؤس مع الاسياف حيث شبه تلك الهيئة بالليل الذى تهاوى كواكبه ويشابهه ويقاربه ووجه الشبه فيما نحن فيه هو الهيئات التى تقع عليها الحركة لانك اذا لاحظت بنظرك الصائب ونظرت الى القلم فى يد الكاتب وهو يحركه الى جهة اليمين والشمال ملقيا لعابه ولو أن كفه كف لسال مكرر الذهاب والاياب مع الهز والحركة الغير المستقيمة والاضطراب صادرا واردا من المحبره ساحبا على رياض الطرس أذيال ابراده المحبره وشاهدت الافعى اذا انساب ووثب وثاب وذهب يسعى وأخرج لسانه ذا شعبتين مرجفا يروم لسعا متحركا بحركات متفاوتة مختلفة متشكلا كانه جان بصفة بعد صفة تتغير بها هيئته وأوضاعه وتتجافى عن مضاجعه جنوبه واضلاعه وجدت هذه الهيئة مؤدية تلك الهيئة المذكورة وحاكية لهن حركاتها على تلك الصورة المسطورة وكذلك الجواد اذا رأيته فى جريه مسرعا مكرا مفرا مقبلا مدبرا معا هذا ثم لا يخفى ما فى البيتين من الصناعات البديعة فبين الرواقم والاراقم شبه الاشتقاق بين قطاف الخطا ونياله أقصى المدى صنعة الطباق وكذلك بين السود والبيض والجد واللعب والجناس المحرف بين المدى والمدى وغير ذلك وبالجملة فمن تأمل ما فى البيتين من حسن الصناعات علم أنه السحر الحلال وتحقق أن مثل هذا العلامة من تخيل ثم خال والحمد لله على كل حال (وهذا) آخر ما توخيناه من شرح أبيات الكشاف وبيان مقاصدها على وجه شاف بحيث يتيسر الوصول والدخول الى تلك الابيات من أسهل طريق ونسأل الله الهداية والعناية والتوفيق وأن يجعل خواتيم أعمالنا توبة مقبولة وقلوبنا بذكره تعالى عن كل ذكر مشغولة وأن يمن علينا بحسن الختام بحرمة نبيه سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام وعلى آله وأصحابه الفخام والصلاة والسلام عليه وعليهم الى قيام الساعة وساعة القيام والحمد لله على الدوام

قد تم بعون من عم خلقه بخفى الالطاف طبع شرح شواهد الكشاف المسمى بتنزيل
الآيات على الشواهد من الابيات للعلامة محب الدين أفندى رحمه
الله المعيد المبدى وكان طبعه الباهر وتمثيله الزاهى الزاهر
بمطبعة محمد أفندى مصطفى حفظه الله من كل
سوء ومكروه نجاه وصلى الله وسلم على
خير الانام وعلى آله وأصحابه
البررة الكرام
آمين

